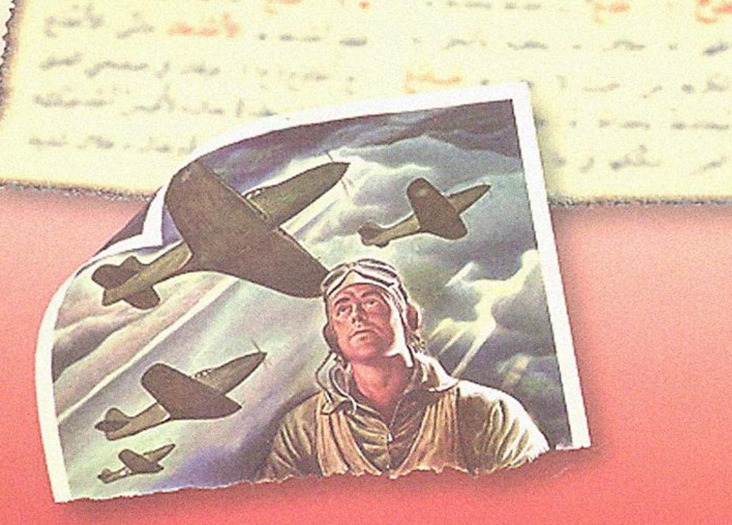


الرواية الكلاسيكية الأكثر مبيعاً

الخدعة ٢٢

رِوايةُ الخِدعَةَ ٢٢: - مَواقِفُ عَميقَةٌ مُتشابِكَةٌ أ تَحوى العَديدَ مِنَ الظُروفِ المُتعارِضَةِ أو المُتابِعَةِ



رواية من تأليف

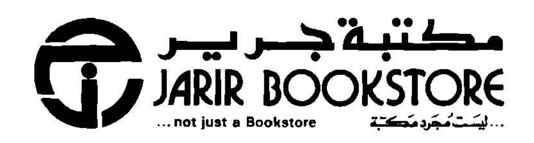
جوزيف هيلر

بالإضافة إلى تمهيد منقح بقلم المؤلف

جوزيف هيلر

الخدعة ٢٢





للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

المملكة العربية السعودية ص.ب.٣١٩٦ الرياض١١٤٧١ - تليفون٠٠٠٢٦٢٦١٤٦٢٦٠٠٠+ - فاكس٢٦٢٦١٤٦٥٦٢٦٢+

Joseph Heller

CATCH-22



هذا الكتاب من وحى خيال مؤلفه، وجميع الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث الواردة به إما أنها نتاج خيال المؤلف أو وظفت بشكل خيالى. وأى وجه شبه بأحداث أو أماكن أو شخصيات حقيقية ما هو إلا محض مصادفة.

إلى "كانديدا دوناديو"، وكيلى الأدبى،

و "روبرت جوتليب"، المحرر،

وإلى زملائى.

لقد كانت هناك خدعة واحدة فقط ...

وهى الخدعة ٢٢

تقع جزيرة بيانوسا فى البحر الأبيض المتوسط جنوب مدينة إلبا بثمانية أميال، وهى صغيرة للغاية، وبالتأكيد لا تتسع لكل الأحداث التى ذكرت فى الرواية. وشأن الشخصيات شأن مكان الرواية؛ فهى كذلك خيالية.

تمهيد للطبعة الخاصة من

" الخدعة ٢٢"

فى عام ١٩٦١ كانت نيويورك تايمز جريدة مكونة من ثمانية أعمدة. وفى الحادى عشر من نوفمبر من هذا العام، بعد يوم من تاريخ النشر الرسمى لرواية "الخدعة ٢٢"، تضمنت صفحة النقد الأدبى إعلاناً غير تقليدى، احتل الصفحة من أعلاها إلى أدناها ومساحة خمسة أعمدة أفقية، وقد كان تأثيره على العين مذهلاً. كانت مقالات النقد الأدبى فى هذا اليوم ـ والتى يكتبها ناقد تعليقاً على عمل شخص آخر ـ تنشر فى طرف الصفحة شأنها شأن الكلمات المتقاطعة وما إلى ذلك. كان الإعلان يحمل هذا العنوان: ما الخدعة؟ وفى أعلاه كانت توجد صورة كرتونية ظلية كوميدية لشخصية ترتدى حلة نظامية تهرب وهى تنظر جانبًا لخطر غير معروف بينما يعلو الذعر وجهها.

لقد كان إعلاناً عن نشر رواية "الخدعة ٢٢". وكان يتخلل الإعلان عبارات ثناء كتبها إحدى وعشرون شخصية معروفة، معظمهم يعملون فى مجال الأدب والنشر، وقرأوا الرواية قبل نشرها، وقاموا بالفعل بإبداء استحسانهم إزاءها.

وفى غضون أيام من النشر كان هناك نقد فى جريدة "ذا نيشن" كتبه "نيلسون ألجرين" (وهو عميل لدى وكيلتى الأدبية والتى حثته على قراءة هذه الرواية) والذى كتب عن الرواية يقول: "إنها أفضل رواية نشرت منذ سنوات"، كما كان هناك نقد نشر فى صحيفة شيكاغو اليومية بقلم "ستدز تيركل" والذى أثنى على الرواية كثيراً.

ويعود قدر كبير من هذا الاهتمام الذى حظيت به الرواية عند نشرها إلى الحماسة المتقدة والتقدير البالغ لكل من وكيلة أعمالى "كانديدا دوناديو" ومحررى "روبرت جوتليب"، وأنا أنتهز هذه الفرصة المتاحة لى الآن لأهدى لهما هذه النسخة الجديدة بوصفهما زميلين وحليفين لى يتمتعان بمواهب لا تقدر بثمن.

ولم يتم نقد الرواية فى هذا اليوم بالتايمز، بيد أنه قد تم التقديم لها فى الهيرالد تريبيون من قبل "موريس دولبير"، وقد قال عنها السيد "دولبير": "إنها رواية جامحة ومؤثرة وصادمة وهزلية ومبهجة تشبه قراءتها القيام برحلة فى القطار الأفعوانى".

وكانت مسألة تحليل ناقد جريدة "هيرالد تريبيون" لتلك الرواية الحربية لمؤلف غير معروف هى نتاج مصادفة بحتة. فقد كان "إس. جيه. بيرلمان" المؤلف المعروف والذى كان السيد "دولبير" قد أجرى لقاء معه من قبل قد نشر كتابه فى نفس هذا الوقت، وكان ناشره هو وكالة سيمون آند شوستر ـ ناشرى أنا أيضاً ـ والمحرر المسئول عن عمله هو محررى كذلك وهو "بوب جوتليب"، وكإجابة عن سؤال طرحه عليه "دولبير" عن قراءاته قال السيد "بيرلمان" إنه قد أذهلته كثيراً رواية أرغمه محرره على قراءتها تدعى "الخدعة ٢٢"، وبعد عودته إلى مكتبه ـ كما اعترف لى لاحقاً السيد "دولبير" ـ وجد الكتاب بالفعل بين كومة الكتب التى قرر أنه لن يتسع له الوقت لقراءتها وتحليلها، فلولا "جوتليب"، ما كان أصبح هناك "بيرلمان"، ولولا "بيرلمان" ما كان قد أصبح هذا النقد الذى كتبه "دولبير".

ولولا "دولبير"، ربما ما ظهر مقال التايمز. فبعد أسبوعين ـ وربما فقط بسبب "دولبير" ـ أثنى ناقد جريدة التايمز اليومية "أورفايل بريسكوت" على الرواية وتنبأ بأن هؤلاء ممن استوعبوها لن ينسوها وأطلق عليها "عمل فنى مذهل سيثير غضب عدد من القراء مساو لعدد هؤلاء الذين سوف يبهجهم".

وبوسعى أن أقول إن ما تبقى لا يتعدى كونه مجرد تاريخ، ولكنه تاريخ يمكن إساءة فهمه بسهولة.

فالرواية لم تفز بأية جوائز، كما أنها لم ترد على قوائم أعلى الروايات مبيعا.

وتماما كما تنبأ السيد "بريسكوت" فأمام كل تقرير جيد عن الرواية بدا أن هناك تقرير آخر سلبى. وبعد إعادة قراءة هذه الرواية بعد خمسة وعشرين عاما قام "جون ألدريدج" ـ وهو فى رأيى أفضل معلق على الأدب الأمريكى على مدار عقود وصاحب الرؤية الواسعة ـ بتمجيد "روبرت بروستين" على رأيه الذكى والحاذق الذى نشره فى "ذا نيو ريبابليك" والذى احتوى على: "مجادلات أساسية لم يحسن أغلب النقد الحديث استغلالها"، كما أدرك السيد "ألدريدج" أن العديد من القراء الأوائل لرواية "الخدعة ٢٢" قد "أحبوها لنفس الأسباب التى جعلت الآخرين يبغضونها".

لقد تلقت الرواية الكثير من الهجاء السام والقاسى؛ ففى جريدة "صنداى تايمز"، فى تقرير موجز للغاية لم يره سوى هؤلاء الذين كانوا ينتظرونه قرر الناقد (كاتب روائى تصادف أنه أيضا كان عميلاً لوكيلتى "كانديدا") أن الرواية "تفتقد بشدة للحرفية والإحساس"، و"مكررة" و"رتيبة"و "فاشلة"وهى"مزيج عاطفى"، وليست رواية؛ كما قام أحد النقاد بجريدة "ذا نيو يوركر" المحترمة ـ وهو أحد كتاب الجريدة الذى عادة ما يكتب عن موسيقى الجاز ـ بمقارنة الرواية من دون استحسان برواية أخرى بها أحداث مشابهة للمؤلف "ميتشيل جودمان" وقرر

أنه: "فيما يبدو أن رواية "الخدعة ٢٢" لم يتم تأليفها؛ حيث إنها تولد انطباعاً بأنه تم نثرها على الورق"، "ما تبقى هو مجرد ركام من النكات اللاذعة" وأن "هيلر" فى النهاية "ينغمس فى ضحكه ويغرق فيه" (وأنا أشعر بالإغراء الآن كى أغرق فى ضحكى وأنا أكتب هذا).

أنا لا أتذكر أن الرواية قد أدرجت من بين مئات الكتب التى زكتها "التايمز" للقراءة فى موسم رأس السنة من هذا العام أو حتى من بين مئات الكتب الأخرى التى زكت الجريدة قراءتها فى فصل الربيع أو الصيف.

ولكن فى أواخر صيف عام ١٩٦٢ كتب "رايموند والترز" بصفحة أفضل الكتب مبيعاً فى الصنداى تايمز - والتى أصبحت تضم لاحقاً عموداً ثابتاً بعنوان "أفضل وأسوأ الكتب" - يقول إن أكثر الكتب السرية التى يتحدث عنها أهل نيويورك فيما يبدو هو "الخدعة ٢٢" (وقد فاقت على الأرجح الدعاية التى أجريت لهذه الرواية تلك التى أجريت لأى واحدة أخرى فى هذا العام، ومع ذلك فقد كانت لا تزال سرية). ولم يمر وقت طويل قبل أن تنشر "نيوزويك" مقالة أخرى ذات تأثير مماثل فى مساحة تعدت الصفحة، وفى نهاية نفس هذا الصيف تمت دعوتى لأول لقاء تليفزيونى، وكان البرنامج هو برنامج "توداى" والذى كان فى ذلك الحين برنامج منوعات. وكان المقدم المؤقت للبرنامج هو "جون تشانسلور"، وقد كان السيد "تشانسلور" قد عاد مؤخرا من وظيفته كصحفى فى الكرملين، وقد وافق على قبول الوظيفة بشرط أن يستضيف فقط هؤلاء الذين يختارهم بنفسه.

وبعد البرنامج قام بإعطائى بعضا من الملصقات التى طبعها سراً. كانت تقول: "يوساريان لايزال على قيد الحياة". وقد اعترف لى بأنه أخذ فى لصق هذه الملصقات سراً على جدران الأروقة والحمامات الخاصة بالمدراء التنفيذيين بمبنى شبكة أخبار إن. بى. سى.

ثم جاء سبتمبر وتم نشر النسخة ورقية الغلاف من الرواية وصاحب نشرها تزايد فى الاستحسان العام والذى بدا أنه أدهش الناشرين - "ديل" - حتى فى ظل خطط الترويج والتوزيع الكثيرة التى كانوا مستعدين بها. وبدا لبرهة أنهم لم يستطيعوا حمل أنفسهم على تصديق مكاسب المبيعات وأنهم سيتمكنون من سد حاجة القراء.

فقد قام ناشرو النسخة ورقية الغلاف بطباعة مئات الآلاف من النسخ. فبعد طرح ٣٠٠٠٠٠ نسخة قاموا بطباعة الرواية خمس مرات أخرى بين سبتمبر وحتى نهاية العام، مرتين فى أكتوبر، ومرتين فى ديسمبر، وبنهاية عام ١٩٦٣ كانت الرواية قد طبعت إحدى عشرة مرة. وفى إنجلترا، وتحت رعاية المحرر الشاب والمغامر "توم ماشلر"، حظى الكتاب بهذه المكانة منذ البداية. كانت قوائم أفضل الكتب مبيعا

هناك جديدة وأولية فى ذلك الحين ولكن سرعان ما تصدرها كتاب "الخدعة ٢٢".

بدأت رحلتى مع هذه الرواية فى عام ١٩٥٣؛ حيث إنه العام الذى بدأت تأليفها فيه. فى نفس العام تم تعيينى ككاتب فى وكالة دعاية صغيرة فى نيويورك بعد عملى طوال عامين كمدرس للإنشاء فى جامعة ولاية بنسلفانيا والتى كانت لاتزال كلية فى ذلك الحين، وفى بداية تأليفى كنت فى أمس الحاجة للاستحسان، لذا فقد أرسلت الفصل الافتتاحى إلى الوكلاء الأدبيين الذين استطعت الحصول عليهم بعد نشر بضع القصص القصيرة فى المجلات مثل "إسكواير" و"ذا أتلانتيك". ولم يبهر هذا الفصل الوكلاء ولكنه أبهر مساعدة شابة هناك ـ "كانديدا دوناديو" ـ والتى استطاعت الحصول على تصريح بتسليم ذلك الفصل لعدد من دور النشر التى كانت تنشر بانتظام مقتطفات من الروايات التى لاتزال فى مرحلة التأليف.

وفى عام ١٩٥٥ ظهر الفصل فى النسخة السابعة من دورية "نيو وورلد رايتنج" الفصلية (صحيفة للمقتطفات الأدبية المختارة والتى تضمنت كذلك ـ تحت اسم مستعار ـ مقتطفاً من رواية أخرى مازالت فى مرحلة التأليف ـ رواية *On The Road* للمؤلف "جاك كيروك"). وقد جاءتنى بعض خطابات الثناء التى أعربت عن اهتمامها بالرواية من بضعة محررين بدور نشر معروفة وتم تشجيعى لمواصلة عمل أصبحت أرى عندئذ أنه سيستغرق منى عدداً من السنوات أكثر كثيراً من تلك التى توقعتها فى البداية.

وفى عام ١٩٥٧، بعد انتهائى من طباعة ٢٧٠ صفحة على الآلة الكاتبة تم تعيينى فى مجلة تايم؛ حيث كنت أكتب عروض المبيعات ـ الدعاية نهاراً، كما كنت أختلس الوقت لأدون أفكاراً على الورق لروايتى كى أستكملها ليلاً بالمنزل. وكانت "كانديدا دوناديو" فى ذلك الوقت تقوم بالخطوات اللازمة لتصبح وكيلة حرة متميزة لصالح عدد من المؤلفين الأمريكيين المتميزين، وقد اتفقنا على أنه من المنطقى أن نسلم النسخة الجزئية لبعض الناشرين، وذلك كى نحصل على فكرة واقعية عن إمكانية نشر هذه الرواية التى كنا نبنى عليها آمالاً كبيرة. كانت "كانديدا" منجذبة إلى محرر جديد شاب كانت قد تعرَّفت عليه فى دار نشر "سيمون آند شوستر"، والذى كانت تعتقد أنه سيرحب بالتجديد أكثر من غيره وكان اسمه "روبرت جوتليب"، وقد كانت محقة.

وفى الوقت الذى شغل فيه "جوتليب" نفسه بهذه الصفحات بدأت أنا، خلال عطلة صيفية مدتها أربعة أسابيع من وظيفة مجلة "تايم" المحمومة، بإعادة كتابتها. وقد التقيت أنا و "جوتليب" لتناول الغداء معاً، ولكن كان الهدف الرئيسى من اللقاء هو أن يقوم بتحديد حالتى المزاجية وإلى أى درجة سيسهل التعامل معى.

وبعد أن استمعت له وهو يلمح بذوق إلى اقتراحات عامة ظن أنه قد يضطر فى النهاية لتنفيذها أعطيته صفحاتى الجديدة وأنا أخبره باعتزاز بأننى بالفعل توليت أمر جميع الصفحات تقريباً.

وقد فاجأنى حينما أخبرنى بأنه كان متخوفاً من ألا أرغب فى العمل مع شخص بمثل سنه ـ فقد كان فى السادسة والعشرين كما أعتقد وكنت أنا فى الرابعة والثلاثين، وقد اندهشت أكثر حينما علمت منه فيما بعد أنه وزميلته المقربة فى سيمون آند شوستر ـ "نينا بورن" ـ كانا متخوفين من سلوكى الذى يشوبه التشكك، والذى لم أعرف حتى عنه شيئاً. لم يحدث أن تشككت به قط منذ ذلك الحين ولا أعتقد أن "جوتليب" ـ الذى أصبح بعد ذلك رئيس شركة ألفريد إيه. نوب، ثم محرر مجلة ذا نيو يوركر ـ قد خاف من أى أحد بعد ذلك.

والشىء الذى مازلت أتذكره وأقدره حقاً بشأنه أنه لم يطلب منى ولو لمرة واحدة مخططاً تمهيدياً أو حتى تلميحاً بالأحداث التالية للجزء الذى معه، وقد نص العقد الذى تلقيته على وجود دفعة مقدمة بمبلغ ألف وخمسمائة دولار؛ بحيث يدفع نصفها عند التوقيع ـ والذى لم أحتج إليه ـ والباقى عند الانتهاء من تسليم الرواية بالكامل.

وقد كنت على الأرجح الروائى الأول الذى يتعامل معه ولكن لم تكن روايتى أول ما ينشره؛ فقد جاءه كُتَّاب آخرون بكتب منتهية فى السنوات الثلاث التى احتجتها للانتهاء من كتابى، وقد كنت فى الغالب عميل "كانديدا" الأول كذلك. وقد كان كلاهما سعيداً مثلى تماماً بالنجاح الذى حققته "الخدعة ٢٢" فى النهاية، وما زلنا نشعر بالبهجة حينما نتذكر هذه التجربة.

وفى الثامن والعشرين من فبراير من عام ١٩٦٢ نشر الصحفى "ريتشارد ستارنس" عموداً فى جريدته "ذا نيويورك وورلد تيليجرام" أفرط فيه فى الثناء على الرواية، وقد بدأه بهذه الكلمات:

"إن "يوساريان" سوف يعيش على حد اعتقادى فترة طويلة للغاية".

وقد كان ثناؤه هذا غير متوقع بالمرة لأن السيد "ستارنس" كان صحفياً تتمركز أغلب كتاباته على السياسات المحلية كما أنه من المعروف أن جريدة "ورلد تيليجرام" كانت شديدة التحفظ.

وحتى هذا اليوم أنا شديد الامتنان للسيد "ستارنس" لثنائه المفرط وصدق حدسه؛ فقد عاش "يوساريان" بالفعل فترة طويلة. لقد توقف إصدار جريدة "ورلد تيليجرام" والعديد من الأشخاص الذين أتى على ذكرهم هذا الإعلان الأول قد ماتوا ومعظم من تبقوا قد أوشكت نهايتهم.

لقد ظل "يوساريان" حياً حينما انتهت الرواية، وبفضل فيلم الرسوم المتحركة

الذى جسد هذه الرواية ترسخت فى ذهن القراء صورة أخيرة خالدة عنه وهو فى البحر يجدف نحو الحرية فى قارب نجاة أصفر منفوخ. فى روايتى الأصلية لم يصل الأمر به إلى هذا الحد، ولكنه لم يؤسر ولم يمت. وفى نهاية المجلد التالى الذى انتهيت منه لتوى (كانت نفس الشخصية الكرتونية الهاربة أيضاً على غلاف الكتاب ولكنها فى هذه المرة ترتدى قبعة رجل أعمال وتتحرك على عكاز) كان أيضاً لايزال حيًا بعد أن أصبح أكبر بأكثر من أربعين عاماً. وقد ذكره صديقه الطبيب فى هذه الرواية مؤكداً: "إن كل إنسان سوف يموت، كل إنسان!". ولكن فى حالة إذا ما كتبت ملحقاً آخر فإنه سوف يظل حياً كذلك بالنهاية.

ولكن يجب أن أعترف بأنه إن آجلاً أم عاجلاً فإن "يوساريان" والذى يبلغ الآن السبعين من العمر لابد أن يموت أيضاً، ولكن لن يكون ذلك بيدىَ أنا.

جوزيف هيلر، ١٩٩٤

إيست هامبتون. نيويورك

١
التكسانى

لقد كان حباً من النظرة الأولى.

فأول مرة وقعت فيها عينا يوساريان على رجل الدين هام به حباً.

كان يوساريان بالمستشفى حيث كان يشكو من ألم بكبده ولكن أكدت الفحوصات أنه لا يعانى من الصفراء، وقد اندهش الأطباء من حقيقة أنه غير مصاب بالصفراء؛ فلو كان مصاباً بها فسوف يعالجونها، ولكن إن اتضح أنه غير مصاب بها واختفى الألم فسوف يسرحونه، ولكن اكتشافهم عدم إصابته بالصفراء فى كل مرة أصابهم بالحيرة.

فى كل صباح كان يأتى ثلاثة رجال جادون وسريعو الحركة ذوو أفواه تتسم بالكفاءة وأعين لا تتسم بذلك تصحبهم الممرضة داكيت الجادة رشيقة الحركة، إحدى ممرضات الجناح والتى لم تكن تحب يوساريان. قرأوا اللوح المعلق بالفراش وسألوا بصبر نافد عن الألم، وقد شعروا بالضيق حينما أخبرهم بأنه مازال كما هو.

سأل الكولونيل: "ألم تتبرز بعد؟".

تبادل الأطباء النظرات حينما هز رأسه نفيا.

"أعطيه حبة أخرى".

كتبت الممرضة داكيت ملحوظة بإعطاء يوساريان حبة أخرى وتحرك الأربعة ناحية الفراش التالى. لم تحب أى من الممرضات يوساريان. فى الواقع لقد برأ ألم كبده ولكن يوساريان أخفى هذا ولم يتشكك الأطباء فى أمره، لقد تشككوا فقط أنه ربما يكون قد تبرز دون أن يخبر أحداً.

كان يوساريان يحظى بكل شىء يريده فى المستشفى. لم يكن الطعام سيئاً للغاية وكانت الوجبات تأتى إليه فى الفراش. كانت هناك حصص إضافية من اللحم الطازج. وأثناء الفترة الحارة من بعد الظهيرة كان هو والآخرون يحصلون على عصير فاكهة مثلج أو لبن بالشيكولاتة مثلج. وبخلاف الأطباء والممرضات لم يكن هناك من يضايقه أو يزعجه. لفترة قصيرة فى الصباح كان عليه القيام بفحص الخطابات، ولكن بعد ذلك يكون حراً لقضاء ما تبقى من اليوم فى كسل وهو مرتاح الضمير. كان يشعر بالراحة فى المستشفى، وكان من السهل أن يظل بها؛ حيث إن

درجة حرارته لا تقل عن ١٠١ درجة طوال الوقت. بل إنه كان يشعر براحة أكثر من تلك التى يشعر بها دونبار الذى كان يضطر أن يسقط دوماً على وجهه من أجل أن يجلبوا له الوجبات فى الفراش.

وبعد أن قرر أن يمضى ما تبقى من فترة الحرب فى المستشفى بدأ يوساريان يكتب خطابات لكل شخص يعرفه ليخبره بأنه بالمستشفى ولكن دون أن يذكر السبب. وفى أحد الأيام واتته فكرة أفضل. فقد كتب لكل من يعرفهم يخبرهم بأنه سيذهب فى مهمة شديدة الخطورة. "لقد طلبوا متطوعين. إن الأمر خطير للغاية ولكن لابد من أن يقوم به شخص ما. سوف أكتب لك حينما أعود". ولم يكتب لأحد منذ ذلك الحين.

لقد تم إرغام جميع المرضى من الضباط فى الجناح أن يقوموا بفحص الخطابات التى كتبها جميع المرضى من المجندين والذين تم إبقاؤهم فى أجنحة خاصة بهم. كان عملاً رتيباً وقد شعر يوساريان بالإحباط حينما علم أن حياة المجندين لم تكن أكثر إثارة من حياة الضباط. وبعد اليوم الأول فتر فضوله تماماً. ولكسر الرتابة بدأ يخترع الألعاب. فقد أعلن فى أحد الأيام: الموت لجميع القواعد النحوية وقام بشطب جميع الصفات والظروف فى كل خطاب يقع فى يديه. وفى اليوم التالى أعلن الحرب على أدوات التعريف والتنكير. وقد وصل إلى مرحلة أكبر من الإبداع فى اليوم التالى حينما ملأ داخل الحروف بالحبر الأسود فيما عدا أدوات التعريف والتنكير، وقد شعر بأن هذا قد أضفى مزيداً من التأثير الدرامى على الخطابات وترك رسالة أكثر عالمية فى جميع الحالات. وسرعان ما أصبح يمحو أجزاء من التحيات والتوقيعات دون أن يمس النص. وفى أحد الأيام شطب على كامل الخطاب فيما عدا التحية "عزيزتى مارى" من أحد الخطابات وفى الذيل كتب "أنا مشتاق لك للغاية، إيه. تى. تابمان، رجل الدين، الجيش الأمريكى". وإيه. تى. تابمان كان هو اسم رجل الدين الخاص بالمجموعة.

وحينما نفدت منه جميع الأفكار فيما يخص الحروف بدأ بشن الهجوم على الأسماء والعناوين المكتوبة على أظرف الخطابات، وكانت القواعد تنص على أن يحمل كل خطاب منقح اسم الضابط الذى قام بمراجعته. وهو لم يقرأ معظم الخطابات بالمرة. بالنسبة للخطابات التى لم يقرأها تماماً كان يوقع باسمه عليها. أما الخطابات التى قرأها كان يوقع اسم "واشنطن إيرفنج". وحينما مل من هذا كتب "إيرفنج واشنطن". تسببت عملية مراجعة الأظرف تلك فى عواقب خطيرة، حيث إنها تسببت فى موجة من القلق بإحدى الإدارات العسكرية الحساسة، والتى أرسلت رجلاً من دائرة الاستخبارات الجنائية إلى الجناح بعد أن تظاهر بأنه مريض. وقد علم الجميع أنه يعمل بدائرة الاستخبارات الجنائية لأنه ظل يسأل

عن ضابط يدعى إيرفنج أو واشنطن؛ ولأنه بعد يومه الأول هناك رفض مراجعة الخطابات، فقد وجد ذلك أمراً شديد الرتابة.

كان الجناح جيداً فى هذه المرة، وواحداً من أكثر الأجنحة التى استمتع بها هو ودونبار، وكان بصحبتهما هذه المرة أحد طيارى المقاتلات الحربية، هذا النقيب البالغ من العمر أربعة وعشرين عاماً، ذو الشارب الذهبى الخفيف والذى أسقطت طائرته فى البحر الأدرياتى فى منتصف الشتاء ولم يصب حتى بنزلة برد. الآن حل فصل الصيف، ورغم أن النقيب لم تُسقط طائرته، فإنه يقول الآن إنه مصاب بأنفلونزا. وعلى الفراش الذى يوجد إلى يمين يوساريان كان لا يزال يرقد على بطنه النقيب المصاب بملاريا فى دمائه ولدغة بعوضة بمؤخرته. وعبر الممشى أمام فراش يوساريان كان يوجد دونبار وإلى جواره نقيب المدفعية والذى توقف يوساريان عن لعب الشطرنج معه. كان النقيب لاعب شطرنج ماهراً وكانت مبارياتهما مشوقة دوماً. وقد توقف يوساريان عن اللعب معه لأن المباريات كانت مثيرة للغاية لدرجة جعلتها غبية. كان هناك أيضاً ذلك الرجل التكسانى ـ من تكساس ـ والذى بدا مثل الممثلين بالأفلام الملونة ويتمسك بالرأى الوطنى الذى يفيد أن أصحاب الموارد المالية ـ الأشخاص المحترمين ـ لابد أن يتم منحهم الحق فى الإدلاء بمزيد من الأصوات أكثر من العاطلين عن العمل والعاهرات والمجرمين ومنحطى الأخلاق والملحدين والأشخاص غير المحترمين ـ أى الأشخاص منعدمى الموارد المالية.

كان يوساريان يقوم بعمله المعتاد من مراجعة الخطابات فى اليوم الذى جلبوا فيه التكسانى. كان يوماً آخر هادئاً وحاراً وخالياً من الإزعاج. كانت الحرارة تضغط بشدة على السقف خامدة الصوت. كان دونبار يرقد دون حركة على ظهره ثانية وهو يحدق للسقف مثل الدمية. لقد كان يعمل جاهداً على إثراء حياته، وقد كان يقوم بذلك عن طريق الاستغراق فى فترات من الملل والرتابة. كان دونبار يعمل بكد كبير على إثراء حياته حتى إن يوساريان ظن أنه مات. لقد تم وضع التكسانى فى الفراش الذى يوجد بمنتصف الجناح ولم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ فى الإعراب عن آرائه.

جلس دونبار مثل الطلقة. صرخ فى حماسة: "هكذا هو الأمر. كانت هناك حلقة مفقودة ـ طوال الوقت وأنا أعلم أن هناك حلقة مفقودة ـ والآن عرفت ما هى"، ثم ضرب بقبضته راحة يده الأخرى وأعلن قائلاً: "لا توجد وطنية".

صاح يوساريان قائلاً: "أنت محق. أنت محق. أنت محق. الهوت دوج. كعك بروكلين المحلى. فطيرة التفاح الخاصة بأمى. هذا هو كل ما يحارب لأجله الجميع، ولكن من يحارب من أجل الناس المحترمين؟ من يحارب لأجل حصول هؤلاء على

مزيد من الأصوات؟ لا توجد وطنية، هذا هو كل ما فى الأمر".

ولم يشعر الضابط الذى يوجد على يسار يوساريان بالانبهار؛ فقد سأل بتعب: "من يكترث لهذا؟"، ثم استدار على جانبه لينام.

وقد اتضح أن الرجل التكسانى لطيف للغاية وكريم ودمث. ربما بدرجة أكثر من اللازم جعلت الجميع يضيق به ذرعا فى خلال ثلاثة أيام.

فقد أرسل بموجات من الإزعاج إلى جميع من حوله والذين فروا جميعا منه - جميعا فيما عدا ذلك الجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء والذى لم يمتلك خيارا آخر؛ فهذا الجندى كان مكسوًا من رأسه وحتى إصبع قدمه بالأربطة الطبية والجبائر. كان له ساقان لا نفع منهما وذراعان لا نفع منهما. وهو قد تم تهريبه إلى الجناح أثناء الليل ولم يكن لدى الرجال فكرة أنه بينهم إلا حينما استيقظوا فى الصباح ورأوا الساقين الغريبتين مرفوعتين من عند الوركين والذراعين الغريبتين مثبتتين فى وضع عمودى، وجميع الأطراف الأربعة مرفوعة بشكل غريب فى الهواء بفعل أثقال من الرصاص والمعلقة أعلاه والتى لاتتحرك قط. وكان مغزولا فى الضمادات، فوق كلا جانبى المرفقين سحابان يتم تغذيته من خلالهما وريديا عن طريق مرطبان شفاف. وكان هناك أنبوب صغير يبزغ من الأسمنت فوق أربيته موصل إلى خرطوم رفيع مطاطى يحمل الفضلات من كليتيه ويصبها فى مرطبان ذى سدادة فوق الأرض. وحينما كان المرطبان فوق الأرض يمتلئ ويفرغ الآخر الذى يغذى مرفقه يتم تغيير الاثنين سريعا، وكل ما استطاعوا رؤيته من الجندى داخل الأربطة البيضاء هو فتحة بالية سوداء فوق فمه.

وقد تم وضع الجندى داخل الأربطة البيضاء إلى جوار التكسانى، والذى كان يجلس على جانبه على فراشه ويتحدث إليه خلال الصباح وبعد الظهيرة والمساء بصوت متشدق مبهج. ولم يكترث التكسانى كثيرا لأنه لم يكن يحصل على أى رد.

كانت درجات حرارة المرضى تقاس مرتين يوميا فى الجناح؛ فمبكرا من كل صباح وفى وقت متأخر من كل فترة بعد الظهيرة تدخل الممرضة كريمر وهى تحمل مرطبانا ممتلئا بالترمومترات وتشق طريقها عبر أحد جانبى الجناح قبل أن تنتقل للآخر؛ حيث تعطى كل مريض ترمومترا. تمكنت من وضع الترمومتر داخل الفتحة التى تعلو فم الجندى داخل الأربطة البيضاء ووازنتها فوق الحافة السفلية، وحينما عادت إلى الرجل الذى بالفراش الأول أخذت الترمومتر الخاص به وسجلت درجة حرارته، ثم تحركت ناحية الفراش التالى وجابت الجناح ثانية. وفى إحدى فترات بعد الظهيرة حينما انتهت من جولتها الأولى حول الجناح وعادت ثانية إلى الجندى داخل الأربطة البيضاء قرأت درجة حرارته واكتشفت أنه قد مات.

قال دونبار بهدوء: "قاتل!".

نظر إليه التكسانى وهو يبتسم ابتسامة تنم عن عدم الثقة بما يعنيه.

قال يوساريان: "قاتل!".

سأل التكسانى بعصبية: "عم تتحدثان؟".

قال دونبار: "لقد قتلته".

قال يوساريان: "أنت قتلته".

تراجع التكسانى للخلف وقال: "أنتما معتوهان. أنا حتى لم ألمسه".

قال دونبار: "لقد قتلته".

قال يوساريان: "لقد سمعتك تقتله".

قال دونبار: "لقد قتلته لأنه كان زنجياً".

صاح التكسانى: "لقد فقدتما عقليكما. إنهم لا يجلبون الزنوج إلى هنا. إن هناك مكاناً مخصصاً للزنوج".

قال دونبار: "لقد قام الرقيب بتهريبه إلى هنا".

قال يوساريان: "الرقيب الشيوعى".

"وأنت كنت تعلم هذا".

ولم يلفت أمر الجندى ذى الأربطة البيضاء برمته انتباه الضابط الذى يوجد إلى يسار يوساريان: فهذا الضابط لم يجذب انتباهه شىء ولم يتحدث على الإطلاق إلا ليعبر عن استيائه.

فى اليوم السابق للقاء يوساريان لرجل الدين انفجر موقد فى الردهة التى يعمها الفوضى وتسبب فى نشوب حريق بأحد جوانب المطبخ. انتشرت حرارة كثيفة بالمكان. وحتى فى جناح يوساريان والذى يبعد عن المطبخ مسافة ثلاثمائة قدم كان بإمكانهم سماع زئير اللهب والطقطقة الحادة للخشب المشتعل. وقد كان الدخان يمر مسرعاً من أمام النوافذ البرتقالية. وفى خلال نحو خمس عشرة دقيقة وصلت عربات الإطفاء من القاعدة الجوية لمحاربة الحريق، وخلال نصف ساعة عصيبة ظلوا يقتربون منه ويبتعدون لا أكثر. بعد ذلك بدأ رجال الإطفاء فى السيطرة على الحريق. وفجأة علا صوت الأزيز الرتيب القديم لقاذفات القنابل والتى كانت عائدة من مهمة ما، واضطر رجال الإطفاء إلى رفع خراطيمهم والإسراع إلى ميدان المعركة وذلك لإطفاء أى طائرة تسقط وتشتعل بها النيران. هبطت الطائرات بأمان، وبمجرد أن هبطت آخر طائرة التف رجال الإطفاء بشاحناتهم وأسرعوا فوق التل لمواصلة عملية الصراع مع النار بالمستشفى، وحينما وصلوا إلى هناك، كانت النار قد خمدت: فهى قد انطفأت طواعية دون حتى أن تتبقى جذوة مشتعلة تحتاج لإطفائها بالماء، ولم يكن هناك شىء ليفعله رجال الإطفاء المحبطون

سوى احتساء القهوة الفاترة والتسكع بالمكان لمغازلة الممرضات.

وصل رجل الدين فى اليوم التالى للحريق. كان يوساريان مشغولاً فى حذف كل شىء فيما عدا الكلمات الرومانسية من الخطابات حينما جلس رجل الدين على مقعد بين الأسرَّة وسأله عما يشعر. كان يجلس ملتفتًا للجانب قليلاً وكانت شارة النقيب على ياقة قميصه هو كل ما استطاع يوساريان رؤيته. ولم يكن لدى يوساريان أدنى فكرة عمن يكون، واعتقد أنه إما أن يكون طبيباً آخر أو رجلاً معتوهاً آخر.

قال: "بخير. لقد أصبت بألم بسيط فى كبدى وأعتقد أننى لم أكن أكثر الرجال اتباعاً للنظام ولكنى يجب أن أعترف بأننى بأفضل حال".

قال رجل الدين: "هذا جيد".

قال يوساريان: "نعم، هذا جيد".

قال رجل الدين: "كنت أود أن آتى قبل ذلك، ولكننى حقاً لم أكن بصحة جيدة".

قال يوساريان: "هذا أمر مؤسف".

أضاف رجل الدين سريعاً: "فقط نزلة برد".

أضاف يوساريان سريعاً كذلك: "إن لدىّ حمى تبلغ ١٠١ درجة".

قال رجل الدين: "هذا أمر مؤسف".

وافقه يوساريان قائلاً: "نعم، هذا مؤسف للغاية".

تململ رجل الدين ثم سأل بعد برهة: "هل هناك أى شىء يمكننى أن أفعله لك؟".

تنهد يوساريان: "لا، لا. إن الأطباء يوفرون لنا جميع سبل الراحة والعناية".

امتقع لون رجل الدين قليلاً وقال: "لا، لا. أنا لا أعنى أى شىء مثل هذا؛ فأنا قصدت السجائر... أو الكتب.. أو ... اللعب".

قال يوساريان: "لا، لا. شكراً لك. إن لدى كل ما أحتاج إليه على ما أعتقد - كل شىء فيما عدا الصحة".

"هذا أمر مؤسف".

قال يوساريان: "نعم، هذا أمر مؤسف للغاية".

تململ رجل الدين مرة أخرى. نظر حوله بضع مرات ثم حدق إلى السقف ثم إلى الأرض. أخذ نفساً عميقاً.

ثم قال: "إن الملازم ناتلى يرسل لك تحياته".

شعر يوساريان بالأسف حينما أدرك أن لهما صديقاً مشتركاً، فقد بدا أن ذلك هو سبب هذا الحوار الذى انخرطا فيه. سأل بندم: "هل تعرف الملازم ناتلى؟".

"نعم، أنا أعرف الملازم ناتلى جيداً".

"إنه معتوه بعض الشىء، أليس كذلك؟".

كانت ابتسامة رجل الدين يشوبها الإحراج: "أخشى أننى لا أعرف؛ فأنا لا أعرفه جيداً".

قال يوساريان: "يمكنك أن تثق فى كلامى. إنه معتوه تماماً".

شعر رجل الدين بالتوتر خلال فترة الصمت التالية ثم قطعها بسؤال مفاجئ: "إنك النقيب يوساريان - أليس كذلك؟".

"كانت بداية ناتلى سيئة؛ فهو يندرج من أسرة عريقة".

كرر رجل الدين سؤاله وإن كان بطريقة يشوبها الجبن فقال: "أستميحك عذراً. ربما أكون قد اقترفت خطأً جسيماً. هل أنت النقيب يوساريان؟".

اعترف النقيب يوساريان قائلاً: "نعم. أنا النقيب يوساريان".

"من السرية ٢٥٦؟".

أجاب يوساريان: "نعم، من السرية المقاتلة ٢٥٦. لا أعتقد أن هناك نقيباً يدعى يوساريان آخر؛ فعلى حد علمى أنا يوساريان الوحيد، ولكن هذا على حد علمى فقط".

قال رجل الدين فى تعاسة: "نعم".

قال يوساريان: "تلك هى ثانى أقوى سرية بعد فرقة القوة الثامنة المقاتلة. هذا إن أردت أن تكتب قصيدة رمزية عن سريتنا".

تمتم رجل الدين: "لا، أنا لا أفكر فى كتابة قصيدة رمزية عن سريتكم".

اعتدل يوساريان فى جلسته حينما رأى شارة رجال الدين على الجانب الآخر من ياقة رجل الدين. كان مذهولاً حيث إنه لم يسبق له التحدث مع رجل دين من قبل.

سأل فى دهشة: "أنت رجل دين! أنا لم أعرف أنك رجل دين".

أجاب رجل الدين: "هذا صحيح، ألم تكن تعرف أننى رجل دين؟".

"لا، لم أكن أعرف أنك رجل دين". أخذ يوساريان يحدق إليه وهو يبتسم ابتسامة عريضة، وأضاف: "أنا لم أر رجل دين من قبل".

تورد وجه رجل الدين مرة أخرى وحدق إلى يديه. كان رجلاً نحيفاً يبلغ من العمر نحو اثنين وثلاثين عاماً وذا شعر أسمر ضارب إلى الصفرة وعينين غير واثقتين بنيتين. كان وجهه نحيفاً وشاحباً إلى حد ما. كانت مجموعة من البثور تعلو كل وجنة من وجنتيه، وقد شعر يوساريان بالرغبة فى مساعدته.

سأل رجل الدين: "هل يمكننى القيام بأى شىء لمساعدتك؟".

هزّ يوساريان رأسه وهو لا يزال يبتسم: "لا، أنا آسف. إن لدى كل شىء أحتاج

إليه وأنا بأفضل حال فى الواقع، أنا لست مريضاً حتى".

"هذا جيد"، وبمجرد أن نطق رجل الدين بهذه الكلمات شعر بالأسف وأقحم مفاصل يده بفمه وهو يقهقه فى ذعر ولكن يوساريان ظل صامتاً وقد ازداد إحباطه. اعتذر رجل الدين أخيراً قائلاً: "إن هناك رجالاً آخرين فى المجموعة لابد أن أقوم بزيارتهم. سوف آتى لرؤيتك مرة أخرى، ربما غداً".

قال يوساريان: "من فضلك قم بذلك".

قال رجل الدين وهو يخفض صوته فى خجل: "سوف آتى فقط إن كنت تريد منى أن آتى؛ فقد لاحظت أننى أجعل الكثير من الرجال غير مرتاحين".

امتلأ يوساريان بالعاطفة وقال: "أريدك أن تأتى. أنت لن تجعلنى أشعر بعدم الراحة".

شعر رجل الدين بالامتنان، ثم نظر لأسفل إلى قصاصة كان يخفيها داخل يده طوال الوقت. قام بعدِّ الأسرَّة فى الجناح وهو يحرك شفتيه وبعد ذلك ركز عينيه فى شك على دونبار.

همس برفق: "هل بإمكانى أن أسأل إن كان هذا هو الملازم دونبار؟".

أجاب يوساريان بصوت عال: "نعم، هذا هو الملازم دونبار".

همس رجل الدين: "شكراً لك، شكراً جزيلاً لك. لابد أن أقوم بزيارته، لابد أن أقوم بزيارة كل أعضاء المجموعة الموجودين بالمستشفى".

سأل يوساريان: "حتى هؤلاء الموجودون بالأجنحة الأخرى؟".

"حتى هؤلاء الموجودون فى الأجنحة الأخرى".

حذره يوساريان قائلاً: "عليك أن تتوخى الحذر من هؤلاء الموجودين بالأجنحة الأخرى يا سيدى؛ فهذا هو المكان الذى يضعون به المختلين عقلياً. إنها مليئة بالمعتوهين".

قال رجل الدين: "لا داعى أن تدعونى سيدى".

واصل يوساريان حديثه بتجهم: "أنا جاد بشأن هذه الأجنحة الأخرى. إن رجال الشرطة العسكرية لن يقوموا بحمايتك؛ لأنهم أكثر جنوناً منهم. كنت لأذهب معك بنفسى ولكننى خائف للغاية. فالجنون معد. هذا هو جناح العقلاء الوحيد بالمستشفى. إن كل من هم سوانا مجانين؛ فهذا على الأرجح هو جناح العقلاء الوحيد بالعالم أجمع".

نهض رجل الدين سريعاً وابتعد عن فراش يوساريان ثم أومأ فى هدوء وهو يبتسم ووعده بأن يتوخى الحذر ثم قال: "والآن لابد أن أزور الملازم دونبار"، ومع ذلك فقد تمهل فى مشيته بندم وسأل أخيراً: "كيف حال الملازم دونبار؟".

قال له يوساريان مؤكداً: "لا بأس به. أمير حقيقى. أحد أقل الرجال إخلاصاً

فى العالم أجمع".

أجابه رجل الدين هامساً مرة أخرى: "أنا لم أقصد هذا. كنت أقصد هل هو مريض للغاية؟".

"لا، إنه ليس مريضاً للغاية. فى الواقع إنه ليس مريضاً على الإطلاق".

"هذا جيد". تنهد رجل الدين بعد أن شعر بالراحة.

قال يوساريان: "نعم، هذا جيد للغاية".

قال دونبار بعدما زاره رجل الدين ورحل: "رجل دين، هل رأيت ذلك؟ رجل دين!".

قال يوساريان: "ألم يكن لطيفاً؟ ربما يجب أن يعطوه ثلاثة أصوات".

سأل دونبار فى شك: "من هم؟".

وعلى فراش بالقطاع الخاص الصغير بنهاية الجناح كان يوجد كولونيل وحيد متوسط العمر - والذى كان يعمل بصورة متصلة خلف الحاجز الخشبى. كانت تزوره يومياً امرأة رقيقة جميلة الوجه ذات شعر ذهبى ضارب إلى الرمادى والتى لم تكن ممرضة ولم تكن عضوة فى الفرقة النسائية بالجيش الأمريكى ولم تكن من الصليب الأحمر، لكنها مع ذلك كانت تظهر فى كل فترة بعد الظهيرة فى المستشفى فى بيانوسا ترتدى أثواباً صيفية من البستل - والتى كانت أنيقة للغاية - وحذاء جلدياً أبيض خفيفاً ذا كعب متوسط الارتفاع أسفل طبقات مستقيمة من النايلون. كان الكولونيل يعمل فى شبكة المعلومات ويشغل نفسه صباحاً ومساء فى إرسال رسائل دبقة من الداخل والتى يضعها فى أظرف ويختمها بإحكام قبل أن يضعها فى دلو أبيض مغطى يوجد إلى جوار فراشه. كان الكولونيل رائع الجمال وبهى المظهر؛ فكان له فم غائر ووجنتان غائرتان وعينان غائرتان حزينتان تغير لونهما نتيجة للفطريات وكان لون وجهه رمادياً غائماً، وكان يسعل بهدوء وبحذر شديد وهو يضع برفق الضمادات فوق شفتيه بينما تعلو وجهه نظرة تنم عن الاشمئزاز والتى أصبحت أتوماتيكية.

كان الكولونيل محاطاً بدوامة من المتخصصين الذين لا يزالون يحاولون تحديد مشكلته؛ فكانوا يسلطون الضوء على عينيه ليروا إن كان بإمكانه أن يرى، ويدسوا الإبر فى أعصابه ليسمعوا إن كان بإمكانه أن يشعر. فكان هناك اختصاصى مجرى البول للعناية ببوله، واختصاصى الغدد اللمفاوية للعناية بغدده اللمفاوية، واختصاصى الغدد الصماء للعناية بغدده الصماء، واختصاصى أمراض نفسية للعناية بنفسيته، واختصاصى أمراض جلدية للعناية بجلده؛ وكان هناك باثولوجى من أجل حالته المعنوية، واختصاصى أمراض مثانة للعناية بمثانته، واختصاصى أصلع ومتحذلق من قسم علم الحيوان فى هارفارد والذى تم جلبه بالخديعة والإكراه بشكل متحجر القلب إلى الفيلق الطبى بسبب خطأ إدارى وأصبح يمضى جلساته مع الكولونيل

المحتضر محاولاً مناقشة رواية موبى ديك معه.

وقد تم غزو جسد الكولونيل بشكل كامل؛ فلم يكن هناك عضو بجسمه لم يتم إعطاؤه دواء أو الانتقاص من قدره أو مسه أو تصويره أو استئصاله أو سلبه أو استبداله. كانت المرأة النحيفة الأنيقة منتصبة الجسم تلمسه كثيراً بينما تجلس إلى جواره، وكانت تبدو كصورة مصغرة من الكآبة فى كل مرة تبتسم فيها. كان الكولونيل طويلاً ونحيفاً وأحدب، وحينما كان ينهض ليسير كان ينحنى أكثر للأمام، مكوناً فجوة عميقة بجسده، وكان يضع قدميه على الأرض بحرص شديد متحركاً بضع بوصات للأمام وهو يثنى ركبتيه. كانت هناك هالات أرجوانية أسفل عينيه، وقد كانت المرأة تتحدث برقة ونعومة تفوق تلك التى يسعل بها الكولونيل، ولم يسبق لأى رجل من الرجال فى الجناح سماع صوتها.

وفى أقل من عشرة أيام كان التكسانى قد أفرغ الجناح. كان نقيب المدفعية هو أول من هرب وبعد ذلك بدأت الهجرة الجماعية. دونبار ويوساريان والنقيب الجوى فروا جميعًا فى نفس الصباح؛ فقد برأ دونبار فجأة من نوبات الدوار واستطاع النقيب الجوى التنفس من أنفه، وأخبر يوساريان الأطباء أن الألم بكبده قد اختفى. كان الأمر بهذه السهولة. حتى الضابط الذى كان يرقد على يسار يوساريان قد هرب؛ ففى أقل من عشرة أيام أعاد التكسانى كل من فى الجناح إلى الخدمة - جميعهم فيما عدا رجل الاستخبارات الجنائية والذى أصيب بعدوى نزلة برد من النقيب الجوى والتى تطورت لتصبح التهاباً رئوياً.

٢

كليفنجر

بشكل ما كان رجل الاستخبارات الجنائية محظوظاً للغاية؛ لأنه خارج المستشفى. كان فتيل الحرب لا يزال مشتعلا؛ فقد جن جنون الرجال ومع ذلك فقد كانوا يُكَافَأون بالميداليات. ففى كل أنحاء العالم كان الجنود من كل جهة محاربة يضحون بحياتهم لأجل ـ كما قيل لهم ـ بلادهم، ولم يبد أن هناك من يكترث لذلك وخاصة الفتيان الذى يضحون بحياتهم. ولم تبد هناك نهاية وشيكة فى الأفق. بل كانت النهاية الوحيدة التى بدت وشيكة هى نهاية حياة يوساريان، وهو الذى كان بإمكانه البقاء بالمستشفى مدة طويلة لولا هذا التكسانى الوطنى ذو الفك قمعى الشكل والابتسامة الوعرة غير القابلة للتخريب والتى ترتسم دوماً بمقدمة وجهه كحافة القبعة. لقد كان التكسانى يريد أن يكون جميع من بالجناح سعداء فيما عدا يوساريان ودونبار. كم كان شخصًا بغيضًا بحق!

ولكن يوساريان لم يستطع أن يكون سعيداً ، حتى بعد ابتعاده عن التكسانى الذى لم يرده أن يكون سعيدًا، وذلك لأنه فى خارج المستشفى لم يكن هناك أى شىء ممتع. فكل ما كان يوجد بالخارج هو الحرب، ولم يبد أن هناك من يلاحظ ذلك سوى يوساريان ودونبار، وحينما كان يوساريان يحاول لفت انتباه الآخرين لذلك كانوا يبتعدون عنه معتقدين أنه معتوه. حتى كليفنجر الذى كان من المفترض أن يعرف يوساريان أكثر من الآخرين أخبره بأنه معتوه فى آخر مرة كانا فيها معاً، والتى كانت قبل فرار يوساريان إلى المستشفى مباشرة.

حدق إليه كليفنجر بينما يتملك منه غضب وازدراء صامتان ثم طرق على الطاولة بكلتا يديه وصاح قائلاً: "أنت معتوه!".

أجاب دونبار بضجر رافعاً صوته فوق صوت الضوضاء بنادى الضباط: "كليفنجر، ماذا تريد من الناس؟".

قال كليفنجر فى إصرار: "أنا لا أمزح".

أخبره يوساريان بهدوء: "إنهم يحاولون قتلى".

صاح كليفنجر: "ليس هناك من يحاول قتلك".

سأل يوساريان: "إذن لماذا يطلقون النار علىّ؟".

أجابه كليفنجر: "إنهم يطلقون النار على الجميع. إنهم يحاولون قتل

الجميع".

"وما الفارق فى هذا؟".

كان كليفنجر على وشك النهوض من فوق مقعده بينما تتملكه العاطفة، وتمتلئ عيناه بالدموع وترتعد شفتاه الشاحبتان. وكما كان يحدث دوما حينما يتشاجر بشأن المبادئ التى كان يؤمن فيها بجميع جوارحه، انتهى به الحال وهو يلهث كى يتنفس الهواء ويمسح دموع الاقتناع من عينيه. وقد كانت هناك الكثير من المبادئ التى يؤمن بها كليفنجر. لقد كان مجنونا.

تساءل: "من هم؟ من بالتحديد تعتقد أنه يحاول قتلك؟".

قال له يوساريان: "جميعهم".

"جميع من؟".

"جميع من فى اعتقادك؟".

"لا أملك أدنى فكرة!".

"إذن من أين لك أن تعرف أنهم لا يحاولون قتلى؟".

"لأن..."، هكذا تمتم كليفنجر ثم صمت فى إحباط.

كان كليفنجر يعتقد أنه محق ولكن يوساريان كان لديه دليل؛ فأشخاص غرباء لا يعرفونه كانوا يطلقون النار عليه بالمدافع فى كل مرة يركض فيها لإلقاء قنابل عليها، ولم يكن الأمر مضحكا على الإطلاق. لم يكن من المضحك أن يعيش حياته مثل العاطل فى خيمة فى بيانوسا بين الجبال الشاهقة خلفه والبحر الأزرق الهادئ أمامه والذى يمكنه أن يبتلع شخصا أصيب بتشنج فى طرفة عين ويشحنه إلى الشاطئ بعد ثلاثة أيام، منتفخا أزرق الجسم متعفنا ينسال الماء من خلال كلا منخاريه.

كانت الخيمة التى يعيش بها توجد إلى جوار تلك الغابة الضحلة معتمة اللون والتى تفصل سريته عن سرية دونبار. وعلى الجانب مباشرة يوجد مصرف السكك الحديدية والذى يضم الأنبوب الذى يحمل جازولين الملاحة الجوية إلى شاحنات الوقود بالقاعدة الجوية. وبفضل أور ـ زميله بالخيمة ـ كانت خيمته من أكثر الخيم الموجودة بالسرية رفاهية، ففى كل مرة يعود فيها يوساريان من إحدى إجازاته بالمستشفى أو راحاته فى روما يفاجأ بإحدى سبل الراحة التى أضافها أور أثناء غيابه ـ ماء جار، مدفأة تحرق بها الأخشاب، أرضية أسمنتية. وكان يوساريان هو من اختار الموقع وقام هو وأور بنصب الخيمة معا. وقد قام أور ـ الذى كان قزما وذا شعر بنى كثيف متموج مفترق من المنتصف ـ بتوفير الأثاث اللازم فى حين قام يوساريان، الذى كان أطول وأقوى وأعرض وأسرع، بمعظم العمل، وقد كانا هما الاثنان فقط اللذين يقطنان بالخيمة، على الرغم من أنها تتسع لستة أشخاص،

وحينما حل الصيف لف أور الأطراف التحتية للخيمة للسماح بالنسيم الذى لا يهب قط بالدخول.

وإلى جوار خيمة يوساريان مباشرة كانت توجد خيمة هافرماير، والذى كان يحب حلوى الفول السودانى ويعيش وحده فى خيمة تتسع لفردين والتى يقوم داخلها بإطلاق النار على جرذان الحقول الصغيرة كل ليلة باستخدام المسدس عيار ٤٥ ذى الرصاصات الضخمة والذى كان قد سرقه من جثة الرجل الميت فى خيمة يوساريان، وعلى الجانب الآخر من خيمة هافرماير كانت توجد خيمة ماكوات والتى لم يعد يشاركه إياها كليفنجر والذى لم يكن قد عاد بعد حينما خرج يوساريان من المستشفى. والآن يشارك ماكوات فى خيمته ناتلى والذى كان متغيبا فى روما برفقة فتاة والتى كان قد وقع فى حبها ولكنها ملت منه ومل منها بعد ذلك. كان ماكوات معتوهاً. فقد كان طياراً وكان يقود طائرته على أقل ارتفاع ممكن فوق خيمة يوساريان كلما أتيحت له الفرصة لذلك ليرى إلى أى مدى يمكنه إفزاعه، ويحب أن يحلق مصدراً أزيزًا فوق طوف خشبى يطفو فوق براميل زيت فارغة قبالة شريط الرمال عند الشاطئ الأبيض النقى؛ حيث يسبح الجنود عراة. والإقامة فى خيمة واحدة مع رجل معتوه لم يكن بالأمر اليسير ولكن ناتلى لم يكترث لذلك؛ فقد كان معتوهاً كذلك وكان يذهب فى جميع أيام إجازاته للعمل بنادى الضباط والذى لم يساعد يوساريان فى إنشائه.

فى الواقع، كان هناك العديد من نوادى الضباط التى لم يساعد يوساريان فى بنائها، ولكنه كان أكثر اعتزازاً بذلك الموجود فى بيانوسا؛ فقد كان نصبا تذكاريًا قوياً ومعقدا، ولم يذهب يوساريان إلى هناك قط إلا حينما انتهى الآخرون من بنائه، وبعد ذلك أصبح يرتاده كثيراً، وهو سعيد للغاية بذلك المبنى الخشبى الضخم الجميل ذى التعريشة؛ فقد كان حقاً بناء مذهلا، وكان يوساريان يعتريه شعور جامح بالإنجاز فى كل مرة ينظر فيها إليه ويرى كل هذه الأشياء التى لم يسهم فى القيام بها.

كان هناك أربعة منهم يجلسون على الطاولة بنادى الضباط فى المرة الأخيرة التى نعت فيها هو وكليفنجر بعضهما البعض بالجنون والعته. كانوا يجلسون بالخلف بالقرب من طاولة لعبة الكرابس الذى كان ينجح أبلباى فى الفوز بها. وكان أبلباى ماهراً فى التصويب على الكرابس بقدر ما كان ماهرا فى ممارسة لعبة البنج بونج، وقد كان ماهراً فى ممارسة البنج بونج بقدر ما كان ماهراً فى كل شىء آخر؛ فقد كان أبلباى يجيد كل ما يقوم به. كان أبلباى فتى أشقر من أيوا يؤمن بالله والأمومة والطريقة الأمريكية فى الحياة دون حتى أن يفكر فى أى منهم، وكل من يعرفه كان يحبه.

دمدم يوساريان قائلاً: "أنا أبغض هذا الوغد".

وقد بدأ هذا الجدال مع كليفنجر منذ بضع دقائق حينما كان يوساريان عاجزاً عن إيجاد بندقية تصويب رشاشة. كانت ليلة مزدحمة؛ فكان البار مشغولاً وطاولة الكرابس مشغولة وطاولة البنج بونج مشغولة. وكان الأشخاص الذين يريد يوساريان البندقية الرشاشة منهم مشغولين عند البار فى غناء أغانٍ قديمة عاطفية والتى يبدو أن لا أحد سواه يمل منها، وبدلاً من إطلاق النار عليهم من الرشاش الخاص به وضع كعبه بشدة فوق كرة البنج بونج التى تدحرجت نحوه من مضرب أحد الضابطين اللذين يلعبان.

"هذا هو يوساريان"، ضحك الضابطان وهما يهزان رأسيهما وأخذا كرة أخرى من فوق الرف.

أجابهما يوساريان قائلاً: "هذا هو يوساريان".

حذره ناتلى قائلاً وهو يهمس: "يوساريان".

سأل كليفنجر: "أترى ماذا أعنى؟".

ضحك الضابطان مرة أخرى حينما سمعا يوساريان يقلدهما. قالا بصوت أعلى: "هذا هو يوساريان".

كرر يوساريان فى تهكم: "هذا هو يوساريان".

استجداه ناتلى: "أرجوك يا يوساريان".

قال كليفنجر: "أترى ماذا أعنى؟ إنه عدوانى معادٍ للمجتمع".

قال دونبار لكليفنجر: "أغلق فمك قليلاً". كان دونبار يحب كليفنجر لأن كليفنجر كان يزعجه ويجعل الوقت يمر ببطء.

قال كليفنجر بطريقة تنم عن الانتصار ليوساريان: "إن أبلباى ليس هنا".

سأله يوساريان: "من قال أى شىء عن أبلباى؟".

"والكولونيل كاثكارت ليس هنا أيضاً".

"من قال أى شىء عن الكولونيل كاثكارت؟".

"من الوغد الذى تبغضه إذن؟".

"من الوغد الذى يوجد هنا؟".

رد عليه كليفنجر قائلاً: "لن أتجادل معك. إنك لا تعرف من تبغض".

قال له يوساريان: "أبغض من يحاول تسميمى".

"ليس هناك من يحاول تسميمك".

"لقد قاموا بتسميم طعامى مرتين، ألم يفعلوا؟ ألم يضعوا السم فى طعامى فى فيرارا وأثناء حصار بولونيا العظيم؟".

قال كليفنجر: "لقد وضعوا السم فى طعام الجميع".

"وما الفارق الذى يشكله هذا؟".

صاح كليفنجر مؤكداً بعدما أصبح أكثر ارتباكاً: "ولم يكن ذلك حتى سماً!".

وكما كان باستطاعة يوساريان أن يتذكر فهو قد شرح لكليفنجر وهو يبتسم بصبر أن هناك من يحاول دوماً تدبير مكيدة له بغرض قتله. كان هناك أناس يهتمون لأمره وهناك من لا يهتمون، وهؤلاء الذين لا يهتمون لأمره كانوا يبغضونه وأرادوا الاقتصاص منه. كانوا يبغضونه لأنه كان ثورياً. ولكن لم يكن باستطاعتهم لمسه لأنه كان يمتلك عقلاً راجحاً داخل جسد نقى وكان قوياً كالثور. لم يستطيعوا لمسه لأنه كان طرزانًا، ماندراك، فلاش جوردون. كان بيل شكسبير. كان كين، أوليسس، الهولندى الطائر، لوت فى سودوم، ديردر ملك الأحزان، سوينى المفرد وسط طيور العندليب بالأشجار. كان الوصفة السحرية زد ـ ٢٤٧. كان ...

"مجنوناً!" هكذا صاح كليفنجر مقاطعاً إياه وهو يرتعد. "هذه تلك حقيقتك! معتوه!".

"ـ مذهلاً. حسن الطبع وصادقاً بشكل حقيقى جريئًا. ممتازاً إلى حد رائع. أنا سبرامان حقيقى".

صاح كليفنجر: "سوبرمان؟ سوبرمان؟".

صححه يوساريان: "سبرامان".

استجداهما ناتلى فى حرج: "كفى يا رفاق. إن كل من بالمكان ينظرون إلينا".

صاح كليفنجر بعنف وعيناه مترغرغتان بالدموع: "أنت معتوه. أنت مصاب بعقدة العظمة".

"أعتقد أن الجميع ناثانيون".

قطع كليفنجر الجملة التى كان موشكاً على قولها فى شك وسأل: "ما معنى ناثانيون؟".

سأل يوساريان فى براءة: "من هم الناثانيون؟".

التف كليفنجر حول المصيدة ببراعة: "أنت تعتقد أن الجميع مصابون بجنون العظمة. أنت لست أفضل من راسكولنكوف ـ".

"من؟".

"ـــــ نعم، راسكولنكوف الذى ـــــ".

"راسكولنكوف!".

"الذى ـ أعنى ـــــ ذلك الذى شعر بأن بإمكانه تبرير قتل سيدة عجوز ـــــ".

"ألست أفضل منه؟".

" ـــــ نعم، كان يستطيع التبرير، هذا صحيح - باستخدام فأس! وأستطيع أن أثبت هذا لك!". وبينما كان يلهث لتنفس الهواء أخذ كليفنجر يعدد أعراض يوساريان: اعتقاد غير عقلانى أن كل من حوله معتوهون، نزعة قتالية لإطلاق النار على الغرباء من المدفع الرشاش، تزييف ودحض الماضى، شك لا أساس له أن الناس يبغضونه ويتآمرون لقتله.

ولكن يوساريان كان يعلم أنه محق؛ فهو - كما شرح لكليفنجر - لم يسبق له أن أخطأ بشأن أى شىء؛ ففى كل مكان ينظر يرى معتوها، وكان ما يفعله هذا هو كل ما يستطيع شاب عاقل مثله أن يقوم به ليثبت وجهة نظره بين كل هذا الجنون. وكان من المهم أن يقوم بذلك؛ حيث إنه يعلم أن حياته فى خطر.

كان يوساريان يرمق كل من يراه بحذر حينما عاد إلى السرية من المستشفى. كان مايلو متغيباً كذلك، فى سميرنا من أجل حصاد التين. كانت الأحوال فى قاعة الطعام تسير بسلاسة أثناء غياب مايلو؛ فقد استجاب يوساريان بنهم للرائحة الحريفة للحم الحَمَل المتبل بينما كان لا يزال فى سيارة الإسعاف التى تثب فوق الطريق المتعرج الذى يربط بين المستشفى والسرية. كان هناك شيش كباب من أجل الغداء. وكتل ضخمة من لحم الصعتر التى تطش بصوت عالٍ فوق الفحم النباتى بعد أن تم نقعها اثنتين وسبعين ساعة فى خليط سحرى كان مايلو قد سرقه من تاجر أحدب فى ليفانت. ثم ستقدم مع الأرز الإيرانى وجبن البارما - الهليون، وهى الوجبة التى تبعها بالكريز كحلوى ثم أكواب القهوة، وقد تم تقديم الوجبة فى حصص كبيرة فوق أغطية مائدة حمراء ضاربة إلى الرمادية على يد مجموعة من الندل الإيطال الماهرين والذين كان الرائد دى كوفرلى قد اختطفهم من الجزء الرئيسى من البلاد وأعطاهم لمايلو.

أكل يوساريان بنهم فى قاعة الطعام حتى ظن أنه سينفجر، ثم جلس بارتخاء فى سبات قانع بينما تغطى فمه آثار الطعام. ولم يكن أى من الضباط يأكل جيداً كما يأكل فى قاعة طعام مايلو، وبدأ يوساريان يفكر لبرهة إن كان أمر تركه للخدمة يستحق المحاولة أم أنه برمته لا يستحق، ولكنه فى ذلك الحين تجشأ وتذكر أنهم كانوا يحاولون قتله وخرج من قاعة الطعام بجموح وركض يبحث عن دوك دانيكا كى ينهى فترة خدمته العسكرية ويرسله للوطن، وقد وجد دوك دانيكا جالساً فى أشعة الشمس فوق مقعد عالٍ خارج خيمته.

أخبره دوك دانيكا وهو يهز رأسه: "خمسون مهمة، إن الكولونيل يريد خمسين مهمة".

"ولكننى لم أنته سوى من أربع وأربعين!".

لم يتحرك دوك دانيكا من مكانه. كان رجلاً حزيناً يشبه الطيور ذا وجه حاد وملامح مستدقة تشبه ملامح الفأر.

كرر كلامه وهو لايزال يهز رأسه: "خمسون مهمة، إن الكولونيل يريد خمسين مهمة".

٣

هافرماير

فى الواقع لم يكن هناك أحد حينما عاد يوساريان من المستشفى سوى أور والرجل الميت فى خيمة يوساريان. كان الرجل الميت فى خيمة يوساريان شخصاً مزعجاً وبغيضاً ولم يكن يوساريان يحبه، على الرغم من أنه لم يره من قبل. واستلقاؤه طوال الوقت فى المكان أزعج يوساريان كثيراً حتى إنه ذهب إلى غرفة التعليمات العسكرية عدة مرات ليشكو إلى الرقيب تاوزر - والذى رفض أن يعترف حتى بوجود الرجل الميت - وهو الأمر الذى توقف بالطبع عن القيام به. وما كان يفوق هذه المحاولة إحباطاً سوى محاولة الشكوى بشكل مباشر إلى الرائد ماجور قائد السرية الطويل والنحيف والذى كان يشبه قليلاً هنرى فوندا وهو حزين، والذى كان يتقافز غضبًا فى كل مرة يعترض فيها يوساريان طريقه متعدياً رئيسه المباشر الرقيب تاوزر كى يتحدث معه عن هذا الأمر. ولم يكن من السهل ببساطة الحياة مع الرجل الميت فى خيمة يوساريان. فهو حتى قد أزعج أور، والذى لم يكن من السهل الحياة معه أيضاً، والذى كان يُصلحُ بدون براعة فى اليوم الذى عاد فيه يوساريان الصنبور الذى يغذى الموقد بالجازولين والذى بدأ فى بنائه فى الوقت الذى كان فيه يوساريان بالمستشفى.

سأله يوساريان بحذر حينما دخل الخيمة على الرغم من أنه كان بإمكانه رؤية ما يحدث: "ماذا تفعل؟".

قال أور: "إن ثمة تسرباً هنا. أنا أحاول إصلاحه".

قال يوساريان: "من فضلك توقف عن هذا. إنك تثير أعصابى وتصيبنى بالتوتر".

أجابه أور: "حينما كنت طفلاً اعتدت أن أسير طوال اليوم وأنا أضع التفاح البرى داخل وجنتىَ. واحدة فى كل وجنة".

وضع يوساريان جانباً حقيبة الظهر وبدأ يخرج منها أدوات النظافة الخاصة به، واستجمع قواه فى شك. وبعد مرور دقيقة وجد نفسه يسأل فى النهاية: "لماذا؟".

ضحك أور على نحو مكبوت بانتصار وأجاب: "لأنها أفضل من الجوز".

كان أور يربض على الأرض داخل الخيمة. كان يعمل بلا توقف فاصلاً الصنبور وناشراً كل الأجزاء الصغيرة بحرص وهو يعدها ويدرس كل منها بشكل لامتناهٍ

وكأنه لم يسبق له رؤية أى شىء مثلها من قبل وبعد ذلك يعيد تجميع كل الأدوات الصغيرة مجدداً ومجددًا ومجددًا دون أن يفقد صبره أو اهتمامه أو يبدو عليه التعب أو حتى قرب الانتهاء. شرع يوساريان فى مراقبته وهو يصلح شاعرًا بأنه سيضطر إلى قتله إن لم يتوقف. انتقلت عيناه إلى سكين الصيد التى كانت معلقة فوق شبكة البعوض بالقرب من الرجل الميت فى يوم وصوله. كانت السكين معلقة بجانب قراب المسدس الجلدى الفارغ للرجل الميت والذى سرق منه هافرماير المسدس.

واصل أور حديثه: "وحينما لا أستطيع العثور على التفاح البرى كنت أستخدم الجوز؛ فالجوز فى نفس حجم التفاح البرى وذو شكل أفضل فى الواقع، على الرغم من أن الشكل لا يهم كثيراً".

سأل يوساريان مرة أخرى: "لماذا كنت تسير وأنت تضع تفاحاً برياً فى وجنتيك؟ هذا هو السؤال الذى طرحته".

أجابه أور: "لأن شكلها أفضل من الجوز. لقد أخبرتك بهذا لتوى".

سبه يوساريان قائلاً: "لماذا يا ذا عينى الشيطان يا أيها الوغد كنت تسير وأنت تضع أى شىء فى وجنتيك؟".

قال أور: "لم أكن أسير وأنا أضع أى شىء فى وجنتىّ. كنت أسير وأنا أضع تفاحًا بريًا فى وجنتىّ. وحينما لا أستطيع الحصول على التفاح البرى كنت أسير وأنا أضع الجوز فى وجنتىّ".

ضحك أور. قرر يوساريان أن يبقى فمه مغلقاً وفعل ذلك. انتظر أور. انتظر يوساريان فترة أطول.

قال أور: "واحدة فى كل وجنة".

"لماذا؟".

هاجمه أور. "لماذا ماذا؟".

هزّ يوساريان رأسه وهو يبتسم ورفض أن يقول.

قال أور بصوت عالٍ ممازحاً: "إن أمر هذا الصمام مضحك حقاً".

سأل يوساريان: "كيف هذا؟".

"لأننى أردت ـ".

عرف يوساريان: "يا إلهى! ماذا أردت ـ".

"وجنتى تفاح".

سأل يوساريان: "وجنتى تفاح؟".

كرر أور: "أردت وجنتى تفاح. حتى حينما كنت طفلاً أردت وجنتى تفاح فى أحد الأيام، وقد قررت أن أعمل حتى أحصل عليهما، وبفضل الله عملت حتى حصلت

عليهما،وهكذا قمت بالأمر،وضعت التفاح البري في وجنتي طوال اليوم.ثم ضحك مرة أخرى وأضاف : "واحدة في كل وجنة".
"لماذا كنت تريد وجنتي تفاح؟".
قال أور : أنا لم أرد وجنتي تفاح، لقد كنت أريد وجنتين كبيرتين، وأنا لم أكترث لون كثيرا ولكن أردتهما كبيرتين،وقد إنكببت على هذا الأمر تماما كما يفعل هؤلاء المجانين الذين تقرأ عنهم يعصرون الكرات المطاطية طوال اليوم فقط لتقوية أيديهم. في الواقع لقد كنت أحد هؤلاء الفتيان المجانين، ولقد إعتددت أن أسير طوال اليوم وأنا أمسك بكرات مطاطية في يدي كذلك.
"لماذا؟".
"لماذا ماذا؟".
لماذ كنت تسير ممسكا بكرات مطاطية في يديك؟
قال أور: أن الكرات المطاطية ..
" أفضل من التفاح البري؟".
ضحك أور ضحكة نصف مكبوتة وهو يهز رأسه وقال: "لقد قمت بذلك لحماية سمعتي الجيدة في حالة إذا ما ضبطني أحد أسير وأن أضع تفاحا بريا في وجنتي،ففي كل مرة يسألني فيها أحدهم عن سبب سيري وأنا أضع تفاحا بريا في وجنتي، أقوم ببساطة بفتح يدي وأريه أنها الكرات المطاطية التي أسير وأنا أمسكها وليست التفاح البري، وأنها كانت في يدي وليس في وجنتي، كانت قصة جيدة ولكنني لم أعرف أبدا إذا ما كانت تبدو واضحة أم لا: حيث أنه من الصعب جعل الناس يفهمونك وأنت تتحدث إليهم بينما تضع تفاحتين بريتين في وجنتيك.
وجد يوساريان انه من الصعب فهمه في ذلك الحين وتساءل مرة أخرى إن كان أور يتحدث إليه بطرف لسانه بينما توجد تفاحه بين وجنتيه.
قرر يوساريان ألا ينطق بكلمة أخرى،فذلك سيكون عديم القيمة، كان يعرف أور ويعرف أنه من المستحيل أن ينجح في أن يعرف منه لماذا كان يريد وجنتين كبيرتين، فلن يجديه نفعا أن يسأل، كما لم يجده نفعا أن يسأل لماذا ظلت هذه الفتاة تضربه على رأسه بحذائها هذا الصباح في روما في الردهة الضيقة خارج الباب المفتوح لغرفة شقيقة فتاة ناتلي الصغرى، كانت فتاة طويلة وقوية البنية ذات شعر طويل وأوردة زرقاء متوهجة تظهر أسفل بشرتها ذات اللون الكاكاوي، حيث كان الجلد أكثر ضعفا ، وقد ظلت ترتعد وتقفز عاليا في الهواء على قدميها العاريتين كي تنجح في ضربه على أعلى رأسه بكعب حذائها المدبب، كانا يخوضان مشاجرة جلبت كل من بالشقة إلى الردهة للمشاهدة، كل زوج يقف عند مدخل

حجرة نوم، كما كانت هناك تلك السيدة العجوز التى ترتدى معطفاً ومئزراً والتى كانت توبخهما بصوت يشبه صوت الدجاجة، والرجل العجوز الفاسق الذى ظل يضحك على نحو متقطع بصوت عالٍ طوال المشاجرة وهو يشعر بسعادة بالغة. كانت الفتاة ترتعد وأور يضحك. وفى كل مرة كانت تضربه بكعب حذائها كان أور يضحك بصوت أعلى مثيراً حنقها أكثر مما يجعلها تطير أعلى فى الهواء لتضربه ضربة أخرى على رأسه. وظلت ترتعد وأور يضحك حتى ضربته ضربة أصدرت صوت قعقعة قوياً على صدغه جعلته يتوقف عن الضحك وأرسلته إلى المستشفى فوق نقالة وهو يعانى من فجوة فى رأسه، والتى لم تكن عميقة للغاية، وارتجاج مخى منعه من القتال طوال اثنى عشر يوماً فقط.

لم يستطع أحد أن يكتشف ماذا حدث، ولا حتى الرجل العجوز ذو الضحكة المتقطعة أو السيدة العجوز ذات الصوت الذى يشبه صوت الدجاجة والتى كان وضعها ومكانتها فى هذا المكان ذى غرف النوم المتعددة التى تواجه بعضها البعض فى رواق ضيق يؤدى إلى غرفة جلوس فسيحة ذات نوافذ ومصباح وحيد - يتيح لها معرفة كل شىء يحدث. وفى كل مرة كانت تقابل فيها أور بعد ذلك كانت تسخر منه بفظاظة وتسبه بطريقة مزدرية، ثم تضحك بصوت أجش حينما تراه يضحك وهو خائف ويختبئ خلف يوساريان. فأيا كان ما فعله أو حاول فعله أو فشل فى فعله وراء هذا الباب المغلق لشقيقة فتاة ناتلى الصغرى كان لا يزال سرا، فقد رفضت الفتاة أن تقول لفتاة ناتلى أو أى فتاة أخرى أو ناتلى أو يوساريان ما حدث، وفى إمكان أور أن يقول ما حدث ولكن يوساريان قرر ألا ينطق بكلمة أخرى.

سأل أور: "هل تريد أن تعرف لماذا أردت وجنتين كبيرتين؟".

أبقى يوساريان فمه مغلقا.

قال أور: "هل تذكر ذلك الوقت فى روما حينما أخذت تلك الفتاة التى تبغضك تضربنى على رأسى بكعب حذائها؟ هل تريد معرفة سبب ضربها لى؟".

كان من المستحيل تخيل ما فعله ليثير غضبها إلى الدرجة التى تجعلها تضربه فوق رأسه طوال خمس عشرة إلى عشرين دقيقة، ومع ذلك لم يغضبها ما فعله إلى الدرجة التى تجعلها تمسكه من كاحليه وتحطم رأسه. فقد كانت طويلة للغاية وكان أور قصيراً للغاية. كان لأور أسنان بارزة وعينان جاحظتان تتناسب مع وجنتيه الكبيرتين وكان حتى أكثر ضآلة من هولب والذى كان يعيش على الجانب الخاطئ من خطوط السكك الحديدية فى خيمة بالمنطقة الإدارية والتى يرقد بها هنجرى جو يصرخ أثناء نومه كل ليلة.

وتوجد المنطقة الإدارية التى نصب فيها هنجرى جو خيمته على سبيل الخطأ فى منتصف السرية بين المصرف والسكك الحديدية الصدئة التابعة له والطريق

القارى الأسود المتعرج، ويمكن للرجال التقاط فتيات من هذا الطريق إن قاموا بوعدهن بأخذهن إلى حيث يرغبن، كان هؤلاء الفتيات ريفيات ممتلئات ومبتسمات ذوات أسنان مفقودة يقوم الرجال بأخذهن من الطريق ويسلكون معهن سلوكاً خاطئاً، وكان يوساريان يفعل ذلك كلما أتيحت له الفرصة والتى لم تكن تتاح له كثيراً مثل هنجرى جو والذى كان يستطيع الحصول على سيارة جيب، ولكنه لا يستطيع قيادتها، حتى حين يستجديه يوساريان أن يجرب ذلك. كانت خيم المجندين فى السرية توجد على الجانب الآخر من الطريق إلى جوار المسرح المفتوح والذى كان يستخدم صباحاً لتسلية المجندين ويحتشد أمامه الجنود الجاهلون ليلاً ليشاهدوا الشاشة المتداعية. ولقد أتت إليه فرقة ترفيه أخرى فى نفس فترة بعد الظهيرة هذه.

كان الجنرال بى. بى. بيكام هو من يقوم بإرسال فرق الترفيه تلك، وقد نقل مقره إلى روما وليس لديه شىء أفضل للقيام به أثناء تآمره ضد الجنرال دريدل. كان الجنرال بيكام دمثاً ودقيقاً ويعلم محيط خط الاستواء ويستخدم دوماً لفظ "يعزز" حينما يعنى "يزيد". لقد كان مزعجاً ولا يوجد من يعرف ذلك أكثر من الجنرال دريدل والذى أثار حفيظته وسخطه ذلك الأمر الذى أصدره الجنرال بيكام ويطالب فيه بأن تنصب جميع الخيم فى مسرح عمليات البحر المتوسط بالتوازى بحيث تواجه فى فخر النصب التذكارى لواشنطن. وقد بدا ذلك سخيفاً ومحض هراء للجنرال دريدل الذى كان يدير كتيبة مقاتلة، علاوة على ذلك لم يدس الجنرال بيكام أنفه فيما لا يعنيه ويتدخل فى الطريقة التى تنصب بها الخيم فى جناح الجنرال دريدل، وقد تلا ذلك نقاش محموم بين هذين الحاكمين المطلقين والذى انتهى لصالح الجنرال دريدل بعد أن حسم الجدال جندى من الدرجة الأولى وهو ونترجرين ويعمل موظفاً بالبريد فى مقر القوات الجوية السابعة والعشرين، وقد حسم ونترجرين النزاع عن طريق إلقاء جميع الخطابات التى جاءت من الجنرال بيكام فى سلة المهملات؛ فقد وجدها شديدة الإسهاب. وعلى الجانب الآخر فقد حازت آراء الجنرال دريدل والتى عبر عنها فى أسلوب أقل إسهاباً على إعجاب ونترجرين والذى قام بتحويلها إلى لوائح حماسية وهكذا انتصر الجنرال دريدل عن دون قصد.

ولاستعادة المكانة التى خسرها بدأ الجنرال بيكام فى إرسال المزيد من فرق الترفيه أكثر من أى وقت مضى وقام بإسناد مسئولية توليد مزيد من الحماسة بهم للكولونيل كارجيل نفسه.

لكن لم تكن هناك أية حماسة بمجموعة يوساريان؛ ففى مجموعة يوساريان كان هناك فقط تزايد فى عدد المجندين والضباط الذين يشقون طريقهم واحداً تلو

الآخر إلى الرقيب تاوزر عدة مرات يومياً للاستفسار عما إذا كانت الأوامر الخاصة بإرسالهم للوطن قد جاءت بعد. كان هناك رجال قد أنهوا الخمسين مهمة المخولة إليهم. وقد كان هناك المزيد منهم الآن أكثر من الوقت الذى ذهب فيه يوساريان إلى المستشفى، وهم لايزالون ينتظرون. كانوا قلقين ويعضون على أناملهم. كانوا يعيشون فى عالم الخيال مثل شباب عديمى القيمة واقعين تحت براثن الاكتئاب. كانوا يتخبطون وينتظرون وصول الأوامر التى سترسلهم إلى الوطن؛ حيث الأمان من مقر القوات الجوية السابعة والعشرين، وأثناء انتظارهم لم يكن لديهم شىء يفعلونه سوى القلق والعض على أناملهم والذهاب إلى مكتب الرقيب تاوزر عدة مرات يومياً للاستفسار عما إذا كانت أوامر إرسالهم للوطن قد أتت بعد أم لا.

لقد كانوا فى سباق وكانوا يعرفون ذلك، فكانوا يعرفون من واقع التجربة المريرة أن الكولونيل كاثكارت قد يزيد عدد المهام مرة أخرى فى أى وقت. ولم يكن لديهم شىء أفضل يقومون به سوى الانتظار. فقط هنجرى جو هو من كان لديه شىء أفضل فى كل مرة ينتهى فيها من مهامه. فكانت لديه كوابيسه التى يظل يصرخ فيها ومباريات الملاكمة مع قطة هولب. وكان يأخذ كاميرته إلى كل عرض تقدمه فرق الترفيه ويذهب إلى الصف الأمامى ويحاول التقاط صور لتلك المغنية ذات الشعر الأشقر والثوب المزين بالترتر والذى يبدو منتفخا دوماً، ولكن هذه الصور لم تكن تخرج من الكاميرا قط .

كان الكولونيل كارجيل ـ حلال المشكلات الخاص بالجنرال بيكام ـ رجلاً متورد الوجه. فقبل بدء الحرب كان يعمل كمدير تسويق عدوانى ويقظ. كان مدير تسويق سيئاً. كانت خدماته كمدير تسويق بغيضة للغاية حتى إن العديد من الشركات كانت تلجأ إليه لأغراض خاصة بخفض الضرائب، ففى كل شركات العالم المتحضر بدءاً من باترى بارك إلى شارع فولتون كان يعرف عنه أنه رجل جدير بالثقة ويعتمد عليه فى عملية تحقيق خسائر وبالتالى خفض القيمة المقدرة للضرائب. وكانت أتعابه مرتفعة؛ حيث إن الفشل لا يسهل تحقيقه دوماً. فكان يضطر للبدء من أعلى وشق طريقه إلى أسفل، ومع وجود الأصدقاء المتعاطفين فى واشنطن لم يكن من السهل خسارة أموال. فكان الأمر يستغرق شهوراً من العمل المضنى وسوء التخطيط الدقيق. لقد كان يسىء التنظيم ويخطئ فى الحساب ويغض الطرف عن كل شىء وحينما يعتقد أنه نجح فى مسعاه تعطيه الحكومة بحيرة أو غابة أو حقل بترول وتفسد كل شىء. وحتى مع وجود مثل هذه العوائق كان يمكن الاعتماد على الكولونيل كارجيل كى يخسف بالأرض أنجح الشركات. كان رجلاً عصامياً لا يدين بفشله لأحد.

بدأ الكولونيل كارجيل خطبته فى سرية يوساريان وهو يعد وقفاته بحرص

قائلاً: "أيها الرجال. إنكم ضباط أمريكيون وهذا لقب لا يتمتع به أية ضباط آخرين فى العالم. فكروا فى هذا الأمر".

فكر الرقيب نايت فى الأمر ثم أخبر الكولونيل كارجيل بشكل مهذب بأنه كان يخاطب مجندين وأن الضباط كانوا ينتظرونه على الجانب الآخر من السرية. شكره الكولونيل كارجيل بحفاوة وتحرك برضا بالغ عن النفس عبر المكان؛ فقد شعر بالفخر حينما لاحظ أن تسعة وعشرين شهراً بالخدمة لم تؤثر سلباً على عبقريته فى عدم الكفاءة.

بدأ يخاطب الضباط وهو يعد وقفاته بحرص قائلاً: "أيها الرجال. إنكم ضباط متميزون. وهذا لقب لا يتمتع به ضباط كثيرون. فكروا فى هذا الأمر"، ثم انتظر لحظة للسماح لهم بالتفكير فى الأمر ثم صاح فجأة "هؤلاء الناس هم ضيوفكم! لقد سافروا مسافة ثلاثة آلاف ميل لتسليتكم. ماذا سيكون شعورهم إن لم يرغب أحد فى الخروج لمشاهدتهم؟ ماذا سيحدث لحالتهم المعنوية؟ أيها الرجال أنا لن أخسر شيئاً بعدم خروجكم. ولكن هذه الفتاة التى ترغب فى عزف الأكورديون من أجلكم كبيرة بما فيه الكفاية لتكون أماً. ماذا سيكون شعوركم لو سافرت أمكم ثلاثة آلاف ميل من أجل عزف الأكورديون لبعض القوات التى لا ترغب فى مشاهدتها؟ كيف سيكون شعور هذا الطفل الذى تعزف والدته على الأكورديون حينما يكبر ويعرف بهذا الأمر؟ إننا جميعاً نعرف الإجابة عن هذا السؤال. الآن يا أيها الرجال لا تسيئوا فهمى. إن الأمر تطوعى بدون شك؛ فأنا لن أسمح لنفسى قط بصفتى كولونيلاً أن آمركم بالذهاب إلى حفل الترفيه هذا وإمضاء وقت طيب، ولكننى أريد من كل واحد منكم ليس مريضاً إلى الدرجة التى تجعله يذهب إلى المستشفى أن يتوجه إلى ذلك الحفل فوراً وإمضاء وقت طيب، *وهذا أمر*....".

وقد شعر يوساريان بأنه مريض إلى الدرجة التى تجعله يذهب إلى المستشفى ثانية، كما شعر بأنه أكثر إعياء ومرضاً فى ثلاث مهمات متتالية أخرى إلا أنه عندما صرح بهذا هز الطبيب دانيكا رأسه بأسى ورفض أن يمنحه الإذن بتفويت المهمات.

وبخه الطبيب دانيكا قائلاً: "هل تعتقد أنك تعانى من المشكلات؟ فماذا عنّى؟ لقد ظللت أحيا على الفول السودانى طوال ثمانى سنوات أثناء دراستى لأصبح طبيباً. وبعد الفول السودانى كنت أحيا على علف الدجاج فى عيادتى الخاصة حتى أمكننى بناء اسم يدر ربحاً يغطى نفقاتى، وفى الوقت الذى بدأ فيه العمل يزدهر أخذونى إلى هنا. لا أعرف ما الذى تشكو بشأنه!".

كان الطبيب دانيكا صديق يوساريان إلا أنه لم يكن ليفعل أى شىء يمكنه القيام به لمساعدته. أنصت يوساريان بإمعان بالغ بينما كان الطبيب دانيكا يخبره

عن الكولونيل كاثكارت فى الوحدة العسكرية والذى أراد أن يصبح جنرالاً، وعن الجنرال دريدل فى وينج وممرضة الجنرال دريدل، وعن كل الجنرالات الآخرين فى مقر القوات الجوية السابعة والعشرين والذين أصروا على أن يكون عدد المهام الذى يخول للضباط العودة إلى الوطن فور الانتهاء منها أربعين مهمة.

ثم نصح يوساريان بأسلوب كئيب: "لِمَ لا تبتسم فقط وتبذل أقصى ما فى وسعك؟ كن مثل هافرماير".

هزّ يوساريان كتفيه عند سماعه لهذا الاقتراح. كان هافرماير قائد المدفعية والذى لا يقوم قط بأية حركات مراوغة أثناء توجهه إلى الهدف، وبهذا فهو يعرض حياة كل الرجال الذين يطيرون معه فى نفس السرب للخطر.

لقد كانوا يسألونه بغضب بعد المهمة: "هافرماير، لماذا لا تقوم قط بحركات مراوغة؟".

وكان الكولونيل يأمرهم قائلاً: "يا أيها الرجال اتركوا النقيب هافرماير وشأنه. إنه أفضل مدفعى لدينا".

كان هافرماير يبتسم ويومئ ويحاول أن يشرح لهم كيف أنه يصقل الرصاصات بسكين صيد قبل إطلاقها على فئران الحقول كل ليلة فى خيمته. كان هافرماير أفضل مدفعى لديهم ولكنه كان يطير بشكل مستقيم ومستوٍ طوال الطريق إلى الهدف، وحتى فيما بعد الهدف حتى يرى القنابل المتساقطة تضرب الأرض وتنفجر مكونة انفجارات برتقالية تبرق أسفل غطاء الدخان المتموج، وساحقة الركام الذى يرتفع فى جموح فى موجات ضخمة رمادية وسوداء. كان هافرماير يثبت الرجال المعرضين للموت فى الطائرات الست فى أماكنهم دون حراك فى حين يقوم هو باتباع سير القنابل طوال الطريق من خلال مقدمة الطائرة الزجاجية باهتمام بالغ مما يعطى المدفعيين الألمان بأسفل كل الوقت الذى يحتاجون إليه لتحديد مواقعهم والتصويب وسحب الزناد أو الحبل العنقى أو المفاتيح أو أى شىء يسحبونه حينما يريدون قتل أشخاص لا يعرفونهم.

كان هافرماير قائداً مدفعياً لم يخطئ الهدف من قبل. أما يوساريان فكان قائداً مدفعياً تم إنزال مرتبته لأنه لم يعد يكترث إن أصاب الهدف أو أخطأه. فقد قرر أن يعيش للأبد، وكانت مهمته الوحيدة فى كل مرة يحلق فيها هو أن يعود سالماً.

وقد أحب الرجال الطيران وراء يوساريان والذى اعتاد الانطلاق بسرعة فائقة فوق الهدف من كل الاتجاهات ومن على كل ارتفاع، صاعداً وهابطاً وملتفاً ومستديراً بانحدار وحدة شديدين حتى إن ذلك كان هو كل ما يستطيع الطيارون فى الطائرات الخمس الأخرى فعله للبقاء بالتشكيل معه، بحيث يطير بشكل

منبسط فقط طوال الثانيتين أو الثلاث التى تتطلبها عملية إسقاط القنابل ثم يزوم بالطائرة مرة أخرى مديراً إياها فى الهواء بعنف وهو يشق طريقه خلال سدود النار القذرة للمدفعية المضادة للطائرات؛ مما يجعل الطائرات الست تتناثر فى السماء لتصبح كل منها هدفاً سهلاً للمقاتلات الألمانية، وهو الأمر الذى كان لا بأس به بالنسبة ليوساريان؛ حيث لم تعد هناك مقاتلات ألمانية، وهو لم يكن يريد أن تنفجر أية طائرات على مقربة من طائرته، وفقط حينما يبتعد كثيراً عن القوات الألمانية كان يرفع خوذته بحرص وحذر فوق رأسه المتصبب عرقاً ويتوقف عن إرسال الإرشادات إلى ماكوات فى غرفة التحكم والذى لا يكون لديه شىء أفضل للسؤال عنه فى وقت مثل هذا سوى أين سقطت القنابل.

قال الرقيب نايت فى الخلف: "إن حجرة القنابل فارغة".

سأل ماكوات: "هل ضربنا الجسر؟".

"لم يكن بإمكانى أن أرى يا سيدى، فقد ظللت أثب بشدة هناك حتى إننى لم أستطع أن أرى. كل شىء مغطى بالدخان الآن ولا أستطيع أن أرى".

"آرفى، هل أصابت القنابل الهدف؟".

قال النقيب آردفارك ـ ملاح يوساريان الممتلئ الجسم والذى يدخن الغليون ـ بعدما فكر فى ارتباك بالخرائط التى وضعها عند موقع يوساريان عند مقدمة الطائرة: "أى هدف؟ لا أعتقد أننا وصلنا للهدف بعد. أليس كذلك؟".

"يوساريان، هل ضربت القنابل الهدف؟".

أجاب يوساريان الذى كان اهتمامه الأوحد هو قذائف المدفعية المضادة للطائرات: "أية قنابل؟".

صاح ماكوات: "حسناً، ما هذا إذن؟!".

ولم يكترث يوساريان كثيراً إن كان قد ضرب الهدف أم لا مادام أن هافرماير أو أى قائد مدفعى آخر كان يفعل ذلك مما يجعلهم لا يضطرون للعودة إلى نفس المكان. ومن حين لآخر كان يغضب أحدهم من هافرماير لدرجة أنه يلكمه.

وكان الكولونيل كاثكارت يحذرهم قائلاً: "لقد قلت لكم يا أيها الرجال أن تتركوا النقيب هافرماير وشأنه. لقد قلت إنه أفضل مدفعى لدينا، ألم أقل هذا؟".

ابتسم هافرماير لجملة الكولونيل ووضع قطعة أخرى من حلوى الفول السودانى فى فمه.

وقد أصبح هافرماير بارعاً للغاية فى إطلاق النار على فئران الحقول ليلاً باستخدام المسدس الذى سرقه من الرجل الميت فى خيمة يوساريان. وكان الطعم الذى يستخدمه هو قطعة من الحلوى وقد كان يجلس فى الظلام ينتظر وهو يضع إصبع يده الأخرى داخل أنشوطة بالحبل الذى قام بإيصاله من إطار شبكة

الناموس إلى مصباح الكهرباء بأعلى. وكان الحبل مشدوداً مثل وتر آلة البانجو، وكانت أصغر شدة تضىء المصباح والذى يسبب وهجة تسبب عمى مؤقتاً للفريسة. وقد كان هافرماير يضحك بتهلل وهو يشاهد الحيوان الثديى الصغير يتجمد فى مكانه ويستدير فى فزع بحثاً عن المعتدى. وكان هافرماير ينتظر حتى تقع عينا الفأر عليه، ثم يضحك بصوت عالٍ ويسحب الزناد فى نفس الوقت مطيحاً بالجسد العفن الفروى بالخيمة إلى أن يصطدم بجدارها مرسلاً روحه خارج جسده.

وفى وقت متأخر من إحدى الليالى أطلق هافرماير رصاصة على فأر جعلت هنجرى جو يأتى إليه مسرعاً وهو حافى القدمين ويصرخ فى ذعر ويفرغ رصاص مسدسه عيار ٤٥ داخل خيمة هافرماير، بينما يسقط داخل أحد جوانب المصرف ويخرج من الآخر ثم يختفى تماماً داخل أحد الخنادق الضيقة والمستطيلة التى بدت أنها ظهرت من العدم إلى جوار كل خيمة فى الصباح التالى لقذف مايلو مايندربايندر للسرية. كان ذلك قبل الفجر مباشرة أثناء حصار بولوينا العظيم حينما كان الموتى يملأون المكان مثل الأشباح الأحياء، وكان هنجرى جو على وشك أن يفقد عقله من فرط القلق لأنه أنهى مهامه مجدداً ولم يتقرر بعد عودته للوطن. كان هنجرى جو يتحدث كالطفل بشكل غير مترابط حينما أخرجوه من قاع الخندق شديد الرطوبة؛ حيث صوت فحيح الحيات والفئران والعناكب وقد أضاء الآخرون كشافاتهم فقط للتأكد من أنه لم يكن هناك شىء بالداخل سوى مياه المطر الراكدة.

صاح هافرماير: "أترى؟ لقد أخبرتك؟ لقد أخبرتك بأنه معتوه، ألم أفعل؟".

٤

الطبيب دانيكا

كان هنجرى جو معتوها ولم يكن هناك من يعرف هذا أفضل من يوساريان والذى فعل كل شىء فى وسعه لمساعدته، ولكن هنجرى جو لم يكن ينصت ليوساريان؛ لأنه ظن أنه معتوه.

سأل الطبيب دانيكا يوساريان دون أن ينظر إليه: "لماذا يجب عليه الإنصات لك؟".

"لأنه يعانى من المشكلات".

أصدر الطبيب دانيكا صوتاً ينم عن الازدراء وقال: "هل يظن أنه يعانى من المشكلات؟ ماذا عنى؟". ثم واصل الطبيب دانيكا كلامه ببطء وبأسلوب ساخر: "أنا لا أشكو. أعلم أن هناك حرباً قائمة، وأعلم أن الكثير من الناس سوف يعانون من أجل أن نكسب الحرب، ولكن لماذا ينبغى أن أكون واحداً منهم؟ لماذا لا يأخذون بعضا من هؤلاء الأطباء المسنين الذين لا يتوقفون عن التحدث على الملأ عن التضحيات الكبرى التى يستعد المجتمع الطبى للقيام بها؟ أنا لا أريد أن أقوم بأية تضحيات".

كان الطبيب دانيكا رجلاً منظماً للغاية ونظيفاً وكانت فكرته عن قضاء وقت ممتع هى العبوس. كانت له بشرة سمراء، ووجه كئيب صغير وحكيم، ويوجد أسفل عينيه كيسان حزينان. كان يهتم كثيراً بصحته ويذهب بصفة شبه يومية إلى الخيمة الطبية؛ حيث يقوم بقياس درجة حرارته أحد المجندين هناك اللذين كانا يديران المكان له بشكل عملى وكفء حتى إنهما لم يتركا له شيئاً يفعله سوى الجلوس فى أشعة الشمس والتفكر فيما يقلق بشأنه الآخرون. كان اسماهما "جاس" و "ويس" وهما قد نجحا فى الارتقاء بمكانة الطب حتى أصبح علماً دقيقاً، وكان جميع الرجال ممن يشكون من درجة حرارة تتعدى ١٠٢ ينقلون إلى المستشفى على الفور. وجميع الرجال فيما عدا يوساريان ممن كانوا يبلغون درجة حرارة أقل من ١٠٢ كانوا يخضعون لفحص بحيث تدهن لثتهم وأصابع أقدامهم بمحلول الجنطيانا الأرجوانى، ويتم إعطاؤهم ملينا يقومون برميه داخل الشجيرات. أما هؤلاء ممن يبلغون درجة حرارة تبلغ ١٠٢ درجة تماماً فيطلب منهم العودة بعد ساعة لقياس درجة حرارتهم مرة أخرى. وكان باستطاعة يورساريان ـ والذى كانت

تبلغ درجة حرارته دوماً ١٠١ ـ الذهاب إلى المستشفى وقتما شاء؛ حيث إنه لم يكن يخشاهم.

كان النظام مناسباً للجميع وخاصة الطبيب دانيكا والذى كان يجد كل الوقت الذى يحتاج إليه لمشاهدة الرائد العجوز دى كوفرلى وهو يضع حدوات الخيول فى حفرة الحدوات الخاصة به وهو لا يزال يرتدى رقعة العين الشفافة التى صنعها الطبيب دانيكا له من شريط السليوليد الذى سرقه من نافذة غرفة قيادة الرائد ماجور قبل أشهر حينما عاد الرائد دى كوفرلى من روما مصاباً بخدش فى القرنية بعدما قام بتأجير شقتين هناك للضباط والمجندين لاستخدامهما أثناء إجازتهم. والوقت الوحيد الذى يذهب فيه الطبيب دانيكا إلى الخيمة الطبية كان حينما يشعر بأنه مريض للغاية، وكان يذهب هناك يومياً ليجعل كلاً من جاس وويس يفحصانه. وهما لم يجدا قط أى خلل به. فكانت درجة حرارته دوماً ٩٦,٨ درجة، وهى الدرجة المثالية بالنسبة لهما، طالما أنه لا يشكو من شىء آخر، ولكن الطبيب دانيكا لم يعجبه هذا وبدأ يفقد ثقته فى جاس وويس وفكر فى نقلهما إلى مكان آخر وتعيين شخص آخر يمكنه إيجاد خلل به.

وكان الطبيب دانيكا مدركاً بشكل شخصى لعدة أشياء يشوبها الخلل والخطأ؛ فبالإضافة إلى صحته كان يساوره القلق بشأن المحيط الأطلنطى ووقت الطيران. والصحة هى شىء لا يمكن لشخص التكهن بشأنها على مدار حقبة زمنية طويلة. أما المحيط الأطلنطى فهو جسم مائى تحوطه من كل جانب تضخمات هائلة وأمراض أخرى قاتلة والذى قد يجد نفسه فجأة منقولاً إليها فى حالة إثارته حنق الكولونيل كاثكارت عن طريق إعفاء يوساريان من الخدمة. ووقت الطيران كان هو الوقت الذى يضطر أن يمضيه فى رحلة جوية كل شهر من أجل حصوله على أجر الطيران . وقد كان الطبيب دانيكا يبغض الطيران؛ فقد كان يشعر بأنه محبوس داخل الطائرة. ففى داخل الطائرة لا يوجد على الإطلاق مكان يمكن الذهاب إليه سوى الجانب الآخر من الطائرة. وقد سمع الطبيب دانيكا أحدهم يقول إن هؤلاء ممن يستمتعون بالقفز داخل طائرة ما ينفسون فى الواقع عن رغبة مكبوتة فى العودة مرة أخرى إلى داخل الرحم. لقد سمع هذا من يوساريان والذى أتاح الفرصة للطبيب دانيكا أن يحصل على أجرة الطيران كل شهر دون أن يقفز داخل الرحم مرة أخرى، فقد أقنع يوساريان ماكوات أن يضع اسم الطبيب دانيكا بقائمة رحلات طيرانه التدريبية أو الرحلات المتجهة إلى روما.

قال الطبيب دانيكا وهو يغمز بطريقة تآمرية ماكرة: "أنت تعرف كيف تسير الأمور. لماذا أغامر حينما لا أكون مضطراً لذلك؟".

وافقه يوساريان قائلاً: "بالتأكيد".

"فما الفارق الذى سيحدثه وجودى على الطائرة من عدمه لأى شخص؟".

"لا شىء".

قال الطبيب دانيكا: "بالطبع، وهذا هو ما أعنيه. إن بعض الشحم هو ما يجعل هذا العالم يدور. إن يداً تغسل الأخرى. هل تفهم مقصدى؟ فأنت تحك لى ظهرى وأنا أحك لك ظهرك".

كان يوساريان يعرف ما يقصد.

قال الطبيب دانيكا حينما بدأ يوساريان يحك له ظهره: "هذا ليس ما قصدته. أنا أتحدث عن التعاون، الفضل، أنت تسدى إلى فضلاً أو معروفاً وأنا أسدى إليك فضلاً أو معروفاً. هل فهمت ما أعنى؟".

قال يوساريان: "أَسْد إلىَّ معروفاً إذن".

قال الطبيب دانيكا: "مستحيل".

كان هناك شىء مخيف بشأن الطبيب دانيكا أثناء جلوسه بقنوط واكتئاب خارج خيمته فى أشعة الشمس كلما أتيحت له الفرصة، وهو يرتدى بنطاله الصيفى الكاكى وقميصه الصيفى قصير الأكمام والذى تم تبييضه إلى لون رمادى بفعل الملابس الأخرى التى غسلها معه. لقد كان يشبه رجلاً تجمد من الخوف ذات مرة ولم يذب بشكل كامل حتى الآن. كان يجلس متقوقعاً حول نفسه وكتفاه النحيفتان ملتفتان حول رأسه، ويداه اللتان أسمرتهما الشمس وذواتا الأظافر الفضية تدلكان مؤخرة ذراعيه المعقودتين برفق وكأنه يشعر بالبرد. فى الواقع، لقد كان رجلاً عاطفياً شديد الدفء لم يتوقف قط عن الشعور بالأسى إزاء نفسه.

كان يندب دوماً ويقول: "لماذا أنا؟" وكان سؤالاً جيداً.

كان يوساريان يعلم أنه سؤال جيد لأن يوساريان كان يقوم بجمع الأسئلة الجيدة واستخدامها لإفساد الجلسات التعليمية التى اعتاد كليفنجر فيما سبق عقدها ليلتين فى الأسبوع فى خيمة المخابرات الخاصة بالنقيب بلاك مع العريف الذى يرتدى نظارة والذى كان الجميع يعرف أنه على الأرجح شخص مخرب. وقد عرف النقيب بلاك أنه مخرب لأنه كان يرتدى نظارة ويستخدم كلمات مثل *الدواء العام* و*المدينة* الفاضلة، ولأنه انتقد أدولف هتلر الذى قام بأعمال بطولية عظيمة فى محاربة الأنشطة المعادية للأمريكان فى ألمانيا، وقد حضر يوساريان الجلسات التعليمية لأنه أراد أن يعلم لماذا كان الكثيرون يبذلون ما فى وسعهم لمحاولة قتله، وكانت مجموعة أخرى من الرجال مهتمة بهذه الجلسات أيضاً، وكانت الأسئلة الجيدة تتدفق حينما يرتكب كليفنجر والعريف المدمر خطأ الاستفسار عما إذا كان أى أحد لديه أى سؤال.

"من هو إسبانيا؟".

"لماذا هتلر؟".

"متى يحين الوقت المناسب؟".

"أين ذلك الرجل الأحدب الأسود الشاحب الذى اعتدت أن أناديه بوبا حينما انكسرت دوامة الخيل؟".

"كيف يبدو صوت البوق فى ميونيخ؟".

"فليحيا البرى برى".

و

"الكرات!".

كانت جميع هذه الأسئلة تتلاحق سريعاً وبعد ذلك كان هناك يوساريان وسؤاله الذى لا إجابة له:

"أين سنودين الذى كان موجوداً العام الماضى؟".

وقد أزعجهم هذا السؤال لأن سنودين لقى مصرعه فوق الأفنيون حينما جن جنون دوبس فى الهواء وانتزع القيادة من هولب.

كان العريف يدعى أنه أصم ويسأل: "ماذا؟".

"أين سنودين الذى كان موجوداً العام الماضى؟".

"أخشى أننى لا أفهم".

قال يوساريان بالفرنسية: *"أين سنودين الذى كان موجوداً العام الماضى؟"*.

قال العريف بالفرنسية: *"من فضلك تحدث الإنجليزية؛ فأنا لا أتحدث الفرنسية"*.

قال يوساريان: "ولا أنا"، وقد كان مستعداً لملاحقته باستخدام كل الكلمات الموجودة فى العالم لاعتصار المعلومات منه، ولكن كليفنجر الشاحب النحيف تدخل وهو يلهث وتغطى طبقة رطبة من الدموع عينيه ناقصتى التغذية.

كان مركز القيادة للوحدة العسكرية منزعجاً لأنه لم يكن معروفاً ما قد يتم الكشف عنه حينما يشعر الناس بالحرية فى السؤال عما يحلو لهم. وقد أرسل الكولونيل كاثكارت المقدم كورن لإيقاف هذا الأمر، وقد نجح المقدم كورن فى هذا بوضعه قاعدة تخص طرح الأسئلة، وقد كانت قاعدة المقدم كورن عبقرية حقاً، كما شرح المقدم كورن فى تقريره للكولونيل كاثكارت. فتنص قاعدة المقدم كورن على أن الوحيدين المسموح لهم بطرح الأسئلة هم الذين لم يطرحوا أسئلة من قبل قط. وسرعان ما أصبح هؤلاء ممن يحضرون الجلسات هم الذين لا يطرحون أسئلة ثم توقفت الجلسات تماماً؛ حيث إن كليفنجر والعريف والمقدم كورن أجمعوا أنه ليس ممكناً أو ضرورياً تعليم أناس لا يطرحون أسئلة عن أى شىء.

كان كل من الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن يعيش ويعمل فى مبنى مقر

رئاسة الوحدة العسكرية كما كان يفعل جميع أعضاء مقر الرئاسة فيما عدا رجل الدين. كان مبنى مقر الرئاسة بناء ضخماً تحفه الرياح وعتيق الطراز تم بناؤه من الأحجار الحمراء سهلة التفتيت وبه أنابيب مياه تصدر ضجيجًا عاليًا، وخلف المبنى يوجد ميدان التدرب على إطلاق النار والذى أنشأه الكولونيل كاثكارت خصيصاً من أجل توفير الاستجمام لضباط الوحدة، والذى كان ينبغى لكل ضابط ومجند مشترك فى المعارك الآن ـ بفضل الجنرال دريدل ـ أن يمضى به على الأقل ثمانى ساعات فى الأسبوع.

كان يوساريان يطلق النار على أقراص التدريب ولكنه لا يصيب الهدف قط. وكان أبلباى لا يخطئ الهدف قط. لقد كان يوساريان غير بارع فى الرمى بقدر عدم براعته فى المقامرة: فهو لم يكن بإمكانه كسب أية أموال فى المقامرة أيضا. حتى حينما كان يغش لم يكن يستطيع الفوز لأن هؤلاء ممن كان يغشهم كانوا دوما أبرع فى الغش منه كذلك. وهذان كانا مصدرين للإحباط استسلم لهما: أنه لن ينجح قط فى الرمى وأنه لن يستطيع قط كسب أى مال.

كتب الكولونيل كارجيل فى إحدى مذكرات العظات التى يقوم بإعدادها بانتظام وينشرها بإمضاء الجنرال بيكام: "إن عدم كسب المال هو أمر يتطلب ذكاء. فأى أحمق يمكنه كسب مال هذه الأيام ومعظمهم يفعلون. ولكن ماذا عن الناس الموهوبين والأذكياء؟ فلتعطنى اسماً على سبيل المثال لشاعر يكسب المال".

قال ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق وهو فى مهجعه الخاص بفرز البريد فى مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين قبل أن يغلق الخط دون حتى أن يقول من هو: " تى. إس. إليوت".

أصيب الكولونيل كارجيل فى روما بالارتباك.

سأل الجنرال بيكام: "من كان هذا؟".

أجاب الكولونيل كارجيل: "لا أعرف".

"ماذا كان يريد؟".

"لا أعرف".

"حسنا، ماذا قال؟".

أخبره الكولونيل كارجيل: "تى. إس. إليوت".

"ما هذا؟".

كرر الكولونيل كارجيل كلامه: "تى. إس. إليوت".

"فقط تى. إس. ــــــ".

"نعم يا سيدى، هذا هو كل ما قاله. فقط تى. إس. إليوت ـ".

قال الجنرال بيكام وهو يفكر: "أتساءل ما معنى هذا؟".

تساءل الكولونيل كارجيل عن الأمر ذاته.

قال الجنرال بيكام ممازحاً: "تى. إس. إليوت".

قال الكولونيل كارجيل بنفس النبرة الكئيبة والمرتبكة: "تى. إس. إليوت".

نهض الجنرال بيكام بعد دقيقة وهو يبتسم ابتسامة متملقة وحميدة. كان تعبير وجهه عنيفاً ومعقداً. برقت عيناه فى مكر، قال للكولونيل كارجيل: "اطلب من أحدهم أن يصلنى بالجنرال دريدل. لا تدعه يعرف من المتصل".

أعطاه الكولونيل كارجيل سماعة الهاتف.

قال الجنرال بيكام: "تى. إس. إليوت" ثم أغلق الخط.

تساءل الجنرال مودس: "من كان هذا؟".

فى كورسيكا لم يرد الجنرال دريدل على الهاتف. كان الكولونيل مودس هو زوج ابنة الجنرال دريدل، وقد أخذه الجنرال دريدل تحت إلحاح من زوجته وضد رغبته ليعمل معه فى الجيش. حدق الجنرال دريدل إلى الكولونيل مودس بعينين تشعان كراهية. لقد كان يبغض رؤية زوج ابنته والذى كان مساعده وبالتالى كان يرافقه دوماً. كان قد اعترض على زواج ابنته من الكولونيل مودس؛ لأنه كان يبغض حضور حفلات الزفاف. بعدما عبس وجهه بطريقة تنم عن التهديد وانشغال الفكر تحرك الجنرال دريدل إلى المرآة الطويلة بمكتبه وحدق إلى انعكاس صورته القصيرة ممتلئة الجسم. كان أشيب الشعر وكثيف شعر الحاجبين وتنسدل بعض الشعيرات الرمادية على عينيه وله فك قوى مربع الشكل. أطال التفكير بشكل ممل بشأن الرسالة الخفية التى تلقاها لتوه، وسرعان ما أضاءت فكرةٌ وَجْهَهُ وجعد شفتيه فى سعادة شريرة.

قال للكولونيل مودس: "فلتصلنى ببيكام ولا تدع الوغد يعرف من المتصل".

فى روما تساءل الكولونيل كارجيل: "من كان هذا؟".

أجاب الجنرال بيكام بنفس نبرة الذعر: "نفس الشخص، إنه يلاحقنى الآن".

"ماذا كان يريد؟".

"لا أعرف".

"ماذا قال؟".

"نفس الشىء".

"تى. إس. إليوت؟".

"نعم، تى. إس. إليوت. هذا هو كل ما قاله". راودت الجنرال بيكام فكرة مفعمة بالأمل؛ فأضاف: "ربما تكون هذه شفرة جديدة أو شيئاً مثل كلمة السر لليوم. لماذا لا تدع أحدهم يتصل بشبكة الاتصالات ويرى إن كانت هذه شفرة جديدة أو شيئاً ما أو كلمة السر لليوم؟".

لكن شبكة الاتصالات قالت إن تى. إس. إليوت لم تكن شفرة جديدة أو كلمة السر لليوم.

راودت الكولونيل كارجيل الفكرة التالية: "ربما يجب أن أتصل بمقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين لأرى إن كانوا يعرفون شيئاً عن هذا الأمر. إن لديهم موظفًا هناك يدعى ونترجرين تربطنى به صلة وثيقة، إنه هو من أخبرنى بأن نثرنا شديد الإطناب".

أخبر ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق الكولونيل كارجيل بأنه ليس هناك سجل فى مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين لأى شخص أو شىء يدعى تى. إس. إليوت.

قرر الكولونيل كارجيل أن يسأل ونترجرين بينما كان يحدثه عبر الهاتف: "كيف حال نثرنا فى هذه الأيام. إنه أفضل كثيراً، أليس كذلك؟".

أجابه ونترجرين: "إنه لا يزال شديد الإطناب".

اعترف الجنرال بيكام أخيراً: "أنا لن أتفاجأ إن اكتشفت أن الجنرال دريدل وراء هذا الأمر برمته. هل تذكر ما فعله بميدان الرمى؟".

لقد قام الجنرال دريدل بفتح ميدان الرمى الخاص بالكولونيل كاثكارت لكل ضابط ومجند فى المجموعة مشترك فى القتال؛ فقد أراد الجنرال دريدل أن يمضى رجاله أكبر قدر ممكن من الوقت فى ميدان الرمى بالدرجة التى تسمح بها مهامهم وجداول طيرانهم. وقد كان الرمى على الأقراص لمدة ثمانى ساعات فى الأسبوع يعد تدريباً ممتازاً لهم؛ فقد أتقنوا بالفعل الرمى على الأقراص.

وقد أحب دونبار الرمى لأنه كان يكره كل دقيقة فى التدريب عليه، وكان الوقت يمر ببطء. وقد اكتشف أن الساعة الواحدة بميدان الرمى مع أناس مثل هافرماير وأبلباى قد تساوى سبعة عشر عاماً إحدى عشرة مرة.

وقد كان رد كليفنجر على اكتشاف دونبار هو: "أعتقد أنك مجنون".

قال دونبار: "من يريد أن يعرف؟".

أصر كليفنجر: "أنا أعنى هذا".

قال دونبار: "من يهتم؟".

"أنا أفعل. بل إننى حتى سوف أتمادى أكثر وأزعم أن الحياة تبدو أطول ـ".

"ـ أطول ـ".

"ـــــ أطول ـ أطول؟ حسناً، إنها تكون أطول لو أنها مليئة بفترات من الملل وعدم الراحة ـ".

قال دونبار فجأة: "خمن مدى سرعتها".

"ماذا؟".

قال دونبار: "ما مدى سرعة مرورها؟".

"من؟".

"السنوات".

"السنوات؟".

قال دونبار: "السنوات، السنوات، السنوات، السنوات".

اقتحم يوساريان الحوار قائلاً: "كليفنجر، لماذا لا تدع دونبار وشأنه؟ ألا تدرك الجهد الذى يستغرقه هذا الأمر؟".

قال دونبار برحابة صدر: "لا بأس، إن لدى بعض العقود لأهدرها. هل تعرف قدر الوقت الذى تمضى خلاله السنة؟".

قال يوساريان لأور الذى بدأ يضحك ضحكة نصف مكبوتة: "وأنت كذلك أخرس".

قال أور: "لقد كنت فقط أفكر فى هذه الفتاة، هذه الفتاة فى صقلية، هذا الفتاة فى صقلية التى كانت صلعاء الرأس".

حذره يوساريان: "من الأفضل لك أن تخرس كذلك".

قال دونبار ليوساريان: "إنه خطؤك، لماذا لا تدعه يضحك إن أراد ذلك؟ إن ذلك أفضل من تركه يتحدث".

"حسناً. هيّا اضحك كما شئت".

أعاد دونبار طرح السؤال على كليفنجر: "هل تعرف قدر الوقت الذى تمضى خلاله السنة؟" ثم طرقع أصابعه مضيفاً: "هذا القدر. فمنذ لحظة كنت تطأ أرض الجامعة ورئتاك مملوءتان بالهواء النقى، والآن أنت رجل عجوز".

تساءل كليفنجر فى دهشة: "عجوز؟ ما الذى تتحدث عنه؟".

"عجوز".

"أنا لست عجوزاً".

"أنت تكون على بعد بضع بوصات من الموت فى كل مرة تذهب فيها إلى إحدى المهام. ألا يعنى هذا أنك صرت عجوزاً؟ فمنذ نصف دقيقة مضت كنت تخطو داخل المدرسة الثانوية وتحاول التعرف على الفتيات، وقبل ذلك فقط بخمس ثانية كنت طفلاً صغيراً إجازته الصيفية عشرة أسابيع والتى كانت تبدو أنها تمتد لمائة ألف سنة، ومع ذلك فإنها تنتهى سريعاً. إنها تنطلق بسرعة الصاروخ. كيف يمكنك أن تجد طريقة أخرى لإبطاء الوقت؟". كان دونبار شبه غاضب حينما انتهى.

أذعن كليفنجر وقال بنبرة خاضعة فى النهاية: "ربما يكون هذا صحيحاً. ربما يجب أن تكون الحياة الطويلة محفوفة بالكثير من الظروف غير المحببة إن أردنا أن تكون طويلة، ولكن فى هذه الحالة من قد يرغب فى مثل هذه الحياة؟".

قال له دونبار: "أنا".

سأله كليفنجر: "لماذا؟".

"ماذا يوجد لدينا غير ذلك؟".

٥

المقدم وايت هلفوت

كان الطبيب دانيكا يعيش فى خيمة رمادية مموهة مع المقدم وايت هلفوت، والذى كان يخشاه ويحتقره.

دمدم الطبيب دانيكا: "يمكننى أن أتخيل شكل كبده".

نصحه يوساريان قائلاً: "تخيل كبدى أنا".

"ليس هناك ما يسوء بشأن كبدك".

خدعه يوساريان قائلاً: "إن هذا يوضح إلى أى مدى أنك لا تعرف شيئاً". وبدأ يخبره عن الألم المزعج فى كبده والذى أربك الممرضة داكيت والممرضة كريمر وجميع الأطباء فى المستشفى لأنه لم يصب بالصفراء ولم يبرأ.

لم يهتم الطبيب دانيكا كثيراً بما يقوله يوساريان، فسأله: "أتعتقد أنك تعانى من المشكلات؟ ماذا عَنّى؟ كان يجب أن تكون فى عيادتى حينما جاء هذان الشخصان المتزوجان حديثاً".

"أى شخصين متزوجين حديثاً؟".

"هذا الشخصان المتزوجان حديثا اللذان جاءا إلى عيادتى فى أحد الأيام. ألم أخبرك قط عنهما؟ كانت لطيفة حقاً".

وكذلك كانت عيادة الطبيب دانيكا؛ فهو قد زين حجرة الانتظار بسمكة ذهبية وأفخر الأثاث الرخيص، وقد اشترى مع إرجاء الدفع كل ما استطاعه، حتى السمكة الذهبية. وبالنسبة لباقى الأثاث فقد أخذ مالاً من الأقرباء الجشعين مقابل المشاركة فى الأرباح. كانت عيادته تقع فى جزيرة ستاتن فى بناية معرضة للحريق خاصة بأسرتين والتى كانت تبعد أربع بنايات فقط عن المعدية وبناية واحدة جنوب سوبرماركت وثلاثة مراكز للتجميل وتاجرى أدوية فاسدين. كانت العيادة تحتل ناصية شارع ولكن لم يُجْدِ كل هذا نفعاً؛ فقد كان سكان البلدة فقراء وكانوا يواظبون من باب العادة على الذهاب إلى الأطباء الذين ظلوا يرتادونهم لسنوات، وسرعان ما تراكمت الفواتير وبدأ يفقد أكثر أدواته الطبية قيمة: فقد عادت ماكينة الجمع لصاحبها وكذلك الآلة الكاتبة، وماتت السمكة الذهبية، ولحسن الحظ فحينما ساءت الأمور إلى أقصى درجة اندلعت الحرب.

اعترف الطبيب دانيكا بوقار: "كانت مصادفة سعيدة. فسرعان ما التحق

الأطباء الآخرون بالخدمة العسكرية وانقلب الحال بين عشية وضحاها، فقد بدأت العيادة على ناصية الشارع تحقق أرباحاً وسرعان ما وجدت أن لدى مرضى أكثر مما كنت أتخيل، وقد رفعت الأجر الذى أحصل عليه من الصيدليتين. وكانت مراكز التجميل جيدة لإجراء عمليتين أو ثلاث عمليات إجهاض بالأسبوع. ما كان يمكن للأمور أن تكون أفضل ولكن انظر ماذا حدث بعد ذلك، فقد أرسلوا فتى من مجلس قرعة الخدمة العسكرية لفحصى، وقد كنت غير لائق؛ فقد فحصت نفسى بشكل كامل واكتشفت أننى غير لائق للخدمة العسكرية. كنت أعتقد أن كلمتى ستكون كافية بما أننى كنت طبيباً ذا مكانة مرموقة فى المجتمع الطبى وصاحب عيادة تدر ربحاً وفيراً. ولكن لا، لم تكن كلمتى كافية، وقد أرسلوا هذا الفتى فقط ليتأكد أننى فعلاً لدى ساق مبتورة من عند الورك وأننى رقيد الفراش ومصاب بالتهاب مفاصل لا علاج له. يوساريان، إننا نعيش فى زمن يسوده عدم الثقة والقيم الروحية الفاسدة. إنه شىء مريع"، ثم أضاف الطبيب دانيكا بنبرة صوت ترتعد يشوبها العاطفة: "إنه شىء مريع حقاً حينما تصبح كلمة طبيب معتمد موضع شك من البلد الذى يحبه".

وقد تم تجنيد الطبيب دانيكا وشحنه إلى بيانوسا كجراح فى سلاح الطيران، حتى على الرغم من أنه كان يخاف من الطيران.

قال وهو يطرف بعينيه الصغيرتين المدورتين البنيتين الناقمتين المصابتين بقصر النظر: "وأنا لست مضطراً أن أذهب للبحث عن المشكلات فى طائرة ما؛ فالمشكلات تأتينى إلى حيث أكون. مثل تلك العذراء التى أخبرك عنها والتى لم تستطع إنجاب طفل".

سأل يوساريان: "أى عذراء؟ أعتقد أنك كنت تخبرنى عن شخصين متزوجين حديثاً".

"تلك هى الفتاة التى أحدثك عنها. كانا شابين صغيرين وقد تزوجا منذ أكثر من عام بقليل حينما جاءا إلى عيادتى دون موعد. كان لابد أن تراها. كانت لطيفة للغاية وصغيرة وجميلة. بل لقد توردت خجلاً حينما سألتها عن دورتها الشهرية. لا أعتقد أننى سأتوقف عن حب هذه الفتاة. كانت تبدو كالحلم وترتدى سلسلة حول رقبتها تسقط دلايتها التى تحتوى على صورة لرجل الدين أنتونى داخل صدرها الذى لم أرَ أجمل منه فى حياتى. قلت ممازحاً فقط لأزيح عنها التوتر الذى كان يساورها: "يا له من إغراء شنيع لرجل الدين أنتونى". قال زوجها: "رجل الدين أنتونى؟ من هو رجل الدين أنتونى؟". قلت له: "اسأل زوجتك. بإمكانها أن تخبرك من هو رجل الدين أنتونى". سألها: "من هو رجل الدين أنتونى؟". قالت: "من؟". قال لها: "رجل الدين أنتونى". قالت: "رجل الدين أنتونى؟ من

هو رجل الدين أنتونى؟". وحينما ألقيت نظرة متفحصة عليها فى غرفة الفحص اكتشفت أنها لا تزال عذراء. تحدثت إلى زوجها على انفراد بينما كانت هى تقوم بارتداء ملابسها. قال فى فخر: "كل ليلة". كان شاباً حكيماً بالفعل. واصل حديثه بنفس نبرة الفخر: "أنا لا أفوت ليلة قط"، وكان يتحدث بجدية بالغة. "بل إننى حتى أمارس معها الجماع قبل تناول الإفطار الذى تعده لى قبل أن نذهب إلى العمل". كان هناك تفسير واحد فقط للأمر. حينما اجتمعت بهما مرة أخرى شرحت لهما كيف يكون الجماع الصحيح باستخدام النموذجين المطاطين اللذين يوجدان فى عيادتى. إننى أحتفظ فى عيادتى بهذين النموذجين اللذين يضمان جميع الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين وأضعهما فى خزانتين موصدتين تحاشياً للفضيحة. أعنى أنهما كانا بحوزتى؛ فأنا الآن لا أملك شيئاً ولا حتى مهنة. الشىء الوحيد الذى أمتلكه الآن هو هذه الحرارة المنخفضة التى بدأت تقلقنى بالفعل. إن هذين الفتيين اللذين جلبتهما للعمل لدىّ فى الخيمة الطبية عديما النفع فى تشخيص الأمراض. كل ما يعرفانه هو الشكوى. إنهما يظنان أنهما يعانيان المشكلات! ماذا عَنّى؟ كان ينبغى أن يكونا فى عيادتى فى ذلك اليوم حينما كان هذان الشابان المتزوجان حديثاً ينظران إلىّ وكأننى أخبرهما بشىء لم يسمع عنه أحد شيئاً من قبل. وأنا لم أر فى حياتى قط أشخاصًا مشدوهين بهذه الطريقة. سألنى وهو يحرك النموذجين بنفسه لفترة: "أتعنى هكذا؟". أتدرى لقد بدا مندهشاً بحق، قلت له: "هذا صحيح. الآن، اذهبا إلى المنزل وجربا الأمر بطريقتى لبضعة أشهر وترقبا ماذا سيحدث. اتفقنا؟". قالا: "حسناً" ودفعا لى أجرتى نقداً دون جدال. قلت لهما: "احظيا بوقت ممتع"، شكرانى ثم غادرا معاً. كان يلف ذراعه حول خصرها وكأنه لا يطيق صبراً على الوصول إلى المنزل وتجربة نصائحى، وبعد مرور بضعة أيام جاء إلى عيادتى وحده وأخبر المرضة بأنه يجب أن يرانى على الفور، وبمجرد أن أصبحنا وحدنا لكمنى فى أنفى".

"فعل ماذا؟".

"لقد دعانى بالرجل الحكيم ولكمنى فى أنفى وقال : "ما تظن نفسك، رجلاً حكيماً؟"، ثم لكمنى لدرجة أننى وقعت على الأرض. هكذا. أنا لا أمزح".

قال يوساريان: "أعرف أنك لا تمزح، ولكن لماذا فعل هذا؟".

رد الطبيب دانيكا بانزعاج: "كيف لى أن أعرف لماذا فعل هذا؟".

"ربما يكون شيئاً له علاقة برجل الدين أنتونى؟".

نظر الطبيب دانيكا إلى يوساريان فى حيرة ثم سأل فى دهشة: "رجل الدين أنتونى؟ من هو رجل الدين أنتونى؟".

أجاب المقدم وايت هلفوت وهو يمشى مترنحاً داخل الخيمة بينما يمسك بكوب

من العصير فى يده بعدما جلس بشكل مشاكس بينهما: "كيف لى أن أعرف؟".

نهض الطبيب دانيكا دون أن ينطق بكلمة وحرك مقعده خارج الخيمة وظهره فى انحناء من ثقل الظلم الذى عاناه وكان محتماً عليه حمله للأبد. لم يكن يطيق زميله فى الغرفة.

كان المقدم وايت هلفوت يعتقد أنه مجنون. قال فى عتاب: "أنا لا أعرف ما مشكلة هذا الفتى. إنه لا يملك عقلاً، تلك هى مشكلته. فلو كان يملك عقلاً لكان أخذ جاروفاً وبدأ يحفر. هنا فى الخيمة، كان يشرع فى الحفر أسفل سريرى النقال؛ فهو سوف يجد بترولاً بعد مضى فترة قصيرة من الحفر. ألا يعرف كيف قام هذا المجند بالحفر بجاروف حتى عثر على البترول فى الولايات المتحدة؟ ألم يسمع قط بما حدث لهذا الفتى - ما كان اسم هذا الوغد؛ ذلك الفأر المتعفن القواد من كولورادو؟".

"ونترجرين".

"ونترجرين".

قال يوساريان: "إنه خائف".

"لا، لا، ليس ونترجرين". هزَّ المقدم وايت هلفوت رأسه بإعجاب جلى مضيفاً: "هذا الفتى الحكيم الوغد لا يخاف أحداً".

"الطبيب دانيكا خائف. تلك هى مشكلته".

"مم هو خائف؟".

قال يوساريان: "إنه خائف منك. إنه خائف أن تموت إثر الإصابة بالتهاب رئوى".

قال المقدم وايت هلفوت: "يجدر به أن يخاف". تأججت ضحكة عميقة وخفيضة خلال صدره الكبير قبل أن يقول: "فأنا سوف أفعل ذلك حينما تتاح لى أول فرصة. فقط انتظر وسوف ترى".

كان المقدم وايت هلفوت وسيماً؛ فقد كان هندياً داكن البشرة من أوكلاهوما ذا وجه ناتئ العظم وشعر أسود أشعث والذى تنحدر أصوله من ناحية الوالد من إنيد، والذى قرر لأسباب خفية أن يموت على إثر الإصابة بالتهاب رئوى. كان هندياً محملقاً تشوبه نزعة انتقامية ومتحرراً من الوهم ، كما كان يبغض الأجانب من أصحاب الأسماء من قبيل كاثكارت وكورن وبلاك وهافرماير ويتمنى لو يرجعون جميعًا إلى المكان الذى أتى منه أسلافهم القذرون.

قال متأملاً وهو يرفع صوته لمضايقة الطبيب دانيكا: "لن تصدق هذا يا يوساريان، ولكن تلك كانت بلدة جميلة ورائعة للعيش بها قبل أن يلوثوها".

كان المقدم وايت هلفوت قد عقد العزم على الانتقام من الرجل الأبيض. كان

يستطيع بالكاد أن يقرأ أو يكتب ـ وقد تم تعيينه لدى النقيب بلاك كضابط مخابرات مساعد.

سأل المقدم وايت هلفوت بنبرة قتالية زائفة وهو يرفع صوته مرة أخرى حتى يستطيع الطبيب دانيكا سماعه: "كيف كان يمكننى أن أتعلم القراءة والكتابة؟ ففى كل مكان ننصب فيه خيمتنا كانوا ينقبون عن بئر بترول. وفى كل مرة كانوا ينقبون فيها عن بئر بترول كانوا ينجحون، وفى كل مرة يصيبهم النجاح كانوا يجعلوننا نحزم خيمتنا ونذهب إلى مكان آخر؛ فقد كنا بمثابة أدوات استشعار بشرية. فعائلتنا كانت تربطها صلة طبيعية بالرواسب البترولية، وسرعان ما كانت كل شركة بترول فى العالم تستأجر فنيين لمطاردتنا. كنا دائمى الترحال، وقد كانت تلك ظروفا بشعة لتربية طفل بها، يمكننى أن أؤكد لك هذا. لا أعتقد أنه سبق لى أن أمضيت أكثر من أسبوع فى مكان واحد".

كانت أولى ذكرياته عن الحياة هى ذكرى جيولوجية.

واصل حديثه قائلاً: "فى كل مرة كان يولد فيها وايت هلفوت آخر كانت الأسعار فى بورصة الأوراق المالية ترتفع. وسرعان ما تطاردنا فرق التنقيب بجميع معداتها فقط للتغلب على بعضها البعض. وقد بدأت الشركات تندمج حتى يستطيعوا تقليل عدد الأشخاص الذين يكلفونهم بمطاردتنا. ولكن الحشد الذى كان فى أعقابنا ظل يتكاثر. إننا لم نحظ يوماً قط بنوم هانئ، فحينما كنا نتوقف كانوا يتوقفون، وحينما كنا نتحرك كانوا يتحركون، العربات المطابخ والجرافات والرافعات والمولدات. لقد كنا ثروة متحركة، وقد بدأنا نتلقى دعوات من بعض أفضل الفنادق فقط بقدر القوة البشرية التى سنجرها معنا إلى المدينة. وبعض هذه الدعوات كانت سخية وكريمة للغاية، ولكن لم يكن فى مقدورنا قبول أى منها لأننا كنا هنودًا وجميع الفنادق التى كانت تدعونا لا تستقبل الهنود. إن التحيز العرقى هو شىء مريع يا يوساريان. إنه حقاً كذلك. فمن المريع أن تعامل هندياً محترماً ومخلصاً وكأنه زنجى أو من ذوى الأصول الإيطالية أو الإسبانية"، ثم أومأ ببطء باقتناع.

"بعد ذلك يا يوساريان حدث ما كنا نخشاه ـ بداية النهاية. فقد بدأوا يتتبعوننا من الأمام. لقد حاولوا تخمين أين ستكون محطتنا التالية وشرعوا فى الذهاب إليها قبل وصولنا حتى لا نستطيع مجرد التوقف؛ فبمجرد أن نبدأ فى فرش ملاءاتنا كانوا يقومون بطردنا. لقد كانوا يثقون بنا، فقد كانوا يبدأون الحفر حتى قبل طردنا. كنا متعبين للغاية حتى إننا لم نهتم حينما جاءت النهاية؛ ففى صباح أحد الأيام وجدنا أنفسنا محاطين بالكامل برجال البترول والذين ينتظرون أن نصل إليهم حتى يطردونا؛ ففى كل مكان كنا ننظر إليه كنا نرى رجل بترول فوق تل ينتظر هناك مثل الهنود المستعدين للهجوم. كانت تلك هى النهاية. ولم

يكن فى مقدورنا أن نعود، حيث كنا؛ حيث إننا كنا قد طردنا للتو. ولم يكن هناك مكان متبقٍ أمامنا نذهب إليه. فقط الجيش هو من أنقذنى. فلحسن الحظ اندلعت الحرب فى اللحظة النهائية الحرجة والتقطنى فتى قرعة الخدمة العسكرية من منتصف الخطر ووضعنى فى لورى فيلد، كولورادو حيث الأمان. وقد كنت أنا الناجى الوحيد".

كان يوساريان يعرف أنه يكذب ولكنه لم يقاطع المقدم وايت هلفوت وهو يدعى أنه لم يسمع شيئاً عن والديه ثانية. ولكن هذا لم يحزنه كثيراً؛ حيث إنهما لم يملكا ما يثبت أنهما أبواه سوى كلمتيهما، وبما أنهما قد كذبا عليه بشأن الكثير من الأمور أخرى، فربما كانا يخدعانه بشأن هذا الأمر كذلك. كان قد عرف مصير إحدى قبائل أولاد عمومته والتى ظلت تتجول شمالاً على سبيل اللهو ووصلت إلى كندا من غير قصد. وحينما حاولوا العودة تم إيقافهم على الحدود من قبل سلطات الهجرة الأمريكية والتى لم تدعهم يدخلون البلاد ثانية؛ فهم لم يستطيعوا العودة لأنهم كانوا هنودًا.

كانت مزحة شنيعة، ولكن الطبيب دانيكا لم يضحك حتى جاءه يوساريان بعد مهمة أخرى واستجداه ـ دون أى أمل فى النجاح ـ كى يعفيه من الخدمة ويرسله إلى الوطن. ضحك الطبيب دانيكا ضحكة نصف مكبوتة وسرعان ما غرق فى مشاكله الخاصة والتى تشمل المقدم وايت هلفوت ـ والذى ظل يتحداه طوال هذا الصباح ليصارعه على الطريقة الهندية ـ ويوساريان الذى قرر فى هذا الوقت أن يجن جنونه.

اضطر الطبيب دانيكا أن يقول له: "إنك تهدر وقتك".

"ألا تستطيع إرسال شخص جن جنونه للوطن؟".

"نعم، بالطبع ينبغى علىَ هذا. إن هناك قاعدة تقول إن علىَ إرسال أى شخص جن جنونه للوطن".

"إذن لماذا لا ترسلنى إلى الوطن؟ أنا مجنون. اسأل كليفنجر".

"كليفنجر؟ أين هو كليفنجر؟ ائتنى به وسوف أسأله".

"إذن اسأل أياً من الآخرين. سوف يخبرونك إلى أى مدى أنا مجنون".

"إنهم مجانين".

"إذن لماذا لا ترسلهم إلى الوطن؟".

"لماذا لا يطلبون منى إرسالهم للوطن؟".

"لأنهم مجانين. هذا هو السبب".

أجاب الطبيب دانيكا: "بالطبع هم مجانين. لقد أخبرتك لتوى بأنهم مجانين، ألم أفعل؟ وليس فى إمكان المرء أن يدع أشخاصاً مجانين يقررون إذا ما كنت مجنوناً

أم لا، أليس كذلك؟".

نظر يوساريان إليه باتزان وجرب طريقة أخرى: "هل أور مجنون؟".

قال الطبيب دانيكا: "بالتأكيد هو مجنون".

"هل يمكنك إرساله للوطن؟".

"نعم يمكننى هذا، ولكن عليه أن يطلب منى هذا أولاً. هذا جزء من القاعدة".

"إذن لماذا لا يطلب منك ذلك؟".

قال الطبيب دانيكا: "لأنه مجنون. إنه لشخص مجنون حقاً هذا الذى يواصل الطيران فى مهام قتالية بعد كل الحوادث التى نجا منها بأعجوبة. بالطبع يمكننى إرسال أور للوطن، ولكن عليه أن يطلب منى ذلك أولاً".

"هذا هو كل ما عليه فعله كى ترسله للوطن؟".

"هذا هو كل ما عليه فعله. اجعله يطلب منى ذلك".

سأل يوساريان: "وفى هذه الحالة يمكنك إرساله للوطن؟".

"لا. فى ذلك الحين لا أستطيع إرساله للوطن".

"هذه هى المعضلة إذن؟".

أجابه الطبيب دانيكا: "بالطبع هذه هى المعضلة. الخدعة التى لا فكاك منها؛ فأى شخص يريد الانسحاب من الخدمة العسكرية لا يكون مجنوناً بالفعل".

كانت تلك معضلة عويصة بحق؛ فإن اهتمام المرء بسلامته فى مواجهة الأخطار يعد مؤشراً على سلامة العقل. إن أور مجنون ويمكن إرساله للوطن وكل ما عليه أن يفعل هو أن يطلب ذلك؛ ولكن بمجرد أن يفعل ذلك لن يكون مجنوناً وسيصبح عليه الذهاب فى المزيد من المهام الجوية. وسيكون أور مجنوناً إن ذهب إلى المزيد من الرحلات الجوية وسيكون عاقلاً إن لم يفعل، ولكن إذا كان عاقلاً سوف يتوجب عليه الطيران. فإن حلق بالطائرة سيكون مجنوناً وليس عليه التحليق بعد ذلك؛ ولكن إن لم يرغب فى الطيران سيكون عاقلاً وسيتوجب عليه الطيران. تأثر يوساريان بشدة من تلك الخدعة وأطلق صافرة تنم عن الاحترام.

قال: "يالها من معضلة!".

وافقه الطبيب دانيكا: "إنها الخدعة المثالية".

استطاع يوساريان أن يستوعب بوضوح منطقيتها الملتوية. كانت معقدة لكنها تتسم بالجمال الباعث على الصدمة، مثل الفن الحديث الجيد، وفى بعض الأوقات كان يوساريان يشعر بأنه غير واثق من أنه يستوعبها بشكل كامل تماماً كما كان لا يستوعب الفن الحديث الجيد أو الذباب الذى رآه أور فى عينى أبلباى.

فقد أكد له أور وجود ذباب فى عينى أبلباى بعد مشاجرة يوساريان مع أبلباى فى نادى الضباط وقال: "إنها هناك حقاً، على الرغم من أنه على الأرجح لا يعلم

بشأنها شيئاً وهذا هو السبب الذى لا يجعله يرى الأشياء كما هى حقاً".

سأل يوساريان: "كيف يتأتى أنه لا يدرى شيئاً بخصوص هذا الأمر".

شرح أور بصبر مبالغ فيه: "لأن لديه ذباباً فى عينيه. فكيف له أن يرى أن هناك ذباباً فى عينيه إن كان هناك ذباب فى عينيه؟".

كان ذلك منطقياً بقدر الكثير من الأشياء الأخرى، وكان يوساريان يصدق كلام أور لأنه كان من البرية خارج مدينة نيويورك، ويعرف عن الحياة البرية أكثر مما يعرف يوساريان، كما أن أور - بخلاف والدة يوساريان وأبيه وأخته وأخيه وخالته وخاله وزوج أخته ومعلمه ومعلمه الروحى وجاره وجريدته - لم يسبق أن كذب عليه بخصوص أى شىء مهم من قبل. فكر يوساريان ملياً فى المعلومة الجديدة التى اكتشفها عن أبلباى على انفراد طوال يوم أو يومين، ثم قرر - بقصد القيام بعمل خير - أن يخبر أبلباى نفسه عن الأمر.

همس فى أذنه بينما كانا يدخلان معاً خيمة المظلات فى يوم الجولة الاستطلاعية السلمية الأسبوعية إلى بارما: "أبلباى، إن لديك ذباباً فى عينيك".

أجاب أبلباى بحدة وهو مصاب بالارتباك من الحقيقة التى ألقاها يوساريان على مسامعه لتوه: "ماذا؟".

كرر يوساريان كلامه: "إن لديك ذباباً بعينيك، وهذا على الأرجح السبب الذى لا يجعلك تراه".

كرر أبلباى كلام يوساريان بينما ترتسم على وجهه نظرة تنم عن الاشمئزاز والارتباك، ثم عبس وانخرط فى حالة من الصمت حتى استقل السيارة الجيب مع هافرماير وسارا عبر الطريق الطويل المستقيم إلى غرفة التعليمات؛ حيث كان الرائد دابنى - ضابط العمليات المتململ الخاص بالمجموعة - ينتظر لعقد جلسة التعليمات التمهيدية مع كل الطيارين والمدفعيين والملاحين الأساسيين. تحدث أبلباى بصوت خفيض حتى لا يسمعه قائد الشاحنة أو النقيب بلاك، والذى كان يجلس متمدداً وهو يغلق عينيه بالمقعد الأمامى.

سأل بتردد: "هافرماير، هل لدىَ ذباب فى عينىَ؟".

طرف هافرماير بعينيه بشكل مضحك ثم سأل: "شحاذ؟".

قال: "لا، ذباب".

طرف هافرماير بعينيه مجدداً: "ذباب؟".

"فى عينىَ".

قال هافرماير: "لابد أنك مجنون".

"لا، أنا لست مجنوناً. يوساريان مجنون. فقط أخبرنى إذا ما كان هناك ذباب فى عينى أم لا. هيا أخبرنى. يمكننى تقبل الأمر".

وضع هافرماير قطعة أخرى من حلوى الفول السودانى فى فمه ونظر من مسافة قريبة للغاية إلى داخل عينى أبلباى.

قال: "أنا لا أرى أى ذباب".

تنهد أبلباى بعمق فى شكل ينم عن الراحة. كانت هناك أجزاء صغيرة من حلوى الفول السودانى تلتصق بشفتى وذقن ووجنتى هافرماير.

قال له أبلباى: "هناك أجزاء من حلوى الفول السودانى على وجهك".

قال هافرماير: "أفضل أن تكون هناك أجزاء من حلوى الفول السودانى على وجهى على أن يكون هناك ذباب فى عينىّ".

وصل ضباط الطائرات الخمس الأخرى فى كل سرب فى شاحنات لحضور جلسة التعليمات والتى عقدت بعد ثلاثين دقيقة. أما المجندون الثلاثة بكل طاقم فكانوا لا يحضرون مثل هذه الاجتماعات على الإطلاق ولكن يتم أخذهم مباشرة إلى المطار، ثم منه إلى الطائرات المنفصلة؛ حيث يكون من المقرر لهم التحليق فى هذا اليوم وحيث ينتظرون مع الطاقم الأرضى حتى يصل الضباط المقرر لهم التحليق معهم ويهبطون من عرباتهم التى تسير على مقربة شديدة من بعضها البعض مصدرة صوت قعقعة ويتسلقون طائراتهم ويديرون المحركات. كانت المحركات تدور بصعوبة أولاً فوق الدعامات الصلبة التى تشبه عصى المصاصات مع إبدائها بعض المقاومة، ثم تلف بسلاسة لفترة وبعد ذلك تتحرك الطائرات بتثاقل وتتقدم ببطء للأمام فوق الأرض الحصوية وكأنها أشياء عمياء غبية مشلولة حتى تصل إلى بداية مدرج الإقلاع وتقلع بانسيابية، واحدة تلو الأخرى وهى تزوم وتزأر وتميل جانباً ببطء حتى تشكل سرباً فوق أعالى الأشجار المتشابكة، وتدور حول المطار بسرعة ثابتة حتى تنضم جميع الطائرات إلى السرب وتبدأ معاً رحلتها فوق المياه الزرقاء الصافية متجهة إلى هدفها فى شمال إيطاليا أو فرنسا، وتظل الطائرات ترتفع بشكل ثابت حتى تحلق على ارتفاع تسعة آلاف قدم بحلول الوقت الذى تصل فيه إلى أرض العدو. وأحد الأشياء المدهشة التى يتسم بها هذا الوقت هو الشعور بالهدوء والسكينة والذى يقطعه فقط صوت إطلاق النار الاختبارى من المدافع الرشاشة والذى يدوى من نظام الاتصال البينى، وفى النهاية يصدر المدفعى فى كل طائرة بيانًا يفيد بأنهم على وشك الوصول للهدف، وكانت أشعة الشمس تتخلل دوماً الطائرات كما يوجد كذلك دوماً الشعور بالوخز الخفيف بالحلق نتيجة للهواء الأقل كثافة.

كانت طائرات بى-٢٥ التى يحلقون فيها متزنة يعتمد عليها وذات لون أخضر معتم ودفتين متماثلتين ومحركات وجناحين عريضين. وكان عيبها الوحيد - بالنسبة للمكان الذى كان يجلس فيه يوساريان كمدفعى - هو النفق الذى يربط

بين مقصورة المدفعى فى مقدمة الطائرة وبين أقرب غرفة هروب. فكان النفق ضيقاً ومربعاً وبارداً ومجوفاً ويقع أسفل أجهزة التحكم الطائرة، ورجل ضخم مثل يوساريان سوف يلاقى بدون شك صعوبة فى الانحشار بداخله. وكان آرفى ملاحاً ممتلئ الجسم وذا وجه دائرى وعينين صغيرتين ويدخن الغليون ويعانى من نفس المشكلة كذلك، وقد اعتاد يوساريان طرده من مقدمة الطائرة إلى الجزء الخلفى عند استدارتهم ناحية الهدف، خاصة أنهم على بعد دقائق الآن. كانت لحظة يسودها التوتر، لحظة من الانتظار دون سماع شىء ودون رؤية شىء ودون وجود شىء للقيام به سوى الانتظار بينما تقوم مضادات الطائرات بأسفل بتحديد هدفها وإطلاق النار عليهم لجعلهم ينامون نوماً أبدياً - إن أمكنهم ذلك.

كان النفق هو سبيل نجاة يوساريان ووسيلته الوحيدة للخروج من طائرة إن كانت على وشك السقوط، ولكن يوساريان كان يحمل خصومة له ويسبه ويعتبره عقبة وضعت أمامه كجزء من المخطط الذى يهدف لتدميره والخلاص منه، وقد كان هناك متسع لبناء حجيرة هروب أخرى هناك فى مقدمة طائرة بى-٢٥ ولكن لم يحدث ذلك. بدلاً من ذلك كان يوجد النفق، ومنذ الفوضى التى حدثت فى المهمة التى خرج بها فوق الأفنيون تعلم أن يكره كل بوصة به؛ حيث إنه يفصله عن الوصول للباراشوت الخاص به بفترة زمنية تقدر بثوان، هذا الباراشوت الذى كان من الضخامة؛ بحيث يستحيل أن يأخذه إلى مقدمة الطائرة معه، ويفصله بعد ذلك بفترة زمنية تقدر بمزيد من الثوانى عن فتحة الهرب التى تقع على الأرضية بين مؤخرة مقصورة القيادة العالية وأسفل برج المدفع العالى. وقد تمنى يوساريان لو كان بالمكان الذى يوجد به آرفى حينما طرده إلى الخلف؛ فقد تمنى يوساريان أن يجلس على تلك الأرضية أعلى فتحة الهروب داخل الكوخ القبى الذى يحتوى على مجموعة إضافية من ذخيرة المدفعية المضادة للطائرات والتى لا يمانع أن يحملها معه طالما كان الباراشوت الخاص به فوق معداته الحربية، وبحيث تتشبث إحدى يديه بحبل فتح الباراشوت واليد الأخرى تدفع باب فتحة الهروب والذى يمكنه الانطلاق منها خارج الطائرة عند أول بادرة للخطر. هذا هو المكان الذى أراد التواجد به إن اضطر إلى أن يستقل الطائرة فى الأساس، بدلاً من أن يظل معلقاً هناك فى المقدمة مثل سمكة ذهبية لعينة فى إناء سمك لعين، فى حين تقوم مضادات الطائرات السوداء اللعينة بالأسفل بالانفجار والضرب حوله وفوقه وأسفله محدثة ضوضاء عالية ومهددة بإبادتهم جميعاً فى جزء من الثانية.

وقد كان آرفى عديم الجدوى ليوساريان كملاح أو كأى شىء آخر، وكان يوساريان يطرده بعنف من المقدمة فى كل مرة يحلقان فيها وذلك حتى لا يعوق طريقه ويتعثرا ببعضهما البعض إن اضطرا إلى الزحف فجأة إلى حيث الأمان.

وبمجرد أن نقله يوساريان من المقدمة تمتع آرفى بحرية الجثوم على الأرضية؛ حيث تمنى يوساريان أن يجثم، ولكنه وقف، مستقيماً بدلاً من ذلك وهو يسند ذراعيه القصيرتين البدينتين على خلف مقعدى الطيار ومساعد الطيار بينما يمسك الغليون فى يده ويتحدث حديثاً عذباً مع ماكوات وأى شخص يصادف أن يكون مساعد الطيار فى هذا اليوم، مشيراً إلى أمور تافهة فى السماء إلى الرجلين اللذين يكونان من الانشغال بحيث لا يبديان اهتماماً؛ فقد كان ماكوات مشغولاً بالاستماع إلى تعليمات يوساريان الحادة التى جعلته ينخفض بالطائرة بعيدًا عن طريق القنابل، ثم ينحرف بعنف حول قوائم هياكل المبانى المنفجرة كان يوساريان يصدر الأوامر الحادة والجافة إلى ماكوات والتى كانت تشبه كثيرا صرخات هنجرى جو المتضرعة المكروبة أثناء إصابته بالكوابيس فى الظلام. وكان آرفى ينفخ وهو يفكر ملياً فى غليونه عبر كل هذه الفوضى وهو يحدق بفضول هادئ إلى الحرب خلال نافذة ماكوات وكأنها اضطراب بعيد لا يمكن أن يصيبه بضرر. كان آرفى رجلاً مخلصاً لغيره من الرجال والذى يحب فرق التشجيع والاجتماع بأصدقائه القدامى، وليس لديه من العقل ما يجعله يخاف. وكان يوساريان يملك عقلاً راجحاً والشىء الوحيد الذى يمنعه من ترك مكانه فى المقدمة أسفل القنابل والانطلاق للخلف عبر النفق كجرذ ذى بطن صفراء هو عدم رغبته فى أن يأتمن مهمة إرشاد الطائرة للهروب من منطقة الخطر لأى أحد آخر؛ فليس هناك أى شخص فى العالم يمكن أن يعهد إليه بمثل هذه المسئولية الكبيرة؛ فهو لم يعرف شخصاً آخر على نفس الدرجة من الجبن؛ فقد كان يوساريان هو أفضل رجل فى المجموعة فى القيام بالأعمال المراوغة، ولكن لم يكن يعرف السبب فى ذلك.

ولم تكن هناك خطوات محددة للقيام بالمراوغة؛ فكل ما تحتاج إليه هو الخوف، ويوساريان لديه الكثير منه، فهو لديه من الخوف أكثر مما لدى أور أو هنجرى جو أو دوبنار الذى استسلم طواعية للفكرة القائلة إنه يجب أن يموت فى يوم ما. ولكن يوساريان لم يستسلم لهذه الفكرة وكان يفر بحياته فى كل مهمة بعد إلقاء قنابله وهو يصيح: "*أقوى، أقوى، أقوى أيها الوغد، أقوى*!" فى ماكوات وهو يحمل له مشاعر الكراهية طوال الوقت وكأن ماكوات هو المسئول عن كونهم بأعلى هناك ليتم قذفهم من قبل غرباء، وقد كان كل شخص آخر فى الطائرة يتجنب جهاز الاتصال البينى فيما عدا ذلك الوقت الذى حلت به الفوضى فى إحدى المهمات إلى الأفنيون، حينما جن جنون دوبس فى منتصف السماء وبدأ يبكى طلباً للمساعدة.

قال دوبس وهو يبكى: "ساعده، ساعده، ساعده".

قال يوساريان: "أساعد من؟ أساعد من؟" بعد أن قام بإيصال سماعته مجدداً بنظام الاتصال البينى بعدما كانت مفصولة حينما انتزع دوبس جهاز القيادة من

هولب وهبط بهم جميعاً فجأة مما جعل يوساريان يلتصق من دون حيلة بسقف الطائرة من عند أعلى رأسه ، ولم ينقذه من هذا إلا استعادة هولب للقيادة فى الوقت المناسب من دوبس، وارتفع بالطائرة بنفس السرعة التى هبط بها دوبس أعلى نيران المدفعية المضادة للطائرات متنافرة النغمات والتى كانت على وشك إصابتهم. كان يوساريان يتضرع إلى الله وهو عاجز عن الكلام بينما يتدلى من سقف مقدمة الطائرة من عند رأسه وهو غير قادر على الحركة: "*يا إلهى! يا إلهى!*".

أجاب دوبس وهو يصرخ حينما تحدث يوساريان: "المدفعى، المدفعى. إنه لا يجيب. إنه لا يجيب. ساعد المدفعى. ساعد المدفعى".

صاح يوساريان: "أنا المدفعى. أنا المدفعى. أنا بخير. أنا بخير".

توسل إليه دوبس: "إذن ساعده، ساعده. ساعده".

وكان سنودين يرقد ميتاً فى الخلف.

٦
هنجرى جو

أنهى هنجرى جو خمسين مهمة ، لكنها لم تجده نفعاً، وقد قام بحزم حقائبه وكان ينتظر ثانية ليعود للوطن، وفى الليل راودته كوابيس مخيفة ومفزعة أبقت الجميع فى السرية مستيقظاً فيما عدا هولب الطيار ذى الخمسة عشر ربيعاً والذى كذب بشأن عمره الحقيقى كى يلتحق بالجيش وكان يعيش مع قطته الأليفة فى نفس الخيمة مع هنجرى جو. كان هولب ذا نوم خفيف، ولكنه يدعى أنه لا يسمع قط صراخ هنجرى جو. كان هنجرى جو مريضاً للغاية.

زمجر الطبيب دانيكا فى سخط: "إذن ماذا؟ لقد كنت أفعل ذلك، أؤكد لك. كنت أكسب خمسين ألفاً فى العام وجميعها تقريباً معفية من الضرائب؛ حيث إننى كنت أجعل زبائنى يدفعون لى نقداً. كانت لدى أقوى شراكة تجارية فى العالم والتى كانت تدعمنى. وانظر ماذا حدث. فحينما كنت على وشك الفرار بكل هذه الأموال قاموا باختراع ما يسمى بالفاشية وأشعلوا فتيل حرب بشعة طالتنى آثارها. إننى أضحك حينما أسمع شخصاً مثل هنجرى جو يصرخ كل ليلة. إننى أضحك من قلبى. إنه مريض. ماذا يظن أننى أشعر؟".

كان هنجرى جو منغمساً فى مشاكله الخاصة لدرجة لا تجعله يكترث بشعور الطبيب دانيكا. كانت الضوضاء تزعجه على سبيل المثال؛ فأشكال الضوضاء الصغيرة كانت تزعجه وتثير أعصابه، فكان يصيح على آرفى لأجل أصوات المص المبللة التى يصدرها وهو يدخن غليونه، وعلى أور لأجل الأصوات التى يصدرها وهو يقوم بأعمال السمكرة والإصلاح، وعلى ماكوات لأجل صوت الطرقعة الذى يصدره عند قلب كل بطاقة أثناء ممارسته ألعاب الورق، وعلى دوبس لأجل قعقعته أسنانه وهو يتحدث بحماقة عن كيفية اصطدامه بالأشياء. كان هنجرى جو بمثابة كتلة متحركة من سرعة التأثر والتهيج وحدة الطبع؛ فقد وصل به الأمر إلى أن أصبح صوت تحرك عقارب ساعة فى غرفة هادئة يعذب عقله المرهف.

قال بفظاظة لهولب فى وقت متأخر للغاية من إحدى الليالى: "أنصت يا فتى، إن كنت تريد أن تعيش فى هذه الخيمة، لابد عليك أن تقوم بما أقوم به. فعليك أن تضع ساعة يدك داخل زوج من الجوارب الصوفية كل ليلة وتضعها فى أسفل خزانتك بالجهة المقابلة من الغرفة".

مدّ هولب فكه للأمام متحدياً ليدع هنجرى جو يعلم أنه لا يمكن تهديده، ثم فعل بعد ذلك ما قاله له هنجرى جو.

كان هنجرى جو عصبياً متقلباً بائساً ذا وجه مشدود الجلد وبشرة قذرة وأوردة مرتعدة تتلوى تحت جلده وفى التجاويف السوداء تحت عينيه والتى تشبه تقسيمات جلد الثعبان. كان وجهاً بائساً قاتماً يغطيه القلق يشبه مدينة تعدين مهجورة. كان هنجرى جو يتناول الطعام بنهم ويقضم أطراف أصابعه على نحو متواصل ويفأفئ ويتمتم ويحك جلده ويتصبب عرقاً ويسيل لعابه وينتقل من بقعة لأخرى بعصبية وهو يحمل كاميرا سوداء معقدة والتى يحاول أن يلتقط بها دوماً صوراً لفتيات غير محتشمات. هذه الصور التى لا تغادر الكاميرا قط. فقد كان ينسى دوماً وضع فيلم فى الكاميرا أو فتح ضوء الفلاش أو إزاحة الغطاء من فوق العدسة. ولم يكن من السهل إقناع الفتيات باتخاذ وضعيات جذابة ولكن هنجرى جو كان يتمتع بموهبة خاصة.

كان يصيح قائلاً: "أنا رجل مهم. أنا مصور كبير من مجلة لايف. أريد صورة لوضعها على الغلاف. موافقة؟ ستصبحين إحدى نجمات هوليوود".

والقليل من النساء هن فقط كن من يقاومن مثل هذا التملق المراوغ، كانت الفتيات يتحمسن ويتخذن أية وضعيات يطلبها منهن. كان هنجرى جو يهيم حبا بالنساء؛ فقد كان يحبهن حباً أعمى. فقد كن بالنسبة له كائنات جميلة ومشبعة وتجسيداً يثير الجنون لمتعة لا يمكن قياسها، كن فاتنات وساحرات إلى الحد الذى لا يكون من العدل معه أن يعملن لدى أى رجل حقير، وقد كان يستمتع بهن بأقصى درجة ممكنة فى هذه اللحظات العابرة التى تتاح له قبل أن يضبطه أحدهم ويصرفهن بعيداً. لم يكن يعرف إن كان عليه قضاء وقت ممتع معهن أم تصويرهن؛ حيث إنه قد وجد أنه من المستحيل أن يقوم بالشيئين معاً فى نفس الوقت. فى الواقع لقد وجد أنه من المستحيل أن يقوم بأى منهما، حيث إنه كان يصاب بالتوتر نتيجة لشعوره بأن عليه الإسراع. وبالتالى فهو لم يستطع قط أن يلتقط صورا ولم تسنح له الفرصة كذلك للاستمتاع بوجوده معهن. والشئ الغريب أن هنجرى جو كان مصورا بالفعل بمجلة لايف قبل التحاقه بالخدمة.

وقد كان بطلاً الآن، أكبر بطل حظيت به القوات الجوية كما شعر يوساريان؛ حيث إنه قد خرج فى مهمات قتالية جوية أكثر مما خرج أية أبطال آخرين فى القوات الجوية. فهو قد انتهى من ست جولات قتالية جوية، فقد أنهى هنجرى جو أولى جولاته الحربية حينما كان عدد المهام التى يتطلبها حزم الحقائب وكتابة خطابات سعيدة لأقربائه فى الوطن والبدء فى مطاردة الرقيب تاوزر من أجل معرفة إذا ما كانت أوامر إعادته للوطن قد جاءت أم لا ـ خمساً وعشرين مهمة. وفى

أثناء انتظاره كان يمشى كل يوم بتثاقل حول مدخل خيمة العمليات بينما يسخر من كل شخص يمر بطريقه، وينعت بمرح الرقيب تاوزر بالوغد الحقير فى كل مرة يخرج فيها الرقيب تاوزر من خيمة التعليمات.

وقد انتهى هنجرى جو من تنفيذ مهامه الخمس والعشرين أثناء أسبوع رأس جسر ساحل ساليرنو حينما كان يوساريان يرقد بالمستشفى إثر إصابته بالسيلان والذى داهمه بعد إقامته علاقة بين الشجيرات مع عضوة فى الفرقة النسائية من الجيش الأمريكى عندما كان فى إحدى المهام. وقد بذل يوساريان قصارى جهده للحاق بهنجرى جو وقد أوشك على النجاح، حيث إنه خرج فى ست مهام على مدار ستة أيام، ولكن مهمته الثالثة والعشرين كانت إلى أريزو؛ حيث تم قتل الكولونيل نيفرز، وكانت تلك هى المرة الوحيدة التى اقترب فيها من تحقيق شرط العودة للمنزل. ففى اليوم التالى جاء الكولونيل كاثكارت وهو يختال فخرا فى ثوبه الجديد ويحتفى بتوليه السلطة برفع عدد المهام المطلوبة من خمس وعشرين إلى ثلاثين، وقد قام هنجرى جو بإعادة إفراغ حقائبه وإعادة كتابة الخطابات السعيدة، وتوقف عن مطاردة الرقيب تاوزر، بل إنه بدأ يبغض الرقيب تاوزر ويلقى كل اللوم عليه، حتى على الرغم من معرفته أن الرقيب تاوزر لا علاقة له بوصول الكولونيل كاثكارت أو تأخر الأوامر المتعلقة بالعودة إلى الوطن والتى كانت ربما لتنقذه إذا جاءت مبكرة بأيام قليلة.

لم يعد فى إمكان هنجرى جو تحمل الضغط الناجم عن انتظار أوامر العودة إلى الوطن، وكان ينهار على الفور فى كل مرة ينتهى فيها من جولة حربية. وفى كل مرة كان يتقرر فيها ذهابه إلى إحدى المهام كان يقيم حفلاً كبيراً للعدد المحدود من أصدقائه. كان يفتح زجاجات الشراب التى ينجح فى شرائها أثناء دوراته الأسبوعية التى تستغرق أربعة أيام مع حاملة الطائرات، وكان يضحك ويغنى ويصيح فى نشوة بالغة حتى يثمل بشدة ولا يقوى على الاستيقاظ ويغط فى سبات عميق. وبمجرد أن يقوم يوساريان وناتلى ودونبار بوضعه فى الفراش يشرع فى الصراخ أثناء نومه. وفى الصباح يغادر خيمته وهو منهك ومثقل بالشعور بالذنب ويبدو مثل هيكل متآكل لمبنى بشرى يتأرجح فى خطر وعلى حافة الانهيار.

وكانت الكوابيس تراود هنجرى جو فى نفس الموعد فى كل ليلة يمضيها فى السرية أثناء ذلك الوقت الذى لا يذهب فيه إلى مهمات جوية ويظل ينتظر مرة أخرى وصول أوامر إرساله إلى الوطن التى لا تأتى أبداً. والرجال سريعو التأثر فى السرية مثل دوبس والنقيب فلوم كانوا يصابون بانزعاج شديد من كوابيس هنجرى جو المفزعة للدرجة التى تجعلهم يعانون من كوابيس هم أيضاً، وقد كانت الأشياء التى يقذفون بها فى الهواء كل ليلة من أسرَّتهم المنفصلة تدور حول بعضها البعض

فى الظلام بطريقة رومانسية مثل الطيور المغردة أثناء تزاوجها، وقد انتهج المقدم كورن تصرفاً حاسماً لإيقاف ما بدا له نزعة مؤذية فى سرية الرائد ماجور، وكان الحل الذى قدمه للمشكلة هو جعل هنجرى جو يقود المركبة الحاملة للطائرات مرة كل أسبوع، مما يجعله يبقى بعيداً عن السرية فترة أربع ليالٍ، وقد كان هذا الحل ـ شأنه شأن جميع حلول المقدم كورن ـ ناجحاً.

وفى كل مرة يزيد فيها الكولونيل كاثكارت عدد المهام ويعيد هنجرى جو إلى المهام الجوية تتوقف الكوابيس ويسترد هنجرى جو حالة الفزع الطبيعية الخاصة به وترتسم على وجهه حينها ابتسامة تنم عن الراحة، وقد كان يوساريان يقرأ وجه هنجرى جو مثل عنوان رئيسى فى جريدة، ويكون كل شىء على ما يرام حينما يبدو هنجرى جو بحالة مزرية، ومريعاً حينما يبدو هنجرى جو بأفضل حال. وقد كانت مجموعة استجابات هنجرى جو المعكوسة بمثابة ظاهرة مثيرة للفضول للجميع فيما عدا هنجرى جو الذى أنكر الأمر برمته بعناد.

قال حينما سأله يوساريان عما يحلم به: "من يحلم؟".

نصحه يوساريان قائلاً: "جو، لماذا لا تذهب لرؤية الطبيب دانيكا؟".

"لماذا يجب علىّ الذهاب لرؤية الطبيب دانيكا؟ أنا لست مريضاً".

"ماذا عن كوابيسك؟".

كذب هنجرى جو قائلاً: "أنا لا أعانى من الكوابيس".

"ربما بإمكانه فعل شىء بشأنها".

أجابه هنجرى جو: "ليس هناك ما يعيب الكوابيس. الجميع يعانون من الكوابيس".

هنا ظن يوساريان أنه تمكن منه فسأل: "كل ليلة؟".

رد هنجرى جو: "لماذا ليس فى كل ليلة؟".

وفجأة بدا كل شىء منطقياً. فلماذا لا يصاب بالكوابيس فى كل ليلة؟ فقد كان من المنطقى الصراخ تألماً فى كل ليلة. بل كان حال هنجرى جو معقولاً أكثر من حال أبلباى والذى كان شديد التمسك بالقواعد والذى أمر كرافت أن يأمر يوساريان بأخذ حبوب أتابراين معه فى رحلاته الجوية عبر البحار بعد أن توقف يوساريان وأبلباى عن التحدث إلى بعضهما البعض. وقد كان حال هنجرى جو مستساغاً أكثر من حال كرافت كذلك والذى لقى نحبه إثر السقوط فوق فيرارا بعد انفجار المحرك، بعد أن قاد يوساريان سربه المكون من ست طائرات فوق الهدف للمرة الثانية. وقد فشلت المجموعة فى ضرب الجسر عند فيرارا ثانية لليوم السابع على التوالى باستخدام مصوبة القصف، والتى بإمكانها تصويب القنابل داخل برميل من المخلل على ارتفاع أربعين ألف قدم، وقد مر أسبوع كامل منذ أن

تطوع الكولونيل كاثكارت لجعل رجاله يدمرون الجسر خلال أربع وعشرين ساعة.
كان كرافت فتى نحيفاً غير مؤذٍ من بنسلفانيا والذى أراد فقط أن يحبه الجميع، ولكن شاء قدره أن يفشل بطريقة محبطة ومخزية فى مسعاه هذا؛ فبدلاً من أن يصبح محبوباً لقى نحبه، فقد تحول إلى جمرة مطفأة نازفة فوق أرض وحشية بل لم يسمعه أحد فى تلك اللحظات الأخيرة الثمينة أثناء سقوط الطائرة ذات الجناح الواحد عمودياً. لقد عاش حياة قصيرة حميدة قبل أن يسقط مشتعلاً فوق فيرارا باليوم السابع، كان ذلك عندما استدار ماكوات فوق الهدف فى جولة القذف الثانية تحت إرشاد يوساريان لأن آرفى كان مرتبكاً ويوساريان لم يكن قادرًا على إلقاء القنابل فى المرة الأولى.

قال ماكوات بصوت كئيب على جهاز الاتصال البينى: "أعتقد أن علينا العودة مرة أخرى، أليس كذلك؟".

قال يوساريان: "أعتقد ذلك".

قال ماكوات: "حقاً؟".

"نعم".

قال ماكوات: "حسناً، ما المانع؟".

وبالفعل عادا مرة أخرى فى حين ابتعدت الطائرات فى التشكيلات الأخرى؛ حيث الأمان بينما كان كل مدفع فى هيرمان جويرنج ديفيجن بالأسفل مشغولاً فى قذفهما هما فقط.

كان الكولونيل كاثكارت شجاعاً ولم يتردد قط بالتطوع برجاله لضرب أى هدف متاح. فلم يكن يوجد هدف يبلغ من الخطورة الدرجة التى تجعله لا يتطوع برجاله لمهاجمته، تماماً كما لم تكن هناك ضربة يصعب على أبلباى صدها على طاولة تنس الطاولة. كان أبلباى طياراً جيداً ولاعب تنس الطاولة فائق المهارة ذا ذباب بعينيه والذى لم يخسر قط ولو نقطة واحدة. فإحدى وعشرون ضربة استهلالية هى كل ما يحتاج إليه أبلباى لإيقاع الهزيمة بخصمه؛ فقد كانت مهاراته بلعبة كرة تنس الطاولة أسطورية، وقد فاز أبلباى بكل مباراة بدأها حتى تلك الليلة التى ثمل فيها أور وفتح جبهة أبلباى بمضربه بعد أن سحق أبلباى أول خمس كرات استهلالية لأور، فقد قام أور بالقفز أعلى الطاولة بعد أن ألقى بمضربه مبحراً عبرها وهابطاً إلى الجانب الآخر وقدماه موجهتان إلى وجه أبلباى. وقد ساد الهرج والمرج المكان. وقد استغرق الأمر من أبلباى نحو دقيقة كاملة قبل أن يستطيع تخليص نفسه من بين ذراعى وساقى أور التى كانت تضرب بعنف، وتلمَّس طريقه ليقف على قدميه، فى حين كان أور الممدد على الأرض يمسكه من قميصه بيد ويوجه قبضته ناحية وجهه قاصداً قتله، ولكن فى هذه اللحظة تدخل يوساريان وأبعد أور عنه. كانت

ليلة مليئة بالمفاجآت لأبلباى والذى كان بنفس ضخامة وقوة يوساريان والذى وجه لكمة ليوساريان غمرت المقدم وايت هلفوت بحماسة وبهجة جعلته يستدير ويلكم الكولونيل مودس فى أنفه، تلك اللكمة التى أسعدت الجنرال دريدل وجعلته يأمر الكولونيل كاثكارت بإلقاء رجل الدين خارج نادى الضباط ويأمر المقدم وايت هلفوت بالانتقال إلى خيمة الطبيب دانيكا؛ حيث يمكن أن يظل تحت رعاية الطبيب طوال أربع وعشرين ساعة كى يبقيه بحالة جسدية جيدة تجعله يستطيع لكم الكولونيل مودس فى أنفه ثانية فى أى وقت يريد منه الجنرال دريدل فعل ذلك. وفى بعض الأحيان كان الجنرال دريدل يذهب فى رحلات خاصة من مقر رئاسة وينج بصحبة الكولونيل مودس وممرضته فقط ليجعل المقدم وايت هلفوت يضرب زوج ابنته فى أنفه.

وقد كان المقدم وايت هلفوت يفضل لو كان قد ظل فى المقطورة التى كان يتشارك فيها مع النقيب فلوم ضابط العلاقات العامة فى السرية الهادئ المصاب بمس شيطانى والذى كان يمضى معظم الليل فى تحميض الصور التى التقطها أثناء النهار كى يرسلها مع خطابات إعفاءاته. كان النقيب فلوم يمضى معظم الليل يعمل فى غرفته المظلمة وبعد ذلك يرقد فوق فراشه مشبكاً أصابعه ويضع قدم أرنب حول عنقه ويحاول بكل ما أوتى من قوة أن يبقى مستيقظاً. فقد كان يخشى المقدم وايت هلفوت. فقد كان النقيب فلوم مصاباً بهوس يجعله يعتقد أن المقدم وايت هلفوت سوف يمشى على رءوس أصابعه حتى يصل إلى فراشه فى إحدى الليالى حينما يكون نائماً ويذبحه من الأذن للأذن. وقد استمد النقيب فلوم هذا الاعتقاد من المقدم وايت هلفوت نفسه والذى قام بالفعل بالمشى على رءوس أصابعه فى إحدى الليالى أثناء استغراقه فى النوم كى يهمس فى أذنه بأنه فى إحدى الليالى أثناء نومه - النقيب فلوم - سيقوم هو - المقدم وايت هلفوت - بذبحه من الأذن إلى الأذن. شحب وجه النقيب فلوم وفتح عينيه وحدق مباشرة إلى المقدم وايت هلفوت الذى كان يقف وهو يترنح من الثمالة على بعد بوصات قليلة فقط منه.

نجح النقيب فلوم فى التحدث بصوت خفيض أجش أخيراً قائلاً: "لماذا؟".

وكانت إجابة المقدم وايت هلفوت: "لِمَ لا؟".

وكل ليلة بعد ذلك كان النقيب فلوم يرغم نفسه على البقاء مستيقظاً أطول فترة ممكنة، وقد كان يساعده فى مسعاه هذا كوابيس هنجرى جو. وبعد الإنصات بإمعان إلى صرخات هنجرى جو المجنونة ليلة وراء الأخرى أصبح النقيب فلوم يبغضه وتمنى أن يمشى المقدم وايت هلفوت على رءوس أصابعه إلى فراشه فى إحدى الليالى ويذبحه من الأذن إلى الأذن. فى الواقع كان النقيب فلوم يغط فى نوم عميق معظم الليالى و*يحلم* فقط بأنه مستيقظ. وقد كانت تلك الأحلام بأنه

مستيقظ من الإقناع للدرجة التى كانت تجعله يستيقظ منها كل صباح وهو يشعر بإعياء شديد يجعله ينام ثانية على الفور.

وقد أصبح المقدم وايت هلفوت شبه مولع بالنقيب فلوم منذ تحوله المدهش. فقد خلد النقيب فلوم إلى فراشه فى هذه الليلة وهو شخص منبسط ومبتهج وغادره فى صباح اليوم التالى منطوياً ومكتئباً، وقد كان المقدم وايت هلفوت يعتبر نفسه مسئولاً عن ابتكار تلك الشخصية الجديدة للنقيب فلوم. وهو لم يكن ينوى قط ذبح النقيب فلوم من الأذن إلى الأذن، فالتهديد بالقيام بذلك كان فكرته عن المزاح، مثل مزحة الموت إثر الإصابة بالتهاب رئوى، ولكم الكولونيل مودس فى أنفه أو تحدى الطبيب دانيكا لخوض مصارعة هندية معه. فكل ما أراد أن يفعله المقدم وايت هلفوت حينما كان يثمل كل ليلة هو أن يغط فورًا فى النوم، ولكن هنجرى جو عادة ما كان يجعل هذا مستحيلاً؛ فقد كانت كوابيس هنجرى جو تؤرق وتزعج المقدم وايت هلفوت، مما جعله كثيراً ما تمنى لو أن أحداً يمشى على رءوس أصابعه إلى داخل خيمة هنجرى جو ويرفع قطة هولب فوق وجهه ويذبحه من الأذن للأذن، حتى يستطيع كل شخص فى السرية، فيما عدا النقيب فلوم، أن يحظى بنوم هانئ ليلاً.

حتى على الرغم من أن المقدم وايت هلفوت قد استمر فى لكم الكولونيل مودس فى أنفه لإرضاء الجنرال دريدل إلا أنه لم يحظ بالقبول الكافى، كما لم يحظ به كذلك الرائد ماجور - قائد السرية - والذى اكتشف هذه الحقيقة فى نفس الوقت الذى اكتشف فيه أنه أصبح قائد السرية عن طريق الكولونيل كاثكارت، والذى جاء مسرعًا إلى السرية فوق سيارته الجيب فى اليوم التالى لمقتل الرائد دولوث فوق بيروجيا، وقد توقف الكولونيل كاثكارت بسيارته على بعد بضع بوصات من مصرف السكك الحديدية الذى كان يفصل مقدمة سيارته الجيب عن ملعب كرة السلة المائل إلى الجانب، والذى تم طرد الرائد ماجور منه فى النهاية بواسطة ركلات ودفعات وأحجار ولكمات الرجال الذين كادوا يكونون أصدقاءه.

صاح الكولونيل كاثكارت قائلاً له عبر المصرف: "لقد أصبحت قائد السرية الجديد، ولكن لا تعتقد أن ذلك يعنى أى شىء لأنه لا يعنى شيئاً. كل ما يعنيه أنك أصبحت قائد السرية الجديد".

بعد ذلك غادر الكولونيل كاثكارت بنفس السرعة التى أتى بها بعدما انحرف بسيارته الجيب جاعلاً الإطارات تدور فى مكانها قاذفة برذاذ من الرمل الخشن فى وجه الرائد ماجور. جعل هذا الخبر الرائد ماجور متسمراً فى مكانه، فقد وقف دون أن ينطق بكلمة وهو يحدق ببله ويمسك بكرة السلة البالية بين يديه الطويلتين، بينما تضرب بذور الحقد والضغينة التى زرعها الكولونيل كاثكارت سريعاً بجذورها

داخل الجنود من حوله والذين كانوا يلعبون كرة السلة معه وتركوه يقترب منهم إلى هذا الحد كما لو يفعل أى أحد من قبل. ازداد حجم بياض عينيه الدائرتين اللتين أصبحتا ضبابتين، بينما عجز عن الكلام وتاه داخل مشاعره بالوحدة والتى بدأت تتجمع حوله مثل ضباب خانق.

وشأنه شأن جميع الضباط فى مقر رئاسة الوحدة، فيما عدا الرائد دانبى، كان الكولونيل كاثكارت يتحلى بروح ديمقراطية؛ فقد كان يؤمن بأن جميع البشر سواسية وبالتالى فقد كان يدوس ويرفس جميع الرجال خارج مقر رئاسة الوحدة بحماسة مساوية، ومع ذلك فقد كان يؤمن ببراعة رجاله، فكما أخبرهم كثيراً فى غرفة التعليمات فقد كان يؤمن بأنهم نفذوا على الأقل عشر مهام بشكل أفضل من أى كتيبة أخرى، وقال إن أى شخص لا يشاركه إيمانه هذا منهم عليه أن يذهب للجحيم ويترك الحرب. وكانت الوسيلة الوحيدة التى يمكنهم من خلالها ترك الحرب - كما عرف يوساريان حينما طار ليزور ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق - هى الخروج فى عشر مهمات جوية أخرى.

اعترض يوساريان قائلاً: "أنا مازلت لا أفهم. هل الطبيب دانيكا صادق أم لا؟".

"كم العدد الذى أخبرك به؟".

"أربعون".

اعترف ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق قائلاً: "إن الطبيب دانيكا يقول الصدق. أربعون مهمة جوية هو كل ما يتطلبه الأمر للعودة إلى الوطن؛ وذلك وفقاً لتعليمات مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين".

ابتهج يوساريان وقال: "إذن بإمكانى العودة إلى المنزل، أليس كذلك؟".

صححه ونترجرين قائلاً: "لا، لا يمكنك العودة للوطن. هل أنت مجنون أم ماذا؟".

"لِم لا؟".

"نفس المعضلة".

أصيب يوساريان بالذهول: "أى معضلة؟ ما بحق الجحيم دخل المعضلة بهذا الأمر؟".

أجاب الطبيب دانيكا بصبر حينما أعاد هنجرى جو يوساريان إلى بيانوسا بالطائرة: "إن المعضلة هنا تكمن فى أنه عليك دوماً تنفيذ ما يأمرك به رئيسك".

"ولكن تقول رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرون إنه يمكننى العودة إلى الوطن بعد تنفيذ أربعين مهمة".

"ولكنها لا تقول إنك ينبغى أن تعود للوطن، كما أن اللوائح تقول إن عليك طاعة

كل أمر. تلك هى المعضلة. حتى لو كان الكولونيل يخالف لوائح القوات الجوية السابعة والعشرين بجعلك تذهب فى مزيد من المهام، فلا يزال عليك تنفيذ أمره وإلا فسوف توجه لك تهمة مخالفة أمره، وفى ذلك الحين سوف تكشر لك رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرون عن أنيابها".

تهدل كتفا يوساريان من فرط الإحباط، ثم قال منتحباً: "إذن علىَ الذهاب فى خمسين مهمة جوية، أليس كذلك؟".

صححه الطبيب دانيكا قائلاً: "خمس وخمسون".

"خمس وخمسون؟".

"الخمس والخمسون مهمة التى يريد منكم الكولونيل الآن تنفيذها".

تنفس هنجرى جو الصعداء حينما سمع الطبيب دانيكا وابتسم ابتسامة عريضة. أمسك يوساريان هنجرى جو من رقبته وجعله يطير بهما عائداً إلى ونترجرين.

ثم سأله بنبرة خافتة: "ماذا سيفعلون لى إن رفضت تنفيذ هذه المهام؟".

أجاب ونترجرين: "سوف نقوم على الأرجح بإطلاق النار عليك".

صاح يوساريان فى دهشة: "نقوم؟ ماذا تعنى بنقوم؟ منذ متى وأنت إلى جانبهم؟".

أجابه ونترجرين: "إن كنت ستلقى مصرعك رمياً بالرصاص، فأى جانب فى اعتقادك سوف أتخذ؟".

أجفل يوساريان؛ فقد قام الكولونيل كاثكارت برفع العدد مرة أخرى.

٧

ماكوات

فى الأحوال الطبيعية يكون طيار يوساريان هو ماكوات ـ والذى يخرج كل صباح من خيمته وهو يرتدى بيجامة نظيفة ذات لون أحمر براق ـ وهو ما كان يعد بمثابة أحد الأشياء غير المفهومة والغريبة والمتناقضة التى تحيط بيوساريان؛ فقد كان ماكوات أكثر الطيارين جنوناً ، ربما لأنه مازال سليم العقل ولا يكترث كثيراً للحرب المندلعة. كان ذا ساقين قصيرتين وكتفين عريضتين وروح مرحة، وكان لا يكف عن الصفير بنغمات مرحة وطقطقة أوراق اللعب بحدة أثناء ممارسة ألعاب الورق حتى ينهار هنجرى جو تحت سطوة هذا الصوت ويبدأ فى تعنيفه بقسوة كى يتوقف عن طقطقة الأوراق.

كان هنجرى جو يصيح فى غضب، بينما يمسكه يوساريان مهدئاً إياه بيد واحدة، قائلاً: "أيها الوغد، أنت فقط تفعل ذلك لأنك تعلم أن هذا الصوت يثير جنونى. هذا هو السبب الوحيد الذى يجعلك تفعل ذلك، لأنك تحب أن تسمعنى أصرخ ـ أنت أيها الوغد اللعين!".

كان ماكوات يحك أنفه الصغير المغطى بالنمش ويعتذر ويتعهد بأن يتوقف عن طرقعة البطاقات، ولكنه ينسى ذلك دوماً، وقد كان ماكوات يرتدى خفاً منزلياً صوفياً مع بيجامته الحمراء وينام بين شراشف ذات ألوان مطبوعة زاهية تشبه نصف الملاءة التى استردها مايلو من أجله من السارق المبتسم المحب للحلوى فى مقابل واحدة من البلح المنقر الذى اقترضه من يوساريان، وقد كان ماكوات منبهراً للغاية بمايلو والذى كان ـ وهو الأمر الذى يثير بهجة العريف سنارك ـ يشترى البيض مقابل سبعة سنتات للواحدة ويبيعه مقابل خمسة سنتات، ولكن لم يكن ماكوات منبهراً بمايلو بقدر انبهار مايلو بالخطاب الذى حصل عليه يوساريان من الطبيب دانيكا بشأن كبده.

صاح مايلو: "ما هذا؟" حينما رأى الكرتونة المموجة الضخمة المحتوية على عبوات من الفاكهة المجففة والعصائر والحلوى والتى كان اثنان من العمال الإيطاليين اللذين قام الرائد دى كوفرلى بخطفهما للعمل فى مطبخه على وشك حملها إلى خيمة يوساريان.

قال العريف سنارك بابتسامة متكلفة: "هذه خاصة بالنقيب يوساريان يا

سيدى". كان العريف سنارك رجلاً ذكياً ومغروراً ويشعر بأنه أكبر من سنه بنحو عشرين عاماً وكان لا يستمتع بالطهى للأعداد الكبيرة، وأضاف: "إن لديه خطابًا من الطبيب دانيكا يؤهله للحصول على كل الفاكهة وعصائر الفاكهة التى يريدها".

صاح يوساريان بينما بدأ لون مايلو يشحب وشرع فى الترنح: "ما هذا؟".

قال العريف سنارك وهو يغمز بسخرية: "هذا هو الملازم أول مايلو مايندربانيدر يا سيدى. أحد الطيارين الجدد لدينا. وهو قد أصبح الضابط المسئول عن المطبخ حينما كنت فى المستشفى فى هذه المرة الأخيرة".

صاح ماكوات فى وقت متأخر من فترة بعد الظهيرة حينما أعطاه مايلو نصف ملاءته: "ما هذا؟".

شرح له مايلو بعصبية، بينما كان شاربه الضارب إلى لون الصدأ يرتعش: "إن ذلك هو نصف الملاءة التى تم سرقتها من خيمتك هذا الصباح. أنا واثق أنك لا تعلم أنها قد سرقت".

سأل يوساريان: "لماذا قد يرغب أحد فى سرقة ملاءة؟".

ارتبك مايلو ثم قال معترضاً: "أنت لا تفهم".

ولم يفهم يوساريان كذلك لماذا احتاج مايلو إلى أن يفهم مغزى الخطاب الموجز المباشر الذى كتبه الطبيب دانيكا والذى يقول: "أعط يوساريان كل الفاكهة المجففة وعصائر الفاكهة التى يريدها. إنه يقول إنه مصاب بمشكلة فى كبده".

تمتم مايلو بقنوط: "خطاب مثل هذا من شأنه أن يدمر أى ضابط مطبخ فى العالم"، وقد جاء مايلو خصيصاً إلى خيمة يوساريان فقط لقراءة الخطاب مرة أخرى وهو يتبع كرتونة المؤن الذاهبة إلى يوساريان منتحباً وأضاف: "يتوجب علىّ أن أعطيك قدر الطعام الذى تطلبه. إن الخطاب لا يشترط حتى أن تأكل وحدك كل هذا الطعام".

قال له يوساريان: "وهذا جيد لأننى لا آكل أياً من هذا الطعام؛ فأنا مصاب بمشكلة فى كبدى".

قال مايلو فى صوت خفيض ومهذب: "آه، نعم، لقد نسيت. هل هى مشكلة سيئة؟".

أجاب يوساريان بابتهاج: "سيئة بما فيه الكفاية".

قال مايلو: "نعم، ماذا يعنى هذا؟".

"يعنى أنها لا يمكن أن تكون أفضل...".

"لا أعتقد أننى أفهم".

".. دون أن تكون أسوأ. الآن هل تفهم؟".

"نعم، ولكنى مازلت لا أعتقد أننى أفهم".

"حسناً، لا تدع الأمر يؤرقك. دعه يؤرقنى أنا وحدى. أنا لست مصاباً فى الواقع بمشكلة فى الكبد. أنا فقط أعانى من الأعرض. إننى مصاب بمتلازمة جارنيت فليشاكر".

قال مايلو: "نعم، وما هى متلازمة جارنيت فليشاكر؟".

"مشكلة فى الكبد".

قال مايلو: "نعم"، وبدأ يدلك حاجبيه السوداوين معاً بحذر وبتعبير ينم عن ألم داخلى وكأنه ينتظر أن يتخلص من شعور بالوخز يساوره. واصل كلامه أخيراً: " فى هذه الحالة، أعتقد أن عليك أن تكون شديد الحذر فيما تأكله، أليس كذلك".

قال له يوساريان: "أنا شديد الحذر فى الواقع؛ فليس من السهل أن يصاب المرء بمتلازمة جارنيت فليشاكر، وأنا لا أريد إفساد الأمر. لهذا السبب لا أتناول أية فاكهة".

قال مايلو: "الآن أفهم، إن الفاكهة مضرة لكبدك؟".

"لا، إن الفاكهة مفيدة لكبدى، ولهذا السبب لا أتناول أياً منها".

سأل مايلو بعناد وهو يمشى بتثاقل بينما يتفاقم ارتباكه: "إذن ماذا تفعل بها؟ هل تقوم ببيعها؟".

"أعطيها للآخرين".

صاح مايلو فى فزع : "لمن؟".

صاح يوساريان بدوره: "لأى أحد يريدها".

تنهد مايلو تنهيدة طويلة وحزينة وتهادى للخلف بعدما ظهرت فجأة قطرات العرق على وجهه الشاحب، ثم شد شاربه بقوة وهو شارد الذهن بينما ترتعد أوصاله.

واصل يوساريان حديثه قائلاً : "أنا أعطى قدراً كبيراً منها لدونبار".

سأل مايلو وهو شبه فاقد الحس: "دونبار؟".

"نعم، إن باستطاعة دونبار تناول كل الفاكهة التى يريدها دون أن تسديه أية فائدة. أنا فقط أترك الكرتونة هناك لأى شخص كى يأتى ويأخذ منها ما يشاء. وآرفى يأتى هنا ليأخذ برقوقاً؛ لأنه يقول إنه لا يحصل قط على قدر كافٍ من البرقوق فى غرفة الطعام. عليك أن تبحث هذا الأمر حينما يتاح لك الوقت؛ لأن تسكع آرفى هنا هو أمر غير ممتع بالمرة. وفى أى وقت تقل فيه المؤن اجعل العريف سنارك يجلب لى المزيد. أما ناتلى فهو يأخذ دوماً كرتونة كاملة من الفاكهة معه حينما يذهب إلى روما؛ فهو واقع فى حب إحدى الفتيات هناك والتى تبغضنى كما أنها لا تحبه إطلاقاً، ولديها أخت صغيرة والتى لا تتركهما وحدهما قط، والفتاتان

تعيشان فى شقة مع رجل وامرأة عجوزين ومجموعة من الفتيات الأخريات، وناتلى يأخذ لهم كرتونة كاملة فى كل مرة يذهب إليهم".

"هل يبيعها لهم؟".

"لا، إنه *يعطيها* لهم".

قطب مايلو. قال دون أية حماسة: "حسناً، أعتقد أن هذا كرم بالغ منه".

وافقه يوساريان قائلاً: "نعم، إنه كريم حقاً".

قال مايلو: "وأنا أعتقد أن ذلك قانونى، بما أن الطعام يصبح ملكك بمجرد أن تأخذه منى، وأعتقد أن أشخاصاً يعانون مثل ظروفهم يسعدون للغاية بمثل هذه الهدية".

قال له يوساريان مؤكداً: "نعم، إنهم يسعدون بها للغاية؛ فالفتاتان تقومان ببيعها بالكامل فى السوق السوداء وتشتريان بالمال اكسسوارات وعطوراً رخيصة".

ابتهج مايلو وقال: "اكسسوارات! لم أعرف هذا. ما الثمن الذى تشتريان به العطور الرخيصة؟".

"إن الرجل العجوز يستخدم نصيبه لشراء الشراب والصور القذرة؛ فهو رجل فاسق".

"رجل فاسق؟".

"لدرجة مدهشة".

سأل مايلو: "هل هناك سوق فى روما للصور القذرة؟".

"نعم، لدرجة مدهشة. ولنأخذ آرفى مثالاً على ذلك؛ فأنت من خلال معرفتك به لا تشك قط فى أمر كهذا، أليس كذلك؟".

"إنه فاسق؟".

"لا، إنه ملاح. أنت تعلم النقيب آردفارك، أليس كذلك؟ إنه ذلك الرجل اللطيف الذى جاءك فى أول يوم لك فى السرية وقال: "إن اسمى هو آردفارك والملاحة هى لعبتى". وقد كان يضع غليوناً فى فمه وعلى الأرجح سألك عن الكلية التى ذهبت إليها. هل تعرفه؟".

لم يكن مايلو منتبهاً لما يقال له. قال من دون تفكير مستجدياً: "دعنى أكن شريكك".

رفض يوساريان على الرغم من أنه لم يكن لديه أدنى شك أن شاحنات الفاكهة ستصبح ملكهما فى ذلك الحين، وسيكون لهما حرية التصرف فيها بمجرد أن يقوم بطلبها من حجرة الطعام بخطاب من الطبيب دانيكا. أصيب مايلو بخيبة الأمل ولكن بدءاً من هذه اللحظة أصبح يأتمن يوساريان على جميع أسراره فيما عدا سر واحد؛ حيث إنه يؤمن بأن أى شخص لا يسرق من البلد الذى يحبه لن

يسرق من أى شخص آخر. وقد ائتمن مايلو يوساريان على جميع أسراره فيما عدا ذلك الخاص بمواقع الحفر الموجودة فى التلال والتى بدأ يخفى فيها ماله بمجرد أن عاد من سميرنا بشحنة التين وعرف أن رجلاً من دائرة المباحث الجنائية قد جاء إلى المستشفى، وبالنسبة لمايلو ـ الذى كان ساذجاً وسهل الانخداع بما فيه الكفاية للتطوع ـ فإن وظيفة الضابط المسئول عن المطبخ كانت بمثابة تجسيد لثقة مقدسة.

وقد اعترف فى ذلك اليوم الأول: "أنا لم أكن أعرف حتى أننا لم نكن نقدم قدراً كافياً من البرقوق، وأنا أعتقد أن السبب فى ذلك هو حداثة عهدى بالوظيفة، وأنا سوف أرفع المسألة إلى الطاهى الأول لدى".

رمقه يوساريان بحدة ثم سأل: "أى طاهٍ أول؟ ليس لديك طاهٍ أول".

شرح مايلو وهو ينظر بعيداً ويشعر بالذنب إلى حد ما: "العريف سنارك. إنه الطاهى الوحيد لدى؛ لذا فهو يعتبر الطاهى الأول، على الرغم من أننى أتمنى لو أستطيع نقله إلى الجانب الإدارى؛ فأنا أشعر بأن العريف سنارك يصبح فى بعض الأحيان مبتكراً بصورة مبالغ فيها؛ فهو يعتقد أن وظيفة رقيب مطبخ هى أحد أنواع الفن ويشكو دوماً من اضطراره لأن يستغل مواهبه فى أغراض فاسدة، فى حين أنه ليس هناك من يطلب منه القيام بأمور مثل هذه! بالمناسبة، هل تعرف لماذا لا يزال على رتبة عريف فقط حتى الآن؟".

قال يوساريان: "نعم أعرف، لقد قام بسم السرية".

شحب وجه مايلو مرة أخرى: "فعل *ماذا*؟".

"لقد قام بنشر مئات من قطع الصابون فى البطاطا الحلوة فقط ليثبت أن الناس شأنها شأن البدائيين لا يمتلكون حس تذوق واستطعام ولا يعرفون الفرق بين الجيد والسيئ. وقد أصيب كل رجل فى السرية بالمرض وتم إلغاء عدة مهام حربية".

قال مايلو معبراً عن عدم استحسانه لما حدث: "حسناً! لقد عرف بالتأكيد إلى أى مدى كان مخطئاً، أليس كذلك؟".

صحح له يوساريان: "على العكس. لقد أدرك إلى أى مدى كان محقاً؛ فقد كنا نلتهم الطعام التهاماً وطلبنا المزيد. كنا نعلم جميعاً أننا أصبنا بالمرض ولكننا لم نكن نعلم أننا أصبنا بالتسمم".

انتفض مايلو ذعراً مرتين كأرنب برى بنى مشعر وقال: "فى هذه الحالة لابد أن أنقله إلى القسم الإدارى. أنا لا أريد أن يحدث شىء مثل هذا أثناء فترة رئاستى للمطبخ. فما أتمنى القيام به هو تقديم أفضل الوجبات فى العالم أجمع للرجال فى هذه السرية. إنه حقاً هدف سامٍ، أليس كذلك؟ فإن وضع أى ضابط مطبخ

هدفاً غير ذلك له، فهو فى رأيى لا يستحق أن يكون ضابط مطبخ. ألا توافقنى الرأى؟".

استدار يوساريان ببطء ليحدق إلى مايلو بطريقة يشوبها الشك وعدم الثقة. كان وجهه بسيطاً وصادقاً ويبدو غير قادر على المكر أو الرياء، كان وجهاً صادقاً وصريحاً وتعلوه عينان واسعتان وحاجبان سوداوان وشعر أحمر ويتوسطه شارب بنى ضارب إلى اللون الأحمر. كان لمايلو أنف طويل ورفيع ذو منخارين رطبين يتجه بحدة إلى اليمين؛ بحيث تنظر فى مكان مختلف تماماً عن ذلك الذى ينظر إليه سائر جسده. كان وجه رجل يتمتع بنزاهة بالغة والذى لا يستطيع انتهاك المبادئ الأخلاقية التى تعد قوام فضيلته بنفس الطريقة التى لا يستطيع بها أن يتصرف بحقارة وخسة. وأحد تلك المبادئ الأخلاقية هو أنه ليس من الإثم فى شىء أن يتاجر فى السوق السوداء مادام ذلك متاحًا له. لقد كان ينخرط فى نوبات عنيفة من السخط المبرر، وكان ساخطاً للغاية حينما علم أن رجلاً من دائرة المباحث الجنائية جاء إلى السرية بحثاً عنه.

قال يوساريان محاولاً استرضاءه: "إنه لا يبحث عنك. إنه يبحث عن شخص فى المستشفى يوقع بـ .... اسم واشنطن إيرفنج على الخطابات التى يقوم بمراجعتها".

أعلن مايلو: "أنا لم أقم قط بالتوقيع باسم واشنطن إيرفنج على أى خطاب".

"بالطبع لا".

"إنها خدعة لجعلى أعترف بأننى أتاجر فى السوق السوداء". جذب مايلو بعنف كتلة من الشعر الأشعث بشاربه أحمر اللون وأضاف: "أنا لا أحب مثل هؤلاء الرجال. هؤلاء الذين لا يكفون عن الاستطلاع بتطفل عن أناس مثلنا. لماذا لا تتحرى الحكومة عن شخص مثل ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق، إن أرادت أن تسدى لنفسها بعض النفع؟ إنه لا يحترم اللوائح أو القوانين ولا يتوقف عن خفض الأسعار لى".

كان شارب مايلو تعيس الحظ لأن نصفيه لم يحظيا قط بأى تواؤم أو انسجام؛ فقد كانا مثل عينيه اللتين لم تنظرا قط إلى نفس الشىء فى نفس الوقت. كان باستطاعة مايلو أن يرى من الأشياء أكثر مما يرى الآخرون، ولكنه لا يستطيع كذلك أن يرى أيًا منها بوضوح، وعلى الرغم من استجابته العنيفة لخبر رجل المباحث الجنائية فقد جاءت استجابته هادئة وباسلة على الخبر القائل بأن الكولونيل كاثكارت قد رفع عدد المهام إلى خمس وخمسين.

قال: "إننا فى حرب، وليس هناك جدوى من الشكوى بشأن عدد المهام الجوية التى علينا القيام بها، فإذا قال الكولونيل إن علينا تنفيذ خمس وخمسين مهمة، إذن

فعلينا تنفيذ خمس وخمسين مهمة".

قال يوساريان: "حسناً، أنا لست مضطراً لتنفيذها؛ فسوف أذهب لرؤية الرائد ماجور".

"كيف ستقوم بذلك؟ إن الرائد ماجور لا يقابل أحداً".

"إذن سوف أعود إلى المستشفى".

قال مايلو مذكراً إياه بنبرة توبيخ: "لقد خرجت من المستشفى منذ عشرة أيام فقط. أنت لا تستطيع أن تركض إلى المستشفى فى كل مرة يحدث شىء لا يعجبك. لا، إن أفضل شىء هو أن تنفذ مهامك الجوية. إنه واجبنا".

كانت لدى مايلو تعليمات صارمة والتى ما كانت لتسمح له حتى باقتراض عبوة من البلح من المطبخ فى ذلك اليوم الذى سرقت فيه ملاءة ماكوات؛ حيث إن الطعام بالمطبخ كان لايزال ملكاً للحكومة.

قال ليوساريان: "لكننى أستطيع أن أستعيره منك، بما أن كل الطعام يصير ملكك بمجرد أن تحصل عليه منى بخطاب الطبيب دانيكا. يمكنك أن تفعل ما تشاء به، يمكنك حتى بيعه بسعر مرتفع بدلاً من منحه بدون مقابل. ألا تريد أن نفعل هذا معا؟".

"لا".

استسلم مايلو وقال: "إذن أقرضنى عبوة واحدة من البلح. سوف أعيدها لك. أقسم أننى سأفعل، علاوة على ذلك فسوف أعطيك هدية أخرى فوقها".

نفذ مايلو وعده وأعطى يوساريان ربع ملاءة ماكوات الصفراء حينما عاد بعبوة البلح غير المفتوحة والسارق المبتسم المحب للحلوى الذى كان قد سرق الملاءة من خيمة ماكوات. أصبح ربع الملاءة ملكاً الآن ليوساريان، وقد حصل عليها أثناء استغراقه فى غفوة من النوم، على الرغم من أنه لا يعرف كيف حدث هذا، وكذلك ماكوات.

صاح ماكوات وهو يحدق بارتباك إلى نصف ملاءته الممزقة: "ما هذا؟".

شرح مايلو قائلاً: "إنها نصف الملاءة التى سُرقت من خيمتك هذا الصباح. أنا واثق من أنك لم تكن تعرف حتى أنها سرقت".

سأل يوساريان: "لماذا قد يرغب أى أحد فى سرقة نصف ملاءة؟".

زاد ارتباك مايلو وقال معترضاً: "أنت لا تفهم، لقد سُرقت الملاءة كاملة وقد استعدتها مقابل عبوة البلح التى استثمرتها عن طريق إعارتك إياها لى. ولهذا السبب أصبح ربع الملاءة هذا لك. لقد حصلت على عائد جيد جداً من الاستثمار الذى قمت به وخاصة أنك استعدت كل بلحة أعطيتها لى". بعد ذلك وجه مايلو الكلام إلى ماكوات قائلاً: "ونصف الملاءة لك لأنها كانت كلها ملكك منذ البداية،

وأنا فى الواقع لا أعرف مما تتذمر، فأنت لم تكن ستستعيد أى جزء منها لولا تدخلى أنا والنقيب يوساريان عوضاً عنك".

قال ماكوات: "من الذى يتذمر؟ أنا فقط أحاول أن أعرف ماذا سأفعل بنصف ملاءة".

قال له مايلو مؤكداً: "هناك الكثير من الأشياء التى يمكنك فعلها بنصف ملاءة، فالربع المتبقى من الملاءة أخذته لنفسى كمكافأة على جهودى وعملى، وهى ليست لى كما تعرف، بل للنقابة. وهذا شىء يمكنك فعله بنصف الملاءة. يمكنك أن تتركها بالنقابة وتشاهدها تنمو".

"أية نقابة؟".

"النقابة التى أنوى تأسيسها فى يوم ما حتى أقدم لكم أيها الرجال الطعام الممتاز الذى تستحقونه".

"تريد تأسيس نقابة؟".

"نعم، بل أريد إنشاء سوق. هل تعرف ما هو السوق؟".

إنه مكان تشترى منه الأشياء، أليس كذلك؟".

صححه مايلو قائلاً: "وتبيع الأشياء".

"وتبيع أشياءَ".

"طوال حياتى وأنا أود تأسيس سوق. يمكنك القيام بالكثير من الأشياء إن كان لديك سوق، ولكن ينبغى عليك أن يكون لديك سوق".

"هل تريد سوقاً؟".

"وكل رجل سيكون له حصته".

كان يوساريان مرتبكاً؛ حيث إن ذلك كان أمراً ذا علاقة بإدارة الأعمال وطالما كان هذا موضوعًا يثير حيرته.

قال مايلو فى ضجر وسخط وهو يشير بإصبعه إلى السارق المحب للحلوى الذى كان لا يزال يبتسم إلى جواره: "دعنى أشرح لك مرة أخرى. لقد علمت أنه كان يريد البلح أكثر مما يريد الملاءة، وبما أنه لا يعرف الإنجليزية فقد أصررت على إبرام الصفقة برمتها بالإنجليزية".

سأل يوساريان: "لماذا لم تقم فقط بضربه على رأسه وأخذ الملاءة منه؟".

هزّ مايلو رأسه وهو يضغط شفتيه معاً بوقار، وقال فى توبيخ: "إن هذا ليس من العدل فى شىء. فالإرغام خطأ، وخطآن لا يتمخضان قط عن شىء صحيح. كان تصرفى هو التصرف الأمثل. حينما رفعت يدى بالبلح ناحيته ومددت يدى لأخذ الملاءة اعتقد على الأرجح أننى أود مقايضته".

"وماذا كنت تفعل؟".

"فى الواقع كنت أقايضه ولكن بما أنه لا يعرف الإنجليزية يمكننى دوماً إنكار هذا".

"ماذا إن غضب وأراد البلح؟".

أجاب مايلو دون تردد: "حسناً، سوف نقوم فقط بضربه على رأسه وأخذه منه". نظر إلى يوساريان ثم ماكوات ثم إلى يوساريان مرة أخرى وأضاف: "أنا حقاً لا أعرف مما يتذمر الجميع. لقد حققنا جميعاً مكسباً جيداً. إن الجميع سعداء فيما عدا هذا السارق، وليس من المنطقى القلق بشأنه؛ حيث إنه حتى لا يتحدث لغتنا ويستحق ما يحدث له. ألا تفهمان؟".

ولكن يوساريان كان لا يزال لا يفهم كيف يمكن لمايلو أن يشترى البيض مقابل سبعة سنتات للواحدة فى مالطا ويبيعه مع تحقيق ربح فى بيانوسا مقابل خمسة سنتات للواحدة!

٨

الملازم أول شسكوبف

كليفنجر الذى كان يعرف كل شىء لم يستطع أن يفهم كيف كان مايلو يقوم بذلك. كان كليفنجر يعرف كل شىء عن الحرب فيما عدا لماذا يجب على يوساريان أن يموت فى حين يعيش العريف سنارك، أو لماذا ينبغى على العريف سنارك أن يموت فى حين يعيش يوساريان. لقد كانت حرباً قذرة وحقيرة، وكان يمكن ليوساريان أن يعيش بدونها للأبد ربما. وفقط عدد قليل من أبناء وطنه هم من كانوا مستعدين أن يضحوا بحياتهم من أجل كسبها، ولم يكن من بين طموحاته أن يكون واحداً منهم. أموت أو لا أموت، هذا هو السؤال، وقد سعى كليفنجر جاهداً كى يصل لإجابة له؛ فالتاريخ لا يحتاج لموت يوساريان المبكر، ويمكن للعدالة أن تتحقق بدونه، ولا يتوقف التقدم عليه، ولا يعتمد النصر اعتماداً كلياً عليه. فموت الرجال كان أمراً حتمياً وضرورياً؛ ولكن أى الرجال سيموت كان أمراً عائداً للظروف، وكان يوساريان مستعداً أن يكون ضحية أى شىء سوى الظروف، ولكن هذا هو حال الحرب؛ فهو لم يستطع أن يجد لها أية فائدة سوى أنها تدفع له أجراً جيداً وتحرر الأطفال من التأثير الضار لآبائهم.

كان كليفنجر يعرف الكثير لأنه كان عبقرياً ذا قلب ينبض بانفعال ووجه شاحب، وقد كان طويلاً نحيفاً أخرق شديد الانفعال متقد الذكاء؛ فأثناء دراسته فى جامعة هارفارد فاز بمنح دراسية لكل شىء تقريباً، والسبب الوحيد الذى جعله لا يفوز بمنح لكل شىء آخر هو أنه كان مشغولاً للغاية فى توقيعه الالتماسات ونشر الالتماسات وتحدى الالتماسات والالتحاق بمجموعات النقاش والاعتزال من مجموعات النقاش وحضور اجتماعات الشباب وإفساد اجتماعات شباب أخرى وتنظيم لجان طلاب دفاعاً عن الطلاب الذين تم فصلهم، وكان الجميع واثقاً من أن كليفنجر سيكون له مستقبل باهر فى العالم الأكاديمى. باختصار، كان كليفنجر أحد هؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون بكثير من الذكاء دون أن يتمتعوا بالحصافة وحسن التصرف، وكان الجميع يعرف ذلك حتى ما كان يجهله سرعان ما علمه.

باختصار، لقد كان مغفلاً. كان عادة ما ينظر إلى يوساريان كأحد هؤلاء الأشخاص الذين يحومون حول المتاحف الحديثة بينما توجد كلا عينيهم بجانب واحد من وجوههم، وقد كان ذلك وهماً بالطبع خلقه ولع كليفنجر بالتحديق

بشكل ثابت لأحد جوانب مسألة ما دون أن ينظر قط إلى جانبها الآخر. ومن الناحية السياسية كان يتبع المذهب الإنسانى، وكان يعرف اليمين من اليسار بيد أنه انحشر على نحو غير مريح بينهما. وكان دوماً يدافع عن أصدقائه الشيوعيين أمام أعدائه اليمينيين المتطرفين ويدافع عن أصدقائه اليمينيين المتطرفين أمام أعدائه الشيوعيين، وبالتالى صار موضع كراهية من كلا الفريقين اللذين لم يسبق لهما الدفاع عنه أمام أحد لأنهما كانا يعتقدان أنه مغفل.

كان مغفلاً جاداً للغاية وحى الضمير للغاية، وكان من المستحيل أن تذهب إلى السينما معه دون أن تتورط بعد ذلك فى نقاش حول التقمص العاطفى وأرسطو والعالميات والرسائل وواجب السينما كشكل من أشكال الفنون فى مجتمع مادى. والفتيات اللاتى كان يصطحبهن معك إلى المسرح كان عليهن الانتظار إلى الفاصل الأول حتى يكتشفن منه إن كن يشاهدن مسرحية جيدة أم سيئة وبعد ذلك يكوّن رأياً على الفور. كان مثالياً مناضلاً وهاجم بضراوة التعصب العرقى الأعمى عن طريق الإصابة بالدوار أثناء حدوثه، وقد كان يعرف كل شىء عن الأدب فيما عدا كيفية الاستمتاع به.

وقد حاول يوساريان مساعدته. قال لكليفنجر حينما كانا طالبين فى الكلية العسكرية فى سانتا آنا فى كاليفورنيا: "لا تكن مغفلاً".

قال كليفنجر فى إصرار بينما كان الاثنان يجلسان على المنصة العالية ويشاهدان الاستعراض العسكرى للقوات بينما يركزان أعينهما على الملازم أول شسكوبف الذى يتحرك جيئة وذهاباً: "سوف أخبره".

تعالى صوت الملازم أول شسكوبف منتحباً: "لماذا أنا؟".

نصح يوساريان كليفنجر: "ابق ساكناً أيها الأحمق".

اعترض كليفنجر قائلاً: "أنت لا تعلم شيئاً".

شد الملازم أول شسكوبف شعره وصر على أسنانه. اهتزت وجنتاه المطاطيتان من فرط ما يشعر به من كرب؛ فقد كانت مشكلته هى سرية من طلاب الكلية الجوية ذوى معنويات منخفضة والذين كانوا يسيرون بشكل بشع فى مسابقة الاستعراض العسكرى التى كانت تقام فى فترة بعد الظهيرة من كل أحد. وقد كانت معنوياتهم منخفضة لأنهم لم يرغبوا فى أن يسيروا فى استعراضات عسكرية كل أحد فى فترة بعد الظهيرة؛ ولأن الملازم أول شسكوبف قام بتعيين الضباط العسكريين وفقاً لرتبهم بدلاً من أن يتيح لهم الفرصة لانتخاب من يريدونه.

استجداهم الملازم شسكوبف قائلاً: "أريد أن يخبرنى أحدكم. فإن كان أى مما يحدث ناتجاً من خطأ ارتكبته فليخبرنى أحد بذلك".

قال كليفنجر: "إنه يريد أن يخبره أحد".

أجابه يوساريان: "إنه يريد من الجميع أن يبقى ساكناً أيها الأحمق".

قال كليفنجر: "ألم تسمعه؟".

أجابه يوساريان: "لقد سمعته. لقد سمعته يقول بصوت عالٍ وبوضوح شديد أنه يريد كل واحد منا أن يبقى فمه مغلقاً إن كنا نعرف ما فيه الصالح لنا".

أقسم الملازم شسكوبف: "أنا لن أعاقبكم".

قال كليفنجر: "إنه يقول إنه لن يعاقبنى".

قال يوساريان: "إنه سوف يخصيك".

قال الملازم شسكوبف: "أقسم إننى لن أؤذيكم؛ فأنا سوف أكون ممتناً للرجال الذين يخبروننى بالحقيقة".

قال يوساريان: "إنه سوف يكرهك. سوف يظل يكرهك حتى يموت".

كان الملازم شسكوبف خريج فيلق تدريب ضباط الاحتياط وكان سعيداً لأن الحرب اندلعت؛ حيث إنها أتاحت له الفرصة لارتداء الزى العسكرى للضباط كل يوم والصياح بكلمة "رجال" بصوت عسكرى رخيم لمجموعات الفتية الذين يقعون فى براثنه كل ثمانية أسابيع قبل ذهابهم إلى ميدان المعركة. وقد كان الملازم شسكوبف طموحاً وغير مرح ويقوم بمسئولياته بجدية ويبتسم فقط حينما يصاب أحد الضباط المنافسين فى قاعدة سانتا آنا الجوية بمرض حاد، وقد كان ضعيف البصر ومصاباً بحالة جيوب أنفية مزمنة والتى جعلت الحرب مثيرة له؛ حيث إنها حالت بينه وبين السفر عبر البحار. كانت أكبر مميزاته هى زوجته وأكبر مميزات زوجته هى صديقة شابة تدعى دورى دوز والتى كانت تفعل ما يحلو له.

كانت دورى روز امرأة جميلة صغيرة لعوباً، وكان هناك القليل من الأشياء التى لم تجربها وأشياء أقل لا تنوى القيام بها. كانت جريئة ونحيفة وعدوانية وفى التاسعة عشرة فقط من عمرها. كانت تدمر الرجال بالجملة وتجعلهم يكرهون أنفسهم فى الصباح لأجل الطريقة التى رأتهم بها واستغلتهم بها وألقت بهم جانباً، وقد أحبها يوساريان فقد كانت رائعة الجمال، بينما كانت تعتقد أنه متوسط الوسامة فقط. وقد أحب يوساريان دورى روز كثيراً لدرجة أنه لم يستطع منع نفسه من التقرب إلى زوجة الملازم شسكوبف؛ وذلك للانتقام من الملازم شسكوبف لأجل الطريقة التى كان ينتقم بها الملازم شسكوبف من كليفنجر.

وقد كانت زوجة شسكوبف تنتقم من الملازم شسكوبف لأجل جريمة لا تغتفر ارتكبها والتى لا تستطيع تذكرها. كانت فتاة ممتلئة الجسم ووردية اللون وكسولة وتقرأ كتباً جيدة ولا تكف عن نصح يوساريان بألا يكون بورجوازياً. كانت لا تجلس بمكان إلا وإلى جوارها كتاب جيد، حتى حينما تكون مع يوساريان وحدهما. كانت تشعر يوساريان بالملل ولكنه كان يحبها أيضاً. وقد كانت أستاذة فى مادة الرياضيات

بكلية وارتون لإدارة الأعمال حتى رغم عدم مقدرتها على العد إلى ثمانية وعشرين فى كل شهر دون إحداث مشكلة.

كانت تقول ليوساريان كل شهر: "عزيزى، سوف نرزق بطفل ثانية".

كان يجيبها قائلاً: "لقد جننت".

قالت فى إصرار: "أنا أعنى هذا".

"وكذلك أنا".

كما كانت تقول لزوجها: "عزيزى، سوف نرزق بطفل ثانية".

يدمدم الملازم شسكوبف بوقاحة قائلاً: "ليس لدىّ وقت لهذا، ألا تعلمين أننى أدير استعراضاً عسكرياً؟".

كان الملازم شسكوبف يصب جل اهتمامه على الفوز بالاستعراضات العسكرية وجر كليفنجر إلى المحاكمة العسكرية واتهامه بالتآمر لتأييد إسقاط الضباط العسكريين الذين قام الملازم شسكوبف بتعيينهم. كان كليفنجر مشاغباً ورجلاً حكيماً، وقد كان الملازم شسكوبف يعلم أن كليفنجر قد يسبب مزيداً من المشكلات حتى فى حالة عدم وضعه تحت المراقبة؛ فاليوم هو يشاكس الضباط العسكريين وغداً ربما يشاكس العالم أجمع. لقد كان كليفنجر يمتلك عقلاً وقد لاحظ الملازم شسكوبف أن الناس من أصحاب العقول يصبحون شديدى الذكاء فى بعض الأحيان. ومثل هؤلاء الأشخاص خطرون، وحتى الضباط العسكريون الجدد الذين ساعد كليفنجر فى تعيينهم كانوا يتوقون إلى الشهادة ضده، وقد تم إقامة الدعوى القضائية ضد كليفنجر وإغلاقها؛ فقد كان الشىء الوحيد المفقود هو وجود تهمة محددة.

لم يكن لهذه التهمة أن تكون لها علاقة بالاستعراضات العسكرية؛ حيث إن كليفنجر كان يأخذ أمرها بجدية شأنه شأن الملازم شسكوبف. كان الرجال يجتمعون من أجل الاستعراضات العسكرية فى وقت مبكر من فترة بعد الظهيرة من كل يوم أحد ويحتشدون فى صفوف مكونة من اثنى عشر رجلاً ويتلمسون طريقهم خارج الثكنات، وبينما هم يتأوهون من أثر الإسراف فى الشراب يمشون فى تهادٍ وترنح إلى وجهتهم بأرض الاستعراضات العسكرية الرئيسية؛ حيث يقفون دون حراك لمدة ساعة أو ساعتين مع رجال الستين أو السبعين سرية الآخرين حتى ينهار عدد كافٍ منهم قبل أن ينتهى اليوم، وفى طرف الحقل يقف صف من عربات الإسعاف وفرق من حاملى النقالات المدربين ممن يمسكون بأجهزة إرسال واستقبال، وعلى أسطح سيارات الإسعاف يقف مراقبون يحملون تلسكوبات، بينما يقوم موظف التسجيل بالعد. وكان المشرف على هذه المرحلة بأكملها من العملية ضابطاً طبيباً ذا نزعة للعد والذى كان يوافق على قراءات النبض ويفحص أرقام موظف التسجيل، وبمجرد

جمع عدد كافٍ من الرجال الفاقدين للوعى فى عربات الإسعاف يشير الضابط الطبيب إلى قائد الفرقة بأن يجعل الفرقة تبدأ فى العزف وتنهى الاستعراض العسكرى، وتبدأ السريات واحدة تلو الأخرى فى صعود التل وهى تنحرف ببطء حول منصة المتفرجين وتهبط التل عائدة إلى ثكناتها.

كانت كل سرية تأخذ درجة أثناء سيرها أمام منصة المتفرجين؛ حيث يجلس كولونيل منتفخ ذو شارب ضخم مع ضباط آخرين، وكانت أفضل سرية بكل جناح تفوز بعلم أصفر على سارية والذى كان عديم القيمة تماماً، وكانت أفضل سرية بالقاعدة تفوز بعلم أحمر على سارية أطول والذى كان أقل قيمة؛ حيث إن السارية تكون أثقل، وبالتالى يكون من البغيض والمزعج حمله طوال الأسبوع حتى تفوز به سرية أخرى الأحد التالى. وبالنسبة ليوساريان كانت فكرة الأعلام كجوائز سخيفة للغاية. فلم تكن هناك جوائز مادية أو امتيازات دراسية، فشأنها شأن ميداليات الألعاب الأوليمبية والنصب التذكارية فى لعبة التنس، فكل ما كانت تعنيه أن صاحبها قد أنجز شيئاً، ليس له قيمة لأى أحد، ببراعة أكثر من أى أحد آخر.

والاستعراضات العسكرية نفسها بدت جميعاً سخيفة، فقد كان يوساريان يبغض العرض العسكرى. فقد كانت الاستعراضات عسكرية للغاية، وهو كان يبغض سماعها ويبغض رؤيتها ويبغض زحمة السير التى تسببها. كان يبغض إرغامه على المشاركة فيها. فكان بغيضاً بما فيه الكفاية أن يكون ملاحاً جوياً دون أن يضطر إلى تمثيل دور الجندى تحت أشعة الشمس الحارقة فى فترة بعد الظهيرة من كل أحد. كان بغيضاً بما فيه الكفاية أن يكون ملاحاً جوياً لأنه بات من الواضح الآن أن الحرب لن تنتهى قبل أن يكمل تدريبه، وهذا هو السبب الوحيد الذى جعله يتطوع فى التدريب العسكرى فى المقام الأول. فبصفته جنديا تأهل للتدريب على الملاحة الجوية كان أمامه أسابيع وأسابيع من الانتظار للالتحاق بفصل دراسى، وأسابيع أخرى ليصبح ملاحاً ـ مدفعياً، وأسابيع وأسابيع أخرى من التدريب على العمليات الحربية بعد ذلك ليصبح مستعداً لأداء واجبه عبر البحار، وقد بدا من غير المقنع فى هذا الحين أن الحرب قد تستمر كل هذا الوقت ولكن الحرب لم توشك على الانتهاء، بينما أوشك تدريبه هو على الانتهاء.

وقد كان شغل الملازم شسكوبف الشاغل هو التركيز على الفوز فى الاستعراضات العسكرية، وكان يظل مستيقظاً نصف الليل يعمل عليها بينما تنتظره زوجته فى الفراش وهى تتصفح فقراتها المفضلة فى كتاب كرافت ـ إيبنج. وقد كان هو يقرأ كتباً عن المسيرات العسكرية وكان يتلاعب بنماذج جنود من الشيكولاتة حتى تذوب فى يديه، ثم يدير مناورات بين صفوف مكونة من اثنى عشر صفاً من مجموعات من رعاة البقر البلاستيكية والتى اشتراها عن طريق البريد تحت اسم مستعار

وأبقاها بعيداً عن أعين الجميع أثناء النهار. كما اكتشف قيمة تدريبات ليوناردو فى علم التشريح، وفى إحدى الليالى استشعر ضرورة وجود نموذج حى وطلب من زوجته أن تسير حول الغرفة.

سألت وهى مفعمة بالأمل: "عارية؟".

ضرب الملازم شسكوبف عينيه بكلتا يديه فى سخط، فكان من حظ الملازم شسكوبف التعس أن يكون مصيره مرتبطاً بامرأة لا تستطيع أن تنظر فيما وراء شهواتها ورغباتها الجنسية إلى الصراعات الهائلة التى يخوضها ذلك الرجل النبيل ببسالة كى يحقق المستحيل.

تجهمت ذات ليلة قائلة: "لماذا لا تضربنى بالسوط؟".

أجابها بصبر نافد: "لأنه ليس لدى وقت. لا أملك وقتاً. ألا تعلمين أننى أدير عرضاً عسكرياً؟".

وهو بالفعل لم يكن يملك وقتاً؛ فقد كان هذا هو يوم الأحد ولم يكن أمامه سوى سبعة أيام للاستعداد للعرض العسكرى التالى. لم يكن يمتلك أدنى فكرة كيف تمضى الساعات. فاحتلال المركز الأخير فى ثلاثة استعراضات متتالية قد أكسب الملازم شسكوبف سمعة بغيضة، وهو قد فكر ملياً فى جميع الوسائل التى يمكنه استخدامها لتحسين فرقته، ومن بينها تسمير الاثنى عشر رجلاً كل على حدة فى رافدة خشبية طويلة من شجر البلوط الجاف كى يبقيهم مصطفين فى خط، ولم تكن هذه الخطة عملية؛ حيث إن تنفيذ استدارة بزاوية تسعين درجة سيكون مستحيلاً دون زرع مفصلات من النيكل فى ظهر كل رجل، ولم يكن الملازم شسكوبف متعطشاً للدماء للدرجة التى تجعله يطلب عدداً كبيراً من مفصلات النيكل من أمين الإمدادات أو طلب المساعدة من جراحى المستشفى.

وفى الأسبوع التالى لقبول الملازم شسكوبف نصيحة كليفنجر وسماحه للرجال بانتخاب ضباطهم العسكريين فازت السرية بالعلم الأصفر، وقد كان الملازم شسكوبف سعيداً للغاية بهذا الإنجاز غير المتوقع حتى إنه صفع زوجته على رأسها بالعلم، حينما حاولت جره إلى الفراش للاحتفال، وفى الأسبوع التالى فازت السرية بالعلم الأحمر؛ مما جعل الملازم شسكوبف يشعر بسعادة بالغة. وفى الأسبوع التالى دخلت سريته التاريخ عن طريق الفوز بالعلم الأحمر للأسبوع التالى على التوالى! والآن أصبح الملازم شسكوبف يملك ثقة كافية فى قدراته لدرجة تجعله يكشف عن مفاجأته؛ فقد اكتشف الملازم شسكوبف فى أبحاثه المستفيضة أن أيدى المشاة ـ بدلاً من أن تتأرجح بحرية كما هو شائع ـ لابد ألا تبتعد أكثر من ثلاث بوصات عن مركز الفخذ، الأمر الذى يعنى أنهم لن يتأرجحوا مطلقاً.

وقد كانت تجهيزات الملازم شسكوبف واسعة وسرية؛ فكل الضباط فى سريته

أقسموا على السرية وتدربوا فى ظلام الليل بأرض الاستعراضات العسكرية الإضافية، وقد كانوا يسيرون فى ظلام قاتم ويتخبطون فى بعضهم البعض ولكنهم لم يخافوا، وكانوا يتعلمون كيف يسيرون دون تحريك أيديهم. وقد فكر الملازم شسكوبف فى جعل صديق له من متجر الألواح المعدنية يقوم بغرس أوتار من مفصلات النيكل داخل عظمة الفخذ داخل جسم كل رجل ويربطها بالمعاصم بشرائط من سلك القصدير يبلغ طوله ثلاث بوصات تماماً، ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت ـ لم يكن هناك قط متسع من الوقت ـ وكان من الصعب الحصول على سلك قصدير جيد فى وقت الحرب، وقد تذكر أيضاً أن مثل هذا التقييد سيجعل الرجال غير قادرين على السقوط بالشكل الصحيح أثناء طقس الإغماء المبهر الذى يلى المسيرة، ومثل هذا العجز عن الإغماء بالشكل الصحيح من شأنه أن يؤثر على تصنيف الوحدة ككل.

وقد ظل طوال الأسبوع يضحك فى نشوة بنادى الضباط، وقد زاد الترقب بين أصدقائه المقربين.

قال الملازم أنجل: "أتساءل ماذا ينوى هذا الحقير فعله!".

أجاب الملازم شسكوبف بابتسامة واثقة على أسئلة زملائه: "سوف تكتشفون يوم الأحد. سوف تكتشفون يوم الأحد".

وقد كشف الملازم شسكوبف عن مفاجأته فى هذا الأحد بكل ثقة؛ فلم يقل شيئاً أثناء سير السريات الأخرى بتمهل أمام منصة المتفرجين بشكل معقوف بطريقتهم المعتادة، ولم يشر للأمر حتى حينما ظهرت صفوفه الأولى بمشيتها غير المتأرجحة وعلت الأصوات التى تنم عن الفزع بين أصدقائه الضباط المندهشين، كما ظل صامتاً حتى جاء إليه الكولونيل المنتفخ ذو الشارب الضخم منقضاً عليه بوجهه الأرجوانى، وفى ذلك الحين فقط قدم شرحه الذى جعله علامة لا تنسى فى تاريخ العسكرية.

حيث أعلن قائلاً: "انظر أيها الكولونيل، بدون أيد".

وقام بتوزيع صور فوتوغرافية لتلك التقنية المعقدة التى أسس عليها نصره العظيم على الجمهور الذى أخرسه الفزع. كانت تلك أسعد لحظات الملازم شسكوبف. لقد فاز بالعلم الأحمر بالطبع بفكرة الأيدى لأسفل، هذا الفوز الذى أهله للاحتفاظ الدائم بالعلم الأحمر، وهو الأمر الذى أدى إلى توقف الاستعراضات العسكرية ليوم الأحد كلية؛ حيث كان من الصعب الحصول على أعلام حمراء جيدة فى وقت الحرب، كما كان من الصعب الحصول على سلك قصدير جيد، وقد ترقى الملازم شسكويب ليصبح الملازم أول شسكوبف على الفور وسرعان ما بدأ التدرج فى الرتب، وقد كان الكثيرون يعتبرونه عبقرية عسكرية حقيقية لأجل اكتشافه المهم.

قال الملازم ترافرز: "إن الملازم شسكوبف هذا هو عبقرية عسكرية حقيقية".

وافقه الملازم أنجل قائلا: "نعم هذا صحيح. من المؤسف أن هذا المعتوه لا يقوم بضرب زوجته بالسوط".

أجابه الملازم ترافرز بهدوء: "لا أرى علاقة هذا بالأمر. إن الملازم بيمس يضرب زوجته السيدة بيمس بالسوط بشكل جميل فى كل مرة يعاشرها فيها ومع ذلك فإنه لا يفقه شيئا عن الاستعراضات العسكرية".

قال الملازم أنجل: "أنا أتحدث عن الجلد بالسوط. من يهتم لأمر الاستعراضات العسكرية؟".

فى الواقع لا أحد سوى الملازم شسكوبف يهتم لأمر الاستعراضات العسكرية، وأقل المهتمين لأمرها هو الكولونيل المنتفخ ذو الشارب الضخم والذى كان رئيسا للمحكمة العسكرية والذى بدأ يجأر على كليفنجر منذ اللحظة التى خطا فيها كليفنجر بحذر إلى القاعة كى يبرئ نفسه من التهم التى وجهها الملازم شسكوبف إليه: فقد ضرب الكولونيل بقبضته على الطاولة وجرح يده مما جعله يزداد غضبا من كليفنجر ويضرب بيده مجددا على الطاولة بقوة أكبر ليزيد جرح يده أكثر. حملق الملازم شسكوبف بغضب فى كليفنجر وهو يزم شفتيه ويشعر بالخزى من الانطباع السيئ الذى يتركه كليفنجر.

صاح الكولونيل ذو الشارب الضخم: "خلال ستين يوما سوف تقاتل فى حرب حقيقية، وأنت تعتقد أن ذلك مجرد مزحة كبيرة".

أجابه كليفنجر: "لا أعتقد أنها مزحة يا سيدى".

"لا تقاطعنى".

"نعم يا سيدى".

أمره الرائد ميتكالف: "وقل"يا سيدى" حينما تتحدث".

"نعم يا سيدى".

سأل الرائد ميتكالف بهدوء: "ألم تؤمر للتو ألا تقاطع؟".

قال كليفنجر معترضا: "ولكننى لم أقاطع يا سيدى".

"بل فعلت. ولم تقل" يا سيدى"أيضا"، ثم وجه الرائد ميتكالف كلامه إلى العريف الذى يسجل وقائع الجلسة قائلا: "أضف هذا إلى التهم الموجهة إليه. عدم مناداة رؤسائه من الضباط بكلمة "سيدى" عند عدم مقاطعتهم".

قال الكولونيل: "ميتكالف. إنك أحمق لعين. ألا تعرف هذا؟".

ابتلع الرائد ميتكالف لعابه بصعوبة وقال: "بلى يا سيدى".

"إذن أبق فمك مغلقا. إنك تتفوه بحماقات".

كان هناك ثلاثة أعضاء من المحكمة العسكرية، الكولونيل المنتفخ ذو الشارب

الضخم والملازم شسكويف والرائد ميتكالف والذى كان يحاول تطوير طريقة تحديق فولاذية، وبوصفه عضواً فى المحكمة كان الملازم شسكويف أحد القضاة الذين سيقومون بتقييم القضية المرفوعة ضد كليفنجر كما يعرضها المدعى، وقد كان الملازم شسكويف هو المدعى كذلك. وكان هناك ضابط يدافع عن كليفنجر، وكان الضابط الذى يدافع عنه هو الملازم شسكويف.

كان الأمر برمته مربكاً للغاية لكليفنجر، والذى بدأ يرتعد خوفاً حينما هب الكولونيل واقفاً على قدميه مثل قذيفة هائلة وهدد بأن يفصل جسده القذر والجبان نصفين؛ ففى أحد الأيام تعثر أثناء السير إلى الفصل، وفى اليوم التالى تم اتهامه رسمياً بـ "إشاعة الفوضى فى الصفوف أثناء تشكيلها، اعتداء إجرامى، سلوك مشوش، الاستغراق فى التفكير، الخيانة العظمى، التحريض، التذاكى، الاستماع إلى موسيقى كلاسيكية، وما إلى ذلك". وباختصار، لقد اتهموه بكل ما يمكن اتهام شخص به وها هو ذا يقف فى فزع أمام الكولونيل المنتفخ والذى زأر مرة أخرى قائلاً إنه خلال ستين يوماً سوف يذهب للحرب، وطالب بأن يعرف كيف يمكن أن تروق له عملية انتقاله إلى جزر سليمان لدفن الجثث؟ وقد أجابه كليفنجر بكياسة أن هذا الأمر لن يروق له؛ فقد كان يفضل أن يكون جثة على أن يدفن واحدة. جلس الكولونيل واتكأ للخلف بعدما أصبح هادئاً ومتملقاً وحذراً فجأة.

سأل ببطء: "ماذا كنت تعنى حينما قلت إنه ليس بإمكاننا معاقبتك؟".

"متى يا سيدى؟".

"أنا أطرح الأسئلة وأنت تجيب عنها".

"نعم يا سيدى، أنا ــــــ".

"هل تعتقد أننا جئنا بك إلى هنا كى تطرح أسئلة وأجيب أنا عنها؟".

"لا يا سيدى، أنا ــــــ".

"لماذا أتينا بك إلى هنا؟".

"كى أجيب عن الأسئلة".

زأر الكولونيل: "هذا صحيح. الآن ابدأ فى الإجابة عن الأسئلة قبل أن أحطم رأسك اللعين. ماذا كنت تعنى أيها الوغد حينما قلت إنه ليس فى مقدورنا معاقبتك؟".

"لا أعتقد أننى قلت شيئاً مثل هذا يا سيدى".

"هلاّ رفعت صوتك من فضلك! أنا لا أستطيع سماعك".

"نعم ياسيدى، أنا ــــــــــ".

"هلاّ رفعت صوتك من فضلك! إنه لا يستطيع سماعك".

"نعم يا سيدى، أنا ـــــــ".

"ميتكالف".

"سيدى؟".

"ألم أقل لك أن تبقى فمك مغلقاً؟".

"نعم يا سيدى".

"إذن أبق فمك مغلقاً حينما آمرك بأن تبقى فمك مغلقاً. هل تفهم ذلك؟ رفعت صوتك من فضلك! أنا لا أستطيع سماعك".

"نعم يا سيدى، أنا ـ".

"ميتكالف، هل تلك هى قدمك التى أدوس عليها؟".

"لا يا سيدى. لابد أنها قدم الملازم شسكوبف".

قال الملازم شسكوبف: "إنها ليست قدمى".

قال الرائد ميتكالف: "إذن ربما تكون قدمى".

"أبعدها".

"نعم يا سيدى. سيكون عليك إبعاد قدمك أولاً يا كولونيل؛ فهى فوق قدم

"هل تأمرنى بأن أبعد قدمى؟".

"لا يا سيدى. بالطبع لا يا سيدى".

"إذن أبعد قدمك وأبق فمك الغبى مغلقاً. هلاّ رفعت صوتك من فضلك مازلت لا أستطيع سماعك".

"نعم يا سيدى. لقد قلت إننى لم أقل إنه ليس فى مقدوركم عقابى".

"إذن ما الذى تتحدث عنه؟".

"أنا أجيب عن سؤالك يا سيدى".

"أى سؤال؟".

قال العريف الذى يسجل الوقائع وهو يقرأ من دفتره: "ماذا كنت تعنى الوغد حينما قلت إنه ليس فى مقدورنا معاقبتك؟".

قال الكولونيل: "حسناً، ماذا كنت تعنى؟".

"أنا لم أقل إنه ليس فى مقدوركم معاقبتى يا سيدى".

سأل الكولونيل: "متى؟".

"متى ماذا يا سيدى؟".

"الآن أنت تطرح علىّ أسئلة مرة أخرى".

"أنا آسف يا سيدى. أخشى أننى لا أفهم سؤالك".

"متى لم تقل إننا لا نستطيع معاقبتك؟ ألا تفهم سؤالى؟".

"لا يا سيدى لا أفهم".

"لقد أخبرتنا بهذا لتوك. الآن أجب عن سؤالى".

"ولكن كيف لى أن أجيب عنه؟".

"هذا سؤال آخر تطرحه علىّ".

"أنا آسف يا سيدى، ولكنى لا أعرف كيف أجيب عنه. أنا لم أقل قط إنه ليس بإمكانكم معاقبتى".

"الآن أنت تخبرنا متى قلت هذا. أنا أطلب منك أن تخبرنا متى لم تقل هذا".

أخذ كليفنجر نفساً عميقاً: "أنا لم أقل دائمًا إنه ليس بإمكانك معاقبتى".

"هذا أفضل كثيراً يا سيد كليفنجر، حتى على الرغم من أن تلك كذبة وقحة. ليلة أمس فى مرحاض الثكنة، ألم تهمس قائلاً إنه ليس فى مقدورنا معاقبتك لهذا الوغد القذر الآخر الذى لا نحبه. ما اسمه؟".

قال الملازم شسكوبف: "يوساريان يا سيدى".

"نعم، يوساريان. هذا صحيح. يوساريان؟ هل هذا اسم؟ يوساريان ؟ أى نوع من الأسماء هذا؟".

كان الملازم شسكوبف جاهزاً بجميع الأجوبة، فقال: "إنه اسم يوساريان يا سيدى".

"نعم، أعتقد هذا. ألم تهمس إلى يوساريان قائلاً إنه ليس بإمكاننا عقابك؟".

"لا، لا يا سيدى. لقد همست له قائلاً إنكم لن تجدوننى مذنباً ـ".

قاطعه الكولونيل قائلاً: "ربما أكون غبياً، ولكننى لا أرى فارقاً. أعتقد أننى شديد الغباء لأننى لا أرى فارقاً".

"أنا ـــــ".

"أنت وغد، أليس كذلك؟ ليس هناك من يطلب منك توضيحاً، وأنت تعطينى توضيحاً. لقد كنت أؤكد حقيقة، لا أطلب توضيحاً. أنت وغد، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى".

"لا يا سيدى ؟ هل تنعتنى بالكاذب؟".

"لا يا سيدى".

"إذن أنت وغد، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى".

"هل تحاول التشاجر معى؟".

"لا يا سيدى".

"هل أنت وغد؟".

"لا يا سيدى".

"اللعنة. أنت تحاول التشاجر معى. سوف أقفز فوق هذه الطاولة الفخمة

وأفصل جسمك القذر الجبان نصفين".

صاح الرائد ميتكالف: "فلتفعل ذلك! فلتفعل ذلك!".

"ميتكالف، يا أيها الوغد الحقير. ألم آمرك بأن تبقى فمك الجبان القذر الغبى مغلقاً؟".

"نعم يا سيدى. أنا آسف يا سيدى".

"إذن افعل هذا".

"أنا فقط أحاول التعلم يا سيدى، والطريقة الوحيدة التى يمكن للمرء التعلم من خلالها هى المحاولة".

"من قال هذا؟".

"الجميع يقولون هذا يا سيدى. حتى الملازم شسكوبف يقول هذا".

"هل تقول هذا؟".

قال الملازم شسكوبف: "نعم يا سيدى، ولكن الجميع يقولون هذا".

"حسناً يا ميتكالف. الآن أبق فمك الغبى هذا مغلقاً وربما تلك هى الطريقة التى تتعلم بها. الآن، أين كنا؟ اقرأ لى السطر الأخير".

قرأ العريف الذى يسجل وقائع الجلسة: "اقرأ لى السطر الأخير".

صاح الكولونيل: "ليس *سطرى* الأخير أيها الغبى! سطر أحد آخر".

قرأ العريف: "اقرأ لى السطر الأخير".

ارتعد الكولونيل بعدما تورد وجهه من فرط الغضب: "هذا هو *سطرى* الأخيرة مرة أخرى!".

صححه العريف: "لا يا سيدى. هذا هو *سطرى* الأخير. لقد قرأته عليك منذ لحظة مضت. ألا تذكر يا سيدى؟ كان ذلك منذ لحظة واحدة فقط".

"يا إلهى! اقرأ لى *سطره* الأخير أيها الغبى. أخبرنى ما اسمك؟".

"بوبنجاى يا سيدى".

"حسناً، أنت التالى يا بوبنجاى. بمجرد انتهاء هذه المحاكمة، ستبدأ محاكمتك، حسناً؟".

"نعم يا سيدى. ولكن ما التهمة؟".

"أى فارق سيحدثه ذلك؟ أسمعتم السؤال الذى طرحه علىّ؟ سوف تتعلم يا بوبنجاى ـ فى اللحظة التى ننتهى فيها من كليفنجر ـ سوف تتعلم. أيها الجندى كليفنجر، ماذا ـ إنك الجندى كليفنجر، أليس كذلك وليس بوبنجاى؟".

"نعم ياسيدى؟".

"جيد. ماذا ــــــ".

"أنا بوبنجاى يا سيدى".

"بوبنجاى، هل والدك مليونير أو عضو فى مجلس الشيوخ؟".

"لا يا سيدى".

"إذن فأنت واقع فى مشكلة حقيقية يا بوبنجاى. إنه ليس جنرالاً أو عضواً ذا رتبة عالية فى الحكومة، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى".

"هذا جيد. ماذا يعمل والدك؟".

"إنه ميت يا سيدى".

"هذا جيد جداً. أنت واقع حقاً فى ورطة كبرى يا بوبنجاى. هل بوبنجاى هو حقاً اسم؟ أى نوع من الأسماء هذا بأية حال؟ إنه لا يعجبنى".

قال الملازم شسكوبف: "إنه اسم بوبنجاى يا سيدى".

"حسنا، إنه لا يعجبنى يا بوبنجاى، وأنا لا أطيق صبرا على فصل جسدك القذر الجبان نصفين. أيها الجندى كليفنجر، هلاً أعدت من فضلك ما كنت تقوله أو ما لم تقله ليوساريان ليلة أمس فى المرحاض!".

"نعم يا سيدى. قلت إنه ليس بإمكانكم أن تجدونى مذنبا ـ".

"سوف نبدأ من هذه النقطة. ماذا كنت تعنى يا أيها الجندى كليفنجر بالتحديد حينما قلت إنه ليس بمقدورنا أن نجدك مذنبا؟".

"أنا لم أقل إنه ليس بمقدوركم أن تجدونى مذنبا".

"متى؟".

"متى ماذا يا سيدى؟".

"اللعنة، هل ستبدأ فى طرح الأسئلة علىّ مرة أخرى؟".

"لا يا سيدى. أنا آسف يا سيدى".

"إذن أجب عن السؤال. متى لم تقل إنه ليس فى مقدورنا أن نجدك مذنبا؟".

"فى وقت متأخر من ليلة أمس فى المرحاض يا سيدى".

"هل تلك هى المرة الوحيدة التى لم تقل فيها هذا؟".

"لا يا سيدى. أنا لم أقل دوماً إنه ليس فى مقدوركم أن تجدونى مذنباً يا سيدى. ما قلته ليوساريان هو ـ".

"لم يسألك أحد عما قلته ليوساريان. لقد سألناك عما لم تقله له. إننا لا نهتم مطلقاً بما قلته ليوساريان. هل هذا واضح؟".

"نعم يا سيدى".

"إذن فلنواصل. ماذا قلت ليوساريان؟".

"قلت له يا سيدى إنه ليس بإمكانكم أن تجدونى مذنباً فى التهمة الموجهة إلىّ وإننى مازلت أومن فى فكرة ـ".

"فكرة ماذا؟ أنت تتمتم".

"توقف عن التمتمة".

"نعم يا سيدى".

"وتمتم بـ "سيدى" حينما تفعل".

"ميتكالف، أيها الوغد!".

تمتم كليفنجر: "نعم يا سيدى. فكرة العدالة يا سيدى. إنكم لا تستطيعون ايجاد ــــــ".

كان الكولونيل مذهولا: "العدالة؟ ما العدالة؟".

"العدالة يا سيدى ــــــ".

سخر منه الكولونيل وبدأ فى ضرب الطاولة ثانية بيديه الممتلئتين وقال: "تلك ليست هى العدالة. دعك من حديث كارل ماركس هذا، سوف أخبرك ما العدالة، العدالة هى ضربة فى الأحشاء، طعنة غادرة توجهها لعدوك على متن سفينة حربية محملة بأكياس الرمل سرا فى الظلام دون كلمة تحذير واحدة. الإعدام بالطوق الحديدى. هذه هى العدالة حينما يكون علينا أن نكون أقوياء بما فيه الكفاية لمحاربة أعدائنا. هل فهمت؟".

"لا يا سيدى".

"لا تنادنى بسيدى!".

"نعم يا سيدى".

أمره الرائد ميتكالف: "وقل" سيدى" حينما لا تفعل".

كان كليفنجر مذنبا بالطبع حتى دون أن يوجه الاتهام، وبالتالى كان عليهم أن يجدوه مذنبا؛ فقد كان واجبهم الوطنى القيام بذلك، وبالفعل تلقى حكما بالسير سبعا وخمسين جولة عقابية، وقد تم حبس بوبنجاى لتلقينه درسا، وإرسال الرائد ميتكالف إلى جزر سليمان كى يدفن الجثث، وقد كانت الجولة العقابية عبارة عن خمسين دقيقة من عطلة نهاية الأسبوع يمضيها كليفنجر جيئة وذهابا أمام مبنى قائد الشرطة العسكرية وهو يحمل بندقية غير محشوة تزن طنا على كتفه.

كان الأمر برمته مربكا للغاية لكليفنجر؛ فقد كانت هناك العديد من الأمور الغريبة التى تحدث ولكن أغربها جميعا بالنسبة لكليفنجر كان الكراهية، تلك الكراهية الوحشية الصريحة العنيدة التى حملها إزاءه أعضاء المحكمة العسكرية والذين كانوا يصقلون تعبيراتهم غير المتسامحة بطبقة صلبة انتقامية ويتوهجون وهم يضيقون أعينهم بخبث مثل فحم متعذر إطفاؤه. كان كليفنجر مذهولا باكتشافه هذا؛ فهم كانوا يعدمونه من غير محاكمة إن أمكنهم هذا. لقد كانوا ثلاثة رجال ناضجين وكان هو فتى، وقد كرهوه وتمنوا موته. لقد كرهوه قبل

أن يأتى وكرهوه أثناء وجوده هناك وكرهوه بعد مغادرته وحملوا كرههم له معهم بخبث مثل كنز ثمين بعد أن تفرقوا وذهب كل منهم فى طريقه.

وقد بذل يوساريان كل ما فى وسعه لتحذيره فى الليلة السابقة. قال له بشكل كئيب: "ليس أمامك أية فرصة يا فتى؛ فهم يكرهون كل من يعتنق ديانة أخرى".

أجابه كليفنجر: "ولكنى لا أعتنق ديانة أخرى".

وعده يوساريان وكان محقاً: "لن يشكل هذا فارقاً. إنهم يسعون وراء الجميع".

وقد تعافى كليفنجر من كراهيتهم كمن يتعافى من الضوء الساطع الذى يعمى الأعين. إن هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يبغضونه يتحدثون لغته ويرتدون زيه ولكنه رأى وجوههم غير الودودة تتمخض عن تعبيرات متشنجة من العدوانية وعرف على الفور أنه ما من مكان بالعالم - ليس حتى فى جميع الدبابات أو الطائرات أو الغواصات الفاشية، ليس فى الغرف المحصنة خلف المدافع الرشاشة أو مدافع الهاون أو خلف قاذفات اللهب، ليس حتى بين المدفعيين الخبراء لمدافع هيرمان جويرنج الحربية المضادة للطائرات أو بين المتآمرين بجميع ملاهى ميونيخ أو أى مكان آخر - يوجد رجال يبغضونه أكثر.

٩
الرائد ميجور ميجور ميجور

كان الرائد ميجور ميجور ميجور يعانى الكثير منذ البداية.

فشأنه شأن منيفر شيفى؛ فقد وُلد متأخراً للغاية ـ بالتحديد بعد ست وثلاثين ساعة مما دمر الحالة الصحية لوالدته، تلك المرأة الرقيقة المريضة والتى بعد مرور يوم والنصف من المعاناة من آلام الولادة القاسية فقدت كل عزيمتها على الاستمرار فى المجادلة بشأن اسم المولود الجديد. وفى رواق المستشفى سار زوجها بعزيمة جادة لشخص يعرف جيداً ما هو مقدم على فعله. وقد كان والد الرائد ميجور طويلاً ونحيلا ويرتدى حذاء ثقيلاً وحُلة صوفية سوداء، وقد ملأ شهادة الميلاد دون تردد ودون إظهار أية عاطفة أثناء تسليم الاستمارة المكتملة لمرضة الطابق، وقد أخذتها الممرضة منه دون تعليق واختفت عن الأنظار، وقد ظل يراقبها وهى تسير متساءلا عما ترتدى من ملابس تحت ثياب الممرضات.

وحينما عاد إلى الجناح وجد زوجته ترقد بلا حيلة أسفل الشراشف مثل ثمرة خضراوات قديمة جافة مجعدة بيضاء تستقر أنسجتها الضعيفة فى سكون. كان فراشها فى نهاية الجناح بالقرب من نافذة متصدعة يغطيها السخام. كان المطر يتساقط فى صورة رذاذ من السماء الصاخبة وكان اليوم كئيباً وبارداً. وفى أماكن أخرى من المستشفى كان أناس بيض كالطباشير ذوو شفاه عجوز زرقاء يموتون كل فى موعده. وقف الرجل منتصباً إلى جوار الفراش وظل يحملق بالمرأة فترة طويلة.

قال لها أخيراً بصوت رقيق: "لقد أسميت الصبى كاليب كما كنت تريدين". لم تجب المرأة مما جعل الرجل يبتسم ببطء. لقد خطط للأمر برمته بحرص؛ فقد كانت زوجته نائمة ولن تعرف أبداً أنه كذب عليها أثناء رقودها على فراش المرض فى الجناح الفقير من مستشفى المقاطعة.

وانطلاقا من هذه البداية الحزينة بزغ قائد السرية غير الكفء والذى كان يمضى أفضل وقت من يوم العمل فى بيانوسا فى تزوير اسم واشنطن إيرفنج على الوثائق الرسمية. كان الرائد ميجور يزور باجتهاد باستخدام يده اليسرى للتملص من التطابق، ويحصن نفسه من التطفل باستخدام سلطته المطلقة، ويستخدم أسلوب التمويه كوسيلة وقاية إضافية عسى أن يفضح أحدهم أمره إذا

ما اختلس النظر مصادفة عبر النافذة السليوليد المزرية والتى كان قد انتزع منها أحد السارقين لوحاً زجاجياً، وبين هذين النقطتين اللتين تمثلان مولده ونجاحه يوجد واحد وثلاثون عاماً موحشاً من الوحدة والإحباط.

فقد ولد الرائد ميجور متأخراً للغاية وكان شخصًا عادياً للغاية. بعض الرجال يولدون عاديين وبعض الرجال يصبحون عاديين وبعض الرجال يصبحون عاديين رغماً عنهم. وفى حالة الرائد ميجور كان ما حدث هو الثلاثة. فحتى بين الرجال الذين يفتقرون إلى التميز كان يبدو أكثر افتقاراً لأى تمييز من الآخرين، وكان الناس ممن يقابلونه ينبهرون دوماً بشخصيته غير المبهرة بالمرة.

وكان بحياة الرائد ميجور ثلاث قوى مؤثرة منذ البداية ـ أمه وأبوه وهنرى فوندا، والذى كان يشبهه بطريقة غريبة منذ لحظة ولادته. وقبل فترة طويلة من اكتشافه من هو هنرى فوندا، كان يجد أن الآخرين يقارنون بينهما دوماً فى كل مكان يذهب إليه، تلك المقارنات التى لا تكون فى صالحه. وكان الغرباء يرون أنه من الملائم تماماً أن ينتقصوا من قدره، وقد أدى ذلك إلى معاناة مبكرة له وخوف مشوب بالذنب من الناس ونزعة متذللة للاعتذار إلى المجتمع لحقيقة أنه لم يكن هنرى فوندا، ولم تكن بالمهمة اليسيرة بالنسبة له أن يمضى قدماً فى الحياة وهو يحمل شبهاً كبيراً بهنرى فوندا، ولكنه لم يفكر قط فى الاستسلام؛ حيث إنه قد ورث تحفظه من والده والذى كان رجلاً نحيلاً وطويلاً يتمتع بحس فكاهة جيد.

كان والد الرائد ميجور رجلاً يخشى الله وكانت فكرته عن المزحة الجيدة هى الكذب بشأن عمره. كان مزارعاً طويلاً ونحيلاً يحب الحرية ويلتزم بالقانون ويتبع بتعصب مذهب الفردانية وكان يؤمن بأن ذهاب المساعدة الفيدرالية لأى شخص فيما عدا المزارعين يعد نوعًا من الاشتراكية، وقد كان يدافع عن النمو القوى والعمل الجاد، وينتقد النساء الخليعات ممن كن يرفضنه دوماً. وقد كان تخصصه هو نبات الفصفصة، وكان يجنى أرباحاً جيدة من عدم زراعته لها. فكلما زاد قدر نبات الفصفصة الذى لا يزرعه أعطته الحكومة مزيداً من المال، وقد كان ينفق كل مليم لم يكسبه بكده على الأرض الجديدة ليزيد من كم الفصفصة التى لا يزرعها. لقد كان والد الرائد ميجور يعمل دون راحة فى عدم زراعة الفصفصة. وفى ليالى الشتاء الطويلة كان يبقى داخل المنزل دون أن يصلح طقم الفرس وكان يستيقظ فى الظهيرة من كل يوم كى يتأكد من أنه لن يقوم بمسئولياته. لقد كان يستثمر فى الأراضى بحكمة وسرعان ما أصبح لا يزرع الفصفصة أكثر من أى أحد آخر فى البلاد. وقد كان الجيران يلجأون إليه طلبا للنصيحة فى شتى الموضوعات؛ وذلك لأنه كان يجنى الكثير من المال، وكان بالتالى يتمتع بالحكمة. وقد كان ينصحهم جميعاً قائلا: "ما تزرعه هو ما تجنيه" وكان الجميع يقولون: "آمين".

لقد كان والد الرائد ميجور بطلاً اقتصادياً، وكان يوافق على واجب الحكومة المقدس أن تجزل العطاء للمزارعين وتعطيهم أكبر قدر ممكن من المال فى مقابل نبات الفصفصة الذى يزرعونه والذى لا يحتاج إليه أى شخص آخر أو مقابل عدم زراعة نبات الفصفصة على الإطلاق. كان رجلاً معتزاً بنفسه ومستقلاً وكان يعارض التأمين الذى تدفعه الحكومة للعاطلين عن العمل، ولم يتردد قط فى الانتحاب والتذمر والتملق وابتزاز كل ما يستطيع الحصول عليه من أى شخص، وقد كان رجلاً ورعاً وكان يعظ الناس فى كل مكان.

فكان يعظ بحماسة متقدة على درجات دار المحكمة أو عند واجهة متجر إيه آند بى ـ أثناء انتظاره خروج فتاة الصندوق الشابة حادة الطبع التى تمضغ علكة طوال الوقت والتى كانت تمر بجواره لترمقه بنظرة مزدرية ـ قائلاً: "لقد أعطانا الله نحن المزارعين الجيدين يدين قويتين وذلك كى نأخذ بقدر ما يمكننا أن نمسك بهما. فإن لم يكن الله يريدنا أن نأخذ بقدر ما نستطيع أن نمسك، ما كان قد وهبنا يدين لنأخذ بهما بقدر ما نستطيع"، وكان الآخرون يتمتمون: "آمين".

وقد كان والد الرائد ميجور يؤمن بشدة بالقضاء والقدر ويعرف جيداً كيف أن الابتلاءات التى يبلى بها جميع البشر ـ فيما عدا ابتلاءاته هو ـ كانت تجسيداً لقضاء الله. كما كان يدخن ويدمن الشراب ويعشق الفطنة والحوارات الفكرية وخاصة تلك التى يكذب فيها بشأن عمره أو يتحدث فيها عن الصعوبات التى لاقتها زوجته عند ولادتها للرائد ميجور. وكان رجلاً آخر سواه ليترنح فى رواق المستشفى وليضعف أمام بدائل اسمية ممتازة مثل الطبال ميجور أو الصغير ميجور أو الرقيب ميجور أو سى شارب ميجور، ولكن والد الرائد ميجور قد انتظر هذه الفرصة أربعة عشر عاماً، ولم يكن فى إمكانه إهدارها، وكان والد الرائد ميجور لديه فكرة جيدة عن الفرص، فكان يقول: "إن الفرص تدق بابك مرة واحدة فى العمر"، وقد كان والد الرائد ميجور يكرر هذه المزحة الجيدة فى كل فرصة.

والشبه الكبير بينه وبين هنرى فوندا كانت المزحة الأولى فى سلسلة طويلة من النكات التى فرضها القدر على الرائد ميجور ليجعل منه ضحية غير سعيدة خلال حياته الخالية من البهجة، وكانت المزحة الثانية هى اسمه وهو ميجور ميجور ميجور. فحقيقة أن اسمه كان ميجور ميجور ميجور كانت سراً لا يعلمه إلا والده، ولم يعرف أحد شيئاً عن هذا السر قبل أن يلتحق الرائد ميجور بالحضانة، وكانت النتائج كارثية؛ فقد دمر هذا الخبر والدته والتى فقدت رغبتها فى الحياة وذبلت حتى ماتت، وهو الأمر الذى راق لوالده الذى قرر أن يتزوج الفتاة حادة الأعصاب بمتجر إيه آند بى إن اضطر لهذا، حتى وإن لم يكن متفائلاً بشأن فرصته فى حملها على القيام بما يريده منها دون أن يدفع لها بعض المال أو يضربها بالسوط.

وبالنسبة للرائد ميجور كانت العواقب أقل وطأة بشكل محدود. لقد كان ذلك حقا اكتشافا مؤلما مذهلا فى مثل هذه السن المبكرة، هذا الاكتشاف بأنه ليس ـ كما كان يظن دوما ـ كاليب ميجور، وانما شخص غريب تماما يدعى ميجور ميجور ميجور والذى لا يعرف عنه شيئا على الإطلاق والذى لم يسمع عنه أحد آخر من قبل. وقد ابتعد عنه أصدقاؤه ولم يعودوا قط؛ فقد جرت العادة ألا يثق أحد فى الغرباء وبخاصة شخص خدعهم بالفعل بالتظاهر بأنه شخص ظلوا يعرفونه لسنوات. لقد قطع الجميع علاقاتهم به. وقد بدأ يسقط الاشياء ويتعثر، وقد كان يقدم على كل علاقة جديدة بخجل وسلوك مفعم بالامل وكان دوما يصاب بالإحباط: ولأنه كان يريد صديقا بشدة فلم يجد واحدا قط. ولقد شب ليصبح فتى طويلا غريبا حالما ذا عينين ضعيفتين وفم رقيق للغاية والتى كانت ابتسامته المترددة تنهار على الفور متحولة إلى جرح عند كل رفض جديد.

وقد كان مهذبا فى التعامل مع الأشخاص الأكبر سنا، والذين كانوا يبغضونه. وكان يفعل أى شىء يمليه عليه الأشخاص الأكبر سنا؛ فقد قالوا له أن ينظر أولا قبل أن يثب وقد كان ينظر أولا دوما قبل أن يثب، وقد قالوا له ألا يؤجل قط عمل اليوم للغد، وقد فعل. وقد قالوا له أن يحترم والده ووالدته وقد فعل. وقد قالوا له ألا يقتل، وقد فعل ولم يقتل أحدا إلا حينما التحق بالجيش. فبعد ذلك قالوا له أن يقتل فقتل. كان متسامحا على الدوام ويعامل الآخرين كما يحب تحديدا أن يعاملوه، وحينما كان يتصدق لم تكن يده اليسرى تعرف قط ما باليمنى. كما كان يخشى الله دوما ولم يرتكب الزنا قط ولم يؤذ جاره قط. فى الواقع لقد كان يحب جاره ويحمى غيبته دوما. وقد كان الأكبر منه سنا يبغضونه؛ لأنه كان مثاليا بصورة تشعرهم بعدم الراحة.

وحيث إنه لم يكن لديه شىء أفضل يتفوق فيه فقد تفوق فى الدراسة؛ ففى جامعة الولاية كان جادا للغاية فى الدراسة مما جعل الشواذ يعتقدون أنه شيوعى ومما جعل الشيوعيين يعتقدون أنه شاذ، وقد تفوق بشدة فى التاريخ الإنجليزى، وهو الأمر الذى كان خطأ.

زأر السيناتور ذو المكانة الكبيرة فى الجامعة بسخط: "التاريخ الإنجليزى! وما عيب التاريخ الأمريكى؟ إن التاريخ الأمريكى جيد شأنه شأن أى تاريخ آخر فى العالم!".

وقد انتقل الرائد ميجور على الفور إلى الأدب الأمريكى، ولكن ليس قبل أن تفتح المباحث الفيدرالية ملفا عنه، فقد كان هناك ستة أشخاص وكلب أسكتلندى يقطنون البيت الريفى البعيد الذى كان الرائد ميجور يطلق عليه المنزل، وقد اتضح أن خمسة منهم والكلب الأسكتلندى كانوا عملاء بالمباحث الفيدرالية، وسرعان ما

استطاعوا جمع قدر كاف من المعلومات عن الرائد ميجور والتى تخولهم فعل ما يشاءون به. ولكن الشىء الوحيد الذى استطاعوا فعله به على الرغم من ذلك هو إلحاقه بالجيش كجندى ثم جعله رائدًا بعد أربعة أيام وذلك حتى يقوم أعضاء الكونجرس ممن ليس لديهم شىء آخر يفعلونه بذرع شوارع واشنطن جيئة وذهاباً وهم يقولون: "من قام بترقية الرائد ميجور؟ من قام بترقية الرائد ميجور؟".

فى الواقع من قام بترقية الرائد ميجور هو ماكينة آى بى إم عن طريق الخطأ، وهو موقف يتسم بحس فكاهى مشابه لذلك الحس الخاص بأبيه، فحينما اندلعت الحرب كان لا يزال سهل الانقياد ولين العريكة، وقد قالوا له أن يلتحق بالجيش، فالتحق بالجيش. وقد قالوا له أن يتقدم لتدريب الملاحة الجوية فتقدم لتدريب الملاحة الجوية ، وفى الليلة التالية مباشرة وجد نفسه يقف حافى القدمين فى الطين المختلط بالثلج فى الثالثة صباحا أمام رقيب صارم محارب من الجنوب الغربى والذى قال لهم إن بمقدوره ضرب أى رجل فى سريته بقوة وكان على استعداد لإثبات ذلك. وقد تم إيقاظ جميع المجندين عن طريق هزهم بقوة فقط قبل دقائق من قبل ضباط الرقيب والذين أمروهم بالتجمع أمام الخيمة الإدارية. كانت لا تزال تمطر على الرائد ميجور. وقد تجمعوا فى صفوف بينما كانوا يرتدون ملابسهم المدنية التى جلبوها للجيش معهم منذ ثلاثة أيام مضت، وهؤلاء الذين تخلفوا لارتداء جواربهم وأحذيتهم تم إرسالهم مجددا إلى خيمهم الباردة المبللة المظلمة لخلعها، وقد كانوا جميعًا حفاة الأقدام واقفين فى الطين، بينما يمرر الرقيب عينيه الحجريتين على وجوههم ويخبرهم بأن بمقدوره ضرب أى رجل فى سريته بقوة، ولم يكن باستطاعة أحد مجادلته فى ذلك.

وقد غمرت ترقية ميجور غير المتوقعة فى اليوم التالى إلى رتبة رائد، الرقيبَ المحارب بكآبة شديدة؛ حيث إنه لم يعد فى مقدوره أن يفتخر قائلا إن بإمكانه ضرب أى رجل فى سريته بقوة. ظل يفكر فى خيمته لساعات دون أن يستقبل أى زوار، فى حين كان يقف ضباطه الباسلون مثبطو الهمة فى الخارج يحمونه، وفى الثالثة صباحا وجد الحل، وتم إيقاظ الرائد ميجور والمجندين الآخرين عن طريق هزهم بقوة مرة أخرى وأمرهم بالتجمع حفاة الأقدام بالجليد أسفل المطر عند الخيمة الإدارية؛ حيث كان الرقيب ينتظر بالفعل وهو يضع يديه فى جانبيه ويتوق للحديث لدرجة أنه لم يكن يطيق صبراً على انتظار وصولهم.

قال مفتخراً بنفس نبرة الصوت الصارمة التى تحدث بها بالليلة السابقة: "أنا والرائد ميجور بمقدورنا أن نضرب أى رجل فى سريته بقوة".

اتخذ الضباط بالقاعدة إجراء فورياً مع مشكلة الرائد ميجور فى وقت لاحق من نفس اليوم؛ فكيف كان بمقدورهم التأقلم مع رائد مثل ميجور؟ فالحط من

شأنه كان يعنى الحط من شأن جميع الضباط من نفس الرتبة أو من رتب أقل، وعلى الجانب الآخر فإن معاملته بكياسة كانت أمرا مستبعدا بالمرة، ولكن لحسن الحظ فقد تقدم الرائد ميجور للتدريب على الملاحة الجوية؛ فقد تم إرسال الأوامر بنقله إلى غرفة آلة نسخ الرسائل فى وقت متأخر من فترة بعد الظهيرة، وفى الثالثة صباحا تم إيقاظ الرائد ميجور ثانية عن طريق هزه بقوة ووضعه على طائرة متجهة للغرب بعد أن قام الرقيب بتوديعه.

شحب وجه الملازم شسكوبف حينما ذهب إليه الرائد ميجور فى كاليفورنيا عارى القدمين كاشفا عن أصابعه القذرة. لقد اعتبر الرائد ميجور أنه أمر مسلم به أن يتم إيقاظه عن طريق هزه بقوة مرة أخرى ليقف عارى القدمين فى الطين بعد أن يترك حذاءه وجوربه فى الخيمة. كانت الملابس المدنية التى ذهب بها إلى الملازم شسكوبف مجعدة وقذرة. وقد ارتعد الملازم شسكوبف بشدة ـ والذى لم يكن قد حقق شهرته الواسعة بعد كمنظم استعراضات ـ حينما تخيل الرائد ميجور يسير عارى القدمين فى سريته فى الأحد التالى.

حينما تعافى من الصدمة واستطاع التحدث ثانية قال: "اذهب إلى المستشفى فورا وأخبرهم بأنك مريض. ابق هناك حتى تصلك علاوتك لشراء زى رسمى ويصبح لديك بعض المال لشراء بعض الملابس. واشتر حذاء كذلك، اشتر حذاء".

"نعم يا سيدى".

قال الملازم شسكوبف موضحا: "لا أعتقد أن عليك أن تنادينى بسيدى يا سيدى؛ فأنت تفوقنى رتبة".

"نعم يا سيدى، ربما أفوقك رتبة، ولكنك مازلت قائدى".

قال الملازم شسكوبف موافقا إياه: "نعم، هذا صحيح ربما تفوقنى رتبة ولكننى مازلت قائدك. إذن فمن الأفضل أن تقوم بما أمليه عليك وإلا ستقع فى المشكلات. اذهب إلى المستشفى وأخبرهم بأنك مريض يا سيدى. وابق هناك حتى تصلك علاوتك ويصبح لديك بعض المال لشراء زى رسمى".

"نعم يا سيدى".

"وحذاء يا سيدى. اشتر حذاء فى أقرب فرصة ممكنة".

"نعم يا سيدى، سأفعل".

"شكرا لك يا سيدى".

أما الحياة فى المدرسة العسكرية بالنسبة للرائد ميجور فلم تكن تختلف كثيرا عن الحياة التى طالما عاشها؛ فأى شخص يتواجد معه سرعان ما يريد أن يكون مع شخص آخر؛ فقد كان معلموه يحسنون معاملته فى كل مرحلة من أجل دفعه قدما سريعا والتخلص منه. وخلال فترة وجيزة أصبح طيارا ووجد نفسه يطير عبر

البحار، وهنا بدأت الأمور تتحسن فجأة: فطوال حياته ظل الرائد ميجور يتمنى ألا يعيش على الهامش. وفى بيانوسا، استطاع تحقيق هذا أخيرا لبرهة: فالرتبة لم تكن تعنى شيئا للرجال المحاربين وكانت العلاقة بين الضباط والمجندين هادئة وغير رسمية: فرجال لم يكن يعرف حتى أسماءهم كانوا يقولون له "مرحبا" ويدعونه للذهاب إلى السباحة معه أو لعب كرة السلة، وقد كان يمضى أسعد لحظاته فى ممارسة مباريات كرة السلة التى تستمر طوال اليوم والتى لا يكترث فيها أحد بالفوز. فلم يكن يوجد من يحسب الأهداف وكان عدد اللاعبين يتراوح من واحد إلى خمسة وثلاثين، والرائد ميجور لم يسبق له أن مارس لعبة كرة السلة أو أية لعبة أخرى قبل ذلك، ولكن طوله الشاهق وحماسته المتقدة ساعدته فى التغلب على رعونته الداخلية وقلة خبرته. وقد وجد الرائد ميجور السعادة الحقيقية هناك بملعب كرة السلة المائل إلى الجانب مع الضباط والمجندين والذين كانوا أصدقاءه تقريبا. وبما أنه لم يكن هناك فائزون فبالتالى لم يكن هناك خاسرون، وقد استمتع الرائد ميجور بكل لحظة من وقته حتى اليوم الذى جاء فيه الكولونيل كاثكارت بسيارته الجيب بعد مقتل الرائد دولوث وجعل من المستحيل بالنسبة له أن يستمتع بممارسة كرة السلة بعد الآن.

صاح الكولونيل كاثكارت بوقاحة عبر مصرف السكك الحديدية إليه: "إنك قائد السرية الجديد. ولكن لا تعتقد أن ذلك يعنى أى شىء؛ لأنه لا يعنى شيئا. كل ما يعنيه أنك قد أصبحت قائد السرية الجديد".

لقد ظل الكولونيل كاثكارت يحمل الضغينة إزاء الرائد ميجور لفترة طويلة؛ فوجود رائد إضافى فى صفوفه كان يعنى تفشى الفوضى بين الرجال الموجودين فى مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين والذين كان يعتبرهم الكولونيل كاثكارت أعداءه وخصومه. وقد كان الكولونيل كاثكارت يتضرع إلى الله لحدوث ضربة حظ مثل موت الرائد دولوث. لقد ابتلى برائد إضافى؛ والآن أصبح لديه مكان للتخلص منه: لذا فقد قام بتعيين الرائد ميجور قائدا للسرية وذهب مبتعدا فى سيارته الجيب فجأة كما أتى.

وبالنسبة للرائد ميجور كان ذلك يعنى انتهاء اللعبة. اعتلى وجهه تعبير ينم عن عدم الراحة وظل متسمرا فى مكانه فى عدم تصديق، بينما تجمعت سحب المطر فوقه ثانية. وحينما استدار لرفقائه فى اللعب شاهد مجموعة من الوجوه التى يعتريها الفضول جميعها تحدق إليه فى عداء غامض وكئيب. ارتعد خزيا. وحينما استكملت المباراة لم تعد ممتعة؛ فحينما كان يتجه بالكرة نحو الهدف لم يحاول أحد إيقافه؛ وحينما كان يطلب من أحد تمرير الكرة كان الشخص الذى بحوزته الكرة يمررها له على الفور، وحينما يخطئ فى التصويب لا يلاحقه أحد

للحصول على الكرة لعمل هجمة مرتدة. كان الصوت الذى يسمعه فقط هو صوته، وقد تكرر الأمر فى اليوم التالى، وفى اليوم الذى يليه لم يذهب للعب.

وتقريباً توقف جميع من فى السرية عن التحدث إليه وبدأوا يحدقون إليه. لقد ظل يسير فى الحياة بعينين مسدلتين ووجنتين حمراوين بينما تنهال عليه مشاعر الازدراء والحسد والشك والاستياء والتلميحات البغيضة أينما ذهب. والأشخاص الذين لم يلاحظوا من قبل الشبه الذى يوجد بينه وبين هنرى فوندا صاروا لا يتوقفون الآن عن التحدث بشأنه، بل كان هناك البعض الذين يلمحون بخبث أن الرائد ميجور قد تمت ترقيته إلى قائد للسرية؛ لأنه يشبه هنرى فوندا، أما النقيب بلاك والذى كان يطمح للترقى إلى هذا المنصب فكان يشيع أن الرائد ميجور هو هنرى فوندا نفسه ولكن جبنه منعه من الاعتراف بذلك.

لقد ظل الرائد ميجور يتقدم بتعثر وارتباك من كارثة لأخرى. فدون استشارته قام الرقيب تاوزر بنقل متعلقاته إلى عربة المقطورة الفسيحة التى كان يقطنها الرائد دولوث وحده، وحينما هرع الرائد ميجور وهو منقطع النفس إلى غرفة التعليمات للإبلاغ عن سرقة ممتلكاته أفزعه العريف الصغير هناك بشدة حينما قفز على قدميه وصاح: "انتباه" فى اللحظة التى ظهر بها، وقد وقف الرائد ميجور انتباها مع كل من كان يوجد بغرفة التعليمات متسائلا عن الشخصية المهمة التى دخلت وراءه. وقد مرت دقائق وهم جميعا يقفون فى سكون تام، كانوا سيقفون هناك كثيرا لولا مرور الرائد دانبى مصادفة من الوحدة لتهنئة الرائد ميجور بعد ذلك بعشرين دقيقة ليجعلهم جميعا يسترخون.

كان الرائد ميجور يشعر بمزيد من الأسى والحزن فى قاعة الطعام؛ حيث كان مايلو ينتظره وهو يبتسم ليقوده بفخر إلى طاولة صغيرة أعدها فى الأمام وزينها بغطاء مزركش وباقة زهور موضوعة فى زهرية زجاج وردية. وقف الرائد ميجور فى ذعر ولكنه لم يكن جريئا بما فيه الكفاية ليقاوم الجلوس خاصة مع تحديق الجميع إليه. وحتى هافرماير ذو الفك الكبير والمتدلى قام برفع رأسه من فوق طبقه وبدأ يحدق وهو شاغر فاه إليه. وقد استسلم الرائد ميجور فى خنوع لرغبة مايلو وجثم فى خزى على طاولته الخاصة وظل يتناول الطعام وحده. كان الطعام كالرماد فى فمه ولكنه فضل ابتلاع كل قضمة على أن يخاطر بجرح شعور أى ممن قاموا بإعداد الطعام، وحينما انفرد بمايلو فيما بعد اعترض الرائد ميجور للمرة الأولى وقال إنه يفضل أن يستمر فى تناول الطعام مع الضباط الآخرين، وقد أخبره مايلو بأن ذلك لن يجدى نفعا.

قال الرائد ميجور: "أنا لا أعرف عما تتحدث. لم يحدث شىء من قبل".

"أنت لم يسبق لك أن كنت قائد سرية من قبل".

"إن الرائد دولوث كان قائدًا للسرية وكان يجلس دوماً على نفس طاولة الطعام مع باقى الرجال".

"الأمر كان مختلفاً مع الرائد دولوث يا سيدى".

"بأى شكل من الأشكال كان مختلفا مع الرائد دولوث؟".

قال مايلو: "كم كنت أتمنى لو لم تطرح علىّ هذا السؤال يا سيدى".

استجمع الرائد ميجور قواه ليسأل: "هل السبب هو الشبه الذى أحمله لهنرى فوندا؟".

أجابه مايلو: "إن البعض يقول إنك هنرى فوندا".

قال الرائد ميجور فى سخط: "حسنا، أنا لست هنرى فوندا. وأنا لا أشبهه حتى. وحتى لو كنت أشبه هنرى فوندا فما الفارق الذى يحدثه ذلك؟".

"إنه لا يحدث أى فارق. هذا هو ما أحاول أن أخبرك به. إن كل ما فى الأمر هو أن الحال كان مختلفا مع الرائد دولوث".

وكان مايلو محقا؛ فحينما دخل الرائد ميجور قاعة الطعام فى وقت الوجبة التالية وذهب ليجلس مع الآخرين على الطاولات العادية تجمد فى مكانه من كم مشاعر العدوانية التى ألقتها عليه وجوههم ووقف متحجرا، بينما ترتعد صينيته بين يديه إلى أن تقدم مايلو للأمام دون أن يتحدث لإنقاذه عن طريق قيادته إلى طاولته الخاصة. وقد استسلم الرائد ميجور بعد ذلك وأصبح يأكل على طاولته وحده وهو يعطى ظهره للآخرين. لقد صار واثقا من أنهم يبغضونه لأنه بدا أعلى مكانة الآن بعد أن أصبح قائد السرية مما لا يخوله بتناول الطعام معهم، فلا تكون هناك أية حوارات أثناء وجود الرائد ميجور فى قاعة الطعام. وقد كان مدركاً لحقيقة أن الضباط الآخرين يتجنبون تناول الطعام فى نفس الوقت معه وأن الجميع شعر براحة غامرة حينما توقف عن الإتيان تماما لقاعة الطعام وشرع فى تناول وجباته وحده فى مقطورته.

وقد بدأ الرائد ميجور فى كتابة اسم واشنطن إيرفنج على الوثائق الرسمية بعد أن جاء رجل المباحث الجنائية للمرة الأولى لسؤاله عن شخص بالمستشفى كان يقوم بذلك الذى أوحى له بالفكرة. فقد كان يشعر بالملل وعدم الرضا من وظيفته الجديدة. لقد أصبح قائد السرية ولكن لم يكن لديه أدنى فكرة عما يفترض لقائد السرية أن يقوم به، فيما عدا كتابة اسم واشنطن إيرفنج على الوثائق الرسمية والإنصات لصوت الصلصلة والخشخشة الذى يصدر عن سقوط حدوات الرائد دى كوفرلى على الأرض خارج نافذة مكتبه الصغير فى مؤخرة خيمة غرفة التعليمات. وقد كان يغمره باستمرار شعور بوجود مهام ضرورية متروكة دون إنجاز، وانتظر بدون فائدة أن تشغله مسئولياته. صار نادرا ما يخرج إلا إذا كان ذلك ضروريا؛ حيث

لم يستطع الاعتياد على تحديق الآخرين إليه. وفى بعض الأحيان يكسر الرتابة ضابط أو جندى ما يقوم الرقيب تاوزر بإرساله إليه بخصوص أمر ما ، ثم لا يستطيع الرائد ميجور الفصل فيه مما يجعله يرسله مجدداً للرقيب تاوزر حسب تسلسل السلطة؛ فأى شىء كان من المفترض له القيام به بوصفه قائدا للسرية كان يُنجز دون أى مساعدة منه. وقد أصبح سريع الغضب وأصيب بالاكتئاب. وفى بعض الأحيان كان يفكر جدياً فى الذهاب وهو يحمل جميع أحزانه إلى رجل الدين ولكن بدا له رجل الدين مثقلاً بهمومه الخاصة مما جعل الرائد ميجور غير راغب فى الإضافة إلى أعبائه. علاوة على ذلك، فهو لم يكن واثقا إذا كان رجال الدين يخدمون قادة السريات كذلك.

كما لم يكن واثقاً كذلك من أمر الرائد دى كوفرلى، والذى فى الأوقات التى لا يكون فيها منشغلا فى تأجير الشقق بالخارج أو اختطاف العمال الأجانب ـ لا يكون لديه شىء مهم يفعله سوى تركيب حدوات الخيول. وكان الرائد ميجور عادة ما يبدى انتباها كبيرا لصوت الحدوات وهى تسقط برفق على الأرض أو وهى ترتطم بالأوتاد المعدنية الصغيرة بالأرض. وقد كان ينظر خلسة للرائد دى كوفرلى لساعات ويتساءل كيف يمكن لشخصية مهيبة مثل الرائد دى كوفرلى ألا يكون لديها شىء مهم تفعله سوى هذا. وكثيرا ما كان يرغب فى الانضمام إلى الرائد دى كوفرلى ولكن تركيب حدوات الخيول طوال النهار بدا على نفس القدر من الرتابة كتوقيع "ميجور ميجور ميجور" على الوثائق الرسمية، كما كان الرائد دى كوفرلى يتمتع بهدوء ورزانة بالغين يجعلان الرائد ميجور يخشى الاقتراب منه.

وقد تساءل الرائد ميجور عن علاقته بالرائد دى كوفرلى وعن علاقة الرائد دى كوفرلى به. لقد كان يعلم أن الرائد دى كوفرلى هو ضابطه التنفيذى، ولكنه لم يكن يعلم ماذا يعنى هذا، ولم يكن بإمكانه أن يقرر إذا ما كان الرائد دى كوفرلى بمثابة رئيس متساهل أم تابع مقصر. وهو لم يرغب فى توجيه هذا السؤال إلى الرقيب تاوزر ـ والذى كان يخشاه سرا ـ ولم يكن هناك شخص آخر يمكنه سؤاله، سوى الرائد دى كوفرلى نفسه. والقليل من الأشخاص فقط هم من واتتهم الجرأة على الاقتراب من الرائد دى كوفرلى بخصوص أى شىء وكان الضابط الوحيد الذى كان من الغباء ليركب إحدى حدواته أصيب فى اليوم التالى بعلة جسمانية بيانوسية سيئة للغاية والتى لم يسمع عنها أو يرها قط من قبل جاس أو ويس أو حتى الطبيب دانيكا، وكان الجميع واثقين من أن الضابط قد أصيب بهذا المرض كجزاء أوقعه عليه الرائد دى كوفرلى، على الرغم من أن أحدا لم يكن يدرى كيف.

ومعظم الوثائق الرسمية التى كانت تأتى إلى مكتب الرائد ميجور لم تكن تمثل

له أية أهمية؛ فالغالبية العظمى منها كانت تتضمن إشارات لخطابات سابقة لا يعرف عنها الرائد ميجور شيئاً. ولم تكن هناك أية حاجة لمراجعتها؛ حيث إن ما بها من تعليمات كان مصيره دوما الاستخفاف والإهمال؛ لذا ففى غضون دقيقة واحدة يقوم بتظهير عشرين وثيقة كل منها يستحثه على عدم إبداء أى اهتمام بغيرها، وقد كان يأتى من مكتب الجنرال بيكام كل يوم نشرات مطنبة معنونة بعظات دينية من قبيل "المماطلة هى أكبر سارق للوقت" و "النظافة من الإيمان".

وقد كانت رسائل الجنرال بيكام عن النظافة والمماطلة تجعل الرائد ميجور يشعر بأنه مماطل حقير، لذا فقد كان يبعدها عن ناظريه سريعا. وكانت الوثائق الرسمية الوحيدة التى تثير اهتمامه هى تلك الوثائق العرضية الخاصة بالملازم الثانى تعس الحظ والذى لقى حتفه بإحدى المهام فوق أورفيتو بعد أقل من ساعتين من وصوله إلى بيونوسا والذى كانت حقائبه المغلقة لا تزال فى خيمة يوساريان، وبما أن الملازم تعس الحظ قد ذهب لإثبات حضوره فى خيمة العمليات بدلا من خيمة التعليمات. فقد قرر الرقيب تاوزر تحرى مزيد من الأمان والادعاء بأنه لم يثبت حضوره بالسرية على الإطلاق، وكانت كل الوثائق الرسمية الخاصة به تشير إلى أنه فيما يبدو قد اختفى داخل الهواء وهو الأمر الذى حدث بالفعل بشكل أو بآخر. وعلى المدى الطويل، أصبح الرائد ميجور ممتنا لأمر مجىء تلك الوثائق الرسمية إلى مكتبه: حيث إن الجلوس فى مكتبه طوال اليوم لتوقيعها كان أفضل كثيرا من الجلوس فى مكتبه طوال اليوم دون أن يوقعها: فهى قد منحته شيئا يشغل وقته به.

وكان أمرا محتما أن تعود كل وثيقة قام بتوقيعها مضافا إليها صفحة جديدة تتطلب توقيعه بعد فترة زمنية تتراوح بين يومين إلى عشرة أيام. وكانت الوثائق تصبح دوما أثقل وزنا عما كانت عليه قبل ذلك: حيث إنه فيما بين آخر ورقة قام بتوقيعها والورقة الجديدة المضافة التى تستلزم توقيعه توجد الأوراق التى تحمل آخر تظهيرات جميع الضباط الآخرين بالمواقع المتناثرة والذين كانوا منشغلين كذلك فى توقيع نفس الوثيقة الرسمية. وقد كان الرائد ميجور يمتلئ غضبا وسخطا حينما يرى رسائل بسيطة تتضخم بشكل مدهش لتصبح مخطوطات ضخمة: فبغض النظر عن عدد مرات توقيعه لواحدة، فهى دوما تعود من أجل إمضاء آخر. حتى بدأ يفقد الأمل فى احتمال تخلصه النهائى من أى منها. وفى أحد الأيام ـ كان ذلك هو اليوم التالى لزيارة رجل الاستخبارات الجنائية الأولى ـ قام الرائد ميجور بتوقيع اسم واشنطن إيرفنج على إحدى الوثائق بدلا من اسمه، فقط ليرى كيف سيشعره هذا. وقد أحب هذا الأمر كثيرا حتى إنه طوال فترة بعد الظهيرة ظل يقوم بالشىء نفسه مع جميع الوثائق الرسمية. كان ذلك سلوكا

طائشا متهورا والذى عرف أنه سينال عقابا شديدا عليه بعد ذلك، وفى صباح اليوم التالى دخل مكتبه فى ذعر وانتظر ليرى ما سيحدث، ولم يحدث شىء.

لقد ارتكب إثما، ولكن كان كل شىء على ما يرام حيث لم يتم مجددا إعادة أى من الوثائق التى وقع عليها اسم واشنطن إيرفنج الآن وأخيرا أحرز بعض التقدم، ومن هنا بدأ الرائد ميجور يلقى نفسه فى أحضان وظيفته الجديدة باستمتاع بالغ. إن إمضاء اسم واشنطن إيرفنج على الوثائق الرسمية لم يكن يسمى بوظيفة ولكنه كان أقل رتابة من إمضاء اسم ميجور ميجور ميجور، وحينما كان يمل من إمضاء اسم واشنطن إيرفنج، كان يعكس الاسم ليجعله إيرفنج واشنطن حتى أصبح ذلك أمرا مملا هو أيضا، وهكذا صار ينجز المهام الملقاة على عاتقه حيث يتم إعادة أى من الوثائق التى وقعها بأى من الاسمين إلى السرية مجددا.

لكن الذى عاد فى الواقع هو رجل استخبارات جنائية *ثان* والذى كان متنكرا كطيار، وقد علم الرجال أنه رجل استخبارات جنائية لأنه اعترف لهم بذلك وطلب من كل منهم ألا يكشف عن هويته الحقيقية لأى من الرجال الآخرين الذين اعترف لهم بالفعل أنه رجل استخبارات جنائية.

اعترف رجل الاستخبارات للرائد ميجور قائلا: "أنت الوحيد فى السرية الذى يعلم أننى رجل استخبارات جنائية، ومن الضرورى للغاية أن يبقى هذا سرا بيننا حتى لا تتأثر كفاءة عملى. هل تفهم مقصدى؟".

"إن الرقيب تاوزر يعلم بهذا الأمر".

"نعم، أعلم. كان علىّ أن أخبره من أجل أن أدخل وأراك. ولكننى أعلم أنه لن يخبر مخلوقا فى ظل أى ظرف من الظروف".

قال الرائد ميجور: "لقد أخبرنى. لقد أخبرنى بأن هناك رجل استخبارات جنائية بالخارج يريد رؤيتى".

"هذا الوغد. سوف أتقدم ببلاغ للتحرى عنه. وأنا لن أترك أية وثائق بالغة السرية هنا لو كنت مكانك. ليس على الأقل حتى أقدم بلاغى".

قال الرائد ميجور: "لا تأتينى أية وثائق بالغة السرية".

"تلك هى الوثائق التى أعنيها. ضعها داخل خزانتك وأوصدها حتى لا يستطيع الرقيب تاوزر الوصول إليها".

"إن الرقيب تاوزر لديه مفتاح الخزانة الوحيد".

قال رجل الاستخبارات الجنائية الثانى بضجر: "أخشى أننا نضيع وقتنا". كان رجلا قصيرا سمينا عصبى المزاج ذا حركات سريعة وواثقة. أخرج عددا من الصور من داخل ظرف أحمر كبير كان يخفيه أسفل معطفه الجلدى المرسوم فوقه صور طائرات تحلق خلال نيران المدفعية البرتقالية وصفوف من القنابل الصغيرة التى

الشبر إلى خمس وخمسين مهمة جوية تم تنفيذها. "هل سبق لك أن رأيت أيا من هذه؟".

نظر الرائد ميجور نظرة خالية من التعبير إلى نسخ من رسائل شخصية من المستشفى والتي قام الضابط الذي راجعها بالتوقيع عليها باسم واشنطن إيرفنج أو إيرفنج واشنطن.

"لا".

"ماذا عن هذه؟".

حدق الرائد ميجور فيما بعد إلى نسخ من وثائق رسمية كانت موجهة إليه والتي قام بتوقيع نفس الاسمين عليها.

"لا".

"هل الرجل الذي قام بتوقيع هذه الخطابات موجود في سربك؟".

"أي اسم؟ يوجد اسمان هنا؟".

"أي منهما. نحن نعتقد أن واشنطن إيرفنج وإيرفنج واشنطن هما شخص واحد وأنه يستخدم اسمين فقط لتضليلنا. إن هذا كثيرا ما يحدث".

"لا أعتقد أن هناك أحدا بهذا الاسم أو ذاك في سربي".

أطل تعبير ينم عن الإحباط وجه رجل الاستخبارات الجنائية الثاني. قال ملاحظا: "أنه أذكى كثيرا مما كنا نعتقد. انه يستخدم اسما ثالثا ويتظاهر بأنه شخص آخر. وأنا أعتقد.. نعم، أعتقد أنني أعرف الاسم الثالث". وبحماسة متقدة أمسك بصورة أخرى وأعطاها للرائد ميجور ليفحصها وقال: "ماذا عن هذه؟".

اتكأ الرائد ميجور للأمام قليلا ليرى نسخة من الخطاب الذي قام يوساريان بشطب كل ما به من كلمات فيما عدا اسم ماري والذي كتب فيه "أنا مشتاق لك للغاية. إيه. تي. تابمان، رجل الدين بالجيش الأمريكي". هز الرائد ميجور رأسه.

"لم يسبق لي رؤيته".

"هل تعرف من هو إيه. تي. تابمان؟".

"انه رجل الدين الخاص بالوحدة".

قال رجل الاستخبارات الجنائية الثاني: "هذا يحسم الأمر. واشنطن إيرفنج هو رجل الدين الخاص بالوحدة".

شعر الرائد ميجور بالذعر. قال مصححا: "إن إيه. تي. تابمان هو رجل الدين الخاص بالوحدة".

"هل أنت واثق؟".

"نعم".

"لماذا يقوم رجل الدين الخاص بالوحدة بكتابة هذا على خطاب؟".

"ربما قام شخص آخر بكتابة هذا وتزوير اسمه".

"لماذا قد يرغب أحدهم فى تزوير اسم رجل الدين الخاص بالوحدة؟".

"حتى لا يكشفه أحد".

قال رجل الاستخبارات الجنائية الثانى بعد لحظة من التردد وبعد أن مط شفتيه: "ربما تكون محقا. ربما نكون أمام عصابة، والتى يعمل بها رجلان شاء القدر أن يكون اسماهما متعاكسين. نعم، أنا واثق من هذا. أحدهما هنا فى السرية، والآخر فى المستشفى، والثالث يعمل مع رجل الدين. وهكذا يكون لدينا ثلاثة رجال، أليس كذلك؟ هل أنت واثق من أنه لم يسبق لك رؤية أى من هذه الوثائق الرسمية من قبل؟".

"إن كنت رأيتها كنت لأقوم بتوقيعها".

سأل رجل الاستخبارات الجنائية الثانى بمكر: "باسم من؟ اسمك أم اسم واشنطن إيرفنج؟".

قال الرائد ميجور: "باسمى. أنا لا أعرف حتى اسم واشنطن إيرفنج".

ابتسم رجل الاستخبارات الثانى.

"أيها الرائد، أنا سعيد لأنه لا دخل لك بالأمر. هذا يعنى أننا سنستطيع العمل معاً؛ فأنا بحاجة لكل رجل أستطيع الحصول عليه، ففى مكان ما فى مسرح العمليات يوجد رجل تقع فى يديه الرسائل الموجهة إليك. هل لديك أدنى فكرة عمن يكون؟".

"لا".

قال رجل الاستخبارات الجنائية الثانى: "حسنا، إن لدىَ فكرة جيدة"، ثم اتكأ للأمام ليهمس فى أذنه بثقة: "هذا الوغد تاوزر. ما السبب الذى يجعله يتجول هنا وهناك ويكشف عن هويتى؟ من الآن فصاعدا أبق عينيك مفتوحتين وأخبرنى على الفور حينما تسمع أى أحد يتحدث حتى عن شخص يدعى واشنطن إيرفنج، وأنا سوف أتقدم ببلاغ للتحرى عن رجل الدين وكل الموجودين هنا".

وفى لحظة ذهابه قفز رجل الاستخبارات الأول خلال النافذة إلى مكتب الرائد ميجور وأراد أن يعرف من كان رجل الاستخبارات الثانى. وقد تعرف الرائد ميجور عليه بصعوبة.

أخبره الرائد ميجور: "لقد كان رجلاً من الاستخبارات الجنائية".

قال رجل الاستخبارات الجنائية الأول: "كيف يمكن هذا؟ أنا رجل الاستخبارات الجنائية الوحيد هنا".

وقد تعرف عليه الرائد ميجور بصعوبة لأنه كان يرتدى برنس حمام مصنوعا من قماش قطنى متين مضلع مخملى ذى لون أحمر داكن وأشرطة أسفل كلتا

الذراعين وبيجامة من الفلانيل وخف منزلى بال ذى نعل متدل. وقد تذكر الرائد ميجور أن ذلك كان هو زى المستشفى. لقد زاد وزن الرجل نحو عشرين رطلا وبدا وافر الصحة للغاية.

قال منتحبا: "أنا مريض للغاية. لقد أصبت بنزلة برد فى المستشفى انتقلت إلىّ عن طريق العدوى من طيار مقاتل والتى تحولت إلى حالة خطيرة من الالتهاب الرئوى".

قال الرائد ميجور: "أنا اسف للغاية لهذا".

قال رجل الاستخبارات الجنائية بينما يسيل انفه: "انت لا تعرف كم كان هذا الأمر مفيدا لى. أنا لا أحتاج لتعاطفك. أنا فقط جئت لأطلعك عما أقوم به. لقد جئت لاخبرك بأن واشنطن إيرفنج فيما يبدو قد نقل مقر عملياته من المستشفى إلى سريتك. ألم تسمع أحدا هنا يتحدث عن شخص يدعى واشنطن إيرفنج؟".

أجابه الرائد ميجور: "فى الواقع، هذا الرجل الذى غادر لتوه. لقد كان يتحدث عن واشنطن إيرفنج".

صاح رجل الاستخبارات الاول فى سعادة: "حقا؟ ربما يكون هذا هو كل ما نحتاج إليه لفتح ملف القضية! أبقه تحت ناظريك أربعا وعشرين ساعة فى اليوم، وأنا سأعود إلى المستشفى وأراسل رؤسائى كى يبعثوا لى بمزيد من التعليمات"، ثم قفز رجل الاستخبارات الجنائية خارج النافذة واختفى.

وبعد دقيقة انفتحت الستارة الفاصلة بين مكتب الرائد ميجور وبين غرفة التعليمات ودخل رجل الاستخبارات الثانى وهو يلهث فى عجلة، وبعدما التقط أنفاسه قال: "لقد رأيت لتوى رجلا يرتدى بيجامة حمراء يقفز خارج نافذتك ويركض عبر الطريق! ألم تره؟".

أجابه الرائد ميجور: "لقد كان هنا يتحدث إلى".

ظل الرجل يدور فى المكتب الصغير فى دوائر بنشاط بالغ وقال: "اعتقدت أن ذلك بدا مريبا، رجل يقفز خارج النافذة وهو يرتدى بيجامة حمراء. فى البداية ظننت أنه أنت. تولى الأدبار مسرعا إلى المكسيك. ولكنى أرى الآن أنه لم يكن أنت. إنه لم يقل شيئا عن واشنطن إيرفنج، أليس كذلك؟".

قال الرائد ميجور: "فى الواقع قال".

صاح رجل الاستخبارات الجنائية الثانى: "حقا؟ هذا جيد! ربما يكون هذا هو كل ما نحتاج إليه لفتح ملف القضية. هل تعرف أين يمكننا إيجاده؟".

"فى المستشفى. إنه رجل مريض للغاية حقا".

قال رجل الاستخبارات الجنائية الثانى: "هذا عظيم! سوف أذهب خلفه مباشرة. سيكون من الأفضل إن ذهبت متخفيا. سوف أذهب لشرح الأمر فى الخيمة الطبية

وأجعلهم يرسلوننى إلى هناك كمريض".

ذهب وعاد مرة أخرى ليقول: "إنهم لن يرسلونى إلى المستشفى كمريض إلا إذا كنت مريضاً. فى الواقع، أنا مريض للغاية. لقد كنت أنوى إجراء فحص عام وأعتقد أن تلك ستكون فرصة جيدة للقيام بذلك. سوف أعود إلى الخيمة الطبية وأخبرهم بأننى مريض، وسوف يرسلوننى إلى المستشفى بهذه الطريقة".

ذهب وعاد مرة أخرى بلثة أرجوانية وقال: "انظر ماذا فعلوا بى". كان حزنه عميقاً. كان يحمل حذاءه وجوربه فى يديه وقد تم طلاء أصابع قدميه بمحلول الجنطايا البنفسجية. قال منتحبا: "من سمع قبل ذلك عن رجل استخبارات جنائية ذى لثة أرجوانية؟".

خرج من غرفة التعليمات منكسا رأسه وتعثر بخندق طولى وسقط لينكسر أنفه. كانت درجة حرارته لا تزال طبيعية ولكن جاس وويس جعلا منه حالة استثنائية وأرسلاه إلى المستشفى بسيارة إسعاف.

لقد كذب الرائد ميجور وكان ذلك أمرا طيبا. وهو لم يندهش لاكتشافه أن ذلك أمر طيب لأنه لاحظ أن الأشخاص الذين كانوا يكذبون - فى الإجمال - كانوا أكثر طموحا وإبداعا ونجاحا من الأشخاص الذين لا يكذبون؛ فلو قال الحقيقة لرجل الاستخبارات الجنائية الثانى، لوقع فى المشكلات. لذا بدلا من ذلك فقد كذب وأصبح بذلك حرا لمواصلة عمله.

ولقد أصبح أكثر حذرا فى عمله نتيجة لزيارة رجل الاستخبارات الثانى؛ فقد أصبح يوقع بيده اليسرى وفقط أثناء ارتداء نظارة سوداء ولصق شارب زائف اللذين حاول استخدامهما لمعاودة لعب كرة السلة ثانية لكن دون نجاح. وكاحتياط إضافى، غير التوقيع من واشنطن إيرفنج إلى جون ميلتون. فجون ميلتون سهل ومختصر. وشأنه شأن اسم واشنطن إيرفنج يمكنه عكسه فى أى وقت يشعر بالملل. علاوة على ذلك، فهو قد ساعد الرائد ميجور على مضاعفة إنتاجه: حيث إن جون ميلتون كان اقصر كثيرا من اسمه هو أو اسم واشنطن إيرفنج وتستغرق كتابته وقتا أقل كثيرا. وقد كان اسم جون ميلتون ذا ميزة إضافية أخرى. فقد وجد أنه يمكن استخدامه فى أشياء كثيرة، وسرعان ما وجد الرائد ميجور نفسه يستعمل الاسم فى أجزاء من حوارات خيالية. وبالتالى بدأت تأخذ التظهيرات العادية على الوثائق الرسمية هذا الشكل: "جون. إن ميلتون شخص سادى" أو "هل رأيت ميلتون يا جون". وهناك التوقيع الذى يفخر به على نحو خاص "هل يوجد أى شخص فى جون يا ميلتون؟". لقد فتح اسم جون ميلتون صورا ذهنية جديدة كاملة مليئة باحتمالات ساحرة وغير مرهقة والتى كانت تبشر بالتخلص من الرتابة للأبد: وقد عاد الرائد ميجور إلى اسم واشنطن إيرفنج حينما أصبح اسم جون ميلتون

مملاً ورتيباً.

وقد اشترى الرائد ميجور النظارة السوداء والشارب الزائف من روما فى محاولة أخيرة وعقيمة لإنقاذ نفسه من الانحطاط المستنقعى الذى كان يغرق بداخله على نحو منتظم؛ فأولا كان هناك ذلك الخزى البشع الناجم عن حملة قسم الطاعة العظيمة، حينما لم يسمح له أحد من الثلاثين أو الأربعين شخصاً المروجين لأقسام الطاعة التنافسية بالتوقيع. وبعد ذلك، حينما أوشك على نسيان هذا الأمر كانت هناك مسألة طائرة كليفنجر التى اختفت بشكل غامض فى الهواء، هى وكل الطاقم الذى كانت تحمله، وقد توجه كل اللوم من أجل هذا الحادث المؤسف إليه؛ لأنه لم يقم بتوقيع أى من أقسام الطاعة.

كان للنظارة السوداء حواف حمراء ضاربة إلى الأرجوانية، وكان الشارب ذا لون أسود، وقد وضعهما أثناء لعبة كرة السلة حينما شعر بأنه ليس بإمكانه تحمل الوحدة. استشعر نفحة من الألفة الجميلة بينما يمشى الهوينى إلى الملعب ويدعو الله فى صمت ألا يتعرف عليه أحد. وقد ادعى الآخرون أنهم لا يعرفونه، وبدأ يستمتع بوقته، وبمجرد أن انتهى من تهنئة نفسه على نجاح خدعته البريئة تلقى ضربة قوية من أحد الخصوم ليقع على ركبتيه، وسرعان ما تلقى ضربة أخرى قوية واتضح له أنهم قد تعرفوا عليه وأنهم كانوا يستخدمون تنكره كذريعة لضربه وإيقاعه وهرسه. إنهم لم يريدوه على الإطلاق. وبمجرد أن أدرك هذا بدأ اللاعبون فى فريقه ينضمون غريزيا للاعبى الفريق الآخر ليكونوا حشداً صارخاً واحدا متعطشا للدماء والذين هاجموا من كل الاتجاهات وهم يسبونه ويلكمونه. لقد طرحوه أرضا وأخذوا يركلونه وهو على الأرض وهاجموه ثانية، بينما كان يصارع ليقف على قدميه. وقد غطى وجهه بيديه ولم يستطع أن يرى. وقد احتشدوا كل فوق الآخر فى جنون لضربه وركله وسحقه. لقد تم ضربه حتى وصل إلى حافة المصرف ليسقط منزلقا فوق رأسه وكتفيه، وفى الأسفل وجد موطئا لقدميه وتسلق الجدار الآخر ومشى مترنحا أسفل وابل من صيحات الاستهزاء والحجارة التى غمروه بها حتى انحرف بمكان آمن عند خيمة غرفة التعليمات. وقد كان شاغله الأكبر أثناء الهجوم برمته هو أن يبقى نظارته السوداء وشاربه الزائف على وجهه حتى يستطيع الاستمرار فى التظاهر بأنه شخص آخر ولا يضطر أن يواجههم بسلطته.

وحينما عاد إلى مكتبه شرع فى البكاء، وحينما انتهى من البكاء مسح الدم من فمه وأنفه والقاذورات من السحجات الموجودة بوجنته وجبهته واستدعى الرقيب تاوزر.

ثم قال: "من الآن فصاعدا، لا أريد أن يأتى أى أحد لرؤيتى أثناء وجودى هنا.

هل هذا واضح؟".

قال الرقيب تاوزر: "نعم يا سيدى. هل ذلك يشملنى؟".

"نعم".

"حسنا، أتأمرنى بشىء آخر؟".

"لا".

"ماذا أقول للناس الذين يأتون لرؤيتك أثناء وجودك هنا؟".

"أخبرهم بأننى موجود واطلب منهم الانتظار".

"نعم يا سيدى. الانتظار إلى متى؟".

"حتى أغادر".

"وفى ذلك الحين ماذا أفعل بهم؟".

"لا يهمنى ذلك".

"هل أرسلهم إلى الداخل بعد أن تغادر؟".

"نعم".

"ولكنك لن تكون هنا فى ذلك الحين، أليس كذلك؟".

"نعم".

"نعم يا سيدى، أتأمرنى بشىء آخر؟".

"لا".

"حسنا يا سيدى".

قال الرائد ميجور للمجند متوسط العمر الذى يعتنى بمقطورته: "من الآن فصاعدا لا أريدك أن تأتى هنا أثناء وجودى لتسألنى إن كان بإمكانك القيام بأى شىء من أجلى. هل هذا واضح؟".

قال المجند: "نعم يا سيدى. متى يمكننى أن آتى إلى هنا لأسألك إن كان هناك أى شىء يمكننى القيام به من أجلك؟".

"حينما لا أكون هنا".

"حسنا يا سيدى، وما الذى ينبغى علىّ فعله؟".

"أى شىء آمرك به".

"ولكنك لن تكون هنا لتأمرنى بأى شىء، أليس كذلك؟".

"نعم".

"إذن ما الذى ينبغى علىّ فعله؟".

"أى شىء يتطلب القيام به".

"حسنا يا سيدى".

قال الرائد ميجور: "هذا هو كل ما أريده".

قال المجند: "حسناً يا سيدى. أتأمرنى بشىء آخر؟".

قال الرائد ميجور: "نعم. لا تأتِ للتنظيف أيضاً. لا تأتِ لتفعل أى شىء إلا إذا كنت واثقاً من أننى لست هنا".

"نعم يا سيدى، ولكن كيف لى أن أعرف ذلك؟".

"إذا لم تكن واثقا، فقط افترض أننى هنا وانصرف حتى تصبح واثقا. هل هذا واضح؟".

"نعم يا سيدى".

"آسف لأننى أتحدث إليك بهذه الطريقة، ولكننى مضطر إلى ذلك. إلى اللقاء".

"إلى اللقاء يا سيدى".

"وشكرا لك لأجل كل شىء".

"حسنا يا سيدى".

قال الرائد ميجور مخاطبا مايلو مايندربانيدر: "من الآن فصاعدا لن آتى إلى غرفة الطعام. أريد أن تجلب لى طعامى فى مقطورتى".

قال مايلو: "أعتقد أن تلك فكرة جيدة يا سيدى. الآن سأستطيع أن أقدم لك الأطباق الخاصة التى لا يعرف عنها الآخرون شيئا. أنا واثق من أنك ستستمتع بها. إن الكولونيل كاثكارت دائما ما يستمتع بها".

"أنا لا أريد أية أطباق خاصة، أريد ما تقدمه لجميع الضباط الآخرين. فقط اجعل من يأتى لإحضارها يطرق الباب مرة ثم يترك الصينية على عتبة بابى. هل هذا واضح؟".

قال مايلو: "نعم يا سيدى، هذا واضح للغاية. إن لدىّ بعض السرطان البحرى الذى أخفيه والذى يمكننى أن أقدمه لك الليلة إلى جانب سلطة الروكفور الممتازة واثنين من حلوى الإكلير المجمدة والتى تم تهريبها من باريس بالأمس فقط بواسطة عضو مهم بالجماعة السرية الفرنسية. ما رأيك فى هذا؟".

"لا".

"حسنا يا سيدى. أتفهم ذلك".

وعلى العشاء بهذه الليلة قدم له مايلو سرطاناً بحرياً مشوياً مع سلطة الروكفور واثنين من حلوى الإكلير المجمدة، وقد شعر الرائد ميجور بالانزعاج؛ فإن قام بإعادة الطعام فسوف يلقى فى القمامة أو سيأخذه شخص آخر، وقد كان الرائد ميجور ضعيفا أمام السرطان البحرى المشوى، وقد تناول الطعام وهو يشعر بتأنيب الضمير. وفى غداء اليوم التالى قدم له مايلو حساء الرق مع ربع جالون كامل من الشراب الجيد والذى تجرعه الرائد ميجور بالكامل دون تفكير.

وبعد مايلو تبقى فقط بعض الرجال بغرفة التعليمات وقد تجنبهم الرائد ميجور عن طريق الدخول والخروج فى كل مرة عبر النافذة السليوليد المغطاة السخام فى مكتبه. كانت النافذة كبيرة وخفيضة ومن السهل القفز خلالها من كل من الاتجاهين، وقد نجح فى قطع المسافة بين غرفة التعليمات ومقطورته عن طريق الركض حول زاوية الخيمة حينما يكون الساحل خاليا ثم القفز بمصرف السكك الحديدية والتوجه مع خفض رأسه حتى يصل إلى ملاذه فى الغابة. وبالتوازى مع مقطورته يترك المصرف ويشق طريقه بسرعة نحو المنزل خلال الشجيرات الصغيرة والتى لم يسبق أن قابل بها مخلوقا سوى النقيب فلوم. والذى أفزعه بشدة حينما تجسد أمامه فجأة ذات يوم فى فترة الشفق دون تحذير بعدما خرج من رقعة من شجيرات توت الندى ليشكو له أن المقدم وايت هلفوت قد هدده بقطع رقبته من الأذن للأذن.

قال له الرائد ميجور: "إن قمت بإفزاعى بهذا الشكل مرة أخرى فسوف اقوم بقطع رقبتك من الأذن للأذن".

تنهد النقيب واختفى مجددا فى رقعة شجيرات توت الندى، وبعدها لم يرد الرائد ميجور مجددا.

وحينما نظر الرائد ميجور خلفه إلى ما أنجزه شعر بالسعادة: فلقد نجح وسط تلك الأرض الأجنبية التى تضم أكثر من مائتى شخص فى الانعزال عن العالم تمامًا، فباستخدام بعض الذكاء جعل من المستحيل بالنسبة لأى شخص فى السرية أن ينجح فى الحديث إليه، وهو الأمر الذى أرضى الجميع كما لاحظ: حيث إنه لم يكن هناك من يرغب فى التحدث إليه بأية حال من الأحوال. لا أحد - كما اتضح - فيما عدا هذا المعتوه يوساريان والذى طرحه أرضا ذات يوم أثناء انطلاقه من قاع المصرف إلى مقطورته لتناول الغداء.

وآخر رجل فى السرية كان يود الرائد ميجور أن يقوم بطرحه أرضا هو يوساريان. لقد كان يوساريان سيئ السمعة، ولا يكف عن التحدث بشأن هذا الرجل الميت فى خيمته، والذى لم يكن هناك، والذى قام بعد ذلك بخلع جميع ملابسه بعد مهمة الأفنيون وسار بدونها حتى ذلك اليوم الذى ذهب فيه الجنرال دريدل إليه ليعطيه ميدالية لبسالته وبطولته فوق فيرارا ليجده يقف فى التشكيل عاريا تماما، ولم يملك أحد فى العالم أجمع القوة للتخلص من متعلقات الرجل الميت المبعثرة فى خيمة يوساريان، وقد تحدى الرائد ميجور السلطة حينما سمح للرقيب تاوزر أن يدعى بأن الملازم الذى لقى حتفه فوق الأورفيتو بعد أقل من ساعتين من وصوله إلى السرية لم يأت إلى السرية قط. وقد كان الشخص الوحيد الذى يملك حق التخلص من متعلقاته من خيمة يوساريان - من وجهة نظر الرائد ميجور - هو

يوساريان نفسه، ولكن يوساريان ـ من وجهة نظر الرائد ميجور ـ لم يكن يملك أية حقوق.

تأوه الرائد ميجور إثر طرح يوساريان له أرضا وحاول أن ينهض ليقف على قدميه، ولكن يوساريان لم يدعه يفعل ذلك.

قال يوساريان: "النقيب يوساريان يطلب الإذن للتحدث إلى الرائد على الفور بخصوص مسألة حياة أو موت".

أشار له الرائد ميجور بتململ: "ساعدنى على الوقوف من فضلك؛ فأنا لا أستطيع رد التحية وأنا مستلق على ذراعى".

حرره يوساريان ثم وقفا ببطء. قام يوساريان بتحيته مرة أخرى وكرر طلبه.

قال الرائد ميجور: "دعنا نذهب إلى مكتبى. لا أعتقد أن ذلك مكان مناسب للتحدث به".

أجابه يوساريان: "حسنا يا سيدى".

ضربا الحصى بأقدامهما وسارا فى صمت تام حتى مدخل غرفة التعليمات.

"اسمح لى بدقيقة أو اثنتين حتى أضع المكروكروم على هذه الجروح. بعد ذلك اطلب من الرقيب تاوزر أن يدخلك إلى هنا".

"نعم يا سيدى".

مشى الرائد ميجور سريعا إلى مؤخرة غرفة التعليمات دون أن ينظر لأى من الموظفين أو العاملين على الآلة الكاتبة الذين يعملون على مكاتبهم ويحفظون الملفات فى الخزائن، ثم أغلق الباب المؤدى إلى مكتبه وراءه، وبمجرد أن أصبح وحده فى مكتبه هرع فارا خارج غرفته عبر النافذة، لكنه وجد يوساريان أمامه يعترض طريقه. كان يوساريان يقف منتبها وقام بتحيته مرة أخرى.

كرر فى حزم: "النقيب يوساريان يطلب الإذن للتحدث إلى الرائد على الفور بشأن مسألة حياة أو موت".

قال الرائد ميجور: "الإذن مرفوض".

"إنه أمر مهم".

استسلم الرائد ميجور. وأذعن فى حذر: "حسنا. سوف أتحدث إليك. من فضلك اقفز داخل مكتبى".

"بعدك يا سيدى".

قفزا داخل المكتب. جلس الرائد ميجور وظل يوساريان يتحرك أمام مكتبه وأخبره بأنه لا يرغب فى الخروج لتنفيذ أية مهام جوية قتالية أخرى. تساءل الرائد ميجور فى نفسه عما يستطيع أن يقوم به. إن كل ما يستطيع فعله هو أن يقول له ما لقنه إياه الكولونيل كورن ويأمل أن يفلح معه.

سأل: "لمَ لا؟".

"لأننى خائف".

قال له الرائد ميجور بعطف: "إن هذا ليس شيئاً تخجل منه. كلنا نشعر بالخوف".

قال يوساريان: "أنا لا أشعر بالخجل. أنا فقط خائف".

"إنك لن تكون شخصا طبيعياً إذا لم تشعر بالخوف. حتى أشجع الرجال يشعرون بالخوف. وإحدى أهم المسئوليات التى نواجهها أثناء القتال هى التغلب على الخوف".

"بالله عليك أيها الرائد كف عن هذه الترهات".

خفض الرائد ميجور رأسه فى ارتباك وحرك أصابعه بقلق. "ماذا تريدنى أن أخبرك؟".

"إننى قد نفذت عددًا كافيا من المهام وبإمكانى العودة للوطن".

"كم عدد المهام التى نفذتها؟".

"واحد وخمسون".

"إن أمامك أربع مهام أخرى".

"إنه سوف يقوم بزيادة عددها. فى كل مرة أقترب فيها من الانتهاء من مهامى يرفع عددها".

"ربما لن يفعل ذلك هذه المرة".

"إنه لا يرسل أى أحد للوطن بأية حال من الأحوال. إنه فقط يبقيهم هنا فى انتظار تعليمات المناوبة حتى لا يتبقى لديه عدد كاف من الرجال ليقوم بالطلعات الحربية وبعد ذلك يرفع عدد المهام ويعيدهم جميعا مجددا للخدمة. لقد ظل يفعل ذلك منذ أن جاء إلى هنا".

قال له الرائد ميجور ناصحا: "لا ينبغى أن تلقى اللوم على الكولونيل كاثكارت بسبب أى تأخر فى التعليمات. إنها مسئولية القوات الجوية السابعة والعشرين أن ترسل الأوامر على الفور بمجرد أن تأخذها منا".

"يمكنه أن يطلب الجنود الاحتياطيين ويرسلنا إلى الوطن حينما لا تصل الأوامر مرة أخرى. على أية حال لقد سمعت أن القوات الجوية السابعة والعشرين تريد فقط أربعين مهمة وأنها فكرته هو أن ننفذ خمسًا وخمسين".

أجابه الرائد ميجور: "أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. إن الكولونيل كاثكارت هو قائدنا وواجبنا طاعته. لماذا لا تنفذ المهام الأربع المتبقية وترى ماذا سيحدث؟".

"أنا لا أريد هذا".

سأل الرائد ميجور نفسه مرة أخرى: "*ماذا يمكنك أن تفعل*؟ ماذا يمكنك أن

تقول لرجل ينظر إليك مباشرة فى عينيك ويقول لك إنه يفضل أن يموت على ان يقتل اثناء المعارك الحربية. رجل فى نفس نضوجك وذكائك والذى اضطر أن يدعى أنه ليس كذلك؟ ماذا يمكنك أن تقول له؟".

قال الرائد ميجور: "لنفترض أننا استطعنا جعلك تطير فى مهام استطلاعية سلمية. بهذه الطريقة ستقوم بتنفيذ المهام الأربع المتبقية دون أن تتعرض لأية خطورة".

"أنا لا أريد الطيران فى مهام سلمية. أنا لا أريد المشاركة فى الحرب بعد ذلك".

سأله الرائد ميجور: "هل تريد أن تخسر بلادنا الحرب؟".

"إننا لن نخسر. إن لدينا المزيد من الرجال والمزيد من المال والمزيد من المؤن. إن هناك عشرة ملايين شخص يرتدون الزى العسكرى يمكنهم أن يحلوا محلى. إن بعض الناس يلقون حتفهم، وعددا أكبر بكثير يتربحون ويستمتعون بوقتهم. فلندع شخصا آخر يلق حتفه".

"ولكن افترض أن هذا كان شعور كل محاربينا".

"إذن سأكون أحمق إن شعرت بشىء خلاف هذا. أليس كذلك؟".

تساءل الرائد ميجور فى حزن: "*ماذا يمكنك أن تقول له*؟". إن ما لم يكن يستطيع أن يقوله هو أنه ما من شىء يمكنه فعله. وأن يقول إنه ما من شىء يمكنه فعله يعنى أن هناك شيئا يستطيع فعله إن استطاع: مما سيفيد ضمنيا أن هناك خطأ أو شيئا غير عادل فى سياسة الكولونيل كورن، وقد كان الكولونيل كورن واضحا بشأن هذا الأمر. لا يجب أن يقول قط إن ما من شىء يمكنه فعله.

قال: "أنا آسف، لكن ما من شىء يمكننى فعله".

١٠

ونترجرين

لقد مات كليفنجر، كان ذلك هو الخلل الرئيسى فى فلسفته. فقد حلقت ثمانى عشرة طائرة عبر السحب البيضاء مغادرة ساحل إلبا فى فترة بعد الظهيرة عائدة إلى السرية من الجولة الاستطلاعية الأسبوعية إلى بارما؛ ولكن لم تعد إلا سبع عشرة طائرة. لم يتم العثور على أى أثر للطائرة المفقودة، ليس فى الهواء وليس على السطح الأملس للماء بالأسفل. لم يكن هناك أى حطام. وقد ظلت الطائرات الهليكوبتر تحلق حتى غروب الشمس، وفى المساء توقف البحث، وفى الصباح لم يعد هناك كليفنجر.

كان اختفاؤه مذهلاً، تماماً كمؤامرة "لورى فيلد" الكبرى حينما اختفى أربعة وستون رجلاً من ثكنة واحدة فى يوم دفع الرواتب ولم يسمع أحد عنهم شيئاً مرة أخرى. وحتى اختفاء كليفنجر من الوجود بهذه البراعة كان يوساريان يعتقد أن هؤلاء الرجال قد قرروا ببساطة وبشكل جماعى الفرار من الخدمة العسكرية فى نفس اليوم. فى الواقع لقد شعر بحماسة غامرة لما بدا له أنه فرار جماعى من الجندية ومن المسئولية المقدسة حتى إنه ركض ليزف الخبر المثير إلى ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق.

سخر ونترجرين بشكل بغيض ووضع حذاء الجيش المتسخ الخاص به على مجرافه واتكأ للخلف بشكل مترهل ضد جدار أحد الخنادق العميقة المربعة والذى كان حَفْرُها هو تخصصه العسكرى.

كان ونترجرين شخصًا وضيعًا وحقيراً يستمتع بالقيام بالأعمال المشبوهة وغير المشروعة، وكل مرة كان يفر فيها من العسكرية كان يُضبط ويُحكم عليه بأن يحفر ويملأ خنادق يبلغ عمقها وعرضها ست أقدام لفترة معينة من الوقت، وفى كل مرة ينتهى فيها من تنفيذ عقوبته يحاول الفرار من العسكرية مجدداً، وقد تقبل ونترجرين مهمته فى حفر وملء الخنادق بإخلاص بالغ كشخص يحب وطنه بحق.

كان يقول بشكل فلسفى: "إنها ليست حياة سيئة، وأعتقد أن على شخص ما القيام بهذا الأمر".

كان يتمتع بقدر كافٍ من الحكمة ليعى أن حفر الخنادق فى كولورادو ليس

بالمهمة السيئة فى وقت الحرب؛ وحيث إن الخنادق قد لا تكون بالغة الأهمية، يكون بإمكانه حفرها وملؤها على مدار فترة كبيرة من الوقت؛ مما لا يجعله يصاب بالإجهاد أو الإرهاق قط. وعلى الجانب الآخر، فقد كانت رتبته العسكرية تنزل إلى درجة أدنى فى كل مرة يُحاكم فيها عسكرياً. وقد كان يحزن على فقدان رتبته بهذه الطريقة كثيرا.

قال فى شوق كبير وهو يتذكر: "كان الأمر لطيفاً حقّا حينما كنت جندياً من الدرجة الأولى، كنت أتمتع بمكانة أفضل - هل تفهم ما أعنيه؟ فقد اعتدت السفر إلى أفضل الدوائر الإدارية"، ثم اسود وجهه حزنا وقال: "ولكننى نسيت كل هذا الآن. ففى المرة التالية التى سأذهب فيها فوق التل سيكون ذلك بصفتى جنديا أدنى، وأنا أعرف أن الأمر لن يكون كالسابق قط"، حيث لم يكن هناك أى مستقبل فى حفر الخنادق. "والوظيفة ليست ثابتة حتى؛ فأنا أفقدها فى كل مرة أنتهى فيها من تنفيذ عقوبتى، وبعد ذلك يكون علىّ تسلق التل ثانية إن أردت استعادتها وأنا حتى لا أستطيع مواصلة ذلك. وتلك هى المعضلة؛ ففى المرة القادمة التى سأفر فيها عبر التل سوف يتم حبسى فى المعتقل المطوق بالأسلاك الشائكة. وأنا لا أعرف ماذا سيفعلون بى. وقد ينتهى بى الأمر منفيا فى مكان ما عبر البحار إن لم أكن حريصا". لم يكن يرغب فى الاستمرار فى حفر الخنادق لما تبقى من حياته، على الرغم من أنه لم يكن يمانع فى القيام بذلك مادامت هناك حرب قائمة وأن ذلك جزء من واجبه الحربى. قال: "إنها مسألة واجب، وكل منا لديه واجب يؤديه. وواجبى هو أن أستمر فى حفر هذه الخنادق، وقد كنت أبلى بها بلاءً حسناً حتى إنه قد تم ترشيحى لميدالية حسن السير والسلوك. إن واجبك هو أن تفشل فى الكلية العسكرية وتتمنى أن تنتهى الحرب قبل أن تتخرج فيها. وواجب الرجال المقاتلين هو الفوز بالحرب، وأتمنى لو يقومون بواجبهم كما أقوم أنا بواجبى؛ فلن يكون من العدل فى شىء أن أضطر للسفر عبر البحار والقيام بواجبهم أيضاً، أليس كذلك؟".

وفى أحد الأيام كسر ونترجرين ماسورة مياه أثناء الحفر فى أحد الخنادق وكاد يغرق قبل أن يتم انتشاله وهو شبه فاقد الوعى، وقد ذاعت شائعة بأن الخندق به بترول مما جعلهم يطردون المقدم وايت هلفوت من القاعدة. وسرعان ما خرج كل رجل أمكنه العثور على مجراف ليحفر فى جنون بحثا عن البترول. وقد تناثر الغبار فى كل مكان؛ وصار المشهد شبيهًا بذلك اليوم فى بيانوسا بعد ذلك بسبعة أشهر، حينما قام مايلو بقصف السرية بكل طائرة حصل عليها فى نقابة إم آند إم، بالإضافة إلى قصف القاعدة الجوية ومستودع القنابل وحظائر الإصلاح كذلك، وقد كان جميع الناجين بالخارج يأخذون ساترا على الأراضى الصلبة ويغطون

رءوسهم بصفائح معدنية واقية مسروقة من حظائر الإصلاح بالحقل وبمربعات رثة وبالية من قماش القنب الواقى من الماء والمسروق من الفواصل الجانبية لخيم الآخرين، وقد تم نقل المقدم وايت هلفوت خارج كولورادو عند ذيوع أول شائعة بالعثور على بترول حتى استقر أخيراً فى بيانوسا كبديل للملازم كومبس والذى خرج فى إحدى المهام كضيف فى أحد الأيام لاستكشاف كيف يكون القتال الحربى، ومات فوق فيرارا بالطائرة مع كرافت. وقد كان يوساريان يشعر بالذنب فى كل مرة يتذكر فيها كرافت؛ وذلك لأنه قد لقى نحبه بجولة يوساريان القتالية الثانية، ولأن كرافت قد انخرط بشكل غير مقصود كذلك فى العصيان المسلح العظيم على الأتبرين، والذى بدأ فى بورتوريكو فى بداية رحلتهم الجوية عبر البحار وانتهى فى بيانوسا بعد ذلك بعشرة أيام، حينما ذهب أبلباى إلى غرفة التعليمات لحظة وصوله ليخبر يوساريان برفضه لأخذ حبوب الأتبرين الخاصة به، وقد دعاه الرقيب هناك للجلوس.

قال أبلباى : "شكراً لك أيها الرقيب، أعتقد أننى سأفعل. كم من الوقت سأضطر أن أنتظر؟ إن لدىَ الكثير لأقوم به اليوم حتى أكون مستعدا غداً فى وقت مبكر من الصباح للذهاب فى الوقت الذى يريدوننى فيه".

"سيدى ؟".

"ماذا أيها الرقيب؟".

"ما كان سؤالك".

"كم من الوقت سأنتظر قبل أن أدخل وأرى الرائد؟".

أجابه الرقيب تاوزر: "فقط حتى يخرج لتناول الغداء. بعد ذلك يمكنك أن تدخل".

"ولكنه لن يكون بالداخل. أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى، لن يعود الرائد ميجور إلى مكتبه إلا بعد الغداء".

قال أبلباى فى عدم ثقة: "نعم، من الأفضل إذن أن أعود بعد الغداء".

خرج أبلباى من غرفة التعليمات فى ارتباك، وفى اللحظة التى خطا فيها للخارج خطر له أنه رأى ضابطاً طويلاً داكن البشرة والذى يشبه قليلاً هنرى فوندا يقفز خارج نافذة خيمة غرفة التعليمات ويغيب عن النظر حول المنعطف. توقف أبلباى وأغلق عينيه. تسلل إليه الشك، وقد تساءل إن كان يعانى من الملاريا أو ما هو أسوأ بفعل آثار جرعة زائدة من حبوب الأتبرين؛ فقد كان أبلباى يأخذ جرعة مضاعفة بقدر أربع مرات من الجرعة الموصوفة من الأتبرين لأنه أراد أن يكون طياراً أكثر براعة من أى طيار آخر أربع مرات مضاعفة. كانت عيناه لا تزالان مغلقتين حينما ربت الرقيب تاوزر على كتفه وأخبره بأن بإمكانه الدخول الآن إن

أراد ذلك بما أن الرائد ميجور قد خرج. استعاد أبلباى ثقته بنفسه.

"شكراً لك أيها الرقيب. هل سيعود سريعاً".

"سيعود بعد الغداء مباشرة، وفى ذلك الحين ستضطر أن تنتظره فى الخارج حتى يغادر لتناول العشاء؛ فالرائد ميجور لا يرى قط أحداً فى مكتبه أثناء وجوده فى مكتبه".

"أيها الرقيب، ماذا قلت لتوك؟".

"قلت إن الرائد ميجور لا يرى قط أحداً فى مكتبه أثناء وجوده فى مكتبه".

حدق أبلباى إلى الرقيب تاوزر بإمعان وقال بحزم: "أيها الرقيب، هل تحاول السخرية منى فقط لأننى جديد بالسرية بينما حاربت أنت عبر البحار منذ فترة طويلة؟".

أجابه الرقيب تاوزر بأسلوب ينم عن الاحترام: "لا، لا، يا سيدى. إن تلك هى الأوامر التى تلقيتها منه. يمكنك أن تسأل الرائد ميجور حينما تراه".

"هذا ما أنوى فعله أيها الرقيب. متى يمكننى أن أراه؟".

"لا يمكنك أن تراه مطلقاً".

شاعرًا بالخزى كتب أبلباى تقريره عن يوساريان وحبوب الأتبرين على ورقة أعطاها له الرقيب وغادر مسرعاً وهو يتساءل إن كان يوساريان ليس الرجل الوحيد الذى يرتدى زى الضباط والمصاب بالجنون.

فبحلول الوقت الذى رفع فيه الكولونيل كاثكارت عدد المهام إلى خمس وخمسين بدأ الرقيب تاوزر يعتقد أن كل رجل يرتدى الزى الرسمى مصاب على الأرجح بالجنون. كان الرقيب تاوزر نحيفاً وبارز العظام وذا شعر أصفر فاتح للغاية لدرجة تجعله يبدو بلا لون، ووجنتين غائرتين، وأسنان تشبه حلوى الخطمى البيضاء الكبيرة. لقد كان يدير شئون السرية ولكنه لم يكن سعيداً بوظيفته تلك؛ فرجال مثل هنجرى جو كانوا ينظرون إليه نظرات تملؤها الكراهية، وأبلباى أصبح مصدر تهديد له بعدما أثبت أنه طيار ماهر ولاعب تنس طاولة بارع لم يسبق له خسارة ولو نقطة واحدة، وقد كان الرقيب تاوزر يدير شئون السرية لأنه لم يكن هناك أحد آخر فى السرية يديرها، وهو لم يكن له أية اهتمامات بالحرب أو بالتقدم، فكان ما يحوز على اهتمامه هو الكسرات وأثاث هبلوايت.

ودون أن يدرك هذا تقريباً انغمس الرقيب تاوزر فى عادة التفكير فى الرجل الميت فى خيمة يوساريان كما يقول يوساريان. فى الواقع، لم يكن هناك رجل ميت أو شىء من هذا القبيل؛ فقد كان ببساطة طياراً احتياطياً لقى حتفه فى المعركة قبل أن يسلم نفسه بشكل رسمى للخدمة العسكرية؛ فهو قد ذهب إلى غرفة العمليات ليستعلم عن الطريق إلى خيمة غرفة التعليمات وتم إرساله للمعركة مباشرة لأن

الكثير من الرجال قد أنهوا الخمس والثلاثين مهمة المطلوبة منهم حينذاك حتى إن النقيب بيلشارد والنقيب رين قد لاقيا صعوبة فى جمع أعداد كافية من الرجال فى كل طاقم. ولأنه لم يدخل رسميا قط إلى السرية فإنه لن يخرج منها رسميا قط كذلك، وشعر الرقيب تاوزر بأن الرسائل المتعددة الخاصة بالرجل المسكين سوف تظل ترتد إليهم إلى الأبد.

كان اسمه ماد. وبالنسبة للرقيب تاوزر ـ الذى كان يستنكر العنف والخسارة بدرجة مماثلة ـ فقد بدا له إرسال ماد عبر المحيط فقط ليلقى حتفه ويتحول إلى أشلاء فوق الأورفينو بعد أقل من ساعتين لوصوله ـ تصرفا متهورا بغيضا. ولم يكن بإمكان أحد أن يتذكر من كان أو ما كان شكله، وعلى وجه الخصوص النقيب بيلشارد والنقيب رين، اللذان يتذكران فقط أن ضابطا جديدا ظهر بغرفة العمليات فى لحظة معينة جعلته يفقد حياته بعد ذلك وكانا يطرقان فى خجل فى كل مرة يأتى فيها أحد على ذكر الرجل الميت فى خيمة يوساريان. والوحيدون الذين ربما يكونون قد رأوا ماد هم الرجال الذين استقلوا معه نفس الطائرة والذين انفجروا معه ليتحولوا إلى أشلاء.

أما يوساريان على الجانب الآخر فقد كان يعلم من كان ماد. إن ماد كان هو الجندى المجهول الذى لم يحظ قط بالفرصة؛ حيث إن الشىء الوحيد الذى يكون معروفا عن الجنود المجهولين هو أنهم لم يحظوا قط بالفرصة؛ فموتهم يكون إلزاميا. وقد كان هذا الجندى الميت مجهولا حقا حتى على الرغم من أن متعلقاته لا تزال ترقد فى كومة فوق أحد الأسرّة فى خيمة يوساريان تقريبا كما تركها قبل ثلاثة أشهر فى اليوم الذى لم يصل فيه قط ـ والتى تلوثت جميعا بالموت بعد أقل من ساعتين بنفس الطريقة التى تلوثوا بها جميعا بالموت فى الأسبوع التالى مباشرة أثناء حصار بولونيا العظيم حينما انتشرت رائحة الموت العفنة فى الهواء مع الضباب القاسى؛ مما جعل كل رجل من المقرر له الطيران يتلوث بها.

ولم تكن هناك وسيلة للتهرب من تلك المهمة إلى بولونيا حيث تطوع الكولونيل كاثكارت بمجموعته لتقوم بتفجير مخازن الذخيرة الحربية هناك، والتى فشلت القاذفات الثقيلة بالبر الرئيسى الإيطالى فى تدميرها من مواقعها المرتفعة. وكل يوم يتأخر فيه تنفيذ المهمة كان الحزن يزداد، وقد انتشر الاقتناع الطاغى بالموت متزامنًا مع استمرار الأمطار فى الهطول والذى كان يكوى ملامح الرجال المتعبة مثل لطخات آكلة لمرض زاحف ما. كان الجميع تصدر منهم رائحة الفورمالديهايد، ولم يكن هناك مكان يذهبون إليه طلباً للمساعدة، ولا حتى الخيمة الطبية والتى أمر الكولونيل كورن بإغلاقها حتى لا يستطيع أحد أخذ المرض ذريعة للتغيب عن الخدمة، كما فعل الرجال فى أحد الأيام حينما أصيبوا جميعاً بإسهال غامض؛

مما أدى إلى إرجاء المهمة مرة أخرى، ومع إلغاء الإجازات المرضية وإغلاق باب الخيمة الطبية، كان الطبيب دانيكا يمضى الفترات الفاصلة بين نوبات هطول الأمطار جالساً فوق مقعد عال دون أن ينطق بكلمة وهو يمتص الخوف المتفشى بالمكان بحيادية حزينة، ويجثم مثل صقر حزين أسفل اللافتة المشئومة المكتوبة بخط اليد والتى علقها على الباب المغلق للخيمة الطبية النقيب بلاك على سبيل المزاح وتركها الطبيب دانيكا لأنها لم تكن مزحة، وكان الكلام فوق اللافتة مكتوبا بالطباشير الداكن ويقول: "مغلق حتى إشعار آخر. وفاة فى العائلة".

وقد انتشر الخوف فى كل مكان ـ فى سرية دونبار ـ حيث أقحم دونبار رأسه خلال مدخل الخيمة الطبية هناك فى فترة الشفق وتحدث باحترام للظل الغائم لدكتور ستابس والذى كان يجلس فى الظلام بالداخل أمام زجاجة من الشراب ومرطبان جرسى الشكل مملوء بالماء.

سأله بنبرة مواساة: "هل أنت بخير؟".

أجابه دكتور ستابس: "أنا بحالة مزرية".

"ما الذى تفعله هنا؟".

"أجلس".

"كنت أعتقد أنه لم تعد هناك بلاغات مرضية".

"هذا صحيح".

"إذن لماذا تجلس هنا؟".

"أين يمكننى أن أجلس؟ فى نادى الضباط اللعين مع الكولونيل كاثكارت وكورن؟ هل تعلم ماذا أفعل هنا؟".

"تجلس".

"أعنى فى السرية. ليس فى الخيمة. لا تكن شديد الذكاء هكذا. هل يمكنك أن تخمن ماذا يفعل أحد الأطباء هنا فى السرايا؟".

قال دونبار: "لقد قاموا بإغلاق أبواب الخيم الطبية فى السرايا الأخرى".

أكد دكتور ستابس قائلا: "إن دخل عيادتى أى رجل مريض فسوف أعطيه إجازة مرضية. لا يهمنى ما يقولون".

قال له دونبار مذكراً إياه: "لا يمكنك أن تعطى أحداً إجازة مرضية. ألا تعرف التعليمات؟".

قال: "سوف أجعله يقع أرضاً عن طريق إعطائه حقنة". ضحك دكتور ستابس فى سعادة حينما تخيل هذا. وأضاف: "إنهم يعتقدون أنهم يستطيعون إلغاء الإجازات المرضية من الوجود. هؤلاء الأوغاد. يا إلهى، ها قد بدأ ثانية". بدأ المطر فى الهطول ثانية، أولا فى الأشجار، ثم فى بريكات الطين ثم وبشكل خفيف مثل

الخرير المهدئ للأعصاب فوق أعلى الخيمة. قال دكتور ستابس باشمئزاز: "إن كل شىء مبلل. حتى المراحيض والمباول تعلن اعتراضها. إن رائحة العالم اللعين هذا تشبه رائحة المقابر".

وقد بدأ السكون شديد العمق حينما توقف عن الحديث. أسدل الليل ستاره. كان يسود المكان إحساس رحب بالعزلة.

اقترح دونبار قائلاً: "أضئ المصباح".

"ليس هناك مصباح، ولا أريد أن أشغل المولد. كانت معنوياتى ترتفع حينما أنقذ حياة الآخرين. الآن أتساءل ما النفع من أى شىء طالما أن الجميع سيموت بأى حال من الأحوال".

قال له دونبار مؤكداً: "هناك نفع بالفعل".

"حقاً؟" ما النفع؟".

"هو أن تساعد فى ألا يموتوا بقدر استطاعتك".

"نعم ذلك هو ما أقصده؛ حيث إنهم جميعاً سيموتون بأى حال من الأحوال؟".

"إن الخدعة هى ألا تفكر فى ذلك".

"تباً لهذه الخدعة. ما النفع فى ذلك بحق السماء؟".

فكر دونبار فى صمت لبضع لحظات. "من يدرى بحق السماء؟".

لم يعرف دونبار الإجابة. كان لابد لحصار بولونيا أن يبهج دونبار لأن الدقائق والساعات ظلت تمر ببطء مثل القرون. ولكنها بدلاً من ذلك كانت تعذبه لأنه كان يعلم أنه سيقتل.

سأل دكتور ستابس: "هل تريد حقاً المزيد من الكوديين؟".

"إنه من أجل صديقى يوساريان. إنه واثق من أنه سوف يموت".

"يوساريان؟ من يكون يوساريان؟ أى اسم هذا على أية حال؟ أليس هو الرجل الذى ثمل وبدأ تلك المشاجرة مع الكولونيل كورن فى نادى الضباط فى تلك الليلة؟".

"هذا صحيح. إنه آشورى".

"هذا الوغد المعتوه".

قال دونبار: "إنه ليس معتوهاً، إنه يقسم إنه لن يطير إلى بولونيا".

أجابه دكتور ستابس: "هذا ما أعنيه تماماً. إن هذا الوغد المعتوه ربما يكون الشخص العاقل الوحيد المتبقى".

١١

النقيب بلاك

عرف العريف كولودنى الخبر من خلال مكالمة تليفونية من الوحدة، ولقد صُدم بشدة حتى إنه عبر خيمة المخابرات وهو يسير على أطراف أصابعه حتى وصل للنقيب بلاك الذى كان يجلس فى تراخٍ ويضع قدميه فوق مكتبه وأخبره بما عرفه فى همس يشوبه الصدمة.

أشرق وجه النقيب بلاك على الفور. سأل فى سعادة: "بولونيا؟ يا إلهى"، ثم انفجر فى الضحك وقال: "بولونيا، أليس كذلك؟". ضحك مرة أخرى وهزّ رأسه فى دهشة جزلة: "يا إلهى! لا أطيق الانتظار حتى أرى وجوه هؤلاء الأوغاد حينما يكتشفون أنهم ذاهبون إلى بولونيا. ها، ها، ها!".

كانت تلك هى الضحكات الأولى التى يضحكها النقيب بلاك من قلبه منذ أن فاقه الرائد ميجور دهاءً وتم تعيينه كقائد للسرية. نهض بحماسة ووقف خلف النضد الأمامى من أجل استغلال المناسبة واعتصار أكبر قدر من المتعة منها حينما يصل المدفعيون لأخذ خرائطهم.

أخذ يكرر لجميع المدفعيين والذين استفسروا فى شك إن كانوا حقاً سيذهبون إلى بولونيا: "هذا صحيح أيها الأوغاد، بولونيا، ها! ها! ها! فلتموتوا كمداً أيها الأوغاد. إن الأمر حقيقى هذه المرة".

وقد تبع النقيب بلاك آخر واحد منهم إلى الخارج ليشهد باستمتاع أثر ذيوع الخبر على جميع الضباط والمجندين الآخرين والذين كانوا مجتمعين وهم يرتدون خوذاتهم وباراشوتاتهم وحُللهم حول الشاحنات الأربع التى كانت تقف فى منتصف السرية. كان رجلاً طويلاً هزيلاً كئيبًا يتحرك فى كسل وفتور همة، وقد كان يحلق وجهه النحيل الشاحب كل ثلاثة أو أربعة أيام، ويبدو معظم الوقت كما لو أن له شارباً ذهبيًا ناميًا ضاربًا إلى اللون الأحمر فوق شفته العلوية. وبالفعل لم يصب بالإحباط من المشهد الذى رآه فى الخارج؛ فقد كان الرعب يلوث كل وجهه، وقد تثاءب النقيب بلاك بسعادة وتخلص من شعوره بالنعاس، وكان يضحك بخبث فى كل مرة يقول فيها لأحد أن يموت كمداً.

وقد اتضح أن بولونيا كانت هى أكثر الأحداث إثارة وبهجة فى حياة النقيب بلاك منذ يوم مقتل الرائد دولوث فوق بيروجيا والذى كاد يتم اختياره فيه ليحل

محله فى قيادة السرية. فحينما ذاع خبر مقتل الرائد دولوث بالميدان غمرت النقيب بلاك نشوة غامرة؛ فعلى الرغم من أنه لم يفكر فى هذا الاحتمال من قبل، فقد أدرك النقيب بلاك على الفور أنه أنسب رجل ليحل محل الرائد دولوث كقائد للسرية. والسبب فى ذلك هو أنه كان ضابط المخابرات السرية، الأمر الذى يعنى أنه أذكى من أى شخص آخر بالسرية. صحيح أنه لم يكن من بين المشاركين فى المعارك القتالية ـ كما كان الرائد دولوث وكما كان جميع قادة السرايا ـ إلا أن تلك كانت نقطة أخرى تحسب فى صالحه، بما أن حياته لن تكون بذلك معرضة للخطر وسيستطيع أن يشغل الوظيفة طوال الفترة التى تحتاج إليها بلاده. وكلما فكر النقيب بلاك فى الأمر، بدا له أنه سيتحقق بشكل مؤكد؛ فقد كانت المسألة فقط مسألة إلقاء الكلمة الصحيحة فى المكان المناسب سريعاً. وهكذا عاد إلى مكتبه سريعاً لوضع خطة عملية، وبعد أن جلس فى مقعده الدوار ورفع قدميه على المكتب وأغلق عينيه بدأ فى تخيل كم سيكون كل شىء جميلاً بمجرد أن يصبح قائدًا للسرية.

وفى أثناء استغراق النقيب بلاك فى التخيل، كان الكولونيل كاثكارت قد أخذ قراره؛ مما جعل النقيب بلاك يصاب بالذهول من السرعة التى اعتقد أن الرائد ميجور فاقه بها ذكاءً. وقد كان فزعه الكبير حينما سمع خبر تعيين الرائد ميجور قائداً للسرية يشوبه استياء مرير لم يكلف نفسه عناء إخفائه. فحينما عبر زملاؤه من الضباط الإداريين عن دهشتهم لاختيار الكولونيل كاثكارت للرائد ميجور، قال النقيب بلاك إن هناك شيئًا غريبًا يحدث؛ وحينما بدأوا يفكرون فى القيمة السياسية التى يحملها الشبه الذى يوجد بين الرائد ميجور وهنرى فوندا أكد النقيب بلاك أن الرائد ميجور هو هنرى فوندا؛ وحينما أشاروا إلى أن الرائد ميجور كان غريب الأطوار أعلن لهم النقيب بلاك أنه شيوعى.

قال بشكل ثائر: "إنهم يستولون على كل شىء. حسنًا، يمكنكم أيها الرفاق أن تتركوهم يفعلون ما يشاءون إن أردتم ذلك، ولكنى لن أفعل ذلك وأقف مكتوف اليدين. سوف أتخذ إجراءً ما إزاء ما يحدث. من الآن فصاعدًا سأجعل كل وغد يأتى إلى خيمة الاستخبارات الخاصة بى يمضى على قسم بالولاء. ولن أدع هذا الوغد الرائد ميجور يوقع على واحد، حتى إن أراد ذلك".

وخلال عشية وضحاها تقريباً تم تنفيذ حملة قسم الولاء العظيمة، وقد ابتهج النقيب بلاك حينما وجد نفسه قائدها. لقد نجح حقاً فى القيام بشىء ما؛ فجميع المجندين والضباط المقاتلين كان عليهم توقيع قسم بالولاء للحصول على حقائب خرائطهم من خيمة الاستخبارات، وتوقيع قسم ثانٍ بالولاء للحصول على حُللهم الحربية وباراشوتاتهم من خيمة الباراشوتات، وتوقيع قسم ثالث بالولاء للملازم بالكينجتون ضابط المركبة للسماح لهم باستقلال إحدى الشاحنات من

السرية إلى القاعدة الجوية؛ ففى كل مرة يستديرون بها يجدون أمامهم قسماً بالولاء لتوقيعه. فكانوا يوقعون قسماً بالولاء ليحصلوا على رواتبهم من الضابط المالى، ولأخذ معداتهم ولحلق شعرهم لدى الحلاقين الإيطاليين. وقد كان النقيب بلاك يعتبر كل ضابط يدعم "حملة قسم الولاء العظيمة" الخاصة به منافساً له، وكان يخطط ويتآمر طوال أربع وعشرين ساعة كل يوم ليظل متقدماً بخطوة. فهو لم يكن ليتوانى لحظة عن التعبير عن إخلاصه لبلاده. وحينما حذا الضباط الآخرون حذوه وابتكروا أقسام ولاء خاصة بهم تقدم عليهم بخطوة عن طريق جعل كل وغد يأتى إلى خيمته يوقع قسمين بالولاء ثم ثلاثة ثم أربعة ثم ابتكر بعد ذلك التعهد بالإخلاص، وبعد ذلك اشترط أن يغنيه من يأتيه أنشودة "الراية ذات النجمة البراقة"، مرة واحدة، ثم مرتين، ثم ثلاث، ثم أربع. وفى كل مرة ينجح فيها النقيب بلاك فى التغلب على منافسيه كان يزدريهم ويعايرهم بفشلهم فى الحذو حذوه. وفى كل مرة كانوا يحذون فيها حذوه كان ينسحب فى قلق ويعتصر رأسه للخروج بحيلة جديدة تمكنه من ازدرائهم مرة أخرى.

ودون أن يعرفوا كيف حدث هذا، اكتشف الرجال المحاربون بالسرية بأنهم واقعون تحت هيمنة الإداريين الذين تم تعيينهم لخدمتهم؛ فقد كانوا يتعرضون للاستئساد والسب والإزعاج والدفع طوال اليوم من واحد تلو الآخر. وحينما أعلنوا اعتراضهم رد النقيب بلاك قائلاً: "إن الأشخاص المخلصين لن يمانعوا توقيع جميع أقسام الولاء التى عليهم توقيعها". وقد كان يقول لأى شخص يشكك فى أهمية وفاعلية أقسام الولاء: "إن الأشخاص المخلصين بحق لبلادهم سيتعهدون بذلك بكل فخر كلما أرغموا على ذلك". وقد كان يقول لأى شخص يشكك فى الدوافع الأخلاقية: "إن "الراية ذات النجمة البراقة" هى أفضل مقطوعة موسيقية تم تأليفها. وكلما زاد عدد أقسام الولاء التى يوقعها الرجل، زاد ولاؤه وإخلاصه"؛ كان الأمر للنقيب بلاك بهذه البساطة، وقد كان يجعل العريف كولدونى يوقع مئات الأقسام باسمه كل يوم حتى يستطيع أن يثبت دوماً أنه أكثر ولاءً من أى شخص آخر.

شرح لكتيبته قائلاً: "أهم ما فى الأمر أن نستمر فى جعلهم يتعهدون. ولا يهم إن كانوا مقتنعين بالأمر أم لا. ولعل هذا هو السبب الذى يجعلهم يجعلون الأطفال يتعهدون بالإخلاص قبل أن يعرفوا حتى ماذا تعنى كلمة عهد أو كلمة إخلاص".

وبالنسبة للنقيب بيلشارد والنقيب رين فقد كانت حملة قسم الولاء العظيمة مزعجة حقاً؛ حيث إنها قد زادت مهمتهما فى تنظيم المجموعات لكل مهمة حربية تعقيداً؛ فقد كان الرجال مشغولين طوال اليوم فى السرية فى التوقيع والتعهد والغناء، وبدأت عملية الإعداد للمهام تستغرق ساعات وساعات أطول، وقد أصبحت الإجراءات الطارئة الفعالة مستحيلة، ولكن النقيب بيلشارد والنقيب رين كانا

شديدى الجبن وخشيا تقديم أى شكوى ضد النقيب بلاك والذى كان يؤكد كل يوم على مبدأ "إعادة التأكيد المستمرة" والذى قام باختراعه، هذا المبدأ المصمم خصيصاً لضبط وإيقاع جميع الرجال الذين أصبحوا غير مخلصين بعد آخر مرة وقعوا فيها قسم الولاء باليوم السابق، وكان النقيب بلاك هو من قدم النصح للنقيب بيلشارد والنقيب رين حينما كانا واقعين فى براثن ورطتهما المربكة؛ فقد أتى بتفويض ونصحهما ببرود أن يجعلا كل رجل يوقع كل قسم ولاء قبل السماح له بالخروج فى مهمة جوية حربية.

قال النقيب بلاك: "وبالطبع هذا الأمر يرجع إليكما؛ فلا يوجد من يحاول الضغط عليكما. ولكن كل شخص آخر يجعلهم يوقعون أقسامًا بالولاء وسيبدو الأمر غريباً للغاية للمباحث الفيدرالية إن كنتما أنتما الاثنان الوحيدين اللذين لا يحبان بلادهما بما فيه الكفاية لجعلهم لا يوقعون أقساماً بالولاء كذلك؛ فإن كنتما تريدان اكتساب سمعة سيئة، فهذا شأنكما وحدكما، فكل ما نحاول فعله هو المساعدة".

لم يكن مايلو مقتنعاً بهذا ورفض تماماً حرمان الرائد ميجور من الطعام حتى لو كان الرائد ميجور شيوعياً، وهو الأمر الذى كان مايلو يشك فيه سراً؛ فقد كان مايلو بطبيعته ضد أى تجديد يهدد بإفساد المجرى الطبيعى للأمور. وقد تبنى مايلو موقفاً أخلاقياً حازماً ورفض تماماً المشاركة فى "حملة قسم الولاء العظيمة" حتى يأتيه النقيب بلاك بتفويضه ويطلب منه هذا.

رد النقيب بلاك على اعتراض مايلو قائلاً: "إن عملية الدفاع القومى هى مسئولية *الجميع*. وهذا البرنامج برمته تطوعى، مايلو من فضلك لا تنس هذا؛ فالرجال ليس عليهم توقيع قسم ولاء النقيب بيلشارد ورين إن لم يكونوا يرغبون فى ذلك. ولكننا نريد منك أن تحرمهم من الطعام حتى الموت إن فعلوا ذلك. إن الأمر يشبه المصيدة، المعضلة التى ليس لها حل. ألا تفهم؟ إنك لا تعترض على تلك المصيدة، أليس كذلك؟".

كان الطبيب دانيكا عنيداً.

"ما الذى يجعلك شديد الثقة هكذا من أن الرائد ميجور شيوعى؟".

"إنك لم تسمعه ينكر هذا الأمر حتى بدأنا فى اتهامه به، أليس كذلك؟ وأنت لا تراه يوقع أياً من أقسامنا بالولاء".

"إنك لا تدعه يوقع أياً منها".

قال النقيب بلاك: "بالطبع لا. إن ذلك من شأنه أن يبطل غرض حملتنا. اسمع؛ إنك لست مضطراً أن تلعب معنا إن لم ترغب فى ذلك، ولكن ما فائدة عملنا جميعاً بكل هذا الكد إن كنت ستمنح الرائد ميجور العناية الطبية حينما يبدأ مايلو

فى حرمانه من الطعام حتى الموت؟ وأنا أتساءل عما سيكون رأى الوحدة العسكرية فى الرجل الذى يقوض البرنامج الأمنى الذى وضعناه برمته. إنهم على الأرجح سينقلونك إلى المحيط الهادى".

استسلم الطبيب دانيكا سريعاً وقال: "سوف أذهب وآمر جاس وويس بفعل أى شىء تريدهما أن يفعلاه".

وفى الوحدة العسكرية بدأ الكولونيل كاثكارت يتساءل بالفعل عما يحدث.

أجابه المقدم كورن مبتسماً: "إنه ذلك الأحمق بلاك ولعبة الوطنية التى يمارسها، وأعتقد أنه من الأفضل أن تشاركه اللعب لفترة من الوقت بما أنك الشخص الذى قام بترقية الرائد ميجور ليصبح قائد السرية".

اتهمه الكولونيل كاثكارت بفظاظة: "إن تلك كانت فكرتك. ما كان يجب أن أسمح لك بإقناعى بمثل هذا الأمر".

قال الكولونيل كورن: "وقد كانت فكرة جيدة للغاية بما أنها قد قضت على هذا الرائد الزائد والذى كان وجوده يزعجك. لا تقلق، إن هذا الأمر سينتهى على الأرجح من تلقاء نفسه. أفضل شىء يمكننا القيام به الآن هو إرسال خطاب للنقيب بلاك نعبر فيه عن دعمنا المطلق له ثم ندعو الله أن يموت قبل أن يتسبب فى كثير من الدمار"، ثم داهمت الكولونيل كورن فكرة غريبة فقال: "أتساءل! إنك لا تعتقد أن هذا المعتوه سيحاول إخراج الرائد ميجور من مقطورته، أليس كذلك؟".

قال النقيب بلاك: "إن الأمر التالى الذى يتوجب علينا فعله هو طرد هذا الوغد الرائد ميجور من مقطورته، وكنت أود أن نطرد زوجته وأطفاله إلى الغابة أيضاً، ولكن ليس بإمكاننا القيام بذلك؛ فهو ليس له زوجة أو أطفال؛ لذا فسنضطر أن نكتفى بما لدينا ونطرده هو وحده. من المسئول عن الخيم؟".

"هو".

صاح النقيب بلاك: "أترون؟ إنهم يستولون على كل شىء! حسناً، أنا لن أقف مكتوف الأيدى أمام ما يحدث. سوف أقوم بتصعيد هذا الأمر إلى الرائد دى كوفرلى نفسه إن اضطررت لهذا. سأجعل مايلو يتحدث معه بخصوص هذا الأمر لحظة عودته من روما".

كان النقيب بلاك يؤمن إيماناً عميقاً فى حكمة وقوة وعدالة الرائد دى كوفرلى على الرغم من أنه لم يسبق له أن تحدث إليه من قبل، وعلى الرغم من أنه لايزال يجد نفسه لا يتمتع بالشجاعة الكافية للقيام بذلك، وبالتالى فوض مايلو للتحدث إلى الرائد دى كوفرلى من أجله وظل ينتظر بصبر نافد عودة الضابط التنفيذى طويل القامة؛ فشأنه شأن كل رجل آخر فى السرية كان يرتعد خوفاً وتبجيلاً من هذا الرائد المهيب ذى الشعر الأبيض والوجه الصخرى والمشية الملكية والذى عاد

من روما أخيراً بعين مجروحة مغطاة بلصقة عين جديدة من السليوليد والذى حطم حملته العظيمة برمتها تحطيمًا بضربة واحدة.

لم يقل مايلو شيئاً حينما دخل الرائد دى كوفرلى حجرة الطعام بوقاره وهيبته فى يوم عودته ووجد طريقه مسدوداً بفعل جدار من الضباط المنتظرين فى صف لتوقيع أقسام الولاء، وبأقصى طرف طاولة الطعام كانت مجموعة من الرجال ممن وصلوا مبكراً يتعهدون بالإخلاص للعَلم بينما يحملون صوانى الطعام على يد واحدة من أجل السماح لهم بالجلوس على الطاولة. كانت تجلس على الطاولة بالفعل مجموعة أتت فى وقت مبكر عن المجموعة السابقة والتى كانت تغنى أغنية "الراية ذات النجمة البراقة" من أجل السماح لهم باستخدام الملح والفلفل والكاتشاب هناك، وقد بدأ الصخب يخمد ببطء بينما كان الرائد دى كوفرلى يقف بالمدخل وهو يقطب فى عدم استحسان يشوبه الارتباك وكأنه يرى شيئاً غريباً يحدث. سار إلى الأمام فى خط مستقيم. انشق جدار الضباط أمامه مثل البحر، ودون أن ينظر يميناً أو يساراً اتجه بشكل لا يقهر إلى الطاولة، وبصوت واضح وجهورى وأجش طنان ويمتلئ سمواً وسلطة قال:

"أعطنى طعاماً".

وبدلاً من أن يعطيه طعاماً أعطى العريف سنارك الرائد دى كوفرلى قسماً بالولاء لتوقيعه. مزقه الرائد دى كوفرلى فى غضب عارم لحظة ما اكتشف ما هو بينما تتوهج عينه السليمة ازدراءً ويسود وجهه المتجعد المهيب غضباً.

تحدث بصوت عالٍ بنبرة جافة والتى دوت فى الخيمة الساكنة مثل الرعد: "قلت أعطنى طعاماً".

شحب وجه العريف سنارك وبدأ يرتعد. نظر إلى مايلو طلباً للإرشاد، وطوال عدة لحظات بشعة ساد صمت عميق، بعد ذلك أومأ مايلو.

قال: "أعطه طعاماً".

بدأ العريف سنارك يعطى الرائد دى كوفرلى طعاماً. استدار الرائد دى كوفرلى من عند الطاولة وهو يحمل صينيته الممتلئة ثم توقف، وقعت عيناه على مجموعات الضباط الآخرين الذين كانوا يحدقون فى استحسان صامت وزأر بنبرة قتالية:

"أعط *الجميع* طعاماً!".

كرر مايلو بنبرة تنم عن البهجة والراحة: "أعط *الجميع* طعاماً!"، وهكذا انتهت حملة قسم الولاء العظيمة.

وقد خاب أمل النقيب بلاك بشدة نتيجة لتلك الطعنة الخائنة فى الظهر من شخص فى مكانة مرتفعة والذى كان يعتمد عليه لتوفير الدعم له. لقد خذله الرائد دى كوفرلى.

قال ببهجة لكل من كان يأتيه متعاطفاً: "إن الأمر لا يزعجنى على الإطلاق. لقد أنجزنا مهمتنا. لقد كان هدفنا هو أن نبث الرعب فى نفس كل شخص لا نحبه وأن نحذر الناس من خطر الرائد ميجور، ونحن بدون شك نجحنا فى القيام بذلك، وبما أننا لم نكن لندعه يوقع أقسام الولاء بأية حال من الأحوال، فلا يهم حقاً إن استمررنا فى مواصلة الحملة أم لا".

إن رؤية كل رجل فى السرية لا يحبه خائفاً مرة أخرى خلال الحصار العظيم المروع واللامتناهى لبولونيا ذكرت النقيب بلاك بالأيام الخوالى الجميلة لحملة قسم الولاء العظيمة الخاصة به حينما كان رجلاً مهماً حقاً وحينما كان رجالاً أشداء مثل مايلو مايندبانيدر والطبيب دانيكا وبيلشارد ورين يرتعدون لرؤيته ويتذللون تحت قدميه؛ وكى يثبت للجنود الجدد أنه كان رجلاً مهماً كان مازال بحوزته خطاب الإطراء الذى تلقاه من الكولونيل كاثكارت.

١٢
بولونيا

فى الواقع لم يكن النقيب بلاك وإنما الرقيب نايت هو من آثار الفزع المرتبط بعملية بولونيا؛ وقد حدث ذلك عندما هبط بهدوء من الشاحنة من أجل حُلتين واقيتين إضافيتين بمجرد أن عرف الهدف وبعث إشارة ببدء السير نحو خيمة الباراشوتات، الأمر الذى تمخض عن فرار جماعى قبل أن تختفى جميع الحُلات الواقية الإضافية.

سأل كيد سامبسون بعصبية: "ماذا يحدث؟ لا يمكن لعملية بولونيا أن تكون بكل هذه الصعوبة، أليس كذلك؟".

كان ناتلى الذى يجلس كالمغشى عليه على أرض الشاحنة يضع وجهه الشاب الحزين بين كلتا يديه ولم يجبه.

فى الواقع كان من أثار الفزع هو الرقيب نايت، بالإضافة إلى السلسلة القاسية من التأجيلات؛ ففى الوقت الذى كانوا فيه على استعداد لأن يستقلوا طائراتهم فى الصباح التالى مباشرة جاءت سيارة جيب لتذيع لهم أنها كانت تمطر فى بولونيا وأن المهمة تم تأجيلها، وقد كانت تمطر فى بيانوسا أيضاً بحلول الوقت الذى عادوا فيه إلى السرية، وقد أمضوا ما تبقى من هذا اليوم فى التحديق بغباء إلى خط القنابل على الخريطة تحت ظلة خيمة الاستخبارات والتأمل فى الحقيقة القاسية التى تفيد أنه لا مفر، وقد كان الدليل يوجد هناك فى ذلك الشريط الأحمر الضيق الذى يتخذ سبيلاً متعرجاً عبر البر الرئيسى: القوات الأرضية فى إيطاليا كانت تبعد مسافة اثنين وأربعين ميلاً جنوبى الهدف ، ولا تستطيع قطع تلك المسافة، وبالتالى لا تستطيع أسر المدينة فى الوقت المحدد. لا يوجد ما يمكن أن ينقذ الرجال فى بيانوسا من المهمة إلى بولونيا. لقد وقعوا فى شراكها بالفعل.

كان أملهم الوحيد ألا توقف الأمطار، ولكنهم كانوا فاقدى الأمل لأنهم كانوا يعرفون أنها ستتوقف، وحينما توقفت الأمطار فى بيانوسا بدأت تمطر فى بولونيا، وإن لم تكن هناك أى أمطار بالمرة كانت تحدث ظاهرة غريبة وغير قابلة للتفسير مثل تفشى الإصابة بالإسهال أو تحرك خط القنابل؛ فخلال أربع مرات أثناء الأيام الستة الأولى تم جمع الرجال وإعطاؤهم التعليمات النهائية، ثم سرعان ما يتم إلغاء المهمة. وفى إحدى المرات أقلعوا وكانوا يحلقون بالسرب حينما استدعاهم

برج التحكم وجعلهم يعودون مرة أخرى. وكلما اشتد المطر زادت معاناتهم. وكلما زادت معاناتهم أكثروا من الدعاء بأن يستمر المطر؛ فطوال الليل كان الرجال ينظرون إلى السماء ويشعرون بالحزن لرؤية النجوم. وطوال النهار كانوا ينظرون إلى خط القنابل على خريطة إيطاليا المثبتة فوق حامل كبير متقلقل والتى كانت تجرفها الرياح ويقومون بسحبها أسفل ظلة خيمة الاستخبارات فى كل مرة تبدأ فيها الأمطار فى الهطول. وقد كان خط القنابل عبارة عن شريط قرمزى مكتنز مصنوع من الساتان، والذى كان يحدد بدقة موقع القوات المتحالفة الأرضية فى كل قطاع من البر الرئيسى الإيطالى.

وفى الصباح التالى لمشاجرة هنجرى جو باللكمات مع قطة هولب، توقفت الأمطار عن الهطول فى كلا البلدين، وقد بدأ الشريط الأرضى يجف. وهو سيحتاج إلى أربع وعشرين ساعة كى يصبح صلباً؛ ولكن السماء ظلت صافية، وقد تحولت مشاعر الاستياء الكامنة داخل كل رجل إلى كراهية. أولاً كرهوا جنود المشاه فى البر الرئيسى لأنهم فشلوا فى الاستيلاء على بولونيا. بعد ذلك بدأوا يكرهون خط القنابل نفسه. فطوال ساعات كانوا يحدقون الشريط القرمزى على الخريطة وكرهوه؛ لأنه لن يتحرك عالياً بما فيه الكفاية ليطوق المدينة، وحينما يسدل الليل ستاره كانوا يتجمعون فى الظلام وهم يمسكون بالمشاعل ويستمرون فى مراقبة خط القنابل فى تضرع كئيب وكأنهم يتمنون تحرك الشريط لأعلى بفعل دعواتهم وصلواتهم الجماعية الحزينة.

قال كليفنجر ليوساريان بنبرة صوت ترتفع وتنخفض فى اعتراض ودهشة: "أنا لا أصدق هذا حقاً. إن الأمر بمثابة ارتداد كلى لخرافة بدائية. إنهم يخلطون بين السبب والنتيجة. إنهم يظنون أن أمورًا خرافية مثل الطرق على الخشب أو طقطقة أصابعك سوف تنفذ لهم ما يريدون. إنهم يعتقدون حقاً أننا لن يكون علينا الخروج فى المهمة غداً إن قام أحدهم بالتسلل على أطراف أصابعه إلى الخريطة فى منتصف الليل وحرك خط القنابل فوق بولونيا. هل يمكنك تخيل هذا؟ لابد أننا الشخصان الوحيدان العاقلان المتبقيان".

وفى منتصف الليل طرق يوساريان على الخشب وطقطق أصابعه وتسلل على أطراف أصابعه مغادراً خيمته ليحرك خط القنابل فوق بولونيا.

وقد مشى العريف كولودنى على أطراف أصابعه حتى خيمة النقيب بلاك فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى، ومد يده داخل شبكة البعوض وهزّ الكتف الرطبة التى وجدها هناك حتى فتح النقيب بلاك عينيه.

تذمر النقيب بلاك قائلاً: "لماذا توقظنى؟".

قال العريف كولودنى: "لقد أسروا بولونيا يا سيدى. كنت أعتقد أنك تود

معرفة هذا. هل هذا يعنى إلغاء المهمة؟".

وقف النقيب بلاك وبدأ يحك فخذيه الهزيلين الطويلين. وخلال فترة وجيزة ارتدى ملابسه وخرج من خيمته غير حليق الذقن وهو يغمض عينيه نصف إغماضة. كانت السماء صافية ودافئة. نظر إلى الخريطة بحس متبلد. لقد كان واضحاً أنهم أسروا بولونيا بالفعل، وفى داخل خيمة الاستخبارات كان العريف كولودنى يقوم بالفعل بإخراج خرائط بولونيا من حقائب أدوات الملاحة. جلس النقيب بلاك وهو يتثاءب بصوت عالٍ ثم وضع قدميه أعلى مكتبه واتصل بالمقدم كورن.

قال المقدم كورن متذمراً: "لماذا توقظنى؟".

"لقد أسروا بولونيا أثناء الليل يا سيدى. هل يعنى ذلك إلغاء المهمة؟".

قال المقدم كورن: "ما الذى تتحدث عنه يا بلاك؟ لماذا يجب إلغاء المهمة؟".

"لأنهم أسروا بولونيا يا سيدى. ألن يتم إلغاء المهمة؟".

"بالطبع لقد ألغيت المهمة. هل تعتقد أننا سنقذف قواتنا الآن؟".

قال الكولونيل كاثكارت متذمراً للمقدم كورن: "لماذا توقظنى؟".

قال له المقدم كورن: "لقد أسروا بولونيا. كنت أعتقد أنك تود معرفة ذلك".

"من أسر بولونيا؟".

"نحن".

كان كولونيل كاثكارت سعيداً للغاية؛ حيث إنه تخلص من الالتزام المحرج بقصف بولونيا دون أن يمس ذلك بسمعته كمحارب شجاع ومقدام والتى اكتسبها عن طريق التبرع برجاله لينفذوا هذه المهمة، وقد كان الجنرال دريدل سعيداً بأسر بولونيا كذلك على الرغم من أنه كان غاضباً من الكولونيل مودس؛ لأنه أيقظه ليخبره عن هذا الأمر. وقد كان مقر الرئاسة سعيداً كذلك وقرر أن يمنح الضابط الذى قام بأسر المدينة ميدالية، ولم يكن هناك ضابط قام بأسر المدينة لذا فقد أعطوا الميدالية للجنرال بيكام؛ لأن الجنرال بيكام كان هو الضابط الوحيد الذى بادر بطلب ميدالية تكريم.

وبمجرد أن أخذ الجنرال بيكام الميدالية بدأ يطالب بمزيد من المسئوليات. وقد كان رأى الجنرال بيكام بأن تخضع جميع الوحدات العسكرية بمسرح العمليات للسلطان القضائى لفيلق الخدمة الخاصة والذى كان يترأسه الجنرال بيكام نفسه؛ فإن لم يكن قصف العدو بالقنابل خدمة خاصة ـ كما اعتاد أن يقول بصوت مرتفع بابتسامة بريئة تعكس عقلانية عذبة والتى كانت تلازمه دوماً فى كل نقاش ـ فهو لا يستطيع أن يمنع نفسه من التساؤل عن أى شىء بهذا العالم إذن يتبع الخدمات الخاصة. وبطريقة سلمية رفض العرض الذى تلقاه بشغل وظيفة حربية

تحت قيادة الجنرال دريدل.

قال بهدوء وهو يضحك: "إن التحليق فى مهام حربية تحت *قيادة* الجنرال دريدل ليس هو ما أردته. لقد كنت أرغب فى *أن أحل محل* الجنرال دريدل، أو ربما شغل وظيفة فوق الجنرال دريدل حيث أستطيع الإشراف على العديد من الجنرالات الآخرين كذلك؛ فكما تعرف فإن معظم قدراتى الجليلة تنحصر فى النواحى الإدارية، كما أننى أتمتع ببراعة خاصة فى جعل الأشخاص المختلفين يتوصلون إلى اتفاق".

قال الكولونيل كارجيل باستياء لونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق آملاً أن يقوم ونترجرين بإذاعة ما يقوله له خلال مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين: "إنه يتمتع ببراعة خاصة فى جعل الأشخاص المختلفين يتفقون على حقيقة أنه أحمق معتوه؛ فإن كان هناك من يستحق هذه الوظيفة فهو أنا، لقد كانت فكرتى أننا نطالب بميدالية تكريم".

سأله ونترجرين: "هل تريد حقاً الاشتراك فى المعارك؟".

قال الكولونيل كارجيل فى ذعر: "معارك؟ لا، لقد أسأت فهمى. بالطبع أنا *لا أمانع* الاشتراك فى المعارك الحربية ولكن معظم قدراتى الجليلة تنحصر فى النواحى الإدارية؛ فأنا أيضاً أتمتع ببراعة خاصة فى جعل الأشخاص المختلفين يتوصلون إلى اتفاق".

قال ونترجرين وهو يضحك ليوساريان بعد أن جاء إلى بيانوسا ليتأكد إن كانت شائعة مايلو والقطن المصرى حقيقية أم لا: "إنه أيضاً يتمتع ببراعة خاصة فى جعل الأشخاص المختلفين يتفقون على حقيقة أنه أحمق معتوه؛ فإن كان هناك أى شخص يستحق ترقية فهو أنا". فى الواقع لقد تم ترقيته بالفعل إلى عريف أسبق بعد أن حالفه الحظ بعد نقله مباشرة إلى مقر رئاسة القوات الجوية السابع والعشرين كموظف بريد، ولكن تم إنزال رتبته على الفور إلى جندى لقيامه بتقليد الضباط الذين يعمل تحت إمرتهم بشكل ساخر، وقد بث فيه طعم النجاح الحلو بمزيد من الأخلاقيات وأشعل بداخله طموحاً لتحقيق إنجازات أسمى. سأل يوساريان: "هل تريد شراء بعض قداحات زيبو؟ لقد تمت سرقتها من أمين الإمدادات مباشرة".

"هل مايلو يعلم أنك تبيع قداحات السجائر؟".

"وما شأنه بهذا؟ إن مايلو لا يبيع قداحات السجائر أيضاً، أليس كذلك؟".

قال له يوساريان: "بلى. وقداحاته ليست مسروقة".

أجابه ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق بتذمر: "هذا هو ما تعتقده. أنا أبيع الواحدة بدولار. بكم يبيع هو القطعة؟".

"دولار وبنس".

ضحك ونترجرين فى انتصار وقال: "أنا أفوز عليه فى كل مرة. الآن، ماذا عن كل هذا القطن المصرى الذى يبيعه؟ ما القدر الذى اشتراه".

"كل الكمية".

صاح ونترجرين فى سعادة خبيثة: "التى توجد فى العالم أجمع؟ يا إلهى! يا له من مغفل! لقد كنت فى القاهرة معه. لماذا تركته يفعل ذلك".

أجابه يوساريان وهو يهز كتفيه: "أنا؟ ليس لدىّ أى تأثير عليه. لقد كان السبب هو آلات التلغراف التى توجد فى جميع المطاعم الجيدة هناك. فلم يسبق لمايلو أن رأى تلغرافاً خاصًا بالبورصة من قبل، وقد تصادف أن يظهر سعر القطن المصرى فى الوقت الذى سأل فيه الساقى أن يشرح له ماهية هذا الجهاز". قال مايلو بينما كانت تلك النظرة الغبية ترتسم على وجهه: "القطن المصرى ؟ كم سعر القطن المصرى هذا؟". والشىء الذى أتذكره بعد ذلك أنه اشترى كل المحصول. والآن ليس باستطاعته بيع أى منه".

"إنه لا يتمتع بأى خيال. أستطيع بيع كمية كبيرة منه فى السوق السوداء إن عقد معى صفقة".

"إن مايلو يتعامل مع السوق السوداء. ليس هناك حاجة للقطن".

"ولكن هناك حاجة إلى الإمدادات الطبية. أستطيع لف القطن حول عصى تخليل الأسنان وبيعها بالتجزئة كقطيلات معقمة. هل سيبيع لى القطن بسعر جيد؟".

قال يوساريان: "إنه لن يبيع لك بأى سعر؛ فهو غاضب منك للغاية لمنافستك له. فى الواقع إنه غاضب من الجميع لإصابتهم بالإسهال فى الأسبوع الماضى ووصم مطبخه بسمعة سيئة. من فضلك تعهد بمساعدتنا". أمسك يوساريان ذراعه فجأة وقال: "ألا يمكنك تزوير بعض الأوامر الرسمية على تلك الآلة الناسخة الخاصة بك وتعفينا من السفر إلى بولونيا؟".

ابتعد عنه ونترجرين ببطء بينما ترتسم على وجهه نظرة ازدراء وقال بفخر: "بالطبع أستطيع، ولكنى لن أحلم حتى بالقيام بشىء مثل هذا".

"لمَ لا؟".

"لأنها مهمتك. إننا جميعاً لدينا مهام نقوم به، ومهمتى هى بيع قداحات الزيبو هذه وتحقيق ربح إن أمكننى هذا وشراء بعض القطن من مايلو. ومهمتك هى قصف مستودعات الذخيرة فى بولونيا".

ناشده يوساريان قائلاً: "ولكننى سوف أموت فى بولونيا. إننا جميعاً سوف نقتل".

أجابه ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق: "إذن سيكون عليكم ببساطة أن تُقتَلوا. لماذا فقط لا تقوم بالإذعان للقضاء والقدر بشأن هذا الأمر مثلى؟ فإن كان محتماً علىّ أن أبيع تلك القداحات وتحقيق ربح وشراء بعض القطن المصرى بسعر رخيص من مايلو، إذن فهذا ما سوف أفعله. وإن كان محتماً عليك أن تُقتَل فوق بولونيا، إذن فسوف تقتل، لذا فبإمكانك فقط أن تذهب وتموت كرجل. أكره أن أقول هذا يا يوساريان، ولكنك لا تكف عن الشكوى".

وقد اتفق كليفنجر مع ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق على أن مهمة يوساريان هى أن يقتل فوق بولونيا وقد ملأ الدنيا شجباً وإدانة حينما اعترف يوساريان بأنه كان من حرك خط القنابل وتسبب فى إلغاء المهمة.

تحدث يوساريان بغضب شديد وهو يحاور الجميع بشكل عنيف لأنه اعتقد أنه كان مخطئًا: "لماذا لا؟ هل ينبغى لى أن ألقى حتفى فقط لأن الكولونيل يريد أن يصبح جنرالاً؟".

سأل كليفنجر بنفس النبرة الغاضبة: "ماذا عن الرجال بالبر الرئيسى؟ هل ينبغى لهم أن يلقوا حتفهم فقط لأنك لا تريد الذهاب؟ إن من حق هؤلاء الرجال تلقى دعم جوى!".

"ولكن ليس منى بالضرورة. اسمع، إنهم لا يكترثون بمن يقصف مستودعات الذخيرة هذه. إن السبب الوحيد فى ذهابنا هو أن ذلك الوغد كاثكارت تبرع بنا".

قال له كليفنجر مؤكداً بوجهه الهزيل وعينيه الثائرتين المخلصتين: "أنا أعلم كل هذا، ولكن تظل حقيقة مهمة قائمة: إن تلك المستودعات مازالت توجد هناك. أنت تعلم جيداً أننى لا أتفق مع الكولونيل كاثكارت مثلك تماماً". سكت كليفنجر لتأكيد كلامه بينما يرتعد فمه ثم ضرب بقبضته بعنف على حقيبة نومه وأضاف: "ولكننا لسنا المسئولين عن تحديد أى الأهداف التى يجب تدميرها أو من يقوم بتدميرها أو ـــــ".

"أو من يلقى حتفه وهو يقوم بذلك؟ ولماذا؟".

"هذا صحيح، حتى هذا. ليس من حقنا طرح أسئلة ...".

"أنت مجنون!".

"ليس من حقنا طرح أسئلة ...".

"هل تعنى أنه ليس من شأنى أن أعرف كيف أو لماذا أموت وأن ذلك هو شأن الكولونيل كاثكارت؟ هل تعنى هذا حقاً؟".

أصر كليفنجر وقد بدا غير واثق: "نعم. إن هناك رجالاً معنيين بالفوز بالحرب وهم مؤهلون بشكل أفضل منا لتحديد أى الأهداف يجب قصفها".

أجاب يوساريان بضجر مبالغ فيه: "إننا نتحدث عن شيئين مختلفين. أنت

تتحدث عن علاقة الفيلق الجوى بالمشاة وأنا أتحدث عن علاقتى بالكولونيل كاثكارت. أنت تتحدث عن الفوز بالحرب، وأنا أتحدث عن الفوز بالحرب والبقاء على قيد الحياة".

طرقع كليفنجر أصابعه باعتزاز بالنفس وقال: "تماماً. وأى من الأمرين تعتقد أنه أكثر أهمية؟".

صاح يوساريان: "لمن؟ افتح عينيك يا كليفنجر. لن تشكل مسألة من يكسب الحرب أى فارق لشخص ميت".

جلس كليفنجر للحظة وكأنه تعرض للصفع، ثم قال فى مرارة: "تهانئى! لا أستطيع التفكير فى سلوك آخر يمكن الاعتماد عليه يبث فى العدو قدراً أكبر من الراحة".

قال يوساريان بدقة بالغة: "العدو هو أى شخص يعرضك للقتل بغض النظر عن الطرف الذى يحارب معه، وهذا يشمل الكولونيل كاثكارت. ولا تنس هذا؛ لأنه كلما طال وقت تذكرك له، طال الوقت الذى قد تعيشه".

ولكن كليفنجر نسى هذا، والآن قد مات. وفى ذلك الوقت كان كليفنجر تعيساً للغاية من هذا الأمر لدرجة أن يوساريان لم يجرؤ أن يخبره بأنه كان مسئولاً كذلك عن تفشى الإصابة بالإسهال التى تسببت فى تأجيل آخر غير ضرورى. وكان مايلو أكثر تعاسة لأنه خشى أن يكون شخص ما قد قام بسم سريته مجدداً وجاء فى فزع إلى يوساريان طالباً مساعدته.

سأله فى مكر: "من فضلك اسأل العريف سنارك إن كان قد قام بوضع صابون الغسيل فى البطاطا الحلوة مرة أخرى. إن العريف سنارك يثق بك وسوف يخبرك بالحقيقة إن وعدته بأنك لن تخبر أحداً، وبمجرد أن يخبرك تعالَ وأخبرنى بما قاله".

اعترف العريف سنارك إلى يوساريان قائلاً: "بالطبع وضعت صابون الغسيل فى البطاطا الحلوة. إن هذا هو ما طلبته منى، أليس كذلك؟ إن صابون الغسيل هو أفضل طريقة".

عاد يوساريان لمايلو وقال له: "إنه يقسم أنه لا علاقة له بالأمر".

قطب مايلو فى ريب وقال: "إن دونبار لا يؤمن بالقضاء والقدر".

لم يكن هناك أى أمل متبقٍ، وفى منتصف الأسبوع الثانى بدأ كل رجل فى السرية يبدو مثل هنجرى جو، والذى لم يكن من ضمن الفريق المقرر له الخروج بالمهمة، كان هو الرجل الوحيد الذى يستطيع النوم؛ فطوال الليل كان الرجال يتحركون خلال الظلام خلال خيمهم كأشباح صامتة تدخن سجائر، وفى وقت النهار كانوا يحدقون إلى خط القنابل أو فى الطبيب دانيكا الجالس فى سكون أمام

الباب المغلق للخيمة الطبية أسفل اللافتة المروعة المكتوبة بخط اليد، وقد بدأوا يخترعون نكات كئيبة غير مرحة خاصة بهم وشائعات رهيبة عن الدمار الذى ينتظرهم فى بولونيا.

مشى يوساريان يترنح وهو ثمل إلى المقدم كورن بنادى الضباط فى إحدى الليالى ليمزح معه بشأن سلاح الليبدج الجديد الذى جلبه الألمان.

سأل المقدم كورن فى فضول: "أى سلاح هذا؟".

أجابه يوساريان: "سلاح الغراء من عيار ثلاثمائة وأربعة وأربعين ملم الجديد. إنه يقوم بغراء سرب كامل من الطائرات معاً فى منتصف السماء".

حرر المقدم كورن يده من بين أصابع يوساريان وهو يشعر بالإهانة. صاح فى غضب: "اتركنى أيها الأحمق!" وهو ينظر باستحسان إلى ناتلى الذى قفز على ظهر يوساريان وجذبه بعيداً وأضاف: "من هو المعتوه بأى حال من الأحوال؟".

ضحك الكولونيل كاثكارت فى سعادة وقال: "هذا هو الرجل الذى جعلتنى أعطيه ميدالية بعد فيرارا. لقد جعلتنى أقوم بترقيته إلى نقيب أيضاً، أتذكر؟ هذا هو خطؤك".

كان ناتلى أخف من يوساريان ووجد صعوبة فى السيطرة على جسد يوساريان المتهادى عبر الغرفة حتى وصل به إلى طاولة شاغرة. ظل ناتلى يهمس له فى ذعر: "هل أنت مجنون؟ إن ذلك هو المقدم كورن. هل أنت مجنون؟".

وقد أراد يوساريان شراباً آخر ووعد بأن يغادر فى هدوء إن جلب له ناتلى واحداً. بعد ذلك جعل ناتلى يجلب له مشروبين إضافيين، وحينما أوصله ناتلى أخيراً إلى الباب جاء النقيب بلاك من الخارج وهو يضرب بعنف بحذائه الملطخ بالماء والوحل بشدة على الأرض الخشبية بينما تتساقط منه المياه مثل سقف مرتفع.

أعلن بحماسة وهو يتحرك مبتعداً عن البريكة التى كونها عند قدميه: "هل أنتم مستعدون أيها الأوغاد للخبر الذى سأقوله لكم؟ لقد تلقيت لتوى مكالمة من المقدم كورن. هل تعرفون ماذا ينتظركم فى بولونيا؟ ها! ها! إن لديهم سلاح الليبدج الغروى الجديد. إنه يقوم بغراء سرب كامل من الطائرات معاً فى منتصف السماء".

ارتعد يوساريان وانهار فى فزع إلى جوار ناتلى: "يا إلهى! إن هذا صحيح!".

قال دونبار بهدوء وهو يمشى مترنحاً: "أنا لا أومن بالقضاء والقدر".

"هلّا ساعدتنى فى نقله! لابد أن أنقله إلى خيمته".

"من قال هذا؟".

"أنا قلت هذا. يا إلهى انظر إلى الأمطار".

"لابد أن نحصل على سيارة".

قال يوساريان: "اسرق سيارة النقيب بلاك. إن هذا هو ما أفعله دوماً".

"لا نستطيع سرقة سيارة أى أحد؛ فمنذ أن بدأت تسرق أقرب سيارة تجدها كلما احتجت إلى واحدة، لم يعد أحد يترك المحرك دائراً".

قال المقدم وايت هلفوت وهو يقود سيارة جيب مغطاة وهو ثمل: "اقفزوا". انتظر حتى احتشدوا جميعاً بالداخل ثم اندفع للأمام فجأة مما جعلهم جميعاً يسقطون للخلف ثم انفجر فى الضحك حينما شرعوا فى سبه. قاد السيارة فى خط مستقيم حينما غادر ساحة الانتظار وانطلق بسرعة مرتطمًا بالرصيف الموجود على الجانب الآخر من الطريق. سقط الآخرون للأمام وبدأوا يسبونه مرة أخرى. قال: "لقد نسيت أن أنحرف".

حذره ناتلى قائلاً: "احترس من فضلك. من الأفضل أن تضىء الأنوار الأمامية".

عاد المقدم وايت هلفوت بالسيارة للوراء وانحرف ثم انطلق بأقصى سرعة. كانت الإطارات تصدر صوت صفير فوق الطريق الأسود.

قال ناتلى: "لا تقد بهذه السرعة".

"من الأفضل أن تأخذنى إلى سريتك حتى أستطيع مساعدتك فى وضعه بالفراش، وبعدها يمكنك أن توصلنى إلى سريتى".

"من أنت بحق السماء؟".

"دونبار".

صاح ناتلى: "من فضلك أضئ الأنوار الأمامية، وانظر إلى الطريق!".

"إنها مضاءة. هل يوساريان بالسيارة؟ هذا هو السبب الوحيد الذى جعلنى أسمح لكم بالركوب أيها الأوغاد"، ثم استدار المقدم وايت هلفوت بشكل كامل ليحدق إلى المقعد الخلفى.

"انظر إلى الطريق!".

"يوساريان؟ هل يوساريان هنا؟".

"أنا هنا أيها المقدم. دعنا نعد للمنزل. ما الذى يجعلك واثقاً بهذه الدرجة؟ إنك لم تجب قط عن سؤالى".

"أرأيت؟ لقد *أخبرتك* بأنه هنا".

"أى سؤال؟".

"الذى يخص الموضوع الذى كنا نتحدث عنه".

"هل كان مهماً؟".

"لا أتذكر إن كان مهماً أم لا. أتمنى لو أعرف ماذا كان".

"إنه لا يوجد ما يسمى بالقضاء والقدر".

صاح يوساريان: "هذا هو ما كنا نتحدث عنه. ما الذى يجعلك واثقاً إلى هذه الدرجة؟".

صاح ناتلى: "هل أنت واثق من أن الأضواء الأمامية مضاءة؟".

"إنها مضاءة. إنها مضاءة. ماذا يريد منى؟ إن الأمطار المنهمرة على الزجاج الأمامى هى التى تجعل الطريق يبدو مظلماً".

"أمطار جميلة".

"أتمنى ألا تتوقف الأمطار عن الهطول. أيتها الأمطار...".

"استمرى فى الهطول. اهطلى ...".

"... مجدداً فى يوم ...".

"... آخر. إن يويو الصغير يريد ...".

"...أن يلعب فى ...".

"... المرج، فى ...".

ترك المقدم وايت هلفوت المنعطف التالى بالطريق وانطلق بالسيارة الجيب فوق قمة جسر منحدر، وفى أثناء هبوطها انقلبت السيارة الجيب على جانبها واستقرت بالطين. ساد صمت مرعب.

سأل المقدم وايت هلفوت بصوت مكتوم: "هل الجميع بخير؟"، ولم تكن هناك أية إصابات مما جعله يشعر بالراحة. قال فى أنين: "هل تعرفون، إن تلك هى مشكلتى. أنا لا أنصت قط لأى أحد. إن هناك من ظل يقول لى أن أضىء الأنوار الأمامية ولكننى لم أنصت له".

"لقد ظللت أطلب منك إضاءة الأنوار الأمامية".

"أعلم. أعلم، ولكننى فقط لم أنصت لك، أليس كذلك؟ أتمنى لو أستطيع الحصول على مشروب. إن لدى مشروبًا بالفعل. انظروا. إنها ليست مكسورة".

قال ناتلى: "إن الأمطار تدخل السيارة. لقد ابتلت ملابسى".

فتح المقدم وايت هلفوت زجاجة الشراب وشرب منها ومررها للآخرين، وبينما هم يرقدون فوق بعضهم البعض شرعوا فى الشرب فيما عدا ناتلى، الذى كان يحاول بلا طائل الوصول إلى مقبض الباب. سقطت الزجاجة فوق رأسه وانسكب الشراب على رقبته. بدأ يتلوى فى حركات هيستيرية.

صاح قائلاً: "لابد أن نخرج فوراً. إننا جميعاً غارقون".

سأل كليفنجر فى قلق وهو يسلط ضوء الكشاف لأسفل: "هل هناك أحد بأسفل؟".

صاحوا قائلين: "إنه كليفنجر!"، وحاولوا جذبه للداخل خلال النافذة حينما اقترب لمساعدتهم.

قال كليفنجر لماكوات الذى كان يجلس مبتسماً على إطار سيارة أركان الحرب: "انظر إليهم كيف يرقدون هناك كمجموعة من الحيوانات الثملة. وأنت أيضاً يا ناتلى؛ لابد أن تخجل من نفسك! تعالَ ساعدنى على إخراجهم من هناك قبل أن يصابوا بالتهاب رئوى مميت".

قال المقدم وايت هلفوت: "إن ذلك لا يبدو لى كفكرة سيئة؛ فأنا دائمًا ما أعتقد أننى سأصاب بالتهاب رئوى وأموت على أثره".

"لماذا؟".

قال المقدم وايت هلفوت وهو يتكئ للخلف فى الطين بسعادة بينما يحتضن زجاجة الشراب بين ذراعيه: "ولِمَ لا؟".

قال كليفنجر في ضيق: "الآن انظر ماذا يفعل! هلّا نهضت ودخلت السيارة حتى نستطيع جميعاً العودة إلى السرية!".

"لا نستطيع أن نعود جميعاً. لابد أن يبقى أحدنا هنا لمساعدة المقدم على إخراج السيارة لأنها عهدته".

اتكأ المقدم وايت هلفوت للخلف فى سيارة أركان الحرب وهو يضحك بحماسة وفخر. أخبرهم ببهجة: "إن تلك هى سيارة النقيب بلاك. لقد سرقتها منه فى نادى الضباط منذ قليل مستخدماً المفاتيح الاحتياطية التى ظن أنه فقدها هذا الصباح".

"حسناً، إن ذلك يستدعى الاحتفال".

بدأ كليفنجر فى توبيخهم بمجرد أن قام ماكوات بتشغيل المحرك: "ألم تكتفوا من الشرب؟ انظروا إلى أنفسكم. إنكم لا تكترثون إن ظللتم تشربون حتى الموت أو أغرقتم أنفسكم، أليس كذلك؟".

"فقط طالما أننا لن نحلق نحو موتنا".

استحث المقدم وايت هلفوت ماكوات قائلاً: "هيًا، زد السرعة، وأطفئ الأنوار الأمامية. تلك هى الطريقة الصحيحة للقيادة".

قال كليفنجر: "إن الطبيب دانيكا محق. إن الناس من الجهل؛ بحيث لا يستطيعون العناية بأنفسهم. أنا حقاً أشعر بالاشمئزاز منكم جميعاً".

أمره المقدم وايت هلفوت قائلاً: "حسناً أيها الحقير اخرج من السيارة. اخرجوا جميعاً من السيارة فيما عدا يوساريان. أين يوساريان؟".

ضحك يوساريان وهو يدفعه بعيداً عنه: "ابتعد عنى بحق السماء؛ فأنت مغطى بالطين".

وجه كليفنجر حديثه إلى ناتلى: "أنت الشخص الوحيد الذى يثير دهشتى حقاً. هل تدرك إلى أى مدى رائحتك سيئة؟ فبدلاً من أن تحاول إبقاءه بعيداً عن

المتاعب تثمل مثله. ماذا لو تشاجر مرة أخرى مع أبلباى؟". فتح كليفنجر عينيه عن آخرهما حينما سمع يوساريان يضحك وأضاف: "إنه لم يتشاجر ثانية مع أبلباى، أليس كذلك؟".

قال دونبار: "ليس هذه المرة".

"لا، ليس فى هذه المرة. لقد أبليت بلاء أفضل".

"فى هذه المرة تشاجر مع المقدم كورن".

قال كليفنجر فى دهشة: "لا، لم يفعل!".

قال المقدم وايت هلفوت فى سعادة: "أفعل حقاً؟ إن هذا يستدعى الاحتفال".

أعلن كليفنجر بترقب عميق: "ولكن هذا بشع! لماذا بحق السماء تشاجرت مع المقدم كورن؟ أخبرنى ماذا حدث للأنوار؟ لماذا كل شىء معتم؟".

أجابه ماكوات: "لقد أطفأت الأنوار. أتعلم شيئاً، إن المقدم وايت هلفوت محق. إن الأمر أفضل كثيراً بعد إطفاء الأنوار".

صرخ كليفنجر واندفع للأمام لإضاءة الأنوار: "هل أنت مجنون؟". أخذ يتلوى بالقرب من يوساريان وهو فى حالة قريبة من الهيستريا وقال: "أترى ماذا تفعل؟ إنك تجعلهم جميعاً يتصرفون مثلك! ماذا لو توقفت الأمطار وكان علينا التحليق إلى بولونيا غداً. هل ستسمح لك حالتك البدنية بالقيام بذلك".

"إن الأمطار لن تتوقف عن الهطول قط. لا يا سيدى، إن أمطاراً كهذه قد تستمر للأبد".

قال أحدهم: "لقد توقفت الأمطار!" ثم ساد الصمت داخل السيارة.

تمتم المقدم وايت هلفوت بعد مضى بضع لحظات: "أيها الأوغاد المساكين".

سأل يوساريان فى خنوع: "هل توقفت الأمطار حقاً؟".

أطفأ ماكوات ماسحات الزجاج ليتأكد. لقد توقفت الأمطار، وبدأت السماء تصبح صافية، وبدا القمر واضحاً خلف ضباب بنى رقيق.

قال ماكوات بهدوء: "حسناً، ماذا الآن؟".

قال المقدم وايت هلفوت: "لا تقلقوا يا رفاق. إن الأرض لاتزال رطبة للغاية بشكل يستحيل معه استخدامها فى الإقلاع غداً. ربما ستبدأ الأمطار فى الهطول مرة أخرى قبل أن يجف الميدان".

صرخ هنجرى جو من خيمته بينما كانوا يدخلون مسرعين إلى السرية: "أيها الوغد القذر".

"يا إلهى! هل عاد إلى السرية؟ كنت أعتقد أنه مازال فى روما مع حاملة الطائرات".

صرخ هنجرى جو: "آآآآآه! آآآآه!".

ارتعد المقدم وايت هلفوت. ثم اعترف بصوت هامس مستاء: "إن هذا الرجل يثير حفيظتى. ما الذى حدث للنقيب فلوم؟".

"هناك رجل آخر يثير حفيظتى. لقد رأيته فى الغابة الأسبوع الماضى يتناول توت العليق. إنه لم يعد ينام فى مقطورته قط. كان يبدو فى حالة مزرية".

"إن هنجرى جو يخشى أن يضطر أن يحل محل شخص يأخذ إجازة مرضية حتى على الرغم من أنه لم تعد هناك إجازات مرضية. هل رأيته فى تلك الليلة حينما حاول قتل هافرماير وسقط فى خندق يوساريان؟".

صرخ هنجرى جو: "آآآآه! آه! آآآآآآه!".

"من اللطيف حقًا أن فلوم لم يعد يتواجد معنا فى غرفة الطعام. فالآن لن يكون هناك المزيد من: مرر لى الملح يا والت".

"أو مرر الخبز يا فريد".

"أو مرر البنجر يا بيت".

صرخ هنجرى جو: "ابتعد عنى، ابتعد عنى. قلت ابتعد عنى أيها الوغد الحقير".

قال دونبار فى سخرية: "على الأقل اكتشفنا ما يحلم به. إنه يحلم بالأوغاد الحقيرين".

وفى وقت متأخر من هذه الليلة حلم هنجرى جو أن قطة هولب كانت تنام فوق وجهه وتخنقه وحينما استيقظ كانت قطة هولب تنام فوق وجهه بالفعل. شعر بفزع شديد جعله يصرخ صرخة شقت ظلام الليل الذى ينيره ضوء القمر. سادت فترة صمت، ثم علا صوت ضجيج صاخب من داخل خيمته.

كان يوساريان من بين أول من وصلوا إلى هناك، وحينما دخل الخيمة رأى هنجرى جو وقد أخرج مسدسه ويصارع لتحرير ذراعه من هولب لإطلاق النار على القطة، والتى ظلت تبصق عليه وتهاجمه هجوماً مخادعاً كى تلهيه عن إطلاق النار على هولب. كان كلا الرجلين يرتدى ملابسه الداخلية وقد كان المصباح المعلق يتأرجح فى جنون على سلكه غير المربوط بإحكام واستمرت الظلال المختلطة فى الدوران بشكل فوضوى حتى بدت الخيمة وكأنها تدور. أمسك يوساريان المصباح لموازنته ثم ألقى بنفسه للأمام فى انقضاض مذهل سحق المقاتلين الثلاثة على الأرض أسفله. بعد ذلك نهض من العراك وهو يمسك مؤخرة عنق بكل يد ـ مؤخرة عنق هنجرى جو ومؤخرة عنق القطة. نظر هنجرى جو والقطة إلى بعضهما البعض بشراسة. بصقت القطة على هنجرى جو وحاول هنجرى جو توجيه ضربة عنيفة لها.

قال يوساريان فى حزم: "مشاجرة عادلة"، وبدأ كل الرجال الآخرين الذين

أتوا مسرعين فى ذعر يهللون فى بهجة وهم يشعرون بالراحة. قال بشكل رسمى لهنجرى جو والقطة بعد أن حملهما للخارج وهو لا يزال يمسكهما من مؤخرة عنقيهما: "سوف نقيم مشاجرة عادلة. لكمات ومخالب"، ثم حذر هنجرى جو قائلاً: "ولكن بدون أسلحة"، ثم حذر القطة بصرامة: "وبدون بصق. حينما أحرركما ابدآ الشجار، هيّا!".

كان هناك حشد كبير من الرجال الذين كانوا شديدى التوق إلى أى شىء يلهيهم عن الحرب ولكن اتضح أن القطة جبانة للغاية؛ حيث إنها فرت فى اللحظة التى حررها فيها يوساريان من هنجرى جو ككلب جبان. وقد أعلن أن هنجرى جو هو الفائز. مشى فى اختيال بسعادة، بينما ترتسم على وجهه ابتسامة البطل وهو يرفع وجهه الشاحب عالياً ويمد صدره الهزيل للأمام. ذهب إلى الفراش منتصراً وحلم مرة أخرى بأن قطة هولب كانت تنام على وجهه وتخنقه.

١٣
الرائد دى كوفرلى

لم يخدع تحريك خط القنابل الألمان، ولكنه خدع الرائد دى كوفرلى والذى حزم حقيبة ظهره، وصادر طائرة وسافر إلى فلورانس، التى ظن أنها وقعت كذلك تحت أسر قوات الحلفاء، كى يستأجر شقتين للضباط والجنود بالسرية لاستخدامهما أثناء الإجازات. لم يكن قد عاد بعد بحلول الوقت الذى قفز فيه يوساريان خارجاً من مكتب الرائد ميجور وهو يتساءل إلى من يلجأ بعد ذلك طلباً للمساعدة.

كان الرائد دى كوفرلى رجلاً مذهلاً عجوزاً ذا هيبة ورأس أسدى ضخم وشعر أبيض غاضب يتجمع مثل العاصفة الثلجية العنيفة حول وجهه الصارم المهيب. وكانت مسئولياته بصفته الضابط التنفيذى للسرية تتضمن ـ كما خمن كل من الطبيب دانيكا والرائد ميجور ـ تركيب حدوات الخيل وخطف العمال الإيطاليين واستئجار الشقق للمجندين والضباط لاستخدامها أثناء إجازات الراحة، ولقد كان بارعاً فى أداء المهام الثلاث.

وفى كل مرة يبدو فيها سقوط مدينة مثل نابلس أو روما أو فلورانس وشيكاً يحزم الرائد دى كوفرلى حقيبة ظهره ويصادر طائرة وطياراً ويحلق بعيداً منجزاً جميع هذه المهام دون أن ينطق بكلمة؛ حيث إنه يستخدم فقط القوى المطلقة لطلعته المستبدة والجليلة والملامح الديكتاتورية القاطعة لإصبعه المجعد، وبعد يوم أو يومين من سقوط المدينة يعود بعقود إيجار شقتين رحبتين وفخمتين هناك، واحدة للضباط وواحدة للمجندين، تكونان زاخرتين بالطهاة والخادمات البارعين. وبعد ذلك بأيام قليلة تنشر الجرائد فى كل مكان بالعالم صوراً للجنود الأمريكيين الأوائل الذين يشقون طريقهم خلال المدينة المحطمة عبر الدبش والدخان. وكان لزاماً على الرائد دى كوفرلى أن يكون بينهم، يجلس بانتصاب مثل مدك البندقية فى سيارة جيب حصل عليها من مكان ما دون أن يلتفت يميناً أو يساراً، بينما يتم إطلاق نيران المدفعية فوق رأسه الذى لا يقهر ويمشى جنود المشاة الذين يتسمون بالرشاقة وهم يحملون بنادقهم الصغيرة متبخترين عبر الأرصفة ليدخلوا المبانى المحترقة أو يسقطوا موتى على عتباتها، وكان يبدو غير قابل للقهر بينما يجلس هناك وهو محاط بالخطر؛ حيث تكون ملامحه مقولبة دائماً فى هذا الشكل

الصارم الملكى العادل والذى كان يدركه ويبجله كل رجل فى السرية.

وبالنسبة للمخابرات الألمانية، فقد كان الرائد دى كوفرلى لغزاً كبيراً؛ فلم يدلِ ولو حتى جندى واحد من بين مئات الأسرى من الجنود الأمريكيين بأية معلومات مهمة عن الضابط العجوز ذى الشعر الأبيض والحاجبين المعقودين والعينين المتوهجتين القويتين والذى يبدو أنه يتقدم كل انتصار مهم بلا خوف وبنجاح. وبالنسبة للسلطات الأمريكية كانت هويته على نحو مماثل من الإرباك؛ ففوج كامل من رجال الاستخبارات الجنائية تم الإلقاء به بالخطوط الأمامية ليكتشفوا من هو، فى حين كانت تقف كتيبة من ضباط العلاقات العامة الأشداء متأهبين طوال أربع وعشرين ساعة فى اليوم للبدء فى الإعلان عن مكانه بمجرد تحديده.

وفى روما، تفوق الرائد دى كوفرلى على نفسه فيما يتعلق بالشقق؛ فبالنسبة للضباط - والذين كانوا يصلون فى مجموعات مكونة من أربعة أو خمسة - قام بتخصيص غرفة مزدوجة فسيحة لكل منهم فى مبنى حجرى أبيض جديد والذى يضم ثلاثة حمامات كبيرة ذات جدران مصنوعة من القرميد الزبرجدى المضىء وخادمة هزيلة تدعى ميشيلا كانت تضحك ضحكة نصف مكبوتة على كل شىء والتى كانت تحافظ على ترتيب الشقة. وفى منبسط الدرج بأعلى كانت تعيش الدوقة الجميلة الغنية ذات الشعر الأسود وزوجة ابنها الجميلة الغنية ذات الشعر الأسود، وكانتا تحبان ناتلى الذى منعه خجله من استغلال هذه الفرصة، وآرفى الذى منعه غضبه من استغلال الفرصة كذلك، وكان يحاول إقناعهما بالإخلاص لزوجيهما اللذين اختارا البقاء فى الشمال لرعاية مصالح الأسرة.

اعترف آرفى بصدق إلى يوساريان والذى كان يحلم دوماً بالتحدث مع كلتا الفتاتين الجميلتين الغنيتين صاحبتى الشعر الأسود: "إنهما حقاً فتاتان صالحتان".

وقد جاء المجندون إلى روما فى عصابات مكونة من اثنى عشر رجلاً أو أكثر وبشهيات مفتوحة وأقفاص ثقيلة مملوءة بالطعام المعلب كى تقوم النساء بطهيه وتقديمه لهم فى غرفة الطعام بشقتهم الخاصة فى الطابق السادس من المبنى الطويل الأحمر ذى المصعد الذى يصدر صوت صلصلة. وكان يوجد دوماً مزيد من النشاط فى شقة المجندين. فأولاً كان هناك عدد أكبر دوماً من المجندين، وعدد أكبر من النساء اللاتى يقمن بالطهى وتقديم الطعام والكنس والتنظيف وبعد أسبوع من المرح يعود المجندون النعسانون إلى بيانوسا.

وكل أربعة أيام تقريباً كان هنجرى جو يأتيهم مثل رجل معذب وجامح ومعتوه؛ وذلك فى حالة إذا لم يحالفه الحظ وعاد ليقود حاملة الطائرات، وفى معظم الوقت كان ينام فى شقة المجندين، ولم يكن هناك من يعرف كم عدد الغرف التى

قام الرائد دى كوفرلى باستئجارها، ولا حتى المرأة ذات الصدار الأسود ومشد الخصر بالطابق الأول، والذى قام باستئجارها منها. كانت الغرف تحتل الطابق العلوى بالكامل وقد علم يوساريان أنها تمتد حتى الطابق الخامس، وذلك حين عثر على الخادمة ذات السروال جيرى اللون التى تحمل ممسحة الغبار فى اليوم التالى لمهمة بولونيا فى حجرة سنودين بالطابق الخامس، وذلك بعد أن ضبطه هنجرى جو فى الفراش مع لوشيانا فى شقة الضباط فى نفس هذا الصباح وركض كالشيطان بحثاً عن كاميرته.

كانت الخادمة ذات السروال جيرى اللون امرأة مرحة سمينة لطيفة فى منتصف الثلاثينات كان لها وجه عريض عادى، وقد كان يوساريان واقعاً فى حب المرأة ذات السروال جيرى اللون؛ لأنها كانت المرأة الوحيدة المتبقية التى يستطيع التحدث معها دون أن يقع فى حبها؛ فحتى الفتاة الصلعاء فى سيسلى كانت لاتزال تثير بداخله مشاعر قوية من الشفقة والضعف والندم.

وعلى الرغم من المخاطر المتعددة التى كان الرائد دى كوفرلى يعرض نفسه لها فى كل مرة يقوم فيها باستئجار الشقق، إلا أن إصابته الوحيدة ـ وهو الحادث الذى يعبر عن مفارقة حقيقية ـ حدثت أثناء قيادته للجنود المنتصرين فى مدينة روما، حيث أصيب بجرح فى عينه نتيجة لزهرة ألقيت عليه من مسافة قريبة من قبل رجل عجوز قذر ثمل سعيد، والذى قفز بعد ذلك وكأنه الشيطان نفسه فى مرح على سيارة الرائد دى كوفرلى وأمسك رأسه الأبيض المهيب بقوة وقبله على كلتا وجنتيه بفمه الذى تفوح منه رائحة الشراب والجبن والثوم قبل أن يعود إلى الحشود المرحة وهو يضحك ضحكة عميقة. لكن الرائد دى كوفرلى ـ هذا الرجل عظيم الشجاعة والجلد فى أوقات الشدة ـ لم يجفل أثناء المحنة برمتها. ولم يسع للحصول على عناية طبية لجرحه حتى عاد إلى بيانوسا وأنهى مهامه فى روما.

وقد قرر أن يستمر فى استخدام كلتا عينيه وطلب من الطبيب دانيكا أن يكون لصوق عينه شفافاً حتى يستطيع مواصلة تركيب حدوات الخيول وخطف العمال الإيطاليين واستئجار الشقق دون أن يعوقه عن ذلك إصابة عينه. وبالنسبة للرجال فى السرية كان الرائد دى كوفرلى يمثل شيئاً ضخماً على الرغم من أنهم لم تواتهم الجرأة قط ليخبروه بذلك. والشخص الوحيد الذى واتته الجرأة على مخاطبته كان مايلو مايندربانيدر والذى اقترب من حظيرة الخيول وهو يمسك ببيضة مسلوقة بشدة فى أسبوعه الثانى فى السرية والتى رفعها عالياً كى يراها الرائد دى كوفرلى. انتصب الرائد دى كوفرلى واقفاً وهو مذهول من وقاحة مايلو وصب عليه الغضب العارم لملامحه العاصفة، بينما تدلت لأسفل جبهته المجعدة المليئة بالأخاديد وامتد أنفه الضخم شديد الانحدار والمحدب خارج وجهه فى غضب.

ظل مايلو واقفاً فى مكانه، بينما يحتمى وراء البيضة المسلوقة بشدة والتى كان يرفعها أمام وجهه وكأنها تعويذة سحرية، وبعد برهة من الوقت هدأت العاصفة ومر الخطر.

سأل الرائد دى كوفرلى أخيراً: "ما هذا؟".

قال مايلو: "بيضة".

سأل الرائد دى كوفرلى: "أى نوع من البيض؟".

قال مايلو: "بيضة مسلوقة بشدة".

سأل الرائد دى كوفرلى: "أى نوع من البيض المسلوق بشدة؟".

أجاب مايلو: "بيضة مسلوقة بشدة طازجة".

سأل الرائد دى كوفرلى: "من أين يأتى البيض الطازج؟".

أجاب مايلو: "من الدجاج".

سأل الرائد دى كوفرلى: "وأين هو الدجاج؟".

أجاب مايلو: "الدجاج فى مالطة".

"كم عدد الدجاج الذى يوجد هناك فى مالطة؟".

أجاب مايلو: "ما يكفى من الدجاج لوضع بيض طازج يكفى كل ضابط فى السرية مقابل خمسة سنتات من صندوق تمويل المطبخ".

اعترف الرائد دى كوفرلى قائلاً: "أنا ضعيف أمام البيض الطازج".

قال مايلو: "إن وضع أحدهم طائرة تحت تصرفى أستطيع الطيران إلى هناك مرة فى الأسبوع فى إحدى طائرات السرية لأجلب كل البيض الطازج الذى نحتاج إليه. ومالطة ليست بعيدة بأى حال من الأحوال".

قال الرائد دى كوفرلى: "إن مالطة ليست بعيدة. يمكنك على الأرجح الطيران إلى هناك مرة فى الأسبوع فى إحدى طائرات السرية لتجلب كل البيض الطازج الذى نحتاج إليه".

وافقه مايلو قائلاً: "نعم. أعتقد أن بإمكانى القيام بذلك. إن أراد منى أحدهم القيام بذلك ووضع طائرة تحت تصرفى".

تذكر الرائد دى كوفرلى: "أريد بيضى الطازج مقلياً فى زبد طازج".

قال مايلو: "أستطيع شراء كل الزبد الطازج الذى نحتاج إليه من صقلية مقابل خمسة وعشرين سنتاً للرطل، وشراء رطل الزبد مقابل خمسة وعشرين سنتاً يعد صفقة ممتازة للغاية، وهناك ما يكفى من المال فى صندوق تمويل المطبخ للزبد كذلك، ويمكننا على الأرجح بيع البيض للسريات الأخرى وتحقيق ربح واستعادة معظم ما دفعناه ليصبح لنا".

سأل الرائد دى كوفرلى: "ما اسمك يا بنى؟".

"اسمى مايلو مايندربانيدر يا سيدى، وأنا فى السابعة والعشرين من عمرى".

"إنك ضابط مطبخ جيد يا مايلو".

"أنا لست الضابط المسئول عن المطبخ يا سيدى".

"إنك ضابط مطبخ جيد يا مايلو".

"شكراً لك يا سيدى. سوف أبذل قصارى جهدى كى أكون ضابط مطبخ جيدًا".

"بارك الله فيك يا بنى. خذ حدوة حصان".

"شكراً لك يا سيدى. ماذا أفعل بها؟".

"ألقها".

"بعيداً؟".

"عند الوتد هناك. ثم التقطها وألق بها عند هذا الوتد. إنها لعبة، أترى؟ بهذا تستعيد حدوة الحصان".

"نعم يا سيدى فهمت. ما سعر حدوات الأحصنة هذه الأيام؟".

وقد سافرت رائحة البيض الطازج المقدوح فى بركة من الزبد الطازج مسافة طويلة بفعل رياح البحر المتوسط وجاءت بالجنرال دريدل، الذى عاد بشهية مفتوحة وبصحبته ممرضته التى كانت تذهب معه فى كل مكان، وزوج ابنته الكولونيل مودس، وفى البداية التهم الجنرال دريدل كل وجباته فى مطبخ مايلو، وبعد ذلك سلمت السرايا الثلاث الأخرى فى مجموعة الكولونيل كاثكارت مطابخها لمايلو وأعطاه كل واحد منها طائرة وطياراً حتى يستطيع شراء البيض الطازج والزبد الطازج من أجلهم أيضاً. وكانت طائرات مايلو تسافر ذهابًا وعودة سبعة أيام فى الأسبوع؛ حيث بدأ كل ضابط فى السرايا الأربع فى التهام البيض الطازج بنهم لا حدود له. وقد كان الجنرال دريدل يلتهم البيض الطازج بالإفطار والغداء والعشاء - وبين الوجبات كان يلتهم مزيداً من البيض الطازج - حتى استطاع مايلو إيجاد مصادر عدة يستطيع أن يحصل منها على منتجات طازجة من لحم العجل واللحم البقرى ولحم البط والحملان وعيش الغراب والبروكلى وسرطان البحر الجنوب إفريقى والجمبرى والبودينج والعنب والآيس كريم والفراولة والخرشوف، وقد كانت هناك ثلاث مجموعات مدفعية أخرى فى جناح الجنرال دريدل المقابل التى شعرت بالغيرة وأرسلت كل على حدة طائراتها الخاصة إلى مالطة من أجل شراء البيض الطازج، ولكنها اكتشفت أنه يباع هناك مقابل سبعة سنتات للواحدة. وحيث إنه بإمكانهم شراؤه من مايلو مقابل خمسة سنتات للواحدة، فكان من المنطقى أكثر أن يضموا مطابخهم إلى نقابته كذلك ويعطوه الطائرات والطيارين الذين يحتاج إليهم لنقل كل الطعام الآخر الذى وعد بجلبه كذلك.

كان الجميع سعيداً بهذا التغيير فى مجريات الأمور وخاصة الكولونيل كاثكارت والذى كان مقتنعاً بأنه فاز بريشة على قبعته، وقد كان يقوم بتحية مايلو بسعادة فى كل مرة يتقابلان بها وفى مبادرة بالغة الكرم منه زكى بترقية الرائد ميجور. وقد قوبلت التزكية بالرفض على الفور فى مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين من قبل ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق والذى كتب خطاباً فظاً غير موقع بخط ردىء يؤكد فيه أن الجيش لديه رائد ميجور ميجور ميجور واحد ولا ينوى فقده بترقيته فقط لإرضاء الكولونيل كاثكارت. وقد شعر الكولونيل كاثكارت بالألم من هذا التوبيخ وتسلل فى ندم إلى غرفته. وقد ألقى اللوم على الرائد ميجور لهذه الإهانة وقرر إنزال رتبته إلى ملازم فى نفس هذا اليوم.

قال له المقدم كورن وهو يبتسم تعاطفاً ويستمتع بالموقف: "إنهم على الأرجح لن يدعوك تفعل ذلك، وهذا لنفس الأسباب التى جعلتهم لا يدعونك تقوم بترقيته. علاوة على ذلك فإنك سوف تبدو أحمق إن حاولت إنزال رتبته إلى ملازم بعد أن حاولت ترقيته إلى رتبتى مباشرة".

شعر الكولونيل كاثكارت بأنه محاصر من جميع الجوانب. لقد كان أكثر نجاحاً فى الحصول على ميدالية من أجل يوساريان بعد كارثة فيرارا حينما ظل الجسر الممتد فوق البو قائماً دون أن يصاب بأدنى ضرر بعد سبعة أيام من تطوع الكولونيل كاثكارت بتدميره. وقد خرج رجاله فى تسع مهام على مدار ستة أيام إلى هناك ومع ذلك فشلوا فى تحطيم الجسر حتى المهمة العاشرة باليوم السابع، حينما تسبب يوساريان فى مقتل كرافت وطاقمه عن طريق العودة بسربه المكون من ست طائرات فوق الهدف مرة أخرى، وقد أصبح يوساريان أكثر حرصاً فى جولة القصف الثانية لأنه أصبح شجاعاً فى ذلك الحين؛ فقد دفن رأسه فى مصوبة القصف حتى تخلص من جميع القنابل، وحينما رفع رأسه مجدداً كان كل شىء داخل المركبة مخضبًا باللون البرتقالى المتوهج. فى البداية ظن أن طائرته تحترق. بعد ذلك لمح الطائرة ذات المحرك المحترق فوقه مباشرة وصرخ فى ماكوات عبر نظام الاتصال البينى كى ينحرف يساراً بقوة. وبعد لحظة انفجر جناح طائرة كرافت. وقد أخذ الحطام المتساقط فى السقوط، أولاً جسم الطائرة ثم الجناح الملتوى، فى حين بدأ سيل من الأجزاء المعدنية يقرع سطح طائرة يوساريان وسط الصوت المستمر لنيران المدفعية التى كانت لا تزال تهدر حوله فى كل مكان.

وحينما هبط على الأرض ظلت كل عين تراقبه فى تجهم بينما كان يسير فى اغتمام ذاهباً إلى النقيب بلاك خارج غرفة التعليمات المكسوة بالألواح الخشبية لتقديم بلاغه الاستخبارى، وعلم أن الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن كانا بانتظاره

بالداخل للتحدث إليه، وقد وقف الرائد دانبى يسد المدخل مانعاً أى أحد آخر من الدخول عن طريق التلويح فى صمت. كان يوساريان يمشى بثقل واشتاق أن يخلع عنه ملابسه الملتصقة بجسمه. ولج داخل غرفة التعليمات بينما تساوره مشاعر مختلطة، وهو غير واثق كيف ينبغى له أن يشعر حيال كرافت والآخرين؛ حيث إنهم ماتوا جميعاً فى نفس تلك اللحظة التى كان شغله الشاغل فيها البقاء على قيد الحياة خلال هذه المحنة الكريهة التى خاضوها فى سبيل الواجب.

وقد كان الكولونيل كاثكارت على الجانب الآخر ممزق الفؤاد مما حدث، سأل: "مرتان؟".

أجاب يوساريان بهدوء وهو يطأطئ رأسه: "كنت سأخطئ الهدف فى المرة الأولى".

كانت أصواتهم ترتد بشكل خفيف فى المبنى الطويل الضيق المكون من طابق واحد.

كرر الكولونيل كاثكارت بنبرة تنم عن عدم التصديق: "ولكن مرتين؟".

كرر يوساريان: "كنت سأخطئ الهدف فى المرة الأولى".

"ولكن حينها كان كرافت سيبقى على قيد الحياة".

"وسيكون الجسر مازال قائماً".

قال الكولونيل كاثكارت مذكراً إياه: "إن المدفعى المدرب ينبغى له إلقاء قنابله فى المرة الأولى. إن المدفعيين الخمسة الآخرين ألقوا قنابلهم فى المرة الأولى".

قال يوساريان: "وأخطأوا الهدف. كان سينبغى علينا العودة إلى هناك مرة أخرى".

"وربما كنت لتصيبه فى المرة الأولى".

"وربما ما كنت قد أصبته على الإطلاق".

"ولكن ربما ما أصبحت هناك أية خسائر".

"وربما أصبح هناك مزيد من الخسائر إن ظل الجسر قائماً. كنت أعتقد أنك تود منا تحطيم الجسر".

قال الكولونيل كاثكارت: "لا تعارضنى. إننا جميعاً نعانى من قدر كافٍ من المشكلات".

"أنا لا أعارضك يا سيدى".

"حتى ذلك الرد يعتبر معارضة".

"نعم يا سيدى. أنا آسف".

قام الكولونيل كاثكارت بطرقعة مفاصله بعنف، وقد كان المقدم كورن - ذلك الرجل القصير ممتلئ الجسم ذو البشرة الداكنة - يجلس باسترخاء على أحد

المقاعد بالصف الأمامى بينما يشبك أصابعه فوق رأسه الصلعاء داكنة اللون. كانت عيناه تمتلئان بهجة خلف نظارته عديمة الإطارات.

استحث الكولونيل كاثكارت قائلاً: "إننا نحاول أن نكون موضوعيين حيال هذا الأمر".

قال الكولونيل كاثكارت ليوساريان بحماسة مفاجئة: "إننا نحاول أن نكون موضوعيين حيال هذا الأمر؛ فأنا لا أتعامل مع الأمر بشكل عاطفى أو أى شىء من هذا القبيل؛ فأنا لا أكترث بالمرة للرجال أو للطائرة. كل ما فى الأمر أن الحادث يبدو سيئاً بالتقرير. فكيف لى أن أغطى حادثة كهذه فى التقرير؟".

اقترح يوساريان فى جبن: "لماذا لا تمنحنى ميدالية؟".

"من أجل التحليق فوق الهدف مرتين؟".

"لقد أعطيت واحدة لهنجرى جو حينما دمر تلك الطائرة على سبيل الخطأ".

ضحك الكولونيل كاثكارت فى حزن وقال: "سوف تكون محظوظاً إن لم نقم لك محاكمة عسكرية".

اعترض يوساريان قائلاً: "ولكننى دمرت الجسر فى المرة الثانية. لقد ظننت أنك تريد منا تدمير الجسر".

صاح الكولونيل كاثكارت فى سخط: "أنا لا أعلم ماذا كنت أريد. اسمع، بالطبع كنت أريد منكم تدمير الجسر؛ فقد كان هذا الجسر مصدراً للمتاعب لى منذ اللحظة التى قررت فيها إرسالكم لتدميره. لكن لماذا لم تقم بتدميره فى المرة الأولى؟".

"لم يتح لى وقت كافٍ؛ فلم يكن الملاح لدى واثقاً إن كنا فوق المدينة الصحيحة".

أصيب الكولونيل كاثكارت بالارتباك: "المدينة الصحيحة؟ هل تحاول إلقاء اللوم على آرفى الآن؟".

"لا يا سيدى. لقد كان خطئى لأننى تركته يشتت انتباهى. كل ما أحاول قوله هو أننى لست معصوماً من الخطأ".

قال الكولونيل كاثكارت بحدة: "ليس هناك من هو معصوم من الخطأ"، ثم واصل كلامه بعد أن واتته فكرة: "ولا يقف الكون على موت أحد أيضًا".

لم تكن هناك جدوى من مواصلة النقاش، تمطى المقدم كورن فى كسل، ثم قال عرضياً للكولونيل كاثكارت: "لابد أن نتوصل لقرار".

قال الكولونيل كاثكارت ليوساريان "لابد أن نتوصل لقرار؛ فما حدث ناتج عن خطئك أنت. لماذا كان عليك الذهاب مرتين؟ لماذا لم تلق قنابلك فى المرة الأولى مثل

قاطعهما المقدم كورن وهو يضحك: "يبدو أننا نقول نفس الكلام مرتين".

سأل الكولونيل كاثكارت فى أسى: "ولكن ماذا ستفعل؟ إن الجميع ينتظرون بالخارج".

اقترح المقدم كورن قائلاً: "لماذا لا نعطيه ميدالية؟".

"للدوران حول الهدف مرتين؟ فى مقابل ماذا نعطيه ميدالية؟".

أجاب المقدم كورن وهو يبتسم بثقة: "من أجل الدوران حول الهدف للمرة الثانية. فعلى أية حال أعتقد أن الأمر تطلب كثيراً من الشجاعة للذهاب إلى هذا الهدف مرة أخرى دون وجود طائرات أخرى حوله لتشتيت انتباه نيران المدفعية المضادة للطائرات، كما أنه حطم الجسر بالفعل. أتعلم، ربما يكون هذا هو الحل - أن ندعى أننا فخورون بشىء ينبغى أن نخجل منه. إن تلك هى الخدعة التى لا تفشل قط".

"هل تعتقد أنها ستجدى نفعاً؟".

"أنا واثق من هذا، ودعنا نقم بترقيته إلى نقيب كذلك فقط لنتأكد من نجاح الخدعة".

"ألا تعتقد أننا نبالغ هكذا؟".

"لا، لا أعتقد هذا. إن ذلك ضرورى كى نبقى فى الجانب الآمن. والترقية إلى رتبة نقيب لن تشكل فارقاً كبيراً".

قرر الكولونيل كاثكارت: "حسناً. سوف نمنحه ميدالية من أجل الشجاعة التى أظهرها حينما ذهب إلى الهدف مرة ثانية، وسوف نرقيه إلى رتبة نقيب كذلك".

مد المقدم كورن يده ليأخذ قبعته.

قال ممازحاً وهو يلف ذراعه حول كتفى يوساريان وهما يخرجان من الباب: "اخرج وأنت تبتسم".

١٤
كيد سامبسون

قبل تنفيذ مهمة بولونيا لم يكن يوساريان يتمتع بالشجاعة الكافية للذهاب إلى الهدف ولو مرة واحدة، وحينما وجد نفسه محلقاً فى مقدمة طائرة كيد سامبسون أخيراً ضغط على زر الميكروفون وسأل:

"حسناً؟ ما عيب تلك الطائرة؟".

صرخ كيد سامبسون. "هل هناك عيب بالطائرة؟ ما الأمر؟".

وقد جعلت صيحة كيد سامبسون يوساريان يتجمد خوفاً. صرخ فى ذعر: "هل هناك ما يسوء؟ هل علينا ترك الطائرة والهبوط بالمظلة؟".

صرخ كيد سامبسون فى رعب وهو ينتحب: "لا أعلم! إن هناك من يقول إن علينا الهبوط من الطائرة بالمظلات! من هذا بأى حال من الأحوال؟ من هذا؟".

"هذا هو يوساريان من مقدمة الطائرة! يوساريان من مقدمة الطائرة. لقد سمعتك تقول ما الأمر. ألم تقل هناك ما الأمر؟".

"لقد ظننتك تقول إن هناك عيبًا بالطائرة. إن كل شىء يبدو على ما يرام. إن كل شىء على ما يرام".

شعر يوساريان بانقباض فى صدره. فلابد أن يكون هناك شىء مريع على غير مايرام؛ حيث إنه إن كان كل شىء على ما يرام ، فهكذا لن يصبح لديهم مبرر للعودة. تردد بشدة.

قال: "لا أستطيع سماعك".

"لقد قلت إن كل شىء على ما يرام".

انعكست الشمس بضوء أبيض على السطح الخزفى الأزرق للمياه بأسفل والحواف البراقة للطائرات الأخرى. أمسك يوساريان بالأسلاك الملونة التى تنتهى بمقبس نظام الاتصال البينى وقطعها.

قال: "أنا مازلت لا أستطيع سماعك".

وبالفعل لم يسمع شيئاً. وببطء جمع حقيبة خريطته والحلل الثلاث الواقية الخاصة به وزحف عائداً للمقصورة الرئيسية. وقد لمحه ناتلى الجالس بتصلب فوق مقعد مساعد الطيار من خلال طرف عينه، بينما كان يصعد إلى ظهر المكتب خلف

كيد سامبسون. ابتسم إلى يوساريان بشحوب وكان يبدو ضعيفًا وصغيراً للغاية وخجولاً فى برجه المحصن المكون من سماعته وقبعته والميكروفون الخاص به وحُلته الواقية وباراشوته. انحنى يوساريان مقترباً من أذن كيد سامبسون.

صاح فوق أزيز المحركات: "مازلت لا أستطيع سماعك".

نظر إليه كيد سامبسون فى دهشة، وقد كان لكيد سامبسون وجه كوميدى بارز العظام وحاجبان مقوسان وشارب هزيل أصفر.

صاح من فوق كتفه: "ماذا؟".

كرر يوساريان: "مازلت لا أستطيع سماعك".

قال كيد سامبسون: "عليك أن ترفع صوتك أكثر. أنا مازلت لا أستطيع سماعك".

صاح يوساريان: "قلت مازلت لا أستطيع سماعك".

صاح كيد سامبسون مجدداً: "لا يسعنى فعل شىء حيال ذلك. أنا أصيح بأعلى صوتى".

جأر يوساريان فى قلة حيلة متزايدة: "لا أستطيع سماعك عبر نظام الاتصال البينى. ينبغى عليك الدوران والعودة".

سأل كيد سامبسون فى شك: "هل سنعود بسبب نظام الاتصال البينى؟".

قال يوساريان: "قلت استدر وعد قبل أن أكسر رأسك".

نظر كيد سامبسون ناحية ناتلى بحثاً عن الدعم، ولكن ناتلى أشاح بوجهه بعيداً. لقد كان يوساريان يفوق كليهما رتبة. قاوم كيد سامبسون فى شك للحظة أخرى، ثم أذعن فى النهاية وأطلق صيحة تنم عن الانتصار.

وقال بسعادة: "إن هذا يلائمنى تماماً"، ثم بدأ يصفر ببهجة داخل شاربه وأضاف: "نعم يا سيدى، إن هذا يوافق تماماً هوى كيد سامبسون العجوز". قام بالصفير مرة أخرى وصاح خلال نظام الاتصال البينى: "الآن اسمع هذا يا طائرى الصغير. إن هذا هو الأميرال كيد سامبسون يتحدث. إن هذا هو الأميرال كيد سامبسون ـ فخر الملاحة الجوية ـ يحتج بصوت عالٍ. يوسيرى. إننا نعود يا أولاد، *إننا نعود!*".

خلع ناتلى قبعته وسماعته وألقى بهما فى سعادة وأخذ يرقص للأمام والخلف فى بهجة داخل مقعده كطفل جميل يجلس فى مقعده العالى. وقد هبط الرقيب نايت عمودياً من برج القصف العلوى وبدأ يربت على ظهورهم بحماسة بالغة. استدار كيد سامبسون بالطائرة بعيداً عن السرب فى قوس عريض جميل واتجه ناحية المطار. وحينما أدخل يوساريان سماعته بإحدى المقابس الإضافية كان المدفعيان بالقطاع الخلفى من الطائرة ينشدان أغنية معاً.

وعلى ممر الهبوط هبطت الطائرة؛ حيث كان يسود صمت عميق، وكان يوساريان يتسم بالوقار والهدوء وهو يهبط من الطائرة ويأخذ مكانه فى السيارة الجيب التى كانت تنتظرهم بالفعل، ولم ينطق أى رجل من الرجال بكلمة واحدة فى طريق عودتهم خلال الجبال الضخمة الهادئة والبحر والغابات. وقد استمر الشعور بالأسى يلاحقهم حينما هبطوا من السيارة على الطريق المؤدى إلى السرية. وقد كان يوساريان آخر من يخرج من السيارة. وبعد دقيقة كان يوساريان وريح دافئة رقيقة هما الشيئين الوحيدين اللذين يتحركان عبر الهدوء الذى يخيم فى سكون فوق الخيم الخالية. كانت السرية تبدو موحشة وخالية من أى شىء بشرى فيما عدا الطبيب دانيكا والذى كان يجثم فى كآبة مثل صقر مرتعد إلى جوار الباب المغلق للخيمة الطبية، بينما يشعر بوخز بأنفه المسدود أسفل ضوء الشمس الضبابى. وقد علم يوساريان أن الطبيب دانيكا لن يذهب ليسبح معه؛ فالطبيب دانيكا لن يقدم على السباحة معه؛ فالمرء قد يغمى عليه أو يعانى انسداداً تاجياً خفيفاً تحت بوصة أو اثنتين من الماء ويغرق وتجرفه التيارات التحتية للبحر أو يصبح عرضة للإصابة بشلل الأطفال أو عدوى المكورة السحائية بفعل البرد أو الإجهاد المفرط. كان التهديد بالذهاب إلى بولونيا قد أرهب الآخرين كما بث داخل الطبيب دانيكا مزيداً من القلق والخوف على أمانه. وفى المساء سمع صوت اللصوص.

عبر الظلام المخيم على مدخل خيمة العمليات لمح يوساريان المقدم وايت هلفوت يسرق بكد حصص الشراب ويزور توقيعات الجنود الذين لا يحتسون الشراب من الأساس ثم يصب الشراب فى زجاجات منفصلة بسرعة من أجل سرقة أكبر كم ممكن قبل أن ينهض النقيب بلاك ويتذكر هذا الأمر ويأتى مسرعاً فى كسل ليسرق ما تبقى لنفسه.

تحركت السيارة الجيب مجدداً؛ فقد بدأ كيد سامبسون ناتلى والآخرون فى التجول فى دوائر غير محدثين ضوضاء حتى اختفوا داخل السكون. وبذلك أصبح يوساريان وحده فى هدوء؛ حيث بدا كل شىء أخضر أسود، وتخضب كل شىء آخر بلون الصديد. وقد كان النسيم يحرك أوراق الشجر البعيدة. كان متململاً وخائفاً يغلبه النعاس. وقد شعر بأن محجرى عينيه مغطيان بالسخام من فرط الإجهاد. وبإرهاق دخل خيمة الباراشوتات ذات الطاولة الخشبية الطويلة وهو يشعر بوخزة مزعجة من الشك داخل ضميره الذى يشعر براحة غامرة. ترك حُلته الواقية وباراشوته هناك ومر أمام عربة الماء إلى خيمة الاستخبارات ليعيد حقيبة خريطته للنقيب بلاك الذى كان يجلس فى كسل فى مقعده ويضع ساقيه الطويلتين الهزيلتين على مكتبه وسأل بفضول غير مبالٍ عن سبب عودة طائرة يوساريان،

وقد تجاهله يوساريان. وضع الخريطة على الطاولة وخرج من الخيمة.

وفى خيمته خلع عدة الباراشوت ثم خلع جميع ملابسه. كان أور فى روما وسيعود فى نفس هذا اليوم؛ حيث كان قد حصل على إجازة كمكافأة على قيامه بالحط بطائرته على الماء فى جينوا. وقد كان ناتلى يحزم حقائبه بالفعل ليحل محله، وقد كان سعيداً لأنه لايزال على قيد الحياة ولا يطيق صبراً على مواصلة مغازلته الموجعة للقلب لفتاته فى روما، وحينما خلع يوساريان ملابسه جلس على فراشه ليستريح، وقد شعر بأنه أفضل حالاً حينما أصبح عارياً، فهو لم يشعر بالراحة قط وهو يرتدى الملابس. وبعد برهة ارتدى سروالاً تحتياً نظيفاً وخرج للذهاب إلى الشاطئ وهو يرتدى خفاً لا كعب له ويضع منشفة كاكية اللون حول كتفيه.

مشى خارجًا من السرية إلى موضع غامض منصوب به مدفع فى الغابة: وقد كان اثنان من بين الرجال الثلاثة الذين يعسكرون هناك يرقدان نائمين على دائرة من حقائب الرمل، بينما جلس الثالث وهو منشغل فى تناول الرمان أرجوانى اللون والذى كان يقضم منه قضمات كبيرة بين فكيه اللذين يتحركان بعنف ويتفل البذر بعيداً عنه داخل الشجيرات. وحينما كان يقضم كان عصير أحمر اللون ينساب من فمه. تقدم يوساريان داخل الغابة مجدداً وهو يربت فوق بطنه العارية من حين لآخر كما لو أنه يتأكد من أنها لا تزال هناك. وبطول جانبى الطريق رأى فجأة عشرات الفطريات الجديدة التى كونتها الأمطار والتى كانت تبرز أصابعها العقيدية لأعلى خلال الأرض الرطبة مثل سويقات اللحم الميتة وتتبرعم فى وفرة فى كل مكان ينظر إليه؛ حتى إنها بدت وكأنها تتكاثر أمام عينيه. وقد كان يوجد الآلاف منها محتشداً على مرمى البصر بالشجيرات النامية تحت الأشجار الكبيرة وقد بدت أنها تزداد حجماً وتتضاعف عدداً وهو ينظر إليها. فرّ مسرعاً منها وهو يرتعد خوفاً ولم يبطئ من خطاه حتى شعر بالرمال تتفتت تحت قدميه. نظر وراءه فى ذعر وهو يتوقع أن يجد هذه الأشياء البيضاء تزحف وراءه أو تتقدم خلسة عبر قمم الأشجار فى مجموعات كبيرة بشكل متلوٍّ.

كان الشاطئ مهجوراً. وكانت الأصوات الوحيدة التى تخيم على المكان هى أصوات قرقرة مجرى الماء، وهمهمة الأعشاب الطويلة والأشجار خلفه، وعويل الأمواج الشفافة. كانت الأمواج كدأبها دوماً صغيرة وكان الماء صافيًا وباردًا. ترك يوساريان متعلقاته على الرمال وتحرك عبر الأمواج التى كانت تصل لركبتيه حتى غمره الماء تماماً. وعلى الجانب الآخر من البحر كانت هناك رقعة سوداء من أرض وعرة يغلفها الضباب والتى كانت شبه غير مرئية. شرع فى السباحة بوهن حتى وصل إلى الطوق، ثم أمسك به للحظة، ثم عاد فى وهن إلى حيث يستطيع

أن يقف على شريط الرمال. غمر نفسه عدة مرات بالماء الأخضر حتى شعر بأنه نظيف ويقظ، ثم تمدد فوق الرمال ورأسه لأسفل واستغرق فى النوم حتى عادت الطائرات من بولونيا وحلقت فوق رأسه، بينما تصدر محركاتها صوت زئير قويًا تخلل سباته.

استيقظ وهو يطرف بعينيه ويشعر بألم طفيف فى رأسه وفتح عينيه على ذلك العالم الذى تسوده الفوضى رغم أنه من الظاهر كان كل شىء به يتسم بالنظام. شهق فى دهشة حينما رأى المشهد المدهش للاثنى عشر سرباً من الطائرات المحلقة فى نظام دقيق، وقد كان المشهد صعب التصديق؛ فلم تكن هناك طائرات مصابة بتلفيات، أو طائرات تجر وراءها خيوطًا من الدخان، ولم تكن هناك طائرات مفقودة سوى طائرته هو. تملكه للحظة شعور بالجنون. وبعد ذلك أدرك ما حدث وكاد يبكى من هذه المفارقة. كان التفسير واضحاً: فقد غطت السحب الهدف قبل أن تتمكن الطائرات من قصفه، وسوف يضطرون للعودة مرة أخرى إلى بولونيا لتنفيذ المهمة.

ولكنه كان مخطئاً، فلم تكن هناك أية سحب. لقد تم قصف بولونيا، وأصبحت الآن مكاناً للجولات الاستطلاعية، ولم تكن هناك أية قذيفة مضادة للطائرات بالمرة.

١٥

بيلشارد و رين

كان ضابطا العمليات بالسرية المسالمان، النقيب بيلشارد والنقيب رين، رجلين وديعين معسولى الكلام ذوى طول أقل من المتوسط وكانا يستمتعان بالخروج فى المهام القتالية الجوية والتى كان الاستمرار فى تنفيذها هو أقصى ما يطلبانه من الحياة ومن الكولونيل كاثكارت، ولقد خرجا فى مئات المهمات القتالية وأرادا الخروج فى مئات المهام الأخرى؛ فقد كانا يسجلان اسميهما فى كل واحدة. فلم يسبق أن شهدت حياتهما حدثاً فى مثل روعة الحرب؛ وكانا يخشيان ألا يشهدا مثل هذا الحدث مرة أخرى، وكانا يؤديان واجباتهما بتواضع وتحفظ ودون إثارة كثير من الجلبة وكانا لا يعاديان أحدًا، وقد كانا يبتسمان بسرعة لكل من يقابلانه. وحينما كانا يتحدثان، كانا يتمتمان. وقد كانا واسعى الحيلة ومرحين وخانعين ولا يرتاحان لصحبة أحد سوى صحبة بعضهما البعض، ولم ينظرا قط لأى شخص فى عينيه ولا حتى يوساريان فى الجلسة المفتوحة التى عقداها لتوبيخه علناً لقيامه بجعل كيد سامبسون يعود من مهمة بولونيا.

قال النقيب بيلشارد والذى كان ذا شعر أسود خفيف ويبتسم فى ارتباك: "أيها الجندى، حينما تقرر العودة من إحدى المهام فليكن قرارك مرتكزاً على سبب يستدعى ذلك، حسناً؟ وليس على شىء غير مهم وثانوى... مثل نظام اتصال بينى معطل.... أو شىء من هذا القبيل. حسناً؟ إن النقيب رين لديه ما يود أن يقوله لك بخصوص هذا الموضوع".

قال النقيب رين: "إن النقيب بيلشارد محق أيها الجندى. وهذا هو كل ما أود أن أقوله لك بخصوص هذا الموضوع. حسناً، لقد ذهبنا أخيراً إلى بولونيا اليوم، ووجدنا أن المهمة لم تكن سوى جولة استطلاعية، وقد كنا جميعاً متوترين بعض الشىء، على ما أعتقد، ولم نحدث كثيراً من الدمار. حسناً، استمع إلى هذا. لقد حصل الكولونيل كاثكارت على تصريح لنا للعودة ثانية. وغداً سوف نقوم بضرب مستودعات الذخيرة تلك. الآن، ما رأيك فى هذا؟".

وكى يثبتا ليوساريان أنهما لا يحملان إزاءه أى ضغينة فقد قاما بتكليفه بقيادة السرب الأول فى الطائرة التى يقودها ماكوات فى المهمة إلى بولونيا التى كان من المقرر تنفيذها فى اليوم التالى، وقد ذهب إلى الهدف بشجاعة مماثلة لشجاعة

هافرماير وبثقة ودون أية مراوغة؛ ليجد نيران المدفعية تقذفه من كل مكان!

كانت نيران المدفعية الثقيلة بكل مكان! وقد تمت مراوغته ومحاصرته ولم يكن هناك ما يمكنه فعله سوى الجلوس هناك كالأحمق ومراقبة القذائف السوداء تنطلق حوله قاصدة قتله. ولم يكن هناك شيء يمكنه فعله حتى يسقط قنابله سوى النظر في مصوبة القصف منتظرًا أن تصير الشعيرات المستعرضة الدقيقة للعدسة ملتصقة فوق الهدف تماماً؛ حيث وضعها بحيث تتقاطع بشكل مثالى على المستودعات المموهة التى من المفترض به قصفها. كان يرتعد أثناء زحف الطائرة للأمام، وقد كان بإمكانه سماع صوت "بوم، بوم، بوم" الأجوف للقذائف المضادة للطائرات يدوى في كل مكان حوله حتى انفجرت قذيفة على نحو مفاجئ إلى جواره. كان رأسه يعج بآلاف النبضات الطنانة، بينما يدعو أن يحين وقت إسقاط القنابل. أراد أن يبكى. استمرت المحركات فى الأزيز برتابة مثل ذبابة كبيرة كسولة. وأخيراً تحركت المؤشرات بمصوبة القصف دالة على إسقاط القذائف الثمانى واحدة تلو الأخرى. تمايلت الطائرة بعد أن خف وزنها. ابتعد يوساريان عن مصوبة القذف ليراقب المؤشر على يساره. وحينما أشار المؤشر إلى الصفر أغلق أبواب حجيرة القنابل وقال مرتعداً عبر نظام الاتصال البينى بأعلى صوته:

"استدر يميناً بشدة!".

استجاب ماكوات على الفور. ومع ارتفاع صوت المحركات قلب الطائرة على أحد جناحيها واستدار بها مبتعداً عن القذيفتين اللتين لمحهما يوساريان متجهتين نحوهما. بعد ذلك جعل يوساريان ماكوات يرتفع أعلى وأعلى حتى وصلوا أخيراً إلى سماء زرقاء هادئة مشمسة يزينها من بعيد أغطية بيضاء من الزغب الرقيق. وقد داعبت الريح برقة الألواح الزجاجية الأسطوانية لنوافذه، وبدأ يشعر بالراحة حينما حلقوا بسرعة مجدداً وجعل ماكوات يستدير يساراً ثم يهبط لأسفل وهو يراقب فى بهجة القذائف وهى تقفز فوقه ووراء كتفه إلى اليمين تماماً فى المكان الذى كان سيكون به إن لم ينحرف يساراً ويهبط لأسفل. وجه لماكوات صرخة أخرى وجعله يرتفع ويدور ثانية داخل رقعة زرقاء من الهواء غير الملوث فى الوقت الذى بدأت قنابله تصيب أهدافها، وقد سقطت القنبلة الأولى فى الساحة تماماً؛ حيث وجهها، وبعد ذلك انفجرت القنابل التى سقطت من طائرته ومن الطائرات الأخرى على الأرض محدثة انفجارات برتقالية سريعة ومتتالية عبر أسطح المبانى والتى انهارت على الفور فى موجة مزبدة كبيرة من الدخان الوردى والرمادى والأسود والذى أخذ يتصاعد فى اضطراب فى جميع الاتجاهات وكأن برقاً صفيحياً ذهبياً وأبيض وأحمر قد ضرب المنطقة بعنف.

قال آرفى بصوت جهورى وهو يقف إلى جوار يوساريان مباشرة بينما يعلو

وجهه الدائرى السمين تعبير ينم عن السعادة والإشراق: "حسناً، هلّا نظرت إلى هذا. لابد أنه قد كان هناك مستودع للذخيرة بأسفل".

كان يوساريان قد نسى أمر آرفى. صاح فيه: "اخرج! اخرج من مقدمة الطائرة!".

ابتسم آرفى فى أدب وأشار ناحية الهدف داعياً يوساريان أن ينظر. بدأ يوساريان يصفعه فى إصرار وأشار باهتياج ناحية مدخل الممر.

صرخ فى جنون: "عد إلى المركبة! عد إلى المركبة!".

هزّ آرفى كتفيه وقال: "لا أستطيع سماعك".

أمسكه يوساريان من حزام عدة الباراشوت ودفعه ناحية الممر فى اللحظة التى اهتزت فيها الطائرة بشدة تلك الهزة التى جعلت عظامه تخشخش وقلبه يتوقف عن النبض، وقد أدرك على الفور أنهم قد ماتوا جميعاً.

وقد صرخ فى نظام الاتصال البينى فى ماكوات حينما اكتشف أنهم لا يزالون أحياء: "ارتفع! ارتفع أيها الوغد. *ارتفع، ارتفع، ارتفع، ارتفع*!".

ارتفعت الطائرة لأعلى مرة أخرى بسرعة حتى جعلها تثبت وتتوقف عن الارتفاع بصرخة أخرى فى ماكوات ثم تنحرف ثانية بزاوية قدرها خمس وأربعون درجة جعلته يقفز فى الهواء ثم وجه ماكوات مجدداً لأن ينحرف ناحية اليمين ويهبط لأسفل بسرعة. وخلال النقاط واللطخات اللا نهائية من الدخان الأسود زاد من سرعته بينما يتحرك السخام على مقدمة الطائرة ذات النوافذ الزجاجية مثل بخار رطب فوق وجنتيه، وقد شرع قلبه فى الدق بعنف مرة أخرى فى ذعر شديد حينما اندفع لأسفل وأسفل خلال انطلاق القذائف فى السماء حوله بهدف قتله إلى أن اختفت. وقد تدفق العرق من رقبته على صدره وخصره وجعله يشعر بأنه قذر. وأدرك للحظة أن الطائرات فى سربه لم تعد هناك وبعد ذلك لم يكن يشعر سوى بنفسه. آلمه حلقه بشدة بسبب الحدة التى كان يوجه بها كل أمر لماكوات. وقد كان صوت المحركات يعلو بشدة فى كل مرة يغير فيها ماكوات الاتجاه. وبعيداً فى الأمام كانت المدافع تطلق قذائف المدفعية فى السماء بينما تنتظر منه التحليق داخل مجال رميها.

اهتزت الطائرة مرة أخرى فجأة بفعل انفجار عالٍ أوشك أن يقلبها على ظهرها ثم امتلأت مقدمة الطائرة على الفور بسحب من الدخان الأزرق. "*شىء ما يشتعل*!" هكذا فكر فى نفسه، وقد اندفع يوساريان ليهرب إلا أنه اصطدم بآرفى والذى كان قد أشعل عود ثقاب بهدوء ليشعل غليونه. حدق يوساريان وهو فاغر فاه فى وجه ملاحه الدائرى المبتسم فى صدمة بالغة وارتباك، وقد خطر له على الفور أن أحدهما مجنون حقاً.

صرخ فى آرفى فى دهشة عارمة: "يا إلهى! اخرج من مقدمة الطائرة! هل أنت مجنون؟ اخرج!".

قال آرفى: "ماذا؟".

صرخ يوساريان بشكل هيستيرى وبدأ يضرب آرفى بشكل أحمق بكلتا قبضتيه كى يدفعه بعيداً: "اخرج! اخرج!".

قال آرفى ببراءة بينما يعلو وجهه تعبير ينم عن الارتباك: "أنا مازلت لا أستطيع سماعك. عليك أن ترفع صوتك أكثر".

ارتعد يوساريان غضباً: "اخرج من مقدمة الطائرة! إنهم يحاولون قتلنا! ألا تفهم؟ إنهم يحاولون قتلنا!".

صرخ ماكوات بغضب عبر نظام الاتصال البينى بصوت حاد ومنهك: "أى اتجاه على أن أذهب فيه؟ أى اتجاه أذهب؟".

"*استدر يساراً* ! يساراً أيها الوغد القذر اللعين! استدر *لأقصى اليسار*!".

زحف آرفى على مقربة من يوساريان ووخزه بحدة فى ضلوعه بطرف غليونه. طار يوساريان ناحية السقف وهو يصيح متألماً ثم قفز مستديراً على ركبتيه وهو شاحب الوجه ويرتعد غضباً. غمز آرفى بعينه ووجه كلامه لماكوات.

سأل وهو يضحك: "ما الذى يثير حنقه؟".

ساور يوساريان شعور غريب بالتيه. صاح فى تضرع ودفع آرفى بكل ما أوتى من قوة: "هلّا خرجت من هنا! هل أنت أصم أم ماذا؟ عد إلى الطائرة!"، ثم صرخ فى ماكوات: "اهبط! *اهبط*!".

وبأسفل غرقوا مجدداً فى وابل ساحق وغزير من القذائف المضادة للطائرات فى الوقت الذى عاد فيه آرفى زاحفاً خلف يوساريان ووخزه بحدة مجدداً فى ضلوعه. اندفع يوساريان للأمام وهو يصرخ متألماً ثانية.

قال آرفى: "مازلت لا أستطيع سماعك".

صاح يوساريان وهو يشرع فى البكاء: "*قلت اخرج من هنا*!"، ثم بدأ يضرب آرفى فى جسمه بكلتا يديه بأقصى ما يستطيع من قوة ويقول: "*ابتعد عنى! ابتعد عنى*!".

وكان ضرب آرفى يشبه غمر قبضتيه فى حقيبة لينة من المطاط المنتفخ. لم تكن هناك مقاومة أو استجابة على الإطلاق من تلك الكتلة اللينة منعدمة الإحساس، وبعد قليل فترت همة يوساريان وسقطت ذراعاه إعياءً. وقد غمره شعور مخزٍ ومذل بالعجز وكان على استعداد أن يبكى من فرط الشفقة على ذاته.

سأل آرفى: "ماذا قلت؟".

أجاب يوساريان وهو يستجديه الآن: "*ابتعد عنى*. عد إلى الطائرة".

"مازلت لا أستطيع سماعك".

انتحب يوساريان: "لا بأس. لا بأس. فقط دعنى وشأنى".

"لا بأس بماذا؟".

ضرب يوساريان جبهته براحة يده، ثم أمسك آرفى من مقدمة قميصه وشحذ قواه وجره إلى مؤخرة مقصورة مقدمة الطائرة وألقى به مثل حقيبة منتفخة ثقيلة فى مدخل الممر. انطلقت قذيفة إلى جوار أذنه مباشرة بينما كان يزحف عائداً تجاه المقدمة وتعجب بقدر الذكاء المتبقى فى عقله لأنها لم تقتلهم جميعاً. كانوا يرتفعون مرة أخرى. بدأت المحركات تزأر ثانية وإن كان فى ألم وبدأ الهواء داخل الطائرة يصبح عابقاً برائحة الآلات والرائحة النتنة للجازولين. والشىء التالى الذى أدركه *أنها كانت تمطر ثلجاً!*

فآلاف الأجزاء الصغيرة من الورق الأبيض كانت تسقط مثل كسفات الثلج داخل الطائرة غامرة رأسه حتى إنها علقت برموشه حينما أخذ يطرف فى دهشة وشرعت فى الدخول بمنخاريه وفمه فى كل مرة يستنشق فيها الهواء، وحينما استدار فى ارتباك كان آرفى يبتسم فى فخر ابتسامة تمتد من الأذن للأذن مثل شىء غير بشرى بينما يمسك بخريطة ورقية ممزقة من أجل يوساريان كى يراها، وكانت شظية كبيرة قد شقت أسفل الطائرة مخترقة خرائط آرفى الضخمة المختلطة بغير نظام، ثم خرجت من السقف على بعد بوصات من رأسيهما. كانت بهجة آرفى قد وصلت لذروتها.

تمتم قائلاً وهو يهز اثنين من أصابعه السمينة ممازحاً عبر الثقب بإحدى الخرائط تجاه وجه يوساريان: "هلّا نظرت إلى هذا! هلّا نظرت إلى هذا!".

وقد شعر يوساريان بالذهول من تلك السعادة المفرطة التى كان غارقاً بها. لقد كان آرفى مثل الغول المخيف بأحد الكوابيس والذى يعجز المرء عن ردعه أو تجنبه، وقد كان يوساريان يمقته لأسباب عدة كان من الصعب حصرها. وقد أخذت الريح التى تصفر عبر الثقب بالأرض تجعل أجزاء الورق التى لا حصر لها تدور مثل الذرات المرمرية داخل مثقلة الورق خالقة إحساسًا بالوجود فى عالم غير واقعى تحت الماء؛ فكل شىء بدا غريباً، ومبهرجاً للغاية، وخيالياً. كان رأسه يئن نتيجة لصوت الضجيج الذى يدوى دون توقف داخل أذنيه. كان ذلك هو ماكوات يستجديه ليملى عليه الإرشادات وهو يصرخ فى جنون. استمر يوساريان فى التحديق بذهول مؤلم لملامح آرفى الكروية التى تبتسم له فى سكون وبلاهة خلال دوامات نثار الورق الأبيض، وخلص إلى أنه معتوه تماماً فى الوقت الذى اخترقت فيه الطائرة ثمانى شظايا على مستوى النظر، ثم ثمانى شظايا أخرى، ثم ثمانى شظايا أخرى، والمجموعة الأخيرة اتجهت يساراً بحيث أصبحت أمامهم مباشرة.

صاح فى ماكوات بينما استمر آرفى فى التبسم: "استدر لأقصى اليسار!"، وقد استدار بالفعل ماكوات يسارًا ولكن الشظايا استدارت معهم يساراً فصاح يوساريان مجدداً: "*قلت لأقصى اليسار أيها الوغد!*".

قام ماكوات بالانحراف لليسار أكثر وفجأة وبشكل إعجازى ابتعدوا عن مرمى التصويب. لقد انتهت القذائف؛ فقد توقفت المدافع عن قذفهم، وكانوا أحياء.

وخلفه كان هناك رجال يموتون. وعلى امتداد أميال وفى خط ملتو كانت أسراب الطائرات الأخرى تقطع نفس الرحلة الخطيرة فوق الهدف وهى تشق طريقها بسرعة عبر انفجارات القذائف القديمة والحديثة مثل فئران تركض داخل روثها. كانت إحدى الطائرات مشتعلة وأخذت تعرج وتتموج مثل نجمة حمراء هائلة. وبينما كان يوساريان يراقب انقلبت الطائرة المشتعلة على جانبها وبدأت تدور حلزونياً حول نفسها لأسفل ببطء فى دوائر ضيقة، بينما تخرج منها خيوط النار والدخان، وقد انطلق الطيارون خارجها فاتحين باراشوتاتهم، واحدًا ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع، بعد ذلك سقطت الطائرة على الأرض وهى ترفرف مثل مجموعة من الورق الرقيق شبه الشفاف الملون، كما انفجر سرب كامل من الطائرات الخاصة بسرية أخرى.

تنهد يوساريان فى تبلد، فقد أنجز عمل اليوم. كان فاتر الهمة ولزجاً. كانت المحركات تدندن بشكل معسول حينما قام ماكوات بتخفيف السرعة للسماح بباقى الطائرات فى سربه باللحاق به، وقد بدا السكون المفاجئ غريباً واصطناعياً وماكراً بعض الشىء. خلع يوساريان حُلته وخوذته. تنهد ثانية فى تململ وأغلق عينيه وحاول الاسترخاء.

سأل أحدهم فجأة عبر نظام الاتصال البينى: "أين أور؟".

قفز يوساريان وهو يصرخ صرخة يشوبها القلق وهو يفكر فى التفسير الوحيد المنطقى لظاهرة القذائف الغامضة فى بولونيا: *أور!* ثم ذهب إلى مصوبة القصف ليبحث عن أى أثر لأور والذى كان يجذب القذائف كالمغناطيس وجذب بدون شك طلقات المدفعية الساحقة لفيلق هيرمان جويرنج بأكمله إلى بولونيا فى عشية وضحاها من حيث كان جاثماً فى اليوم السابق حينما كان أور مازال فى روما. اندفع آرفى بعد ذلك بدقيقة للأمام مطيحاً بيوساريان على الأرض بالحافة الحادة لخوذته. قام يوساريان بسبه بينما امتلأت عيناه بالدموع.

قال آرفى بكآبة وهو يشير بأسى لعربة من القش وحصانين يقفان أمام حظيرة خاصة ببيت مزرعة حجرى رمادى: "ها هو ممزق إرباً. أعتقد أنهم كانوا يفوقوننا عدداً".

سب يوساريان آرفى مجدداً واستمر فى البحث بكد بينما يساوره نوع من الخوف

البارد والعاطفى على زميل خيمته الصغير المرح الغريب ذى الأسنان البارزة والذى حطم جبهة أبلباى بمضرب تنس الطاولة. وفى النهاية لمح يوساريان الطائرة ذات المحركين والدفتين وهى تطير خارج الخلفية الخضراء للغابات فوق مزرعة صفراء، وكانت إحدى المراوح متوقفة تماماً ولكن الطائرة كانت ترتفع بثبات وتتقدم للأمام. قام يوساريان من دون وعى بشكر الله، ثم انفجر غضباً فى أور بعدما اجتاحته مشاعر متضاربة من الاستياء والراحة.

قال: "هذا الوغد! هذا الحقير ذو الوجه الأحمر والوجنتين الضخمتين والشعر المجعد والأسنان البارزة؟".

قال آرفى: "ماذا؟".

صاح يوساريان: "هذا الوغد الحقير المعتوه اللعين القزم ذى الوجنتين الحمراوين والعينين المحملقتين والأسنان البارزة والمبتسم".

"ماذا؟".

"*لا بأس!*".

قال آرفى: "مازلت لا أستطيع سماعك".

استدار يوساريان ليواجه آرفى: "أيها المغفل".

"أنا؟".

"أيها المغرور السمين الودود الأبله اللطيف...".

لم يشعر آرفى بالضيق، وبهدوء أشعل عود ثقاب وسحب نفسًا من غليونه بتسامح رحب، ثم ابتسم وفتح فمه ليتحدث. وضع يوساريان يده فوق فم آرفى ودفعه فى ضجر. أغلق عينيه وتظاهر بالنوم طوال طريق العودة لمر الهبوط حتى لا ينصت لآرفى أو يراه.

وفى غرفة التعليمات قدم يوساريان تقريره الاستخبارى إلى النقيب بلاك ثم انتظر فى توتر حتى ظهر أور أخيراً فوق رءوسهم بمحركه الواحد السليم الذى كان لايزال يجعل طائرته تحلق. ظل يوساريان واقفاً مكانه حتى هبط أور بأمان ثم سرق أول سيارة جيب كان مفتاحها فى محركها استطاع إيجادها، وعاد مسرعاً إلى خيمته للبدء فى حزم أمتعته من أجل الإجازة الطارئة التى قرر الخروج فيها ليسافر إلى روما؛ حيث وجد لوشيانا وندبتها غير المرئية فى نفس هذه الليلة.

١٦
لوشيانا

وجد لوشيانا تجلس وحدها على طاولة بنادى ضباط الحلفاء بعد أن تركها الرائد الأسترالى الذى جلبها إلى هناك من أجل الانضمام لبعض الزملاء السفهاء الذين يغنون.

قالت قبل أن يتمكن حتى يوساريان من النطق بكلمة: "حسناً، سوف أجلس معك، ولكنى لن أدعك تأخذنى إلى منزلك".

سألها يوساريان: "وهل طلبت منك ذلك؟".

صاحت فى دهشة: "ألا ترغب فى اصطحابى إلى منزلك؟".

"بل لا أريد الجلوس معك".

كانت الفتاة التى كان من المفترض له مغازلتها مازالت تجلس ثملة وهى تلف يدها حول رقبة آرفى وتتحدث إلى كل من هولب وأور وكيد سامبسون وهنجرى جو، وبمجرد أن قام يوساريان ولوشيانا ووصلا إليهم دفعته لوشيانا بقوة وبشكل غير متوقع تلك الدفعة التى حملت كليهما خلف الطاولة بحيث أصبحا وحدهما. كانت فتاة طويلة فظة مليئة بالحيوية مرحة وذات شعر طويل ووجه جميل.

قالت: "حسناً، سوف أدعك لكى تطلب لى عشاء ولكننى لن أدعك تأخذنى إلى منزلك".

سأل يوساريان فى دهشة: "هل طلبت منك هذا؟".

"ألا تريد اصطحابى إلى منزلك؟".

"بل لا أريد أن أبتاعك عشاءً".

جذبته خارج الملهى الليلى إلى الشارع ثم أسفل مجموعة من الدرجات إلى داخل مطعم خاص بالسوق السوداء ممتلئاً بفتيات جذابات مفعمات بالحيوية واللاتى يظهر أنهن يعرفن بعضهن البعض وكن يجلسن بصحبة ضباط عسكريين من بلاد مختلفة والذين جاءوا معهن إلى هذا المكان. كان الطعام فخماً وباهظ الثمن وكانت الممرات تعج بأصحاب الأملاك السعداء، والذين كانوا جميعاً بدناء وصلعاء الرءوس، وقد كان الجزء الداخلى الصاخب من المطعم يشع بموجات من البهجة والدفء.

وقد تجاهلت لوشيانا يوساريان تماماً أثناء التهامها لوجبتها بكلتا يديها. كانت تأكل مثل الحصان حتى مسحت آخر طبق، ثم وضعت الآنية الفضية بطريقة تدل على أنها انتهت مما كانت تفعله، واتكأت للخلف فى كسل فى مقعدها بينما يرتسم على وجهها تعبير ينم عن إشباع شرهها. أخذت نفساً عميقاً سعيداً وحدقت إليه فى حب.

قالت بعينين نعسانتين وممتنتين: "حسناً يا جو، الآن يمكننى أن أدعك تصطحبنى إلى منزلك".

"إن اسمى هو يوساريان".

أجابت وهى تضحك فى ندم: "حسناً يا يوساريان، الآن سأدعك تصطحبنى إلى منزلك".

قال يوساريان: "هل طلبت منك هذا؟".

أصيبت لوشيانا بالذهول: "ألا تريد اصطحابى إلى منزلك؟".

أومأ يوساريان مؤكداً وهو يضحك ثم ربت على يدها بيده مما جعلها تسترد يقظتها. أبعدت يدها عنه على الفور، بينما كان وجهها متورداً وفزعاً وخجلاً وهى تنظر حولها بالمطعم.

قالت: "الآن لابد أن أعود للمنزل لأمى؛ لأنها لا تحب أن أقوم بالرقص مع الجنود أو أتناول معهم العشاء، وهى سوف تغضب منى إن لم أعد إلى المنزل الآن. ولكننى سأدعك تكتب لى عنوانك، وفى الصباح سوف آتى إليك قبل أن أذهب لعملى فى المكتب الفرنسى. اتفقنا؟".

قال يوساريان فى إحباط يشوبه الغضب: "*اللعنة*!".

قالت لوشيانا فى دهشة: "ماذا تعنى كلمة *اللعنة*؟".

انفجر يوساريان فى الضحك. أجابها أخيراً بروح دعابة جيدة: "تعنى أننى أريد مرافقتك إلى حيث تريدين الآن حتى أستطيع العودة بسرعة إلى هذا الملهى الليلى قبل أن يرحل آرفى مع هذه الفتاة الجميلة قبل أن تتاح لى الفرصة أن أسألها عن خالة أو صديقة تشبهها".

"أتريد أن تأتى معى؟".

وبخها برقة قائلاً: "إن أمك تنتظر، أتذكرين؟".

"آه، نعم أمى".

ترك يوساريان الفتاة تسحبه عبر الليلة الرومانسية الربيعية الجميلة لمسافة ميل تقريباً حتى وصلا إلى محطة أتوبيس يعمها الفوضى ويعلو بها صوت النفير وتتوهج بها الأضواء الحمراء والصفراء ويتردد خلالها الأصوات المتشابكة للتوبيخ القاسى لسائقى الأتوبيسات غير حليقى الذقون والذين كانوا يصبون أقذع

الشتائم على بعضهم البعض وعلى ركابهم وعلى مجموعات المارة الذين يسدون طريقهم وظلوا يتجاهلونهم حتى تصطدمهم الأتوبيسات، ومن ثم يبدأون فى سب السائقين بدورهم، وقد اختفت لوشيانا داخل إحدى المركبات الخضراء الصغيرة، وهرع يوساريان بأقصى سرعة ممكنة عائداً إلى الملهى الليلى والفتاة ذات العينين الغائمتين. وقد بدت مفتونة بآرفى ولكنه كان يفكر وهو يركض فى خالتها أو فى صديقة لها أو أخت أو ابنة عم أو أم والتى تكون على نفس الدرجة من الجمال. كانت لتصبح مثالية ليوساريان؛ فقد كانت امرأة لعوبًا مثيرة والتى ظل يتمناها لشهور. كانت كنزاً حقيقياً؛ فقد كانت تدفع لقاء مشروباتها وتمتلك سيارة وشقة وخاتماً به حجر كريم ذو نقش بارز والذى أثار جنون هنجرى جو؛ لأن النقش الذى كان به كان جميلاً. وقد صهل هنجرى جو ووثب وضرب الأرض فى شهوة عارمة وحاجة شديدة، ولكن الفتاة أبت أن تبيعه الخاتم حتى بعدما عرض عليها كل المال الذى كان فى جيبه والكاميرا الخاصة به؛ فهى لم تكن تهتم كثيراً بالمال أو الكاميرات.

حينما وصل يوساريان إلى هناك كانت قد رحلت. كانوا جميعاً قد رحلوا، وخرج على الفور إلى الشوارع الشاغرة المظلمة وهو يشعر باكتئاب عميق. ولم يكن يوساريان يشعر بالوحدة عادة حينما يكون وحده، ولكنه شعر بالوحدة الآن بسبب حسده لآرفى والذى علم أنه قضى وقتًا ممتعًا مع تلك الفتاة الملائمة تماماً ليوساريان شأنها شأن السيدتين الأرستقراطيتين النحيفتين المذهلتين اللتين كانتا تعيشان بالشقة فى أعلى وكذلك الدوقة الجميلة الغنية ذات الشعر الأسود والشفتين الحمراوين المتوترتين وزوجة ابنها الجميلة ذات الشعر الأسود. كان يوساريان يشعر بأنه يحببهن جميعاً بينما يشق طريقه عائداً إلى شقة الضباط، يحب لوشيانا والفتاة ذات العينين الغائمتين والدوقة الجميلة الغنية وزوجة ابنها الجميلة الغنية اللتين لم تدعاه يلمسهما أو حتى يغازلهما؛ فقد كانتا شغوفتين بناتلى وتذعنان بسلبية لآرفى ولكنهما ظنتا أن يوساريان كان مجنوناً وكانتا تبتعدان عنه فى ازدراء فى كل مرة يتحدث فيها إليهما أو يحاول ملاطفتهما أثناء هبوطهما الدرجات. كانتا مخلوقتين رائعتين. كانتا تنعمان بلقب اجتماعى، لم يعلم يوساريان ما هو لكنه علم أنهما تملكانه فى حين لا يملكه هو، وهما كانتا تعلمان هذا أيضاً. تمنى ثانية أن يكون فى مكان آرفى مع تلك الفتاة التى لا تهتم له على الإطلاق ولن تفكر فيه مرة أخرى.

ولكن آرفى كان قد عاد إلى الشقة بالفعل عند وصول يوساريان، وقد حدق إليه يوساريان وهو شاغر فاه بينما يغمره نفس هذا الشعور بالدهشة الذى عانى منه فى نفس هذا الصباح فوق بولونيا أثناء وجوده فى مقدمة الطائرة.

سأله: "ماذا تفعل هنا؟".

قال هنجرى جو فى غضب: "هذا صحيح، اسأله! اجعله يخبرك ماذا يفعل هنا!".

وبينما أخذ فى التأوه صنع كيد سامبسون مسدساً بإبهامه وسبابته وأطلق النار على رأسه، وقد كان هولب الذى يمضغ قطعة علكة كبيرة يشرب كل شىء بينما يرتسم على وجهه ذى الخمسة عشر ربيعاً تعبير غر وأحمق، وكان آرفى ينقر طرف غليونه على راحته بسعادة بينما يسير للأمام والخلف فى رضا غامر عن الذات.

سأل يوساريان: "ألم تذهب مع هذه الفتاة إلى منزلها؟".

قال آرفى: "آه بالطبع ذهبت إلى منزلها معها. أنت لا تعتقد أننى كنت سأتركها تعود للمنزل وحدها، أليس كذلك؟".

"ألم تكن تريدك أن تبقى معها؟".

ضحك آرفى قائلاً: "لا، لقد أرادتنى أن أبقى معها. لا تقلق على آرفى العجوز الطيب، ولكننى لم أكن لأستغل فتاة لطيفة كهذه لأنها كانت ثملة. أى نوع من الرجال تظننى؟".

أجابه يوساريان فى دهشة: "من قال أى شىء عن استغلالها؟ إن كل ما أرادته هو قضاء وقت ممتع بصحبة شخص ما. إن هذا هو الشىء الوحيد الذى ظلت تتحدث عنه طوال الليل".

قال آرفى: "ذلك لأنها كانت مشوشة بعض الشىء، ولكننى تحدثت معها قليلاً ورددت لها عقلها".

قال يوساريان وهو يجلس بتعب على الأريكة إلى جوار كيد سامبسون: "أيها الوغد! لماذا لم تعطها لأحدنا إن لم تكن تريدها؟".

قال هنجرى جو: "أترى! إن هناك ما يسوء به".

أومأ يوساريان ونظر إلى آرفى بفضول وقال: "آرفى، اصدقنى القول. ألم تقم علاقة مع أى فتاة من قبل؟".

ضحك آرفى ثانية فى سعادة: "بالطبع أقمت علاقات معهن. لا تقلق علىّ. ولكننى لا أفعل ذلك مع الفتيات اللطيفات قط؛ فأنا أعرف نوعية الفتيات اللاتى يمكننى إقامة علاقات معهن ونوعية الفتيات اللاتى لا ينبغى لى إقامة علاقات معهن، وأنا لا أقيم قط علاقة مع الفتيات اللطيفات. وقد كانت تلك الفتاة إحدى الفتيات اللطيفات؛ فبإمكانك أن تلاحظ أن أسرتها غنية؛ حتى إننى جعلتها تلقى بهذا الخاتم الذى تملكه خارج نافذة السيارة".

قفز هنجرى جو فى الهواء فى ألم وصرخ قائلاً: "فعلت ماذا؟ فعلت ماذا؟". ثم بدأ يضرب كتفى وذراعى آرفى بكلتا قبضتيه وعيناه ممتلئتان بالدموع وهو يقول: "لابد أن أقتلك من أجل ما فعلت أيها الحقير. إنه آثم، تلك هى حقيقته. إن لديه

عقلاً قذرًا، أليس كذلك؟ أليس لديه عقل قذر؟".

وافقه يوساريان قائلاً: "الأقذر".

سأل آرفى فى دهشة حقيقية وهو يحمى وجهه بدسه داخل كتفيه البيضاوين: "ما الذى تتحدثون عنه أيها الرفاق؟"، ثم قال باستجداء وهو يبتسم ابتسامة تنم عن شعور خفيف بعدم الراحة: "بالله عليك يا جو. هلاّ توقفت عن ضربى!".

ولكن هنجرى جو لم يتوقف عن ضربه حتى حمله يوساريان ودفعه ناحية حجرة نومه. ذهب يوساريان بفتور إلى غرفة نومه وخلع ملابسه وغط فى النوم. وبعد لحظة وجد الصباح قد أشرق وأحدهم يقوم بهزه.

تذمر قائلاً: "لماذا توقظيننى؟".

كانت من توقظه هى ميشيلا، الخادمة النحيلة المرحة ذات الوجه الشاحب، وقد كانت توقظه لأنه كان هناك زائر ينتظره بالخارج. لوشيانا! لم يكن بإمكانه تصديق هذا. وقد أصبحت وحدها بالغرفة معه بعد مغادرة ميشيلا، كانت لطيفة ووافرة الصحة وتشع حيوية حتى حينما ظلت واقفة بمكانها وتقطب به فى غضب. وقفت مثل تمثال لأنثى شابة ضخم بينما تباعد ساقاها العموديتان المرتكزتان على حذاء أبيض ذى كعب عال وترتدى ثوباً أخضر جميلاً وتؤرجح محفظة يد جلدية كبيرة مسطحة والتى ضربته بها على وجهه حينما قفز من الفراش للإمساك بها. تهاوى يوساريان للخلف وهو يشعر بالدوار ويمسك بوجنته التى تؤلمه فى ارتباك.

بصقت عليه بينما يتسع منخاراها وتنظر إليه فى ازدراء: "أيها الخنزير! إنك تعيش كالحيوانات".

وبينما كانت تسبه باشمئزاز عبرت الغرفة وفتحت النوافذ الثلاث البابية الطويلة للسماح بدخول أشعة الشمس الساطعة والنسيم العليل والذى اجتاح الغرفة راكدة الهواء مثل عطر منعش. وضعت حقيبة يدها على أحد المقاعد وبدأت ترتب الغرفة وتلتقط متعلقاته من على الأرض ومن أعلى الأثاث ملقية بجواربه ووشاحه وملابسه الداخلية فى درج فارغ فى المزينة وعلقت قميصه وبنطاله داخل الخزانة.

ركض يوساريان خارج غرفة النوم ودخل دورة المياه وغسل أسنانه. غسل يديه ووجهه ومشط شعره، وحينما عاد مسرعاً إلى الداخل كانت الغرفة مرتبة وكانت لوشيانا فى انتظاره. كانت تعبيرات وجهها مسترخية. وضعت قرطها على المزينة وجلست على الفراش وهى تضحك.

نظرت إليه فى إعجاب، وتساءل هو بشأن القميص الوردى الذى رفضت خلعه. كان ذا حمالتين رفيعتين ويخفى الندبة غير المرئية على ظهرها والتى رفضت أن تجعله يراها بعد أن حملها على إخباره بوجودها. أصيبت بالتوتر حينما رأى الجزء

المشوه والذى كان يمتد من عظم كتفها وحتى أسفل عمودها الفقرى، ولقد شعر بالفزع من كم الليالى التى أمضتها فى عذاب فى المستشفى وهى مخدرة أو تتألم وسط الزى الأبيض والأحذية مطاطية النعل والأضواء الليلية المخيفة التى تظل تسطع فى ضعف حتى الفجر فى الردهات. لقد أصيبت فى غارة جوية.

سأل بينما يكتم نفسه قلقاً: "هل أصبت فى دوف؟".

"نابولى".

"على يد الألمان؟".

"الأمريكيين".

وثب قلبه ووقع فى الحب، وتساءل إن كانت ستقبل الزواج منه.

قالت وهى تضحك فى بهجة: "أنت مجنون".

سأل: "لماذا أنا مجنون؟".

"لأننى لا أستطيع الزواج".

"لماذا أنا مجنون؟".

"لأنك تريد الزواج منى".

قطب يوساريان جبهته بشكل ساخر وقال: "إنك لن تتزوجينى لأننى مجنون وتقولين إننى مجنون لأننى أريد الزواج منك؟ أليس كذلك؟".

"نعم".

قال لها بصوت عالٍ: "أنت مجنونة!".

صاحت فى سخط وهى تجلس فوق الفراش: "لماذا؟ لماذا أنا مجنونة".

"لأنك لا تريدين الزواج منى".

صاحت فيه وهى تضربه بشدة على صدره بظهر يدها: "غبى! أنا لا أستطيع الزواج بك! ألا تفهم؟ أنا لا أستطيع الزواج بك".

"آه، نعم، أفهمك. لماذا لا تستطيعين الزواج بى؟".

"لأنك مجنون!".

"ولماذا أنا مجنون".

"لأنك تريد الزواج بى".

قال وهو يجذبها نحوه: "لأننى أريد الزواج بك أنا أحبك. أنا أحبك".

تمتمت وهى تشعر بالإطراء: "أنت مجنون".

"لماذا؟".

"لأنك تقول إنك تحبنى. كيف يمكنك أن تحب فتاة ليست عذراء؟".

"لأننى لا أستطيع الزواج بك".

انتصبت ثانية فى غضب. سألت وهى على استعداد أن تضربه مرة أخرى إن

لم يجبها بشكل يشعرها بالإطراء: "لماذا لا تستطيع الزواج بى؟ فقط لأننى لست عذراء؟".

"لا، لا يا حبيبتى. لأنك مجنونة".

نظرت إليه فى استياء للحظة ثم أعادت رأسها للخلف وضحكت فى سعادة. حدقت إليه باستحسان حينما توقفت عن الضحك بينما تزداد أنسجة وجهها الداكنة توردًا بدفقة جميلة من الدم. ازدادت عيناها سواداً. شرعا فى الاقتراب من بعضهما البعض لكن فى هذه اللحظة اقتحم هنجرى جو الغرفة دون أن يطرق الباب ليسأل يوساريان إن كان يريد أن يذهب معه بحثاً عن الفتيات. توقف هنجرى جو على الفور حينما رآهما وانطلق خارجًا من الغرفة. نهض يوساريان من الفراش بسرعة أكبر وبدأ يصيح على لوشيانا لترتدى ملابسها. كانت الفتاة مذهولة. جذبها بشدة من ذراعها من الفراش ودفعها تجاه ملابسها، ثم هرع ناحية الباب فى الوقت المناسب ليغلقه فى وجه هنجرى جو الذى كان قد أتى مسرعاً وهو يحمل كاميرته. كان هنجرى جو قد حشر ساقه داخل الباب وأبى أن يسحبها.

استجداه وهو يتلوى فى جنون: "دعنى أدخل! دعنى أدخل!". توقف عن التلوى للحظة ليحدق إلى وجه يوساريان عبر الشق بالباب وهو يرسم على وجهه ما يعتقد أنها ابتسامة ماكرة وقال: "أنا لست هنجرى جو. أنا مصور شهير من مجلة لايف. أريد صورة كبيرة للغلاف. سوف أجعل منك نجماً من نجوم هوليوود يا يوساريان".

أغلق يوساريان الباب حينما تراجع هنجرى جو خطوة للخلف فى محاولة لتصوير لوشيانا وهى ترتدى ملابسها. هاجم هنجرى جو الحاجز الخشبى فى جنون وتراجع للخلف لشحذ قواه ثم اندفع للأمام فى جنون مرة أخرى. ارتدى يوساريان ملابسه بين الهجمات، وكانت لوشيانا قد ارتدت ثوبها الأخضر والأبيض وتمسك بتنورتها أعلى خصرها. اجتاحته دفقة من البؤس حينما رآها على وشك ارتداء باقى ملابسها. مد ذراعه وجذبها نحوه حينما دفع هنجرى جو الباب بجسمه فى هجمة بائسة أخرى وكاد يطرح كليهما أرضاً. دفعه يوساريان بعيداً.

وبخها قائلاً: "Vite! أسرعى! ارتدى ملابسك!".

قالت فى حيرة: "ما الذى تتحدث عنه؟".

"أسرعى! أسرعى! ألا تفهمين الإنجليزية؟ ارتدى ملابسك بسرعة!".

صاحت به قائلاً: "غبى! إن Vite كلمة فرنسية وليست إيطالية. Subito! ذلك هو ما تقصده".

"نعم، ذلك هو ما أقصده، Subito!".

قالت فى تعاون وهى ترتدى حذاءها وقرطها: "أجل، أجل".

توقف هنجرى جو عن الهجوم لالتقاط صور عبر الباب المغلق، وقد كان بإمكان يوساريان سماع صوت طقطقة التقاط الصور. وحينما كان هو ولوشيانا مستعدين انتظر يوساريان هجمة هنجرى جو التالية وفتح له الباب فجأة على نحو غير متوقع. سقط هنجرى جو داخل الغرفة مثل ضفدع متعثر. دار يوساريان حوله وهو يقود لوشيانا خلفه عبر الشقة ثم داخل الردهة. هرعا أسفل الدرجات وهما يضحكان ومنقطعا النفس وبالقرب من الطابق السفلى التقيا بناتلى الذى كان فى طريقه لأعلى وتوقفا ليضحكا. كان ناتلى مجهداً وقذراً وتعيساً. كان رباط عنقه مائلاً وقميصه مجعداً وكان يسير وهو يضع يديه فى جيبيه. وكانت ترتسم على وجهه نظرة بائسة ومروعة.

سأل يوساريان فى تعاطف: "ما الأمر يا فتى؟".

أجاب ناتلى بابتسامة ضعيفة ومشتتة: "أنا مفلس مرة أخرى. ماذا علىّ أن أفعل؟".

لم يعرف يوساريان. لقد أمضى ناتلى آخر اثنتين وثلاثين ساعة مع تلك الفتاة فاترة الشعور التى يعشقها والتى تتقاضى منه عشرين دولارًا فى الساعة، وبذلك لم يتبق شىء له من راتبه أو من الأموال التى يتلقاها شهرياً من والده الغنى الكريم. وهذا يعنى أنه ليس باستطاعته أن يمضى معها مزيداً من الوقت؛ فهى لن تسمح له بالسير إلى جوارها وهى تجوب الأرصفة لجذب الجنود الآخرين، كما أنها تشتاط غضباً حينما تلمحه يتعقبها من بعيد، وقد كان بإمكانه التسكع داخل شقتها إن أراد ذلك ولكنه لم يكن واثقاً إن كانت ستكون هناك، وكانت ستسمح له بالتواجد معها إن لم يدفع لها مالاً. وهى كانت تعتقد أن إقامة علاقة هو أمر ممل حقاً. وقد كان ناتلى يريد التأكد من أنها لن تقيم علاقة مع أى شخص منحط الأخلاق أو مع شخص يعرفه، وقد كان النقيب بلاك يحرص على مرافقتها فى كل مرة يأتى فيها إلى روما فقط ليعذب ناتلى حينما يتلو عليه كيف أنه قضى وقتًا طيبًا مع محبوبته ويشاهد ناتلى يموت كمداً، بينما يقص عليه الإهانات التى يجبرها على تحملها.

وقد تأثرت لوشيانا بحزن ناتلى ولكنها انفجرت فى الضحك مرة أخرى بصوت مرتفع عندما خرجت بالشارع المشمس مع يوساريان، وسمعت هنجرى جو يستجديهما من النافذة كى يصعدا ليصورهما لأنه كان حقاً مصوراً من مجلة لايف. مضت لوشيانا قدماً عبر الرصيف وهى تسحب يوساريان بنفس الحماسة التى أظهرتها فى النادى الليلة السابقة. اتبعها يوساريان ثم سار إلى جوارها حتى وصلا لزاوية فابتعدت عنه. قامت بترتيب شعرها فى مرآة أخذتها من داخل محفظتها ووضعت أحمر شفاه.

قالت مقترحة: "لماذا لا تطلب منى أن أكتب لك اسمى وعنوانى على ورقة حتى تستطيع إيجادى مرة أخرى حينما تأتى إلى روما؟".

وافقها قائلاً: "لماذا لا تكتبين اسمك وعنوانك على ورقة؟".

سألت بطريقة قتالية بينما تجعد فمها فجأة غضباً وتتوهج عيناها سخطاً: "لماذا؟ حتى تقوم بتمزيقها إلى أجزاء صغيرة لحظة ما أغادر؟".

اعترض يوساريان فى ارتباك: "من سيقوم بتمزيقها؟ ما الذى تتحدثين عنه؟".

قالت مصرة: "أنت الذى ستفعل ذلك. سوف تمزقها إلى أجزاء صغيرة لحظة ما أغادر وتسير مختالاً بنفسك؛ لأن فتاة طويلة وشابة وجميلة مثلى أنا لوشيانا جاءتك إلى شقتك ولم تطلب منك مالاً".

سألها: "ما المبلغ الذى تريدينه؟".

صرخت بعاطفة: "*أيها الغبى!* أنا لا أريد منك مالاً!"، ثم داست على الأرض بقدمها بقوة ورفعت ذراعها فى اهتياج مما جعل يوساريان يعتقد أنها ستضربه ثانية فى وجهه بحقيبتها الكبيرة. لكن بدلاً من ذلك كتبت اسمها وعنوانها على ورقة ورمتها إليه. وبخته بينما تعض على شفتها التى مازالت ترتعد قليلاً: "ها هى. لا تنس. لا تنس أن تمزقها إرباً لحظة ما أغادر".

بعد ذلك ابتسمت له فى صفاء واعتصرت يده بيدها وهمست له قائلة: "إلى اللقاء"، ثم ابتعدت عنه وسارت بعيداً.

ولحظة ما غادرت مزق يوساريان الورقة إرباً وسار بالاتجاه المضاد مختالاً لأن فتاة شابة وجميلة جاءته إلى شقته ولم تطلب منه مالاً. ظل مختالاً بنفسه إلى أن جلس فى غرفة الطعام فى مبنى الجيش ليجد نفسه يتناول الإفطار مع عشرات وعشرات الجنود الذين يرتدون جميع أنواع الحُلل النظامية الرائعة؛ وفجأة أصبح محاطاً بذكرياته عن لوشيانا وهى تجلس إلى جواره بالفراش فى قميصها الوردى، الذى رفضت خلعه، وقد علق الخبز والبيض فى حلق يوساريان حينما شعر بفداحة الخطأ الذى ارتكبه حينما مزق الورقة التى كتبتها له إلى أجزاء صغيرة وألقى بها بهذا الشكل الوقح فى البالوعة بالحاجز الحجرى. كان يفتقدها بشدة. كان هناك العديد من الأشخاص المزعجين الذين لا وجوه لهم ويرتدون الحُلل النظامية حوله فى غرفة الطعام، وقد شعر برغبة غامرة أن ينفرد بها ثانية عما قريب وقفز فى تهور من فوق مقعده وركض إلى الخارج حتى أصبح بالشارع واتجه ناحية الشقة ليبحث عن الأجزاء الصغيرة للورقة فى البالوعة، ولكنها كانت قد سقطت بالداخل بفعل مياه تنظيف الشارع.

لم يتمكن من رؤيتها مرة أخرى فى نادى ضباط الحلفاء فى تلك الليلة أو فى

يستطع حتى إيجاد المطعم، وحينما عاد إلى الفراش مرة أخرى رأى فى منامه أنه يتفادى نيران المدفعية فوق بولونيا مرة أخرى مع وقوف آرفى فوق كتفيه بالطائرة، بينما ترتسم على وجهه نظرة خبيثة وخسيسة، وفى الصباح جرى ليبحث عن لوشيانا فى جميع المكاتب الفرنسية التى استطاع إيجادها ولكن لم يعرف أحد ما الذى كان يتحدث عنه، وفى ذلك الحين ركض فى ذعر واهتياج؛ حيث شعر بأن عليه الاستمرار فى الركض إلى أن يصل لمكان ما، وأخيراً وصل إلى شقة الجنود حيث كانت توجد الخادمة القصيرة والسمينة ذات السروال الجيرى اللون والتى وجدها تنظف الغبار فى غرفة سنودين بالطابق الخامس وهى ترتدى معطفها البنى المسمر وقميصها الداكن الثقيل. كان سنودين لايزال حياً فى ذلك الحين وقد أدرك يوساريان أن تلك كانت غرفة سنودين من الاسم المطبوع باللون الأبيض على الحقيبة الزرقاء ذات القماش السميك التى تعثر بها عبر المدخل.

عاد إلى شقته وحزم أشياءه بأقصى سرعة ممكنة وترك لناتلى ما يمتلك من مال، وعاد إلى بيانوسا على إحدى طائرات المؤن للاعتذار لهنجرى جو لقيامه بطرده من حجرة النوم، ولم يكن الاعتذار ضرورياً؛ حيث كانت معنويات هنجرى جو مرتفعة حينما وجده يوساريان. كان هنجرى جو يبتسم ابتسامة عريضة وقد أصيب يوساريان بالغثيان فور ما رآه؛ حيث إنه أدرك سبب ارتفاع معنوياته.

أعلن هنجرى جو سريعاً بصوت يشوبه الراحة والبهجة: "أربعون مهمة. لقد قام الكولونيل برفع عدد المهام ثانية".

أصيب يوساريان بالذهول: "ولكننى أنهيت اثنتين وثلاثين! كان يتبقى لى ثلاث مهام أخريات وأنتهى".

هزّ هنجرى جو كتفيه فى لامبالاة. كرر قائلاً: "إن الكولونيل يريد أربعين مهمة".

دفعه يوساريان بعيداً عنه وركض ناحية المستشفى.

١٧
الجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء

ركض يوساريان تجاه المستشفى وهو عاقد العزم على أن يظل هناك للأبد حتى لا يخرج فى مهمة واحدة إضافية أكثر من الاثنتين والثلاثين مهمة التى قام بتنفيذها. وبعد عشرة أيام من تغييره لرأيه وخروجه من المستشفى رفع الكولونيل عدد المهام إلى خمس وأربعين مهمة؛ مما جعل يوساريان يهرع إلى المستشفى ثانية وهو عاقد العزم على أن يظل هناك للأبد حتى لا يخرج فى مهمة واحدة إضافية أكثر من الست مهام التى نفذها لتوه.

وقد كان بإمكان يوساريان الذهاب إلى المستشفى وقتما يشاء بسبب حالة كبده وعينيه؛ فالأطباء لم يستطيعوا علاج حالة كبده وعجزوا عن النظر فى عينيه فى كل مرة يخبرهم فيها بأنه يعانى ألماً بالكبد. ولقد كان يستمتع بوقته بشدة فى المستشفى طالما أنه لا يوجد أحد مريض للغاية حقاً فى نفس الجناح. وقد كان جسمه قوياً بما فيه الكفاية ليتحمل إصابة شخص آخر بالملاريا أو الإنفلونزا دون أن يصاب بأى إزعاج تقريباً، وكان بإمكانه تحمل إجراء الآخرين عمليات استئصال اللوزتين دون المعاناة من الاكتئاب التالى للعمليات الجراحية، بل حتى كان بإمكانه تحمل معاناتهم من الفتاق أو البواسير دون أن يصاب سوى بحالات خفيفة من الغثيان والاشمئزاز، ولكن كان هذا هو كل ما يستطيع أن يتحمله دون أن يصاب بالغثيان والمرض؛ فإن فاق الأمر ذلك كان يلوذ بالفرار. وقد كان باستطاعته الاسترخاء فى المستشفى؛ حيث ما من أحد هناك كان ينتظر منه القيام بأى شىء. فكل ما كان منتظرًا منه فى المستشفى هو الموت أو التحسن، وبما أنه كان وافر الصحة فقد كان التحسن أمراً يسيراً.

إن البقاء داخل المستشفى كان أفضل من التواجد فوق بولونيا أو الطيران فوق الأفنيون أثناء تولى هولب ودوبس القيادة، بينما يحتضر سنودين فى الخلف.

لم يكن عدد المرضى الذين رآهم يوساريان بالمستشفى كبيراً مثل ذلك الذى رآه خارج المستشفى، وفى العادة كان عدد الأشخاص المرضى بشكل خطير داخل المستشفى أقل من ذلك الموجود بالخارج. وكان معدل الوفيات بالمستشفى أقل من ذلك الموجود خارج المستشفى، فالقليل هم من كانوا يموتون دون داع. والناس كانوا يعلمون المزيد عن الموت داخل المستشفى ويتعاملون معه بمزيد من النظام. لم يكن

باستطاعتهم السيطرة على الموت وترويضه داخل المستشفى ولكنهم كانوا بالتأكيد يستطيعون التعامل معه بهدوء بهدوء لم يكن بمقدورهم إبقاؤه بالخارج ولكن فى حين وجوده بالداخل كان عليه التصرف كشخص محترم، وكان الناس يستسلمون لهذا الشبح بلباقة وذوق داخل المستشفى، ولم يكن هناك ذلك التفاخر الفج بخصوص الموت الذى كان شائعاً خارج المستشفى، ففى المستشفى لا ينفجر الناس فى السماء مثل كرافت أو الرجل الميت فى خيمة يوساريان، أو يتجمدون حتى الموت فى فصل الصيف الحارق مثلما تجمد سنودين حتى الموت بعد أن أفضى بسره إلى يوساريان فى مؤخرة الطائرة.

شكا سنودين قائلاً: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

حاول يوساريان مواساته: "اهدأ، اهدأ".

وهم لا يختفون بشكل غريب داخل سحابة مثلما حدث لكليفنجر. ولا ينفجرون متحولين إلى دماء ومواد متجلطة، ولا يغرقون، أو يصعقهم البرق، أو يحطمهم جسم الطائرة، أو يتحطمون فوق الصخر والتراب. إنهم لا يموتون رمياً بالرصاص فى المعتقلات أو يخنقون حتى الموت بعد خطفهم، أو يطعنون حتى الموت فى الصالونات، أو يضربون حتى الموت بالفئوس من قبل آباء أو أبناء، أو يموتون سريعاً لأى سبب آخر. ولا أحد يختنق حتى الموت. فالرجال ينزفون حتى الموت بشكل محترم ولبق فى إحدى غرف العمليات أو يموتون دون تعليق فى إحدى خيم الأكسجين. فهنا لا توجد ألاعيب "الآن أنت ترانى، الآن أنت لا ترانى" ذائعة الصيت خارج المستشفى أو ألاعيب "الآن أنا هنا، الآن أنا لست هنا". ليست هناك مجاعات أو فيضانات. والأطفال لا يختنقون فى المهاد أو الثلاجات أو يسقطون أسفل الشاحنات. ولا يتم ضرب أحد حتى الموت. ولا يقوم الناس بوضع رءوسهم داخل مواقد الغاز أو القفز أمام الطائرات أو الهبوط عمودياً مثل أحمال ثقيلة من نوافذ الفنادق بسرعة تزداد اثنتين وثلاثين قدمًا كل ثانية إلى أن يسقطوا على الرصيف ويموتوا هناك على الملأ مثل حقيبة من صوف الألبكة الممتلئة بآيس كريم الفراولة.

ومع وضع كل هذه الأمور فى الاعتبار كان يوساريان يفضل المستشفى، على الرغم من أن لها عيوبها كذلك، فأصبحت المساعدة تقدم بشكل رسمى، وصارت القواعد ـ إن التفت لها أحد ـ مقيدة والإدارة فضولية؛ وحيث إنه من المفترض للمرضى أن يكونوا متواجدين لم يكن باستطاعته دوماً التسلل منها معتمدًا على وجود آخرين فى نفس الجناح معه، كما لم تكن وسائل التسلية جيدة دوماً. وهو قد لاحظ أن حال المستشفيات يتغير للأسوأ بشكل مطرد مع استمرار الحرب واقتراب المستشفى من ساحة القتال؛ حيث زادت حالة ضيوف المستشفى تدهوراً كانعكاس

لحالة الحرب الدائرة بالخارج، فكلما ازدادت الحرب اشتعالاً ازدادت حالة المرضى سوءاً، حتى جاء إلى المستشفى فى تلك المرة الأخيرة الجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء والذى لا يمكن أن تزداد حالته سوءاً ذرة واحدة دون أن يموت، وهذا هو ما حدث بالفعل سريعاً.

كان الجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء مكسواً بالكامل بالشاش والجص، بينما كان يبرز من داخل الثقب الأسود داخل الأربطة فوق فمه ترمومتر تثبته هناك الممرضة كريمر والممرضة داكيت مرة فى الصباح المبكر ومرة فى نهاية فترة بعد الظهيرة؛ حتى ذلك الوقت من فترة بعد الظهيرة التى قرأت فيه الممرضة الترمومتر واكتشفت أنه قد مات. والآن وبعد قيام يوساريان باسترجاع الأحداث تراءى له أن الممرضة كريمر وليس التكسانى الثرثار هى من قامت بقتل الجندى الذى كان فى الأربطة البيضاء؛ فهى إن لم تكن قد قرأت الترمومتر وأبلغت عما اكتشفته ربما كان الجندى فى الأربطة البيضاء مازال راقداً هناك حياً تماماً، كما ظل راقداً هناك قبل ذلك، مغطى من الرأس وحتى أصابع القدم بالجص والجبائر مع رفع كلتا الساقين الغريبتين المتصلبتين من الوركين ورفع كلتا الذراعين الغريبتين عمودياً بينما تختفى الأطراف الأربعة الضخمة عديمة الفائدة جميعاً فى الجبائر وتعلق فى الهواء بأسلاك محكمة الشد يعلوها مثقلات نحاسية داكنة، والاستلقاء هناك بهذه الطريقة قد لا يكون طريقة للحياة ولكنه كان كل الحياة التى يمتلكها، وقرار إنهاء هذه الحياة ـ كما شعر يوساريان ـ لم يكن يعود بأى حال من الأحوال للممرضة كريمر.

كان الجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء يشبه لفافة من الضمادات والتى تحتوى على ثقب، أو قالب حجرى مكسور فى ميناء ذى أنبوب معقوف بارز، وقد كان المرضى الآخرون فى الجناح ـ جميعهم فيما عدا التكسانى ـ يشمئزون وينفرون منه حيث إنهم قد بغضوه لحظة ما وقعت أعينهم عليه فى الصباح التالى لليلة التى تسلل فيها للجناح، وقد تجمعوا فى وقار فى أعماق الجناح وأخذوا فى الثرثرة بشأنه بشكل ازدرائى والثورة ضد وجوده والذى اعتبروه مجرد خدعة، وقد تشاركوا اعتقاداً بشعاً بأنه سوف يبدأ فى الأنين.

قال الطيار المقاتل الشاب ذو الشارب الذهبى فى بؤس: "لا أعلم ما الذى سأفعله لو بدأ فى الأنين، وهذا يعنى أنه سوف يئن فى المساء كذلك؛ حيث إنه لا يستطيع معرفة الوقت".

لكن لم يصدر أى صوت على الإطلاق من الجندى الذى كان فى الأربطة البيضاء طوال الوقت الذى أمضاه هناك، وقد كان الثقب فوق فمه عميقاً وشديد السواد ولم يظهر منه أى أثر لشفة أو أسنان أو سقف حلق أو لسان. وقد

كان الشخص الوحيد الذى اقترب بما فيه الكفاية للنظر بالداخل هو التكسانى اللطيف والذى كان يقترب منه عدة مرات فى اليوم ليتحدث معه عن المزيد من الأصوات للأشخاص المحترمين، بينما يبدأ كل حوار بنفس التحية: "كيف حالك اليوم أيها الرفيق". وقد تجنب باقى الرجال الذين يرتدون البيجامات الكستنائية المضلعة المصنوعة من الفلانيل كلا الرجلين وهم يتساءلون فى حزن عمن يكون الجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء وعن سبب وجوده هناك وعن شكله بدون كل تلك الأربطة والضمادات.

كان التكسانى يخبرهم فى تشجيع بعد كل زيارة من زياراته الاجتماعية: "إنه بخير، أنا واثق من هذا؛ ففى أعماق الأربطة يوجد رجل طبيعى. إنه فقط خجول بعض الشىء ويشعر بعدم الأمان؛ لأنه لا يعرف أى أحد هنا ولا يستطيع الكلام. لماذا لا تذهبون جميعاً إليه وتقدمون أنفسكم له؟ إنه لن يؤذيكم؟".

سأل دونبار: "ما الذى تتحدث عنه؟ هل يعرف حتى ما الذى تتحدث عنه؟".

"بالطبع يعرف ما الذى أتحدث عنه. إنه ليس غبياً. ليس هناك ما يسوء به".

"هل يمكنه سماعك؟".

"حسناً، أنا لا أعلم إن كان يستطيع سماعى أم لا، ولكننى واثق من أنه يعرف ما الذى أتحدث عنه".

"هل ذلك الثقب الذى يوجد فوق فمه يتحرك؟".

سأل التكسانى فى تململ: "الآن، أى نوع من الأسئلة المجنونة هذا؟".

"كيف يمكنك أن تعرف إن كان يتنفس إن لم يكن الثقب يتحرك مطلقاً؟".

"كيف يمكنك أن تعرف أنه رجل؟".

"هل توجد لبادات فوق عينيه أسفل تلك الأربطة الموجودة على وجهه؟".

"هل يقوم بهز أصابع قدميه أو تحريك أطراف أصابعه؟".

عاد التكسانى للخلف فى ارتباك متزايد وقال: "الآن، أى نوع من الأسئلة الغبية هذا؟ لابد أنكم جميعاً مجانين أو شىء من هذا القبيل. لماذا فقط لا تذهبون إليه وتتعرفون به؟ إنه شاب لطيف حقاً، يمكننى أن أؤكد لكم ذلك".

وقد كان الجندى الذى فى الأربطة البيضاء ليس شاباً أو لطيفاً وإنما أشبه بمومياء محشوة ومعقمة، وقد أبقته كل من الممرضة داكيت والممرضة كريمر جديداً تماماً؛ فكانتا تنظفان أربطته كثيراً بمقشة صغيرة وتغسلان الجبائر على ذراعيه وساقيه وكتفيه وصدره وحوضه بالماء والصابون، وباستخدام فرشاة معدنية قصديرية دائرية كانتا تلمعان الأنبوب الزنك المرتفع من داخل الأسمنت فوق أربيته. وباستخدام مناشف رطبة كانتا تمسحان الغبار عدة مرات فى اليوم من فوق الأنابيب المطاطية السوداء الرفيعة التى تدخل وتخرج منه إلى المرطبانين

الضخمين المحتويين على سدادات، والمعلق أحدهما بجوار فراشه ويقطر السائل داخل ذراعه باستمرار من خلال شق طولى فى الأربطة؛ فى حين يقطر الآخر السائل بالخارج من خلال الأنبوب الزنك الخارج من أربيته. وكلتا الممرضتين الشابتين كانتا تنظفان المرطبانين الزجاجيين دون توقف، وقد كانتا فخورتين بواجبهما المنزلى، وكانت أكثرهما دقة ووسوسة هى الممرضة كريمر، تلك الفتاة الجميلة ذات الوجه الطفولى المستدير، وقد كان للممرضة كريمر أنف لطيف وبشرة مشعة مرقطة بالنمش والتى كان يوساريان يبغضها. لقد كانت متعاطفة بشدة مع الجندى الذى فى الأربطة البيضاء؛ فكثيراً ما كانت تنهمر دموعها من عينيها الزرقاوين الشاحبتين اللتين تشبهان صحن الفنجان فى كثير من الأحيان وتجعل يوساريان يجن.

سألها: "كيف تعلمين أنه يوجد بالداخل؟".

أجابت فى سخط: "لا تحادثنى بهذه الطريقة!".

"حسناً، كيف تعلمين؟ إنك حتى لا تعلمى إن كان هذا هو حقاً".

"من؟".

"من يفترض أن يكون داخل كل هذه الأربطة؛ فربما أنك تبكين على شخص آخر. كيف تعلمين حتى إنه على قيد الحياة؟".

قالت الممرضة كريمر: "يا له من شىء رهيب تقوله! الآن اذهب إلى فراشك على الفور وتوقف عن السخرية منه".

"أنا لا أسخر منه. قد يكون أى شخص هناك؛ فربما يكون حتى ماد".

استجدته الممرضة كريمر بصوت مرتعد: "ما الذى تتحدث عنه؟".

"ربما هذا هو المكان الذى يتواجد به الرجل الميت".

"أى رجل ميت؟".

"إن لدى رجلاً ميتًا فى خيمتى والذى لا يستطيع أحد إخراجه. إن اسمه هو ماد".

شحب وجه الممرضة كريمر ولجأت لدونبار فى يأس طلباً لمساعدته. استجدته قائلة: "اجعله يتوقف عن التفوه بكلام مثل هذا".

اقترح دونبار قائلاً: "ربما لا يوجد أحد بالداخل. ربما فقط قاموا بإرسال الأربطة إلى هنا كمزحة".

ابتعدت عن دونبار فى فزع وصاحت قائلة: "أنت مجنون. كلاكما مجنون".

ظهرت الممرضة داكيت فى ذلك الحين وطاردتهما إلى أسرتهما فى حين قامت الممرضة كريمر بتغيير المرطبانين ذوى السدادات للجندى الذى فى الأربطة البيضاء. ولم يكن تغيير المرطبانات للجندى الملفوف فى الأربطة البيضاء يمثل

أى مشكلة على الإطلاق؛ حيث إن نفس السائل الصافى كان يظل يتقطر بداخله باستمرار دون أن يبدو أنه يقل، وحينما يكون المرطبان الذى يغذى مرفقه على وشك أن يصبح فارغاً يكون المرطبان الذى على الأرض على وشك أن يكون ممتلئاً، وبالتالى يتم عكس أنابيبهما سريعاً حتى يبدأ السائل فى التقطر بداخله ثانية، وتغيير المرطبانات لم يكن يمثل إزعاجاً لأحد سوى الرجال الذين يشاهدون عملية تغييرها فى كل ساعة تقريباً ويصيبهم هذا الإجراء بالحيرة والارتباك.

سأل نقيب المدفعية الذى كان يوساريان قد توقف عن لعب الشطرنج معه: "لماذا لا يقومون بتوصيل المرطبانين ببعضهما البعض والتخلص من الرجل الذى يوجد بالمنتصف؟ فما حاجتهم إليه؟".

انتحب ضابط الصف المصاب بالملاريا ولدغته بعوضة على مؤخرته بعدما قرأت الممرضة كريمر الترمومتر واكتشفت أن الجندى الذى فى الأربطة البيضاء قد مات: "أتساءل عما فعله ليستحق هذا".

قال الطيار المقاتل ذو الشارب الذهبى: "لقد ذهب إلى الحرب".

قال دونبار: "لقد ذهبنا جميعاً للحرب".

واصل ضابط الصف المصاب بالملاريا حديثه قائلاً: "هذا هو ما أعنيه. لماذا هو؟ أنا لا أستطيع أن أستوعب مبدأ الثواب والعقاب هذا. فانظر إلى ما حدث لى. فإن كنت قد أصبت بداء الزهرى أو السيلان كعقاب لانغماسى فى الملذات فى فترة الدقائق الخمس تلك على الشاطئ بدلاً من لدغة البعوضة اللعينة تلك لكنت شهدت بنفسى على وجود بعض العدالة. ولكن ملاريا؟ ملاريا؟ فمن يمكن أن يفسر لى كيف أصاب بالملاريا نتيجة لارتكابى الفاحشة؟". هزَ الضابط رأسه فى حيرة بالغة.

قال يوساريان: "ماذا عنى؟ لقد خرجت من خيمتى فى مراكش بإحدى الليالى لأجلب قطعة من الحلوى وأصبت بمرض السيلان، حينما استحثتنى تلك العضوة فى الفرقة النسائية من الجيش الأمريكى على الذهاب معها داخل الشجيرات. إن كل ما أردته هو قطعة من الحلوى ولكن من يستطيع الهرب من قدره؟".

وافقه ضابط الصف قائلاً: "يبدو أنك أصبت بالسيلان نيابة عنى بينما أصبت أنا بملاريا شخص آخر. كم أريد بشدة أن أرى أمامى شيئاً منطقياً واحداً يحدث، حيث ينال كل شخص ما يستحق تماماً".

قال الطيار المقاتل الشاب ذو الشارب الذهبى: "لقد حصلت على ثلاثمائة ألف دولار خاصة بشخص آخر. لقد ظللت أرتكب الحماقات منذ يوم مولدى. فقد شققت طريقى بالغش عبر المدرسة الابتدائية والكلية، وكل ما أفعله منذ ذلك الحين هو خداع فتيات جميلات واللاتى يعتقدن أننى سوف أكون زوجاً مثالياً

لهن. أنا ليس لدىَ أى طموح على الإطلاق. إن الشىء الوحيد الذى أود فعله بعد الحرب هو الزواج بفتاة تمتلك مالاً أكثر مما أمتلك أنا وخداع المزيد من الفتيات الجميلات. الثلاثمائة ألف دولار هذه كان قد تركها جد لى قبل أن أولد والذى كان قد جنى ثروة من بيع نفايات المطابخ على الصعيد العالمى. أعلم أننى لا أستحق هذا المبلغ ولكن ستحل على اللعنة إن قمت برده، وأنا أتساءل من صاحب هذا المال الحقيقى؟!".

قال دونبار: "ربما يكون والدى هو صاحبه؛ فهو قد أفنى حياته فى العمل بكد ولم يستطع كسب مال يكفى حتى لإرسالى أنا وشقيقتى للجامعة، وهو قد مات الآن، لذا يمكنك الاحتفاظ بالمال".

"والآن إن اكتشفنا من المالك الحقيقى للملاريا التى أصابتنا سنكون قد حسمنا كل شىء. وهذا لا يعنى أننى أحمل أى ضغينة للملاريا. فأنا سرعان ما سوف أستطيع الهروب من الملاريا كما أهرب من أى شىء آخر. كل ما فى الأمر أننى أشعر بأن ما حدث لِى ليس عدلاً. فلماذا أُصاب بملاريا شخص آخر وتصاب أنت بداء السيلان الذى أُصبتُ به؟".

قال له يوساريان: "لقد أصبت بما هو أكثر من داء السيلان؛ فأنا مضطر للاستمرار فى الخروج فى مهام قتالية حتى يقتلونى".

"هذا يزيد من سوء الأمر. أين العدل فى هذا؟!".

"إن لدى صديقًا يدعى كليفنجر كان يرى الكثير من العدل فى هذا منذ أسبوعين والنصف".

ابتهج كليفنجر ثم صفق بيديه وهو يضحك بسعادة: "إن ذلك هو قمة العدل. لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فى مسرحية هيبوليتومى للكاتب ليوريبيديس؛ حيث كان الفسق المبكر لثيوسيس هو المسئول على الأرجح عن تقشف الابن والذى يؤدى إلى حدوث المأساة التى تدمرهم جميعاً؛ فتلك الواقعة مع عضوة الجيش الأمريكى لابد أن تعلمك أضرار الفواحش".

"لقد علمتنى أضرار الحلوى".

واصل كليفنجر حديثه فى استمتاع: "ألا تستطيع أن ترى أنك مسئول عن المحنة التى وقعت فيها؟ فإن لم تبق بالمستشفى بسبب إصابتك بمرض تناسلى لمدة عشرة أيام فى إفريقيا ربما تكون قد أنهيت الخمس والعشرين مهمة المخولة لك قبل مقتل الكولونيل نيفرز وحلول الكولونيل كاثكارت محله".

أجابه يوساريان: "وماذا عنك؟ إنك لم تصب قط بالسيلان فى مراكش ومع ذلك فأنت واقع فى نفس الورطة".

اعترف كليفنجر باهتمام يشوبه السخرية: "لا أعلم. أعتقد أنه لابد من أننى

قد ارتكبت خطأً فادحاً فى وقت ما".

"هل تؤمن حقاً بهذا؟".

ضحك كليفنجر: "لا، بالطبع. أنا فقط أمازحك".

لقد كانت هناك العديد من المخاطر التى تطارد يوساريان؛ فكان هناك هتلر وموسولينى وتوجو على سبيل المثال، وكانوا جميعاً يريدون قتله. وكان هناك الملازم شسكوبف وولعه بالاستعراضات العسكرية، وكان هناك الكولونيل المنتفخ ذو الشارب الضخم وولعه بإنزال العقوبات، وهما قد أرادا قتله كذلك، وكان هناك أبلباى وهافرماير وبلاك وكورن، وكانت هناك الممرضة كريمر والممرضة داكيت اللتان ـ كما كان واثقاً ـ يريدان رؤيته ميتاً، وكان هناك التكسانى ورجل الاستخبارات الجنائية والذى كان يريد موته كذلك، وكان هناك سقاة وبناءون وقاطعو تذاكر بالأتوبيسات الذين كانوا يريدونه جميعاً ميتاً، وكذلك الخادمون والملاك والمستأجرون والخائنون والوطنيون ومنفذو حكم الإعدام والجراحون، والذين كانوا يجوبون الطرقات بحثاً عنا لقتله. كان هذا هو السر الذى أفضى به سنودين إليه أثناء تلك المهمة إلى الأفنيون ـ لقد كان كل هؤلاء يريدون قتله؛ وقد أخبره سنودين بذلك فى مؤخرة الطائرة.

وهناك أمراض مثل الغدد الليمفاوية التى يمكنها أن ترديه، كما توجد أمراض الكلى وأغلفة وكريّات الأعصاب. كانت هناك أورام المخ. وكان هناك داء هودجكين واللوكيميا والتصلب الضمورى الجانبى. كانت هناك المروج الحمراء الخصبة للأنسجة الظهارية والتى يمكن التقاطها لتكون خلية سرطانية. كانت هناك أمراض الجلد، وأمراض العظام، وأمراض الرئة، وأمراض المعدة، وأمراض القلب، والدم والشرايين .كانت هناك أمراض الرأس، وأمراض الرقبة، وأمراض الصدر، وأمراض الأمعاء، وأمراض الجهاز التنفسى. كانت هناك حتى أمراض القدمين. وكانت هناك بلايين من خلايا الجسم حية الضمير التى تتأكسد ليل نهار مثل الحيوانات الغبية لأداء مهامها المعقدة لإبقائه على قيد الحياة وبصحة جيدة، وقد كانت كل واحدة منها تمثل خائناً وعدواً محتملاً. لقد كان هناك عدد هائل من الأمراض حتى إن الأمر كان يتطلب عقلاً مريضاً حقاً للتفكير فيها كثيراً مثلما يفعل هو وهنجرى جو.

فقد كان هنجرى جو يكتب قوائم بالأمراض المميتة ويقوم بترتيبها حسب الترتيب الأبجدى حتى يستطيع أن يضع إصبعه دون تأخير على أى واحد يود القلق بشأنه. وقد كان يصاب بإحباط شديد حينما لا يضع واحداً فى موضعه أو حينما لا يستطيع الإضافة إلى قائمته، وقد كان يركض إلى الطبيب دانيكا وهو يتصبب عرقاً بارداً طلباً لمساعدته.

نصح يوساريان الطبيب دانيكا والذى أتى لـ يوساريان لمساعدته على التعامل مع هنجرى جو قائلاً: "أعطه سرطان يوينج وأتبعه بسرطان الجلد؛ فهنجرى جو يحب الأمراض البطيئة فى الظهور، ولكنه يحب أكثر الأمراض المداهمة".

ولم يكن الطبيب دانيكا قد سمع من قبل عن أى منهما. سأل فى تقدير مهنى بالغ: "كيف تستطيع معرفة كل هذه الأمراض؟".

"اقرأ عنها فى المستشفى فى دورية Reader's Digest".

وقد كان هناك الكثير من الأمراض التى يخشى يوساريان الإصابة بها حتى إنه فى بعض الأحيان كان يفكر فى البقاء بالمستشفى للأبد وإمضاء بقية حياته ممددًا هناك داخل خيمة من الأكسجين مع جلوس فيلق من المتخصصين والممرضات إلى جوار فراشه أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم فى انتظار شىء خاطئ يحدث، وعلى الأقل جراح واحد يمسك بسكين ومستعد أن يتقدم للأمام ويبدأ فى شق الجلد لحظة ما يكون هذا ضرورياً. الأنورسما على سبيل المثال، فكيف يستطيعون بأى طريقة أخرى وقايته فى الوقت المناسب من الإصابة بالأنورسما فى الأورطى؟ لقد كان الأمان الذى يشعر به يوساريان بالمستشفى يفوق ذلك الذى يشعر به خارج المستشفى، حتى على الرغم من أنه كان يبغض الجراح وسكينه كما كان يبغض أى شخص آخر؛ فيمكنه البدء فى الصراخ داخل المستشفى وعلى الأقل سوف يهرع الآخرون محاولين مساعدته، ولكن خارج المستشفى سوف يلقون به فى السجن إن شرع فى الصراخ بشأن كل الأشياء التى لابد أن يشعر بشأنها، أو أنهم سيضعونه فى المستشفى. وأحد الأشياء التى أراد الصراخ بشأنها هى سكين الجراح والتى كانت ستطوله لا محالة كما ستطول كل من سيعيش فترة كافية ليموت، وقد تساءل كثيراً عن الكيفية التى سيدرك بها بدء القشعريرة أو الحمى أو الوخز أو الألم أو التجشؤ أو البقع أو البلادة أو الزلة الصوتية أو فقدان التوازن أو تدهور الذاكرة أو أحد تلك الأمور التى ستكون مؤشراً على نهايته الحتمية.

وقد كان خائفاً كذلك من أن يظل الطبيب دانيكا رافضاً مساعدته حينما يذهب إليه بعد القفز من مكتب الرائد ميجور، وقد كان محقاً.

سأل الطبيب دانيكا بعدما رفع رأسه الداكنة النقية من فوق صدره ليحدق إلى يوساريان بغضب بعينين مليئتين بالدموع: "هل تعتقد أن لديك شيئًا يجعلك خائفاً؟ ماذا عنى؟ إن مهاراتى الطبية الثمينة تضيع هنا فى هذا المكان القذر فى حين يقوم الأطباء الآخرون بتكوين ثروات. هل تعتقد أننى أستمتع بالجلوس هنا يوماً بعد يوم ورفض مساعدتك؟ أنا لم أكن لأكترث كثيراً لأمرك فى الولايات المتحدة أو فى مكان مثل روما، ولكن كونى أرفض طلبك هنا ليس سهلاً علىَّ بالمرة".

"إذن توقف عن رفض طلبى وأرسلنى إلى الوطن".

تمتم الطبيب دانيكا قائلاً: "لا أستطيع إرسالك للوطن. كم مرة يجب علىّ أن أخبرك بهذا؟".

"بلى، بإمكانك هذا. لقد أخبرنى الرائد ميجور بأنك الشخص الوحيد فى السرية الذى يستطيع إرسالى للوطن".

أصيب الطبيب دانيكا بالذهول وقال: "هل أخبرك الرائد ميجور بذلك؟ متى؟".

"حينما عرقلته وأسقطته فى المصرف".

"هل أخبرك الرائد ميجور بذلك؟ فى المصرف؟".

"لقد أخبرنى بهذا فى مكتبه بعدما خرجنا من المصرف وقفزنا بالداخل. وقد طلب منى ألا أخبر أحداً بأنه قال لى ذلك، لذا حاول أن تغلق فمك ولا تُذِعْ هذا الأمر".

صاح الطبيب دانيكا قائلاً: "هذا الكاذب الماكر. لم يكن من المفترض له أن يخبر أحداً. هل أخبرك كيف يمكننى إرسالك للوطن؟".

"نعم، عن طريق ملء ورقة صغيرة تؤكد فيها أننى على وشك الإصابة بانهيار عصبى وإرسالها إلى الوحدة العسكرية. إن الطبيب ستابس يرسل رجالاً إلى الوطن من سريته طوال الوقت، لماذا إذن لا يمكنك القيام بذلك؟".

قال الطبيب دانيكا فى سخرية: "وماذا يحدث للرجال بعدما يقوم ستابس بملء هذه الورقة؟ إنهم يعودون للقتال مرة أخرى، أليس كذلك؟ بالطبع يمكننى أن أملأ ورقة تقول إنك غير لائق، ولكن سنقع عندئذٍ فى المصيدة".

"مصيدة؟".

"بالتأكيد. فإن قمت بإعفائك من الخدمة العسكرية، لابد أن توافق القيادة العسكرية على طلبى، والقيادة العسكرية لن تفعل ذلك؛ فهم سوف يعيدونك على الفور إلى الخدمة، وحينها أين سأكون أنا؟ فى طريقى إلى المحيط الهادى على الأرجح. لا، شكراً لك. أنا لن أخوض أية مخاطرات من أجلك".

قال يوساريان: "ألا يستحق الأمر المحاولة؟ فما الذى يعجبك فى بيانوسا؟".

"إن بيانوسا مريعة. ولكنها أفضل من المحيط الهادى. أنا لا أمانع أن يتم شحنى إلى مكان متحضر؛ حيث يمكننى أن أجنى دولاراً أو اثنين من إجراء عمليات الإجهاض من حين لآخر، ولكن كل ما يوجد فى المحيط الهادى هو الغابات والرياح الموسمية. سوف أتعفن هناك".

"إنك تتعفن هنا".

اشتاط الطبيب دانيكا غضباً: "حقاً؟ حسناً، على الأقل سوف أخرج من هذه

الحرب حياً، وهو ما لا تستطيع أنت فعله".

"هذا تماماً هو ما أحاول أن أخبرك به. أنا أطلب منك إنقاذ حياتى".

قال الطبيب دانيكا فى حزن: "إنها ليست مهمتى أن أنقذ حياة الآخرين".

"ما مهمتك إذن؟".

"لا أعرف ما مهمتى. إن كل ما قالوه لى هو أن أتمسك بأخلاقيات مهنتى ولا أشهد قط على طبيب آخر. أنصت ،هل تظن أنك الشخص الوحيد المعرضة حياته للخطر؟ ماذا عَنِّى؟ إن هذين الدجالين اللذين يعملان لدى فى الخيمة الطبية لا يزالان عاجزين عن اكتشاف ما يسوء بى".

قال يوساريان فى تهكم: "ربما تكون مصاباً بسرطان يوينج".

قال الطبيب دانيكا فى ذعر: "أتعتقد هذا؟".

أجاب يوساريان بصبر نافد: "أنا لا أعرف. أنا فقط أعرف أننى لن أخرج فى مزيد من المهام الجوية. إنهم لن يطلقوا النار علىّ حقاً، أليس كذلك؟ لقد نفذت بالفعل واحدة وخمسين مهمة".

نصحه الطبيب دانيكا قائلاً: "لماذا لا تقوم على الأقل بإنهاء الخمس والخمسين مهمة قبل أن تتخذ موقفاً؟ فبسبب الألاعيب التى تمارسها لم تنته قط من المهام المخولة إليك ولو حتى مرة واحدة".

"كيف أستطيع القيام بذلك بحق السماء؟ إن الكولونيل يستمر فى رفع عدد المهام فى كل مرة أقترب فيها من الانتهاء".

"إنك لم تنته قط من مهامك لأنك لا تتوقف عن الركض إلى المستشفى أو السفر إلى روما؛ فسوف يكون موقفك أقوى كثيراً إن انتهيت من الخمس والخمسين مهمة المخولة لك ثم رفضت الطيران، وربما حينها سأحاول مساعدتك".

"هل تعدنى بذلك؟".

"أعدك بذلك".

"بماذا تعدنى؟".

"أعدك بأننى ربما أفكر فى القيام بشىء ما لمساعدتك إن أنهيت الخمس والخمسين مهمة وإن جعلت ماكوات يضع اسمى فى سجله مرة أخرى حتى أستطيع أن أتقاضى راتب الطيران دون أن أستقل طائرة؛ فأنا أخاف من الطائرات. فهل قرأت عن تلك الطائرة التى تحطمت فى إداهو منذ ثلاثة أسابيع؟ لقد لقى ستة أشخاص مصرعهم. كان أمراً رهيباً. أنا لا أعلم لماذا يريدون منى التحليق مدة أربع ساعات كل شهر كى أتقاضى راتبى. أليس لدى ما يكفينى لأقلق بشأنه دون الحاجة للقلق بشأن التعرض للقتل فى تحطم طائرة؟".

قال له يوساريان: "أنا أقلق بشأن تحطم الطائرات أيضاً. إنك لست الوحيد".

تباهى الطبيب دانيكا قائلاً: "نعم، ولكننى أقلق بشأن ورم يوينج كذلك. هل تعتقد أن ذلك هو سبب معاناتى من أنف مسدود طوال الوقت وشعورى بالقشعريرة دوماً؟ فلتقم بقياس نبضى".

كان يوساريان يقلق كذلك بشأن ورم يوينج وسرطان الجلد؛ فالمخاطر كانت تلوح له فى كل مكان، وكانت من الكثرة بشكل يستحيل حصرها. فحينما قام بالتفكير فى الكم الكبير من الأمراض والحوادث المحتملة التى تهدده، أصيب بالذهول لأنه استطاع البقاء بصحة جيدة طوال هذا الوقت. لقد كان ذلك بمثابة المعجزة؛ فكان كل يوم يواجهه هو مهمة أخرى خطيرة ضد الموت، وهو قد استطاع البقاء على قيد الحياة خلال تلك المهام على مدار ثمانية وعشرين عاماً.

١٨

الجندى الذى رأى كل شىء اثنين

كان يوساريان يدين بصحته الجيدة للتدريبات والهواء النقى والعمل الجماعى والروح الرياضية؛ ولقد تخلص من كل تلك الأمور لحظة اكتشافه الطريق إلى المستشفى؛ فحينما أمر ضابط التدريبات الجسمانية الجميع فى حقل لورى بالبدء فى ممارسة الألعاب الجمبازية فى إحدى فترات بعد الظهيرة، أبلغ يوساريان - الجندى - وقتها فى المستوصف أنه يعانى ألماً فى جانبه الأيمن.

قال الطبيب المناوب هناك والذى كان يَحُلُّ لعبة الكلمات المتقاطعة: "انصرف بسرعة".

قال العريف: "لا يمكننا أن نقول له أن ينصرف. إن هناك تعليمات جديدة بشأن شكاوى البطن؛ فعلينا إبقاؤهم مدة خمسة أيام تحت الملاحظة؛ لأن العديد منهم كانوا يموتون بعد أن نأمرهم بالانصراف".

قال الطبيب فى سخط: "حسناً، ضعه تحت الملاحظة مدة خمسة أيام ثم اجعله ينصرف".

أخذوا ملابس يوساريان بعيداً ووضعوه فى جناح؛ حيث شعر بسعادة غامرة حينما لم يشخر أحد بجواره. وفى الصباح ظهر فجأة طبيب إنجليزى مقيم شاب ليسأله عن حالة كبده.

قال له يوساريان: "أعتقد أن زائدتى هى التى تؤلمنى".

قال الرجل الإنجليزى فى تسلط مرح: "إن زائدتك لا نفع منها. فإن كان بها ما يسوء فسوف نستأصلها ونعيدك إلى الخدمة على الفور؛ ولكن إذا جئت إلينا بشكوى من كبدك يمكنك خداعنا لأسابيع. فالكبد - كما تعلم - هو لغز كبير وقبيح بالنسبة لنا. فإن كنت قد تناولت لحم الكبد قبل ذلك فسوف تعرف ما أعنيه. ونحن واثقون الآن أن هناك عضوًا يدعى الكبد ولدينا فكرة لا بأس بها عما يفعله، حينما يفعل ما هو مفترض منه أن يفعله. وبخلاف ذلك، فنحن لا نعرف شيئاً. فعلى أى حال، ما الكبد؟ إن أبى - على سبيل المثال - مات إثر إصابته بسرطان الكبد ولم يشعر بالمرض يوماً فى حياته حتى لحظة قتله له. لم يشعر قط بأى ألم. وبشكل ما كان ذلك سيئاً للغاية بما أننى كنت أبغض والدى؛ حيث كنت متعلقًا بأمى أكثر منه".

سأله يوساريان: "ماذا يفعل طبيب من الضباط الإنجليز هنا؟".

ضحك الضابط: "سوف أخبرك عن هذا الأمر حينما أراك غداً. وألق كيس الثلج السخيف هذا بعيداً قبل أن تصاب بالتهاب رئوى".

ولم يره يوساريان قط بعد ذلك، وقد كان ذلك أحد أطرف الأمور بشأن جميع الأطباء فى المستشفى؛ فهو لا يرى قط أيًا منهم مرة أخرى. فهم يأتون ويذهبون ويختفون ببساطة. فبدلاً من الطبيب المقيم الإنجليزى جاء فى اليوم التالى مجموعة من الأطباء لم يسبق له رؤيتهم من قبل لسؤاله عن حال زائدته.

قال لهم يوساريان: "إن زائدتى على ما يرام. إن الطبيب بالأمس قال إن كبدى هو الذى يعانى خللاً".

أجاب الضابط ذو الشعر الأبيض المسئول: "ربما كبده هو الذى يعانى خللاً. ما الذى يظهره تحليل تعداد كريات الدم؟".

"إننا لم نجر له تحليل تعداد كريات الدم".

"أجروا له واحدًا على الفور. لن نستطيع المخاطرة بحالة مرضية مثل هذه. فعلينا الحرص على تأمين موقفنا فى حالة إذا مات". كتب ملحوظة على مخططه، ثم تحدث إلى يوساريان قائلاً: "فى الوقت نفسه استمر فى وضع كيس الثلج هذا فهو مهم للغاية".

"ليس لدى أية أكياس ثلج".

"حسناً، احصل على واحد. لابد أن يكون هناك كيس ثلج فى مكان ما هنا. وأبلغ أحد الموجودين هنا إن أصبح الألم غير محتمل".

وفى نهاية الأيام العشرة وصلت مجموعة أخرى من الأطباء التى كانت تحمل خبراً سيئاً ليوساريان: لقد كان معافى تمامًا وينبغى عليه الخروج. إلا أنه تم إنقاذه فى اللحظة الأخيرة من قبل مريض كان يرقد عبر الممر والذى بدأ يرى كل شىء اثنين؛ فدون إنذار جلس المريض فى الفراش وصرخ:

"أنا أرى كل شىء اثنين!".

صرخت إحدى الممرضات وفقد أحد المرضى وعيه. وجاء الأطباء يركضون من كل اتجاه وهم يحملون الإبر والمشاعل والأنابيب والمطارق المطاطية والشوك المعدنية المذبذبة. كما شرعوا فى جر معدات معقدة فوق طاولات بعجلات. ولم يكن محيط المريض يتسع لكل تلك الأعداد من البشر التى هرعت نحوه، فقد أسرع نحوه المتخصصون فى توتر وأشاروا إلى زملائهم فى الأمام للإسراع. وسرعان ما جاء كولونيل ذو جبهة كبيرة ونظارة معقوفة لتشخيص الحالة.

قال مؤكدًا وهو يدفع الآخرين بعيداً: "إنه التهاب سحايا. على الرغم من أنه لا يوجد أى سبب يجعلنا نعتقد هذا".

سأل الرائد وهو يضحك بدماثة: "إذن لماذا اخترت التهاب السحايا؟ لماذا لا تقول مثلاً إنه مصاب بحالة حادة من التهاب الكلى؟".

قال الكولونيل: "لأننى رجل سحايا، ولست رجل التهاب كلى؛ فأنا لن أعطيه بسهولة لأى من رجال التهاب الكلى الخاص بك. لقد أتيت إلى هنا أولاً".

وفى النهاية توصل جميع الأطباء لاتفاق. لقد اتفقوا على أنهم ليس لديهم أدنى فكرة عما يعانى منه الجندى الذى يرى كل شىء اثنين، وبالتالى عزلوه فى غرفة بالرواق وأعلنوا الحجر الصحى بالنسبة لجميع من فى الجناح مدة أربعة عشر يوماً.

جاء يوم العيد ومر دون أية مشكلات بينما يوساريان لا يزال بالمستشفى. وكان الشىء السلبى الوحيد فى هذا اليوم هو الديك الرومى الذى تناولوه فى العشاء، لكنه لم يكن سيئًا للغاية. وقد كان ذلك أكثر الأعياد التى أمضاها طبيعية، وقد أقسم سراً أن يمضى كل عيد تالٍ فى المستشفى المنعزل. ولكنه نقض هذا القسم فى العام التالى مباشرة حينما أمضى العيد فى غرفة فندق بدلاً من ذلك وانخرط فى حوار فكرى مع زوجة الملازم شسكوبف والتى كانت ترتدى ملابس دورى دوز خصيصًا لهذه المناسبة، وقد عاتبت يوساريان على تهكمه بشأن هذا العيد الدينى على الرغم من أنها لم تكن شديدة التدين.

قالت فى تباه: "ربما أكون غير متدينة تمامًا. ولكن حتى أنا أشعر بأن هناك الكثير من النعم التى لابد أن نكون ممتنين من أجلها".

تحداها يوساريان قائلاً: "اذكرى لى شيئاً واحدًا على أن أشعر بالامتنان لأجله".

سكتت زوجة الملازم شسكوبف لتفكر للحظة، ثم قالت فى شك: "حسنًا ... أنا".

سخر قائلاً: "بالله عليك".

قطبت حاجبيها فى دهشة. سألت: "ألست ممتناً لأجلى؟".

قرر يوساريان تغيير الموضوع. قال فى دبلوماسية: "أنت الآن تغيرين الموضوع. أراهن أننى أستطيع ذكر شيئين نكون ناقمين بشأنهما أمام كل شىء تذكرينه يجب أن نشعر بالامتنان لأجله".

قالت فى إصرار: "كن ممتناً لأننى لديك".

"أنا ممتن لأجل ذلك حقًا يا حبيبتى. ولكننى أيضًا ناقم لأننى لن أستطيع الزواج من كل الفتيات والنساء الأخريات اللاتى سوف أراهن وأحبهن على مدار سنوات حياتى القليلة".

"كن ممتناً لأنك تنعم بصحة جيدة".

"كونى ناقمة لأنك لن تظلى جميلة هكذا للأبد".

"كن ممتناً لأنك على قيد الحياة".

"كونى ناقمة لأنك ستموتين".

صاحت قائلة: "إن الأمور يمكن أن تكون أسوأ كثيراً".

أجاب بحماسة: "ويمكن لها أن تكون أفضل".

قالت معترضة: "إنك لا تأتى على ذكر شيئين يجب أن نكون ناقمين بشأنهما، بل شىء واحد".

واصل يوساريان كلامه بعد أن زاده اعترافها حدة: "إننى ناقم بسبب وجود أشياء بغيضة فى حياتنا مثل البلغم وتسوس الأسنان، مثل عدم مقدرة كبار السن على التحكم فى حركات أحشائهم، مثل وجود ما يدعى الألم".

بمجرد أن نطق يوساريان بكلمة "ألم" اقتنصت زوجة الملازم شسكوبف الفرصة وقالت فى انتصار: "الألم؟ إن الألم هو عرض مفيد. إن الألم هو تحذير لنا للمخاطر التى يمكن أن يتعرض لها الجسم".

سأل يوساريان فى سخرية: "وما سبب وجود هذه المخاطر؟ هل تعتبرين أن الألم نعمة حقيقية؟ لماذا لم يستبدل بالألم مثلاً جرس باب لإنذارنا أو أنابيب نيون زرقاء وحمراء تضىء فى منتصف جبهة كل شخص؟".

"إن الناس سيبدون سخفاء حقاً إن ساروا بينما تضىء أنابيب حمراء فى منتصف جباههم".

"إنهم يبدون أفضل الآن وهم يتألمون أو يقعون تحت تأثير مخدر المورفين، أليس كذلك؟".

صرخت زوجة الملازم شسكوبف فجأة وبدأت تضربه بكلتا قبضتيها: "توقف! توقف!".

اختبأ يوساريان خلف ذراعيه ليحمى نفسه منها أثناء موجة غضبها الأنثوية التى استمرت بضع ثوانٍ ثم أمسكها بحزم من معصميها. سألها فى بهجة: "ما الذى جعلك تغضبين إلى هذه الدرجة؟".

قالت وهى تنتحب وتنهمر الدموع فى عينيها: "مجرد أننى أشعر بوجود أشياء جميلة فى هذا الكون".

ضحك يوساريان وترك ذراعيها، ثم اقترح قائلاً: "دعينا ننعم ببعض الحرية فيما بيننا؛ فلتؤمنى أنت بما تريدين أن تؤمنى به، وسوف أومن أنا بما أريد الإيمان به، اتفقنا؟".

وقد كان ذلك هو أكثر الأعياد التى يتذكرها من حيث عدم المنطقية، ثم عاد بذاكرته لفترة الحجر الصحى الهادئة التى امتدت أربعة عشر يوماً فى المستشفى بالعام السابق، ولكن حتى تلك الأنشودة الرعوية انتهت بنغمات تراجيدية: فهو

كان لا يزال بصحة جيدة حينما انتهت فترة الحجر الصحى، وقد أخبروه ثانية بأن عليه الخروج والعودة للخدمة. جلس يوساريان فى الفراش حينما سمع هذا الخبر السيئ وصاح قائلاً:

"أنا أرى كل شىء اثنين!".

اجتاح الهرج والمرج الجناح مرة أخرى، وجاء المتخصصون يركضون من كل الاتجاهات وطوقوه ليقوموا بفحصه من مسافة قريبة للغاية حتى إنه كان بإمكانه الشعور بأنفاسهم الرطبة الخارجة من أنوفهم وهى تصطدم بشكل مزعج بالقطاعات المختلفة من جسده. وقد أخذوا يحدقون إلى عينيه وأذنيه مستخدمين كشافات الضوء الصغيرة، ويهاجمون ساقيه وقدميه باستخدام المطارق المطاطية وشوكات الذبذبات، ويسحبون دماً من عروقه، ويرفعون أى شىء فى متناول أيديهم أمامه ليراه فى محيط رؤيته.

كان قائد فريق الأطباء رجلاً محترماً شديد التدقيق ومبجلاً وقد رفع إصبعًا واحدًا أمام يوساريان وسأله: "كم إصبعًا ترى؟".

قال يوساريان: "اثنين".

سأله الطبيب وهو يرفع إصبعين: "كم إصبعًا ترى الآن؟".

قال يوساريان: "اثنين".

سأله الطبيب دون أن يرفع أى إصبع: "وكم إصبعًا ترى الآن؟".

قال يوساريان: "اثنين".

ابتسم الطبيب وقال فى بهجة: "يا إلهى، إنه محق. إنه يرى حقاً كل شىء اثنين".

حملوا يوساريان فوق نقالة إلى الحجرة التى يوجد بها الجندى الآخر الذى يرى كل شىء اثنين وقاموا بإعلان الحجر الصحى فى الجناح لمدة أربعة عشر يوماً أخرى.

صاح الجندى الذى يرى كل شىء اثنين حينما أتوا بيوساريان: "أنا أرى كل شىء اثنين!".

صاح يوساريان بنفس الصوت المرتفع وهو يغمز له: "أنا أرى كل شىء اثنين!".

صاح الجندى الآخر: "الجدران! الجدران! أبعدوا الجدران بعيداً عنى!".

صاح يوساريان: "الجدران! الجدران! أبعدوا الجدران بعيداً عنى!".

تظاهر أحد الأطباء بأنه يدفع الجدران للخلف ثم قال: "هل ذلك بعيد بما فيه الكفاية؟".

أومأ الجندى الذى يرى كل شىء اثنين بضعف واتكأ للخلف فى فراشه. أومأ يوساريان بضعف كذلك وهو يرمق زميل غرفته بنظرات مليئة بالإعجاب؛ فقد كان

يعلم أنه موجود فى حضرة عبقرى. فكان من الواضح أن رفيق غرفته الموهوب كان شخصًا يستحق الدراسة والتعلم منه، وأثناء الليل مات رفيق غرفته الموهوب وقرر يوساريان أنه قد حذا حذوه بما فيه الكفاية.

صاح سريعاً: "أنا أرى كل شىء واحدًا!".

جاءت مجموعة جديدة من المتخصصين بسرعة إلى فراشه وهم يحملون أدواتهم ليتبينوا إذا كان ما يقوله صحيحاً.

سأل القائد وهو يرفع إصبعاً واحدًا: "كم إصبعًا ترى؟".

"واحدًا".

رفع الطبيب إصبعين وسأله: "كم إصبعًا ترى الآن؟".

"واحدًا".

رفع الطبيب عشرة أصابع وسأله: "كم إصبعًا ترى الآن؟".

"واحدًا".

استدار الطبيب تجاه الأطباء الآخرين فى دهشة وقال: "إنه حقًا يرى كل شىء واحدًا ! لقد قمنا بعلاجه".

"وفى الوقت المناسب كذلك"، هكذا أعلن الطبيب الذى وجد يوساريان نفسه معه وحدهما فيما بعد، والذى كان رجلاً طويلاً متجانس الجسم ذا لحية بنية قصيرة ويضع عبوة من السجائر فى جيب قميصه والتى أخذ فى تدخين سجائر منها فى لا مبالاة أثناء اتكائه على الجدار. أضاف قائلاً وهو يضحك: "إن هناك بعض الأقارب الذين جاءوا لرؤيتك. آه، لا تقلق. ليس أقاربك. إنهم والدة ووالد وشقيق الرجل الذى مات. لقد قطعوا كل هذه المسافة من نيويورك إلى هنا ليروا جنديًا يحتضر، وأنت الشخص الوحيد الذى لدينا".

قال يوساريان فى شك: "ما الذى تتحدث عنه؟ أنا لا أحتضر".

"بالطبع أنت تحتضر. إننا جميعًا نحتضر. فأين تظن أنك ذاهب فى النهاية؟".

اعترض يوساريان قائلاً: "إنهم لم يأتوا لرؤيتى. لقد أتوا لرؤية ابنهم".

"عليهم أن يرضوا بما هو متاح؛ فليس هناك فارق بين شخص يحتضر وآخر. فهم جميعًا متساوون. إن لدى اقتراحًا أود تقديمه لك. دعهم يدخلوا وينظروا إليك لبضع دقائق وأنا لن أخبر أحدًا بأنك كنت تكذب بشأن أعراض كبدك".

ابتعد عنه يوساريان أكثر: "هل تعلم بشأن هذا الأمر؟".

"بالطبع، فلتثق بنا قليلاً". ضحك الطبيب فى سعادة وأشعل سيجارة أخرى وأضاف: "فكيف تتوقع أن يصدق أحد أنك مصاب بمرض فى الكبد فى حين أنك لا تتوقف عن الجرى وراء الممرضات كلما أتيحت لك الفرصة؟ فسيكون عليك التوقف عن هذا العبث إن أردت أن تقنع الناس بأنك تعانى خللاً فى الكبد".

"إن هذا ثمن كبير لأدفعه فقط لأبقى على قيد الحياة. لماذا لم تعدنى إلى الخدمة بما أنك علمت أننى أخدعكم؟".

سأل الطبيب فى دهشة: "ولماذا أفعل هذا؟ إننا جميعًا نمارس لعبة الخداع معًا. وأنا على أتم استعداد دوماً أن أساعد أحد الزملاء المتآمرين للبقاء على قيد الحياة إن كان مستعدًا أن يفعل نفس الشىء من أجلى. إن هؤلاء الأشخاص قطعوا مسافة كبيرة وأنا لا أريدهم أن يشعروا بالإحباط؛ فأنا أضحى شديد العاطفية حينما يتعلق الأمر بكبار السن".

"ولكنهم أتوا لرؤية ابنهم".

"لقد أتوا متأخرًا للغاية، وربما لن يلاحظوا الفرق".

"افترض أنهم بدءوا فى البكاء".

"إنهم على الأرجح سوف يبدءون فى البكاء. هذا هو أحد الأسباب التى جعلتهم يأتون. سوف أنصت لما يحدث من الخارج وأتدخل إن ساءت الأمور".

قال يوساريان: "يبدو الأمر جنونياً. لماذا يريدون مشاهدة ابنهم وهو يحتضر بأى حال من الأحوال؟".

اعترف الطبيب قائلاً: "لن أستطيع تفسير مثل هذا الأمر قط. حسنًا، ما رأيك؟ كل ما عليك فعله هو الاستلقاء هناك بضع دقائق والاحتضار قليلاً. هل هذا كثير؟".

استسلم يوساريان: "حسنًا. إن كان ذلك لمدة بضع دقائق فقط وتعدنى بأنك ستنتظر بالخارج. لماذا لا تقوم بلف ضمادات حولى لإحداث تأثير؟".

قام الطبيب بالتصفيق: "تبدو تلك فكرة رائعة".

قاموا بلف ضمادات حول يوساريان، ثم قام فريق من عمال المستشفى بوضع ظلال سمراء على الألواح الزجاجية للنافذتين وأغلقوهما لغمر الغرفة بظلال كئيبة. اقترح يوساريان جلب زهور وأرسل الطبيب أحد العمال ليبحث عن حفنتين من الزهور الذابلة ذات الرائحة القوية المثيرة للغثيان. وحينما أصبح كل شىء فى مكانه، أعادوا يوساريان إلى الفراش وجعلوه يستلقى. بعد ذلك أدخلوا الزائرين.

دخل الزائرون فى عدم ثقة وكأنهم يشعرون بأنهم يتطفلون، فكانوا يمشون على رءوس أصابعهم وتعلو وجوههم تعبيرات تنم عن الاعتذار، وقد دخلت أولاً الأم الحزينة ثم الأب ثم الشقيق والذى كان بحارًا ذا صدر عريض ويحدق بدهشة. دخل الرجل والمرأة الغرفة بتصلب وجنباً إلى جنب ولكن بشكل غريب وكأنهما صورة معلقة على جدار. كان كلاهما قصيراً وشاحباً وفخوراً، وقد بديا أنهما مصنوعان من الحديد والملابس الداكنة القديمة، وقد كان للمرأة وجه بيضاوى طويل وكئيب ذو لون بنى مصفر محروق وشعر أسود ضارب إلى الرمادية مفترق بحدة من

المنتصف وممشط للخلف بصرامة خلف رقبتها دون تمويجة أو زخرفة. كان فمها حزيناً وكئيباً وشفتاها النحيفتان مضمومتين بشدة. وقد وقف الأب بتصلب وكآبة فى سترة مزدوجة الصدر وذات كتفين مبطنتين والتى كانت ضيقة للغاية بالنسبة له. كان عريض الكتفين ومفتول العضلات إلى حد ما وذا شارب هائل فضى مموج فوق وجهه المجعد. كانت عيناه مجعدتين ودامعتين وبدا مسترخيًا للغاية بينما يقف فى ارتباك وهو يمسك بحرف قبعته السوداء بين يديه القويتين أمام طية صدر سترته العريضة. وقد ترك الفقر والعمل المضنى آثارهما على كليهما. كان الشقيق يبدو أنه يريد افتعال مشاجرة، وقد كانت قبعته البيضاء مائلة إلى الجانب بشكل متغطرس وكانت يداه مثبتتين بإحكام وينظر إلى كل شىء بالغرفة وهو يقطب بضراوة.

دخل الثلاثة فى جبن وهم يمشون على مقربة كبيرة من بعضهم البعض بشكل جنائزى ببطء شديد حتى وصلوا إلى جانب الفراش ووقفوا يحدقون لأسفل فى يوساريان. كان هناك صمت رهيب وموجع والذى بدا وكأنه سيستمر للأبد وأخيراً لم يستطع يوساريان تحمل الأمر أكثر من ذلك فتنحنح. تحدث الرجل العجوز أخيرًا .

قال: "إنه يبدو بحالة مزرية".

"إنه مريض يا أبى".

قالت الأم التى جلست فوق أحد المقاعد وشبكت أصابعها ذات الأوردة البارزة فوق ساقيها: "جيوسيبى".

قال يوساريان: "إن اسمى هو يوساريان".

"إن اسمه يوساريان. يوساريان، ألا تعرفنى؟ أنا أخوك جون. ألا تعرف من أنا؟".

"بالطبع. أنت أخى جون".

"إنه يعرفنى بالفعل! أبى، إنه يعرف من أنا. يوساريان، ها هو أبى. قل مرحبًا لأبى".

قال يوساريان: "مرحبًا يا أبى".

"مرحبًا يا جيوسيبى".

"إن اسمه يوساريان يا أبى".

قال والده: "لا أستطيع أن أتحمل مظهره الشنيع هذا".

"إنه مريض للغاية يا أبى. يقول الطبيب إنه سيموت".

قال الوالد: "لا أعرف إن كان علىّ تصديق الطبيب أم لا. أنت تعرف إلى أى مدى هؤلاء الأشخاص مخادعون".

قالت الأم مجدداً فى صوت حزين هادئ مكسور: "جيوسيبى".

"إن اسمه يوساريان يا أمى. إنها لا تتذكر الأمور جيداً الآن. كيف يعاملونك هنا يا فتى؟ هل يعاملونك جيدًا؟".

قال يوساريان: "نعم".

"هذا جيد. فقط لا تسمح لأى أحد هنا أن يسىء معاملتك؛ فأنت هنا مثلك مثل أى شخص آخر وعلى قدم المساواة معه حتى على الرغم من أنك إيطالى. فإن لديك حقوقًا كذلك".

أجفل يوساريان وأغلق عينيه حتى لا يضطر أن ينظر إلى أخيه جون وبدأ يشعر فعلاً بالمرض.

قال الوالد: "الآن انظر كيف يبدو فى حالة مزرية".

قالت أمه: "جيوسيبى".

قاطعها الشقيق فى صبر نافد: "أمى، إن اسمه يوساريان. ألا تتذكرين؟".

قاطعه يوساريان قائلاً: "لا بأس. يمكنها أن تدعونى جيوسيبى إن أرادت ذلك".

قالت له: " جيوسيبى".

قال أخوه: "لا تقلق يا يوساريان. إن كل شىء سوف يكون على ما يرام".

قال يوساريان: "لا تقلقى يا أمى. إن كل شىء سيكون على ما يرام".

أراد أن يعلم شقيقه: "هل زارك أحد رجال الدين؟".

كذب يوساريان وهو يجفل مرة أخرى: "نعم".

قال الشقيق: "هذا جيد. عظيم أنك تحصل على كل الرعاية الممكنة. لقد قطعنا كل هذه المسافة من نيويورك إلى هنا. وكنا نخشى ألا نصل إلى هنا فى الوقت المناسب".

"الوقت المناسب؟ لماذا؟".

"فى الوقت المناسب لرؤيتك قبل أن تموت".

"وما الفارق الذى يشكله هذا؟".

"لم نشأ أن نتركك تموت وحدك".

"وما الفارق الذى يشكله هذا؟".

قال الشقيق: "لابد أنه يهذى. إنه يكرر نفس العبارة ثانية".

قال الرجل العجوز: "إن هذا غريب حقًا. لقد كنت أعتقد كل هذا الوقت أن اسمه هو جيوسيبى، والآن أكتشف أن اسمه هو يوساريان. إن هذا غريب حقًا".

قال شقيقه: "أمى، حاولى أن ترفعى من حالته المعنوية. قولى شيئاً مرحًا له".

"جيوسيبى".

"إنه ليس جيوسيبى يا أمى. إنه يوساريان".

أجابت الأم بنفس النبرة المنتحبة دون أن تنظر لأعلى: "ما الفارق الذى يشكله هذا؟ إنه يحتضر".

امتلأت عيناها المنتفختان بالدموع وبدأت تبكى وهى تتأرجح للخلف والأمام ببطء فى مقعدها مع وضع يديها على ساقيها. كان يوساريان يخشى أن تشرع فى النحيب. وقد بدأ الشقيق والوالد يبكيان كذلك. وقد تذكر يوساريان فجأة لماذا يبكون جميعًا، وشرع فى البكاء هو أيضًا. دخل طبيب لم يسبق ليوساريان رؤيته من قبل الغرفة وقال للزائرين فى كياسة إن عليهم الانصراف. اقترب الوالد ليودع ابنه.

قال: "جيوسيبى".

صححه ابنه: "يوساريان".

قال الوالد: "يوساريان".

صححه يوساريان: "جيوسيبى".

"سرعان ما سوف تموت".

بدأ يوساريان فى البكاء مرة أخرى. رمقه الطبيب بنظرة صارمة من مؤخرة الغرفة فأرغم يوساريان نفسه على التوقف.

نظروا إليه جميعاً نظرة وداع، ثم انصرفوا.

١٩

الكولونيل كاثكارت

كان الكولونيل كاثكارت رجلاً ماكرًا ناجحًا مهملاً غير سعيد يبلغ من العمر ستة وثلاثين عامًا ، وكان يتحرك بتثاقل أثناء سيره ويريد أن يصبح جنرالاً. كان مندفعًا مكتئبًا رابط الجأش حزيناً. كان راضيًا ولا يشعر بالأمان وجسورًا في الخدع الحربية الإدارية التي ينفذها كي يلفت نظر رؤسائه له، وجبانًا في خوفه من أن تعطي جميع مخططاته عكس النتائج المرجوة. كان وسيمًا وغير جذاب ومتفاخرًا وسمينًا ومختالاً بنفسه، وكان يزداد بدانة وتسيطر عليه نوبات طويلة من الخوف من المستقبل. لقد كان مختالاً بذاته لأنه كان كولونيلاً يتمتع بجميع مزايا هذه الرتبة وقائداً عسكريًا في سن السادسة والثلاثين فقط؛ وكان مكتئباً لأنه على الرغم من أنه كان في السادسة والثلاثين من العمر إلا أنه لا يزال كولونيلاً لا أكثر.

وقد كان الكولونيل كاثكارت غير متقبل للحقائق المطلقة؛ فهو يمكنه قياس نجاحه وتقدمه فقط بمقارنتهما بنجاح وتقدم الآخرين، وفكرته عن التفوق هو أن يتقن فعل الشيء على الأقل بنفس الدرجة التي يتقن بها فعله جميع الرجال في نفس سنه، وحقيقة أنه كان هناك الآلاف من الرجال في نفس سنه بل وأكبر والذين لم يصلوا حتى إلى رتبة رائد كانت تبث في نفسه السعادة وتشعره بقيمة ذاته؛ وعلى الجانب الآخر فإن حقيقة وجود رجال في سنه وأصغر أصبحوا بالفعل جنرالات تبث فيه شعورًا معذبًا بالفشل، وتجعله يعض على أنامله ويشعر بقلق غير قابل للتهدئة، والذي كان حتى أكثر حدة ووطأة من القلق الذي يشعر به هنجري جو.

كان الكولونيل كاثكارت رجلاً ضخمًا مقطبًا عريض المنكبين ذا شعر قصير مموج - والذي بدأت أطرافه تشيب - وكان يمسك بحامل سيجار مزخرف كان قد اشتراه في اليوم السابق لوصوله إلى بيانوسا كي يتولى رئاسة مجموعته. وقد كان يمسك بحامل السيجار في فخر في كل مناسبة وتعلم كيف يتلاعب به ببراعة. وقد اكتشف عن غير قصد بداخله استعدادًا خصبًا للتدخين باستخدام حامل السيجار. وعلى حد علمه، كان حامل سيجاره هو حامل السيجار الوحيد على صعيد مسرح عمليات البحر المتوسط بأكمله، وقد كانت تلك الفكرة تمثل مصدر إطراء له ولكنها

كانت تمثل مصدر إزعاج وقلق فى الوقت ذاته. لقد كان واثقًا من أن شخصًا ذا كياسة وراجح العقل مثل الجنرال بيكام سوف يستحسن تدخينه باستخدام حامل سيجار، حتى على الرغم من أن الاثنين نادرًا ما كانا يلتقيان، وكان ذلك من حسن حظ الكولونيل كاثكارت ـ كما اكتشف ذلك ـ لأن الجنرال بيكام قد لا يستحسن مسألة حامل سيجاره بالمرة. وحينما يفكر الكولونيل كاثكارت فى مثل هذه الهواجس كان يمنع نفسه من البكاء ويود أن يلقى بهذا الشىء بعيدًا، ولكن كان يمنعه من ذلك اقتناعه الراسخ بأن حامل السيجار لم يفشل قط فى تزيين بنية جسمه العسكرية الذكورية ببريق متوهج من البطولة المعقدة والتى أعطته ميزة باهرة ورائعة وسط جميع الكولونيلات الذين يتمتعون بكامل مزايا هذه الرتبة فى الجيش الأمريكى والذى كان فى تنافس معهم، وعلى الرغم من ذلك، كيف يتسنى له التأكد من ذلك؟

لقد كان الكولونيل كاثكارت لا يعرف التعب، فكان تكتيكيًا عسكرياً متفانيًا يعمل ليل نهار فى خدمة نفسه. كان دبلوماسيًا جريئًا، ويوبخ دائمًا نفسه بشكل عنيف لأجل كل الفرص التى فوتها ويركل نفسه ندمًا لأجل كل الأخطاء التى ارتكبها. كان عصبيًا وسريع الغضب وقاسيًا ومعتدًا بنفسه. كان انتهازيًا باسلاً وكان يستغل فى شره كل فرصة يكتشفها المقدم كورن من أجله ويسقط فى بئر الاكتئاب على الفور بعد ذلك خشية من العواقب المحتملة التى قد يعانيها. كان يجمع الشائعات فى شره ويعشق القيل والقال. كانت تأتيه الأخبار فيصدقها، ثم بعد ذلك يكذبها. كان ينتبه دومًا لكل حركة يقوم بها الآخرون ويشعر على الفور بالعلاقات والمواقف غير الموجودة من الأساس. كان يصارع دومًا بشكل مثير للشفقة ليكتشف ماذا يحدث حوله. كان متنمرًا عاصفًا جسورًا ويطيل التفكير بشكل يصعب تجنبه بشأن الانطباعات البشعة المتعذر استئصالها التى يعلم أنه يتركها دومًا لدى الأشخاص من ذوى السلطة والذين لم يكونوا مدركين حتى أنه على قيد الحياة.

كل الناس كانت تضطهده، وكان الكولونيل كاثكارت يشق طريقه فى هذا العالم غير المستقر وهو يعتمد على حصافته ويتباهى بانتصارات خيالية باهرة وهزائم خيالية ساحقة. كان يتذبذب دومًا بين الحزن والسعادة، حيث يعدد دومًا انتصاراته العظيمة ويضفى تراجيديا مبالغًا فيها على هزائمه. ولم يضبطه أحد قط نائمًا. وإن وصله خبر بأن أحدهم رأى الجنرال دريدل أو الجنرال بيكام يبتسم أو يقطب أو لا يفعل أيًا من الاثنين لا يهدأ حتى يصل إلى تفسير مقبول لهذا ويأخذ فى الدمدمة بلا نهاية حتى يقنعه المقدم كورن بالاسترخاء وأخذ الأمور ببساطة.

كان المقدم كورن حليفًا مخلصًا لا يكف عن إثارة حفيظة الكولونيل كاثكارت. وكان الكولونيل كاثكارت يشعر بامتنان بالغ إزاء خطط المقدم كورن البارعة، ثم

يصبح حانقًا عليه بعد ذلك حينما يدرك أنها ربما لن تجدى نفعًا. كان الكولونيل كاثكارت مدينًا بشدة للمقدم كورن ولم يكن يحبه على الإطلاق. كان الاثنان مقربين لبعضهما البعض للغاية. فكان الكولونيل كاثكارت يشعر بالغيرة من ذكاء المقدم كورن وكان عليه أن يذكر نفسه دومًا أن المقدم كورن لا يزال مقدمًا فقط وأن المقدم كورن قد حصل على شهادته الجامعية من جامعة حكومية، وكان الكولونيل كاثكارت يندب حظه العاثر الذى وضع فى طريقه مساعدًا وضيعًا كهذا لا يقدر بثمن والذى تلقى تعليمه فى جامعة حكومية. فإن كان لابد أن يكون هناك شخص مهم بالنسبة له ـ كما فكر الكولونيل كاثكارت فى حزن ـ فكان ينبغى أن يكون هذا الشخص ببساطة ثريًا ودمثاً، وأن ينحدر من أسرة أفضل، وأن يكون أكثر نضجًا من المقدم كورن، وألا يتعامل مع رغبة الكولونيل كاثكارت فى أن يصبح جنرالاً بهذا الاستخفاف، كما كان يعتقد الكولونيل كاثكارت أن المقدم كورن يفعل سرًا فى قرارة نفسه.

لقد كان الكولونيل كاثكارت يريد بشدة أن يصبح جنرالاً حتى إنه كان مستعدًا أن يجرب أى شىء، حتى الدين. ولقد قام باستدعاء رجل الدين إلى مكتبه فى وقت متأخر من صباح أحد أيام الأسبوع التالى لقيامه برفع عدد المهام إلى ستين مهمة وأشار فجأة ناحية مكتبه لنسخته من ذا ساتر داى ايفينينج بوست. كان الكولونيل يرتدى قميصه كاكى اللون ويفتح الياقة بشدة مظهرًا لحية نامية ذات شعيرات منتصبة فوق رقبته شديدة البياض. وهو قد كان شخصًا لم تصبه سمرة الشمس قط؛ حيث إنه كان يبتعد عن أشعة الشمس قدر الإمكان لتجنب الاسمرار. كان الكولونيل أطول من رجل الدين؛ حيث كان الأخير يصل بالكاد إلى كتفه، وأعرض منه مرتين، وقد جعلت سلطته المطلقة رجل الدين يشعر بالضعف وقلة الحيلة.

قال الكولونيل كاثكارت وهو يضع سيجارة فى حامل سيجاره ويجلس فوق كرسيه الدوار خلف مكتبه: "ألق نظرة على هذا. دعنى أسمع رأيك".

نظر رجل الدين إلى المجلة المفتوحة فى إذعان ورأى المقالة الافتتاحية المنشورة على صفحتين تتحدث عن إحدى وحدات المدفعية العسكرية الأمريكية فى إنجلترا والتى كان رجل الدين الخاص بها يتلو الصلوات فى غرفة التعليمات قبل كل مهمة. وقد كاد رجل الدين يبكى سعادة، حينما أدرك أن الكولونيل لن يصيح عليه؛ فالاثنان لم يتحدثا تقريبًا مع بعضهما البعض منذ تلك الليلة الصاخبة التى ألقى بها الكولونيل كاثكارت به خارج نادى الضباط بناء على أمر الجنرال دريدل بعد أن قام المقدم وايت هلفوت بضرب الكولونيل مودس فى أنفه. وقد كان رجل الدين يعتقد أن الكولونيل ينوى توبيخه من أجل عودته إلى نادى الضباط دون إذن فى الليلة السابقة. وكان قد ذهب إلى هناك بصحبة يوساريان ودونبار بعد أن

أتى الاثنان فجأة وبشكل غير متوقع إلى خيمته فى الأرض مقطوعة الشجر فى الغابة ليدعواه إلى الانضمام إليهما. وعلى الرغم من خوفه الشديد من الكولونيل كاثكارت إلا أنه كان يفضل مواجهة غضبه واستيائه عن رد الدعوة الكريمة لصديقيه الجديدين اللذين التقى بهما فى إحدى زياراته بالمستشفيات منذ بضعة أسابيع مضت واللذين عملا جاهدين لعزله عن التقلبات الاجتماعية التى لا تعد ولا تحصى التى يفرضها عليه عمله بالقرب من أكثر من تسعمائة ضابط ومجند لا يعرفهم، والذين كانوا ينظرون إليه بوصفه شخصًا غريب الأطوار.

وقد ألصق رجل الدين عينيه بصفحات المجلة. وقد ظل يدرس كل فقرة مرتين ويقرأ العناوين بتمعن، بينما ينظم إجابته عن سؤال الكولونيل فى عبارة صحيحة نحوياً وكاملة والتى أخذ يتدرب عليها ويعيد تنظيمها فى عقله عدة مرات قبل أن يستطيع أخيرًا استجماع قواه ليقولها.

قال فى جبن: "أعتقد أن تلاوة الصلوات قبل كل مهمة هو إجراء أخلاقى مجيد يا سيدى".

قال الكولونيل: "نعم. ولكننى أريد أن أعرف إن كانت ستجدى هنا نفعًا".

أجاب رجل الدين بعد بضع لحظات: "نعم يا سيدى. أعتقد أنها ستجدى نفعًا".

توردت وجنتا الكولونيل فجأة حماسةً وقال: "إذن سوف أجرب هذا الأمر". نهض وبدأ يسير فى الغرفة فى حماسة. "انظر إلى أى مدى أفادت هؤلاء الأشخاص فى إنجلترا. ها هى صورة لكولونيل فى مجلة ذا ساترداى ايفينينج بوست يقوم فيها رجل الدين الخاص بمجموعته بتلاوة الصلوات قبل كل مهمة. فإن أفادته الصلوات فلابد أنها ستفيدنا. فربما إن قمنا بتلاوة الصلوات يقومون بوضع صورتى فى المجلة أيضاً".

جلس الكولونيل ثانية وابتسم وهو شارد الذهن فى تأمل عميق. لم يمتلك رجل الدين أدنى فكرة عما يتوقع منه الكولونيل أن يقول بعد ذلك. وأثناء ارتسام تعبير ينم عن الاستغراق فى التفكير على وجهه المستطيل الشاحب إلى حد ما ترك عينيه تحدقان إلى عدة صناديق عالية ممتلئة بالطماطم أرجوانية اللون والتى كانت مرصوصة فى صفوف إلى جوار الجدران. وقد تظاهر بأنه يركز فى تكوين إجابة. وبعد برهة أدرك أنه كان يحدق إلى صفوف وصفوف من صناديق الطماطم أرجوانية اللون ويثير اهتمامه سؤال آخر وهو ماذا تفعل صناديق من الطماطم أرجوانية اللون فى مكتب قائد وحدة عسكرية؟ حتى إنه نسى تمامًا أمر حوارهما المرتكز على تلاوة الصلوات حتى استفسر الكولونيل كاثكارت فى استطراد لطيف:

"هل تريد شراء البعض؟ إنها تأتى مباشرة من المزرعة التى نمتلكها أنا والمقدم

كورن فى التلال. يمكننى أن أبيعك صندوقًا بسعر الجملة".

"لا، لا يا سيدى. لا أعتقد هذا".

أكد له الكولونيل فى تحرر: "لا بأس. إنك لست مضطرًا لهذا. إن مايلو يسعده شراء إنتاجنا كله. لقد تم قطف هذه الكمية بالأمس فقط. هل تلاحظ إلى أى مدى هى صلبة وناضجة؟".

تورد وجه رجل الدين وأدرك الكولونيل على الفور أنه ارتكب خطأً. أخفض رأسه خزيًا وهو يشعر بالنار تتأرجح فى وجهه السمين. شعر بأن أصابعه بدينة ويصعب رفعها. لقد كان يكره رجل الدين بشدة لأنه رجل دين ولأنه نظر إلى ملحوظته - والتى كانت كما كان واثقًا فى أية ظروف أخرى لتعتبر ذكية ومهذبة - بوصفها خطأً فادحًا. حاول فى يأس تذكر وسيلة ما تخلصهما من إحراجهما المدمر. ولكنه تذكر بدلاً من ذلك أن رجل الدين كان مجرد رجل دين وانتصب على الفور وهو يشهق فى صدمة وغضب. وقد أصبحت وجنتاه متصلبتين غضبًا حينما اكتشف أنه قد شعر بالإحراج لتوه بسبب رجل فى نفس سنه تقريبًا ولايزال مجرد رجل دين، فقام برمق رجل الدين بنظرة عدائية قتالية جعلت رجل الدين يرتعد. لقد عاقبه الكولونيل بالتحديق إليه طويلاً بكراهية.

ذكَّر الكولونيل رجل الدين بحدة فى النهاية قائلاً: "لقد كنا نتحدث عن شىء آخر. إننا لم نكن نتحدث عن بيع الطماطم فى السوق السوداء، ولكن عن شىء آخر تمامًا. لقد كنا نتحدث عن إقامة الخدمات الدينية فى غرفة التعليمات قبل كل مهمة. هل هناك سبب يجعلنا لا نستطيع ذلك؟".

تمتم رجل الدين قائلاً: "لا يا سيدى".

"إذن سوف نبدأ بمهمة فترة بعد الظهيرة اليوم"، ثم انحسرت عدوانية الكولونيل تدريجيًا بينما كانا يناقشان التفاصيل؛ حيث استطرد قائلاً: "الآن أريد منك التفكير مليًا فى نوع الصلوات التى سوف تتلوها. لا أريد شيئاً صعباً أو حزينًا. أريدك أن تجعلها بسيطة ومفعمة بالحيوية، شيئًا يجعل الفتيان يذهبون وهم شاعرون بمعنويات مرتفعة. هل تفهم ما أقصد؟ ما الذى يجعلك متجهمًا هكذا؟".

تلعثم رجل الدين: "آسف يا سيدى. لقد تصادف فقط أننى كنت أفكر فى صلاة معينة أثناء كلامك".

"عم تتحدث هذه الصلاة؟".

"إنها من النوعية التى كنت تتحدث عنها لتوك يا سيدى. إنها تتحدث عن الموت".

"هذه هى التى كنت أتحدث عنها. إنها مستبعدة. ماذا لديك أيضًا؟".

قال رجل الدين فى أسف: "أنا آسف يا سيدى، ولكن كل الصلوات التى أعرفها ليست مناسبة".

"إذن دعنا نفكر فى صلوات جديدة. إن الرجال ناقمون بالفعل بشأن المهام التى أرسلهم بها ولا نريد إثارة حفيظتهم. لماذا لا ننتهج طريقة أكثر إيجابية؟ فلماذا لا نصلى جميعًا من أجل ابتكار نموذج قنابل ضيق المدى؟ ألا نستطيع الصلاة من أجل نموذج قنابل ضيق المدى؟".

أجاب رجل الدين فى تردد: "حسناً يا سيدى، أعتقد أن بإمكاننا هذا. إنك حتى لن تكون بحاجة إلىّ إن كان هذا هو كل ما تريد فعله. فيمكنك حتى القيام به بنفسك".

قال الكولونيل بحدة: "بالطبع أستطيع، ولكن لأى سبب تعتقد أنك هنا؟ يمكننى شراء طعامى بنفسى كذلك ولكن تلك هى وظيفة مايلو، ولهذا يقوم بها من أجل كل مجموعة فى المنطقة، ووظيفتك هى إمامتنا فى الصلاة ومن الآن فصاعدًا ستقودنا فى صلاة تدور حول نموذج قنابل أضيق قبل كل مهمة. هل هذا واضح؟ أعتقد أن نموذج قنابل ضيق المدى هو شىء يستحق فعلاً الصلاة من أجله. فسيكون ذلك مفخرة حقيقية لنا جميعًا أمام الجنرال بيكام؛ فالجنرال بيكام يشعر بأن انفجار القنابل على مقربة من بعضها البعض من شأنه أن يمنحنا صورة هوائية ألطف كثيرًا".

"الجنرال بيكام يا سيدى؟".

أجاب الكولونيل وهو يضحك بسبب نظرة الدهشة التى ارتسمت على وجه رجل الدين: "هذا صحيح. أنا لا أريد منك إذاعة هذا الخبر، ولكن يبدو لى أن الجنرال دريدل سوف يترك الخدمة أخيرًا، وأن الجنرال بيكام سوف يحل محله. وبصراحة، أنا لن أشعر بالأسف حينما يحدث هذا. إن الجنرال بيكام هو رجل صالح حقًا وأنا أعتقد أننا سنكون أفضل حالاً تحت قيادته، وعلى الجانب الآخر، فقد لا يحدث هذا قط ونظل تحت قيادة الجنرال دريدل. وبصراحة أنا لن أشعر بالأسف حينما يحدث هذا أيضًا؛ لأن الجنرال دريدل هو رجل صالح آخر، وأعتقد أننا سنكون أفضل حالاً تحت قيادته كذلك. أتمنى ألا تفشى لأحد ما قلته لك لتوى؛ فأنا لا أريد أن يشعر أحدهما بأننى أدعم الآخر".

"نعم يا سيدى".

قال الكولونيل وهو يقف فى مرح: "هذا جيد، ولكن كل هذا القيل والقال لن يؤدى لنشر صورتى فى أى مجلة، أليس كذلك؟ دعنا نر ما نوع الإجراءات التى يمكننا اتخاذها. لا أريد أن تقول كلمة عن هذا الموضوع للمقدم كورن. أتفهم ذلك؟".

"نعم يا سيدى".

ظل الكولونيل كاثكارت يتجول جيئة وذهاباً وهو مستغرق فى التفكير فى الأروقة الضيقة بين صناديق الطماطم الأرجوانية والمكتب والمقاعد الخشبية فى منتصف الغرفة، ثم قال: "أعتقد أن عليك الانتظار بالخارج حتى الانتهاء من إلقاء التعليمات لأن كل هذه المعلومات سرية. يمكننا إدخالك أثناء قيام الرائد دانبى بضبط الساعات على نفس التوقيت. لا أعتقد أن هناك مشكلة فى هذا. سوف نخصص لك نحو دقيقة ونصف فى جدول أعمالنا. هل ستكون دقيقة ونصف كافية؟".

"نعم يا سيدى. إن كانت لا تشمل الوقت الضرورى لصرف الملحدين من الغرفة وإدخال المجندين".

توقف الكولونيل كاثكارت عن الحركة. جأر بعدما تغير سلوكه تمامًا إلى رجل قتالى وقوى: "أى ملحدين؟ ليس هناك ملحدون فى سريتى!".

ثم أضاف الكولونيل: "حسنًا، أنا لن أوقع الفوضى بمراسمنا الدينية فقط لإسداء خدمة لمجموعة من الملحدين القذرين. إنهم لن يحصلوا على امتيازات خاصة منى. يمكنهم أن يظلوا حيث هم ويصلوا معنا. وما كل هذه الجلبة التى تثيرها بشأن المجندين؟ فما دخلهم بمثل هذا الأمر؟".

تورد وجه رجل الدين: "أنا آسف يا سيدى. أنا فقط افترضت أنك ترغب أن يحضر المجندون، بما أنهم سيذهبون فى نفس المهمة".

"حسنًا، أنا لا أرغب فى هذا. إن لديهم رجل دين خاصًا بهم، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى".

"ما الذى تتحدث عنه؟ أتعنى أنهم ينتهجون نفس ديننا؟".

"نعم يا سيدى".

"ويصلون نفس صلواتنا؟".

"أعتقد هذا يا سيدى".

قال الكولونيل فى بهجة يشوبها السخرية: "هذا أمر غريب حقًا". انخفضت معنوياته فجأة بعد لحظة ومرر يده بعصبية فوق شعره الأسود القصير ذى الأطراف الشائبة. سأل فى اهتمام: "هل تعتقد أنها فكرة سديدة حقًا أن نسمح للمجندين بالدخول؟".

"أعتقد أنها فكرة سديدة حقًا يا سيدى".

قال الكولونيل بعدما بدأ يطقطق مفاصله فى وحشية ويذرع الغرفة جيئة وذهابًا: "أنا أريد إبقاءهم بالخارج. لا تسئ فهمى. ليس الأمر أننى أعتقد أن المجندين قذرون ووضيعون وأدنى مرتبة. كل ما فى الأمر أنه ليس لدينا مساحة

كافية، وبصراحة لا أعتقد أن الضباط والمجندين يشعرون بالانسجام مع بعضهم البعض فى غرفة التعليمات. إنهم يرون بعضهم البعض كثيرًا وبما فيه الكفاية أثناء المهمة كما يبدو لى. إن بعضاً من أعز أصدقائى من المجندين كما تعرف، ولكنى أتحدث عن مدى سماحى لهم بالاقتراب منى. فاصدقنى القول، هل تقبل أن تتزوج شقيقتك من مجند؟".

قال رجل الدين: "إن أختى مجندة يا سيدى".

توقف الكولونيل عن الحركة مرة أخرى ونظر إلى رجل الدين بحدة ليتأكد أنه لا يسخر منه ثم قال: "ما الذى تقصده بهذه الملحوظة؟ هل تحاول أن تكون خفيف الظل؟".

تحدث رجل الدين سريعًا بينما يبدو عليه عدم الراحة: "لا، لا يا سيدى. إنها رقيب أول بالبحرية".

إن الكولونيل لم يحب رجل الدين قط قبل ذلك والآن أصبح يمقته ولا يثق به. راوده شعور قوى بالخطر وتساءل إن كان رجل الدين أيضًا يدبر مكائد ضده، وإن كان سلوك رجل الدين المتحفظ الرزين ما هو إلا قناع يضعه فوق طموح محموم ماكر مجرد من المبادئ. كان هناك شىء غريب بشأن رجل الدين وسرعان ما اكتشف الكولونيل ما هو. كان رجل الدين يقف فى تصلب انتباهًا؛ حيث إن الكولونيل نسى أن يجعله يسترخى، وقد قرر الكولونيل بشكل انتقامى أن يتركه هكذا فقط ليريه من هو الزعيم وليحمى نفسه من فقدان الكرامة التى قد تترتب على اضطراره لإلغاء مخططه.

سار الكولونيل كاتكارت وكأنه منوم مغناطيسيًا وهو يحدق فى كآبة. كان يعرف أن المجندين ما هم إلا مجموعة من الخونة. نظر فى حزن إلى ميدان الرمى الذى أمر ببنائه للضباط فى مقر الرئاسة، وتذكر فترة بعد الظهيرة البشعة تلك التى وبخه فيها الجنرال دريدل بقسوة أمام المقدم كورن والرائد دانبى وأمره بأن يفتح المكان لكل المجندين والضباط المشاركين فى القتال. كان ميدان الرمى هو مصدر خزى حقيقى بالنسبة له، كما أدرك الكولونيل كاتكارت. وقد كان واثقًا من أن الجنرال دريدل لم ينس هذا الأمر قط، على الرغم من أنه كان واثقًا أن الجنرال دريدل لا يتذكره حتى، وهو الأمر الذى ينطوى على ظلم كبير - كما انتحب الكولونيل كاتكارت - بما أنه يرى أن فكرة ميدان الرمى فى حد ذاتها لابد لها أن تكون ريشة فى قبعته، على الرغم من أنها فى الواقع كانت مصدر خزى حقيقى له. وقد كان الكولونيل كاتكارت يرغب بشدة فى تقييم مساحة الأرض التى كسبها أو خسرها بإقامته ميدان الرمى اللعين هذا وتمنى لو كان المقدم كورن فى مكتبه الآن لتقييم المسألة برمتها مرة أخرى له لتهدئة مخاوفه.

كان الأمر كله مربكًا ومحبطًا للغاية. أخذ الكولونيل كاثكارت حامل السيجار من فمه وأوقفه داخل جيب قميصه وبدأ يقضم أظافر كلتا يديه فى حزن. كان الجميع ضده وكان يشعر بإحباط شديد؛ لأن المقدم كورن لم يكن معه فى هذه المحنة ليساعده على اتخاذ قرار بشأن ما ينبغى فعله بشأن تلاوة الصلوات. لم تكن لديه أى ثقة فى رجل الدين والذى كان مجرد نقيب. سأل: "هل تعتقد أن إبقاء المجندين بالخارج من شأنه تقويض فرصتنا على الحصول على نتائج جيدة؟".

تردد رجل الدين وشعر بالقلق ثانية وقال أخيرًا: "نعم يا سيدى. أعتقد أن تصرفًا مثل هذا قد يقوض نتائج تلبية الدعوات بالحصول على نموذج قنابل ضيق المدى جيد".

صاح الكولونيل وعيناه تطرفان: "أنا لم أفكر فى هذا! أتعنى أننى قد أحصل على نموذج قنابل سيئ؟".

قال رجل الدين: "نعم يا سيدى. إن هذا محتمل".

قال الكولونيل فى غضب: "اللعنة! أنا لن أريد القيام بهذا الأمر لأجعل الأمور تزداد سوءًا أكثر مما هى عليه بالفعل". جلس خلف مكتبه وهو يضحك ضحكة نصف مكبوتة يشوبها الازدراء ووضع حامل سيجاره فى فمه وسقط فى فترة صمت تنم عن تفكير عميق لبضع لحظات. قال معترفًا لنفسه بقدر ما كان معترفًا لرجل الدين: "بعد أن فكرت فى الأمر أعتقد أن جعل الرجال يتلون الصلوات قبل المهام ليس بالفكرة السديدة على أية حال. وربما ما كان محررو مجلة ذا ساترداى ايفيننج بوست ليتعاونوا معنا كذلك".

تخلى الكولونيل عن مشروعه فى أسف، كان آسفًا أنه قد توصل إليه بمفرده وتمنى أن يفاجئ به الآخرين ويؤكد لهم من خلاله أنه ليس بحاجة حقيقية للمقدم كورن. ولقد شعر بالسعادة بمجرد أن تخلى عن الفكرة لأنه كان يشعر بالقلق منذ البداية من المخاطر التى قد يواجهها لوضعه مثل هذه الخطة دون استشارة المقدم كورن أولاً. تنهد بعمق بسعادة. لقد أصبح يقدر قيمة ذاته أكثر الآن؛ لأنه تخلى عن فكرته، ولأنه اتخذ قراراً حكيمًا والأهم من كل ذلك أنه اتخذ هذا القرار الحكيم دون استشارة المقدم كورن.

سأل رجل الدين: "هل تريد منى شيئًا آخر يا سيدى؟".

قال الكولونيل كاثكارت: "لا. إلا إذا كان لديك شىء آخر تقترحه".

"لا يا سيدى. فقط ...".

رفع الكولونيل عينيه وكأنه تعرض للإهانة وحملق فى رجل الدين فى عدم ثقة: "فقط ماذا؟".

قال رجل الدين: "إن بعض الرجال حانقون حقًا منذ أن قمت برفع عدد المهام

إلى ستين، وهم قد طلبوا منى التحدث معك فى هذا الأمر".

لم يتحدث الكولونيل. تورد وجه رجل الدين حتى حدود شعره الأصفر. تركه الكولونيل يتعذب لفترة طويلة وظل يسلط عليه نظرة ثابتة خالية من أية مشاعر.

قال أخيرًا بصوت هادئ: "أخبرهم بأن هناك حربًا دائرة".

قال رجل الدين فى امتنان لأنه شعر أن الكولونيل قال شيئاً أخيرًا: "شكراً يا سيدى، سأفعل. لقد كانوا يتساءلون لماذا لا تأتى ببعض الجنود الاحتياطيين المنتظرين فى إفريقيا ليحلوا محلهم حتى يعودوا هم للوطن".

قال الكولونيل: "إن تلك مسألة إدارية لا شأن لهم بها"، ثم أشار بضعف ناحية الجدار: "فلتأخذ بعض ثمار الطماطم الأرجوانية. هيًا، إنها على حسابى".

"شكرًا لك يا سيدى. سيدى...".

"العفو. كيف تجد الحياة هناك فى الغابة؟ هل كل شىء على ما يرام؟".

"نعم يا سيدى".

"هذا جيد. عليك الاتصال بنا إن احتجت إلى شىء".

"نعم يا سيدى. شكرًا لك يا سيدى. سيدى...".

"شكرًا لك من أجل مجيئك. إن لدى عملًا أقوم به الآن. دعنى أعلم إن واتتك أى فكرة تجعلنا نتمكن من نشر أسمائنا فى ذا ساترداى ايفينينج بوست. حسنًا؟".

"نعم يا سيدى، سأفعل". استجمع رجل الدين قواه بصعوبة وتقدم للأمام فى شجاعة ثم قال: "أنا أهتم لأمر أحد المدفعيين على وجه الخصوص يا سيدى. يوساريان".

نظر الكولونيل لأعلى بعدما أجفل بغموض. سأل فى فزع: "من؟".

"يوساريان يا سيدى".

"يوساريان؟".

"نعم يا سيدى. يوساريان. إن حالته سيئة للغاية يا سيدى. أخشى أنه لن يستطيع الاحتمال أكثر من ذلك دون أن يرتكب شيئًا بائسًا".

"هل هذا صحيح؟".

"نعم يا سيدى. أخشى هذا".

فكر الكولونيل بالأمر فى صمت عميق لبضع ثوانٍ ثم قال أخيرًا: "أخبره أن يتحلى بالإيمان ويتحمل فى جلد".

قال رجل الدين: "شكرًا لك يا سيدى. سأفعل".

٢٠

العريف ويتكومب

كانت شمس آخر فصل أغسطس حارة ومشبعة بالبخار ولم يكن هناك نسيم بالشرفة. تحرك رجل الدين ببطء. كان مكتئبًا ومثقلاً بالندم أثناء خروجه فى هدوء من مكتب الكولونيل وهو يرتدى حذاءه البنى مطاطى النعل والكعب. فهو قد كره نفسه لما بدر منه من جبن. لقد عقد العزم على خوض مواجهة أقوى مع الكولونيل كاثكارت بشأن مسألة الستين مهمة، أن يتحدث بشجاعة ومنطق وفصاحة عن هذا الموضوع الذى بدأ يفكر فيه كثيرًا. بدلاً من ذلك فقد فشل، لقد ارتبك مرة أخرى لمواجهته شخصية أقوى منه. كانت تلك تجربة مألوفة ومخزية بالنسبة له، وكان تقديره لذاته منخفضًا.

وقد ارتبك ثانية بعد لحظة حينما لمح المقدم كورن ذا الجسد البدين يصعد الأدراج الحجرية المزركشة العريضة الصفراء نحوه فى عجلة من الردهة المتهدمة بأسفل ذات الجدران المرمرية الداكنة المتصدعة العالية والأرضية الدائرية المصنوعة من القرميد المكسو بالسخام والمتشقق. كان رجل الدين يخشى المقدم كورن أكثر مما يخشى الكولونيل كاثكارت؛ فقد كان المقدم متوسط العمر وداكن البشرة وذا نظارة زجاجية خالية من الإطارات وقمة رأس صلعاء تشبه القبة والتى كان يتلمسها دومًا بأطراف أصابعه المفلطحة، وهو لم يكن يحب رجل الدين وكثيرًا ما عامله بشكل غير مهذب. لقد كان يجعل رجل الدين يرتعد ذعرًا بلسانه الفظ المتهكم وعينيه الساخرتين التى لم يكن رجل الدين يقوى على النظر إليهما أكثر من ثانية واحدة. وبشكل يتعذر تجنبه كان انتباه رجل الدين يتركز ـ أثناء جثومه بجبن أمامه ـ على الحجاب الحاجز للمقدم كورن؛ حيث كانت أطراف قميصه البارزة لأعلى من داخل حزامه المرتخى ومنتفخة فوق خصره تعطى انطباعًا بأنه أكثر بدانة وأقصر طولاً. كان المقدم كورن رجلاً غير منظم وقذرًا ذا بشرة دهنية وخطوط عميقة صلبة تجرى مباشرة من أسفل أنفه بين فكيه وذقنه المربعة المشقوقة. كان وجهه صارمًا، وقد نظر إلى رجل الدين دون أن يعرفه حينما اقترب الاثنان من بعضهما البعض على الدرجات وأوشكا على التقابل.

قال بنبرة محايدة دون أن ينظر إلى رجل الدين: "مرحبًا يا أبتى. كيف حالك؟".

قال رجل الدين بعدما فطن بحكمة أن المقدم كورن لن يتوقع منه أن يقول شيئاً أكثر من هذا: "صباح الخير يا سيدى".

كان المقدم كورن يصعد الدرجات بنفس السرعة دون أن يقلل من سرعته، وقد قاوم رجل الدين رغبته فى أن يذكره مرة أخرى بألا يدعوه أبتى. ولكنه كان واثقًا الآن من أن المقدم كورن يتذكر ذلك وأن دعوته له بأبتى بهذه الطريقة البريئة هى إحدى وسائله للتندر عليه.

توقف المقدم كورن فجأة ودون سابق إنذار واستدار واتجه ناحية رجل الدين وهو يرمقه فى شك. تسمر رجل الدين فى مكانه.

سأل المقدم كورن بحدة: "ما الذى تفعله بثمرة الطماطم الأرجوانية هذه؟".

نظر رجل الدين لأسفل إلى ذراعيه فى دهشة إلى ثمرة الطماطم الأرجوانية التى طلب منه الكولونيل كاثكارت أخذها. استطاع أن يقول: "لقد أخذتها من مكتب الكولونيل كاثكارت يا سيدى".

"هل يعلم الكولونيل أنك أخذتها؟".

"نعم يا سيدى. لقد أعطاها لى".

قال المقدم كورن بعدما هدأ: "فى هذه الحالة لا بأس"؛ ثم ابتسم ابتسامة غير دافئة وهو يكز ثنيات قميصه المجعدة داخل بنطاله بإبهاميه. تلألأت عيناه بشكل نازع إلى الأذى والإزعاج، وسأل فجأة: "لماذا كان الكولونيل كاثكارت يريد رؤيتك يا أبتى؟".

انعقد لسان رجل الدين فى ارتباك للحظة: "أعتقد أنه لا ينبغى علىّ...".

"من أجل تلاوة الصلوات لأجل محررى مجلة ذا ساترداى ايفينينج بوست؟".

ابتسم رجل الدين: "نعم يا سيدى".

شعر المقدم كورن بالسعادة لقوة حدسه. ضحك فى استخفاف وقال: "لقد كنت أخشى أن يفكر فى شىء سخيف مثل هذا حينما يرى تلك المجلة. أتمنى أن تكون قد نجحت فى إقناعه إلى أى مدى هى فكرة شنيعة".

"لقد عدل عن رأيه بشأنها يا سيدى".

"هذا جيد. أنا سعيد لأنك أقنعته أن محررى المجلة لن يقوموا بنشر القصة مرتين فقط لإعطاء بعض الشعبية لكولونيل مغمور. كيف تسير الأمور فى البرية يا أبتى. هل أنت سعيد هناك؟".

"نعم يا سيدى".

"هذا جيد. أنا سعيد لأنه ليس لديك شىء تشكو بشأنه. لا تتردد فى المجىء إلينا إن كنت بحاجة لأى شىء يجعلك مرتاحاً. إننا جميعًا نرغب فى أن تحظى بوقت جيد هناك".

"شكرًا لك يا سيدى. سأفعل".

علت ضوضاء ناجمة عن تزايد عدد الأشخاص بالردهة بأسفل؛ فقد حل تقريبًا وقت الغداء وبدأت قاعات الطعام تمتلئ بالوافدين الأوائل، كان المجندون والضباط ينقسمون لقسمين؛ بحيث تدخل كل مجموعة قاعات طعام منفصلة على الجانبين المنفصلين للقاعة المستديرة القديمة. توقف المقدم كورن عن التبسم.

سأل فى جدية: "لقد تناولت الغداء معنا هنا منذ يوم أو اثنين يا أبتى، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدى. اليوم السابق ليوم أمس".

قال المقدم كورن: "هذا ما اعتقدته"، ثم سكت قليلاً ليجعل قصده يصل إلى رجل الدين وقال: "حسنًا، هون عليك يا أبتى. سوف أراك ثانية، حينما يحين وقت تناولك الطعام هنا مرة أخرى".

"شكراً لك يا سيدى".

ولم يكن رجل الدين يعرف فى أى حجرة طعام من الحجرات الخمس المخصصة للضباط والخمس المخصصة للمجندين كان مقررًا أن يتناول الغداء اليوم؛ حيث إن نظام التناوب الذى وضعه من أجله المقدم كورن كان شديد التعقيد، وهو قد نسى الجدول فى خيمته. كان رجل الدين هو الضابط الوحيد التابع لمقر رئاسة الوحدة العسكرية الذى لا يسكن فى مبنى مقر رئاسة الوحدة العسكرية الحجرى الأحمر البالى أو فى أى من الأبنية الصغيرة الملحقة والتى تستقر فوق الأرض بشكل غير مترابط؛ فقد كان رجل الدين يعيش بأرض مقطوعة الشجر داخل الغابة على مبعدة نحو أربعة أميال وذلك فى منتصف المسافة بين نادى الضباط وأول منطقة من بين مناطق السرايا الأربع المصفوفة بعيدًا عن مقر رئاسة الوحدة العسكرية فى خط مستقيم. كان رجل الدين يعيش وحيدًا فى خيمة مربعة فسيحة والتى كانت أيضًا مكتبه. كان ضجيج وصخب الضابط يصل إليه ليلاً من نادى الضباط ويبقيه مستيقظًا عادة فوق فراشه الذى يظل يتقلب فوقه شاعرًا بالاغتراب. لم يكن باستطاعته الإحساس بمفعول الحبوب الخفيفة التى كان يأخذها من حين لآخر لمساعدته على النوم وكان يشعر بالذنب على أخذها طوال أيام بعد ذلك.

كان الشخص الوحيد الذى يعيش مع رجل الدين فى الأرض مقطوعة الشجر بالغابة هو العريف ويتكومب، مساعده. وقد كان العريف ويتكومب مساعداً ساخطًا يشعر بأن بإمكانه القيام بوظيفة رجل الدين أفضل مما يقوم بها رجل الدين وينظر إلى نفسه بالتالى بصفته ضحية عدم المساواة فى المجتمع. وهو كان يعيش وحده فى خيمة فسيحة ومربعة مثل رجل الدين. وقد أصبح يتعامل مع رجل الدين بوقاحة وسخرية وازدراء بمجرد أن اكتشف أن رجل الدين ليس له سلطة حقيقية عليه ولم

يكن يفصل بين الخيمتين أكثر من أربع أو خمس بوصات.

كان المقدم كورن هو من خطط طريقة الحياة هذه لرجل الدين. ومن أحد الأسباب الوجيهة لجعل رجل الدين يعيش خارج مبنى مقر رئاسة الوحدة العسكرية هو نظرية المقدم كورن التى تفيد بأن السكن فى خيمة مثله مثل زملائه الآخرين من رجال الدين سيزيد من سهولة الاتصال بينهم. ثمة سبب وجيه آخر هو حقيقة أن تواجد رجل الدين فى مقر الرئاسة طوال الوقت يجعل الضباط الآخرين لا يشعرون بالراحة، فقد كان أمرًا لا بأس به تواجد شخص يوجه لهم النصح أحيانًا ولكن فى الوقت ذاته لم يكن يرغب أحد أن يتواجد مثل هذا الشخص معه أربعًا وعشرين ساعة فى اليوم. وتمامًا كما شرح المقدم كورن للرائد دانبى ـ ضابط العمليات بالوحدة العسكرية شديد العصبية وجاحظ العينين ـ فإن رجل الدين لم يكن لديه الكثير من المهام للقيام بها؛ فكل ما عليه فعله هو الإنصات لمشكلات الآخرين ودفن الموتى وزيارة طريحى الفراش وإقامة الشعائر الدينية. ولم يعد هناك الكثير من الموتى ليدفنهم فى الوقت الحالى ـ كما أوضح المقدم كورن ـ منذ أن توقفت مقاومة الطائرات المقاتلة الألمانية ومنذ أن أصبح ما يقرب من تسعين بالمائة من معدل الوفيات هناك ـ وفقًا لحساباته ـ يهلك خلف خطوط العدو أو يختفى داخل السحب؛ حيث لا يمكن لرجل الدين أن يحصل على الجثث ليدفنها. ولم تكن الشعائر الدينية تمثل عبئاً كبيرًا كذلك؛ حيث إنها كانت تقام مرة واحدة فى الأسبوع بمبنى مقر رئاسة الوحدة العسكرية ويحضرها قلة قليلة من الرجال.

فى الواقع، لقد أصبح رجل الدين يحب حياته بالأرض مقطوعة الشجر فى الغابة؛ فقد كان هو والعريف ويتكومب يحصلان على جميع وسائل الراحة حتى لا يتذرع أحدهما بحجة عدم الراحة ويطلب الإذن بالعودة إلى مبنى مقر الرئاسة. وقد كان رجل الدين يناوب تناوله طعام الإفطار والغداء والعشاء فى أماكن مختلفة بين حجرات طعام السرايا الثمانى، ويتناول كل خامس وجبة فى حجرة طعام المجندين بمقر رئاسة الوحدة العسكرية، وكل عاشر وجبة فى حجرة طعام الضباط هناك. وفى وطنه فى ويسكنسن كان رجل الدين مغرمًا بالبستنة وكان قلبه يؤسر بفكرة الخصوبة والإثمار فى كل مرة يفكر فيها فى الأغصان الشائكة الخفيضة للأشجار القصيرة والأعشاب الضارة والأدغال التى كانت تطوقه تقريبًا. وفى الربيع كانت تساوره رغبة عارمة فى زراعة البغونية والزينية فى مزاهر ضيقة حول خيمته ولكن كان خوفه من ضغينة وحقد العريف ويتكومب يردعه. كان رجل الدين يستمتع بالخصوصية والعزلة التى يمنحها له محيطه الأخضر، بالإضافة إلى التأمل والتفكير الحالم الذى يعززه العيش هناك. كان يأتى إليه عدد قليل من الرجال ليبوحوا له بمشاكلهم وهو كان يشعر بالامتنان لأجل ذلك؛ فرجل الدين

كان يلاقى صعوبة فى الاختلاط مع الآخرين ولا يحب الانخراط فى الحوارات. كما كان يفتقد زوجته وأطفاله الثلاثة بشدة، وكانت زوجته تفتقده.

وأكثر ما كان يبغضه العريف ويتكومب فى رجل الدين هو افتقاره لروح المبادرة والعدوانية. وقد كان العريف ويتكومب ينظر إلى عدد الحضور القليل فى الشعائر الدينية فى حزن. وقد كان ذهنه يتمخض بشكل محموم عن أفكار جديدة جسورة من شأنها أن تحدث نهضة روحانية يكون هو مهندسها المعمارى - صناديق غداء، حفلات تعارف بدار العبادة، خطابات تعزية موحدة الصيغة يتم إرسالها لأسر القتلى أو المصابين، رقابة على الأخلاق، لعبة البانغو. ولكن رجل الدين كان يقف بينه وبين القيام بذلك. لقد كان العريف ويتكومب يتلوى حقدًا وكراهية داخل قيود رجل الدين حيث إنه كان يرى فرصًا للتحسين من الأوضاع فى كل مكان ينظر إليه. وقد أدرك أن رجالاً مثل رجل الدين هذا هم من كانوا يحطون من قدر الدين بهذه الطريقة ويجعلون منهما شخصين منبوذين. وبخلاف رجل الدين فقد مقت العريف ويتكومب عزلة الأرض المقطوعة الأشجار فى الغابة. ومن أول الأشياء التى ينوى القيام بها بعد أن يخلع رجل الدين هو العودة إلى مبنى مقر رئاسة الوحدة العسكرية، حيث يمكنه أن يكون فى مقر الأحداث.

وحينما عاد رجل الدين إلى الأرض مقطوعة الأشجار بعد ترك المقدم كورن، كان العريف ويتكومب يقف بالخارج فى الضباب الرطب الحار يتحدث بشكل تآمرى مع رجل غريب بدين يرتدى روبًا أحمر داكنًا مصنوعًا من قماش قطنى متين مضلع مخملى الزغب وبيجامة رمادية من الفلانيل. وقد أدرك رجل الدين على الفور أن هذه الملابس هى ملابس المستشفى الرسمية. ولم يبد أن أياً منهما قد تعرف عليه. وقد كانت لثة الغريب مطلية بلون أرجوانى وكان روبه مصنوعًا من قماش قطنى متين مضلع مخملى الزغب، وقد طبع عليه من الخلف صورة لمقدمة طائرة بى-٢٥ وهى تجتاز قذائف مدفعية برتقالية اللون، ومن الأمام ستة صفوف من قنابل صغيرة ترمز للستين مهمة التى ينبغى تنفيذها. أصيب رجل الدين بالذهول من هذا المشهد حتى إنه توقف ليحدق إليه. سكت كلا الرجلين وانتظرا فى صمت مدقع حتى يغادر. أسرع رجل الدين إلى داخل خيمته. وقد سمع - أو أنه تخيل أنه سمع - تمتمتهما.

دخل العريف ويتكومب بعد لحظة وسأل: "ما الأمر؟".

أجاب رجل الدين وهو يحول بصره: "ليس هناك شيء جديد. هل جاء أى أحد للسؤال عنى؟".

"لا أحد سوى هذا المعتوه يوساريان مرة أخرى. إنه مشاغب حقيقى، أليس كذلك؟".

قال رجل الدين: "أنا لا أعتقد أنه معتوه".

قال العريف ويتكومب فى نبرة تنم عن الجُرح: "فلتفعل ذلك، فلتأخذ صفه" ثم خرج.

لم يصدق رجل الدين أن العريف ويتكومب استاء ثانية وأنه غادر بالفعل. وبمجرد أن أدرك ذلك كان العريف ويتكومب قد عاد مرة أخرى.

قال له العريف ويتكومب: "إنك دومًا تأخذ صف الأشخاص الآخرين. إنك لا تدعم رجالك. إن هذا هو أحد عيوبك".

اعتذر رجل الدين قائلاً: "أنا لم أقصد أن آخذ صفه. أنا فقط كنت أعبر عن رأيى".

"ماذا كان يريد الكولونيل كاثكارت؟".

"لم يكن شيئاً مهمًا. كان فقط يريد مناقشة إمكانية تلاوة الصلوات فى غرفة التعليمات قبل كل مهمة".

قال العريف ويتكومب: "حسنًا، لا تخبرنى"، ثم استدار وخرج مرة أخرى.

ساور رجل الدين شعور بشع. فمهما حاول جاهدًا مراعاة شعور العريف ويتكومب يبدو أنه يقوم دومًا بجرح مشاعره. حدق لأسفل فى ندم ورأى أن العامل الذى فرضه عليه المقدم كورن كى ينظف خيمته ويرتب أشياءه قد نسى تلميع حذائه ثانية.

عاد العريف ويتكومب مرة أخرى. انتحب بضراوة: "إنك لا تأتمننى قط على أية معلومات. إنك لا تثق برجالك. وهذا هو عيب آخر بك".

أكد له رجل الدين وهو يشعر بالذنب: "إننى أثق بك".

"إذن ماذا عن تلك الخطابات؟".

ناشده رجل الدين فى تذلل: "لا، ليس الآن. ليس الخطابات. من فضلك لا تثر هذا الموضوع مرة أخرى. سوف أخبرك إن قمت بتغيير رأيى".

بدا العريف ويتكومب غاضبًا وقال: "أهكذا؟ حسنًا، إنك لا تجد غضاضة فى أن تجلس هنا وتهز رأسك فى حين أقوم أنا بكل العمل. ألم تر هذا الرجل بالخارج ذا الروب المزركش بكل هذه الصور؟".

"هل جاء لرؤيتى؟".

قال العريف ويتكومب: "لا"، ثم خرج.

كان الجو حارًا ورطبًا داخل الخيمة وقد شعر رجل الدين بازدياد رطوبة جسمه. استرق السمع إلى سيل الأصوات المكتومة المتعذر تمييزها القادمة من الخارج، وبينما كان يجلس فى كسل على الطاولة المتقلقلة التى من المفترض لها أن تكون مكتبه كانت شفتاه مغلقتين وعيناه مشدوهتين ووجهه أصفر شاحبًا. ظل

ينقب فى ذاكرته عما فعل ليجعل العريف ويتكومب يعامله بهذه القسوة؛ فقد كان مقتنعاً إلى حد ما بأنه قد أساء إليه بشكل لا يغتفر. فكان يصعب تصديق أن مثل هذا الاستياء المزمن للعريف ويتكومب ينبع من رفضه للبانغو أو خطابات التعزية موحدة الصيغة التى يتم إرسالها إلى أسر القتلى. كان رجل الدين يشعر بالاكتئاب لارتكابه مثل هذه السلوكيات الحمقاء. عقد العزم منذ بضعة أسابيع أن ينخرط فى حوار من القلب مع العريف ويتكومب كى يكتشف ما الذى يثير حنقه ولكنه كان يشعر بالخزى بالفعل مما قد يكتشفه.

وفى خارج الخيمة، كان العريف ويتكومب يضحك ضحكة نصف مكبوتة، وقد ضحك الرجل الآخر بدوره. وطوال لحظات محفوفة بالخطر، ساور رجل الدين شعور غريب ومستتر بأنه قد عايش نفس هذا الموقف فى وقت سابق. حاول تعزيز هذا الشعور وتقييده كى يستطيع أن يتوقع ـ أو ربما حتى يتحكم فى ـ ما سيحدث لاحقًا، ولكن ذاب هذا الشعور دون أن يسفر عن شىء، كما علم مسبقًا أنه سيفعل. "*الرؤية المسبقة*". فالخلط المتكرر والبسيط بين الوهم والحقيقة، والذى كان يعد إحدى خصائص اعتلال الذاكرة، كان يبهر رجل الدين، وكان يعلم عددًا من الأمور بشأنه. فكان يعلم على سبيل المثال أنه يدعى اعتلال الذاكرة، كما أنه كان مولعًا كذلك بالظواهر البصرية اللازمة مثل "*الرؤية المنعدمة*" و "*الرؤية الوشيكة*"؛ فقد مرت عليه لحظات مرعبة ومفاجئة حينما أخذت الأشياء والمفاهيم وحتى الأشخاص الذين عاش معهم رجل الدين طوال حياته تقريبًا مظهرًا آخر غير مألوف وغير منتظم لم يسبق له رؤيته من قبل، ويجعلهم بالتالى مجهولين تمامًا بالنسبة له: *الرؤية المنعدمة*. كما مرت عليه لحظات أخرى أوشك أن يرى فيها حقيقة مطلقة بوضوح تام: *الرؤية الوشيكة*. وتلك اللحظة التى رأى بها الرجل العارى فى الشجرة فى جنازة سنودين أربكته تمامًا، فهى لم تكن رؤية مسبقة؛ حيث إنه فى ذلك الوقت لم يساوره شعور بأنه سبق له رؤية رجل عارٍ فى شجرة بجنازة سنودين. ولم تكن رؤية منعدمة، حيث إن الشبح لم يكن لشخصٍ أو لشىء مألوف ظهر له فى تنكر غير مألوف، ولم تكن بالتأكيد رؤية وشيكة لأن رجل الدين رآه بالفعل.

دار محرك سيارة جيب وزأرت متحركة بعيدًا. هل كان الرجل العارى فى الشجرة فى جنازة سنودين مجرد هلوسة؟ أم أنه كان إلهامًا حقيقيًا؟ ارتعد رجل الدين من الفكرة فى حد ذاتها. لقد أراد بشدة أن يفضى بهذا الأمر ليوساريان ولكن فى كل مرة يفكر فيها فى الحادثة كان يقرر ألا يفكر فيها بعد الآن، على الرغم من ذلك إلا أنه الآن وجد نفسه يفكر فيها بالفعل.

عاد العريف ويتكومب وهو يمشى الهوينى ويبتسم ابتسامة جديدة متكلفة

ومشرقة وأسند مرفقه بوقاحة على السارية المركزية بخيمة رجل الدين.

سأل فى خيلاء: "هل تعرف من كان هذا الرجل الذى يرتدى الروب الأحمر؟ إنه رجل استخبارات جنائية ذو أنف مكسور. لقد أتى إلى هنا من المستشفى فى مهمة رسمية. إنه يجرى تحقيقًا".

رفع رجل الدين عينيه سريعًا فى مواساة: "أتمنى ألا تكون واقعًا فى أية مشكلات. هل هناك ما يمكننى فعله؟".

أجاب العريف ويتكومب بابتسامة: "لا، لست أنا الواقع فى المشكلات بل أنت. إنهم سوف يتخذون إجراءات صارمة ضدك لقيامك بتوقيع اسم واشنطن إيرفنج على كل هذا الخطابات التى كنت توقع عليها اسم واشنطن إيرفنج. ما رأيك بهذا؟".

قال رجل الدين: "أنا لم أوقع اسم واشنطن إيرفنج على أية خطابات".

قال العريف ويتكومب: "إنك لست مضطرًا أن تكذب علىّ؛ فأنا لست الشخص الذى عليك إقناعه بذلك".

"ولكننى لا أكذب".

"لا أهتم إن كنت تكذب أم لا. ولسوف يقتصون منك كذلك لاعتراضك طريق رسائل الرائد ميجور. إن الكثير من هذه الرسائل تحوى معلومات سرية".

فسأل رجل الدين فى سخط متزايد: "أية رسائل؟ أنا لم يسبق لى رؤية أى من رسائل الرائد ميجور".

أجاب العريف ويتكومب: "ليس عليك أن تكذب علىَ؛ فأنا لست من عليك إقناعه بذلك".

اعترض رجل الدين: "ولكننى لست أكذب!".

أجاب العريف ويتكومب بنظرة تنم عن الجُرح: "لا أعرف لماذا تصيح علىَ بهذه الطريقة". ابتعد عن السارية المركزية وهزَ إصبعه أمام رجل الدين للتأكيد وهو يقول: "لقد أسديتك لتوى أكبر معروف يمكن أن يسديه لك أى شخص، وأنت حتى لا تدرك هذا؛ ففى كل مرة يحاول أن يرسل رسالة إلى رؤسائه ليبلغ عنك يقوم أحد الأشخاص بالمستشفى بشطب التفاصيل. وهو يحاول كالمعتوه منذ أسابيع تسليمك. وأنا قد قمت بوضع موافقة المراجع على خطابه دون حتى أن أقرأه. فذلك سوف يترك انطباعاً جيدًا بشأنك فى مقر رئاسة الاستخبارات الجنائية. فسوف يدعهم يعلمون أننا لسنا خائفين من أن تنكشف حقيقتك كاملة".

كان رجل الدين ساقطًا فى بئر من الحيرة: "ولكنك لست مخولاً بمراجعة الخطابات، أليس كذلك؟".

أجاب العريف ويتكومب: "بالطبع لا. إن الضباط فقط هم المخولون بالقيام

بذلك. لقد قمت بمراجعته تحت اسمك".

"ولكننى لست مخولاً كذلك بمراجعة الخطابات، أليس كذلك؟".

أكد له العريف ويتكومب قائلاً: "لقد أخذت هذا فى الاعتبار كذلك. لقد قمت بتوقيعه باسم شخص آخر".

"أليس ذلك تزويرًا؟".

"لا، لا تقلق بشأن هذا أيضًا. إن الشخص الوحيد الذى قد يواجه اتهامًا فى حالة التزوير هو الشخص الذى قمت بتزوير اسمه، وأنا اخترت اسم رجل ميت لأجل ذلك. لقد استخدمت اسم واشنطن إيرفنج". تفحص العريف ويتكومب وجه رجل الدين عن كثب بحثًا عن أى إمارة تنم عن الثورة ثم اقترب فى ثقة فى سخرية مستترة وقال: "لقد كان ذلك تصرفًا ذكيًا من قبلى، أليس كذلك؟".

قال رجل الدين بصوت مرتعد وهو يئن تحت وطأة شعورين متنافرين بالحزن وعدم الفهم: "لا أعرف. لا أعتقد أننى أفهم كل ما تقوله لى. كيف يتولد لديهم انطباع جيد بشأنى حينما تقوم بإمضاء اسم واشنطن إيرفنج بدلاً من اسمى؟".

"لأنهم مقتنعون بأنك واشنطن إيرفنج؟ ألا تفهم؟ سيعرفون أنك الفاعل!".

"ولكن أليس هذا هو الاعتقاد الذى نرغب فى محوه؟ ألن يساعد ذلك على إثبات التهمة على؟".

أعلن العريف ويتكومب فى سخط: "لو كنت أعرف أنك ستثير كل هذه الجلبة بشأن هذا الأمرما حاولت مساعدتك" ثم خرج. وبعد لحظة عاد مجدداً وأضاف: "لقد أسديتك لتوى أكبر معروف يمكن أن يسديه لك أى شخص وأنت حتى لا تدرك هذا. إنك لا تعرف كيف تظهر التقدير. إن هذا هو عيب آخر بك".

اعتذر رجل الدين فى ندم: "أنا آسف. أنا آسف حقًا. كل ما فى الأمر أننى أشعر بالذهول التام لما قلته لى ولا أدرك حتى ما أقول. أنا فعلاً ممتن لك للغاية".

سأل العريف ويتكومب على الفور: "إذن ماذا عن السماح لى بإرسال خطابات التعزية موحدة الصيغة تلك؟ هل يمكننى البدء بالعمل على المسودة؟".

سقط فك رجل الدين فى دهشة وقال: "لا، لا، ليس الآن".

شعر العريف ويتكومب بسخط شديد. أكد فى عنف: "أنا أفضل صديق لديك وأنت لا تدرك هذا حتى"، ثم غادر خيمة رجل الدين ثم عاد إلى الداخل وقال: "أنا آخذ صفك وأنت حتى لا تدرك هذا. ألا تدرك مدى خطورة المشكلة الواقع فيها؟ لقد هرع رجل الاستخبارات الجنائية عائدًا إلى المستشفى ليكتب تقريرًا جديدًا عن ثمرة الطماطم".

سأل رجل الدين وهو يطرف بعينيه: "أية ثمرة طماطم؟".

"ثمرة الطماطم التى كنت تخبئها فى يدك حينما وصلت إلى هنا. ها هى

الطماطم التى مازلت تمسك بها فى يدك اليمنى فى هذه اللحظة!".

فتح رجل الدين أصابعه فى دهشة ورأى أنه لا يزال يمسك بثمرة الطماطم التى أخذها من مكتب الكولونيل كاثكارت. وضعها سريعًا على الطاولة. قال وهو يشعر بالذهول لأن تفسيره بدا مضحكًا للغاية: "لقد حصلت على هذه الثمرة من الكولونيل كاثكارت. لقد أصر على أخذى لها".

قال العريف ويتكومب: "ليس عليك أن تكذب علىّ أنا لا أهتم إن كنت قد قمت بسرقتها أم لا".

سأل رجل الدين فى دهشة: "أسرقها؟ لماذا قد أرغب فى سرقة ثمرة طماطم أرجوانية؟".

قال العريف ويتكومب: "هذا بالتحديد ما جعلنى أنا وهو نشعر بالارتباك. وبعد ذلك تشكك رجل الاستخبارات الجنائية أنك ربما تخفى بعض الأوراق المهمة داخلها".

تهدل كتفا رجل الدين فى وهن أسفل حمل شعوره باليأس الذى كان فى حجم الجبال. قال ببساطة: "أنا لا أخفى أية أوراق سرية مهمة داخلها. أنا حتى لم أكن أريدها. ها هى، يمكنك أن تأخذها. خذها وتبين بنفسك".

"أنا لا أريدها".

استجداه رجل الدين فى صوت يكاد لا يكون مسموعًا: "من فضلك خذها. أريد التخلص منها".

قال العريف ويتكومب: "لا أريدها" ثم استدار ثانية وهو يرسم على وجهه تعبيرًا غاضبًا ويكتم ابتسامة سعادة غامرة لقيامه بتكوين تحالف جديد قوى مع رجل الاستخبارات الجنائية والنجاح ثانية فى إقناع رجل الدين بأنه كان مستاء حقًا.

إن ويتكومب مسكين حقًا، هكذا فكر رجل الدين وهو يتنهد وألقى اللوم على نفسه بسبب ضيق مساعده. جلس فى صمت فى حزن يشوبه التأمل والإحباط وهو ينتظر عودة العريف ويتكومب مرة أخرى. ولكنه شعر بالإحباط حينما سمع صوت انحسار وقع أقدام ويتكومب. لم يكن هناك ما يرغب فى القيام به بعد ذلك. وقد قرر أن يستبدل بغدائه فى هذا اليوم قطعتين من حلوى ميلكى واى وبيبى روث اللتين أخرجهما من درج مكتبه وبضع رشفات من الماء الفاتر من قربة مائه. وقد شعر بأنه محاط بضباب كثيف من الاحتمالات والذى لم يستطع أن يلمح بصيصًا من النور داخله. وقد شعر بالذعر مما قد يعتقده الكولونيل كاثكارت حينما يسمع خبر إجراء رجال الاستخبارات تحقيقًا بشأنه لتشككهم بأنه هو واشنطن إيرفنج، ثم سقط فى بئر أخرى من القلق بشأن ما قد يفكر فيه الكولونيل كاثكارت بالفعل

بشأنه لإثارته موضوع الستين مهمة. كان هناك الكثير من التعاسة بالعالم فكر وهو يخفض رأسه فى كآبة من وحشية الفكرة ـ ولم يكن هناك ما ي فعله لأى شخص، وخاصة لنفسه.

٢١
الجنرال دريدل

لم يكن الكولونيل كاثكارت يفكر على الإطلاق فى رجل الدين، ولكنه كان غارقًا فى مشكلة أخرى جديدة مزعجة خاصة به: *يوساريان*!

يوساريان! إن مجرد وقع هذا الاسم القبيح واللعين كان يجعل دمه يصبح باردًا فى عروقه ويجعل أنفاسه تتلاحق بسرعة. إن إتيان رجل الدين على ذكر هذا الاسم قد قرع داخل ذاكرته بقوة مثل جرس هائل الحجم؛ فبمجرد أن أغلق الباب، انهالت عليه الذكريات المخزية عن ذلك الرجل العارى داخل التشكيل مثل شلال كئيب من التفاصيل المؤلمة. بدأ يتصبب عرقًا ويرتعد. لقد كانت مصادفة مشئومة وغير واردة والتى كانت من الوحشية لدرجة لا يمكن أن يعتبرها معها سوى فأل سيئ حقيقى؛ فقد كان اسم الرجل الذى وقف عاريًا فى الصفوف فى ذلك اليوم ليتسلم ميدالية الطيران المتميز من الجنرال دريدل هو أيضًا *يوساريان*! والآن يوجد رجل يدعى يوساريان يهدد بافتعال مشكلات حول مسألة الستين مهمة التى أصدر أمرًا لتوه للرجال فى وحدته بتنفيذها. وقد تساءل الكولونيل كاثكارت إن كان ذلك هو يوساريان نفسه.

قفز ناهضًا على قدميه وكأنه قد حلت عليه كارثة وبدأ يتحرك داخل مكتبه. شعر بأنه محاط بشىء غامض، فقد تذكر فى حزن كيف كان الرجل العارى فى التشكيل مصدر خزى حقيقى بالنسبة له، وكذلك كانت مسألة التلاعب بخط القنابل قبل المهمة إلى بولونيا والتأخر مدة سبعة أيام فى تدمير الجسر فى فيرارا، على الرغم من أن تفجير الجسر فى النهاية ـ كما تذكر فى سعادة ـ كان يعد ريشة فى قبعته. ثم تذكر فى حزن مسألة فقدان طائرة هناك عند الدوران حول الهدف مرة أخرى، والتى كانت تعد مصدر خزى آخر بالنسبة له، ثم تذكر أنه كانت هناك ريشة أخرى فى قبعته وهى فوز المدفعى ـ والذى جلب له الخزى فى المقام الأول حينما ذهب إلى الهدف مرتين ـ بميدالية. وقد كان اسم هذا المدفعى ـ كما تذكر فجأة فى صدمة قوية أخرى ـ هو *يوساريان* كذلك! الآن يوجد *ثلاثة*! انتفخت عيناه اللزجتان دهشةً واستدار فى فزع ليرى ماذا كان يحدث خلفه. منذ لحظة مضت لم يكن هناك أى يوساريان فى حياته؛ أما الآن فقد أصبح يتكاثر مثل العفريت. حاول تهدئة نفسه. إن يوساريان ليس اسمًا شائعًا؛ لذا ربما لا يوجد فى

الواقع ثلاثة يوساريان وإنما اثنان، أو ربما حتى واحد يوساريان - *ولكن ذلك لا يشكل فارقًا كبيرًا!* فالكولونيل كان لا يزال فى خطر محدق؛ فقد حذره حدسه أنه يقترب من خطر هائل، وقد انتشر الشعور بالوخز فى جسده العريض والضخم بدءًا من رأسه وحتى أصابع قدميه حينما فكر أن يوساريان هذا - بغض النظر عن ماهيته الحقيقية - ربما يكون لعنة سُلطت عليه.

لم يكن الكولونيل كاتكارت يؤمن بالخرافات، ولكنه كان يؤمن بالفأل السيئ، وقد جلس مجددًا خلف مكتبه وكتب ملحوظة موجزة على مذكرته لفحص مسألة يوساريان هذا برمتها على الفور، وقد كتب هذه الملحوظة التذكيرية بخط عريض وواثق وعززها بحدة بمجموعة من علامات الترقيم ووضع تحت الملحوظة بأكملها خطين لتصبح على هذا الشكل:

<u>يوساريان!!!! (؟)!</u>

اتكأ الكولونيل للخلف حينما انتهى وكان راضيًا عن نفسه للغاية من أجل الإجراء الفورى الذى اتخذه لتوه لمواجهة هذه الأزمة المشئومة. *يوساريان* - إن شكل الاسم فى حد ذاته جعله يرتعد. كان الاسم يذكره بكثير من المعانى القبيحة، ولقد كان الاسم قد أثار فى داخله ذكرى لكلمات مثل تحريض ومكر اجتماعى وتشكك وفاشى وشيوعى. كان اسمًا كريهًا غريبًا بغيضًا، اسمًا لا يعطى انطباعًا أن صاحبه أهل ثقة. إنه لم يكن يشبه على الإطلاق تلك الأسماء الأمريكية الطاهرة النقية مثل كاتكارت وبيكام ودريدل.

نهض الكولونيل كاتكارت ببطء وبدأ يدور فى مكتبه ثانية. وعن دون وعى تقريبًا أخذ ثمرة طماطم من أعلى أحد الصناديق وقضمها بشره. انبعجت ملامح وجهه دليلاً على الاشمئزاز على الفور وألقى بما تبقى من الثمرة فى سلة المهملات. إن الكولونيل لم يكن يحب الطماطم الأرجوانية؛ حتى حينما تكون ملكه، وتلك لم تكن ملكه؛ فقد قام بشراء هذه الكمية من أسواق مختلفة فى بيانوسا المقدم كورن متخفيًا فى هويات مختلفة، ثم تم نقلها إلى منزل الكولونيل الريفى فى التلال فى سكون الليل ثم إلى مقر رئاسة الوحدة العسكرية فى صباح اليوم التالى لبيعها لمايلو والذى دفع للكولونيل كاتكارت والمقدم كورن بسخاء لقاءها. وكثيرًا ما تساءل الكولونيل كاتكارت إن كانت تجارتهما للطماطم الأرجوانية قانونية، ولكن المقدم كورن قال إنها قانونية؛ لذا فقد حاول ألا يفكر فى هذا الأمر كثيرًا. ولم تكن هناك وسيلة ليعرف إن كان المنزل فى التلال قانونيًا أم لا أيضًا، بما أن المقدم كورن هو من قام بجميع الإجراءات؛ فلم يكن الكولونيل كاتكارت يعلم إن كان هذا المنزل تمليكًا

أم إيجارًا، أو ممن حصل عليه أو ما ثمنه. فقد كان المقدم كورن هو محاميه، وإن قام المقدم كورن بالتأكيد له أن الاحتيال والابتزاز والتلاعب بالأموال والاختلاس والتهرب الضريبى هى أمور قانونية، فلا يستطيع الكولونيل كاثكارت جداله فى ذلك أو الاختلاف معه.

فكل ما كان يعلمه الكولونيل كاثكارت عن منزله فى التلال هو أن لديه هذا المنزل وأنه يكرهه؛ فهو لا يشعر بالملل قط إلا حينما يذهب إلى هناك لتمضية اليومين أو الثلاثة أيام كل أسبوعين والضرورية لتعزيز الوهم القائل بأن منزله الريفى الرطب المنعزل فى التلال هذا كان قصرًا ذهبياً للملذات الجسدية. كانت نوادى الضباط فى كل مكان مذهلة ومبهجة وتوفر لهم الفرصة لقضاء ليال سرية حميمية مع أجمل الفتيات الإيطاليات والممثلات وعارضات الأزياء والدوقات، ولكن لم يكن هناك وجود لمثل تلك الليالى من النشوة والعربدة فى هذا المنزل. ربما كان سيصبح لها وجود لو أن أياً من الجنرال دريدل أو الجنرال بيكام قد أظهر اهتمامًا بالاشتراك فى العربدة معه، ولكنهما لم يفعلا، والكولونيل بالطبع لم يكن ليهدر وقته مع النساء الجميلات إلا إن كان فى ذلك نفع له.

لقد مقت الكولونيل الليالى الوحيدة الرطبة التى كان يقضيها بهذا المنزل الريفى وأوقات النهار المملة الخالية من الأحداث. لقد كان يستمتع بوقته أكثر فى الوحدة العسكرية: حيث يصيح فى كل من لا يخاف منه. ومع ذلك، وكما ظل يذكره المقدم كورن، فأين ستصبح العظمة فى امتلاك منزل ريفى فى التلال إن لم يستخدمه قط. كان يقود سيارته إلى هذا المنزل الريفى وهو يشعر بالرثاء على ذاته. كان يحمل بندقية صيد فى سيارته الجيب ويمضى الساعات المملة هناك فى التصويب على الطيور وعلى ثمار الطماطم الأرجوانية التى تنمو هناك فى صفوف غير منتظمة والتى كان حصادها يشكل عبئًا كبيرًا.

ومن بين الضباط ذوى الرتب الأقل والذين حرص الكولونيل كاثكارت على معاملتهم باحترام هو الرائد دى كوفرلى، على الرغم من أنه لم يكن يرغب فى ذلك ولم يكن واثقًا لم يفعل هذا. لقد كان الرائد دى كوفرلى بمثابة لغز كبير له تمامًا كما كان لغزًا كبيرًا للرائد ميجور وكل شخص آخر. والكولونيل كاثكارت لم يعرف إن كان عليه تبجيل الرائد دى كوفرلى أم عدم المبالاة به. لقد كان الرائد دى كوفرلى مجرد رائد على الرغم من أنه كان أكبر من الكولونيل كاثكارت بسنوات عدة؛ وفى الوقت ذاته فإن الكثير من الأشخاص الآخرين كانوا يعاملون الرائد دى كوفرلى بتبجيل عميق وخوف كبير مما جعل الكولونيل كاثكارت يشك فى أنهم ربما يعرفون شيئًا لا يعرفه هو. لقد كان الرائد دى كوفرلى شخصًا يتعذر فهمه والذى كان يشعره بالتوتر وحتى المقدم كورن كان يتوخى الحذر منه. كان الجميع يخشونه

ولا أحد يعلم لماذا. لم يكن هناك من يعرف حتى اسم الرائد دى كوفرلى الأول لأن ما من أحد كان يمتلك الجرأة ليطرح عليه هذا السؤال. كان الكولونيل كاثكارت يعلم أن الرائد دى كوفرلى متغيب، وقد شعر بالبهجة لذلك حتى خطر فى باله أن الرائد دى كوفرلى ربما يكون فى مكان ما يدبر المكائد ضده، وفى ذلك الحين تمنى أن يعود الرائد دى كوفرلى لسريته؛ حيث ينتمى وحيث يمكنه مراقبته.

وبعد برهة بدأت قدما الكولونيل كاثكارت تؤلماه نتيجة المشى جيئة وذهابًا. جلس خلف مكتبه مرة أخرى وقرر إجراء تقييم ناضج ومنهجى للموقف العسكرى برمته. وبطريقة رجل أعمال يعرف كيف يدير شئونه وينجز الأمور أخرج ورقة كبيرة ثم قام بسحب خط فى منتصفها قاسمًا إياها قسمين فارغين متساويى العرض. انتظر لحظة فى تأمل نقدى. بعد ذلك جثم فوق مكتبه وفى رأس العمود الأيمن وبخط يصعب قراءته كتب "*مصادر الخزى!!!!*" . وفى رأس العمود الأيسر كتب "*الريش فى قبعتى!!!!!!!*" . اتكأ للخلف مرة أخرى لينظر إلى مخططه فى إعجاب نظرة موضوعية. وبعد بضع لحظات من التروى لعق طرف قلمه الرصاص وكتب أسفل "*مصادر الخزى!!!!*" بعد برهة:

فيرارا
بولونيا (تحريك خط القنابل على الخريطة)
ميدان الرمى
رجل عارٍ فى التشكيل (بعد الأفنيون)

ثم أضاف:

تسمم الطعام (أثناء بولونيا)

و

الأنين (أثناء إعطاء التعليمات لمهمة الأفنيون)

ثم أضاف:

رجل الدين (يتجول كل ليلة فى نادى الضباط)

قرر أن يكون خيراً مع رجل الدين حتى على الرغم من أنه لم يكن يحبه. لذا فتحت عنوان "الريش فى قبعتى!!!!!" كتب:

رجل الدين (يتجول كل ليلة فى نادى الضباط).

وهكذا قامت المادتان الخاصتان برجل الدين بمحايدة بعضهما البعض. وإلى جوار "فيرارا" و "الرجل العارى فى التشكيل (*بعد الأفنيون*)" كتب بعد ذلك:

يوساريان!

وإلى جوار *"بولونيا* (*تحريك خط القنابل على الخريطة*)" *"تسمم الغذاء،* (*أثناء بولونيا*)" و *"الأنين* (*أثناء إعطاء التعليمات لمهمة الأفنيون*) "كتب بخط واضح:

؟

وهذه البنود التى وضع إلى جوارها "؟" كانت تلك التى أراد التحقيق فيها على الفور ليحدد إن كان يوساريان قد لعب دورًا بها أم لا.

وفجأة بدأت ذراعه ترتعد ولم يعد فى إمكانه كتابة أى شىء آخر. نهض فى ذعر وهو يشعر بالحر والبدانة وهرع إلى النافذة المفتوحة لتنفس هواء نقى. وقد وقعت عيناه على ميدان الرمى، فتقهقر للوراء وهو يصرخ صرخة يأس حادة ثم جابت عيناه الجامحتان جدران مكتبه فى جنون وكأنها كانت تعج بالعديد من الأشخاص الذين يدعون يوساريان.

لم يكن هناك من يحبه؛ فالجنرال دريدل كان يمقته، على الرغم من أن الجنرال بيكام كان يحبه، إلا أنه ليس واثقًا من هذا بما أن الكولونيل كارجيل - مساعد الجنرال بيكام - لديه بدون شك طموحات خاصة به وكان على الأرجح يستغل كل فرصة لتشويه مظهره لدى الجنرال بيكام. لقد كان يؤمن بأنه لا يوجد كولونيل صالح سواه، وقد كان الكولونيل الوحيد الذى يثق به هو الكولونيل مودس، وحتى هو قد يكون مقربًا من والد زوجته. لقد كان مايلو بدون شك بمثابة ريشة فى قبعته على الرغم من أن قيام طائرات مايلو بقصف وحدته كان مصدرًا للخزى الشنيع بالنسبة له، حتى على الرغم من قيام مايلو فى النهاية بتسكين كل الجلبة التى أثيرت حول ذلك بالكشف عن هامش الربح الهائل الذى حققته النقابة

من الصفقة التى أبرمتها مع العدو وإقناع الجميع بأن قصفه لزملائه وطائرات وحدته كان بالتالى عملاً جديرًا بالثناء ومربحاً على صعيد العمل الحر. ولكن الكولونيل لم يكن يثق فى مايلو لأن الكولونيلات الآخرين كانوا يحاولون إغواءه، والكولونيل كاثكارت كان لا يزال لديه هذا القذر الضخم المدعو المقدم وايت هلفوت فى وحدته والذى يدعى هذا القذر الكسول النقيب بلاك أنه الشخص المسئول فى الحقيقة عن تحريك خط القنابل أثناء حصار بولونيا العظيم. وقد كان الكولونيل كاثكارت يحب المقدم وايت هلفوت لأن المقدم وايت هلفوت كان يلكم دائمًا هذا القذر المدعو الكولونيل مودس فى أنفه فى كل مرة يثمل فيها ويكون الكولونيل مودس على مقربة منه، وقد تمنى أن يشرع المقدم وايت هلفوت فى لكم المقدم كورن فى وجهه البدين كذلك؛ فقد كان المقدم كورن شخصًا ذكيًا قذرًا. وقد كان هناك شخص ما فى مقر رئاسة القوات الجوية السابعة والعشرين يضطهده ويرسل ثانية كل تقرير يكتبه بعدما يضيف إليه توبيخًا لاذعًا، وقد قام المقدم كورن برشوة موظف بريد بارع هناك يدعى ونترجرين ليحاول اكتشاف من هو هذا الشخص. كان عليه الاعتراف بأن فقدان هذه الطائرة بعد الدوران ثانية فوق الهدف بمهمة فيرارا لم يُسْده أى نفع وكذلك اختفاء تلك الطائرة الأخرى داخل هذه السحابة - وهو بند *لم يَقم حتى بتدوينه*! حاول أن يتذكر إن كان يوساريان قد فُقدَ كذلك بهذه الطائرة التى فُقدَت داخل السحابة، ثم أدرك أنه لا يمكن أن يكون يوساريان قد فُقدَ فى هذه الطائرة التى فُقدَت فى السحابة إن كان لا يزال يثير جلبة بشأن اضطراره للخروج فى خمس مهام جوية أخرى.

ربما تكون ستون مهمة عددًا مبالغًا فيه من المهام بالنسبة للرجال - هكذا فكر الكولونيل كاثكارت - طالما أن يوساريان قام بالاعتراض على تنفيذها، ولكنه تذكر فى ذلك الحين أن إجبار رجاله على تنفيذ مهام أكثر من تلك التى ينفذها كل شخص آخر كان أكبر إنجاز قام به. فكما كان المقدم كورن يقول دائمًا فالحرب كانت تعج بالقادة العسكريين الذين كانوا يؤدون واجبهم فقط، وقد تطلب الأمر مبادرة جريئة مثل إرغام وحدته على تنفيذ عدد أكبر من المهام يفوق ذلك الذى تنفذه أى وحدة قصف أخرى لكى يبرز مواهبه المتفردة فى القيادة. وبالتأكيد لم يبد أن أى أحد من الجنرالات يعترض على ما يفعله، على الرغم من أنهم - على حد علمه - لم يكونوا مبهورين بما يفعله كذلك؛ الأمر الذى جعله يعتقد أنه ربما لا تكون ستون مهمة كافية وأنه ينبغى عليه رفع عدد المهام إلى سبعين أو ثمانين أو مائة أو حتى مائتين أو ثلاثمائة أو ستة آلاف!

ومما لا شك فيه أن حاله تحت قيادة شخص دمث ولطيف مثل الجنرال بيكام سيكون أفضل كثيرًا منه تحت قيادة شخص جلف وغير حساس مثل الجنرال

دريدل؛ وذلك لأن الجنرال بيكام كان يتمتع بالبصيرة والذكاء والخلفية الثقافية التى تجعله يقدر الكولونيل كاثكارت ويستمتع بصحبته، على الرغم من أن الجنرال بيكام لم يلمح بأى طريقة من الطرق من قبل أنه يقدره أو يستمتع بصحبته. بيد أن الكولونيل كاثكارت كان حاد الملاحظة بما فيه الكفاية ليدرك أن الإشارات والتلميحات الجلية ليست ضرورية على الإطلاق بين الأشخاص المحنكين والواثقين من أنفسهم مثله ومثل الجنرال بيكام اللذين بإمكانهما التواصل مع بعضهما البعض عن بعد. لقد كان كافيًا أن كليهما كان من نفس النمط، وقد كان يعلم أن كل ما عليه فعله هو الانتظار حتى الوقت المناسب لنيل الأفضلية، على الرغم من أن ثقة الكولونيل كاثكارت بنفسه قد تزعزعت حينما لاحظ أن الجنرال بيكام لم يلجأ إليه قط وأنه لم يبذل جهدًا ليبهر الكولونيل بحكمته ومعرفته الواسعة أكثر من ذلك الذى يبذله لإبهار أى شخص آخر، حتى المجندين. لذا فإما أن الكولونيل كاثكارت لا يستطيع أن ينفذ إلى الجنرال بيكام، أو أن الجنرال بيكام لم يكن يمتلك الشخصية الفذة الذكية التى يتظاهر أنه يمتلكها، وأن الجنرال دريدل هو الذى كان شخصًا حساسًا ورائعًا وذكيًا ومحنكًا والذى سيكون أفضل حالاً تحت قيادته؛ وفجأة لم يعد بإمكان الكولونيل كاثكارت أن يحدد صف من يأخذ وشرع يضرب على زر الاستدعاء بقبضته كى يحضر المقدم كورن مسرعًا إلى مكتبه ليؤكد له أن الجميع يحبونه، وأن يوساريان هذا كان مجرد شىء اختلقه خياله وأنه يحقق تقدمًا مذهلاً فى الحملة الهائلة الشجاعة التى يخوضها ليصبح جنرالاً.

فى الواقع لم يكن أمام الكولونيل كاثكارت أى فرصة ليصبح جنرالاً؛ فأولاً كان هناك ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق والذى كان يسعى كذلك إلى أن يصبح جنرالاً ويقوم دومًا بتشويه أو تدمير أو رفض أو تضييع أية رسائل موجهة من أو مرسلة إلى أو تدور حول الكولونيل كاثكارت والتى قد تسديه أى نفع. وثانيًا كان هناك بالفعل جنرال - الجنرال دريدل - والذى كان يعلم أن الجنرال بيكام كان يطمح أن يحل محله، ولكنه لم يعرف كيف يوقفه.

وقد كان الجنرال دريدل - قائد الجناح - رجلاً قصيرًا مكتنزًا ذا صدر عريض فى أوائل الخمسينات. كان أنفه جاثمًا وأحمر، وكان شعره أبيض، وكان ذا رموش معقوفة تحوط عينيه الصغيرتين الرماديتين، وقد كانت لديه ممرضة وزوج ابنة، وكان ينخرط فى نوبات طويلة من الصمت الحالم حينما لا يفرط كثيرًا فى الشراب. وقد أهدر الجنرال دريدل الكثير من وقته فى الجيش ليتقن وظيفته، والآن فات الأوان؛ فقد اندمجت قوى جديدة مع بعضها البعض واستبعدته تلك القوى التى لم يستطع التأقلم معها. وفى الأوقات التى يكون فيها وحده ترتسم فوق وجهه الصلب الكئيب نظرة معتمة تنم عن الهزيمة والإحباط، وقد كان الجنرال

دريدل يفرط فى الشراب. وكانت حالته المزاجية استبدادية ويصعب التكهن بها. "إن الحرب هى الجحيم". هكذا كان يعلن سواء كان ثملاً أو يقظًا وكان يعنى هذا حقًا، على الرغم من أن ذلك لم يمنعه من التربح منها أو يمنعه من تعيين زوج ابنته كمساعد له، حتى على الرغم من أن الاثنين يتشاحنان طوال الوقت.

فكان الجنرال دريدل يشكو من زوج ابنته بنبرة ازدرائية لكل من يتصادف وجوده إلى جواره بملهى نادى الضباط قائلاً: "هذا الوغد! إن كل شىء حصل عليه كان بفضلى أنا. أنا من قمت بصنع هذا الوغد الحقير! فهو لا يملك من الذكاء ما يؤهله لشق طريقه وحده فى الحياة".

وكان الكولونيل مودس يجيب بعبوس قائلاً لجمهوره الخاص بالجانب الآخر من الملهى: "إنه يظن أنه يعرف كل شىء. إنه لا يتقبل النقد ولا يستمع إلى النصيحة".

وكان الجنرال دريدل يقول بنبرة مزعجة: "كل ما يستطيع فعله هو إسداء النصح. فلولاى لكان مازال عريفًا".

وقد كان يصاحب الجنرال دريدل دومًا كل من الكولونيل مودس وممرضته، والتى كانت شخصية مرحة ومبهجة للغاية، وقد كانت ممرضة الجنرال دريدل بدينة قصيرة شقراء. وكانت لها وجنتان بدينتان بهما غمازتان وكانت عيناها زرقاوين سعيدتين، وذات شعر مموج مرفوع لأعلى. كانت تبتسم للجميع ولكنها لا تتحدث قط مع أحد إلا حينما يتحدث إليها أولاً. كانت بشرتها جميلة وكانت لا تقاوم، وكان الرجال يبتعدون عنها فى حرص. كانت مفعمة بالحيوية ولطيفة وسهلة الانقياد وغبية وكانت تثير جنون الجميع فيما عدا الجنرال دريدل.

ضحك الجنرال دريدل أثناء وقوف ممرضته مبتسمة بفخر إلى جوار كتفه: "أنها جميلة حقًا. وهى تمتلك زيًا مصنوعًا من الحرير الأرجوانى والذى يبرز مفاتنها. وكان مايلو هو من اشترى لى القماش. وأنا أجعلها ترتديه فى الليالى التى يتواجد فيها مودس فقط لإثارة جنونه". ضحك الجنرال دريدل وأضاف فى سعادة: "إنها تثير غرائزه حقًا. وفى اللحظة التى سأضبطه بها يحاول التقرب إليها أو إلى امرأة أخرى سوف أنزل من رتبة هذا الوغد إلى جندى وأجعله ضابط مطبخ لمدة عام".

قال الكولونيل مودس متحدثًا عن الكولونيل دريدل بالجانب الآخر من الملهى: "لقد قام بتعيينها ليثير جنونى؛ فهى تمتلك زيًا مصنوعًا من الحرير الأرجوانى والذى يبرز مفاتنها. وأنا أعرف أنه فى اللحظة التى سأحاول التقرب منها أو من أى امرأة أخرى سوف ينزل رتبتى على الفور إلى جندى ويجعلنى ضابط مطبخ لمدة عام. إنها تثير جنونى حقًا".

قال الجنرال دريدل بعدما انخرطت رأسه الرمادية المربعة فى ضحك سادى للفكرة الشيطانية التى تجوب داخلها: "إنه بعيد عن زوجته منذ أن سافرنا عبر البحار. وهذا هو أحد الأسباب التى تجعلنى لا أبعده عن ناظرىَ، حتى لا يستطيع التقرب من أى امرأة. هل يمكنكم أن تتخيلوا ما يمر به هذا الوغد المسكين؟".

قال الكولونيل مودس والدموع تترقرق فى عينيه: "أنا بعيد عن زوجتى منذ أن سافرنا عبر البحار. هل يمكنكم أن تتخيلوا ما أمر به؟".

كان الجنرال دريدل يعامل أى شخص آخر بنفس العند والصلابة اللذين يعامل بهما الكولونيل مودس حينما يكون مستاء؛ فهو لا يقبل الرياء أو اللباقة أو الخيلاء، وكان مبدؤه كجندى محترف واحداً ومختصراً: كان يؤمن بأن الشباب الذين يتلقون أوامر منه لابد أن يكونوا على أهبة الاستعداد للتضحية بحياتهم من أجل أفكار وطموحات الرجال العجائز الذين يأخذ أوامره منهم؛ فالضباط والمجندون تحت إمرته كانوا بالنسبة له مجرد كيانات عسكرية. وكل ما كان يطلبه هو أن يقوموا بعملهم؛ وفيما عدا ذلك كانوا يتمتعون بالحرية المطلقة لفعل ما يحلو لهم. كانوا أحراراً ـ كما كان الكولونيل كاثكارت حرًا ليرغم رجاله على تنفيذ ستين مهمة إن أرادوا ذلك، وكانوا أحرارًا مثلما كان يوساريان حرًا ليقف فى التشكيل عاريًا إن أرادوا ذلك، على الرغم من أن فك الجنرال دريدل الثابت والعنيد قد سقط دهشة حينما رأى هذا المشهد وذهب مسرعًا فى ديكتاتورية إلى الصف ليتأكد من أنه كان يوجد حقًا رجل لا يرتدى شيئاً سوى حذاء لا كعب له ويقف انتباهًا فى الصفوف ليتلقى ميدالية منه. كان الجنرال دريدل عاجزًا عن الكلام، وقد بدأ الكولونيل كاثكارت يشعر بالدوار حينما رأى يوساريان، أما المقدم كورن فقد استدار حوله وأمسك بذراعه بشدة. كان الصمت الذى يسود المكان هائلاً. هبت ريح دافئة منتظمة من الشاطئ وظهرت بمرمى البصر عربة قديمة ممتلئة بالقش القذر على الطريق الرئيسى والتى كان يجرها حمار أسود ويقودها فلاح يرتدى قبعة تقفز فوق رأسه وملابس عمل بنية رثة والذى لم ينتبه على الإطلاق للاحتفال العسكرى الرسمى القائم بالحقل الصغير على يمينه.

وفى النهاية تحدث الجنرال دريدل. ربت فوق كتف المرضة والتى كانت قد جاءت معه إلى هذا المكان وقال لها: "عودى إلى السيارة". ذهبت المرضة وهى تبتسم إلى سيارته البنية المصفوفة على بعد حوالى عشرين ياردة من حافة الأرض مقطوعة الأشجار المستطيلة. انتظر الجنرال دريدل فى صمت قاسٍ حتى دخلت المرضة السيارة ثم قال: "من هذا؟".

تفقد الكولونيل مودس قائمة أسماء الضباط ثم قال: "هذا هو يوساريان يا أبى. من المفترض أن يحصل على ميدالية التميز فى الطيران".

تمتم الجنرال دريدل بينما ارتسم تعبير يدل على البهجة على وجهه المتورد الحجرى: "حسنًا، اللعنة. لماذا لا ترتدى أية ملابس يا يوساريان؟".

"لا أريد ذلك".

"ماذا تعنى بأنك لا تريد ذلك؟ لماذا لا تريد ذلك؟".

"أنا فقط لا أريد ذلك يا سيدى".

سأل الجنرال دريدل الكولونيل كاثكارت دون أن يلتفت إليه: "لماذا لا يرتدى ملابس؟".

همس المقدم كورن فوق كتف الكولونيل كاثكارت من الخلف وهو يدس مرفقه بحدة فى ظهر الكولونيل كاثكارت: "إنه يتحدث إليك".

سأل الكولونيل كاثكارت المقدم كورن فى ألم حاد وهو يربت برفق على المكان الذى لكزه فيه المقدم كورن لتوه: "لماذا لا يرتدى أية ملابس؟".

سأل المقدم كورن النقيب بيلشارد والنقيب رين: "لماذا لا يرتدى أية ملابس؟".

أجاب النقيب رين: "إن رجلاً لقى مصرعه فى طائرته فوق الأفنيون بالأسبوع الماضى ونزف على ملابسه بأكملها، وقد أقسم أنه لن يرتدى زيًا نظاميًا مطلقًا قط".

قال النقيب كورن مباشرة للجنرال دريدل: "لقى رجل مصرعه فى طائرته فوق الأفنيون ونزف فوق ملابسه بأكملها. ولم تأت ملابسه من المغسلة بعد".

"أين ملابسه النظامية الأخرى؟".

"إنها فى المغسلة كذلك".

سأل الجنرال دريدل: "ماذا عن ملابسه الداخلية؟".

أجاب المقدم كورن: "كل ملابسه الداخلية فى المغسلة كذلك".

قال الجنرال دريدل: "إن هذا يبدو محض هراء بالنسبة لى".

قال يوساريان: "إن ذلك محض هراء يا سيدى".

وعد الكولونيل كاثكارت الجنرال دريدل وهو يرمق يوساريان بنظرة تهديد: "لا تقلق يا سيدى. أعدك شخصيًا بأنه سينال عقابًا شديدًا".

أجاب الجنرال دريدل فى دهشة وسخط: "ولماذا قد أهتم أنا إن تمت معاقبته أم لا؟ لقد فاز لتوه بميدالية. وإن كان يرغب فى تلقيها دون أن يرتدى ملابس ما دخلك أنت بهذا؟".

قال الكولونيل كاثكارت بحماسة بالغة وهو يمسح حاجبه بمنديل أبيض رطب: "هذا هو رأيى كذلك يا سيدى! ولكن ماذا عن المذكرة التى أصدرها الجنرال بيكام مؤخرًا بخصوص موضوع ارتداء زى عسكرى لائق فى الأماكن العسكرية؟".

تعكر وجه الجنرال دريدل: "بيكام؟".

قال الكولونيل كاثكارت فى خنوع: "نعم، نعم يا سيدى. إن الجنرال بيكام يوصى حتى بأن نرسل رجالنا للمعارك وهم يرتدون حُللاً نظامية كاملة حتى يتركوا انطباعًا جيداً على العدو حينما يقتلهم".

كرر الجنرال دريدل وهو لا يزال مندهشًا: "بيكام؟ وما دخل بيكام بهذا الأمر؟".

لكز المقدم كورن الكولونيل كاثكارت بحدة مرة أخرى فى ظهره بمرفقه.

أجاب الكولونيل كاثكارت بلباقة وهو يتألم بشدة ويفرك المكان الذى لكزه به المقدم كورن مرة أخرى: "لا دخل له على الإطلاق يا سيدى! وهذا هو السبب الذى جعلنى أقرر عدم اتخاذ أى إجراء بهذا الشأن حتى نتناقش أنا وأنت أولا حوله. هل يجب علينا تجاهل هذا الأمر تمامًا يا سيدى؟".

تجاهله الجنرال دريدل تمامًا واستدار بعيدًا عنه فى ازدراء ليسلم يوساريان ميداليته داخل عبوتها.

أمر الكولونيل مودس فى عصبية: "اجلب لى فتاتى من السيارة"، ووقف منتظرًا فى مكانه وهو يحدق بوجهه العابس لأسفل حتى عادت إليه ممرضته مرة أخرى.

همس الكولونيل كاثكارت فى أذن المقدم كورن وهو يتحدث من جانب فمه: "أرسل إلى المكتب على الفور واطلب منهم إلغاء الأمر الذى أصدرته لتوى بارتداء الرجال رابطات عنق فى المهام العسكرية".

ضحك المقدم كورن ضحكة نصف مكبوتة: "لقد نصحتك بعدم القيام بذلك، ولكنك لم تنصت لى".

حذره الكولونيل كاثكارت: "صه! اللعنة يا كورن، ما الذى تفعله بظهرى؟".

ضحك المقدم كورن ثانية.

كانت ممرضة الجنرال دريدل تتبع الجنرال دريدل فى كل مكان يذهب إليه؛ حتى فى غرفة التعليمات قبل المهمة إلى الأفنيون؛ حيث وقفت تبتسم ابتسامتها البلهاء فى جانب المنصة وهى تشرق مثل البحيرة الخصبة عند كتف الجنرال دريدل وترتدى زيها الوردى والأخضر. نظر إليها يوساريان ووقع فى حبها على الفور. انخفضت معنوياته وأصبح مفرغًا من الداخل ومخدر الحس. جلس يحدق إلى شفتيها الحمراوين الرطبتين والغمازتين بوجنتيها بينما يستمع للرائد دانبى وهو يصف فى نبرة ذكورية رتيبة مراكز المدفعية المضادة للطائرات الكثيفة التى تنتظرهم فى الأفنيون، وقام بالأنين فى يأس عميق فجأة حينما فكر أنه ربما لن يرى هذه المرأة اللطيفة ثانية، والتى لم يسبق له التحدث إليها بكلمة واحدة، والتى الآن يحبها حبًا عميقًا. ارتجف وتألم حزنًا وخوفًا ورغبةً بينما كان يحدق إليها

لقد كانت جميلة للغاية. لقد هام بها عشقًا. لعق شفتيه الجافتين بلسان لزج وقام بالأنين فى بؤس مرة أخرى وبصوت عالٍ بما فيه الكفاية فى هذه المرة ليجذب انتباه الرجال الجالسين حوله على المقاعد الخشبية غير المصقولة والذين يرتدون المآزر البنية الداكنة وأطقم الباراشوتات البيضاء المطرزة.

استدار نحوه ناتلى سريعًا فى ذعر. همس قائلاً: "ما حدث؟ ما الأمر؟".

لم يسمعه يوساريان. فقد كان يتألم بشدة من داخله. واصل التفكير فى ممرضة الجنرال دريدل وهو يتفحصها من رأسها وحتى إصبع قدمها المطلى بطلاء الأظافر، وشعر بأنه لا يرغب فى فقدها مطلقًا. قام بالأنين مجددًا، وفى هذه المرة رددت حوائط الحجرة أنينه المؤلم. اندلعت موجة من التململ فى صفوف الضباط بالمنصة، وحتى الرائد دانبى - والذى كان قد بدأ عملية ضبط الساعات - تشتت انتباهه للحظة وكاد يبدأ العد ثانية. تتبع ناتلى مصدر تحديق يوساريان فى قاعة الاستماع الطويلة حتى وقعت عيناه على ممرضة الجنرال دريدل. شعر بالذعر حينما خمن ما يؤرق يوساريان.

حذره ناتلى هامسًا: "كف عن ذلك، حسنًا؟".

قام يوساريان بالأنين للمرة الرابعة ولكن فى هذه المرة بصوت أعلى حتى إن جميع من يجلس بعيدًا سمعه.

همس ناتلى فى سخط: "هل أنت مجنون؟ سوف تقع فى مشكلة".

رد دونبار على يوساريان من الطرف المقابل من الحجرة.

تعرف ناتلى على صوت دونبار، لقد خرج الآن الموقف من السيطرة؛ مما جعله يشيح بوجهه وهو يئن بشكل مختصر: "أوووه".

رد عليه دونبار: "أووووووووووووووووووه".

قام ناتلى بالأنين فى سخط حينما أدرك أنه تأوه لتوه: "أوووووووووووووه".

رد عليه دونبار مجدداً "أوووووووووووووووووووه".

قام شخص جديد تمامًا يجلس فى مكان آخر من الغرفة بالأنين على نحو إيقاعى: "أوووووووووووووه"؛ مما جعل شعر ناتلى يقف فزعًا.

رد كل من يوساريان ودونبار الأنين فى حين ارتعد ناتلى خوفًا وفتش حوله من دون طائل عن حفرة ما كى يختبئ بها ويأخذ يوساريان معه. كان نثاراً متفرقاً من الناس يكبحون الضحك. تملك الذعر من ناتلى وقام بالأنين عن قصد بمجرد أن ساد الهدوء المكان. رد عليه صوت آخر جديد. وقد كان مذاق عدم الطاعة لذيذًا؛ فقام ناتلى بالأنين مرة أخرى عن قصد فى المرة التالية التى أتيحت له الفرصة لذلك. وقد رد عليه صوت جديد آخر، وسرعان ما بدأت الغرفة تعج بالهرج والمرج وعلا صوت الضجيج. انطلقت الأقدام بسرعة وشرعت الأشياء فى السقوط من

أصابع الناس ـ أقلام رصاص، أجهزة كمبيوتر، حقائب خرائط، خوذات حديدية. وكان عدد من الناس ممن كانوا لا يئنون يقهقهون الآن بصوت مرتفع، ولم يكن هناك من يعلم إلى أى مدى كانت ستصل حالة العصيان المسلح بالأنين تلك إن لم يتقدم الجنرال دريدل بنفسه لقمعها؛ حيث تقدم فى حزم بمنتصف المنصة مباشرة أمام الرائد دانبى والذى كان لايزال خافضًا رأسه بجدية ويعد على ساعة معصمه قائلاً: "..... خمس وعشرون ثانية ...... عشرون ...... خمس عشرة ....." كان وجه الجنرال دريدل العظيم المستبد يشوبه الارتباك ويعلوه ثبات مخيف.

أمر بإيجاز بينما تبرق عيناه استياء ويتحرك فكه فى حزم: "يكفى هذا أيها الرجال". وكان هذا هو كل ما كان بحاجة لأن يقوله. أضاف فى صلابة حينما ساد صمت عميق المكان وانكمش جميع الرجال مرتعدين فى جبن: "أنا أدير سرية حربية، ولن أسمع صوت أى أنين فى هذه الوحدة طالما أنا قائدها. هل هذا واضح؟".

كان ذلك واضحًا للجميع فيما عدا الرائد دانبى والذى كان لايزال يركز على ساعة معصمه ويعد تنازليًا الثوانى بصوت عالٍ. قال: "......... أربعة .... ثلاثة ..... اثنان .... الآن!"، ثم رفع عينيه فى انتصارٍ ليكتشف أن ما من أحد كان ينصت إليه وأن عليه البدء مرة أخرى فى العد مما جعله يئن فى إحباط: "أوووووه".

زأر الجنرال دريدل فى شك: "*ما كان هذا؟*" ثم استدار فى غضب جامح تجاه الرائد دانبى والذى تقهقر للخلف فى ارتباك وذعر وبدأ يرتعد ويتصبب عرقًا. "*من هذا الرجل؟*".

تمتم الكولونيل كاثكارت: "الرائد دانبى يا سيدى. ضابط العمليات بوحدتى".

أمر الجنرال دريدل: "خذه إلى الخارج وأطلق عليه النار".

"سيدى؟".

"قلت خذه إلى الخارج وأطلق عليه النار. ألا تسمع؟".

استجاب الكولونيل كاثكارت بذكاء حيث قال: "على يا سيدى" وبعد ذلك ابتلع لعابه بصعوبة واستدار فى خفة ناحية سائقه والعالم بالأرصاد الجوية لديه وقال: "خذا الرائد دانبى إلى الخارج وأطلقا النار عليه".

تمتم كل من سائقه والعالم بالأرصاد الجوية لديه قائلاً: "...... سيدى؟".

قال الكولونيل كاثكارت: "قلت خذا الرائد دانبى إلى الخارج وأطلقا النار عليه. ألا تسمعان؟".

أومأ الملازمان الشابان فى بله وحدقا إلى بعضهما البعض وهما شاغران فاهَهُما فى تردد يشوبه الذهول، بينما ينتظر كل منهما الآخر أن يبادر بأخذ الرائد

دانبى للخارج وإطلاق النار عليه؛ فلم يقم أى منهما من قبل بأخذ الرائد دانبى للخارج وإطلاق النار عليه. شقا طريقهما فى تردد ناحية الرائد دانبى من جهتين متقابلتين. امتقع لون الرائد دانبى خوفًا. ضعفت ساقاه فجأة وبدأ يسقط مما جعل الملازمين يهرعان ليحمياه من السقوط على الأرض. والآن بعد أن أمسكا بالرائد دانبى بدت باقى المهمة سهلة ـ إلا أنه لم تكن هنالك بنادق. بدأ الرائد دانبى يبكى. أراد الكولونيل كاثكارت أن يركض نحوه ويواسيه ولكنه لم يرغب أن يبدو مثل المخنثين أمام الجنرال دريدل، وقد تذكر أن أبلباى وهافرماير يحضران دومًا مسدسيهما عيار ٤٥,٠ الأتوماتيكيين بالمهام، وبدأ يمسح الصفوف بعينيه بحثًا عنهما.

وبمجرد أن شرع الرائد دانبى فى البكاء، لم يستطع الكولونيل مودس ـ الذى كان يقف مترددًا فى ذعر بالصفوف الجانبية ـ كبح نفسه أكثر من هذا، وتقدم للأمام فى غير ثقة ناحية الجنرال دريدل بينما يغلفه شعور بالتضحية بالذات. اقترح فى تردد: "أعتقد أن عليك التمهل يا أبى. لا أعتقد أنه يمكنك إطلاق النار عليه".

تملك الغيظ من الجنرال دريدل بسبب هذه المقاطعة. صاح بشكل قتالى بصوت عال بما فيه الكفاية كى يجلجل فى المبنى بأكمله: "من قال إنه ليس باستطاعتى ذلك؟" انحنى الكولونيل مودس ـ والذى كان متوردًا خجلاً ـ للأمام ليهمس فى أذنه. جأر الجنرال دريدل: "لماذا بحق السماء لا أستطيع ذلك؟". همس الكولونيل مودس بمزيد من الكلمات. سأل الجنرال دريدل فى سخط عنيد: "أتعنى أنه ليس بإمكانى إطلاق النار على أى شخص أريد؟". أنصت باهتمام أثناء استمرار الكولونيل فى الهمس فى أذنه. سأل بعدما سكن الفضول غضبه: "هل هذا حقيقى؟".

"نعم يا أبى، أخشى هذا".

صاح الجنرال دريدل على الكولونيل مودس فجأة قائلاً: "أعتقد أنك تظن أنك ذكى، أليس كذلك؟".

تورد وجه الكولونيل مودس مرة أخرى: "لا يا أبى، الأمر ليس...".

صاح الجنرال دريدل: "حسنًا، دع هذا الوغد المتمرد يذهب"، ثم أشاح بوجهه بعيدًا عن زوج ابنته ليواجه بغضب سائق الكولونيل كاثكارت وعالم الأرصاد الجوية لديه وقال لهما: "ولكن خذاه إلى خارج المبنى وأبقياه بالخارج. ودعونا نستكمل هذه التعليمات اللعينة قبل أن تنتهى الحرب. أنا لم أر فى حياتى مثل هذا القدر من عدم الكفاءة فى حياتى".

أومأ الكولونيل كاثكارت بضعف للجنرال دريدل وأشار إلى رجليه كى يقوما بأخذ الرائد دانبى إلى خارج المبنى، وبمجرد أن تم أخذ الرائد دانبى للخارج، لم يعد

هناك أحد ليستكمل التعليمات. نظر الجميع إلى بعضهم البعض بدهشة يغلفها البله. احمر وجه الجنرال دريدل غضبًا حينما لم يحدث شىء، ولم يكن الكولونيل كاثكارت يملك أى فكرة عما يمكنه فعله. وقد كان على وشك البدء فى الأنين بصوت مرتفع حينما تقدم المقدم كورن للأمام لإنقاذ الموقف والإمساك بزمام الأمور. تنهد الكولونيل كاثكارت والدموع تترقرق فى عينيه راحة وهو شاعر بالامتنان.

قال المقدم كورن بسرعة بأسلوب قيادى حاد وهو يدير عينيه ناحية الجنرال دريدل: "الآن أيها الرجال سوف نضبط ساعاتنا. سوف نقوم بضبط ساعاتنا مرة واحدة، مرة واحدة فقط، وإن لم نفعل ذلك فى هذه المرة، فسوف نرغب أنا والجنرال فى معرفة السبب فى ذلك. هل هذا واضح؟"، نظر تجاه الجنرال دريدل مرة أخرى ليتأكد من أنه قد هدأ وأضاف: "الآن اضبطوا ساعاتكم على التاسعة وثمانى عشرة دقيقة".

ضبط المقدم كورن ساعاتهم دون توقف وتقدم للأمام فى ثقة. أعطى الرجال كلمات السر الخاصة باليوم، وراجع حالة الطقس وهو يرمق الجنرال دريدل بنظرات رشيقة جانبية متكلفة الابتسام كل بضع ثوانٍ كى يستمد التشجيع من الانطباع الرائع الذى رأى أنه يتركه عليه، وبينما كان يتبختر فى عزة وتألق على المنصة أثناء تكديسه للقوة الدافعة أعطى الرجال كلمات السر لليوم ثانية وتحدث بحيوية عن أهمية جسر الأفنيون للمجهود الحربى وضرورة التزام كل رجل فى المهمة بوضع حب الوطن فى مرتبة أعلى من حب الحياة، وحينما انتهت هذه الخطبة الملهمة أعطى الرجال كلمات السر لليوم مرة أخرى وأكد زاوية الاقتراب وراجع أحوال الطقس ثانية. شعر المقدم كورن بأنه فى قمة تألقه ومجده. لقد كان ينتمى لخشبة المسرح.

بدأ الكولونيل كاثكارت يدرك ما يحدث، وبعدما أدرك هذا أصيب بالذهول. فقد ازداد شحوب وجهه وهو يشاهد فى غبطة استمرار خيانة المقدم كورن له، وكان خائفًا تقريبًا من أن ينصت حينما تحرك الجنرال دريدل إلى جواره وقال فى همس عالٍ بما فيه الكفاية ليدوى داخل الحجرة بأكملها:

"من هو هذا الرجل؟".

أجاب الكولونيل كاثكارت وهو لا يشعر بالاطمئنان، ثم قام الجنرال دريدل بإحاطة فمه بيديه وهمس بشىء فى أذن الكولونيل كاثكارت جعل وجهه يشرق سعادة. رأى المقدم كورن ذلك وغمرته النشوة. فهل تمت ترقيته لتوه داخل الميدان من قبل الجنرال دريدل إلى كولونيل يتمتع بالمزايا الكاملة لهذه الرتبة؟ لم يستطع تحمل كل هذه الإثارة، وببهجة غامرة أنهى التعليمات واستدار فى حماسة لتلقى التهانى من الجنرال دريدل ـ والذى كان بالفعل يغادر المبنى دون أن ينظر خلفه

وهو يسحب ممرضته والكولونيل مودس خلفه. أصيب المقدم كورن بالذهول من هذا التصرف المحبط ولكن للحظة واحدة فقط. وجدت عيناه الكولونيل كاثكارت والذى كان لا يزال يقف منتصبًا فى نشوة وهو يبتسم ابتسامة عريضة وذهب إليه فى سعادة وجذب ذراعه.

سأل فى حماسة فى ترقب متفائل: "ماذا قال عنى. ماذا قال الجنرال دريدل؟".

"لقد أراد أن يعلم من أنت".

"أعلم هذا. أعلم هذا. ولكن ماذا قال عنى؟ ماذا قال؟".

"قال إنك تثير غثيانه".

٢٢

مايلو العمدة

كانت تلك هى المهمة التى فقد فيها يوساريان أعصابه، وقد فقد يوساريان أعصابه بالمهمة فوق الأفنيون لأن سنودين فقد أحشاءه، وقد فقد سنودين أحشاءه لأن طيارهم فى هذا اليوم كان هولب والذى كان فقط فى الخامسة عشرة من عمره، ومساعد طيارهم كان دوبس والذى كان أكثر سوءًا، وكان قد أراد من يوساريان الانضمام إليه فى مكيدة لقتل الكولونيل كاثكارت. كان يوساريان يعلم أن هولب طيار جيد، ولكنه كان مجرد طفل، ولم يكن دوبس يثق فيه على الإطلاق أيضًا وانتزع منه جهاز القيادة دون تحذير بعد أن أسقطوا قنابلهم وأصيبوا بالاهتياج فى منتصف السماء وأمالوا الطائرة وقلبوها بشكل مميت ومحطم للقلوب ومدمر للآذان، الأمر الذى فصل مسماع يوساريان عن مقبسه وعلقه فى سقف مقدمة الطائرة من قمة رأسه.

صرخ يوساريان دون صوت وهو يشعر بسقوط الطائرة: "*يا إلهى! يا إلهى! يا إلهى!*" هكذا صرخ تضرعًا خلال شفتين من المتعذر فتحهما أثناء سقوط الطائرة وتدليه دون وزن من رأسه حتى نجح هولب فى الإمساك بجهاز القيادة مجددًا ورفع الطائرة من فوق الوادى الضيق الزاخر بنيران القذائف المضادة للطائرات والتى صار عليهم الآن الهروب منها مرة أخرى، وعلى الفور تقريبًا كان هناك صوت مكتوم وثقب بحجم قبضة اليد فى مقدمة الطائرة الزجاجية. كانت الشظايا ترتطم بوجنتى يوساريان، ولكن لم يكن هناك دم.

صاح وارتعد بعنف حينما عجز عن سمع صوته فى أذنيه: "ماذا حدث؟ ماذا حدث؟". لقد أصابه الصمت العميق على جهاز الاتصال البينى بالذعر وأصبح خائفًا لدرجة أعجزته تقريبًا عن الحركة؛ حيث ظل جاثمًا مثل فأر محبوس على يديه وركبتيه وانتظر دون أن يجرؤ على التنفس حتى رأى فى النهاية المقبس الأسطوانى لسماعته يتدلى للأمام والخلف أمام عينيه، وضعه ثانية فى مكانه بأصابعه المرتعدة. ظل يصرخ: "*يا إلهى!*" دون أن يخمد ذعره أثناء عصف نيران المدفعية فى كل مكان حوله: "*يا إلهى!*".

كان دوبس يبكى حينما قام يوساريان بوضع المقبس فى مكانه بنظام الاتصال البينى مجددًا واستطاع السمع مرة أخرى.

كان دوبس ينتحب: "ساعده. ساعده. ساعده. ساعده".

صاح يوساريان: "أساعد من؟ أساعد من؟ أساعد من؟".

صاح دوبس: "المدفعى، المدفعى. إنه لا يجيب. ساعد المدفعى، ساعد المدفعى".

صاح يوساريان: "أنا المدفعى. أنا المدفعى. أنا بخير. أنا بخير".

بكى دوبس: "إذن ساعده. ساعده. ساعده، ساعده".

"أساعد من؟ أساعد من؟".

توسل دوبس: "مدفعى المذياع. ساعد مدفعى المذياع".

شكا سنودين فى ضعف عبر جهاز الاتصال البينى: "أنا أشعر بالبرد". ثم تمتم بكلام غير مفهوم، ثم قال فى ألم: "من فضلك ساعدنى. أنا أشعر بالبرد".

قام يوساريان بالزحف فى الممر وتسلق لأعلى فى حجيرة القنابل ثم لأسفل فى القسم الخلفى من الطائرة؛ حيث كان يرقد سنودين على الأرض مصابًا ويرتعد بردًا حتى لقى حتفه أسفل رقعة صفراء من ضوء الشمس على مقربة من مدفعى الذيل الجديد الذى كان يرقد على الأرض إلى جواره مغشياً عليه.

كان دوبس أسوأ طيار فى العالم وكان يعلم هذا، فكان عبارة عن حطام شاب يحاول دومًا إقناع رؤسائه بأنه لم يعد لائقًا لقيادة طائرة. ولكن لم يكن أى من رؤسائه ينصت إليه، وفى اليوم الذى صدر فيه أمر برفع عدد المهام إلى ستين حينما تسلل دوبس إلى خيمة يوساريان، أثناء خروج أور بحثًا عن خشبة لتدعيم الخيمة، وكشف له عن المكيدة التى وضعها لقتل الكولونيل كاثكارت، كان بحاجة لمساعدة يوساريان.

اعترض يوساريان قائلاً: "أتريد قتله متعمدًا؟".

وافقه دوبس وهو يبتسم بتفاؤل بعد أن شجعه استيعاب يوساريان الفورى للأمر: "هذا صحيح. سوف نرديه قتيلاً بإطلاق النار عليه باستخدام مسدس اللوجر الذى أحضرته من صقلية والذى لا يعلم عنه أحد شيئاً".

قال يوساريان بعد التفكير فى الفكرة فى صمت لبرهة: "لا أعتقد أن بإمكانى القيام بذلك".

أصيب دوبس بالذهول: "لمَ لا؟".

"اسمع. لا يوجد فى هذا العالم ما قد يسعدنى أكثر من موت هذا الوغد فى حادث بعد أن تنكسر رقبته، أو موته فى تحطم طائرة، أو أن أكتشف أن شخصًا آخر قد أرداه قتيلاً بإطلاق النار عليه، ولكنى لا أعتقد أن بإمكانى قتله".

قال دوبس: "ولكنه ليس لديه مانع أن يقتلك. فى الواقع أنت الذى قلت لى إنه ليس لديه مانع أن يقتلنا بجعلنا نستمر فى الخدمة كل هذه الفترة".

"ولكنى لا أعتقد أن بإمكانى قتله. إن له الحق فى أن يعيش أيضًا".

أصيب دوبس بالذهول. "ليس، مادام يحاول سلبى أنا وأنت حقنا فى الحياة. ماذا بك؟ لقد اعتدت سماعك تتحدث حول نفس هذا الموضوع مع كليفنجر. وانظر ماذا حدث له. لقد اختفى تمامًا فى داخل هذه السحابة".

قال له يوساريان: "هلاّ كففت عن الصياح!".

صاح دوبس بصوت أعلى بينما توهج وجهه ثورة: "أنا لا أصيح!". كانت عيناه تدمعان، ومنخاراه يرشحان، ويعلو شفته السفلية الحمراء المرتعدة نثار من الندى الرغوى وأضاف: "لابد أن هناك ما يقرب من مائة رجل فى الوحدة كانوا قد أنهوا مهامهم الخمسين حينما رفع العدد إلى ستين، ولابد أن هناك على الأقل مائة آخرين مثلك ممن تبقى لهم مهمتان فقط لتنفيذهما. إنه سوف يقتلنا إن تركناه يستمر فى القيام بما يقوم به. إن علينا قتله أولاً قبل أن يفعل ذلك".

أومأ يوساريان دون أن يورط نفسه فى شىء: "هل تعتقد أنه يمكننا الإفلات بفعلتنا؟".

"لقد رتبت كل شىء. أنا...".

"توقف عن الصياح بحق السماء!".

"أنا لا أصيح. لقد قمت....".

"هلاّ كففت عن الصياح!".

همس دوبس وهو يمسك بطرف غطاء فراش أور بيده ذات المفاصل البيضاء ليمنعه من التأرجح: "لقد قمت بترتيب كل شىء، ففى صباح يوم الخميس أثناء عودته من ذلك المنزل الريفى اللعين الذى يملكه فى التلال سوف أتسلل خلال الغابة عند هذا المنعطف الضيق بالطريق، أختبئ بالشجيرات الصغيرة. إنه يضطر إلى الإبطاء هناك، وأنا أستطيع مراقبة الطريق من كلا الاتجاهين للتأكد من عدم وجود أحد، وعندما أراه قادمًا سوف ألقى بجذع خشبى كبير بالطريق لأجعله يوقف سيارته الجيب. بعد ذلك سوف أقفز من داخل الشجيرات وأنا أمسك بمسدسى اللوجر وأطلق عليه النار فى رأسه حتى يموت، وسوف أقوم بدفن المسدس وأعود أدراجى خلال الغابة إلى السرية وأذهب إلى عملى شأنى شأن أى شخص آخر. فما الخطأ الذى قد يحدث؟".

أنصت يوساريان إلى كل خطوة بانتباه ثم سأل فى دهشة: "ومتى يحين دورى أنا؟".

قال دوبس: "أنا لا أستطيع أن أخوض هذا الأمر بدونك. أنا أحتاج منك إلى أن تقول لى امض قدمًا".

وجد يوساريان صعوبة فى تصديق هذا. "هل هذا هو كل ما تريد منى فعله؟ أن أقول لك امض قدمًا!".

قال دوبس: "هذا هو كل ما أحتاج إليه منك. فقط قل لى امض قدمًا وسوف أفجر رأسه وحدى بعد غد". غلف صوته العاطفة وأصبح أعلى مجددًا وهو يقول: "وأنا أود أيضا قتل المقدم كورن، كما أريد قتل الرائد دانبى إن كان لا بأس فى ذلك بالنسبة لك، ثم أود قتل أبلباى وهافرماير كذلك، وبعد الانتهاء من قتل أبلباى وهافرماير أرغب فى قتل ماكوات".

صاح يوساريان بعد أن كاد يقفز فى الهواء فزعًا: "ماكوات؟ إن ماكوات صديقى. ماذا تريد من ماكوات؟".

اعترف دوبس بخزى وتخبط: "لا أعرف. لقد ظننت أنه طالما سنقتل أبلباى وهافرماير فما المانع أن نقتل ماكوات كذلك. ألا تريد قتل ماكوات؟".

قرر يوساريان أن يكون حاسمًا هذه المرة فقال: "اسمع، قد أظل مهتمًا بهذا الأمر إن توقفت عن الصياح بشأنه بشكل يجعل كل من فى الجزيرة يعرف بأمره وإن التزمت فقط بقتل الكولونيل كاثكارت. ولكن إن كنت ستقوم بتحويل الأمر إلى حمام دماء فيمكنك أن تنسى أمرى كلية".

قال دوبس محاولاً استرضاءه: "حسنًا، حسنًا. فقط الكولونيل كاثكارت. هل يمكننى القيام بذلك؟ فلتقل لى امض قدمًا".

هزَ يوساريان رأسه وقال: "لا أعتقد أن بإمكانى أن أقول لك امض قدمًا".

أصبح دوبس شديد الاهتياج. استجداه فى عنف: "أنا مستعد إلى التوصل إلى حل وسط. إنك لست مضطراً أن تقول لى امض قدمًا. فقط قل لى إنها فكرة جيدة. حسنًا؟ هل هى فكرة جيدة؟".

هزَ يوساريان رأسه مرة أخرى وقال: "كانت لتصبح فكرة عظيمة إن كنت قد مضيت بها قدمًا وقمت بها دون أن تتحدث إلىَ حتى. الآن تأخر الوقت. لا أظن أنه يمكننى أن أقول لك أى شىء. امنحنى مزيدًا من الوقت. فربما أقوم بتغيير رأيى".

"ولكن حينها سيكون الوقت قد تأخر للغاية".

استمر يوساريان فى هزَ رأسه. أصيب دوبس بالإحباط. جلس للحظة بينما ترتسم على وجهه نظرة مثيرة للشفقة، ثم قفز على قدميه فجأة وغادر مسرعًا ليخوض محاولة طائشة أخرى ألا وهى إقناع الطبيب دانيكا بإرساله للوطن مطيحًا بمغسلة يوساريان بوركه ومتعثرًا بخط الوقود الخاص بالموقد الذى لايزال أور يصنعه، وقد قاوم الطبيب دانيكا هجومه المضنى بسلسلة من الإيماءات نافدة الصبر وأرسله إلى الخيمة الطبية ليصف أعراضه إلى جاس وويس اللذين قاما بطلاء لثته بمحلول الجنطايا الأرجوانى لحظة ما شرع فى فتح فمه ليتحدث. وقد قاما بطلاء أصابع قدميه باللون الأرجوانى كذلك وسكبا ملينًا داخل حلقه

حينما فتح فمه ثانية ليشكو، وبعد ذلك قاما بصرفه.

كان دوبس أسوأ حالاً حتى من هنجرى جو، والذى كان باستطاعته على الأقل الخروج فى المهام الجوية فى الأوقات التى لا تراوده فيها الكوابيس. لقد كانت حالة دوبس فى نفس سوء حالة أور تقريبًا، والذى كان يبدو سعيدًا للغاية ومرحًا ويضحك طوال الوقت ليكشف عن أسنانه البارزة، والذى تم إرساله فى إجازة للراحة مع مايلو ويوساريان إلى القاهرة لشراء البيض حينما اشترى مايلو القطن عوضًا عنه وسافر فجرًا إلى إسطنبول بطائرته المحملة بالعناكب الغريبة والموز الأحمر غير الناضج. كان أور أحد أكثر الأشخاص غرابة ومرحًا ممن قابلهم يوساريان، وأحد أكثرهم جاذبية كذلك. كان له وجه منتفخ فج وعينان بندقيتان تجحظان من محجريهما مثل كرتين متماثلتين من المرمر، وشعر مموج متعدد الألوان يرتفع إلى أعلى فوق قمة رأسه مثل الخيمة. وكان أور يسقط بطائرته فى الماء أو يتلقى طلقًا ناريًا فى محركه فى كل مرة يقلع بطائرته تقريباً. كان أور يهز ذراع يوساريان بقوة مثل رجل جامح بعد أن تركا نابلس وتوجها إلى صقلية ليجدا القواد ذا الأعوام العشرة والذى يدخن السيجار بانتظارهما وبصحبته الأختان البالغتان من العمر اثنى عشر عامًا فى البلدة أمام الفندق، الذى لم تكن به سوى غرفة واحدة لمايلو. ابتعد يوساريان عن أور بقسوة وهو يحدق بقلق وحيرة إلى جبل إتنا بدلاً من جبل فيسيوفيس وتساءل عما يفعلانه فى صقلية بدلاً من نابلس؛ حيث ظل أور يتوسل له بشكل مضطرب ليذهب معه خلف القواد ذى الأعوام العشرة الماكر إلى أختيه البالغتين من العمر اثنى عشر عامًا اللتين لم تكونا أختيه فى الواقع، وكانتا تبلغان فى الحقيقة ثمانية وعشرين عامًا.

وقد نصحه مايلو بإيجاز: "اذهب معه. تذكر مهمتك".

استسلم يوساريان وهو يتنهد ويتذكر مهمته: "حسنًا. ولكن دعنى على الأقل أحاول إيجاد حجرة فى فندق أولاً حتى أستطيع أن أحصل على قسط وافر من النوم بعد ذلك".

أجاب مايلو بنفس النبرة الجادة: "سوف تحصل على قسط وافر من النوم لاحقًا، فقط تذكر مهمتك".

ولكنهما لم يناما على الإطلاق؛ حيث وجد يوساريان وأور نفسيهما يجلسان طوال الليل بصحبة الفتاتين اللتين تدعيان أنهما تبلغان من العمر اثنى عشر عامًا ولكنهما فى الحقيقة تبلغان ثمانية وعشرين عامًا. وسرعان ما أصبحت مدركات يوساريان مشوشة حتى إنه لم يلحظ العمامة البيج التى ظلت رفيقته السمينة ترتديها حتى وقت متأخر من صباح اليوم التالى إلا عندما قام القواد ذو الأعوام العشرة الماكر بانتزاعها على الملأ بطريقة وحشية ليكشف عن رأسها الصلعاء تحت

أشعة شمس صقلية الساطعة؛ فقد قام الجيران على نحو انتقامى بحلق شعرها بالكامل لأنها كانت تقيم علاقات مع الألمان. وقد صرخت الفتاة فى غضب أنثوى وجرت بطريقة كوميدية وراء القواد ذى الأعوام العشرة الماكر بينما تلتمع فروة رأسها المروعة المشوهة فوق وجهها بصورة مقززة. لم يسبق ليوساريان أن رأى شيئاً فجًا بهذه الطريقة من قبل. قام القواد بإدارة العمامة عاليًا فوق إصبعه كالميدالية وظل يثب مرحًا وهو يركض أمامها فى دائرة حول الميدان المكتظ بأشخاص كانوا يضحكون بسخرية ويشيرون إلى يوساريان فى تهكم حينما جاء مايلو تعلو وجهه نظرة مروعة وتتجعد شفتاه استنكارًا من هذا المشهد الآثم العابث. أصر مايلو على الرحيل على الفور والتوجه إلى مالطة.

انتحب أور: "إننا نشعر بالنعاس".

انتقدهما مايلو: "إن هذا خطؤكما؛ فإن كنتما قد أمضيتما الليلة فى فندقكما بدلا مع اللهو مع هاتين الفتاتين لأصبحتما الآن تشعران بأنكما فى أفضل حال مثلى اليوم".

اتهمه يوساريان قائلاً: "لقد أمرتنا بالذهاب معهما، ونحن ليس لدينا غرفة بفندق. أنت الوحيد الذى استطاع الحصول على غرفة".

قال مايلو فى عجرفة: "إن هذا ليس خطئى كذلك. كيف كان لى أن أعرف أن كل البائعين سيكونون فى البلدة من أجل حصاد الحمص؟".

اتهمه يوساريان: "لقد كنت تعرف ذلك، وهذا يفسر سبب وجودنا هنا فى صقلية بدلاً من نابلس؛ فأنت على الأرجح قد ملأت الطائرة اللعينة بالحمص بالفعل".

حذره مايلو فى جدية وهو ينظر إلى أور: "صه! تذكر مهمتك".

كانت حجيرة القنابل والمؤخرة وأقسام الذيل بالطائرة وقطاع برج الهجوم العلوى ممتلئة جميعًا بصناديق الحمص حينما وصلوا إلى مدرج الإقلاع للذهاب إلى مالطة.

كانت مهمة يوساريان بالرحلة هى تشتيت انتباه أور حتى لا يلاحظ من أين اشترى مايلو البيض، على الرغم من أن أور كان عضوًا بنقابة مايلو، وشأنه شأن كل عضو فى نقابة مايلو كان يمتلك حصة، وقد شعر يوساريان أن مهمته سخيفة حيث كان الجميع يعلمون أن مايلو يشترى البيض من مالطة مقابل سبعة سنتات للواحدة ويبيعه فى قاعة الطعام مقابل خمسة سنتات للواحدة.

قال مايلو بالطائرة وهو يومئ إيماءة خلفية تجاه أور والذى كان متقوسًا مثل حبل متدلٍ فوق صناديق الحمص المنخفضة يحاول فى يأس النوم: "أنا فقط لا أثق به. وسرعان ما سوف أقوم بشراء البيض حينما لا يكون على مقربة منى حتى

لا يعرف أسرار عملى. ما الذى لا تفهمه أيضًا؟".

كان يوساريان يجلس إلى جواره على مقعد مساعد الطيار فقال: "لا أفهم لماذا تشترى البيض مقابل سبعة سنتات للواحدة وتبيعه مقابل خمسة سنتات للواحدة".

"أنا أقوم بذلك لتحقيق ربح".

"ولكن كيف تحقق ربحًا؟ إنك تخسر سنتين فى كل بيضة".

"ولكننى أحقق ربحًا يقدر بثلاثة سنتات وربع فى البيضة؛ حيث إننى أبيعه فى الأساس مقابل أربعة سنتات والربع للبيضة للناس فى مالطة، ثم أشتريه منهم مقابل سبعة سنتات للبيضة. بالطبع أنا لا أحقق ربحًا. إن النقابة هى التى تحقق الربح. والجميع له حصة بها".

شعر يوساريان بأنه بدأ يفهم: "والناس الذين تبيعهم البيض مقابل أربعة سنتات والربع يحققون ربحًا يقدر بسنتين وثلاثة أرباع حينما يبيعونه لك ثانية مقابل سبعة سنتات للواحدة، أليس كذلك؟ لماذا لا تبيع البيض لنفسك مباشرة وتستبعد الناس الذين تشترى منهم؟".

قال مايلو: "لأننى أنا الناس الذين أشترى منهم. أنا أحقق ربحًا يقدر بثلاثة سنتات والربع للبيضة حينما أبيعه لى وربحًا يقدر بسنتين وثلاثة أرباع للبيضة حينما أشتريه مجددًا منى، وهذا يعنى أننى أحقق ربحًا إجماليًا يقدر بستة سنتات للبيضة. وأنا أخسر فقط سنتين حينما أبيعه للمطبخ مقابل خمسة سنتات للبيضة، وتلك هى الطريقة التى يمكننى من خلالها تحقيق ربح عن طريق شراء البيض مقابل سبعة سنتات للبيضة وبيعه مقابل خمسة سنتات للواحدة؛ فأنا أشتريه مقابل سنت واحد للبيضة من المزرعة فى صقلية".

صححه يوساريان: "فى مالطة. أنت تشترى بيضك من مالطة وليس من صقلية".

ضحك مايلو فى فخر. قال فى حالة من البهجة الطفيفة والتى كانت تمثل الانحراف الوحيد عن هالة الرزانة التى ظل يوساريان يراها تحوطه من لحظة معرفته به: "أنا لا أشترى البيض من مالطة. أنا أشتريه من صقلية مقابل سنت للبيضة وأنقله إلى مالطة سرًا مقابل أربعة سنتات والنصف للبيضة من أجل رفع ثمن البيض إلى سبعة سنتات للبيضة حينما يأتى الناس إلى مالطة بحثًا عن البيض".

"ولماذا يأتى الناس إلى مالطة بحثًا عن البيض فى حين أنه مرتفع الثمن للغاية هناك؟".

"لأن الأمور تسير دومًا على هذا الحال".

"لماذا لا يشترون البيض من صقلية؟".

"لأن الأمور لا تسير قط على هذا الحال".

"الآن أنا لا أفهم حقًا. لماذا لا تبيع المطبخ البيض مقابل سبعة سنتات للبيضة بدلاً من خمسة؟".

"لأن مطبخى لن يكون بحاجة لى فى ذلك الحين. أى شخص يمكنه شراء البيض المثمن بسبعة سنتات للبيضة مقابل سبعة سنتات للبيضة".

"لماذا لا يستبعدونك ويشترون البيض منك مباشرة فى مالطة مقابل أربعة سنتات والربع للبيضة؟".

"لأننى لن أبيعه لهم".

"لماذا لن تبيعه لهم؟".

"لأنه فى ذلك الحين لن أحقق الكثير من الربح؛ فعلى الأقل بهذه الطريقة يمكننى تحقيق بعض الربح لى باعتبارى الوسيط".

قال يوساريان: "إذن فأنت تحقق ربحًا لنفسك".

"بالطبع. ولكن كل الربح يذهب إلى النقابة. والجميع له حصته. ألا تفهم؟ إن الأمر يشبه تمامًا الطماطم الأرجوانية التى أبيعها للكولونيل كاثكارت".

صححه يوساريان: "تشتريها منه. أنت لا تبيع الطماطم الأرجوانية للكولونيل كاثكارت والمقدم كورن. أنت تشتريها منهما".

صححه مايلو: "لا، أبيعها لهما. أنا أوزع الطماطم الأرجوانية فى الأسواق فى كل أنحاء بيانوسا تحت اسم مستعار حتى يستطيع الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن شراءها منى تحت اسميهما المستعارين مقابل أربعة سنتات للواحدة وبيعها لى فى اليوم التالى من أجل النقابة مقابل خمسة سنتات للواحدة؛ فهما يحققان ربحًا يقدر بسنت واحد للواحدة؛ وأحقق أنا ربحًا يقدر بثلاثة سنتات والنصف للواحدة، وبالتالى يحقق الجميع مكاسب".

قال يوساريان وهو يضحك: "الجميع فيما عدا النقابة. إن النقابة تدفع خمسة سنتات مقابل الثمرة الواحدة من الطماطم الأرجوانية، والتى تكلفك فقط نصف سنت. إذن فكيف تحقق النقابة ربحًا؟".

قال مايلو: "تحقق النقابة ربحًا حينما أحقق أنا ربحًا؛ لأن الجميع له حصته. والنقابة تحصل على دعم الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن حتى يسمحا لى بالذهاب فى رحلات مثل هذه، وسوف ترى بنفسك حجم الربح الذى يمكن تحقيقه فى خلال خمس عشرة دقيقة حينما نهبط فى باليرمو".

صححه يوساريان: "مالطة. إننا متجهون الآن صوب مالطة وليس باليرمو".

قال مايلو: "لا، إننا متجهون صوب باليرمو؛ فهناك تاجر هندباء فى باليرمو

علىّ رؤيته بشأن شحنة عيش غراب كانت متجهة إلى بيرن والتى أفسدها العفن".

سأل يوساريان وهو يضحك فى دهشة وإعجاب: "مايلو، كيف تفعل ذلك؟ إنك تملأ طائرة حربية من مكان ثم تتجه إلى مكان آخر. ألا يبلغ عنك العاملون فى أبراج المراقبة؟".

قال مايلو: "إنهم جميعًا مشتركون فى النقابة وهم يعلمون أن صالح النقابة من صالح البلاد، والرجال فى أبراج المراقبة لهم حصتهم فى النقابة كذلك، وذلك هو السبب الذى يجعلهم يفعلون كل ما فى وسعهم لمساعدة النقابة".

"هل لى حصة بالنقابة؟".

"الجميع له حصته".

"هل أور له حصة؟".

"الجميع له حصته".

"ماذا عن هنجرى جو؟ هل له حصة كذلك؟".

"الجميع له حصته".

قال يوساريان وهو منبهر بفكرة الحصة للمرة الأولى: "يا إلهى!".

استدار مايلو ناحيته بينما يعلو وجهه تعبير طفيف ينم عن الانزعاج: "إن لدى خطة ممتازة لغش الحكومة الفيدرالية وسلب مبلغ ستة آلاف دولار منها. يمكن أن يأخذ كل واحد منا ثلاثة آلاف دولار دون أن نتعرض لأية مخاطر. هل يثير الأمر اهتمامك؟".

"لا".

نظر مايلو إلى يوساريان بشكل عاطفى ثم قال: "هذا هو ما أحبه فيك. إنك أمين! إنك الشخص الوحيد الذى يمكننى حقًا أن أثق فيه، ولعل هذا هو السبب الذى يجعلنى أتمنى أن تحاول تقديم مزيد من المساعدة لى. لقد أصبت حقًا بالإحباط حينما فررت أمس مع هاتين الفتاتين فى كاتانيا".

حدق يوساريان إلى مايلو فى عدم تصديق وقال: "مايلو، أنت من طلبت منى الذهاب معهما، ألا تتذكر؟".

أجاب مايلو فى اعتزاز: "إن هذا ليس خطئى. كان علىّ التخلص من أور بطريقة ما بمجرد وصولنا للبلدة، وسيكون الأمر مختلفًا تمامًا فى باليرمو؛ فحينما نهبط فى باليرمو أريد منك أنت وأور الذهاب مع الفتيات من المطار".

"مع أية فتيات؟".

"لقد قمت بالاتصال مسبقًا وعقدت اتفاقًا مع قواد يبلغ من العمر أربعة أعوام ليرتب لك أنت وأور لقاءً مع فتاتين نصف أسبانيتين تبلغان من العمر ثمانية أعوام، وهو سوف يكون منتظرًا فى المطار داخل سيارة ليموزين. اذهب إليه على

الفور بمجرد أن تغادر الطائرة".

قال يوساريان وهو يهز رأسه: "لن أفعل شيئاً من هذا. إن الشىء الوحيد الذى سأفعله هو النوم".

شعر مايلو بالغضب ورفرفت أنفه بشكل تشنجى بين حاجبيه السوداوين وشاربه غير المتوازن برتقالى اللون مثل لهب رفيع شاحب لشمعة وحيدة. ذكره بوقار: "يوساريان، تذكر مهمتك".

أجابه يوساريان فى سخط: "تبًا لمهمتى. وتبًا للنقابة أيضًا، حتى وإن كان لى حصة فيها. أنا لا أريد الخروج مع أية فتيات يبلغن من العمر ثمانية أعوام، حتى لو كن نصف أسبانيات".

"أنا لا ألومك. ولكنّ هاتين الفتاتين البالغتين من العمر ثمانى سنوات تبلغان فى الواقع اثنين وثلاثين عامًا، وهما ليستا نصف أسبانيتين فى الحقيقة وإنما فقط ثلث أستونيتين".

"أنا لا أكترث لأية فتيات".

لكن أور كان يغلبه النوم كذلك، وقد كان يوساريان وأور يجلسان إلى جوار مايلو حينما استقلا السيارة فى باليرمو من المطار إلى الفندق، واكتشفا أنه لا توجد غرفة لهما فى هذا الفندق أيضًا والأهم من ذلك أن مايلو كان العمدة.

وقد بدأ الاستقبال الغريب غير القابل للتصديق فى المطار، حينما توقف العمال المدنيون ممن تعرفوا عليه عن أداء وظائفهم ليحملقوا به فى نظرات مليئة بالحماسة والتملق. لقد تسرب خبر وصوله إلى البلدة، وكانت الضواحى مكتظة بالفعل بالمواطنين الفرحين حينما كانوا يتقدمون بسيارتهم الصغيرة المكشوفة. وقد كان يوساريان وأور مذهولين وصامتين والتصقا بمايلو سعيًا للحماية.

وفى داخل البلدة، علت أصوات الترحيب بمايلو مع إبطاء الشاحنة وتغلغلها أكثر صوب منتصف المدينة، وقد تم صرف الفتية والفتيات الصغار من المدرسة والذين احتشدوا على الأرصفة وهم يرتدون ملابس جديدة ويلوحون بأعلام صغيرة. كان يوساريان وأور عاجزين عن الكلام تمامًا الآن. كانت الشوارع مكتظة بالحشود السعيدة التى تمسك فوق رءوسها برايات ضخمة تحمل صورة مايلو. كانت تلك الصور قد التقطت لمايلو وهو يرتدى قميصاً خاصاً بالفلاحين مصنوعاً من قماش الدراب الرمادى المسمر والذى كان له ياقة عالية دائرية وكان يرسم على وجهه تعبيراً مدققًا وأبويًا وصبورًا وحكيمًا ونقديًا وقويًا بينما ينظر إلى الجماهير نظرة العالم بكل شىء بشاربه غير المشذب وعينيه المصابتين بالحول. وقد كان المرضى يلقون له بقبلات من النوافذ، وكان أصحاب المحلات ممن يرتدون المآزر يهتفون له فى نشوة من مداخل متاجرهم، وقد دوى صوت الأبواق، وهنا

وهناك كان يسقط شخص ويموت إثر سحق الأقدام له. وكانت السيدات العجائز المنتحبات يتخبطن فى بعضهن البعض فى جنون إلى جوار السيارة المتحركة ببطء للمس كتف مايلو أو الضغط على يده، وقد تحمل مايلو هذا الاحتفال الصاخب بكرم بالغ. فكان يلوح للجميع وأمطر الحشود المبتهجة بالقبلات. وقد اصطف الأولاد والبنات فى صفوف وراء السيارة وهم يشابكون أيديهم ويغنون فى إعجاب "*مايلوا مايلوا مايلوا*".

والآن وبعد ذيوع الخبر استرخى مايلو مع يوساريان وأور وامتلأ فخرًا يشوبه الخجل وتوردت وجنتاه. لقد تم انتخاب مايلو عمدة لباليرمو ـ وللمدن المتاخمة وهى كارينى ومونريال وباجيريا وتيرمينى إميرسى وكافالو ومستريتا ونيكوزيا ـ لأنه جلب الشراب إلى صقلية.

كان يوساريان مذهولاً: "هل الناس هنا يحبون الشراب إلى هذا الحد؟".

قال مايلو: "إنهم لا يحتسون الشراب على الإطلاق. إن الشراب مرتفع الثمن للغاية والناس هنا فقراء للغاية".

"إذن لماذا تستورد الشراب إلى صقلية إن كان لا أحد يشربه؟".

"لرفع السعر. فأنا أنقل الشراب إلى هنا من مالطة لأفسح مجالاً للربح حينما أبيعه لى مرة أخرى لأجل شخص آخر. لقد قمت ببناء تجارة كاملة جديدة هنا؛ فقد أصبحت صقلية ثالث أكبر بلد مستورد للشراب فى العالم، وهذا هو السبب الذى جعلهم ينتخبوننى عمدة لهم".

قال أور بوقاحة بصوت يتخلله الإرهاق: "ماذا عن الحصول على غرفة فى فندق من أجلنا بما أنك بمثل هذه البراعة؟".

نظر إليهما مايلو فى ندم ووعد قائلاً: "إن هذا تمامًا هو ما سوف أقوم بفعله. أنا آسف حقًا لأننى نسيت الاتصال مسبقًا لحجز غرفة فى فندق لكليكما. تعالا إلى مكتبى وسوف أتحدث إلى نائبى على الفور بخصوص هذا الأمر".

وقد كان مكتب مايلو عبارة عن صالون حلاقة وكان نائبه هو حلاق قصير وسمين، وكانت التحيات الحارة تتدفق من فمه بشكل مسرف فى التعبير عن العاطفة بينما كان يقلب رغوة الصابون داخل كوب الحلاقة الخاص بمايلو.

قال مايلو وهو يتكئ للخلف فى كسل على أحد مقاعد الحلاقة بمحل فيتريو: "حسنًا يا فيتريو، كيف كانت تسير الأمور فى غيابى هذه المرة؟".

"كانت مؤسفة للغاية يا سينور مايلو، مؤسفة للغاية، ولكن الآن بما أنك عدت فقد أصبح الناس سعداء مرة أخرى".

"كنت أتساءل عن كم الحشد الموجود فى البلدة. كيف حدث أن امتلأت جميع الفنادق بالرواد؟".

"لأن العديد من الأشخاص من المدن الأخرى جاءوا إلى هنا لرؤيتك يا سينور مايلو؛ ولأنه يوجد كل المشترين الذين أتوا إلى البلدة من أجل مزاد الخرشوف".

ارتفعت يد مايلو مثل الصقر وأمسكت بفرشاة حلاقة فيتريو وسأل: "أى خرشوف؟".

"الخرشوف يا سينور مايلو؟ إن الخرشوف هو نوع من الخضراوات لذيذ للغاية وذو شعبية عالية فى كل مكان. لابد أن تتناول البعض أثناء وجودك هنا يا سينور مايلو. إننا نزرع أفضل خرشوف فى العالم".

قال مايلو: "حقًا؟ كم وصل سعر الخرشوف هذا العام؟".

"يبدو أنه عام جيد للغاية للخرشوف؛ فالمحاصيل كانت سيئة للغاية".

قال مايلو مبتهجًا: "هل هذا صحيح؟" وذهب بعد أن قفز من مقعده برشاقة وسرعة حتى إنه خرج قبل أن يسقط مئزر الحلاقة الذى كان يرتديه على الأرض. وقد اختفى مايلو عن الأنظار بحلول الوقت الذى هرع فيه يوساريان وأور خلفه إلى المدخل للحاق به.

صاح نائب مايلو العمدة فى فضول: "التالى؟ من التالى؟".

خرج يوساريان وأور من صالون الحلاقة وهما صاخبان؛ فبعد أن هجرهما مايلو مشيا بإجهاد فى تشرد خلال الحشود الصاخبة فى بحث عقيم عن مكان يناما فيه. كان يوساريان مجهدًا للغاية؛ فكانت رأسه تطن فى ألم نابض ومزعج، وقد استاء من أور الذى عثر على تفاحتين بريتين فى مكان ما وسار وهو يضعهما فى وجنتيه إلى أن لمحهما يوساريان وطلب منه إخراجهما. بعد ذلك وجد أور جوزتين فى مكان ما ووضعهما فى وجنتيه خلسة إلى أن رآهما يوساريان وجعله يخرج التفاح البرى من فمه مرة أخرى. ابتسم أور وقال إن ذلك ليس تفاحًا بريًا وإنما جوز وأنهما لم يكونا فى فمه وإنما فى يديه ولكن يوساريان لم يستطع فهم كلمة واحدة مما قاله بسبب الجوز الموجود فى فمه وجعله يخرجه بأى حال من الأحوال. برقت عينا أور فى مكر. قام بفرك جبهته بقوة بمفاصله، مثل رجل ثمل ثم ضحك ضحكة نصف مكبوتة.

"هل تذكر هذه الفتاة...؟" سكت ليضحك ضحكة نصف مكبوتة أخرى وأضاف: "هل تتذكر تلك الفتاة التى ظلت تضربنى فوق رأسى بهذا الحذاء فى روما؟". كان يسأل بينما ترتسم على وجهه نظرة ترقب ماكرة. سكت حتى أومأ يوساريان فى فضول: "إن تركتنى أضع الجوزتين فى فمى مرة أخرى سوف أخبرك عن سبب ضربها لى. اتفقنا؟".

أومأ يوساريان فقص عليه أور القصة المذهلة كاملة عن سبب ضرب الفتاة له على رأسه بحذائها فى شقة فتاة ناتلى، ولكن يوساريان لم يتمكن من فهم كلمة

واحدة لأن أور كان قد وضع الجوز فى فمه ثانية. انفجر يوساريان فى الضحك حينما فهم الخدعة، ولكن فى النهاية لم يتبق لهما شىء لفعله حينما حل الليل سوى تناول عشاء بارد فى مطعم قذر والعودة إلى المطار؛ حيث ناما على أرض الطائرة المعدنية الباردة وظلا يتقلبان فى تأوه وعذاب حتى شن عليهما سائقو الشاحنات هجومًا بعد أقل من ساعتين وهم يحملون أقفاص الخرشوف وطردوهما خارج الطائرة فى أثناء ملئها بالصناديق.

بدأ مطر غزير فى الهطول. كان الماء يتساقط من جسدى يوساريان وأور بحلول الوقت الذى غادرت فيه الشاحنات، ولم يكن أمامهما اختيار سوى حشر نفسيهما داخل الطائرة مجددًا بين الجوانب الضيقة لصناديق الخرشوف والتى نقلها مايلو إلى نابلس فجرًا واستبدل بها شحنة من الكمون والقرنفل والونيلية وقرنات الفلفل والتى نقلها فورًا إلى الجنوب فى نفس هذا اليوم إلى مالطة والتى اتضح أنه نائب المحافظ العام بها، ولم تكن هناك غرفة من أجل يوساريان وأور فى مالطة كذلك، وكان مايلو يدعى الرائد السيد مايلو مايندرbايندر فى مالطة، وكان له مكتب ضخم فى مبنى المحافظ العام. كان مكتبه المصنوع من خشب الماهوجنى هائل الحجم. وفى لوح خشبى بالجدار البلوط بين علمى بريطانيا المائلين كان معلقًا صورة درامية للرائد مايلو مايندرbايندر وهو يرتدى حُلة ويلز الملكية ومسلح بغدارة، وقد كان شاربه فى الصورة مشذبًا وضيقًا وذقنه مائلاً وعيناه حادتين كالشوك.

لقد تم رفع رتبة مايلو إلى فارس وتم تعيينه رائداً فى جيش ويلز الملكى وأصبح نائب محافظ مالطة لأنه جلب تجارة البيض إلى هناك، وهو قد منح يوساريان وأور إذنًا سخيًا بتمضية الليلة فوق السجادة السميكة بمكتبه، ولكن بعد مغادرته بوقت قصير جاء خفير يرتدى زيًا حربيًا وطردهما من المبنى بطرف حربته فقاما باستقلال سيارة أجرة إلى المطار مع سائق طلب منهما ثمنًا باهظًا لقاء التوصيلة ودخلا ليناما ثانية بالطائرة، والتى كانت ممتلئة الآن بأكياس مصنوعة من الخيش معبأة بالكاكاو والبن المطحون الطازج وعابقة برائحة غنية جعلتهما يخرجان للتقيؤ بعنف فوق معدات الهبوط، والتى حلق بها مايلو فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى وهو يشعر ببهجة عارمة متوجهًا إلى إيران؛ حيث لم يكن يوجد مجددًا غرفة بأى فندق لأى من يوساريان أو أور، وهناك كان مايلو شخصية جليلة. وقد كان لمايلو جناح مترف خاص به فى قصر وردى ضخم، ولكن لم يتم السماح ليوساريان وأور بالدخول معه؛ فقد قام بإيقافهما عند البوابات حراس عمالقة يمسكون بسيوف حدباء وطاردوهما بعيدًا. كان أور يتنفس بصوت مسموع ويعطس على نحو متكرر لإصابته ببرد حاد فى رأسه، وقد كان ظهر يوساريان

العريض مقوسًا ويؤلمه. كان مستعدًا لكسر رقبة مايلو ولكن مايلو كان شخصًا جليلاً له مركزه هناك، وفى كل مكان ذهبا إليه بعد ذلك كان مايلو له شأن عظيم، سواء فى البلدان المتحضرة، وحتى فى الأقاليم المتخلفة، وفى عمق أدغال إفريقيا كانت صور كبيرة لوجهه الذى يحمل شاربًا معلقة فوق مذابح حجرية ملطخة بدماء بشرية؛ ففى كل مكان كانوا يذهبون إليه كان يُستقبل بحفاوة ويقابله الناس باحتفاء وترحيب حماسى حتى وصلوا أخيراً إلى القاهرة؛ حيث اشترى مايلو كل محصول القطن الذى لم يرغب أى شخص آخر بالعالم فى شرائه؛ مما جعله يقف على حافة الهاوية.

وفى القاهرة كانت توجد أخيرًا غرفة فندق من أجل يوساريان وأور. كانت هناك أسرَّة لينة من أجلهما تعلوها وسادات ذات زغب وشراشف نظيفة، وكانت هناك خزانات ملابس بها مشاجب يمكنهما تعليق ملابسهما فوقها. وكان هناك ماء للاغتسال به. قام يوساريان وأور بنقع جسميهما زنخى الرائحة فى حوض الماء الساخن، ثم ذهبا مع مايلو لتناول كوكتيل الجمبرى والفيليه فى مطعم أنيق للغاية يوجد فى ردهته تلغراف بورصة والذى تصادف أنه كان يعلن عن آخر سعر للقطن أثناء سؤال مايلو لكبير النادلين عن نوع هذه الآلة، ولم يسبق لمايلو أن رأى قبل ذلك ماكينة تضاهى جمال آلة تلغراف البورصة هذه.

قال متعجبًا حينما انتهى كبير النادلين من شرحه: "حقا؟ وما سعر البيع الخاص بالقطن المصرى؟". أخبره كبير النادلين واشترى مايلو المحصول كله.

ولكن يوساريان لم يكن خائفًا من القطن المصرى الذى اشتراه مايلو بقدر خوفه من صوبات الموز الأخضر الضارب إلى الحمرة التى لمحها مايلو فى السوق أثناء استقلالهم السيارة بالمدينة، وقد تحقق خوفه؛ حيث أيقظه مايلو من نوم عميق بعد الثانية عشرة مباشرة وهو يمد نحوه موزة منزوعة القشر جزئيًا. كاد يوساريان يبكى .

استحثه مايلو وهو يطارد وجهه المتمعج بالموزة فى إصرار: "تذوقها".

قال يوساريان فى أنين: "مايلو، أيها الوغد. يجب أن أنام قليلاً".

قال مايلو: "تذوقها وأخبرنى إن كانت جيدة. لا تخبر أور بأننى أعطيتك إياها؛ فقد أخذت منه قرشين مقابلها".

تناول يوساريان الموزة فى استسلام وأغلق عينيه بعد أن أخبر مايلو أنها جيدة، ولكن مايلو أيقظه ثانية بهزه بقوة وطلب منه أن يرتدى ملابسه بأقصى سرعة ممكنة لأنهم سيسافرون على الفور إلى بيانوسا.

قال: "أنت وأور لابد أن تشحنا الموز فى الطائرة على الفور؛ وقد أوصانى الرجل بتوخى الحذر من العناكب أثناء حمل الصوبات".

استجداه يوساريان قائلاً: "مايلو، ألا يمكننا الانتظار حتى الصباح؟ لابد أن أحصل على قسط من النوم".

أجابه مايلو: "إنه ينضج بسرعة كبيرة وليس لدينا دقيقة لنهدرها. فقط فكر إلى أى مدى سيكون الرجال فى السرية سعداء حينما يحصلون على هذا الموز".

ولكن الرجال فى السرية لم يروا قط أيًا من هذا الموز؛ حيث كان هناك سوق لبيع الموز فى إسطنبول وسوق لشراء الحبوب فى بيروت، وقد هرع مايلو إلى بنغازى بعد بيع الموز وحينما عادوا إلى بيانوسا بعد ستة أيام مقطوعى النفس فى نهاية إجازة أور كانوا يحملون شحنة من أفضل البيض الأبيض من صقلية والذى قال مايلو إنه اشتراه من مصر وباعه لمطبخه فى مقابل أربعة سنتات للبيضة فقط؛ وذلك حتى يناشده كل رؤسائه من الضباط فى النقابة بأن يعود بسرعة إلى القاهرة ليجلب المزيد من صوبات الموز الأخضر الضارب إلى الحمرة ليبيعه فى تركيا ثم بثمنه يشترى الحبوب لبيعها فى بنغازى، وقد كان لكل رجل حصته.

٢٣
والد ناتلى

كان الرجل الوحيد فى السرية الذى رأى أيًا من موز مايلو الأحمر هو آرفى، والذى أخذ اثنتين من أحد أصدقائه من ذوى النفوذ بالجمعية الأخوية فى فيلق الإمداد والتموين حينما بدأ الموز ينضج ويتسرب إلى إيطاليا عبر قنوات الأسواق السوداء الطبيعية، وقد كان فى شقة الضباط مع يوساريان فى الليلة التى عثر فيها ناتلى على فتاته أخيرًا بعد عدة أسابيع من البحث غير المثمر وأغراها بالعودة إلى الشقة بصحبة اثنتين من صديقاتها عن طريق وعدهن بإعطاء كل منهن ثلاثين دولارًا.

قال آرفى ببطء وهو يتفحص كل فتاة من الفتيات الثلاث الطويلات وقويات البنية أثناء تقلده دور الخبير المتذمر: "ثلاثون دولارًا لكل منهم؟ إن ثلاثين دولارًا مبلغ كبير لبضاعة مثل هذه. علاوة على ذلك، فأنا لم يسبق لى أن دفعت نقودًا للفتيات".

أكد له ناتلى سريعًا: "أنا لا أطلب منك أن تدفع لهن. أنا سأدفع لهن جميعًا. أنا فقط أريد منكم أخذ الفتاتين الأخريين. هلاّ ساعدتمونى من فضلكم".

ابتسم آرفى بشكل لطيف وهزّ رأسه المستدير الناعم وقال: "ليس هناك من يستطيع دفع المال نيابة عنى؛ فأنا أستطيع الحصول على كل ما أريد وقتما أريد. كل ما فى الأمر أن حالتى المزاجية لا تسمح بذلك الآن".

اقترح يوساريان قائلاً: "لماذا لا تقوم ببساطة بالدفع للثلاثة وصرف الاثنتين الأخريين؟".

أجاب ناتلى وهو ينظر بقلق إلى فتاته والتى كانت تنظر إليه فى تململ وبدأت تتمتم: "لأنه فى ذلك الحين سوف تغضب فتاتى منى لأننى جعلتها تعمل بالمال الذى أعطيته لها. إنها تقول إننى إذا كنت أحبها حقًا فإننى سوف أصرفها هى وأختار واحدة من الاثنتين الأخريين".

قال آرفى فى فخر: "إن لدى فكرة أفضل. لماذا لا نبقى ثلاثتهن هنا إلى ما بعد حظر التجول، وبعد ذلك نهدد بإلقائهن فى الشارع كى يتم القبض عليهن إلا إذا قمن بإعطائنا كل المال. نستطيع حتى تهديدهن بإلقائهن من النافذة".

قال ناتلى فى ذعر: "آرفى!".

قال آرفى فى جبن: "أنا فقط كنت أحاول تقديم المساعدة". كان آرفى دومًا

يحاول مساعدة ناتلى لأن والد ناتلى كان غنيًا وإحدى الشخصيات البارزة والذى يشغل وظيفة مرموقة تؤهله لمساعدة آرفى من خلالها بعد الحرب. دافع عن نفسه فى تذمر: "فى المدرسة كنا نفعل دومًا أمورًا مثل هذه؛ فأنا أتذكر ذلك اليوم الذى قمنا فيه بخداع تلميذتين غبيتين بالمدرسة الثانوية كانتا من المدينة وأخذناهما إلى الجمعية الأخوية وقمنا بحبسهما لأكثر من عشر ساعات. وقد قمنا حتى بصفعهما على وجهيهما حينما بدأتا تتذمران. وبعد ذلك أخذنا أموالهما والعلكة من فيههما وألقينا بهما فى الخارج. يا إلهى، لقد اعتدنا الاستمتاع بوقتنا فى منزل الأخوية هذا"، ثم أخذ يتذكر فى سكينة بينما تتوهج وجنتاه البدينتان فى مرح ودفء وأضاف: "لقد اعتدنا تعذيب الجميع، حتى بعضنا البعض".

ولكن آرفى لم يستطع تقديم أية مساعدة لناتلى الآن؛ حيث إن الفتاة التى كان ناتلى متيمًا بها بدأت تسبه فى استياء متزايد، ولحسن الحظ أن هنجرى جو وصل فى ذلك الحين لتعود الأمور إلى نصابها الصحيح مجددًا، إلا أن دونبار دخل مترنحًا بعد دقيقة وهكذا اختل التوازن مجددًا، حيث أصبح الآن هناك أربعة رجال وثلاث فتيات. ترك السبعة آرفى فى الشقة واستقلوا عربة أجرة يجرها حصان والتى ظلت واقفة دون حركة عند الحاجز الحجرى، فى حين طالب الفتيات بأموالهن مقدمًا. أعطاهن ناتلى تسعين دولارًا فى شهامة بعد أن اقترض عشرين دولارًا من يوساريان، وخمسة وثلاثين دولارًا من دونبار وسبعة عشر دولارًا من هنجرى جو. وقد أصبحت الفتيات أكثر لطفًا فى ذلك الحين وأعطين عنوانًا للسائق والذى قاد العربة ببطء عبر المدينة إلى قطاع لم يسبق لهن زيارته من قبل وتوقف أمام مبنى طويل وقديم فى شارع مظلم. قادتهم الفتيات عبر أربعة طوابق منحدرة وطويلة للغاية مكونة من درجات خشبية متصدعة حتى وصلوا إلى مدخل شقتهن المتألقة والمذهلة، والتى كانت زاخرة بعدد لا حصر له من الفتيات غير المحتشمات وتضم بين طياتها رجلاً عجوزًا قبيحًا وفاسقًا والذى أزعج يوساريان كثيرًا بضحكته الساخرة، وامرأة عجوزًا حسنة الطلعة ذات ضحكة تشبه قرقرة الدجاج ترتدى معطفًا صوفيًا رماديًا والتى كانت تعترض على أى شىء غير أخلاقى يحدث هناك وتحاول جاهدة تنظيم الأمور.

فى البداية لم يكن هناك سوى الفتيات الثلاث فى غرفة الجلوس ذات الضوء المعتم والتى كانت تمثل نقطة الاتصال بين ثلاثة أروقة مظلمة تقود باتجاهات مختلفة إلى الغرف المنعزلة البعيدة، وقد كان الرجل العجوز النحيف الفاسق ذو الشعر الأبيض الطويل الرث والقميص غير مغلق الأزرار القذر يجلس فى تراخ على مقعد أزرق بالٍ فى منتصف الحجرة تمامًا وقام بالترحيب بناتلى ورفاقه بطريقة مرحة وساخرة.

كان الرجل العجوز يجلس فى مقعده الأزرق الرث مثل ملك يجلس فوق عرشه ويلف ملاءة مسروقة من الجيش الأمريكى حول ساقيه الطويلتين النحيلتين ليتخلص من القشعريرة. ظل يضحك فى هدوء بينما تبرق عيناه الغائرتان الماكرتان فى بهجة ساخرة. لقد كان يحتسى الشراب. شعر ناتلى على الفور بالكراهية إزاء هذا الرجل العجوز الفاسد أخلاقيًا غير الوطنى والذى كان يتفوه بنكات تحط من قدر أمريكا، وإلى حد ما ذكره هذا الرجل العجوز بوالده.

قال: "أمريكا سوف تخسر الحربً - وإيطاليا سوف تفوز بها".

ذكره ناتلى بنبرة متغطرسة: "إن أمريكا هى أقوى بلد على سطح الأرض. ولا يوجد من يضاهى الجندى الأمريكى فى العالم".

وافقه الرجل فى سعادة: "تمامًا. وإيطاليا على الجانب الآخر هى إحدى أكثر الأمم فقرًا على سطح الأرض، والجندى الإيطالى يأتى على الأرجح فى مرتبة تالية بعد كل جنود العالم، وهذا تمامًا هو السبب فى أن بلادى تبلى بلاءً حسنًا فى هذه الحرب فى حين أن بلادك أداؤها مثير للغثيان".

قهقه ناتلى دهشةً ثم تورد وهو يشعر بالندم لوقاحته. قال فى إخلاص وعطف: "آسف لأننى سخرت منك، ولكن ألمانيا كانت تحتل إيطاليا والتى أصبحت الآن تحت احتلالنا. لا يمكنك أن تعتبر ذلك بلاءً حسنًا، أليس كذلك؟".

قال الرجل العجوز فى بهجة: "بالطبع أعتبره كذلك. إن الألمان يخرجون من بلادنا ونحن لا نزال هنا، وخلال سنوات قليلة سوف ترحلون أنتم أيضًا وسوف نظل نحن هنا. أترى، إن إيطاليا هى بلد فقير وضعيف للغاية وهذا هو ما يجعلنا أقوياء للغاية؛ فلم يعد الجنود الإيطاليون يموتون فى الحرب، ولكن الجنود الأمريكيين والألمان يموتون. وأنا أعتبر ذلك بلاءً حسنًا. نعم أنا واثق من أن إيطاليا ستنجو من هذه الحرب وستظل على قيد الحياة فترة طويلة بعد أن تكون بلدك قد دُمِّرت تمامًا".

كاد ناتلى لا يصدق أذنيه؛ فهو لم يسبق له أن سمع مثل هذا الكلام المصدم من قبل، وتساءل من منطلق منطق غريزى عن السبب الذى لم يجعل الجنود الألمان يقتصون من هذا العجوز الخائن. صاح فى عاطفة: "إن أمريكا لن تتعرض للدمار!".

قال العجوز برقة: "مطلقًا؟".

تلعثم ناتلى: "حسنًا......".

ضحك الرجل العجوز وهو يكبح مزيدًا من السعادة؛ وقد ظل هجومه رقيقًا: "إن روما دمرت واليونان دمرت وإمبراطورية الفرس دمرت وإسبانيا دمرت. إن جميع البلدان العظيمة دمرت. إذن فلماذا لا يحدث نفس الشىء لبلادك؟ فكم من

الزمن فى اعتقادك ستستمر بلادك؟ للأبد؟ ضع فى ذهنك أن الأرض نفسها سوف تدمرها الشمس خلال خمسة وعشرين مليون عام تقريبًا".

تلوى ناتلى فى تململ: "حسنًا، سنبقى للأبد على ما أعتقد".

أصر الرجل العجوز السعيد فى حماسة سادية: "مليون عام؟ نصف مليون؟ إن الضفدع يعيش على سطح الأرض منذ خمسمائة مليون عام. أواثق أنت أن أمريكا بكل ما تمتلكه من قوة ورخاء وجنود لا يضاهيهم أحد ومستواها المعيشى الأكثر ارتفاعًا فى العالم سوف تعيش وتستمر نفس الفترة التى عاشها... الضفدع؟".

أراد ناتلى أن يسحق وجهه الذى تعلوه نظرة شزراء. نظر حوله بحثًا عن بعض المساعدة فى الدفاع عن مستقبل بلاده ضد هذا الافتراء البغيض لهذا المعتدى الآثم والخبيث. لكنه أصيب بالإحباط؛ حيث كان يوساريان ودونبار مشغولين فى ركن بعيد بمغازلة الفتيات، كما اختفى هنجرى جو عن الأنظار منذ وقت طويل.

شعر ناتلى بأنه فى حالة من التيه الذى يشوبه الخزى. كانت فتاته تجلس على أريكة وثيرة بينما يعلو وجهها تعبير ينم عن الملل، وقد كان ناتلى مصاباً بالتوتر من معاملتها الجافة والباردة له. نفس الوضعية الخاملة تلك ذكرته بحيوية وبحب وبؤس بأول مرة رآها فيها وتجاهلته حين كان الجميع يلعب فى غرفة المعيشة بشقة المجندين. كان فمها اللين مفتوحًا على شكل حرف (O) والله وحده هو من يعلم إلى ماذا كانت تحدق بعينيها الضبابيتين بذلك الفتور القاسى. نظر الرجل العجوز إليه فى هدوء وهو يبتسم ابتسامة تنم عن الفطنة والازدراء والتعاطف.

لقد ذكر هذا الرجل العجوز القذر الشيطانى الخسيس ناتلى بوالده لأنه لم يكن هناك أى شىء مشترك بينهما: فكان والد ناتلى رجلاً نبيلاً ذا شعر أبيض ومهندمًا؛ أما هذا الرجل العجوز فكان فظًا ومتبطلاً سكيرًا. والد ناتلى كان متزنًا ورجلاً فلسفيًا مسئولاً؛ أما هذا الرجل العجوز فكان فاسقًا ومتقلبًا. كان والد ناتلى عاقلاً ومثقفاً؛ أما هذا الرجل العجوز فكان فقيرًا. كان والد ناتلى يؤمن ويقدر معنى الشرف ويعرف الإجابة عن كل شىء؛ أما هذا الرجل فلم يكن يؤمن بشىء وكان فقط يطرح أسئلة. كان لوالد ناتلى شارب أبيض مميز؛ أما هذا الرجل العجوز فلم يكن له شارب على الإطلاق، وكان والد ناتلى ـ ووالد أى شخص آخر سبق لناتلى مقابلته ـ حكيمًا ومبجلاً ووقورًا؛ أما هذا الرجل العجوز فكان بغيضًا، وقد انخرط ناتلى فى النقاش معه ثانية وهو عاقد العزم على تثبيط حجته الفاسدة بطريقة انتقامية متقدة ظن أنها بلا شك سوف تجذب انتباه فتاته الباردة الشاعرة بالضجر والتى يهيم بها حبًا وتساعده على كسب إعجابها للأبد.

واصل حديثه بشجاعة: "حسنًا، بصراحة، أنا لا أعلم إلى متى ستستمر أمريكا. أعتقد أنه ليس بمقدورنا الاستمرار للأبد إن كان العالم نفسه سوف يتعرض

للدمار فى يوم ما، ولكننى أعلم أننا سننجو من الحرب وننتصر ونستمر لفترة طويلة للغاية".

سخر الرجل العجوز فى بهجة خبيثة: "إلى متى؟ ليس حتى الفترة التى عاشها الضفدع؟".

قال ناتلى فى ضعف: "أكثر من الفترة التى سنعيشها أنا وأنت".

"هذا فقط! إن ذلك لن يكون بالوقت الطويل، مع الوضع فى الاعتبار مدى سذاجتك وشجاعتك، وأننى بالفعل رجل بلغ من العمر أرذله".

سأل ناتلى فى فضول بعدما شعر بالإعجاب رغمًا عنه ناحية الرجل العجوز: "كم عمرك؟".

ضحك الرجل العجوز من قلبه بسبب النظرة المرتسمة على وجه ناتلى: "مائة وسبعة".

أجاب ناتلى بابتسامة خجولة لطيفة: "أنا لا أصدق أى شىء تقوله لى. الشىء الوحيد الذى أصدقه هو أن أمريكا ستكسب الحرب".

سخر الرجل العجوز القذر الجائر قائلاً: "إنك تضع الكثير من الرهانات على *كسب* الحروب. إن الخدعة الحقيقية تكمن فى *خسارة* الحروب، فى معرفة أى الحروب يمكن خسارتها؛ فإيطاليا تخسر الحروب منذ قرون، وانظر إلى أى مدى تسير أمورنا بشكل رائع بالرغم من ذلك، وفرنسا تكسب الحروب بالرغم من ذلك فإنها تعيش فى أزمة متواصلة. وألمانيا تخسر وتزدهر. فانظر إلى تاريخنا الحديث، وقد كسبت إيطاليا حربًا فى إثيوبيا وسرعان ما وقعت فى مشكلات خطيرة. إن الانتصار أبلانا بأوهام العظمة الجنونية التى أدت إلى مساعدتنا فى إشعال فتيل حرب عالمية ليس أمامنا أية فرصة لكسبها، ولكن الآن بما أننا نخسر ثانية فإن الأوضاع تتحسن ونحن بدون شك سوف ننجح فى اعتلاء القمة مرة أخرى إن نجحنا فى الانهزام".

نظر إليه ناتلى فى ارتباك: "الآن أنا لا أفهم بالفعل ما تقوله. إنك تتحدث كشخص مجنون".

"ولكننى أعيش مثل شخص عاقل. لقد كنت فاشيًا حينما كان موسولينى على القمة، وأنا الآن معاد للفاشية بما أنه قد تم عزله، وقد كنت مناصرًا للألمان حينما كانوا هنا لحمايتنا من الأمريكيين، والآن بما أن الأمريكيين هنا لحمايتنا من الألمان فأنا مناصر للأمريكيين. يمكننى أن أؤكد لك يا صديقى الشاب الغاضب" ـ ثم برقت عينا الرجل العجوز المزدريتان العالمتان أكثر حينما ازداد فزع ناتلى: "إنك وبلدك لن تحصلا قط على موالين أكثر إخلاصًا منى فى إيطاليا ـ ولكن طالما أنتم *موجودون* فى إيطاليا فقط".

صاح ناتلى فى عدم تصديق: "ولكنك شخص منافق!! شخص انتهازى! شخص عديم الضمير!".

ذكره الرجل فى رقة: "أنا أبلغ من العمر مائة وسبعة أعوام".

"أليست لديك أية مبادئ؟".

"بالطبع لا".

"أخلاق؟".

أكد له الرجل العجوز الخسيس بجدية: "بلى، أنا رجل يتمتع بأخلاقيات مثلى". ابتسم إلى ناتلى فى سخرية.

قال ناتلى فى استياء وهو يحاول جاهدًا ألا ينظر إليه: "لا أستطيع أن أصدق هذا. أنا ببساطة لا أستطيع تصديق هذا".

"ولكن كل هذا صحيح؛ فحينما دخل الألمان المدينة رقصت فى الشوارع مثل راقصة باليه شابة وصحت "يحيا هتلر!" حتى أصبت بألم فى رئتى. وقد قمت حتى بالتلويح بعلم نازى صغير كنت قد انتزعته من فتاة صغيرة جميلة أثناء عدم انتباه والدتها، وحينما غادر الألمان البلدة هرعت لتحية الأمريكيين والترحيب بهم وأنا أمسك بسلة من الزهور وذلك لنثرها فوق محررينا. وقد كان هنالك رائد عجوز متصلب ضخم يستقل السيارة الأولى وقد قمت بإصابته فى عينه بزهرة حمراء. كانت رمية رائعة! يا ليتك تراه وهو يجفل".

شهق ناتلى ونهض على قدميه فى دهشة بينما يتدفق الدم إلى وجنتيه. صاح قائلاً: "الرائد دى كوفرلى!".

سأل الرجل العجوز فى بهجة: "هل تعرفه. يا لها من مصادفة مذهلة!".

كان ناتلى يشعر بدهشة غامرة أعجزته حتى عن سماعه. قال فى سخط وذعر: "إذن أنت الرجل الذى أصاب الرائد دى كوفرلى! كيف أمكنك القيام بهذا؟".

كان الرجل العجوز الوحشى سعيداً. "أنت تعنى كيف يمكننى المقاومة. كان لابد لك أن ترى هذا الشخص العجوز المضجر المتعجرف يجلس هناك وكأنه ملك برأسه الكبير القاسى ووجهه المهيب الغبى. كم كان هدفًا مغريًا! لقد أصبته فى عينه بزهرة أمريكية جميلة. لقد ظننت أن ذلك تصرف لائق. ألا تعتقد هذا؟".

صاح عليه ناتلى موبخًا إياه: "كان ذلك تصرفًا بشعًا حقًا! تصرفًا وحشيًا وإجراميًا! إن الرائد دى كوفرلى هو الضابط التنفيذى بسريتنا!".

قال الرجل العجوز مغيظًا ناتلى وهو يتظاهر بالندم: "حقًا؟ فى هذه الحالة لابد أن تصدق على نزاهتى؛ فحينما دخل الألمان كدت أقتل جنديًا ألمانياً بغصن شجرة".

أصيب ناتلى بالذعر والارتباك من عدم مقدرة الرجل العجوز البغيض على إدراك فداحة فعلته. وبخه قائلاً: "ألا تدرك ما فعلت؟ إن الرائد دى كوفرلى هو شخص نبيل ورائع ويحظى بإعجاب الجميع".

"إنه عجوز غبى وسخيف ليس لديه أدنى حق فى التظاهر بأنه شاب غير سخيف. أين هو اليوم؟ هل مات؟".

أجاب ناتلى برقة فى حزن: "لا أحد يعلم. يبدو أنه اختفى ببساطة".

"أترى؟ تخيل رجلاً فى مثل سنه يضحى بالقدر الضئيل المتبقى من حياته من أجل شىء سخيف مثل الوطن".

نهض ناتلى على الفور مجددًا وقال: "لا يوجد ما هو سخيف فى التضحية بحياتك من أجل وطنك!".

سأل الرجل العجوز: "ألا يوجد؟ ما الوطن؟ الوطن هو قطعة أرض تحوطها تخوم من كل الجوانب والتى فى العادة تكون غير طبيعية. إن الإنجليز يموتون من أجل إنجلترا، والأمريكيون يموتون من أجل أمريكا، والألمان يموتون من أجل ألمانيا، والروس يموتون من أجل روسيا. إن هناك الآن نحو خمسين أو ستين بلدًا تحارب فى هذه الحرب. بالطبع ليس كل البلاد تستحق الموت من أجلها".

قال ناتلى: "إن أى شىء يستحق أن نعيش من أجله يستحق أن نموت من أجله".

قال الرجل العجوز الحقير: "وأى شىء يستحق أن نموت من أجله يستحق بدون شك أن نعيش من أجله. أتعلم، إنك حقًا شاب نقى وساذج حتى إننى أشعر بالأسف من أجلك. كم عمرك؟ خمسة وعشرون؟ ستة وعشرون؟".

قال ناتلى: "تسعة عشر. سوف أبلغ العشرين فى يناير".

"ذلك إن عشت". هزّ الرجل العجوز رأسه وهو يرسم على وجهه للحظة أمارات التقطيب وعدم الاستحسان مثل التى تعلو وجه المرأة العجوز وأضاف: "إنهم سوف يقتلونك إذا لم تتوخ الحذر، وأستطيع أن أجزم من الآن أنك لن تتوخى الحذر. لماذا لا تتعقل بعض الشىء وتحاول أن تكون مثلى؟ فربما حينها ستعيش حتى تبلغ المائة وسبعة من عمرك كذلك".

قال ناتلى فى انتصار واقتناع: "لأنه من الأفضل للمرء أن يموت على قدميه لا أن يعيش على ركبتيه. أعتقد أنك سمعت هذا القول المأثور قبل ذلك".

قال الرجل العجوز الخائن وهو يبتسم ثانية: "بالطبع سمعته، ولكن أخشى أنك قد عكسته. من الأفضل للمرء أن يعيش على قدميه لا أن يموت على ركبتيه. هذا هو المثل الذى تقصده".

سأل ناتلى فى ارتباك: "هل أنت واثق؟ إنه يبدو أكثر منطقية بطريقتى".

"لا، إنه أكثر منطقية بطريقتى. اسأل أصدقاءك".

استدار ناتلى ليسأل أصدقاءه واكتشف أنهم قد اختفوا؛ فقد اختفى كل من يوساريان ودونبار، وقد انفجر الرجل العجوز فى الضحك حينما رأى أمارات الدهشة والخزى المرتسمة على وجه ناتلى. تورد وجه ناتلى خزيًا. تردد فى بؤس طوال بضع لحظات ثم نهض مسرعًا واندفع داخل الرواق الأقرب بحثًا عن يوساريان ودونبار آملاً أن يجدهما فى الوقت المناسب ويجلبهما لإنقاذه بعد أن يخبرهما بالصدام الذى حدث بين الرائد دى كوفرلى والرجل العجوز. كانت جميع الأبواب فى الأروقة مغلقة. ولم يكن هناك ضوء تحت أى منها. كان الوقت قد تأخر بالفعل. توقف ناتلى عن البحث فى يأس؛ فقد أدرك فى النهاية أنه لم يتبق له شىء ليقوم به سوى أن يأخذ الفتاة الواقع فى حبها إلى أى مكان منعزل ليخططا معًا لمستقبلهما، ولكنها كانت قد ذهبت إلى الفراش كذلك حينما عاد إلى غرفة الجلوس من أجلها، ولم يتبق له شىء ليفعله سوى مواصلة حديثه المخفق مع العجوز الكريه، والذى نهض من مقعده بتحضر وطلب الإذن بالسماح له بالذهاب للنوم تاركًا ناتلى مع فتاتين غائمتى العينين اللتين لم تستطيعا أن تخبراه لأى غرفة توجهت فتاته، وذهبتا إلى الفراش بعد عدة ثوان تاركتاه ينام وحده فى غرفة الجلوس على أريكة صغيرة.

كان ناتلى فتى حساسًا غنيًا وسيمًا ذا شعر داكن وعينين تشعان ثقة ، وقد شعر بألم فى رقبته حينما استيقظ على الأريكة فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى وهو يتساءل أين هو. كان ذا طبيعة رقيقة ومهذبة؛ فهو قد عاش عشرين عامًا تقريبًا دون أن تساوره مشاعر الألم أو التوتر أو الكراهية أو العصاب، الأمر الذى كان أكبر دليل ليوساريان أنه معتوه، وقد كانت طفولته سعيدة وإن كانت صارمة. وقد كانت علاقته بإخوته وأخواته جيدة ولم يكن يكره والدته ووالده على الرغم من أنهما كانا يحسنان معاملته.

وقد كان ناتلى منذ صغره يكره أشخاصًا مثل آرفى، والذى كانت والدته ممن يمكن تصنيفهم بأنهم أشخاص يحاولون التقدم فى الحياة بوسائل لا تمت للكفاءة بصلة، أو أشخاص مثل مايلو والذى كان والده ممن يمكن تصنيفهم بأنهم انتهازيون، ولكنه لم يعرف هؤلاء الأشخاص عن قرب قط؛ حيث إنه لم يتم السماح له بالاقتراب منهم. فبقدر ما يستطيع التذكر كانت منازلهم فى فيلادلفيا ونيويورك وماين وبالم بيتش وساوثمبتون ولندن وديفيل وباريس وجنوب فرنسا تعج دومًا بسيدات ورجال نبلاء لم يكونوا ممن يحاولون التقدم فى الحياة بوسائل لا تمت للكفاءة بصلة أو انتهازيين. كانت والدة ناتلى سليلة عائلة ثورنتونز من نيو إنجلاند وابنة الثورة الأمريكية؛ أما والده فكان وغدًا حقيرًا.

كانت أمه تذكره دومًا: "تذكر دومًا أنك ناتلى؛ فأنت لست من عائلة فاندربيلت والتى كون ثروتها كابتن زورق سوقى، ولست من عائلة روكفيلر والتى جمعت ثروتها عن طريق المضاربات عديمة الضمير فى بورصة البترول الخام، ولست من عائلة رينولدز أو ديوك اللتين جمعتا ثروتهما من بيع المنتجات الغذائية المحتوية على الراتينج والقار المسببين للسرطان، وأنت بالطبع لست من عائلة آستور والتى لاتزال تؤجر غرف منزلها. أنت من عائلة ناتلى، وعائلة ناتلى لم تفعل *أى شىء* لتجنى أموالها قط".

تدخل والده بدماثته فى إحدى المرات بشكل مهيب كان ناتلى يحبه كثيرًا: "إن ما تعنيه أمك يا بنى هو أن المال القديم أفضل من المال الجديد، وأن الأغنياء الجدد لا يحظون بنفس المكانة العالية التى يحظى بها الفقراء الجدد. أليس كذلك يا عزيزتى؟".

كان والد ناتلى يشع دومًا حكمة وعقلاً راجحًا ويطفح باستمرار بأقوال حكيمة مثل هذا، وقد كان حماسيًا ومتورد اللون مثل العصير الطازج وكان ناتلى يحبه كثيرًا على الرغم من أنه لم يكن يحب العصير الطازج. وحينما اندلعت الحرب قررت عائلة ناتلى أن تلحقه بالقوات المسلحة بما أنه كان صغيرًا للغاية للالتحاق بالسلك الدبلوماسى، وبما أن والده كان واثقًا من أن روسيا سوف تنهار فى غضون أسابيع وشهور وأن هتلر وتشرشل ورزفيلت وموسولينى وغاندى وفرانكو وبيرون وإمبراطور اليابان سيوقعون جميعًا فى ذلك الحين معاهدة سلام ويعيشون فى سعادة أبدية بعد ذلك. وقد كانت فكرة والد ناتلى أن يلتحق ابنه بالقوات الجوية، حيث يمكنه التدرب بأمان كى يصبح طيارًا أثناء الفترة التى ستستغرقها عملية استسلام الروس وإعلان الهدنة وحيث ـ باعتباره ضابطًا ـ يمكنه التواصل فقط مع رجال نبلاء.

ولكن بدلاً من ذلك وجد ناتلى نفسه مع يوساريان ودونبار وهنجرى جو فى شقة مفروشة فى روما؛ حيث كان واقعًا فى الحب مع فتاة باردة، والتى استطاع الاختلاء بها أخيرًا فى الصباح ـ بعد الليلة التى أمضاها نائمًا وحده فى غرفة الجلوس ـ فقط لتقاطعه على الفور أختها الصغيرة والتى دخلت مندفعة دون تحذير وجلست على الأريكة بينهما. نهضت فتاة ناتلى فى تذمر لتضربها وأوقعتها على الأرض وهى تمسك بشعرها. ظلت الأختان تسبان وتبصقان على بعضهما البعض بشكل عنيف الآن، بعد أن انخرطتا فى مشاجرة تصم الآذان والتى جذبت حشدًا كاملاً من المشاهدين المتحمسين إلى داخل الغرفة. استسلم ناتلى فى سخط. طلب من فتاته اصطحاب الشقيقة الصغرى لتناول الطعام فى كافيتريا مفتوحة قريبة، لكن بعد فترة شعرت فتاة ناتلى بالضجر وقررت التمشى بالشوارع مع فتاتين

أخريين وألا تمضى مزيدًا من الوقت معه، وقد تبعها ناتلى والأخت الصغرى والتى كانت تقوم بجمع الأحجار الجذابة بينما يشتاط هو غضبًا وإحباطًا، وقد شعر كلاهما بالتعاسة حينما أوقف مجموعة ضباط يستقلون سيارة عسكرية الفتيات واصطحبوهن معهم.

عاد ناتلى إلى الكافيتريا مرة أخرى واشترى للأخت الصغرى آيس كريم بالشيكولاتة وجلس معها حتى تحسنت حالتها المعنوية، وبعد ذلك عاد معها إلى الشقة؛ حيث كان يجلس كل من يوساريان ودونبار فى غرفة الجلوس مع هنجرى جو المجهد والذى كان لايزال يرسم على وجهه ابتسامة الانتصار المتبلدة السعيدة والتى خرج بها من غرفته هذا الصباح، وقد شعر الرجل العجوز الفاسق بالسعادة لرؤية هنجرى جو على هذا الحال. وهو قد قام بتحية ناتلى بحرارة وهو لايزال يرتدى نفس الملابس المجعدة التى كان يرتديها فى الليلة الماضية. كان ناتلى مستاء بشدة من مظهره الرث هذا، وفى كل مرة يأتى فيها إلى الشقة كان يتمنى أن يقوم هذا الرجل العجوز الفاسد بارتداء ملابس نظيفة وحلاقة ذقنه وتمشيط شعره وارتداء سترة من الصوف وإطلاق شارب أبيض صغير حتى لا يشعر بمثل هذا الخزى المربك فى كل مرة ينظر فيها إليه ويتذكر والده.

٢٤

مايلو

كان أبريل هو الشهر المفضل لدى مايلو من بين جميع الشهور؛ فنبات الليلك يزدهر فى أبريل والفاكهة تنضج فوق الكرمات، ونبضات القلوب تتسارع والشهيات القديمة تتجدد. فى أبريل تصير زهور السوسن مفعمة بالحياة؛ فأبريل هو الربيع، وفى الربيع انصب خيال مايلو مايندبايندر على اليوسفى.

"اليوسفى؟".

"نعم يا سيدى؟".

قال الكولونيل فى سادرينيا والذى كان يترأس أربع سريات بى-٢٦: "إن رجالى سيحبون تناول اليوسفى".

أكد له مايلو: "سوف يكون هناك كل اليوسفى الذى يستطيعون تناوله والذى تستطيع دفع مقابله من الأموال المخصصة لشراء الطعام لديك".

"البطيخ الأصفر الشتوى؟".

"إنه يباع مقابل ثمن بخس فى دمشق".

"أنا ضعيف للغاية أمام البطيخ الأصفر الشتوى. طالما كنت ضعيفًا أمام البطيخ الأصفر الشتوى".

"فقط أعطنى طائرة واحدة من كل سرية، فقط طائرة واحدة، وسوف تحصل على كل البطيخ الأصفر الشتوى الذى تستطيع تناوله والذى يمكنك الدفع مقابله".

"هل يعنى هذا أننا سوف نشترى من النقابة؟".

"وكل شخص له حصته".

"إن ذلك مذهل. مذهل للغاية. كيف تقوم بذلك؟".

"إن قوة الشراء الإجمالية تحدث فارقًا كبيرًا، والمثال على ذلك شرائح لحم العجل المكسوة بكسر الخبز".

دمدم قائد السرية بى ـ ٢٥ فى شمال كورسيكا فى شك: "أنا لست مولعًا للغاية بشرائح لحم العجل المكسوة بكسر الخبز".

نصحه مايلو فى ورع: "إن شرائح لحم العجل المكسوة بكسر الخبز مغذية للغاية. إنها تحتوى على صفار بيض وكسرات خبز؛ وذلك ينطبق كذلك على

شرائح الحمل".

ردد وراءه قائد السرية بى ـ ٢٥: "آه، شرائح الحمل. شرائح حمل جيدة؟".

قال مايلو: "أفضل ما يوجد بالسوق السوداء".

"شرائح لحم حمل صغيرة".

"أفضل الشرائح المغطاة بالورق الوردى على الإطلاق. إنه يباع مقابل ثمن بخس فى البرتغال".

"أنا لا أستطيع أن أرسل طائرة إلى البرتغال. أنا لا أمتلك السلطة التى تسمح لى بذلك".

"أنا أستطيع، بمجرد أن تعطينى طائرة وطيارًا لقيادتها، ولا تنس ـ فأنت سوف تحصل على الجنرال دريدل".

"هل سيتناول الجنرال دريدل الطعام فى غرفة الطعام لدىّ ثانية؟".

"مثل الحيوان النهم، بمجرد أن تبدأ فى إطعامه أفضل بيض أبيض طازج مقلى فى زبدتى الكريمية النقية، وسوف يكون هناك يوسفى كذلك والبطيخ الشتوى الأصفر والمن وفيليه سمك الموسى والألاسكا المخبوزة وحلوى الكوكل وبلح البحر".

"وكل شخص له حصته".

قال مايلو: "وذلك هو أفضل ما فى الأمر".

دمدم قائد الطائرة المقاتلة غير المتعاون والذى لم يكن يحب مايلو كذلك: "أنا لا يعجبنى هذا الأمر".

شكا مايلو للجنرال دريدل قائلاً: "إن هناك قائد طائرة مقاتلة غير متعاون فى الشمال يبغضنى. إن الأمر يتطلب شخصًا واحدًا فقط لإفساد كل شىء، وفى ذلك الحين لن تحصل على بيضك الطازج المقلى فى زبدتى الكريمية الصافية بعد الآن".

قام الجنرال دريدل بنقل قائد الطائرة المقاتلة غير المتعاون إلى جزر سليمان ليقوم بحفر القبور واستبدل به كولونيلاً عجوزًا مصاباً بالتهاب كيسى وتوق شديد لجوز اللتشيه والذى قام بتقديم مايلو لجنرال السرية بى ـ ١٧ بالبر الرئيسى، والذى يعشق النقانق البولندية.

قال له مايلو: "إن النقانق البولندية يستبدل بها الفول السودانى فى كراكوا".

تنهد الجنرال فى شوق: "النقانق البولندية. أتعلم، أنا قد أتنازل عن أى شىء فى سبيل الحصول على شريحة ضخمة من النقانق البولندية. أى شىء".

"أنت لست مضطراً أن تتنازل عن أى شىء. فقط أعطنى طائرة واحدة لكل

غرفة طعام، وطيارًا مستعدًا أن يفعل ما آمره به، ومبلغًا صغيرًا مقدماً كدليل حسن النية".

"ولكن كراكوا تقع على بعد مئات الأميال خلف خطوط العدو. كيف ستح على النقانق؟".

"إن هناك تجارة دولية للنقانق الدولية فى جينيف. أنا فقط سوف أش الفول السودانى فى سويسرا وأستبدل به النقانق البولندية بسعر السوق الم هناك. وهم سوف يشحنون الفول السودانى إلى كراكوا وأنا سوف أشحن النة البولندية لك. وأنت تشترى فقط قدر النقانق البولندية الذى تحتاج إليه النقابة، وسوف يكون هناك يوسفى كذلك والمضاف إليه قدر ضئيل للغاية الألوان الصناعية. وبيض من مالطة وأفضل الشراب من صقلية؛ فأنت ست مثل من يدفع مالاً لنفسه حينما تشترى من النقابة، بما أنك تمتلك حصة، فأنت فى الحقيقة سوف تشترى كل ما تريده دون مقابل. ألا يعد ذلك منطقيًا

"أنت عبقرى حقًا، كيف جاءتك هذه الفكرة؟".

"إن اسمى هو مايلو مايندربايندر وأنا فى السابعة والعشرين من عمرى".

كانت طائرات مايلو مايندربايندر تأتى من كل مكان، طائرات مطاردة وطائ قاذفة وطائرات شحن تهبط فى المطار الخاص بالكولونيل كاثكارت والتى يقو جميعًا طيارون على أتم استعداد أن يفعلوا كما يأمرون، وكانت الطائرات مز بشعارات السرية المتوهجة والتى تحمل معانى مثالية مثل الشجاعة والقوة وال والصدق والحرية والحب والشرف والوطنية والتى طمسها على الفور فنيو م بطبقتين من الطلاء الأبيض واستبدلوا بها عبارة أرجوانية براقة هى "شر إم آند إم لمنتجات عالية الجودة من الفاكهة والحاصلات الزراعية". وحرفا "إم إم" فى عبارة "شركات إم آند إم" هى اختصار مايلو مايندربايندر، أما كلمة آند د دخيلة والتى قصد مايلو وضعها لدحض أى انطباع قد يتكون لدى أى شخ بأن النقابة ملك لشخص واحد فقط، وقد جاءت الطائرات إلى مايلو من مطا فى إيطاليا وشمال إفريقيا وإنجلترا ومن محطات نقل جوى فى ليبيريا وجز اسنسيون والقاهرة وكراشتى. وكانت طائرات المطاردة تقايض بالمزيد من بوا الشحن أو يتم إبقاؤها لحالات الإرسال أو الاستلام الطارئة أو النقل عبر قطا صغيرة، كما كانت الشاحنات والدبابات تجلب من القوات الأرضية وتستخدم أغراض النقل قصيرة المدى. والجميع كان له حصته، وأصبح الرجال بدناء وأض يتحركون بثقل وهم يضعون عصى تخليل الأسنان بين شفاههم الملطخة بالده وكان مايلو يشرف على عملية التصدير برمتها بنفسه. وكانت خطوط بنية عم من الهم محفورة دومًا داخل وجهه المضنى بالهموم، وأضفت عليه مظهرًا ينم

الرزانة وعدم الثقة، وكان الجميع فيما عدا يوساريان يظن أن مايلو أحمق، أولا لتطوعه لوظيفة ضابط المطبخ وثانيًا لأخذه هذا الأمر على محمل الجد. كان يوساريان يظن أيضًا أن مايلو أحمق؛ ولكنه كان يعلم أيضًا أن مايلو عبقرى.

وفى أحد الأيام سافر مايلو إلى إنجلترا لجلب شحنة من الهلفا التركية وجاء من مدغشقر يتصدر أربع طائرات مقاتلة ألمانية ممتلئة باليام والكرنب وأوراق الخردل واللوبيا الجورجية. وقد كان مايلو مصعوقًا حينما خطا خارج الطائرة ليجد مجموعة من الضباط العسكريين المسلحين ينتظرون لحبس الطيارين الألمان ومصادرة طائراتهم. "*مصادرة*!". كانت الكلمة فى حد ذاتها ملعونة بالنسبة له، وقد سار للأمام والخلف فى اهتياج وهو يهز إصبعًا للتوبيخ أمام الوجوه التى يعلوها الشعور بالذنب للكولونيل كاثكارت والمقدم كورن والنقيب المقاتل المسكين الخائف الذى يحمل المدفع الرشاش والذى كان يترأس مجموعة الضباط العسكريين.

صاح فيهم مايلو فى شك بصوت عال: "هل نحن فى روسيا؟" ثم صاح وهو يرتعد وكأنه لا يستطيع تصديق صوته: "مصادرة؟ منذ متى وهى سياسة الحكومة الأمريكية أن تصادر الملكيات الخاصة لمواطنيها؟ عار عليكم! عار عليكم جميعًا من أجل مجرد التفكير بهذه الطريقة البشعة".

قاطعه الرائد دانبى فى جبن: "ولكن يا مايلو نحن فى حرب مع ألمانيا، وتلك طائرات ألمانية".

قال مايلو فى غضب: "إنها ليست كذلك! إن تلك الطائرات تابعة للنقابة، والجميع له نصيبه. *مصادرة*؟ كيف يمكنكم مصادرة أملاككم الخاصة؟ *مصادرة*؟ أنا لم يسبق لى أن سمعت شيئًا بهذه البشاعة طوال حياتى".

وقد كان مايلو محقًا، فحينما نظروا إلى الطائرات مجددًا كان فنيوه قد طمسوا شارات الحزب النازى على الأجنحة والذيول وجسم الطائرات بطبقتين من الطلاء الأبيض ونسخوا عبارة: "شركات إم آند إم لمنتجات عالية الجودة من الفاكهة والحاصلات الزراعية"؛ فأمام أعينهم مباشرة قام بتحويل نقابته إلى شركة دولية.

وقد ملأت طائرات مايلو التجارية السماء، فكانت الطائرات تأتى من النرويج والدانمارك وفرنسا وألمانيا وأستراليا وإيطاليا ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا والسويد وفنلندا وبولندا - فى العمل معها، وحينما تعاقد الجميع مع "شركات إم آند إم لمنتجات عالية الجودة من الفاكهة والحاصلات الزراعية" أسس مايلو شركة تابعة ذات ملكية خاصة وهى " شركات إم آند إم لأفضل المخبوزات" وحصل على مزيد من الطائرات والمزيد من الأموال من أموال المطبخ؛ وذلك لجلب الكعك

المسطح المستدير من جزر بريطانيا، ودنش البرقوق والجبن من كوبنهاجن، والإصبعية والفطائر المنتفخة وحلوى النابليون المستطيلة والبتى فور من باريس، والريمز والجرينوبل والكوجلهوبف وخبز الأرز والبفركوش من برلين، واللينزر والدوبز تورتن من فيينا، والستردل من المجر، والبكافا من أنقرة، وفى كل صباح كان مايلو يرسل الطائرات فى كل أنحاء أوربا وشمال إفريقيا وهى تحمل لافتات طويلة مصنوعة من قماش الكتان الأحمر تعلن عن الأطباق الخاصة لليوم بحروف مربعة كبيرة: "آى راوند، ٧٩ سنتًا... سمك القد ٢١ سنتًا"، ولقد عزز الدخل النقدى للنقابة بتأجير لافتات لبيت ميلك وجانيز دوج فود ونوكزيما. كان يخصص مساحة إعلانية هوائية مجانية للجنرال بيكام لنشر رسائل خاصة بالمنفعة العامة مثل "النظافة من الإيمان" و "العجلة من الشيطان" و "الأسرة التى تصلى معًا تظل معًا"، وقد اشترى مايلو مساحات إعلانية فى محطات إذاعية مثل أكسيس سالى ولورد هاف هاف من برلين للإعلان عن منتجاته. لقد كان العمل مزدهرًا فى كل ساحة قتال.

كانت طائرات مايلو مألوفة الشكل، وكانت لها حرية الطيران فى كل مكان، وفى أحد الأيام تعاقد مايلو مع السلطات العسكرية الأمريكية لقذف الجسر الذى أقامته ألمانيا فى أورفيتو ومع السلطات العسكرية الألمانية للدفاع عن الجسر فى أورفيتو بمدفعية مضادة للطائرات ضد هجومه الخاص، وكانت أتعابه لقاء الهجوم على الجسر لصالح أمريكا تساوى التكلفة الإجمالية للعملية بالإضافة إلى ٦٪، وأتعابه من ألمانيا لقاء الدفاع عن الجسر كانت تقدر بنفس القيمة بالإضافة إلى ٦٪ علاوة على مكافأة تقدر بألف دولار أمام كل طائرة أمريكية يسقطها، وقد مثل تنفيذ هذه الصفقات انتصارًا مهمًا للعمل الحر - كما أوضح مايلو - بما أن جيش كلا البلدين يعتبر مؤسسات مشتركة، وبمجرد أن تم توقيع العقود لم يبد أن هناك عوزًا فى استخدام مصادر النقابة لقذف الجسر أو الدفاع منه؛ وذلك لأن كلتا الحكومتين لديها وفرة من الرجال والمعدات للقيام بذلك وكانتا على أتم استعداد للتبرع بهم، وفى النهاية حقق مايلو ربحًا هائلاً من كلتا الصفقتين دون أن يضطر للقيام بشىء سوى التوقيع باسمه مرتين.

وكانت الترتيبات عادلة ومنصفة لكلا الجانبين؛ فبما أن طائرات مايلو كانت لها حرية التحليق فى كل مكان، فإنها كانت تستطيع شن هجوم مباغت دون جذب انتباه المدفعية المضادة للطائرات الألمانية، وبما أن مايلو كان يعلم بشأن الهجوم فقد كان قادرًا على تحذير المدفعية الألمانية فى وقت مناسب؛ بحيث تبدأ فى إطلاق نيرانها لحظة ما تحلق فوقها الطائرات. كان ترتيبًا مثاليًا للجميع فيما عدا الرجل الميت فى خيمة يوساريان والذى لقى مصرعه فوق الهدف فى يوم وصوله.

ظل مايلو يستجيب بشكل عاطفى لاعتراض يوساريان الغاضب: "أنا لم أقتله؛ أنا لم أكن حتى هناك فى ذلك اليوم، أؤكد لك هذا. هل تعتقد أننى كنت هناك على الأرض أطلق القذائف المضادة حينما مرت الطائرات؟".

صاح به يوساريان داخل الظلام الذى يحجب الطريق المؤدى إلى المركبات الساكنة الواقفة أمام المسرح المفتوح: "ولكنك رتبت للأمر برمته، أليس كذلك؟".

رد مايلو فى سخط وهو يزفر أنفاسًا مهتاجة عبر أنفه المعقوف الشاحب: "أنا لم أرتب لأى شىء. إن الألمان يمتلكون الجسر ونحن كنا سنقوم بقذفه سواء تدخلت أنا أم لا. كل ما فى الأمر أننى رصدت فرصة رائعة لتحقيق بعض الربح من المهمة وانتهزتها. ما الخطأ فى ذلك؟".

"ما الخطأ فى ذلك؟ مايلو، لقد مات رجل فى خيمتى فى هذه المهمة قبل أن تتاح له الفرصة حتى لفتح حقائبه".

"ولكننى لم أقتله".

"لقد ربحت ألف دولار مقابل رأسه".

"ولكننى لم أقتله. أنا لم أكن حتى هناك، أؤكد لك هذا. لقد كنت فى برشلونة أشترى زيت زيتون وسردينًا خاليًا من العظم، ولدى طلبات الشراء التى تثبت كلامى. وأنا لم أحصل على الألف دولار؛ فلقد ذهبت إلى النقابة وكل شخص له نصيبه حتى أنت"، ثم أضاف مايلو وهو يتوسل: "اسمع يا يوساريان، أنا لم أشعل فتيل هذه الحرب بغض النظر عما يقوله هذا القذر ونترجرين. أنا فقط تعاملت مع الأمر من جانب نفعى بحت. ما الخطأ فى ذلك؟ فكما تعلم فإن ألف دولار ليس مبلغًا سيئاً فى مقابل مدفعى وطاقمه. فإن كان بإمكانى أن أقنع الألمان بإعطائى ألف دولار مقابل كل طائرة يسقطونها فلماذا لا أفعل ذلك؟".

"لأنك تتعامل بذلك مع العدو، هذا هو السبب. ألا يمكنك أن تستوعب أننا نخوض حربًا؟ إن الرجال يموتون. انظر حولك بالله عليك!".

هزّ مايلو رأسه فى صبر وقال: "إن الألمان ليسوا أعداءنا. آه، أنا أعلم ماذا ستقول. بالطبع إننا نخوض حربًا معهم. ولكن الألمان هم أيضًا أعضاء مرموقون فى النقابة، ومهمتى هى الحفاظ على حقوقهم كمالكى أسهم. فربما يكونون هم من بدأوا الحرب وربما يقتلون بالفعل ملايين الأشخاص، ولكنهم يدفعون فواتيرهم أسرع من بعض الحلفاء الذين يمكننى أن أذكرهم لك بالاسم. ألا تفهم أنه يتوجب علىَّ احترام قدسية عقدى مع الألمان؟ ألا تستطيع رؤية الأمر من وجهة نظرى؟".

قال يوساريان بخشونة: "لا".

شعر مايلو بالألم ولم يبذل أى جهد لإخفاء مشاعره المجروحة. كانت ليلة

رطبة يضيئها ضوء القمر ومليئة بالبعوض والعثة. رفع مايلو ذراعه فجأة وأشار ناحية المسرح المفتوح؛ حيث كان الشعاع اللبنى العابق بالغبار المنطلق أفقيًا من الكشاف يلقى برقعة مخروطية الشكل داخل الظلام ويكسو بغشاء الضوء الجمهور الجالسين بارتخاء فوق مقاعدهم بينما ترتكز وجوههم لأعلى فوق الشاشة المعالجة بالألومنيوم. كانت عينا مايلو ممتلئتين نزاهة واستقامة، وكان وجهه غير الفاسد يلمع بفعل مزيج من العرق والمبيد الحشرى.

قال بصوت يشوبه العاطفة: "انظر إليهم. إنهم أصدقائى، أبناء بلدى، رفقائى فى الجيش. وأنا لم أحظ فى حياتى بمجموعة أفضل من الرفقاء. هل تعتقد أننى قد أقدم على تصرف واحد قد يؤذيهم إن لم أكن مضطرًا لهذا؟ أليس لدى ما يكفينى من المشاغل؟ ألا ترى كم أنا مهموم بالفعل بسبب كل هذا القطن المتكدس فوق الأرصفة فى القاهرة؟". تكسر صوت مايلو وأمسك بالجزء الأمامى من قميص يوساريان وكأنه يغرق. كانت عيناه تنبضان بشكل مرئى مثل فراشة بنية: "يوساريان، ما الذى سوف أفعله بكل هذا القطن؟ أنت الذى تركتنى أشترى كل هذا القطن".

كان القطن يتكدس بالفعل فوق الأرصفة فى مصر، ولم يكن هناك من يريد شراء أى منه. فمايلو لم يحلم قط بأن وادى النيل قد يكون بكل هذه الخصوبة أو أنه لن يكون هناك سوق قط للمحصول الذى اشتراه. هذا ولم تساعده غرف الطعام فى نقابته؛ حيث إنها ثارت بشكل عنيد ضد اقتراحه بأنه يأخذ منهم ضريبة على أساس فردى من أجل أن يخصص لكل رجل حصة بمحصول القطن المصرى. وحتى أصدقاؤه الحميمون من الألمان خذلوه فى هذه الأزمة: حيث فضلوا القماش الصناعى. هذا ولم تقدم له غرف الطعام المساعدة حتى فى تخزين القطن، كما ارتفعت فجأة مصروفات التخزين وأسهمت فى استنزاف المخزون النقدى لديه. وهكذا ذهبت مكاسبه من مهمة أورفينو أدراج الريح. وشرع يراسل الوطن من أجل المال الذى كان قد أرسله إلى هناك من أجل الانتفاع به بعد الحرب؛ والذى سرعان ما نفد كذلك، وقد استمرت رزم القطن تصل إلى تلك المغازل بالإسكندرية كل يوم. وفى كل مرة ينجح فيها فى التخلص من البعض بالسوق العالمى بالخسارة يقوم السماسرة الماكرون فى ليكانت بشرائه وبيعه له ثانية بسعر العقد الأصلى وبالتالى كان يخسر مزيدًا من المال.

كانت شركات إم آند إم على وشك الانهيار، وقد ظل مايلو يلعن نفسه ليل نهار على جشعه وغبائه الذى دفعه لشراء محصول القطن المصرى بالكامل، ولكن العقد شريعة المتعاقدين ولابد من احترامه، وفى إحدى الليالى بعد تناول وجبة مسائية مترفة أقلعت جميع طائرات مايلو الحربية وتجمعت فى سرب فوق السرية

مباشرة وبدأت تسقط القنابل فوق الوحدة العسكرية. كان قد وقع عقدا آخر مع الألمان والذى ينص فى هذه المرة على قصف سريته الخاصة. وقد تفرقت طائرات مايلو فى هجوم جيد التنسيق وقصفت مخزون الوقود ومستودع المعدات الحربية وحظائر التصليح والمقاتلات بى-٢٥ المستقرة فوق الدعامات الحديدية بالحقل الجوى، وقد استثنت فرقه مدرج الهبوط وغرف الطعام وذلك حتى يستطيعوا الهبوط بأمان عند الانتهاء من مهمتم والاستمتاع بوجبة ساخنة قبل الخلود للنوم. كانوا يقصفون أثناء إشعالهم أضواء الهبوط بما أنه ما من أحد سوف يقصفهم من الأسفل. وقد قصفوا السريات الأربع ونادى الضباط ومبنى مقر الرئاسة للوحدة العسكرية. وقد فر الرجال من خيمتهم فى فزع دون أن يعلموا لأى اتجاه يركضون. وسرعان ما أصبح الجرحى يرقدون على الأرض وهم يصرخون ويتلوون فى كل مكان. وقد انفجرت مجموعة من القنابل فى ساحة نادى الضباط وأحدثت ثقوبا فى جانب المبنى الخشبى وفى ظهور وبطون صف من الملازمين والنقباء الواقفين بالملهى، والذين تأوهوا ألما ثم سقطوا على الأرض، وقد فر باقى الضباط صوب المخرجين فى فزع وتكدسوا فى المداخل مثل سد من اللحم البشرى الكثيف والمتأوه حيث امتنعوا عن المضى قدما أكثر من ذلك.

شق الكولونيل كاثكارت طريقه بصعوبة عبر الكتلة البشرية المرتبكة حتى وجد نفسه يقف فى الخارج وحده. حدق إلى السماء فى ذهول وفزع. فكانت طائرات مايلو، التى تحوم فى هدوء وصفاء فوق أعلى قمم الأشجار المورقة وذات أبواب حجيرات القنابل المفتوحة والأجنحة المترفرفة وأضواء الهبوط الساطعة والمخيفة، هى أكثر المشاهد التى سبق له رؤيتها رعبا. شهق الكولونيل كاثكارت فى ذعر وألقى بنفسه فى سيارته الجيب وهو يبكى تقريبا. ضغط دواسة البنزين وأدار المحرك وأسرع صوب القاعدة بأقصى سرعة يمكن للسيارة أن تصل إليها، بينما ترتعد يداه البدينتان فى شحوب فوق عجلة القيادة وفوق آلة التنبيه التى ظل يطلقها دون توقف، وقد كاد يقتل نفسه حينما انحرف بشدة مما جعل الإطارات تصرخ وذلك لتفادى مجموعة من الرجال كانوا يركضون فى جنون ناحية التلال فى ملابسهم الداخلية بوجوه مشدوهة وأذرع نحيفة ملتفة حول أصداغهم كدروع ضعيفة. كانت نيران صفراء وبرتقالية وحمراء تتأجج على كلا جانبى الطريق. كانت الخيم والأشجار تحترق، وقد ظلت طائرات مايلو تأتى بشكل لامتناه وهى تضىء أنوار الهبوط الوامضة فوق حجيرات القنابل المفتوحة. كاد الكولونيل كاثكارت يقلب سيارته الجيب حينما داس على المكابح بشدة عند برج التحكم. قفز من السيارة وهى لا تزال تنزلق بخطورة واندفع فوق الدرجات؛ حيث وجد ثلاثة رجال مشغولين بالمعدات وأجهزة القيادة. دفع اثنين منهم جانبا أثناء انطلاقه ناحية الميكروفون

المطلى بالنيكل بينما تبرق عيناه فى جموح ويعلو التوتر وجهه البدين. أمسك الميكروفون بقوة ووحشية وبدأ يصرخ بهيستيرية بأعلى صوته:

"مايلو، أيها الوغد! هل جننت؟ ماذا تفعل؟ اهبط! اهبط!".

قال مايلو الذى كان يقف هناك إلى جواره فى برج المراقبة وهو يمسك بميكروفون خاص به: "هلاً كففت عن الصياح! أنا هنا". نظر إليه مايلو فى توبيخ ثم واصل عمله. قال بالميكروفون: "جيد جدًا أيها الرجال، جيد جدًا، ولكننى أرى أن سقيفة الإمدادات لا تزال قائمة. أنا لا يرضينى مثل هذا النوع من العمل السيئ. الآن عد على الفور وحاول ثانية. وفى هذه المرة تحرَ البطء. إن العجلة من الشيطان يا بيرفيس. إن العجلة من الشيطان. لقد أخبرتك بهذا مئات المرات. العجلة من الشيطان".

بدأ مكبر الصوت فى أعلى بإطلاق صوت حاد. "مايلو، هذا هو ألفين براون. لقد انتهيت من إسقاط قنابلى. ماذا أفعل الآن؟".

قال مايلو: "ابدأ القصف بعنف".

شعر ألفين براون بالصدمة: "القصف بعنف؟".

قال له مايلو: "ليس لدينا اختيار آخر. إن ذلك من ضمن بنود العقد".

أذعن ألفين براون: "حسنًا إذن. فى هذه الحالة سوف أقصف بعنف".

فى هذه المرة كان مايلو قد تجاوز المدى؛ فقصف رجاله وطائراته كان أكثر مما يمكن أن يتحمل أكثر الأشخاص رباطة جأش، وقد بدا أنه النهاية بالنسبة له؛ فقد أتى موظفو الحكومة المرموقون من كل مكان للتحقيق فى الأمر. كما هاجمت الجرائد مايلو بعنف فى عناوينها الرئيسية وشجب رجال الكونجرس وحشية فعلته بحنق جهير وطالبت بإيقاع العقوبة عليه. وقد كونت أمهات الجنود مجموعات وطالبن بالانتقام. ولم يرتفع ولو حتى صوت واحد للدفاع عنه. وقد بدأ أناس محترمون من كل مكان تحديه، وقد تم الضغط على مايلو حتى فتح دفاتره للعامة وكشف عن الربح المذهل الذى حققه. كان بإمكانه تعويض الحكومة لأجل كل الأشخاص والممتلكات التى دمرها بينما يتبقى له مال كاف للاستمرار فى شراء القطن المصرى، وكل شخص بالطبع له حصته. وكان أفضل جزء فى الصفقة برمتها هو أنه لم تكن هناك حاجة حقيقية لتعويض الحكومة على الإطلاق.

قال مايلو: "فى أية دولة ديمقراطية الحكومة هى الشعب. ونحن الشعب، أليس كذلك؟ لذا فنحن بإمكاننا الاحتفاظ بالمال والتخلص من الوسيط بصراحة، أود أن تخرج الحكومة من الحرب تمامًا وتترك الساحة للصناعة الخاصة فقط. فإن قمنا بإعطاء الحكومة كل ما ندينه لها فإننا سوف نعمل بذلك على تشجيع سيطرة الحكومة وتثبيط الأشخاص الآخرين ومنعهم من قصف رجالهم وطائراتهم.

سوف نسلبهم بذلك باعثهم".

كان مايلو محقًا بالطبع؛ حيث وافقه الجميع سريعًا فيما عدا قلة قليلة لا تستطيع التكيف مع الجو المحيط بها مثل الطبيب دانيكا، والذى قطب بشكل مشاكس ووجه تلميحات مغرضة بشأن نزاهة العملية برمتها، حتى قام مايلو بتهدئته بتبرع مقدم باسم النقابة عبارة عن مقعد حديقة قابل للطى خفيف الوزن من الألومنيوم والذى يستطيع الطبيب دانيكا طيه بسهولة وحمله إلى خارج خيمته فى كل مرة يدخل فيها المقدم وايت هلفوت للخيمة، ثم يطويه ويحمله إلى داخل خيمته فى كل مرة يخرج فيها المقدم وايت هلفوت منها. وقد جن جنون الطبيب دانيكا أثناء القصف؛ فبدلاً من أن يركض بحثًا عن مخبأ ظل فى العراء وقام بواجبه؛ بحيث ظل ينزلق عبر الأرض خلال القنابل المحرقة وقذائف الشظايا مثل سحلية ماكرة ومراوغة من مصاب إلى مصاب لإيقاف النزيف باستخدام المرقأة أو لإعطاء المورفين أو لوضع الجبائر واستخدام السلفانيلاميد بينما يعلو وجهه تعبير حزين ودون أن ينطق بكلمة أكثر مما يحتاج، وهو يرى داخل كل جرح مؤشرًا على فشله وفساده. ظل يعمل دون كلل أو تعب قبل أن تنتهى هذه الليلة الطويلة وفى اليوم التالى أصيب بشهقة جعلته يهرع فى نكد إلى الخيمة الطبية ليجعل جاس وويس يقيسان حرارته وليحصل على لصقة خردل ومبخار.

وقد عالج الطبيب دانيكا كل رجل فى تلك الليلة بنفس الحزن العميق الذى يشوبه الكآبة الذى أظهره بالقاعدة الجوية فى يوم مهمة الأفنيون، حينما هبط يوساريان درجات طائراته القليلة عاريًا وهو فى حالة من الصدمة بينما كان يلطخ دم سنودين كعبيه وأصابع قدميه وركبتيه وذراعيه وأصابع يديه، وقد أشار دون إلى أن ينطق بكلمة إلى حيث كان يرقد مدفعى المذياع الصغير متجمدًا حتى الموت فوق الأرض إلى جوار مدفعى الذيل الأصغر، والذى ظل يفقد الوعى فى كل مرة يفتح فيها عينيه ليرى سنودين يحتضر.

ألقى الطبيب دانيكا بملاءة حول كتفى يوساريان برقة بعد أن تم إخراج سنودين من الطائرة ونقله إلى سيارة إسعاف فوق نقالة، ثم قاد يوساريان إلى سيارته الجيب، وقد ساعده ماكوات واتجه الثلاثة فى صمت إلى الخيمة الطبية للسرية، حيث قاد ماكوات والطبيب دانيكا يوساريان إلى مقعد وغسلوا دم سنودين من فوقه بكرات قطنية باردة مبللة ماصة. أعطاه الطبيب دانيكا قرصًا وحقنة جعلاه ينام اثنتى عشرة ساعة، وحينما استيقظ يوساريان وذهب لرؤيته أعطاه الطبيب دانيكا قرصًا آخر وحقنة جعلاه ينام اثنتى عشرة ساعة أخرى، وحينما استيقظ يوساريان مجددًا وذهب لرؤيته هَمَّ الطبيب دانيكا بإعطائه قرصًا آخر وحقنة.

سأله يوساريان: "إلى متى ستظل تعطينى هذه الأقراص والحقن؟".

"إلى أن تتحسن حالتك".

"أنا أفضل حالا الآن".

تجعدت جبهة الطبيب دانيكا الرقيقة المسمرة دهشة وقال: "إذن لماذا لا تزال غير مرتد أية ملابس؟ لماذا تسير عاريًا؟".

"أنا لا أريد ارتداء الحُلة النظامية بعد الآن".

تقبل الطبيب دانيكا الشرح وأبعد المحقنة تحت الجلدية وقال: "هل أنت واثق أنك أفضل حالا".

أنا بخير. أنا فقط متبلد الحركة من كل هذه الأقراص والحقن التى أعطيتها لى".

ذهب يوساريان لمباشرة عمله دون ملابس طوال الفترة المتبقية من هذا اليوم، وكان لا يزال عاريًا فى صباح اليوم التالى حينما وجده مايلو أخيرًا ـ بعد أن قام بملاحقة الجميع ـ جالسًا فوق شجرة تقع فوق جبانة سيدفن بها سنودين. كان مايلو يرتدى ملابس عمله المألوفة - بنطالاً رماديًا وقميصًا نظيفًا مصنوعًا من قماش رمادى، ورابطة عنق وشارة ملازم أول فضية لامعة فوق الياقة وقبعة نظامية ذات طرف جلدى صلب.

نادى مايلو على يوساريان من فوق الأرض فى توبيخ: "لقد ظللت أبحث عنك فى كل مكان".

قال يوساريان: "كان ينبغى عليك البحث عنى فى هذه الشجرة؛ فقد ظللت جالسًا هنا طوال الصباح".

"انزل وتذوق هذه وأخبرنى إن كانت جيدة. إن الأمر مهم للغاية".

هزّ يوساريان رأسه. كان يجلس عاريًا على غصن منخفض بالشجرة ويوازن نفسه بالإمساك بكلتا يديه بالغصن الذى يعلوه مباشرة، وقد رفض أن يتزحزح من مكانه، وبذلك لم يبق لمايلو اختيار سوى مد كلتا ذراعيه حول جذع الشجرة محتضنًا إياها فى استياء والبدء فى التسلق. ظل يصارع لأعلى برعونة وهو يتأوه ويئن بصوت مرتفع وقد تعرضت ملابسه للخدش والتجعد بحلول الوقت الذى ارتفع فيه مسافة كافية تسمح له برفع ساقه فوق الغصن والتوقف للتنفس، وكانت قبعته قد انحرفت وتعرضت لخطر السقوط. التقطها مايلو فى الوقت الذى أوشكت فيه على السقوط مباشرة، وقد برقت كريات العرق مثل لآلئ شفافة حول شاربه وبدت مثل البثور الضخمة أسفل عينيه. ظل يوساريان يراقبه فى لامبالاة. وبحرص استدار مايلو حتى يستطيع مواجهة يوساريان. أزاح منديلاً ورقيًا من فوق شيء ناعم مستدير بُنّى وأعطاه لـ يوساريان.

"من فضلك تذوق هذا وأخبرنى عن رأيك، فأنا أود تقديمه للرجال".

سأل يوساريان وهو يأخذ قضمة كبيرة: "ما هذا؟".

"قطن مغطى بالشيكولاتة".

تقيأ يوساريان بعنف وألقى بما تبقى من قطعة القطن المغطاة بالشيكولاتة فى وجه مايلو مباشرة. صاح فى غضب: "ها هى، خذها! هل جننت؟ إنك حتى لم تنتزع البذور اللعينة منها".

استجداه مايلو قائلاً: "امنحه فرصة أخرى، حسنًا؟ إنه ليس بهذا السوء. هل هو حقًا بهذا السوء؟".

"إنه أسوأ".

"ولكن ينبغى علىَّ إقناع غرف الطعام بتقديمه للرجال".

"إنهم لن يستطيعوا بلعه قط".

قال مايلو بنبرة ديكتاتورية: "يتوجب عليهم بلعه" وكاد يكسر رقبته حينما أفلت ذراعه الملفوفة حول الغصن ليلوح بإصبعه فى الهواء.

قال له يوساريان: "تعال إلى هنا. سوف تكون أكثر أمانًا هنا وسوف يمكنك رؤية كل شىء".

وبينما كان يمسك بالغصن الذى يعلوه بكلتا يديه بدأ مايلو يشق طريقه على جوانب الغصن بحرص وذعر بالغين. كان وجهه متجعدًا من فرط التوتر، وقد تنفس الصعداء حينما وجد نفسه جالسًا بأمان إلى جوار يوساريان. ضرب الشجرة بعاطفة ثم قال فى إعجاب وامتنان بالغ: "إنها شجرة جيدة للغاية".

قال يوساريان وهو يهز أصابع قدميه: "إنها شجرة الحياة ومعرفة الخير والشر كذلك".

جثم مايلو على نحو أكثر قربًا من اللحاء والفروع. قال: "لا، إنها شجرة جوز. كان لابد لى أن أعرف؛ فأنا أبيع الجوز".

"فلتطلق عليها الاسم الذى تشاء".

جلسا فوق الشجرة صامتين لعدة لحظات وهما يدليان ساقيهما ويرفعان ذراعيهما للإمساك بالغصن بأعلى، أحدهما عار تمامًا ولا يرتدى شيئًا سوى خف مصنوع من قماش رقيق مجعد والآخر يرتدى ملابسه كاملة ـ حُلة نظامية مصنوعة من قماش أسمر زيتونى ورابطة عنق مربوطة بإحكام. ظل مايلو يتفحص يوساريان فى خجل من زاوية عينه فى تردد بالغ.

قال أخيرًا: "أريد أن أسألك شيئًا. إنك لا ترتدى أية ملابس. أنا لا أريد التطفل أو أى شىء من هذا القبيل، ولكنى فقط أريد معرفة السبب. لماذا لا ترتدى حُلتك النظامية؟".

"لأننى لا أريد هذا".

أومأ مايلو بسرعة مثل عصفور ينقر. قال سريعًا فى ارتباك واضح: "نعم، نعم. أتفهم هذا. لقد سمعت أبلباى والنقيب بلاك يقولان إنك قد جننت وأنا أردت التأكد". تردد فى أدب ثانية وهو يفكر فى السؤال التالى ثم قال: "ألن ترتدى حُلتك النظامية مرة أخرى قط؟".

"لا أعتقد هذا".

أومأ مايلو بحيوية زائفة ليشير إلى أنه يتفهم، ثم جلس صامتًا يتأمل فى حزن وريبة. هبط طائر قرمزى العرف على شجيرة بأسفل وهو يرفرف بجناحيه الداكنين. كان يوساريان ومايلو محاطين داخل تعريشتهما بصفوف من الأوراق الخضراء المنحدرة وأشجار الجوز الرمادية الأخرى وأشجار الراتينج الفضية. كانت الشمس تسطع عالية فوقهما داخل سماء فسيحة ذات لون ياقوتى أزرق تزركشها سحب جافة خفيفة منعزلة منتفخة ذات لون أبيض نقى. لم يكن هناك أى نسيم وكانت الأوراق حولهما تتدلى فى عدم حركة. كان الظل خفيفًا. كان كل شىء ينعم بالسكينة فيما عدا مايلو، والذى انتصب فجأة بعدما أصدر صرخة مكتومة وبدأ يشير فى هيستيريا.

قال فى فزع: "انظر إلى هذا، انظر إلى هذا! إن هناك جنازة بأسفل. إن تلك تبدو مثل مقبرة، أليس كذلك؟".

أجابه يوساريان ببطء وصوت خفيض: "إنهم يدفنون الفتى الذى لقى حتفه فى طائرتى فوق الأفنيون منذ يومين. سنودين".

سأل مايلو بصوت يغلفه الفزع: "مادا حدث له؟".

"لقد قتل".

قال مايلو فى حزن بعدما امتلأت عيناه بالدموع: "هذا شنيع. هذا الفتى المسكين. إنه أمر بشع حقًا". عض على شفته المرتعدة بقوة وأصبح صوته أعلى وتتخلله العاطفة حينما واصل كلامه قائلاً: "وسوف تزداد الأمور سوءًا إن رفضت قاعات الطعام شراء قطنى. يوساريان ماذا بهم؟ ألا يدركون أنها نقابتهم؟ ألا يدركون أن الجميع له حصته؟".

سأل يوساريان عرضيا: "هل الرجل الميت فى خيمتى له حصته؟".

أكد له مايلو: "بالطبع. إن كل شخص فى السرية له حصته".

"لقد تم قتله قبل أن ينضم حتى للسرية".

قطب مايلو فى حزن وأشاح بوجهه. استجداه فى كآبة: "أتمنى لو تتوقف عن إزعاجى بشأن الرجل الميت فى خيمتك. لقد أخبرتك بأنه لا دخل لى بمقتله. أهو خطئى أننى رأيت هذه الفرصة العظيمة للسيطرة على سوق القطن المصرى، الأمر الذى أوقع بنا جميعًا فى هذه المشكلات، هل كان من المفترض بى أن أعلم أنه سيكون

هناك إغراق للسوق؟ أنا لم أكن أعرف حتى ما معنى إغراق السوق فى هذه الأيام. إن الفرصة للسيطرة على السوق لا تأتى كثيرًا وقد كان ذكاء منى أن نجحت فى اقتناص الفرصة حينما رأيتها". شهق مايلو حينما رأى ستة من الجنود يرتدون زيًا رسميًا يرفعون تابوتًا بسيطًا مصنوعًا من خشب الصنوبر من داخل سيارة الإسعاف ويضعونه برفق إلى جوار حافر القبور المتثائب. قال منتحبًا: "والآن لا أستطيع التخلص من أى منه".

لم يتأثر يوساريان بمراسم الدفن التافهة أو بخسارة مايلو الفادحة. ارتفع إليه صوت رجل الدين عبر المسافة الفاصلة بينهما فى ضعف وبنبرة صوت لا يمكن فهمها أو سماعها، مثل تمتمة واهية، وقد استطاع يوساريان تمييز الرائد ميجور من خلال جسده النحيل والطويل وظن أنه تعرف على الرائد دانبى والذى كان يمسح حاجبيه باستخدام منديل، ولم يتوقف الرائد دانبى عن الارتجاف منذ أن جاء بصحبة الجنرال دريدل، وقد كانت مجموعات من المجندين متقولبة فى دائرة حول الضباط الثلاثة فى جمود مثل الكتل الخشبية، وكان هناك أربعة من حافرى القبور ممن يرتدون أثواب السخرة المقلمة يتسكعون فى لامبالاة فوق المجاريف بالقرب من الطين المجروف الأحمر النحاسى، وبينما كان يوساريان يحدق إلى المشهد الذى أمامه رفع رجل الدين عينيه ناحية يوساريان فى بهجة ووضع أصابعه فوق عينيه فى أسى ونظر لأعلى ثانية ناحية يوساريان نظرة متفحصة، ثم خفض رأسه بعدما استوعب الشكل الذى اختار يوساريان أن يشارك به فى مراسم الجنازة. وقد رفع الرجال الأربعة فى أثواب السخرة التابوت على حبال وأنزلوه بالقبر. ارتعد مايلو بقوة.

صاح وهو يشيح بوجهه فى حزن: "لا يمكننى رؤية هذا. أنا فقط لا أستطيع الجلوس هنا والمشاهدة وأترك قاعات الطعام تلك تقتل نقابتى". صر بأسنانه وهز رأسه فى مرارة واستياء وأضاف: "إن كان لديهم أى ولاء لكانوا استمروا فى شراء قطنى حتى آلمهم هذا حتى يستطيعوا الاستمرار فى شرائه حتى يؤلمهم ذلك أكثر. كانوا سيضرمون النار ويحرقون ملابسهم الداخلية وملابسهم الصيفية فقط لتعزيز زيادة الطلب على القطن، ولكنهم لا يفعلون شيئًا. يوساريان، حاول تناول ما تبقى من قطعة القطن المغطاة بالشيكولاتة هذه من أجلى، فربما تجد أن مذاقها قد أصبح أفضل الآن".

دفع يوساريان يده بعيدًا وقال: "دعك من هذا الأمر. إن البشر لا يمكنهم تناول القطن".

أشرق وجه مايلو بطريقة ماكرة وقال: "إنه ليس قطنًا فى الحقيقة. لقد كنت أمزح. إنه غزل البنات فى الواقع. غزل بنات لذيذ الطعم. جربه وتبين بنفسك".

"الآن أنت تكذب".

قال مايلو مدافعًا عن نفسه وهو يبعد وجهه للحظة ويطرف برموشه بطريقة فاتنة: "أنا أكذب فقط حينما يكون ذلك ضروريًا. إن هذا الصنف أفضل من غزل البنات؛ فهو معد من قطن حقيقى. يوساريان، لابد أن تساعدنى على إقناع الرجال بتناوله. إن القطن المصرى هو أفضل أنواع القطن فى العالم".

قال يوساريان: "ولكنه غير قابل للهضم. إنه سوف يصيبهم بالمرض، ألا تدرك ذلك؟ لماذا لا تحاول تناوله بنفسك إن كنت لا تصدقنى؟".

اعترف مايلو فى حزن: "لقد حاولت بالفعل وأصبت بالمرض".

كانت ساحة القبور صفراء كالقش وخضراء كالكرنب المطهى. وبعد برهة تراجع رجل الدين للوراء وبدأت زمرة الأشخاص الذين يرتدون الملابس البيج يتفرقون ببطء مثل أناس متشردين. اتجه الرجال دون عجلة أو صوت إلى المركبات المصطفة على جانبى الطريق الوعر والقذر. وفى أثناء خفض رءوسهم لأسفل مضى رجل الدين والرائد ميجور والرائد دانبى قدمًا ناحية سيارتهم الجيب فى مجموعة منبوذة، بينما يحرص كل واحد منهم على السير بعيدًا عن رفيقيه الآخرين بعدة أقدام.

قال يوساريان: "لقد انتهى كل شىء".

وافقه مايلو فى حزن: "إنها النهاية. لا يوجد أى أمل متبقٍ. وكل ذلك لأننى تركتهم يتخذون قراراتهم الخاصة. لابد أن يعلمنى ذلك درسًا عن ضبط النفس فى المرة القادمة التى أجرب فيها شيئاً مثل هذا".

اقترح يوساريان عرضيًا بينما يراقب الرجال الأربعة الذين يرتدون أثواب السخرة المقلمة وهم يجرفون الطمى النحاسى المحمر داخل القبر مجددًا: "لماذا لا تبيع قطنك للحكومة؟".

نبذ مايلو الفكرة على الفور. شرح بحزم: "لأنها مسألة مبدأ. لا يجب أن أقحم الحكومة فى عملى، وأنا آخر شخص فى العالم قد يحاول إقحام الحكومة فى عمل خاص به، ولكن الحكومة مسئولة عنا". تذكر شيئاً فجأة وواصل حديثه فى بهجة: "إن كالفين كوليدج قال ذلك وقد كان كالفين كوليدج رئيسًا، لذا لابد أن يكون ذلك صحيحًا، والحكومة تتحمل مسئولية شراء كل القطن المصرى الذى لدى والذى لا يرغب فى شرائه أحد آخر؛ وذلك حتى أستطيع تحقيق ربح، أليس كذلك؟". شحب وجه مايلو على الفور تقريبًا وانخفضت معنوياته ليسقط فى حالة من القلق الحزين وهو يضيف: "ولكن كيف يمكننى إقناع الحكومة بذلك؟".

قال يوساريان: "قم برشوتها".

"أرشوها!". ثار مايلو وكاد يفقد توازنه ويسقط ليكسر رقبته ثانية. وبخه فى

حدة وهو يزفر أنفاسًا نارية داخل شاربه الأحمر من خلال منخاريه وفمه: "عار عليك! إن الرشوة مخالفة للقانون وأنت تعلم ذلك، ولكنها لا تتعارض مع قانون تحقيق الربح، أليس كذلك؟ لذا فإنه لا يمكن أن يكون مخالفا للقانون بالنسبة لى أن أرشو شخصًا من أجل تحقيق ربح جيد، أليس كذلك؟ لا، بالطبع لا!". سقط فى تفكير عميق ثانية بعدما سيطر عليه الحزن المثير للشفقة مجددًا وأضاف: "ولكن كيف لى أى أعرف من أرشو؟".

واساه يوساريان وهو يرفع صوته أثناء ارتفاع صوت محركات سيارة الإسعاف والسيارات الجيب لتقطع الصمت العميق وتحرك المركبات فى المؤخرة بطريقة عكسية: "لا تقلق بخصوص هذا الأمر. فقط حدد مبلغ رشوة كبيرًا وهم سيجدونك. فقط احرص على أن تفعل كل شىء بشكل مكشوف. دع الجميع يعرفوا ماذا تريد تمامًا وما المبلغ الذى ستدفعه. وفى اللحظة التى تشعر فيها بالذنب أو الخزى فإنك قد تقع فى المتاعب".

قال مايلو: "أتمنى لو تأتى معى. أنا لا أشعر بالأمان وسط أشخاص يقبلون أخذ الرشوة. إنهم ليسوا أفضل من مجموعة من المخادعين".

أكد له يوساريان بثقة: "سوف تكون بخير. فإن صادفتك متاعب فقط أخبر الجميع بأن أمن البلاد يتوقف على تجارة قوية فى القطن المصرى".

قال له مايلو فى رزانة: "هذا صحيح، إن تجارة قوية فى القطن المصرى يعنى دولة أمريكية أقوى".

"أنت محق. وإن لم يجد هذا نفعًا، قم بالإشارة إلى عدد الأسر الأمريكية التى تعتمد عليه كمصدر دخل".

"إن عددًا ضخمًا من الأسر الأمريكية تعتمد عليه كمصدر دخل لها".

قال يوساريان: "أرأيت؟ أنت أفضل منى حتى فى معرفة كيفية التصرف. أنت تجعل الأمر يبدو حقيقيًا".

قال مايلو فى غطرسة: "إنه حقيقى".

"هذا هو ما أعنيه؛ فأنت تخوضه باقتناع حقيقى".

"أواثق أنك لن تأتى معى؟".

هزَ يوساريان رأسه.

لم يطق مايلو صبرًا على البدء. حشر ما تبقى من قطعة القطن المغطاة بالشيكولاتة داخل جيب قميصه وعاد أدراجه بحذر شديد عبر الفرع ومنه إلى الجذع الرمادى الناعم. لف ذراعيه حول الجذع فى عناق حميم وحذر، وبدأ يهبط بينما ينزلق نعلا حذائه الجلدى باستمرار؛ حتى إنه بدا على وشك السقوط عدة مرات والتعرض للإصابة، وفى منتصف الطريق غير رأيه وبدأ التسلق ثانية، وقد

علقت أجزاء من لحاء الشجرة بشاربه وغلفت وجهه أمارات الإجهاد.

قال فى حزن قبل أن يشرع فى الهبوط مرة أخرى: "أتمنى أن ترتدى حُلتك النظامية بدلاً من أن تستمر فى السير عاريًا بهذه الطريقة؛ فربما يحذو الآخرون حذوك، وحينها لن أستطيع التخلص من قطنى قط".

٢٥
رجل الدين

كان قد مضى بعض الوقت بالفعل منذ أن بدأ رجل الدين يتأمل فى حقيقة هذا الكون؛ لقد كان صعبًا بما فيه الكفاية أن يعمل كرجل دين فى الجيش الأمريكى، حتى فى ظل أفضل الظروف.

لقد كان الأشخاص ذوو الأصوات العالية يفزعونه؛ فالناس الشجعان والعدوانيون وأصحاب المكانة العالية مثل الكولونيل كاثكارت كانوا يجعلونه يشعر بقلة الحيلة والوحدة؛ فأينما ذهب بالجيش كان غريبًا. فالمجندون والضباط لا يتعاملون معه مثلما يتعاملون مع المجندين والضباط الآخرين، وحتى رجال الدين الآخرون كانوا لا يعاملونه بود كما يعاملون بعضهم البعض؛ فهو قد قدر له أن يكون فاشلاً فى خضم هذا العالم الذى يعد النجاح فيه هو الفضيلة الوحيدة. لقد آلمه أن يدرك أنه كان يفتقر إلى الثقة بالنفس واللباقة الاجتماعية التى أهلت العديد من زملائه فى الديانات والعقائد الأخرى لأن يحرزوا نجاحات. لقد كان يعلم أنه لا يمتلك الأدوات التى تؤهله للتفوق. لقد كان يعتقد أنه قبيح وأراد بشدة أن يعود إلى زوجته.

فى الواقع لقد كان رجل الدين وسيمًا إلى حد ما وذا وجه حساس ومشرق والذى كان شاحبًا وهشًا مثل الحجر الرملى، وقد كان ذا عقلية متفتحة على جميع الموضوعات.

ربما يكون هو حقًا واشنطن إيرفنج وربما كان حقًا يوقع باسم واشنطن إيرفنج على هذه الخطابات التى لم يعلم عنها شيئًا؛ فمثل هذه الهفوات فى الذاكرة ذُكرت كثيرًا فى السجلات الطبية على حد علمه، فقد كان يعلم أنه ما من سبيل لمعرفة كل شىء بشكل مطلق، كما لا يوجد سبيل للتأكد من أنه ما من سبيل لمعرفة كل شىء بشكل مطلق؛ فقد كان يتذكر بشكل مشوش ـ أو يعتقد أنه يتذكر بشكل مشوش - شعوره بأنه قابل يوساريان فى مكان ما قبل هذه المرة الأولى التى قابله فيها أثناء رقوده على الفراش فى المستشفى. وهو يتذكر أن نفس هذا الشعور المزعج قد ساوره بعد أسبوعين تقريبًا حينما ظهر يوساريان بخيمته ليطلب إعفاءه من الخدمة العسكرية، ولكن فى هذه المرة بالطبع كان رجل الدين قد قابل يوساريان فى مكان ما من قبل، فى ذلك الجناح الغريب وغير التقليدى والذى بدا كل

مريض فيه مدعيًا فيما عدا هذا المريض تعيس الحظ الذى كان مغطى من رأسه وحتى أصابع قدميه بالأربطة والضمادات والذى وجدوه ميتاً فى أحد الأيام بينما يوجد ترمومتر فى فمه، ولكن انطباع رجل الدين بوجود لقاء سابق كان يرتكز على موقف أكثر خطورة وغموضًا من هذا، على موقف عجيب رأى فيه يوساريان من قبل.

وكانت شكوك من هذا النوع تقضم فى جسد رجل الدين النحيل بنهم. هل هناك شىء واحد حقيقى كان يشعر بعذاب شديد وشك بالغ فى كل شىء حوله. إن حياته لم تخل قط من البؤس ولم تخل من الأمل كذلك.

سأل فى تردد يوساريان فى ذلك اليوم فى خيمته حينما كان يوساريان يجلس ممسكًا بزجاجة الكوكاكولا الدافئة التى أعطاها له رجل الدين لمواساته: "هل سبق لك أن صادفت موقفًا شعرت بأنك خضته من قبل، حتى على الرغم من أنك تعلم أنك تخوضه للمرة الأولى؟". أومأ يوساريان فى لامبالاة؛ فتلاحقت أنفاس رجل الدين فى ترقب أثناء استعداده لمشاركة قوة إرادته مع قوة إرادة يوساريان فى جهد استثنائى لانتشال الأغطية الضخمة السوداء التى تحجب ألغاز الوجود أخيرًا. "هل يساورك هذا الشعور الآن؟".

هزَ يوساريان رأسه وقال إن الرؤية المسبقة هى مجرد تباطؤ لحظى متناهى الصغر فى وظيفة اثنين من مراكز الإحساس العصبية اللذين يعملان فى نفس الوقت، ولم يسمع رجل الدين كلمة مما قال تقريبًا. كان محبطًا ولكنه لم ينزع إلى تصديق يوساريان؛ حيث إنه قد تلقى إشارة أو شاهد رؤية مبهمة أكدت له أنه لايزال يفتقر إلى الجرأة لإفشاء سر. فلم يكن هناك مجال للخطأ فى تفسير هذا الإحساس الذى يشعر به رجل الدين: ترى، هل هى هلوسة؟ ملأه هذا التفكير بالخوف والاكتئاب. إنها لم تكن "رؤية مسبقة" أو "رؤية وشيكة" أو "رؤية منعدمة". من الممكن أن يكون هناك تفسيرات أخرى لم يسبق له السماع عنها قط، وأن أحدها قد يفسر بصورة دقيقة تلك الظاهرة المربكة التى كان شاهدًا عليها وجزءًا منها فى الوقت ذاته؛ من الممكن حتى إنه ما من شىء مما أعتقد أنه حدث قد حدث بالفعل، وإنه يتعامل مع اضطراب أو انحراف فى الذاكرة وليس فى الإدراك، وإنه لم يسبق له الاعتقاد بالفعل أنه رأى ما يعتقد الآن أنه سبق له الاعتقاد أنه رآه، وأن الانطباع المتولد لديه الآن بأنه سبق له الاعتقاد بهذا هو مجرد وهم عن وهم، وأنه الآن يتخيل فقط أنه سبق له تخيل رؤية رجل عارٍ يجلس فوق شجرة عند المقبرة.

وقد أضحى واضحًا لرجل الدين الآن أنه لم يعد مناسبًا لأداء وظيفته، وكثيرًا ما تساءل إن كان سيصبح أسعد حالاً إن خدم فى فرع آخر من فروع الجيش، كأن يصبح مثلاً جنديًا فى سلاح المشاة أو بالمدفعية أو حتى فى سلاح المظلات. لم يكن

له أصدقاء حقيقيون؛ فقبل لقاء يوساريان، لم يسبق له أن شعر بالراحة مع أحد فى الوحدة، وهو لم يشعر بالراحة كذلك مع يوساريان، والذى كان طيشه ونوبات تمرده تبث فيه التوتر دومًا وتلقى به فى حالة غامضة من الخوف الممتع. وقد كان رجل الدين يشعر بالأمان فى نادى الضباط مع يوساريان ودونبار وكذلك مع ناتلى وماكوات. فحينما يجلس معهم كان لا يجد حاجة للجلوس مع أى شخص آخر؛ وبذلك وجد حلاً لمشكلة أين يجلس، وأصبح هناك من يحميه من الصحبة غير المرغوب فيها من كل هؤلاء الضباط الذين كانوا يرحبون به بحرارة حينما يقترب وينتظرون فى تململ مغادرته. لقد كان يجعل الكثيرين يشعرون بالتململ. كان الجميع يعاملونه بود بالغ، ولكن ما من أحد كان لطيفًا معه؛ كان الجميع يتحدثون إليه ولكن ما من أحد يتحدث إليه من قلبه. وعلى الجانب الآخر فقد كان يوساريان ودونبار على طبيعتهما معه، ولم يكن رجل الدين يشعر تقريبًا بأى توتر فى صحبتهما. بل إنهما حتى قد دافعا عنه فى تلك الليلة التى حاول فيها الكولونيل كاثكارت الإلقاء به خارج نادى الضباط مرة أخرى؛ فقد نهض يوساريان بوحشية ليتدخل وصاح ناتلى "*يوساريان!*" لمنعه من ذلك. وقد شحب وجه الكولونيل كاثكارت لحظة ما سمع اسم يوساريان وأدهش الجميع حينما تراجع فى اضطراب يشوبه الفزع حتى اصطدم بالجنرال دريدل والذى دفعه بعيدًا فى غضب وأمره بالعودة على الفور وأمر رجل الدين بالبدء فى المجىء إلى نادى الضباط كل ليلة مرة أخرى.

وقد كان رجل الدين يلاقى صعوبة فى معرفة وضعه بنادى الضباط بقدر تلك الصعوبة التى يلاقيها فى تذكر بأى قاعة من قاعات الطعام العشر فى وحدته العسكرية من المقرر أن يتناول وجبته التالية. كان ليبتعد عن نادى الضباط لولا المتعة التى أصبح يجدها هناك مع رفقائه الجدد. فإن لم يذهب رجل الدين إلى نادى الضباط ليلاً فإنه لا يكون أمامه مكان آخر للذهاب إليه. فكان يمضى الوقت على طاولة يوساريان أو دونبار وهو يبتسم بخجل ونادرًا ما يتحدث إلا إذا وجه أحدهم إليه الكلام، بينما يضع أمامه كوبًا من الشراب لا يشربه قط، ويلهو بنحو غير مألوف بالغليون المصنوع من عرنوس الذرة الذى يحبه كثيرًا ويحشوه أحيانًا بالتبغ ويدخنه. وهو كان يستمتع بالإنصات إلى ناتلى والذى كان عويله الجياش الحلو المر انعكاسًا لكثير من أساه الرومانسى، ولم يفشل قط فى استثارة موجات من الحنين بداخله لزوجته وأطفاله، وكان رجل الدين يشجع ناتلى بإيماءات تنم عن الفهم والتصديق ويشعر بالبهجة لصراحته وعدم نضجه. هذا ولم يذكر ناتلى أن فتاته كانت عاهرة، ولم يدرك رجل الدين هذه الحقيقة إلا من خلال النقيب بلاك والذى لا يمر قط من أمام طاولتهم دون أن يغمز لرجل الدين ويغيظ ناتلى

بالسخرية منها بشكل جارح. ولم يستحسن رجل الدين سلوك النقيب بلاك هذا، وكان يعتبره شخصًا شريرًا.

ولم يكن هناك ـ ولا حتى ناتلى ـ من كان ينظر إلى رجل الدين ألبرت تايلور تابمان باعتباره كائنًا بشريًا وليس فقط مجرد رجل دين، باعتباره رجلاً يمكن أن تكون له زوجة جميلة وساحرة والتى يعشقها وثلاثة أطفال صغار زرق العيون ذوى وجوه غريبة لا يتذكرها والذين سيكبرون فى يوم ما ليعتبروه شخصًا غريب الأطوار والذين قد لا يسامحونه قط لكل هذا الإحراج الاجتماعى الذى تسببت فيه غرابة أطواره. لماذا لا يستطيع أحد أن يفهم أنه ليس حقًا شخصًا غريب الأطوار وإنما شخص بالغ طبيعى وحيد يحاول خوض حياة طبيعية ووحيدة وناضجة؟ فإن قاموا بوخزه، ألن ينزف؟ وإن قاموا بدغدغته، ألن يضحك؟ فلم يبد أنه قد خطر على بالهم قط من قبل أنه ـ شأنه شأنهم ـ لديه عينان ويدان وأعضاء ومشاعر وعواطف، وأنه يتأذى من نفس أنواع الأسلحة التى تؤذيهم، ويدفئه أو يبرده نفس النسيم، ويغذيه نفس نوع الطعام وإن كان ـ كما كان عليه الاعتراف ـ عليه تناوله فى غرفة طعام مختلفة فى كل وجبة. والشخص الوحيد الذى بدا أنه يدرك أن لديه مشاعر هو العريف ويتكومب والذى قام بجرحها جميعًا حينما ذهب رغمًا عنه إلى الكولونيل كاثكارت باقتراحه لإرسال خطابات تعزية موحدة الصيغة إلى أسر المصابين أو القتلى فى الحرب.

كانت زوجة رجل الدين هى الشىء الوحيد فى العالم الذى كان واثقًا منه وكان سيكون كافيًا له أن يعيش حياته معها ومع أطفاله فقط. كانت زوجة رجل الدين امرأة متحفظة صغيرة الحجم فى أوائل الثلاثينات داكنة البشرة جذابة للغاية ذات خصر ضيق وعينين ذكيتين وأسنان صغيرة براقة مستدقة فى وجه طفولى مفعم بالحيوية؛ وقد كان ينسى دومًا شكل أطفاله، وفى كل مرة ينظر فيها إلى صورهم الفوتوغرافية يتراءى له أنه يرى وجوههم للمرة الأولى. كان رجل الدين يحب زوجته وأطفاله بشدة لدرجة أنه كثيرًا ما أراد الارتماء على الأرض والبكاء كشخص معاق ومنبوذ، لقد كان يسقط فى بئر من العذاب الذى لا يرحم بفعل خيالات رهيبة تتعلق بهم، بفعل مخاوف مروعة من أن يتعرضوا للمرض أو الحوادث. وكانت خيالاته ومخاوفه تضم التعرض للإصابة بأمراض قاتلة مثل ورم يوينج واللوكيميا؛ كان يرى ابنه الرضيع يموت مرتين أو ثلاث كل أسبوع؛ لأنه لم يعلم زوجته قط كيف توقف النزيف الشريانى؛ ويشاهد فى صمت وعيناه مترغرغتان بالدموع أسرته بالكامل تقتل بالصدمة الكهربائية واحدًا تلو الآخر وذلك لأنه لم يسبق له أن أخبرها بأن جسم الإنسان موصل جيد للكهرباء؛ ويرى الأربعة يحترقون كل ليلة تقريبًا حينما ينفجر سخان المياه ويتسبب فى اشتعال

الحريق بمنزلهم الخشبى المكون من طابقين، وبصورة مفصلة عديمة الرحمة ومروعة ومقززة للنفس كان يرى جسد زوجته الجميل والهش ينسحق فى الجدار الحجرى لأحد المتاجر بعدما يدهسها سائق سيارة ثمل، ويرى ابنته ذات الأعوام الخمسة التى أصيبت بحالة هيستيرية من هول ما رأت أنه يقودها بعطف رجل نبيل متوسط العمر ذو شعر أبيض كالثلج والذى يغتصبها مرارًا وتكرارًا ويقتلها بعد أن يذهب بها إلى منطقة نائية، فى حين يموت طفلاه الآخران جوعًا بعدما تسقط والدة أمهما - التى كانت تجالسهما - ميتة إثر الإصابة بأزمة قلبية بعدما يصلها خبر وفاة ابنتها عبر الهاتف. كانت زوجة رجل الدين امرأة لطيفة ودمثة وقد كان يتوق للمس كتفها الدافئ النحيل ثانية وتمرير يده على شعرها الأسود الناعم وسماع صوتها الرقيق المريح. لقد كانت أقوى منه كثيرًا. وقد كان يكتب لها خطابات موجزة ولطيفة مرة أسبوعيًا وأحيانًا مرتين. وقد أراد أن يكتب لها خطابات عاطفية طوال اليوم ويملأ صفحات وصفحات باعترافات بائسة عن حبه وحاجته لها وتوجيهات دقيقة عن كيفية إجراء التنفس الصناعى. أراد أن يفضى لها بشكل مثير للشفقة عن مشاعر الوحدة واليأس التى تساوره ويحذرها بألا تترك حامض البوريك أو الأسبرين فى متناول الأطفال قط أو أن تعبر الشارع وإشارة عبور المشاة حمراء، لم يرغب أن يجعلها تقلق. لقد كانت زوجة رجل الدين امرأة رقيقة تتمتع بحدس عالٍ وحنونة وذكية.

كان رجل الدين يشعر بأنه مخادع ومحتال أثناء ترأسه للجنائز، لذا لم يدهشه أن يرى هذا الشبح فوق الشجرة فى هذا اليوم؛ فقيامه باستثارة حزن زائف وادعاء فهمه لشىء غامض ومخيف كالموت بدا له جريمة بشعة حقًا. لقد تذكر - أو كان شبه مقتنع أنه تذكر - المشهد فى المقبرة بشكل حى. كان مازال بإمكانه رؤية الرائد ميجور والرائد دانبى يقفان فى حزن مثل عمودين حجريين مكسورين إلى جواره، ورؤية جميع المجندين يقفون تمامًا فى نفس الأماكن التى وقفوا بها، ورؤية الرجال الأربعة الساكنين الذين كانوا يحملون المجاريف، ورؤية التابوت المنفر وركام الطمى الأحمر البنى والسماء الهائلة الساكنة والتى كانت زرقاء وشاحبة فى هذا اليوم بشكل غريب وكأنها مؤذية. سوف يظل يتذكر كل هذا مادام حيًا؛ لأنه كان جزءًا لا يتجزأ من أكثر المواقف غرابة التى صادفته، هذا الموقف المذهل والذى ربما يكون مرضيًا - رؤية الرجل العارى فوق الشجرة. كيف يمكنه تفسيره؟ إنه مشهد لم يره سابقًا أو لم يسبق له رؤيته أو مشهد يعتقد أنه سيراه؛ فلا يعد أى من مفاهيم الرؤية الثلاثة - المسبقة والمنعدمة والوشيكة - مرنًا بما فيه الكفاية لتغطيته. هل كان شبحًا إذن؟ روح الرجل الميت؟ ملاك من الجنة أو مارد من النار؟ أم أن ما رآه كان مجرد اختلاق قام به خياله المريض وعقله الفاسد؟ فاحتمال وجود رجل

حقيقى بالفعل فوق الشجرة ـ رجلين فى الواقع؛ حيث إنه قد انضم للأول سريعًا بعد ذلك رجل آخر ذو شارب بنى وملابس مشئومة داكنة تكسوه من رأسه حتى أصابع قدمه والذى كان منحنيا فوق غصن الشجرة ليعطى الرجل الأول شيئاً يشربه من قدح بنى ـ لم يخطر قط على بال رجل الدين.

لقد كان رجل الدين رجلاً يحب مساعدة الآخرين، لكنه لم يستطع قط مساعدة أحد، ولا حتى يوساريان، حينما قرر أخيرًا الإمساك بالثور من قرنيه وزيارة الرائد ميجور سرًا ليتأكد إن كان الرجال حقًا فى وحدة الكولونيل كاثكارت ـ كما أخبره يوساريان ـ قد تم إرغامهم على تنفيذ عدد أكبر من المهام القتالية أكثر من أى أحد آخر، وقد كان تصرفًا جريئًا ومتهورًا والذى قرر رجل الدين القيام به بعد التشاجر مع العريف ويتكومب وشرب الماء الفاتر من قربته بعد تناول غدائه غير المبهج المكون من شيكولاتة ميلكى واى وبيبى روث. وقد ذهب إلى الرائد ميجور سيرًا على الأقدام حتى لا يراه العريف ويتكومب وهو يغادر، وتسلل إلى داخل الغابة دون أن يصدر صوتًا حتى ابتعد عن الخيمتين فى المنطقة مقطوعة الأشجار ثم قفز بمصرف السكك الحديدية المهجور؛ حيث كان موطئ القدم أكثر ثباتًا. هرع عبر الروابط الخشبية المتحجرة بينما يتفاقم غضبه؛ فهو قد تم إرهابه بالصياح وإذلاله على نحو متتالٍ فى هذا الصباح من قبل الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن والعريف ويتكومب.

كان عليه الشعور ببعض الاحترام إزاء ذاته! كان صدره الصغير يلهث من أجل التقاط الأنفاس. ظل يتحرك بخفة وسرعة موشكًا أن يركض خشية أن تفتر همته إن أبطأ، وسرعان ما رأى شخصاً يرتدى حُلة نظامية يأتى نحوه بين القضبان الصدئة. تسلق بجهد على الفور جانب المصرف وتوغل داخل أجمة صغيرة وكثيفة من الأشجار من أجل الاختفاء ومضى قدمًا فى نفس الاتجاه بطريق ضيق مطحلب كثيف النباتات والذى وجده داخل الغابة الظليلة. كان من الصعب الحركة هناك ولكنه ظل يتقدم بنفس الخفة والعزم بينما يتعثر كثيرًا وتصاب يداه غير المحميتين بالوخز من فروع الأشجار العنيدة التى تعوق طريقه إلى أن انفتحت نباتات السرخس والشجيرات التى كانت أمامه ليجد نفسه يتمايل أمام مقطورة عسكرية سمراء زيتونية ترتكز على دعامات معدنية مرئية بشكل واضح خلال الأعشاب الصغيرة. استمر فى التقدم حتى مر من أمام خيمة ترقد أمامها قطة لؤلؤية تشمس نفسها بالخارج، ثم من أمام مقطورة أخرى ترتكز على دعامات معدنية حتى وصل إلى الأرض مقطوعة الأشجار لسرية يوساريان. وقد تكوّن ندى مالح فوق شفتيه. لم يتوقف بل ظل يتقدم للأمام عبر الأرض مقطوعة الأشجار حتى وصل إلى غرفة التعليمات؛ حيث رحب به رقيب أول هزيل ومنحنى الكتفين،

ذو عظام وجنة كبيرة وشعر أصفر طويل فاتح للغاية والذى أخبره بأنه يمكنه الدخول على الفور بما أن الرائد ميجور كان بالخارج.

شكره رجل الدين بإيماءة جافة ومضى قدمًا وحده بالممر بين المكاتب وطابعى الآلة الكاتبة حتى وصل إلى الجزء الأخير من الخيمة المفصول عن باقى المكان بستارة من قماش القنب. عبر خلال فتحة مثلثة ووجد نفسه داخل مكتب شاغر. سقطت الستارة خلفه لتغلق الفتحة. كان يتنفس بصعوبة ويتصبب الكثير من العرق. ظل المكتب شاغرًا. ظن أنه سمع همسًا. مضت عشر دقائق. نظر حوله فى قلق بينما ينطبق فكاه معًا بإحكام، ثم شحب فجأة حينما تذكر كلمات الرقيب أول: يمكنه الدخول بما أن الرائد ميجور كان بالخارج. *كان* المجندون *يسخرون منه*! ابتعد رجل الدين عن الجدار فى ذعر بينما تترغرغ دموع المرارة فى عينيه. هربت شهقة أنين من بين شفتيه المرتعدتين. كان الرائد ميجور فى مكان آخر، لقد جعل منه الرجال المجندون فى الحجرة الأخرى أضحوكة فى مزحة غير إنسانية. كان يمكنه بالفعل تخيلهم ينتظرون بالجانب الآخر من الستارة وهم مجتمعون مثل زمرة جشعة محدقة من الوحوش حول الفريسة ومستعدون للانقضاض عليه فى وحشية بسخريتهم لحظة عودته. لعن نفسه لسذاجته وتمنى فى ذعر لو حصل على قناع أو نظارة سوداء أو شارب زائف للتنكر به أو على صوت عميق وقوى مثل صوت الكولونيل كاثكارت، وكتفين عريضتين وعضلة ذات الرأسين ليمكنوه من الخروج بلا خوف وهزيمة مضطهديه الحاقدين بسلطة مستبدة وثقة بالنفس تجعلهم جميعًا يفرون فى خوف وندم. لقد كان يفتقر إلى الشجاعة لمواجهتهم. كان السبيل الآخر الوحيد هو النافذة. كان الساحل خاليًا فقام رجل الدين بالقفز من نافذة مكتب الرائد ميجور وانحرف بسرعة حول زاوية الخيمة وقفز داخل مصرف السكك الحديدية للاختباء.

انطلق وهو جاثم ويرسم على وجهه ابتسامة اجتماعية لامبالية تحسبًا لرؤية أى أحد له. غادر المصرف قاصدًا الغابة لحظة رؤيته لشخص قادم نحوه من الاتجاه المقابل، وركض بالغابة الكثيفة فى اهتياج وكأن هناك من يتعقبه. وأثناء تورد وجنتيه خزيًا سمع دويًا عاليًا وجامحًا لضحكات سخرية ترن فى كل مكان حوله ولمح وجوهًا شريرة ثملة تتكلف الابتسام داخل الشجيرات وأعلى أوراق النباتات فى الأشجار. اجتاحت رئتيه سلسلة متواصلة من الآلام الحارقة أبطأت من خطاه للغاية. ظل يندفع بقوة للأمام ويتهادى حتى لم يعد فى استطاعته المضى أكثر من ذلك، وسقط فجأة على شجرة تفاح كثيرة العقد مما أدى إلى ارتطام رأسه فى الجذع، لكنه ظل ممسكًا به حتى لا يسقط. كانت أنفاسه تحدث ضجيجًا عاليًا ومزعجًا فى أذنيه. مرت الدقائق كالساعات قبل أن يدرك أخيرًا أنه هو مصدر

الاهتياج المسيطر عليه. انحسرت الآلام فى صدره، وسرعان ما شعر بقوة كافية للنهوض. رفع أذنيه لأعلى فى مكر. كانت الغابة هادئة. لم يكن هناك أى ضحك شيطانى أو من يطارده، ولكنه كان يشعر بتعب وحزن وقذارة شديدة لدرجة لم تمكنه من الشعور بالراحة. ضبط ملابسه غير المرتبة بأصابعه المخدرة والمرتعدة وسار ما تبقى من الطريق إلى الأرض مقطوعة الأشجار وهو يسيطر على نفسه. كان رجل الدين يفكر مليًا فى خطر الإصابة بأزمة قلبية.

كانت سيارة العريف ويتكومب لاتزال واقفة فى الأرض مقطوعة الأشجار. سار رجل الدين على رءوس أصابع قدميه خلسة حول مؤخرة خيمة العريف ويتكومب حتى لا يمر من أمام مدخلها ويراه العريف ويتكومب ويسبه، وبعد أن تنفس الصعداء دخل بسرعة إلى خيمته ليجد العريف ويتكومب مستلقيًا فوق فراشه واضعًا حذاءه الملطخ بالطين فوق ملاءة رجل الدين، وكان يأكل واحدة من حلوى رجل الدين فى أثناء تصفحه أحد كتب رجل الدين بينما تعلو وجهه ابتسامة سخرية.

سأله فى وقاحة وعدم اكتراث دون أن يرفع عينيه لأعلى: "أين كنت؟".

احمرت وجنتا رجل الدين وأشاح بوجهه بطريقة مراوغة وهو يقول: "لقد ذهبت للتمشى فى الغابة".

قال العريف ويتكومب داعيًا للتبرير: "حسنًا. لا داعى للتبرير. فقط انتظر فقط وشاهد ماذا سيحدث لحالتى المعنوية". أخذ قضمة من حلوى رجل الدين فى نهم وواصل حديثه وهى فى فمه قائلاً: "لقد جاءك زائر أثناء تغيبك. الرائد ميجور".

استدار رجل الدين فى دهشة وصاح: "الرائد ميجور؟ الرائد ميجور كان هنا؟".

"إنه هو من نتحدث عنه، أليس كذلك؟".

"أين ذهب؟".

"لقد قفز داخل مصرف السكك الحديدية هذا وانطلق كأرنب خائف". ضحك العريف ويتكومب ضحكة نصف مكبوتة وأضاف: "يا له من أحمق!".

"هل قال ماذا كان يريد؟".

"قال إنه يحتاج إلى مساعدتك فى مسألة شديدة الأهمية".

كان رجل الدين مذهولاً. "الرائد ميجور قال هذا؟".

صحح العريف ويتكومب كلامه بدقة مدمرة: "إنه لم يقل ذلك. لقد كتبه فى رسالة شخصية مغلقة تركها على مكتبك".

نظر رجل الدين إلى الطاولة التى كانت تمثل مكتبه ورأى فقط ثمرة الطماطم

الأرجوانية ذات اللون البرتقالى المحمر الكمثرية الشكل البغيضة التى حصل عليها فى هذا الصباح من الكولونيل كاثكارت وهى لاتزال ترقد على جانبها؛ حيث نسيها كرمز قرمزى غير قابل للتخريب على عدم كفاءته، ثم قال "أين الخطاب؟".

ألقى العريف ويتكومب بالكتاب الذى فى يده وَهَمَّ ناهضًا: "لقد تخلصت منه بعد أن مزقته. ما الأمر؟ ألا تصدقنى؟". غادر الخيمة. عاد على الفور مباشرة وأوشك على الارتطام برجل الدين الذى كان قد هرع خلفه للذهاب مجددًا إلى الرائد ميجور. قال له العريف ويتكومب فى حزن: "إنك لا تعرف معنى التفويض. وهذا هو عيب آخر من عيوبك".

أومأ رجل الدين فى ندم وأسرع دون أن يستطيع حمل نفسه على تضييع وقت فى الاعتذار. شعر بأن يد القدر كانت تحركه؛ فقد أدرك الآن أنه صادف مرتين فى هذا اليوم الرائد ميجور يركض قبالته فى المصرف؛ وأنه قام مرتين فى هذا اليوم بغباء بإرجاء لقائه المحتم معه بالفرار داخل الغابة. ظل يلقى اللوم على نفسه أثناء إسراعه مجددًا بأقصى سرعة ممكنة عبر روابط السكك الحديدية غير المنتظمة المليئة بالشظايا. كانت كسرات الرمل الخشن والحصى داخل حذائه وجوربيه تطحن الأجزاء العليا من أصابع قدميه، وقد علا وجهه الشاحب والمجهد من دون وعى تقطيبة تنم عن ألم حاد. كانوا فى بداية شهر أغسطس؛ حيث تزداد حرارة ورطوبة الجو. كانت المسافة الفاصلة بين خيمته وسرية يوساريان تقدر بنحو ميل. كان قميص رجل الدين الصيفى متشربًا بالعرق حين وصل هناك. هرع ثانية وهو منقطع النفس داخل خيمة التعليمات؛ حيث أوقفه بحسم نفس الرقيب معسول الكلام الخائن ذى النظارة المستديرة والوجنتين الهزيلتين والذى طلب منه البقاء فى الخارج؛ لأن الرائد ميجور كان بالداخل وأخبره بأنه غير مسموح له بالدخول حتى يغادر الرائد ميجور. نظر إليه رجل الدين فى دهشة وعدم فهم. تساءل لماذا يكرهه الرقيب. أصبحت شفتاه شاحبتين وشرعتا فى الارتعاد. كان يشعر بعطش شديد. ماذا حدث للناس؟ ألا يوجد ما يكفى من المآسى؟ وضع الرقيب يده على رجل الدين لمواساته.

قال بصوت خفيض نادم حزين: "أنا آسف يا سيدى، ولكن تلك هى أوامر الرائد ميجور. إنه لا يريد رؤية أحد قط".

استجداه رجل الدين قائلاً: "إنه يريد رؤيتى. لقد أتى إلى خيمتى لرؤيتى حينما أتيت إلى هنا من قبل".

سأل الرقيب أول: "الرائد ميجور فعل هذا؟".

"نعم، من فضلك ادخل واطلب لى الإذن بالدخول".

"أخشى أننى لا أستطيع الدخول يا سيدى، إنه لا يريد رؤيتى كذلك. ربما

يمكنك ترك رسالة".

"أنا لا أريد ترك رسالة. ألا يقوم بأية استثناءات؟".

"فقط فى ظل الحالات الطارئة؛ فالمرة الأخيرة التى ترك فيها خيمته كانت لحضور جنازة أحد المجندين، وآخر مرة قابل فيها أحدًا فى مكتبه كان لأنه أرغم على ذلك. فمدفعى يدعى يوساريان قام ـ".

"يوساريان؟". أشرق وجه رجل الدين لهذه المصادفة الجديدة. هل كانت تلك معجزة أخرى على وشك الظهور؟ "ولكن ذلك هو الشخص الذى أود التحدث معه بشأنه. هل تحدثا عن عدد المهام التى يتوجب على يوساريان تنفيذها؟".

"نعم ياسيدى، هذا هو تمامًا ما تحدثا بشأنه. لقد خرج النقيب يوساريان فى واحد وخمسين مهمة وقد ناشد الرائد ميجور أن يرسله للوطن حتى لا يضطر للخروج فى مزيد من المهام. كان الكولونيل كاثكارت يريد فقط خمسًا وخمسين مهمة فى ذلك الوقت".

"وماذا قال الرائد ميجور؟".

"أخبره الرائد ميجور أنه ليس فى وسعه القيام بشىء".

امتعض وجه رجل الدين: "الرائد ميجور قال ذلك؟".

"نعم يا سيدى. فى الواقع، لقد نصح يوساريان بأن يذهب إليك لتساعده. هل أنت واثق من أنك لا تريد ترك رسالة يا سيدى؟ إن لدى ورقة وقلمًا هنا".

هزّ رجل الدين رأسه وهو يعض على شفته السفلية الجافة فى بؤس ثم غادر. كان الوقت لايزال مبكرًا من اليوم والعديد من الأمور قد حدثت بالفعل. كان الهواء أكثر برودة بالغابة. كان حلقه جافًا ومحتقنًا. سار ببطء وسأل نفسه بحزن عن المصيبة التالية التى تنتظره ، وفى اللحظة التالية قفز نحوه شخص دون تحذير من خلف شجيرة توت. صرخ رجل الدين بأعلى صوته.

تراجع الغريب الطويل النحيف للخلف فى فزع خوفًا من صرخة رجل الدين وصاح: "لا تؤذنى!".

صاح رجل الدين "من أنت؟".

صاح الرجل الثانى: "لا تؤذنى!".

"أنا رجل الدين!".

"إذن لماذا تريد أن تؤذينى؟".

قال رجل الدين فى إصرار وسخط دون أن يتحرك من مكانه: "أنا لا أريد أن أؤذيك. فقط أخبرنى من أنت وماذا تريد منى".

صاح رجل الدين: "أنا فقط أريد أن أعرف إن كان المقدم وايت هلفوت قد مات إثر إصابته بالالتهاب الرئوى بعد أم لا. هذا هو كل ما أريده. إن اسمى هو فلوم.

أنا جندى فى السرية ولكننى أعيش هنا فى الغابة. يمكنك أن تسأل أى أحد".

بدأ رجل الدين يستعيد رباطة جأشه وهو يتفحص جسد هذا الرجل الغريب المنكمش، وكانت شارتا نقيب متقرحتان من الصدأ تعلوان ياقة قميص الرجل المجعد. كان له شامة شعرية سوداء أسفل أحد منخاريه وشارب ثقيل خشن فى لون خشب الحور.

سأل رجل الدين فى فضول: "لماذا تعيش فى الغابة إن كنت جنديًا بالسرية؟".

أجاب النقيب بتذمر وكأنه كان يتوقع من رجل الدين أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه: "ينبغى علىّ أن أعيش بالغابة". انتصب ببطء وهو لا يزال ينظر إلى رجل الدين بحذر على الرغم من أنه يفوقه طولاً بما يقدر بحجم رأس كاملة. "ألا تسمع الجميع يتحدثون عنى؟ لقد أقسم المقدم وايت هلفوت أنه سوف يقطع رقبتى حينما أغط فى النوم، وأنا لا أجرؤ على الاستلقاء بالسرية بينما لا يزال هو على قيد الحياة".

استمع رجل الدين إلى الشرح غير القابل للتصديق فى عدم ثقة ثم قال: "ولكن هذا شىء لا يصدقه عقل. إن ذلك سيكون قتلاً متعمدًا، لماذا لم تبلغ الرائد ميجور بهذا الأمر؟".

قال النقيب بحزن: "لقد أبلغت الرائد ميجور عن هذا الأمر بالفعل وقد قال لى الرائد ميجور أنه سيقوم بقطع رقبتى إن تحدثت إليه بهذا الشأن مجددًا". تفحص الرجل رجل الدين فى خوف وأضاف: "هل ستقوم بقطع رقبتى أنت أيضًا؟".

أكد له رجل الدين: "لا، لا. بالطبع لا. هل تعيش حقًا فى الغابة؟".

أومأ النقيب وحدق رجل الدين إلى وجهه المتقع المجهد سيئ التغذية بمزيج من الشفقة والتقدير؛ فجسد الرجل كان عبارة عن هيكل عظمى داخل ملابس مجعدة معلقة فوقه مثل مجموعة من الأكياس غير المرتبة. كانت حزم من الأعشاب الجافة ملتصقة فى كل مكان فوقه؛ وكذلك كان شعره أشعث. وكانت هناك هالات كبيرة سوداء أسفل عينيه، وقد تأثر رجل الدين للغاية إلى حد البكاء من حالة النقيب المنهكة القذرة، وامتلأ احترامًا وعاطفة حينما فكر فى المصاعب التى يخوضها هذا الرجل المسكين يوميًا. وفى صوت يغلفه التواضع قال:

"من يقوم بغسيل ملابسك؟".

قام النقيب بزم شفتيه بطريقة عملية: "أنا أعطيها لسيدة تعمل غسالة فى بيت مزرعى بالطريق. أنا أضع متعلقاتى فى مقطورتى وأتسلل إلى داخلها مرة أو مرتين يوميًا لأخذ منديل نظيف أو لتغيير ملابسى الداخلية".

"ماذا ستفعل حينما يحل الشتاء؟".

أجاب النقيب بثقة: "أعتقد أننى سأكون قد عدت للسرية بحلول هذا الوقت:

فالمقدم وايت هلفوت أكد للجميع أنه سيموت إثر الإصابة بالتهاب رئوى، وأعتقد أننى سأصبر حتى يصبح الطقس أكثر برودة ورطوبة"، ثم تفحص رجل الدين فى حيرة وأضاف: "ألا تعلم كل هذا؟ ألا تسمع جميع الرفاق يتحدثون عنى؟".

"لا أعتقد أننى سبق لى أن سمعت أحدا يتحدث عنك".

"حسنًا، أنا لا أستطيع بالتأكيد فهم هذا". كان النقيب مستاء ولكن استطاع مواصلة التظاهر بالتفاؤل. "حسنًا، لقد أوشك شهر سبتمبر على الحلول بالفعل، لذا أعتقد أن الأمر لن يطول كثيرًا، وفى المرة التالية التى يسأل عنى فيها أحد الرفاق فقط أخبره بأننى سأعود بمجرد أن يموت المقدم وايت هلفوت إثر الإصابة بالتهاب رئوى. هل ستقوم بإخبارهم بهذا؟ أخبرهم بأننى سأعود إلى السرية بمجرد أن يحل الشتاء ويموت المقدم وايت هلفوت إثر الإصابة بالتهاب رئوى. حسنًا؟".

حفظ رجل الدين هذه الكلمات برزانة ووقار بعدما أسره مضمونها السرى. سأله: "هل تعيش على التوت والأعشاب والجذور؟".

أجاب النقيب فى دهشة: "لا، بالطبع لا. أنا أتسلل إلى غرفة الطعام من الخلف وآكل فى المطبخ. إن مايلو يعطينى ساندوتشات ولبنًا".

"وماذا تفعل حينما تسقط الأمطار؟".

أجاب النقيب بصراحة: "أتعرض للبلل".

"وأين تنام؟".

وبسرعة جثم النقيب وبدأ يتقهقر للوراء. صاح فى فزع: "أنت أيضا؟".

صاح رجل الدين: "لا، لا. أقسم لك"

قال النقيب فى إصرار: "أنت تريد قطع رقبتى".

استجداه رجل الدين: "أعدك بأننى لن أؤذيك" ولكن كان الوقت قد تأخر؛ حيث إن الشبح الأهلب القبيح كان قد اختفى بالفعل بمهارة وبراعة وسط أوراق الشجر والأضواء والظلال المرقشة والكثيفة والمشوهة حتى إن رجل الدين بدأ يتساءل بالفعل إن كان قد رآه حقًا. إن الكثير من الأشياء الغريبة كانت تحدث له لدرجة أنه لم يعد واثقًا أيها زائف وأيها حقيقى. أراد أن يعرف حقيقة الرجل المجنون فى الغابة بأقصى سرعة ممكنة للتحقق مما إذا كان هناك بالفعل من يدعى النقيب فلوم. ولكنه تذكر فى ألم أنه يتوجب عليه قبل ذلك استرضاء العريف ويتكومب لأنه أغفل تفويض قدر كاف من المسئوليات له. مضى فى الطريق المتعرج عبر الغابة فى كسل وهو يشعر بعطش شديد وإنهاك يكاد يعجزه عن التقدم. شعر بالندم حينما تذكر العريف ويتكومب. تمنى أن يكون العريف ويتكومب قد رحل عند وصوله إلى الأرض مقطوعة الأشجار حتى يستطيع خلع ملابسه دون أن يشعر بالإحراج. وغسل ذراعيه وصدره وكتفيه بالكامل وشرب الماء والاستلقاء فى

انتعاش وربما النوم بضع دقائق؛ ولكنه أصيب بإحباط آخر وصدمة أخرى؛ حيث إن العريف ويتكومب قد أصبح الرقيب ويتكومب بحلول الوقت الذى وصل فيه وكان يجلس بعدما خلع قميصه على مقعد رجل الدين يحيك شارة رتبة الرقيب فوق كمه باستخدام خيط وإبرة رجل الدين. لقد تمت ترقية العريف ويتكومب على يد الكولونيل كاثكارت والذى كان يرغب فى رؤية رجل الدين على الفور بشأن الخطابات.

تأوه رجل الدين وهو يسقط فى صدمة على سريره: "يا إلهى". كانت حافظة مائه الدافئة فارغة وقد أنسته الصدمة الحافظة الأخرى المعلقة بالخارج فى الظل بين الخيمتين. "لا أستطيع تصديق هذا. لا أستطيع أن أصدق أن أحدًا قد يصدق حقًا أننى قمت بتزوير توقيع واشنطن إيرفنج".

صححه العريف ويتكومب وهو يستمتع بحزنه: "لا، ليست هذه الخطابات. إنه يريد رؤيتك بشأن الخطابات موحدة الصيغة التى سيتم إرسالها لأسر المصابين".

سأل رجل الدين فى دهشة: "تلك الخطابات؟".

قال العريف ويتكومب فى سعادة: "هذا صحيح. إنه سوف يقتص منك لرفضك السماح لى بإرسالها. كان لابد لك أن تراه وهو يؤيد الفكرة لحظة ما ذكرته أن الخطابات من الممكن أن تحمل توقيعه، ولذلك قام بترقيتى؛ فهو واثق أنهم سينشرون مقالاً عنه فى مجلة ذا ساترداى ايفينينج بوست".

زاد ارتباك رجل الدين: "ولكن كيف علم أننا كنا نتباحث فى هذا الأمر؟".

"لقد ذهبت إلى مكتبه وأخبرته".

سأل رجل الدين فى سخط وهب واقفًا على قدميه فى استياء غير مألوف: "فعلت ماذا؟ هل تعنى أنك تخطيتنى وذهبت إلى الكولونيل دون أن تطلب منى الإذن بذلك أولاً؟".

ابتسم العريف ويتكومب بوقاحة وهو يشعر برضا يشوبه الازدراء: "هذا صحيح. ومن الأفضل ألا تفعل شيئاً بخصوص هذا الأمر إن كنت تعرف صالحك جيدًا". ضحك فى هدوء فى تحدٍّ خبيث وهو يضيف: "إن الكولونيل كاثكارت لن يعجبه الأمر حينما يعلم أنك غضبت منى لأننى ذهبت إليه بفكرتى. أتدرى شيئاً؟". قطع العريف ويتكومب خيط رجل الدين الأسود بأسنانه محدثًا صوتًا عاليًا وقام بارتداء قميصه وأكمل قائلاً: "إن هذا الوغد الغبى يعتقد حقًا أنها إحدى أفضل الأفكار التى سمعها فى حياته".

قال الكولونيل كاثكارت فى فخر فى مكتبه وهو يبتسم ويتأرجح للأمام والخلف فى مرح أثناء توبيخه لرجل الدين: "إنها حتى قد تؤدى إلى نشر مقال عنى فى جريدة ذا ساترداى ايفينينج بوست، وأنت لا تمتلك من العقل ما يجعلك تدرك

قيمتها. إن لديك مساعدًا ماهرًا حقًا هذا الشخص الذى يدعى العريف ويتكومب وأتمنى أن يكون لديك من العقل ما يجعلك تدرك قيمته".

صحح له رجل الدين قبل أن يتمكن من تمالك نفسه: "الرقيب ويتكومب".

توهج وجه الكولونيل كاثكارت غضبًا وقال: "لقد قلت الرقيب ويتكومب. أتمنى لو تحاول الإنصات لمرة واحدة بين الحين والآخر بدلاً من أن تتصيد الأخطاء. أنت لا تريد أن تظل نقيبًا طوال حياتك، أليس كذلك؟".

"سيدى؟".

"حسنًا، أنا لا أعرف كيف يمكنك الترقى لأى مرتبة أخرى إن ظللت على هذا الحال. إن العريف ويتكومب يشعر بأنكم أيها الرفاق ليس لديكم أية أفكار جيدة تناسب عام ١٩٤٤ وأنا أتفق معه. إنه فتى حاذق حقًا ذلك الشخص الذى يدعى العريف ويتكومب. حسنًا، إن كل ذلك سوف يتغير". جلس الكولونيل كاثكارت على مكتبه فى حسم ومسح كل ما كان مكتوبًا فى صفحة بيضاء كبيرة فى دفتره. وبعدما انتهى وضع إصبعه فوقها وقال: "بدءًا من الغد أريد منك أنت والعريف ويتكومب كتابة خطاب تعزية من أجلى لأقارب كل رجل فى السرية لقى حتفه أو أصيب أو أسر. أريدها أن تكون خطابات حميمية. أريدها أن تكون ممتلئة بالكثير من التفاصيل الشخصية حتى لا يكون هناك أدنى شك أننى أعنى كل كلمة تقولانها. هل هذا واضح؟".

تقدم رجل الدين للأمام للاعتراض. قال بدون تفكير: "ولكن هذا مستحيل يا سيدى! إننا حتى لا نعرف الكثير عن كل الرجال فى الوحدة".

سأل الكولونيل كاثكارت: "وما الفارق الذى يحدثه ذلك؟"، ثم ابتسم فى سعادة وأضاف: "لقد أحضر لى العريف ويتكومب هذه الصيغة الأساسية والتى تعتنى بكل التفاصيل. استمع: "عزيزى، عزيزتى، السيدة، السيد، الآنسة" إن الكلمات لا يمكن لها التعبير عن الحزن الشخصى العميق الذى داهمنى حينما لقى زوجك، ابنك، والدك، أخوك مصرعه، أو أصيب أو فقد فى المعركة". وهكذا. أعتقد أن هذه العبارة الافتتاحية تلخص مشاعرى بدقة. أنصت، ربما من الأفضل أن تترك العريف ويتكومب يعتنى بالأمر برمته إن كنت تشعر بأنك لست أهلاً له". انتزع الكولونيل كاثكارت حامل السيجار وأخذ يثنيه بين يديه مثل سوط عقيقى وماجى. "إن هذا هو أحد عيوبك؛ فقد أخبرنى العريف ويتكومب بأنك لا تعرف كيف تفوض المسئوليات، كما قال إنك لا تتمتع بروح المبادرة، وأنت لن تخالفنى الرأى فى ذلك، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى". هكذا قال رجل الدين وهو يشعر بعدم الكفاءة لأنه لم يعرف كيف يفوض المسئوليات ولا يتمتع بحس المبادرة، كما كان يشعر بالرغبة فى مخالفة

الكولونيل الرأى. كان يشعر بثقل فى عقله؛ فكان الرجال يطلقون النار فى ميدان الرمى بالخارج، وفى كل مرة يطلق فيها أحدهم النار تتأذى مشاعره وحواسه؛ فهو لم يستطع التكيف مع صوت الرصاص، وقد كان محاطًا بصناديق الطماطم الأرجوانية وشبه مقتنع بأنه سبق له الوقوف فى مكتب الكولونيل كاثكارت فى مناسبة متشابهة فى وقت ما من الماضى البعيد؛ حيث كانت تحوطه كذلك نفس هذه الصناديق المتلئة بالطماطم الأرجوانية. *الرؤية المسبقة* مرة أخرى. لقد بدا المكان مألوفًا للغاية، وعلى الرغم من ذلك فقد بدا غريبًا. كانت ملابسه مكسوة بالسخام وقديمة وكان يخشى أن تكون رائحته سيئة.

قال له الكولونيل كاثكارت فى تبلد وموضوعية ناضجة: "إنك تأخذ الأمور على محمل الجد للغاية، وهذا هو عيب آخر من عيوبك. إن وجهك الطويل هذا يصيب الجميع بالاكتئاب. دعنى أرك تضحك بين الحين والحين. بالله عليك، قم بإضحاكى الآن وسوف أعطيك صندوقًا كاملاً من الطماطم الأرجوانية". انتظر ثانية أو اثنتين وهو يراقبه ثم ضحك فى انتصار: "أرأيت، أنا محق. أنت لا تستطيع إضحاكى، أليس كذلك؟".

اعترف رجل الدين فى ضعف وهو يبلع لعابه ببطء وصعوبة واضحة: "لا يا سيدى. ليس الآن. أنا أشعر بعطش شديد".

"إذن أعد مشروبًا لنفسك. إن المقدم كورن يحتفظ ببعض الشراب فى مكتبه. عليك أن تحاول الانضمام إلينا فى نادى الضباط فى ليلة ما فقط لتحظى ببعض المتعة. حاول أن ترفه عن نفسك قليلاً؛ فأنت لا تشعر - كما أتمنى - بأنك أفضل من الجميع لأنك رجل دين".

أكد له رجل الدين وهو يشعر بالإحراج: "لا، لا يا سيدى. فى الواقع لقد كنت أذهب إلى نادى الضباط فى الليالى الماضية القليلة".

واصل الكولونيل كاثكارت كلامه دون أن يلقى بالاً لملحوظته: "أنت لا تزال نقيبًا كما تعلم. ربما تكون رجل دين، ولكنك لا تزال نقيبًا فقط".

"نعم يا سيدى، أعلم هذا".

"حسنًا، إذن. إن ذلك لا بأس به فأنت حتى لم تضحك قبل ذلك. وأنا لم أكن لأعطيك طماطم أرجوانية بأى حال من الأحوال؛ فقد أخبرنى العريف ويتكومب أنك أخذت واحدة حينما كنت هنا فى هذا الصباح".

"هذا الصباح؟ ولكن يا سيدى! أنت من أعطيتنى إياها".

رفع الكولونيل كاثكارت رأسه فى ريبة: "أنا لم أقل إننى لم أعطها لك، أليس كذلك. كل ما قلته أنك أخذتها. أنا لا أفهم لماذا تشعر بكل هذا الذنب مادمت لم تسرقها. هل أعطيتها لك؟".

"نعم يا سيدى. أقسم لك".

"إذن علىّ تصديق كلامك. على الرغم من أنى لا أعرف لماذا قد أقوم بإعطائك ثمرة طماطم أرجوانية". نقل الكولونيل كاثكارت ثقالة ورق زجاجية مستديرة من مكانها فى الطرف الأيمن من المكتب إلى الطرف الأيسر وأمسك بقلم رصاص مسنون وقال: "حسنًا أيها النقيب، إن لدى الكثير من العمل المهم الذى يتوجب علىّ القيام به الآن. أحطنى علمًا حينما يقوم العريف ويتكومب بإرسال نحو عشر نسخ من هذه الخطابات وسوف نقوم بالاتصال بمحررى مجلة ذا ساترداى ايفينينج بوست"، ثم أشرق وجهه بفعل وحى مفاجئ وقال: "لقد واتتنى فكرة! أعتقد أننى سأقوم بالتبرع بالسرية لمهمة الأفنيون مرة أخرى. لابد أن يعمل ذلك على تسريع الأمور!".

وثب قلب رجل الدين وبدأ يشعر بوخز وتنميل فى جلده: "الأفنيون؟".

قال الكولونيل بحماسة وحيوية: "هذا صحيح؛ فكلما عجلنا بالحصول على بعض المصابين، نجحنا فى تحقيق تقدم بخصوص هذا الشأن؛ فأنا أريد أن تنشر المقالة فى عدد رأس السنة؛ فأعتقد أن نسبة البيع تكون مرتفعة فى ذلك الحين".

ومما عزز من فزع رجل الدين أن الكولونيل قد رفع سماعة الهاتف للقيام بالتبرع بالوحدة لمهمة الأفنيون، وحاول أن يطرده من نادى الضباط مرة أخرى فى نفس هذه الليلة قبل أن ينهض يوساريان فى ثمالة ويطرق على مقعده لإثارة مشاجرة، الأمر الذى جعل ناتلى ينادى عليه بصوت عالٍ مما جعل الكولونيل كاثكارت يشعر بالفزع ويتقهقر للوراء مرتطمًا بالجنرال دريدل الذى دفعه بعيدًا عن قدمه المتورمة فى اشمئزاز وأمره بالذهاب لإعادة رجل الدين إلى نادى الضباط مرة أخرى. كان كل ما يحدث يثير استياء وسخط الكولونيل كاثكارت، أولاً اسم يوساريان البغيض الذى دوى بوضوح ثانية مثل نذير سوء، ثم قدم الجنرال دريدل المتورمة، وكان ذلك عيبًا آخر اكتشفه الكولونيل كاثكارت فى رجل الدين، حقيقة أنه كان مستحيلاً التنبؤ بسلوك الجنرال دريدل فى كل مرة يراه فيها، فالكولونيل كاثكارت لن ينسى قط أول ليلة لمح فيها الجنرال دريدل رجل الدين فى نادى الضباط، حينما رفع وجهه المتورد الثمل ليحدق وهو يطيل التفكير عبر الحجاب الأصفر لدخان السجائر فى رجل الدين الذى يجلس وحده قرب الجدار.

صاح الجنرال دريدل بصوت أجش بعد بروز حاجبيه الأشعثين الرماديين حينما تعرف عليه: "يا إلهى! هل هذا رجل دين الذى أراه هناك؟ إنه لأمر رائع حقًا حينما يبدأ رجل الدين فى التسكع فى مكان كهذا".

زم الكولونيل كاثكارت شفتيه وشرع فى النهوض. قال بسرعة فى عدم استحسان يشوبه التباهى والفخر: "أتفق معك فى الرأى يا سيدى. أنا لا أعلم ماذا حدث

لرجال الدين فى هذه الأيام".

قال الجنرال دريدل مؤكدًا: "إنهم يزدادون تحسنًا، هذا هو ما حدث لهم".

بلع الكولونيل كاثكارت لعابه فى ارتباك وتعافى بذكاء من الصدمة وقال: "نعم يا سيدى. إنهم يتحسنون. هذا هو ما كنت أتحدث عنه يا سيدى".

"إن هذا هو المكان الذى من المفترض لرجل دين التواجد به؛ فهو من المفترض له أن يختلط بالرجال أثناء لهوهم حتى يستطيع فهمهم واكتساب ثقتهم. فبأى طريقة أخرى يمكنه التكيف معهم؟".

قال الكولونيل كاثكارت بحرص: "أتفق معك فى الرأى يا سيدى ولهذا أمرته بالإتيان إلى هنا"، ثم لف ذراعه بود حول كتفى رجل الدين وهو يسير إلى جواره فى أحد الزوايا وأمره ببرود أن يبدأ فى الإتيان كل ليلة إلى نادى الضباط ليختلط بالرجال أثناء لهوهم حتى يستطيع فهمهم وكسب ثقتهم.

وقد وافق رجل الدين على المجىء كل ليلة إلى نادى الضباط للاختلاط بالرجال الذين أرادوا تجنبه حتى تلك الليلة التى اندلعت فيها مشاجرة اللكمات الخبيثة عند طاولة تنس الطاولة حينما اندفع المقدم وايت هلفوت دون استفزاز ولكم الكولونيل مودس بقوة فى أنفه مطيحًا به على الأرض جاعلاً الجنرال دريدل ينفجر فى ضحك هيستيرى حتى لمح رجل الدين يقف على مقربة منه ويحدق إليه ببله وعلى نحو بشع فى دهشة بالغة. تجمد الجنرال دريدل فى مكانه لرؤيته. حدق بانشداه إلى رجل الدين فى غضب متزايد للحظة بعدما ولت سعادته واستدار ناحية الملهى فى استياء وظل يذرع المكان جيئة وذهابًا كبحار فوق ساقيه القصيرتين المتقوستين. كان الكولونيل كاثكارت جاثمًا بالخلف يبحث دون جدوى عن المقدم كورن ليسديه أية مساعدة.

دمدم الجنرال دريدل عند الملهى وهو يمسك بكأسه فى يده الضخمة: "يا له من شىء رائع حقًا. هذا حقًا شىء رائع حينما يبدأ رجل دين فى التسكع فى مكان كهذا مع زمرة من المخمورين والمقامرين القذرين".

تنفس الكولونيل كاثكارت الصعداء. قال فى فخر: "نعم يا سيدى. إنه حقًا لشىء رائع".

"إذن لماذا لا تفعل شيئاً إزاء هذا الأمر؟".

سأل الكولونيل كاثكارت وهو يطرف بعينيه: "سيدى؟".

"هل تعتقد أن فى ذلك أى شرف لك حينما يبدأ رجل الدين الخاص بوحدتك بالتسكع هنا كل ليلة؟ أنا أجده هنا فى أى وقت آتى فيه".

قال الكولونيل كاثكارت: "أنت محق يا سيدى. ليس فى ذلك أى شرف لى بالمرة. وأنا سوف أفعل شيئًا بخصوص هذا الصدد فى هذه اللحظة".

"ألست أنت من أمرته بأن يأتى إلى هنا؟".

"لا يا سيدى، كان ذلك هو المقدم كورن، وأنا أنوى معاقبته كذلك".

تمتم الجنرال دريدل قائلاً: "إن لم يكن رجل دين لكنت أخذته للخارج وأطلقت عليه النار".

قال الكولونيل كاثكارت: "إنه ليس رجل دين يا سيدى".

"حقًا؟ إذن لماذا يضع شارة رجال الدين إذا لم يكن رجل دين بالفعل؟".

"إنه لا يضع شارة رجال الدين يا سيدى. إنه يضع ورقة شجر فضية. إنه مقدم".

سأل الجنرال دريدل فى دهشة: "ألديك رجل دين يحمل رتبة مقدم؟".

"لا يا سيدى. إن رجل الدين لدى نقيب فقط لا غير".

"إذن لماذا يضع فوق ياقته ورقة شجر فضية إذا لم يكن مقدمًا؟".

"إنه لا يضع ورقة شجر فضية على ياقته يا سيدى. إنه يضع شارة رجال الدين".

قال الجنرال دريدل: "ابتعد عنى الآن أيها الوغد وإلا فسوف آخذك للخارج وأطلق عليك النار!".

"حسنًا يا سيدى".

ابتعد الكولونيل كاثكارت عن الجنرال دريدل وهو يلهث وقام بطرد رجل الدين من نادى الضباط، وقد تعرض لموقف مهين مماثل بعد شهرين بعدما حاول رجل الدين إقناع الكولونيل كاثكارت بالعدول عن الأمر الذى أصدره بشأن رفع عدد المهام إلى ستين مهمة وفشل فى تلك المحاولة فشلاً ذريعًا كذلك، وقد كان رجل الدين مستعدًا الآن للاستسلام لليأس ولكن بث فيه الأمل مرة أخرى ذكرى زوجته التى يحبها ويفتقدها بشدة وإيمانه القوى غير المتزعزع وثقته بإله حكيم عادل ذى قوى مطلقة ومعرفة غير محدودة. لقد كانت هناك العديد من الأشياء التى تختبر إيمانه. هل من الممكن أن يكون حقيقيًا ـ كما سبق له سماع دونبار يسأل ـ أن الأجوبة عن ألغاز الكون تخرج من أفواه أناس من الجهل لدرجة أنهم لا يستطيعون استيعاب ميكانيكيات سقوط الأمطار؟ كان هناك الكثير من الأمور التى يجهلها رجل الدين ويجهل أسباب حدوثها. ربما لقام رجل الدين، الذى يتمتع بالضمير الحى والشخصية القوية، بالاستسلام للمنطق والتخلى عن وظيفته كرجل دين وتطوع فى سلاح المشاة أو المدفعية أو حتى المظلات ـ لولا تلك الظواهر المتتالية الغامضة التى صادفته، مثل رؤية الرجل العارى فى جنازة ذلك الرقيب المسكين، والوعد الخفى

والمفعم بالأمل لذلك الشخص المدعو فلوم في الغابة في ذلك اليوم فقط حين قال: " *أخبرهم بأنني سأعود حينما يحل الشتاء*".

٢٦
آرفى

كان الخطأ كله خطأ يوساريان بشكل ما، فلو لم يقم بتحريك خط القنابل أثناء حصار بولونيا العظيم لربما أصبح الرائد دى كوفرلى موجودًا لإنقاذه، ولو لم يقم بملء شقة المجندين بالفتيات ممن ليس لهن مكان للعيش فيه ربما ما وقع ناتلى قط فى حب تلك الفتاة التى جلست فى غرفة زاخرة بلاعبى الورق سيئى الطبع والذين تجاهلوها. ظل ناتلى يحدق إليها خفية من مقعده الأصفر الوثير وهو مندهش لهذه القوة اللامبالية التى تتقبل بها الرفض الجماعى لها. تثاءبت مما جعله يتأثر بشدة. إنه لم ير قط من قبل رباطة جأش مثل هذه.

لقد صعدت الفتاة خمسة طوابق لتبيع نفسها لمجموعة من المجندين الشاعرين بالإشباع والذين لديهم فتيات يعشن معهم؛ لم يكن هناك من يريدها بأى ثمن؛ لقد بدت متعبة أكثر منها محبطة. الآن كانت تجلس فى تراخ أبله بينما تجمع قواها استعدادًا لمهمة الذهاب للعمل. بعد فترة قصيرة نهضت وهى تتنهد وارتدت ملابسها فى كسل وغادرت. تسلل ناتلى خلفها، وحينما دخل يوساريان وآرفى شقة الضباط بعد ساعتين كانت هناك مجددًا، وكان الأمر يشبه شعور رجل الدين بأنه عاش نفس الموقف قبل ذلك، فيما عدا وجود ناتلى الذى كان يتحرك فى توتر وهو يضع يديه فى جيبيه.

قال بصوت غريب واهن: "إنها تريد الذهاب الآن. إنها لا ترغب فى البقاء".

قال له يوساريان: "لماذا لا تعطيها فقط بعض المال لتدعك تمضى ما تبقى من اليوم معها؟".

قال ناتلى: "لقد أعادت لى نقودى. لقد ملت منى وتريد الذهاب للبحث عن شخص آخر".

توقفت الفتاة وهى مرتدية حذاءها لتنظر إلى يوساريان وآرفى فى دعوى صريحة لهما للانضمام إليها. كانت ترتدى ملابس ضيقة تبرز مفاتنها. حملق يوساريان فيها بدوره وهو يشعر بانجذاب نحوها. هزّ رأسه.

قال آرفى فى هدوء: "فليخلصنا الله من هذه النفايات".

اعترض ناتلى بشكل عاطفى فى توبيخ: "لا تتحدث عنها بهذه الطريقة!

أريدها أن تبقى معى".

قال آرفى فى دهشة: "ما المميز بشأنها. إنها مجرد عاهرة".

"ولا تنعتها بالعاهرة!".

هزّت الفتاة كتفيها فى لامبالاة بعد مضى بضع ثوانٍ وسارت بتمهل ناحية الباب. ركض ناتلى ليفتحه لها. عاد وبعينيه تعبير ينم عن قلب مفطور ويعلو وجهه حزن عميق.

واساه يوساريان فى عطف بالغ: "لا تقلق. ستستطيع على الأرجح العثور عليها مرة أخرى؛ فأنت تعلم أين تتسكع العاهرات".

استجداه ناتلى وهو على وشك البكاء: "من فضلك لا تقل عنها ذلك".

تمتم يوساريان قائلاً: "أنا آسف".

قال آرفى بمرح: "إن هناك المئات من العاهرات اللاتى يماثلونها جمالاً يزحفن بكل مكان فى الشوارع، وهى حتى لم تكن جميلة"، ثم ضحك فى سعادة وازدراء وسلطة وأضاف: "لقد ركضت لتفتح لها الباب وكأنك تحبها".

اعترف ناتلى فى خزى وصوت خفيض: "أعتقد أنى أحبها".

جعد آرفى جبهته المستديرة فى عدم تصديق ساخر. ضحك وهو يربت على جانب سترته القصيرة الخضراء: "يا إلهى! هذا مذهل. أنت تحبها؟ هذا مذهل حقًا". كان لدى آرفى فى نفس هذا اليوم موعد مع فتاة تعمل فى الصليب الأحمر فى سميث والتى كان والدها يمتلك مصنعًا مهمًا لحليب المانيزيا: "إن هذا هو النوع من الفتيات الذى يتوجب عليك الارتباط به، وليس عاهرات مثل هذه المرأة. إنها حتى لم تبد نظيفة".

صاح ناتلى بقوة: "لا يهمنى هذا! وأتمنى لو تغلق فمك. أنا لا أريد حتى مناقشة الأمر معك".

قال يوساريان: "اخرس يا آرفى".

قال آرفى: "يا إلهى! أنا أستطيع أن أتخيل ما يمكن لوالدك ووالدتك أن يقولا إن علما أنك تتسكع مع امرأة بغى مثل هذه؛ فوالدك رجل ذو مكانة مرموقة كما تعلم".

قال ناتلى فى حزم: "أنا لن أخبره. أنا لا أنوى التفوه بكلمة عنها لأمى أو لأبى حتى نتزوج".

ذوت سعادة آرفى على الفور: "تتزوجها؟ يا إلهى! الآن أنت تهذى. أنت حتى لست ناضجًا بما فيه الكفاية لتعرف ما الحب الحقيقى".

كان آرفى يعلم ما الحب الحقيقى لأنه قد وقع بالفعل فى حب والد ناتلى وإمكانية العمل لديه بعد انتهاء الحرب فى وظيفة مرموقة كمكافأة له على

مصادقته لناتلى. كان آرفى ملاحًا أول والذى لم يستطع قط إيجاد نفسه منذ مغادرة الكلية. كان ملاحًا أول لطيفًا وشهمًا والذى يمكنه دومًا مسامحة الرجال الآخرين فى السرية على شجبه بعنف فى كل مرة يضل طريقه فيها فى مهمة قتالية ويقودهم فوق تجمعات المدفعية المضادة للطائرات. وهو قد ضل طريقه فى نفس هذا اليوم بشوارع روما ولم يستطع قط العثور على فتاة الصليب الأحمر الجديرة بالاحترام التى تعمل فى سميث والذى يمتلك والدها مصنعًا مهمًا لحليب المانيزيا. كما قد ضل طريقه فوق المهمة إلى فيرارا فى ذلك اليوم الذى أصيب فيه كرافت بطلق نارى أرداه قتيلاً، كما أنه قد ضل طريقه ثانية فى الجولة الاستطلاعية السلمية إلى بارما وحاول أن يقود الطائرات إلى البحر فوق مدينة ليجورن بعد أن قام يوساريان بإلقاء قنابله على الهدف الداخلى غير المحمى، ثم جلس متكئًا للوراء ضد جدار معدنى سميك بعدما أغلق عينيه وأمسك بسيجارة بين أطراف أصابعه، وفجأة دوى صوت قذائف المدفعية وعلى الفور كان ماكوات يصيح عبر جهاز الاتصال البينى: "مدفعية! مدفعية! أين نحن؟ ماذا يحدث؟".

فتح يوساريان عينيه فى ذعر ورأى قذائف المدفعية المنتفخة السوداء غير المتوقعة تندفع نحوهم من أعلى ووجه آرفى اللطيف المستدير ذو العينين الصغيرتين يحدق بالقذائف المقتربة فى ارتباك دمث. كان يوساريان مذهولاً. أصيبت ساقه فجأة بالخدر. كان ماكوات قد بدأ فى الارتفاع وكان يصرخ عبر نظام الاتصال البينى طلبًا للتعليمات. قفز يوساريان للأمام ليرى أين كانوا لكنه ظل فى نفس المكان عاجزًا عن الحركة. بعد ذلك أدرك أنه كان مشبعًا بالدماء. نظر لأسفل إلى أعلى فخذه وهو يشعر بالغثيان. كانت لطخة قرمزية كبيرة تزحف لأعلى بسرعة فوق قميصه مثل شبح مائى ضخم ينقض عليه لالتهامه. لقد أصيب! تقطرت نقاط منفصلة من الدم مكونة بريكة على الأرض من خلال ساق بنطال واحدة مثل حشد لانهائى من الديدان الحمراء الملتوية. توقف قلبه عن النبض، وقد ارتجت الطائرة مرة أخرى بقوة.

ارتجف يوساريان اشمئزازًا من شكل جرحه الغريب وصرخ طالبًا المساعدة من آرفى.

"لقد أصبت! آرفى، لقد أصبت!". لم يسمع آرفى، فانحنى يوساريان للأمام وأمسك ذراعه. استجداه وهو يبكى تقريبًا: "آرفى، ساعدنى. لقد أصبت! لقد أصبت!".

استدار آرفى فى بطء وهو يبتسم ابتسامة عريضة هزلية وقال: "ماذا؟".

"لقد أصبت يا آرفى! ساعدنى!".

ابتسم آرفى ثانية وهزَ كتفيه فى ود وقال: "لا أستطيع سماعك".

صاح يوساريان وأشار إلى بركة الدماء العميقة التى شعر بأنها تحوطه وتمتد أسفله: "ألا يمكنك أن ترى ؟ أنا مصاب! ساعدنى! آرفى، ساعدنى!".

شكا آرفى وهو يقوس يده القصيرة والسمينة خلف أذنه: "مازلت لا أستطيع سماعك. ماذا قلت؟".

أجاب يوساريان بصوت خفيض بعد أن أصابه الوهن فجأة من الصياح ومن هذا الموقف السخيف المحبط المجهد. لقد كان يحتضر ولا يلاحظ أحد ذلك: "لا بأس".

صاح آرفى: "ماذا؟".

"قلت إننى أصبت! ألا يمكنك سماعى؟ لقد أصبت!".

قال آرفى: "مازلت لا أستطيع سماعك".

صاح يوساريان وهو يشعر بالذعر وبدأ يرتجف شاعرًا ببرودة مفاجئة وضعف شديد: "قلت لا بأس!".

هزّ آرفى فى ندم ثانية وخفض أذنه لبنية القوام لتصبح أمام وجه يوساريان مباشرة وقال: "عليك أن ترفع صوتك يا صديقى. عليك أن ترفع صوتك".

قال يوساريان وهو يبكى: "دعنى وحدى أيها الوغد! أيها الحقير عديم الإحساس الغبى، دعنى وحدى !".

أراد أن يلكم آرفى ولكنه افتقر إلى القوة اللازمة لرفع ذراعيه. قرر أن ينام بدلاً من ذلك، ثم راح فى غيبوبة عميقة.

لقد أصيب فى فخذه وحينما استعاد وعيه وجد ماكوات يجلس على كلتا ركبتيه ويعتنى به. شعر بالراحة حتى على الرغم من أنه كان مازال بإمكانه رؤية وجه آرفى المنتفخ يعلو كتف ماكوات فى اهتمام هادئ. ابتسم يوساريان فى ضعف لماكوات وهو يشعر بالإعياء وسأل: "من ينتبه للمستودع؟". لم يبد ماكوات أى إشارة تدل على أنه قد سمعه. وفى فزع متزايد التقط يوساريان أنفاسه وكرر الكلمات بأعلى صوت يمكنه التفوه به.

نظر ماكوات لأعلى. قال وهو يتنهد فى راحة: "يا إلهى! أنا سعيد لأنك على قيد الحياة!". وقد كانت التجاعيد الودودة خفيفة الظل حول عينيه بيضاء من فرط التوتر ودهنية بفعل السخام أثناء قيامه بلف الضمادة التى بدت لا متناهية حول كومة القطن الكبيرة التى شعر بها يوساريان محشورة بالجزء الداخلى من فخذه. "إن ناتلى عند جهاز القيادة. لقد بدأ الفتى فى الانتحاب حينما سمع أنك أصبت. إنه لا يزال يعتقد أنك لقيت نحبك. لقد قطعوا لك وريدًا ولكنى أعتقد أننى أوقفت النزيف. لقد أعطيتك بعض المورفين".

"أعطنى المزيد".

"لا يمكننى إعطاؤك مورفين على فترتين متقاربتين للغاية بهذه الطريقة. سوف أعطيك المزيد حينما تشعر بالألم".

"أنا أشعر بالألم الآن".

قال ماكوات وهو يستعد لحقن حقنة أخرى من المورفين بذراع يوساريان: "حسنًا، ما المانع؟".

قال يوساريان لماكوات: "حينما تخبر ناتلى أننى بخير....."، ثم فقد الوعى ثانية؛ حيث أصبح كل شىء غائمًا وراء غشاء من الهلام المبقع بالفراولة وصوت أزيز جهير. جاء إلى السرية داخل سيارة إسعاف وابتسم لوجه الطبيب دانيكا الكئيب والحزين طوال الثانية أو الثانيتين المشوشتين السابقتين لتخضب العالم باللون الوردى ثانية قبل تحوله إلى اللون الأسود القاتم.

استيقظ يوساريان فى المستشفى ثم غط فى النوم، وحينما استيقظ مجددًا فى المستشفى كانت رائحة الأثير قد اختفت وكان دونبار يرقد مرتديًا بيجامة فى الفراش الموجود عبر الممر وهو يدعى أنه ليس دونبار وإنما إيه. فورتيورى. وقد ظن يوساريان أنه قد جن جنونه. مط شفتيه فى شك حينما سمع ادعاء دونبار هذا، ولم يفعل شيئاً إزاء هذا الأمر طوال يوم أو يومين، ثم استيقظ أثناء غياب الممرضات وتوجه لفراش دونبار ليتأكد بنفسه. كانت الأرض تتمايل وتتأرجح أسفله مثل قارب نجاة مطاطى فوق الشاطئ بينما تعض الغرز بداخل فخذه مثل أسنان السمك وهو يمشى مترنحًا عبر الممر ليتفحص الاسم على بطاقة درجة الحرارة بأسفل فراش دونبار، ولكنه اكتشف أن دونبار كان محقًا: فهو لم يعد يدعى دونبار بعد الآن وإنما الملازم ثان أنتونى إف. فورتيورى.

"ما الذى يحدث؟!".

نهض إيه. فورتيورى من الفراش وأشار ليوساريان للذهاب وراءه، وبينما كان يمد ذراعه للاتكاء على أى شىء يجده سار يوساريان وراءه عبر الرواق ثم إلى الجناح الملحق إلى فراش يحمل بين طياته شابًا منهكًا ذا بثور فى وجهه وذقن غائر. نهض الفتى المنهك على مرفق واحد فى خفة حينما رآهما يقتربان. هز إيه. فورتيورى إبهامه فوق كتفه وقال: "ابتعد". قفز الفتى المنهك من الفراش وجرى بعيدًا. قفز إيه. فورتيورى بالفراش وأصبح دونبار مرة أخرى.

قال دونبار: "هذا كان إيه. فورتيورى. لم يكن هناك فراش شاغر فى جناحك، لذا فقد قمت بانتزاع رتبتى وجعلت الفتى يبيت هنا فى فراشى. إنها تجربة مشبعة للغاية، تجربة انتزاع الرتبة تلك. لابد أن تجربها فى وقت ما. لابد أن تجربها الآن فى الواقع لأنك تبدو على وشك السقوط".

شعر يوساريان بأنه على وشك السقوط؛ فاستدار ناحية الرجل متوسط العمر

ذى الفك الطويل والخدين الغائرين الذى كان يرقد فى الفراش المجاور إلى فراش دونبار، وهزّ إبهامه فوق كتفه وقال: "ابتعد". امتعق وجه الرجل متوسط العمر غضبًا.

قال دونبار: "إنه رائد. لماذا لا تختار رتبة أقل وتحاول أن تصبح ضابط الصف هومر لوملى لبرهة؟ وحينها يمكن أن يصبح لك والد فى الهيئة التشريعية وأخت مخطوبة لبطل فى التزلج. فقط أخبره بأنك نقيب".

استدار يوساريان ناحية المريض الفزع الذى أشار إليه دونبار. قال وهو يهز إبهامه فوق كتفه: "أنا نقيب. ابتعد".

قفز المريض المفزوع من الفراش إلى الأرض إذعانًا لأمر يوساريان وركض مبتعدًا. قفز يوساريان فى فراشه وأصبح الضابط هومر لوملى وشعر بأنه على وشك التقيؤ وأصبح مغطى بعرق رطب. نام لمدة ساعة، ثم أراد أن يصبح يوساريان مرة أخرى. فلم يكن يعنى له الكثير أن يكون له والد يعمل فى الهيئة التشريعية وأخت مخطوبة لبطل فى التزلج. عاد دونبار إلى جناح يوساريان مجددًا؛ حيث طرد إيه. فورتيورى من الفراش ليصبح دونبار ثانية لبرهة. لم يكن هناك أى أثر للضابط هومر لوملى. جاءت المرضة كريمر وتظاهرت بالغضب. أمرت يوساريان بالعودة على الفور إلى فراشه ووقفت فى طريقه حتى لا يستطيع الإذعان. كان وجهها الجميل أكثر بغضًا من أى وقت مضى. كانت المرضة كريمر مخلوقة حانية القلب وعاطفية وكانت تعشق أخبار الزيجات والخطوبات والميلاد والذكرى السنوية حتى إن لم تكن على معرفة وطيدة بأصحاب هذه المناسبات.

قالت فى سخط وهى تهز إصبعًا غاضبًا أمام عينيه: "هل جننت؟ أعتقد أنك لا تكترث إن قمت بقتل نفسك، أليس كذلك؟".

قال مذكرًا إياها: "إنها نفسى".

"أعتقد أنك لا تكترث إن فقدت ساقك".

"إنها ساقى".

قالت المرضة كريمر: "إنها ليست ساقك. تلك الساق ملك للحكومة الأمريكية. إنها لا تختلف كثيرًا عن المعدات أو النونية، وأنت لا تمتلك أى حق فى مخالفة أوامر الأطباء".

لم يكن يوساريان واثقًا من أنه يحب فكرة امتلاك الحكومة له. كانت المرضة كريمر لا تزال تقف قبالته حتى لا يستطيع المرور. كان رأسه يؤلمه. وجهت إليه المرضة كريمر سؤالاً لم يستطع فهمه. هزّ إبهامه فوق كتفه وقال: "ابتعدى".

صفعته المرضة كريمر على وجهه بقوة حتى إنها كادت ترديه أرضًا. جهز يوساريان قبضته ليلكمها فى فكها فى الوقت الذى التوت فيه ساقه وبدأ يسقط.

جاءت الممرضة داكيت فى الوقت المناسب وأمسكت به. خاطبت كلاً منهما بحدة وحسم.

"ما الذى تفعلانه هنا؟".

قالت الممرضة كريمر بحماسة بصوت مجروح: "إنه لا يريد الذهاب إلى فراشه. داكيت، لقد قال لى شيئاً رهيبًا. لا أستطيع حتى حمل نفسى على تكراره!".

تمتم يوساريان: "لقد نعتتنى بالمعدات".

لم تتعاطف معه الممرضة داكيت وقالت: "عد إلى فراشك وإلا سحبتك من أذنك وذهبت بك إلى هناك".

تحداها يوساريان قائلاً: "اسحبينى من أذنى واذهبى بى إلى هناك".

وبالفعل سحبته الممرضة داكيت من أذنه وأخذته إلى الفراش!

٢٧

الممرضة داكيت

كانت الممرضة سو آن داكيت امرأة طويلة نحيلة ناضجة ذات ظهر مستقيم وملامح زاهدة تنم عن أنها من نيو إنجلاند ، وكانت تتسم بأنها جميلة وبسيطة فى الوقت ذاته. كانت بشرتها بيضاء وردية وعيناها صغيرتين وأنفها وذقنها نحيفين وحادين. كانت كفئًا وسريعة وصارمة وذكية. كانت ترحب بالمسئولية وتحتفظ برباطة جأشها فى كل أزمة. كانت ناضجة ومعتمدة على نفسها، ولم يكن هناك شىء تحتاج إليه من الآخرين، وقد كان يوساريان يشفق عليها وقرر مساعدتها.

ففى صباح اليوم التالى حينما كانت منحنية للأمام لترتيب ملاءة فراشه عند أسفل السرير قام بوكزها فى جانبها بيده. صرخت الممرضة داكيت وقفزت بالهواء على ارتفاع ميل، وتقهقرت فى ذعر للوراء فى الممر بعدما شحب وجهها وأخذ فى الارتعاد. ابتعدت عنه مسافة كبيرة، فقام دونبار - والذى شاهد ما حدث منذ البداية - بالقفز من فراشه دون سابق إنذار ولف ذراعيه حولها من الخلف. صرخت الممرضة داكيت ثانية وتلوت هاربة بعيدًا بما فيه الكفاية عن دونبار ومقتربة من يوساريان والذى قام بمد ذراعه للأمام محاولاً الإمساك بها مرة أخرى. قفزت الممرضة داكيت عبر الممر مجددًا مثل كرة تنس طاولة ذات ساقين. كان دونبار ينتظر فى يقظة وهو مستعد للانقضاض عليها، وقد تذكرت أمره فى الوقت المناسب وقفزت جانبًا. أفلتها دونبار ليسقط من فوق الفراش على الأرض هابطًا على جمجمته لترتطم بالأرض بقوة.

نهض من فوق الأرض بأنف نازفة ونفس أعراض الرأس المروعة التى كان يدعى أنه مصاب بها. كان الجناح فى حالة من الفوضى؛ فكانت الممرضة داكيت تبكى ويوساريان يواسيها معتذرًا وهو يجلس إلى جوارها على طرف الفراش. كان الكولونيل المسئول عن المستشفى غاضبًا وبدأ يصيح فى يوساريان قائلاً إنه لا يمكن له السماح لمرضاه بأن يتحرشوا بممرضاته.

سأل دونبار من على الأرض وهو يجفل بسبب الآلام النابضة فى صدغيه: "ماذا تريد منه؟ إنه لم يفعل شيئاً".

صاح الكولونيل النحيف الوقور بأعلى صوت لديه: "أنا أتحدث عنك! فأنت سوف تنال عقابك لما فعلت".

صاح يوساريان: "ماذا تريد منه؟ كل ما فعله هو السقوط على رأسه".

صاح الكولونيل وقد استدار ليصب غضبه على يوساريان: "وأنا أتحدث عنك أنت أيضًا! سوف تندم على قيامك بتطويق الممرضة داكيت من الخلف بذراعيك".

قال يوساريان: "أنا لم أقم بتطويق الممرضة داكيت من الخلف بذراعىّ".

قال دونبار: "أنا الذى قمت بتطويق الممرضة داكيت من الخلف بذراعىّ".

صاح الطبيب وهو يرتعد ويتقهقر للوراء فى ارتباك: "هل أنتما معتوهان؟".

قال له دونبار مؤكدًا: "نعم، إنه معتوه حقًا أيها الطبيب؛ فكل ليلة يحلم بأنه يمسك سمكة حية بين يديه".

تسمر الطبيب فى مكانه بينما يعلو وجهه تعبير ينم عن الدهشة والاشمئزاز وساد الهدوء الجناح. سأل: "*إنه يحلم بماذا؟*".

"إنه يحلم بأنه يمسك بسمكة حية فى يده".

سأل الطبيب يوساريان فى جدية: "أى نوع من السمك؟".

قال يوساريان: "لا أعلم، أنا لا أستطيع التمييز بين أنواع السمك".

"فى أى يد تمسك بها؟".

قال يوساريان: "ليس يدًا بعينها".

أضاف دونبار بقصد المساعدة: "يختلف هذا حسب نوع السمكة".

استدار الكولونيل وحملق فى دونبار فى ريبة بعينين نصف مغمضتين وقال: "نعم؟ وكيف يتسنى أنك تعرف كل هذا القدر من المعلومات عن حلمه؟".

أجاب دونبار دون أن يبتسم: "لأننى موجود فى الحلم كذلك".

تورد وجه الكولونيل خجلاً. حملق فيهما باستياء بارد وغير متسامح. أمر دونبار من خلال شفتيه الرفيعتين: "انهض من فوق الأرض واذهب إلى فراشك. ولا أريد سماع كلمة أخرى عن هذا الحلم من أى منكما. إن لدى رجلاً فى فريقى مهمته الاستماع إلى مثل هذا الهراء".

سأل الرائد ساندرسون - الطبيب النفسى الرقيق المبتسم والذى أرسل الكولونيل يوساريان إليه - فى حرص: "لماذا فى رأيك يعتقد الكولونيل فيريدج أن حلمك مقزز؟".

أجاب يوساريان فى احترام: "أعتقد أن ذلك لابد أن يكون بسبب عيب فى الحلم أو عيب فى الكولونيل فيريدج".

صفق الرائد ساندرسون والذى كان يرتدى حذاءً عسكريًا يصدر صوت صرير وكان له شعر أسود فحمى يقف بشكل شبه منتصب وقال: "يا لها من إجابة ذكية! لسبب ما يذكرنى الكولونيل فيريدج دومًا بسمك النورس. إنه لا يؤمن كثيرًا بعلم النفس كما تعلم".

سأل يوساريان: "أنت لا تحب أسماك النورس، أليس كذلك؟".

اعترف الرائد ساندرسون وهو يضحك ضحكة حادة وعصبية ويشد ذقنه المتدلى فى سعادة وكأنها لحية صغيرة مشذبة: "ليس كثيرًا. أعتقد أن حلمك رائع، وأتمنى أن يراودك كثيرًا حتى نستمر فى مناقشته. هل تريد سيجارة؟". ابتسم حينما رفض يوساريان. سأل فى ثقة: "لماذا تعتقد أنك تمقت بشدة مسألة قبول سيجارة منى؟".

"لقد أخذت واحدة منك قبل لحظة واحدة. وهى مازالت تدخن فى منفضة سجائرك".

ضحك الرائد ساندرسون وقال: "إن هذا تفسير عبقرى حقًا. ولكن أعتقد أننا سنكتشف السبب الحقيقى سريعًا". ربط عقدة أنشوطية مزدوجة غير متقنة برباط حذائه، ثم نقل ورقة صفراء مسطرة من فوق مكتبه إلى فوق ساقيه وقال: "هذه السمكة التى تحلم بها. دعنا نتحدث بشأنها. أنت تحلم دومًا بنفس السمكة، أليس كذلك؟".

أجاب يوساريان: "لا أعلم. أنا أجد صعوبة فى التمييز بين أنواع الأسماك".

"بمَ تذكرك السمكة؟".

"بغيرها من السمك".

"وبمَ يذكرك غيرها من السمك؟".

"بغيره من السمك".

اتكأ الرائد ساندرسون للخلف فى إحباط وقال: "هل تحب السمك؟".

"ليس كثيرًا".

سأل الرائد ساندرسون فى انتصار: "لماذا تعتقد أنك تمقت السمك بهذه الطريقة؟".

أجاب يوساريان: "لأنه لطيف للغاية، وكثير العظم".

أومأ الرائد ساندرسون فى فهم وهو يبتسم فى لطف ونفاق: "هذا تفسير مثير للغاية، ولكن أعتقد أننا سنكتشف السبب الحقيقى سريعًا. هل تحب هذا النوع من السمك؟ ذلك الذى تمسكه بيدك؟".

"أنا لا أشعر نحوها بأى شىء".

"هل تبغض السمكة؟ هل تساورك نحوها أية مشاعر عدائية؟".

"لا، لا، على الإطلاق. فى الواقع أنا أحب السمكة".

"إذن أنت تحب السمكة".

"لا، لا. أنا لا أشعر نحوها بأى شىء".

"ولكنك قلت لتوك إنك تحبها. والآن تقول إنك لا تشعر نحوها بأى شىء. لقد

ضبطك لتوك تقول كلامًا متناقضًا. ألم تلاحظ هذا؟".

"بلى ياسيدى. أعتقد أنك ضبطتنى أقول كلامًا متناقضًا".

كتب الرائد ساندرسون بفخر: "تناقض" على ورقته بقلمه الرصاص سميك الخط. واصل حديثه بعدما انتهى ورفع رأسه: "لماذا قمت فى اعتقادك بالتفوه بهاتين العبارتين اللتين تجسدان شعورين متناقضين إزاء السمكة؟".

"أعتقد أن لدىَ نزعة ازدواجية إزاءها".

قفز الرائد ساندرسون فى سعادة حينما سمع عبارة "نزعة ازدواجية". قال وهو يلوى يديه معًا فى نشوة: "أنت تفهم! يا إلهى، إنك لا تستطيع أن تتخيل كم أشعر بالوحدة حينما أتحدث يومًا بعد يوم مع مرضى ليس لديهم أى إلمام بعلم النفس، وأحاول معالجة أناس لا يلقون بالاً لى أو لعملى! إن ذلك يبث فىَ شعورًا مريعًا بالنقص". تسلل إلى وجهه شعور بالقلق وهو يضيف: "أنا لا أستطيع فيما يبدو تحمل هذا الأمر".

سأل يوساريان وهو يتساءل عما يمكنه أن يقول غير ذلك: "حقًا؟ لماذا تلقى اللوم على نفسك لوجود فجوات فى تعليم الآخرين؟".

أجاب الرائد ساندرسون فى تململ وهو يضحك ضحكة طائشة غير مقصودة: "أعلم أن الأمر سخيف، ولكننى طالما اهتممت بآراء الآخرين فىَ. لقد وصلت إلى مرحلة النضوج متأخرًا قليلاً عن أقرانى، وقد تسبب لى ذلك - حسنًا - فى جميع أنواع المشكلات، وأنا أعلم أننى سأكون سعيدًا إن ناقشتها معك، وأنا أتوق للبدء على الفور حتى إننى أشعر برغبة فى عدم مناقشة مشكلتك الآن، ولكن أخشى أنه ينبغى علىَ هذا، فسوف يغضب الكولونيل فيريدج إن علم أننا نمضى وقتنا معًا فى التحدث عنى. وأنا أود أن أريك الآن بعض لطخات الحبر لكى تخبرنى بم تذكرك؟".

"يمكنك أن توفر على نفسك التعب أيها الطبيب؛ فكل شىء يذكرنى بالجنس".

صاح الرائد ساندرسون فى سعادة وكأنه لا يستطيع تصديق أذنيه: "حقًا؟ الآن نحن فعلاً نحقق تقدمًا! هل تراودك أية أحلام جنسية جيدة؟".

"حلمى عن السمكة هو حلم جنسى".

"لا، أعنى أحلامًا جنسية حقيقية - من ذلك النوع الذى تمسك فيه عاهرة من رقبتها وتلكمها فى وجهها حتى تنزف بشدة، ثم تغتصبها وتنفجر فى البكاء لأنك تحبها للغاية وتبغضها للغاية حتى إنك لا تعرف ما يمكنك أن تفعل. هذا هو نوع الأحلام الجنسية التى أود التحدث عنها. ألا تراودك قط أحلام جنسية من هذا النوع؟".

ظل يوساريان يفكر للحظة بينما تعلو وجهه نظرة حكيمة. قال: "هذا هو حلم السمكة".

تراجع الرائد ساندرسون للوراء وكأن أحدًا صفعه. قال فى لامبالاة بعدما أصبح سلوكه حادًا وعدوانيًا: "نعم، بالطبع. ولكننى أود منك أن تحلم حلمًا مثل هذا لنرى كيف سيكون رد فعلك. بهذا نكون قد انتهينا اليوم. فى الوقت ذاته أود منك أن تحلم بالأجوبة عن بعض الأسئلة التى طرحتها عليك؛ فهذه الجلسات ليست مسلية لى كما هى ليست مسلية لك كما تعلم".

قال يوساريان: "سوف أخبر دونبار بذلك".

"دونبار؟".

"إنه هو صاحب الشأن؛ فذلك هو حلمه".

"آه، دونبار". سخر الرائد ساندرسون بعدما عادت ثقته: "أنا واثق من أن دونبار هو الشخص الشرير الذى يرتكب كل الأفعال القذرة التى تلام أنت عليها، أليس كذلك؟".

"إنه ليس شريرًا للغاية".

"ومع ذلك فأنت ستظل تدافع عنه حتى الموت، أليس كذلك؟".

"ليس إلى هذا الحد".

ابتسم الرائد ساندرسون بطريقة ساخرة وكتب "دونبار" على ورقته. سأل بحدة أثناء اتجاه يوساريان إلى الباب: "لماذا تعرج؟ ولماذا تلك الضمادة فوق ساقك؟ هل أنت مجنون أو شىء من هذا القبيل؟".

"لقد أصبت فى ساقى، وهذا هو سبب وجودى فى المستشفى".

حدق إليه الرائد ساندرسون فى خبث: "لا، هذا ليس صحيحًا. أنت فى المستشفى لإصابتك بحصوة فى غدتك اللعابية. إذن فأنت لست ذكيًا للغاية على الرغم من كل شىء، أليس كذلك؟ فأنت حتى لا تعلم سبب وجودك بالمستشفى".

قال يوساريان فى إصرار: "أنا فى المستشفى لأن ساقى مصابة".

تجاهل الرائد ساندرسون كلامه بضحكة تهكمية: "حسنًا، أبلغ تحياتى لصديقك دونبار، وأخبره بأن يحلم هذا الحلم من أجلى، هلّا فعلت ذلك!".

ولكن دونبار كان مصابًا بالغثيان والدوار وألم مستمر بالرأس ولم يكن مستعدًا للتعاون مع الرائد ساندرسون، وقد كان هنجرى جو تراوده الكوابيس لأنه أنهى ستين مهمة وكان ينتظر مجددًا العودة للوطن، ولكنه لم يكن مستعدًا أن يشاركها مع أحد حينما جاء إلى المستشفى للزيارة.

سأل يوساريان: "أليس لدى أى أحد أحلام من أجل الرائد ساندرسون؟ لا أريده أن يشعر بالإحباط؛ فهو يشعر بأنه منبوذ بالفعل".

اعترف رجل الدين: "يراودنى حلم غريب للغاية منذ أن علمت أنك أصبت. كنت أحلم كل ليلة بأن زوجتى تحتضر أو تقتل أو أن أطفالى يختنقون حتى الموت بكسرات من طعام، ولكننى الآن أحلم بأننى أسبح فى ماء يغمر رأسى ويلتهم ساقى اليسرى تمامًا فى نفس المكان الذى تضع فيه ضمادتك".

قال دونبار: "هذا حلم رائع. أنا واثق من أن الرائد ساندرسون سيحبه".

صاح الرائد ساندرسون: "هذا حلم شنيع! إنه ملىء بالألم والتشوه والموت. أنا واثق من أنك تحلم به لإغاظتى. أتعلم، أنا لست واثقًا حتى إن كنت مجندًا بما أنك تحلم حلمًا كهذا".

ظن يوساريان أنه لمح بارقة أمل. اقترح فى مكر: "ربما أنت محق يا سيدى. ربما يجب أن يتم إعفائى من الخدمة العسكرية وإعادتى للولايات المتحدة".

"ألم يخطر فى بالك قط أنك من خلال مطاردتك المستمرة والمشوشة للنساء فإنك تحاول فقط تهدئة وتلطيف مخاوف عقلك الباطن بالإصابة بالعجز الجنسى؟".

"نعم يا سيدى خطر هذا فى بالى".

"إذن لماذا تفعل ذلك؟".

"لتهدئة وتلطيف مخاوف عقلى الباطن بالإصابة بالعجز الجنسى".

سأل الرائد ساندرسون باهتمام ودى: "لماذا لا تشغل نفسك بهواية جيدة بدلاً من ذلك؟ هواية مثل صيد الأسماك. هل حقًا تجد الممرضة داكيت جذابة للغاية؟ أنا أعتقد أنها بارزة العظام. لطيفة وبارزة العظام مثل السمكة".

"أنا بالكاد أعرف الممرضة داكيت".

"إذن لماذا طوقتها بذراعيك من الخلف؟".

"إن دونبار هو من قام بذلك".

قال الرائد ساندرسون فى سخرية لاذعة: "لا تبدأ هذا ثانية. هل تعتقد حقًا أنه يمكنك الهرب من الذنب بالتظاهر بأنك شخص آخر؟ أنا لا أحبك يا فورتيورى. هل تعلم هذا؟ أنا لا أحبك على الإطلاق".

شعر يوساريان بدفقة من الذعر البارد الرطب تجتاحه. قال فى جبن: "أنا لست فورتيورى يا سيدى. أنا يوساريان".

"أنت من؟".

"اسمى يوساريان يا سيدى؛ وأنا فى المستشفى لأننى مصاب فى ساقى".

عارضه الرائد ساندرسون فى غضب: "إن اسمك هو فورتيورى، وأنت فى المستشفى بسبب إصابتك بحصوة فى الغدة اللعابية".

انفجر يوساريان قائلاً: "بربك أيها الرائد! أنا أعلم من أنا".

قال الرائد ساندرسون: "وأنا لدى وثيقة عسكرية رسمية هنا تثبت كلامى. لابد أن تتمالك نفسك قبل أن يفوت الأوان. أولاً أنت دونبار. والآن أنت يوساريان. المرة القادمة ستدعى أنك واشنطن إيرفنج. أتعلم ماذا بك؟ أنت مصاب بانفصام فى الشخصية، هذا هو ما بك".

وافقه يوساريان بدبلوماسية: "ربما أنت محق يا سيدى".

"أعلم أننى محق. أنت مصاب بعقدة اضطهاد خطيرة. أنت تعتقد أن الناس يحاولون إيذاءك".

"إن الناس يحاولون إيذائى".

"أرأيت؟ إنك لا تحترم السلطة أو التقاليد. إنك خطير ومنحرف. وينبغى أخذك للخارج وإطلاق الرصاص عليك!".

"هل أنت جاد؟!".

"أنت عدو الناس!".

صاح يوساريان: "هل أنت مجنون؟".

زأر دوبس فى غضب فى الجناح فيما كان يعتقد أنه همس: "لا، أنا لست مجنونا. لقد رآهم هنجرى جو، أؤكد لك ذلك. لقد رآهم بالأمس حينما طار إلى نابلس للإتيان ببعض المكيفات من السوق السوداء من أجل مزرعة الكولونيل كاثكارت. إن لديهم مركز جنود تكميليين كبيرًا هناك وهو ممتلئ بمئات الطيارين والمدفعيين والذين فى طريقهم للعودة إلى الوطن. لقد قاموا بتنفيذ خمس وأربعين مهمة فقط، والبعض فى سرية "بيربل هارتس" نفذوا حتى عددًا أقل من المهام. إن فرقًا من الجنود التكميليين تنهمر من الولايات المتحدة داخل المجموعات الأخرى. إنهم يريدون من الجميع الخدمة عبر البحار ولو حتى مرة واحدة، حتى الموظفين الإداريين. ألا تقرأ الصحف؟ علينا قتله الآن!".

قال له يوساريان بصوت خفيض: "إن أمامك فقط مهمتين لتنفيذهما. لم المخاطرة؟".

أجاب دوبس بشكل مشاكس بصوته المرتعد الأجش: "يمكننى أن ألقى حتفى بهما كذلك. يمكننا قتله فى وقت مبكر من صباح الغد عند عودته من مزرعته. إن لدى المسدس هنا".

حملق يوساريان فى دهشة أثناء إخراج دوبس للمسدس من جيبه ورفعه عاليا فى الهواء. همس فى ذعر: "هل أنت مجنون؟ ضعه جانبًا، واخفض صوتك الغبى".

سأل دوبس ببراءة: "لماذا أنت قلق هكذا؟ لا يمكن لأحد سماعنا".

تعالى صوت أحد المرضى من أقصى نهاية الجناح يقول: "فلتصمتا أنتما الاثنان. ألا تريان أننا نحاول النوم؟".

صاح دوبس وهو يوجه قبضتيه فى الهواء استعدادًا للشجار: "أتعتقد نفسك، رجلاً حكيماً؟". استدار ثانية ناحية يوساريان وقبل أن يستطيع التحدث عطس بقوة ست مرات وهو يترنح يمينًا ويسارًا على ساقين مطاطيتين بين العطسات ويرفع مرفقه بدون فائدة لمنع كل واحدة من الخروج، وقد أصبح جفنا عينيه الدامعتين متورمين ومنتفخين. سأل وهو يستنشق الهواء بشكل تشنجى ويمسح أنفه بظهر مرفقه القوى: "هل يعتقد أنه شرطى أو شىء من هذا القبيل؟".

أخبره يوساريان فى قلق: "إنه يعمل بالاستخبارات الجنائية. إن لدينا ثلاثة منهم هنا والمزيد فى طريقهم إلى الجناح. لا تخف. إنهم يبحثون عن مزور يدعى واشنطن إيرفنج، إنهم لا يكترثون لأمر القتلة".

شعر دوبس بالإهانة: "القتلة؟ لماذا تقول إننا قتلة؟ فقط لأننا سوف نقتل الكولونيل كاثكارت؟".

قال يوساريان: "تبًا لك، اخفض صوتك. ألا تستطيع الهمس؟".

"أنا أهمس. أنا ــ".

"أنت لا تزال تصيح".

"لا، أنا لا أصيح. أنا ـ".

بدأ المرضى فى كل أنحاء الجناح يصيحون على دوبس: "هلّا خرست يا من تصيح هناك!".

صاح عليهم دوبس بعد أن وقف على مقعد خشبى متقلقل وبدأ يلوح بمسدسه فى جموح: "سوف أتشاجر معكم جميعًا!". بدأ دوبس يعطس ثانية. اعتذر حينما انتهى بينما كان منخاراه يسيلان وتترغرغ عيناه بالدموع: "إننى مصاب بحساسية".

"هذا مؤسف للغاية. كنت لتصبح قائدًا عظيمًا للرجال بدونها".

واصل دوبس كلامه بصوت أجش بعدما أخرج منديلاً مجعدًا ملوثًا كاكى اللون من جيبه: "إن الكولونيل كاثكارت هو القاتل. إن الكولونيل كاثكارت هو الشخص الذى سيقوم بقتلنا جميعًا إن لم نفعل شيئاً لإيقافه".

"ربما لن يقوم برفع عدد المهام أكثر من ذلك. ربما أنه لن يرفعها ليجعلها تتعدى الستين مهمة".

"إنه يرفع العدد دومًا. أنت تعلم ذلك أفضل منى". بلع دوبس لعابه واقترب بوجهه المتوتر من يوساريان، بينما تتجعد عضلات فكه الذى يشبه الصخرة. "فقط أخبرنى بأن أمضى قدمًا وسوف أتولى الأمر برمته غدًا صباحًا. هل تفهم ما أقوله لك؟ أنا أهمس الآن، أليس كذلك؟".

أشاح يوساريان بوجهه بعيدًا عن تحديق دوبس إليه. قال معترضًا: "لماذا لا تذهب وتقتله ببساطة؟ لماذا لا تتوقف عن محادثتى فى هذا الأمر وتقوم به

وحدك؟".

"أنا أخشى القيام به وحدى. أنا أخشى القيام بأى شىء وحدى".

"إذن لا تقحمنى فى هذا الأمر؛ فأنا سأكون مجنونًا حقًا إن أقحمت نفسى فى أمر مثل هذا الآن. إن لدى إصابة فى ساقى تساوى مليون دولار. إنهم سوف يرسلوننى إلى الوطن".

قال دوبس فى عدم تصديق: "هل أنت مجنون؟ إن كل ما لديك هناك هو خدش. سوف يعيدونك إلى المهام الجوية القتالية يوم خروجك من هنا. بيربل هيرت وغيرها من المهام".

قال يوساريان: "حينها سوف أقتله بالفعل. سوف آتى للبحث عنه ونقوم بهذا معًا".

استجداه دوبس قائلاً: "إذن دعنا نقم بذلك غدًا بينما الفرصة لا تزال سانحة. إن رجل الدين يقول إنه قد تبرع بالوحدة للقيام بمهمة الأفنيون مرة أخرى. ربما ألقى حتفى قبل حتى أن تخرج من هنا. انظر كيف ترتعد يدى. أنا لا أستطيع قيادة طائرة. أنا لست مؤهلاً لذلك".

كان يوساريان يخشى أن يوافق: "أريد أن أنتظر وأرى ماذا سيحدث أولاً".

شكا دوبس بصوت حانق: "إن مشكلتك هى أنك لن تقوم بأى شىء".

قال رجل الدين ليوساريان بعد مغادرة دوبس: "أنا أفعل كل ما بوسعى. أنا حتى ذهبت إلى الخيمة الطبية لإقناع الطبيب دانيكا بمساعدتك".

قمع يوساريان ابتسامة: "نعم. وماذا حدث؟".

أجاب رجل الدين فى خجل: "لقد قاموا بطلاء لثتى بمحلول أرجوانى".

أضاف ناتلى فى غضب: "وقاموا بطلاء أصابع قدميه باللون الأرجوانى كذلك. وبعد ذلك أعطوه مليّنًا".

"ولكننى ذهبت إليه هذا الصباح مرة أخرى للتحدث إليه".

قال ناتلى: "وقاموا بطلاء لثته بالمحلول الأرجوانى ثانية".

قال رجل الدين بشكل دفاعى بسيط: "ولكننى استطعت الوصول إليه. إن الطبيب دانيكا يبدو رجلاً تعيسًا حقًا. إنه يعتقد أن شخصًا ما يتآمر ضده لنقله إلى المحيط الهادئ، وقد كان يفكر طوال هذا الوقت فى الإتيان لى طلبًا للمساعدة. وحينما أخبرته بأننى أحتاج لمساعدته تساءل إن لم يكن هناك رجل دين أستطيع الذهاب إليه". انتظر رجل الدين فى اكتئاب متأنٍ فى حين انفجر كل من يوساريان ودونبار فى الضحك. واصل حديثه وكأنه يندب: "لقد اعتدت التفكير أنه من غير الأخلاقى أن يكون المرء تعيسًا. الآن لا أعرف ما هو أخلاقى وما هو غير أخلاقى. وأنا أود أن أجعل موضوع انعدام الأخلاق محور خطبتى هذا الأسبوع، ولكننى لا أعلم

إن كان ينبغى علىَ أن أخطب من الأساس بهذه اللثة الأرجوانية. لقد كان الكولونيل كورن مستاءً منها للغاية".

دعاه يوساريان قائلاً: "لماذا لا تأتى للإقامة بالمستشفى معنا لفترة وتهون على نفسك؟ سوف تكون مرتاحًا هنا".

أغرى الإثم الوقح الفاجر لهذا العرض رجل الدين وأبهجه لثانية أو ثانيتين. قال فى تردد: "لا، لا أعتقد هذا. أريد الترتيب للذهاب فى رحلة إلى البر الرئيسى لرؤية موظف بريد يدعى ونترجرين. لقد أخبرنى الطبيب دانيكا بأن بوسعه المساعدة".

"ونترجرين هو على الأرجح أكثر الرجال نفوذًا وسلطة فى مسرح العمليات برمته. إنه ليس موظف بريد فحسب وإنما رجل يستطيع الوصول إلى آلة نسخ الرسائل، ولكنه لن يساعد أحدًا. وهذا هو أحد الأسباب التى جعلته ينأى بنفسه فى مكان بعيد".

"أنا أريد التحدث معه على الرغم من كل شىء. لابد أن هناك شخصًا ما يمكنه مساعدتك".

صححه يوساريان بتعالٍ: "افعل ذلك من أجل دونبار. إن لدى إصابة فى ساقى تساوى مليون دولار والتى ستعفينى من الخدمة العسكرية. وإن لم تجدنى هذه الإصابة نفعًا، فإن هناك طبيبًا نفسيًا يعتقد أننى لست أهلاً للجندية".

انتحب دونبار وهو يشعر بالغيرة: "أنا الذى يعتبر غير أهل للخدمة العسكرية. لقد كان ذلك حلمى أنا".

قال يوساريان: "الأمر ليس له علاقة بالحلم يا دونبار. إنه يحب حلمك. إنها شخصيتى. إنه يعتقد أنها مصابة بفصام".

قال الرائد ساندرسون والذى قام بعقد رباط حذائه من أجل المناسبة وصقل شعره الفحمى اللون لأسفل بغسول عطرى. ابتسم فى تباه ليضفى على نفسه صفة العقلانية والدماثة: "ها قد صفعته بصورة رائعة"، ثم قال فى سعادة قاسية وتهديدية: "أنا لا أقول هذا لأكون قاسيًا ومهددًا. وأنا لا أقوله لأننى أبغضك وأود الانتقام، ولا أقوله لأنك نبذتنى وجرحت مشاعرى بشكل بشع. لا، فأنا طبيب وأتسم بالموضوعية الشديدة. إن لدى أخبارًا سيئة لك. هل أنت رجل بما فيه الكفاية لتلقيها؟".

صرخ يوساريان: "يا إلهى، لا! سوف أتمزق إربًا".

اشتاط الرائد ساندرسون غضبا فجأة. استجداه بعدما تورد وجهه سخطا وضرب بجانب قبضتيه فوق المكتب: "ألا يمكنك أن تفعل شيئا واحدا فقط على النحو الصحيح؟ إن مشكلتك هى أنك تعتقد أنك تبلغ من السمو الدرجة التى

لا تجعلك تتقيد بأعراف المجتمع، وأنت على الأرجح تعتقد أنك أفضل منى كذلك، فقط لأننى وصلت إلى مرحلة البلوغ متأخرًا. حسنًا أتعلم من أنت فى الواقع؟ أنت شاب محبط تعيس غير منضبط سيئ التوافق"، وقد بدا أن ملامح الرائد ساندرسون كانت تهدأ وترتخى أثناء قيامه بسرد صفات يوساريان القبيحة.

وافقه يوساريان بحرص: "نعم يا سيدى. أعتقد أنك محق".

"بالطبع أنا محق. أنت غير ناضج. لقد عجزت عن التوافق مع فكرة الحرب".

"نعم يا سيدى".

"أنت تمقت الموت بقوة، وأنت على الأرجح تكره حقيقة تورطك بهذه الحرب واحتمال أن تلقى حتفك فى أية ثانية".

"أنا لست أكرهها فحسب ياسيدى، أنا أبغضها".

"أنت متشبث بالحياة بطريقة غير سوية. وأنت لا تحب كذلك المتعصبين والمستأسدين والمتكبرين والمنافقين؛ فعلى مستوى اللاوعى هناك الكثير من الناس الذين تبغضهم".

صححه يوساريان فى محاولة لمساعدته: "على مستوى الوعى يا سيدى، على مستوى الوعى. أنا أبغضهم على مستوى الوعى".

"أنت تعادى فكرة السرقة والاستغلال والحط من القدر والإذلال والخداع. إن البؤس يصيبك بالاكتئاب، والجهل يصيبك بالاكتئاب، والاضطهاد يصيبك بالاكتئاب، والجريمة تصيبك بالاكتئاب، والفساد يصيبك بالاكتئاب. أتعلم، أنا لن أندهش لو اكتشفت أنك مصاب بجنون الاكتئاب!".

"نعم يا سيدى. ربما أكون كذلك".

"لا تحاول إنكار ذلك".

قال يوساريان وهو سعيد لتلك الصلة الإعجازية التى تكونت بينهما أخيرًا: "أنا لا أنكر هذا يا سيدى. أنا أتفق معك فى كل ما قلته".

"إذن أنت تعترف بأنك مجنون، أليس كذلك".

أصيب يوساريان بالصدمة: "مجنون؟ ما الذى تتحدث عنه؟ لماذا أنا مجنون؟ ليس هناك مجنون هنا سواك!".

تورد وجه ساندرسون سخطًا ثانية وضرب بكلتا قبضتيه على فخذيه. صاح فى غضب: "إن نعتك لى بالجنون هو استجابة سادية وانتقامية طبيعية وتقليدية نابعة من نزعة جنون الاضطهاد التى أنت مصاب بها! أنت حقًا مجنون!".

"إذن لماذا لا ترسلنى للوطن؟".

"سوف أقوم بإرسالك للوطن!".

أعلن يوساريان فى سعادة وهو يعرج داخل الجناح: "إنهم سوف يرسلوننى

للوطن!".

قال إيه. فورتيورى فى سعادة: "وأنا أيضًا! لقد جاءوا لتوهم للجناح وأخبرونى بذلك".

سأل دونبار الأطباء فى وقاحة: "ماذا عنّى؟".

أجابوا فى خشونة: "أنت. أنت ستعود مع يوساريان للخدمة على الفور!".

وقد عاد كل منهما إلى الخدمة بالفعل، وقد كان يوساريان حانقًا حينما أعادته عربة الإسعاف إلى السرية، وقد ذهب يعرج إلى الطبيب دانيكا ليشكو له، ولكن الأخير حملق فيه ببؤس وازدراء.

قال الطبيب دانيكا منتحبًا فى اشمئزاز فى أثناء بروز الأكياس التى تشبه البيض أسفل عينيه: "أنت! إن كل ما تفكر فيه هو نفسك فقط. اذهب وألق نظرة على خط القنابل إن كنت ترغب فى رؤية ما حدث منذ أن ذهبت إلى المستشفى".

أصيب يوساريان بالذهول. "هل نخسر الحرب؟".

صاح الطبيب دانيكا: "نخسر؟ إن الوضع العسكرى برمته فى حالة متردية منذ أن قمنا باحتلال باريس. كنت أعرف أن ذلك سيحدث". سكت ثم تحول غضبه إلى حزن وقطب فى اهتياج وكأن الخطأ كله هو خطأ يوساريان: "إن القوات الأمريكية تتوغل بالأراضى الألمانية، وقد استردت روسيا أراضيها مجددًا ورومانيا بالكامل. وأمس فقط احتل اليونانيون بالجيش الثامن ريمينى. إن الألمان فى وضع سيئ فى كل مكان!". سكت الطبيب دانيكا مجددًا وزفر نفسًا طويلاً. قال منتحبًا: "ليس هناك أية قوات متبقية من اللوفتواف!". بدا أنه على وشك البكاء. "إن الخط القوطى بالكامل على وشك الانهيار!".

سأل يوساريان: "إذن؟ وماذا فى ذلك؟".

صاح الطبيب دانيكا: "ماذا فى ذلك؟ إن لم نفعل شيئاً حيال هذا سريعًا، فقد تستسلم ألمانيا، وفى ذلك الحين سوف يرسلون بنا جميعًا إلى المحيط الهادئ!".

حملق يوساريان فى الطبيب دانيكا فى فزع: "هل أنت مجنون؟ هل تعلم ما الذى تقوله؟".

قال الطبيب دانيكا ساخرًا: "نعم، من السهل عليك أن تضحك".

"من بحق السماء الذى يضحك؟".

"على الأقل أنت تتوافر لديك الفرصة. فأنت تشترك فى المعارك الحربية وقد تلقى حتفك. ولكن ماذا عَنّى؟ أنا لم يتبق لى أى أمل".

صاح فيه يوساريان وهو يمسك قميصه من الأمام: "لقد جننت! أتعلم شيئًا؟ الآن أغلق فمك وأنصت لى".

حرر الطبيب دانيكا نفسه من قبضة يوساريان: "كيف تجرؤ على التحدث إلى

بهذه الطريقة؟ أنا طبيب معتمد".

"إذن أبق فمك المعتمد مغلقًا واسمع ما قالوه لى فى المستشفى. قالوا إننى مجنون. هل علمت هذا؟".

"إذن؟".

"مجنون حقًا".

"إذن؟".

"أنا مجنون. معتوه. ألا تفهم؟ لقد أرسلوا شخصًا آخر إلى الوطن بدلاً منى على سبيل الخطأ. إن لديهم طبيبًا نفسيًا معتمدًا فى المستشفى فحصنى ورأى أننى مجنون. أنا حقًا مجنون".

"إذن؟".

كان يوساريان مذهولاً من عدم مقدرة الطبيب دانيكا على الفهم: "إذن؟ ألا تفهم ما الذى يعنيه هذا؟ يعنى أنه يمكنك الآن إعفائى من الخدمة وإرسالى للوطن. إنهم لن يقوموا بإرسال رجل مجنون ليلقى حتفه فى المهام الحربية،أليس كذلك؟".

"ومن سوى المجانين سوف يذهب؟".

٢٨

دوبس

ذهب ماكوات، وماكوات لم يكن مجنونًا. وهكذا فعل يوساريان، الذى لايزال يعرج، والذى بعدما خرج فى مهمتين أخريين وسمع شائعة تفيد باحتمال خروجه فى مهمة أخرى توجه بعزيمة قوية إلى خيمة دوبس فى وقت مبكر من فترة بعد ظهيرة دافئة من أحد الأيام ووضع إصبعًا على فمه وقال: "صه!!".

سأل كيد سامبسون وهو يقشر ثمرة يوسفى بأسنانه الأمامية أثناء تصفحه يتمعن الصفحات مطوية الزوايا لكتاب كوميدى: "لماذا تقول "صه!"؟ إنه حتى لا يقول شيئًا".

قال يوساريان لكيد سامبسون وهو يهز إبهامه فوق كتفه تجاه مدخل الخيمة: "ابتعد".

رفع كيد سامبسون حاجبيه الشقراوين فى فهم ونهض فى تعاون. قام بالصفير أربع مرات داخل شاربه الأصفر المتدلى واندفع للخارج صوب التلال بعدما استقل دراجته البخارية القديمة المنبعجة التى اشتراها مستعملة قبل أشهر، وقد انتظر يوساريان حتى ذوى صوت المحرك تمامًا. لم تبد الأمور فى داخل الخيمة طبيعية؛ فالمكان لم يكن مرتبًا. كان دوبس يراقبه فى فضول وهو يدخن سيجارًا سميكًا. والآن بعد أن كان يوساريان قد عقد العزم أن يكون شجاعًا أصبح خائفًا بشدة.

قال: "حسنًا. دعنا نقتل الكولونيل كاثكارت. دعنا نقم بهذا معًا".

وثب دوبس من فوق فراشه فى ذعر. زأر قائلاً: "صه! نقتل الكولونيل كاثكارت؟ ما الذى تتحدث عنه؟".

تحدث يوساريان بغضب: "تبًا لك، أخفض من صوتك. إن الجزيرة بالكامل سوف تسمعنا. ألايزال هذا المسدس بحوزتك؟".

صاح دوبس: "هل أنت مجنون أم ماذا؟ لماذا قد أرغب فى قتل الكولونيل كاثكارت؟".

حملق يوساريان فى دوبس فى عبوس وعدم تصديق: "لماذا؟ لماذا؟ إنها فكرتك، أليس كذلك؟ ألم تأت إلىّ فى المستشفى لتطلب منى القيام بذلك معك؟".

ابتسم دوبس ببطء، ثم قال وهو ينفخ دخان سيجاره فى نشوة: "كان ذلك حينما كان عدد المهام التى نفذتها ثمانى وخمسين مهمة فقط. لقد قمت بحزم حقائبى

الآن وأنتظر العودة للوطن؛ فقد أنهيت ستين مهمة بالفعل".

أجاب يوساريان: "ماذا إذن؟ إنه سوف يقوم برفع العدد ثانية".

"ربما لن يفعل ذلك فى هذه المرة".

"إنه يقوم برفعه دوماً. ماذا بك يا دوبس؟ اسأل هنجرى جو عن عدد المرات التى قام فيها بحزم حقائبه".

قال دوبس فى عناد: "لابد أن أنتظر وأرى ماذا سيحدث؛ فأنا سأكون مجنوناً إن ورطت نفسى بشىء مثل هذا الآن". نفض الرماد من سيجاره وقال: "لا، إن نصيحتى لك هى أن تنتهى من مهامك الستين مثلنا جميعاً وبعد ذلك تنتظر لترى ماذا سيحدث".

قاوم يوساريان رغبة جامحة بالبصق فى وجهه. قال بصوت متشائم: "أنا قد لا أعيش حتى المهمة الستين. إن هناك شائعة تفيد أنه تطوع بالوحدة لمهمة بولونيا ثانية".

قال دوبس فى اعتزاز: "إنها فقط شائعة. لا ينبغى لك تصديق كل شائعة تسمعها".

"هلاً توقفت عن إسدائى النصح؟!".

نصحه دوبس: "لماذا لا تتحدث مع أور. لقد سقط أور بطائرته فى الماء ثانية بالأسبوع الماضى فى المهمة الثانية تلك للأفنيون. ربما يكون ساخطاً بما فيه الكفاية ليقوم بقتله".

"إن أور لا يملك من العقل ما يجعله ساخطاً".

وقد سقط أور بالماء ثانية بطائرته حينما كان يوساريان بالمستشفى بعد أن كان قد هبط بها بسلاسة فوق موجات مارسيليا الزرقاء الزجاجية دون أن يصاب أحد من طاقمه المكون من ستة أفراد بخدش؛ فقد انفتحت حجيرات الهرب بالمقصورات الأمامية والخلفية بينما كان البحر لايزال يزبد باللون الأبيض والأخضر حول الطائرة، وقد زحف الرجال بأقصى سرعة ممكنة وهم يرتدون أطواق النجاة البرتقالية المترهلة والتى أبت أن تنتفخ وتدلت بشكل لين وعديم الفائدة حول رقابهم وخصورهم. وأطواق النجاة لم تنتفخ لأن مايلو كان قد قام بانتزاع أسطوانات ثانى أكسيد الكربون المزدوجة من حجرات الانتفاخ لاستخدامها فى إعداد صودا آيس كريم الأناناس والفراولة التى قدمها فى حجرة طعام الضباط واستبدل بها ملاحظات منسوخة تقول: "ما هو مفيد لشركات إم آند إم مفيد للبلاد"، وقد كان أور هو آخر من قفز من الطائرة.

قال الرقيب نايت وهو يضحك أثناء سرده وقائع الحادث ليوساريان: "كان لابد لك أن تراه! إنه أحد أطرف المواقف التى يمكن للمرء أن يشهدها. لقد كانت جميع

أطواق النجاة تالفة لأن مايلو سرق ثانى أكسيد الكربون لإعداد صودا الآيس كريم هذه التى تناولتموها أيها الأوغاد فى غرفة طعام الضباط، ولكن لم يكن ذلك سيئاً للغاية كما اتضح. فواحد منا فقط لم يكن باستطاعته السباحة وقد قمنا برفع هذا الفتى إلى داخل القارب بعد أن قام أور بتدليته فوق جسم الطائرة، بينما كنا لانزال نقف داخل الطائرة. إن هذا المعتوه لديه موهبة خاصة فى مثل هذه الأمور. بعد ذلك سقط القارب الآخر وسحبته الأمواج بعيدًا، لذا فقد جلسنا نحن الستة فى قارب واحد ومرافقنا وسيقاننا ملاصقة لبعضها البعض بشدة حتى إنه لم يكن باستطاعة أحدنا التحرك دون لكز الشخص الجالس إلى جواره ودفعه بالماء. وقد غرقت الطائرة بعد ثلاث ثوانٍ من مغادرتنا لها، وقد أصبحنا هناك وحدنا تمامًا، وبعد ذلك بدأنا ننزع أغطية أطواق النجاة لنرى ماذا بها ووجدنا هذه الرسائل من مايلو التى يقول لنا فيها إن ما هو مفيد له مفيد لنا جميعًا. هذا الوغد! يا إلهى، لقد قمنا جميعًا بسبه فيما عدا صديقك هذا أور والذى ظل يبتسم لأنه اعتقد أن ما هو مفيد لمايلو لابد أن يكون مفيدًا لنا جميعًا.

كان لابد لك أن تراه جالسًا هناك على طرف القارب مثل ربان سفينة أثناء مراقبتنا له والانتظار منه أن يملينا ما يتوجب علينا فعله. وقد ظل يضرب ساقيه بيديه كل بضع ثوانٍ وكأنه مصاب بالملاريا ويقول: "حسنًا، حسنًا"، ثم يضحك كشخص معتوه ويقول: "حسنًا، حسنًا"، ثانية، ثم يضحك كشخص معتوه مرة أخرى. لقد كان الأمر يشبه مراقبة شخص أبله. ومراقبته كانت هى الشىء الوحيد الذى أنقذنا من التحطم تمامًا أثناء الدقائق القليلة الأولى، أثناء غمر كل موجة لنا فوق القارب أو إطاحتها ببعضنا إلى داخل الماء ثانية؛ مما يجعلنا نضطر إلى صعود القارب ثانية قبل إتيان الموجة التالية وإحاطتها بنا مجددًا، وقد كان الفتى الذى لا يستطيع السباحة ممددًا فى منتصف القارب على الأرض، ولكن حتى هناك كان على وشك الغرق؛ حيث إن الماء داخل القارب كان عميقًا بما فيه الكفاية لدرجة تجعله لا يكف عن الارتطام بوجهه. يا إلهى!

بعد ذلك بدأ أور يفتح الحجيرات بالقارب، وهنا بدأت المتعة الحقيقية؛ ففى البداية عثر على صندوق من الشيكولاتة والتى قام بتوزيعها علينا، وبالتالى فقد جلسنا هناك نتناول الشيكولاتة المبللة المالحة فى أثناء استمرار الأمواج فى الإطاحة بنا داخل الماء. بعد ذلك وجد بعض الشاى. وبالطبع قم بإعداده لنا! أيمكنك أن تتخيله وهو يقدم لنا الشاى بينما نحن جلوس هناك ويغمر أجسامنا الماء؟ وقد ظللت أسقط من فوق القارب لأننى كنت أضحك كثيرًا. لقد كنا جميعًا نضحك. وقد كان هو جادًا للغاية فيما عدا تلك القهقهة الحمقاء الخاصه به وتلك الابتسامة المجنونة. ياله من أحمق! فكل ما كان يجده كان يستخدمه. لقد وجد

مادة منفردة لأسماك القرش والقى بها فى الماء، كما وجد صبغة وألقى بها فى الماء كذلك. والشىء التالى الذى وجده هو صنارة وطعم مجفف، واللذان جعلا وجهه يشرق وكأن زورقًا بخاريًا قد جاء لإنقاذنا قبل أن نموت فى البحر أو قبل أن يرسل الألمان قارباً من سبيزيا يأخذنا كأسرى حرب أو يطلق النار علينا من مدفع رشاش. وعلى الفور تقريبًا ألقى أور بالصنارة فى الماء وبدأ يصطاد فى سعادة مثل طائر القنبرة. سألته: "أيها الملازم، ما الذى تتوقع صيده؟". قال لى: "سمك القد". وكان يعنى هذا. ومن حسن الحظ أنه لم يصطد شيئاً؛ لأنه كان سيأكل سمك القد هذا حيًا، إن كان قد اصطاد منه، وكان سيجعلنا نأكله كذلك لأنه عثر على ذلك الكتاب الذى يقول إنه لا بأس بتناول سمك القد نيئًا.

والشىء التالى الذى وجده هو ذلك المجداف الأزرق الصغير الذى كان فى حجم الملعقة، وبالطبع بدأ يجدف به محاولاً تحريك وزننا البالغ تسعمائة رطل بهذه العصا الصغيرة. هل يمكنك تخيل هذا؟ بعد ذلك وجد بوصلة مغناطيسية صغيرة وخريطة واقية من الماء وقام بفرد الخريطة على ركبتيه ووضع البوصلة أعلاها، وتلك هى الطريقة التى أمضى بها الوقت المتبقى حتى جاء الزورق البخارى وانتشلنا من الماء بعد نحو ثلاثين دقيقة؛ فقد كان يجلس هناك بينما تتدلى الصنارة خلفه بالماء وترقد البوصلة والخريطة فوق ساقيه ويقوم هو بالتجديف بأقصى ما أوتى من قوة بذلك المجداف الأزرق الصغير وكأنه متجه إلى مايوركا. يا إلهى!".

كان الرقيب نايت يعلم كل شىء عن مايوركا، وكذلك أور؛ لأن يوساريان قد حدثهما كثيرًا عن تلك المدن التى تمثل ملجأ مثل أسبانيا وسويسرا والسويد حيث يمكن أن يتم اعتقال الطيارين الأمريكيين طوال فترة الحرب فى ظل شروط يسيرة دون مطالبتهم بشىء سوى الطيران هناك فقط. وكان يوساريان قد بدأ بالفعل فى التآمر للتوجه الطارئ إلى سويسرا فى كل مهمة يخرج فيها متوجهًا إلى أقصى شمال إيطاليا. وهو بدون شك يفضل السويد؛ حيث ارتفاع مستوى الذكاء، وحيث يمكنه السباحة مع فتيات جميلات ذات أصوات منخفضة ورزينة وإنجاب قبائل كاملة من الأبناء السعداء والذين ستساعد الدولة فى إنجابهم ونشرهم فى الحياة دون حمل أية وصمة عار، ولكن السويد كانت بعيدة المنال، فكانت بعيدة للغاية، وقد انتظر يوساريان قذيفة المدفعية التى ستضرب محركًا بطائرته فوق جبال الألب وتمنحه عذرًا للتوجه إلى سويسرا. ولم يكن ينوى حتى أن يخبر طياره بأنه يوجهه للذهاب إلى هناك، وكثيرًا ما فكر يوساريان فى التآمر مع طيار يعرفه ويثق به للادعاء بوجود عطل فى أحد المحركات والهبوط بشكل اضطرارى، ولكن الطيار الوحيد الذى كان يثق به هو ماكوات والذى كان سعيدًا حيث هو ولايزال يعشق التحليق بطائرته فوق خيمة يوساريان أو فوق السابحين بالشاطئ؛ بحيث تكوّن

مراوح طائرته أخاديد داكنة بالماء وتنثر الرذاذ فوقهم طوال ثوان بعد مرورها.

كان أمر دوبس وهنجرى جو مستبعدا تماما، وكذلك أور والذى كان يصلح صمام الموقد ثانية حينما دخل يوساريان وهو يعرج فى كآبة عائدا إلى الخيمة بعد أن خذله دوبس، وكان الموقد الذى يقوم أور بتصنيعه من طبلة معدنية مقلوبة يقف فى منتصف الأرضية الأسمنت الملساء التى قام بتأسيسها. كان يعمل بكد وهو جاثم على كلتا ركبتيه، وقد حاول يوساريان ألا يلقى له بالا وسار فى ضجر إلى سريره وجلس فى عبوس. كانت حبات العرق تجف فوق جبهته. لقد أصابه دوبس بالاكتئاب. وأصابه الطبيب دانيكا بالاكتئاب وكانت رؤية مشئومة للجحيم تصيبه بالاكتئاب حينما ينظر إلى أور. بدأ يرتعد بشدة وشعر بوخز فى أعصابه وشرع الوريد فى أحد معصميه فى النبض.

تفحص أور يوساريان من فوق كتفه بينما تقهقرت شفتاه الرطبتان حول صفين محدبين من الأسنان البارزة. قام بإخراج زجاجة من الشراب الدافئ من خزانته وأعطاها ليوساريان بعد أن نزع غطاءها. لم ينطق أى منهما بكلمة. ارتشف يوساريان الفقاعات من أعلى ثم أثنى رأسه للخلف. ظل أور يراقبه فى مكر وهو يبتسم فى هدوء. نظر يوساريان إلى أور بحذر. ضحك أور وقام بالصفير وعاد إلى عمله بعدما جثم على الأرض. ازداد توتر يوساريان.

توسل إليه فى صوت مهدد بينما تلتف كلتا يديه حول زجاجة الشراب: "لا تبدأ. لا تبدأ العمل بموقدك".

ضحك أور وقال: "أنا على وشك الانتهاء".

"هذا غير صحيح. أنت على وشك البدء".

"ها هو الصمام. أترى؟ إن كل شىء فى مكانه تقريبا".

"وأنت على وشك فك كل شىء ثانية. أنا أعلم ما الذى تفعله أيها الوغد. لقد رأيتك تفعل الشىء نفسه ثلاثمائة مرة".

ضحك أور فى سعادة وقال: "أريد التخلص من التسرب فى خط الغاز، وقد أوشكت على إصلاحه الآن".

اعترف يوساريان: "أنا لا أستطيع مشاهدتك. إن كنت تريد العمل بشىء أكبر، فلا بأس بهذا، ولكن هذا الصمام ملىء بالأجزاء متناهية الصغر، وأنا فقط لا أملك من الصبر الآن ما يجعلنى قادرا على رؤيتك تعمل بكد بأشياء صغيرة وغير مهمة".

"إن كونها صغيرة لا يعنى أنها غير مهمة".

"لا أهتم لذلك".

"مرة واحدة فقط؟".

"حينما لا أكون هنا. إنك معتوه سعيد ولا تعلم ما الذى يعنيه أن تشعر كما أشعر أنا. إن ثمة أمورًا تحدث لى أثناء انشغالك بتلك الأشياء الصغيرة التى لا أعرف اسمها حتى. لقد اكتشفت أننى لا أطيقك. لقد بدأت أكرهك وأفكر جديًا فى كسر هذه الزجاجة فوق رأسك أو طعنك فى رقبتك بسكين الصيد الموجودة هناك تلك. هل تفهم؟".

أومأ أور بذكاء وقال: "أنا لن أفك الصمام الآن" ثم بدأ فى فكه وهو يعمل ببطء ودون كلل وبدقة بالغة وهو يثنى رأسه الخرقاء البشعة على مقربة كبيرة من الأرض ويلتقط باجتهاد الأجزاء الصغيرة بأصابعه بتركيز غير متناهٍ حتى أنه بدا وكأنه يفعل هذا دون أن يفكر فيما يفعله تمامًا.

لعنه يوساريان فى قرارة نفسه وعقد العزم على تجاهله. صاح بعد لحظة رغمًا عنه: "ما سبب استعجالك للانتهاء من الموقد بأى حال من الأحوال؟ إن الطقس لا يزال حارًا بالخارج؛ ونحن على الأرجح سنذهب للسباحة فيما بعد. ما سبب قلقك بشأن البرد؟".

قال أور بشكل فلسفى: "لقد أصبحت الأيام أقصر. وأنا أريد الانتهاء من كل ذلك من أجلك فى الوقت المتبقى لى. سيصبح لديك أفضل موقد فى السرية حينما أنتهى. وهو سيظل مشتعلاً طوال الليل بمساعدة مقبس التحكم الخاص بتغذية الوقود الذى أصلحه، وتلك الصفائح الحديدية سوف تجعل الحرارة تشع فى كل أرجاء الخيمة. وإن تركت خوذة ممتلئة بالماء فوق هذا الشىء عند ذهابك للنوم، سوف يصبح لديك ماء دافئ للاغتسال به حينما تستيقظ. ألن يكون ذلك لطيفًا؟ وإن أردت طهو البيض أو الحساء كل ما سينبغى عليك فعله هو وضع القدر هناك وإشعال النار".

سأله يوساريان: "ماذا تقصد بأنه سيصبح لى أنا؟ وأين عساك ستكون؟".

ارتجف جذع أور الصغير فجأة بفعل دفقة من الإثارة. قال بينما تغادر أسنانه البارزة فجأة ضحكة مجلجلة تشبه انفجارًا عاطفيًا: "لا أعلم". كان لا يزال يضحك حينما واصل حديثه وكان اللعاب يعوق خروج صوته بشكل سليم. "فإن استمروا فى إسقاط طائرتى بهذه الطريقة، فأنا لا أعلم أين عساى سأكون".

تأثر يوساريان: "لماذا لا تحاول التوقف عن الطيران يا أور؟ إن لديك عذرًا".

"أنا لم أنته سوى من ثمانى عشرة مهمة فقط".

"ولكنهم ظلوا يسقطون طائرتك فى كل واحدة تقريبًا، فأنت إما تحط بطائرتك على الماء أو ترتطم بالأرض فى كل مرة تحلق فيها".

"أنا لا أكره الخروج فى المهام. أعتقد أنها مسلية. لابد أن تجرب الطيران معى حينما لا تكون مدفعيًا قائداً . فقط من أجل الضحك ها ها ها". حدق أور إلى

يوساريان من خلال زوايا عينيه بسعادة غامرة.

تجنب يوساريان تحديقه: "إنهم سيجعلوننى مدفعياً قائداً مجدداً".

"حينما لا تكون مدفعياً قائداً. أتعرف ماذا عليك فعله حقاً؟ عليك الذهاب مباشرة إلى بيلشارد ورين وتطلب منهما الطيران معى".

"كى أسقط معك فى كل مرة تحلق فيها؟ ما الممتع فى هذا؟".

قال أور فى إصرار: "هذا تمامًا هو السبب الذى ينبغى من أجله القيام بذلك. أعتقد أننى أفضل طيار هنا فيما يتعلق بالحط فوق الماء أو الارتطام بالأرض. سوف يكون ذلك تدريبًا جيدًا لك".

"تدريب من أجل ماذا؟".

"تدريب جيد فى حالة إذا ما اضطررت أن تحط فوق الماء أو ترتطم بالأرض. ها ها ها".

سأله يوساريان: "هل لديك زجاجة شراب أخرى من أجلى؟".

"هل تريد كسرها فوق رأسى؟".

فى هذه المرة ضحك يوساريان: "مثل تلك الفتاة فى هذه الشقة فى روما؟".

ضحك أور بشدة بينما تنتفخ وجنتاه المحتويتان على التفاح البرى فى سعادة. قال له قاصدًا غيظه: "هل تريد أن تعرف حقًا لماذا كانت تضربنى على رأسى بحذائها؟".

غاظه يوساريان بدوره: "أعرف السبب. لقد أخبرتنى فتاة ناتلى".

ابتسم أور مثل تمثال لشخص بشع الوجه: "لا، إنها لم تفعل".

شعر يوساريان بالأسف من أجل أور. كان أور ضئيل الحجم للغاية وقبيحًا. من سوف يحميه إن عاش؟ من سيحمى قزمًا طيب القلب ساذجًا مثل أور أثناء الشجارات والمؤامرات ومن الرياضيين المحترفين مثل أبلباى - والذى يوجد لديه ذباب بعينيه - والذين سوف يقومون بدهسه باعتزاز وثقة بالنفس فى كل فرصة تتاح لهم؟ كان يوساريان كثيرًا ما يقلق على أور. من سوف يحميه من الحقد والخداع، من أناس ذوى طموح وكبرياء، من الإهانات الفاسدة المتمخضة عن الرغبة فى التربح، من الجزار الودود بالجيرة والذى يبيع اللحم السيئ؟ لقد كان أور شخصًا سعيدًا بسيطًا ذا شعر كثيف متعدد الألوان والمقسوم من المنتصف. إنه سوف يضحى لعبة بين أيديهم؛ فهم سوف يأخذون ماله ويغتصبون زوجته ويقسون على أطفاله. شعر يوساريان بدفقة من العاطفة تتخلله.

كان أور قزمًا لطيفًا عجيبًا غريب الأطوار ذا عقل قذر وآلاف المهارات القيمة والتى ستضعه ضمن فئة منخفضى الدخل طوال حياته؛ فهو يستطيع ربط لوحين من الخشب معًا دون أن ينشق الخشب أو تنثنى المسامير. يمكنه حفر أخاديد. وقد

حفر الكثير منها داخل الخيمة أثناء غياب يوساريان بالمستشفى. كما نحت قناة رائعة فى الأسمنت كى يسير بها خط الغاز إلى الموقد من الصهريج الذى بناه بالخارج على الرصيف المرتفع، وقد بنى مساند للمدفأة من أجزاء القنابل وملأها بألواح فضية سميكة، وصنع إطارًا من الخشب المبقع حول صور الفتيات التى قطعها من مجلات الصور الفوتوغرافية المبرزة لمفاتن المرأة وعلقها على رف المستوقد. ويستطيع أور فتح عبوة من الطلاء. كما يستطيع خلط الطلاء وترقيق الطلاء وإزالة الطلاء. يستطيع تقطيع الخشب وقياس الأشياء بمسطرة. كان يعلم كيف يضرم نارًا، وكان باستطاعته حفر أخاديد، وكان يتمتع بموهبة خاصة فى جلب الماء لكليهما فى عبوات أو حافظات من الصهاريج بالقرب من قاعة الطعام. يمكنه شغل نفسه بأشياء غير مهمة لساعات دون أن يكل أو يمل، دون أن يكترث للإجهاد وكأنه جذع شجرة، ودون أن يتحدث كثيرًا. كان يمتلك معرفة خارقة بالحياة البرية ولا يخشى الكلاب أو القطط أوالخنافس أو العثة، أو أطعمة مثل سمك القد الصغير أو أمعاء الحيوانات.

تنهد يوساريان فى حزن وبدأ يطيل التفكير فى الشائعة التى تفيد بوجود مهمة لبولونيا. كان الصمام الذى يفكه أور فى حجم الإبهام تقريبًا ويحتوى على سبعة وثلاثين جزءًا منفصلاً، وباستثناء الغلاف الخارجى كان العديد منها متناهى الصغر لدرجة أن أور كان يضطر لإمساكها بحرص بين أظافر أصابعه ويضعها على الأرض فى صفوف منظمة ومفهرسة، وكان لا يتوقف عن عمله الرتيب المنهاجى إلا لينظر شزرًا ليوساريان بطريقة مزعجة جنونية. وقد حاول يوساريان ألا يراقبه. خاصة بعدما قام بعدّ الأجزاء وظن أنه سيجن جنونه. أشاح بوجهه وأغلق عينيه ولكن ذلك كان أسوأ؛ حيث إنه الآن أصبح لديه فقط الأصوت، أصوات الطقطقة الضعيفة والمثيرة للجنون والمستمرة والبعيدة وحفيف اليدين والأجزاء الخفيفة. كان أور يتنفس بشكل إيقاعى محدثًا ضوضاء مزعجة وشبيهة بالشخير. أطبق يوساريان أصابعه ونظر لسكين الصيد ذى المقبض الطويل المعلق فى قراب فوق فراش الرجل الميت بالخيمة، وبمجرد أن راودته فكرة طعن أور انحسر شعوره بالتوتر. كانت فكرة قتل أور سخيفة للغاية حتى إنه بدأ فى التفكير بها وهو يشعر ببهجة غريبة. فتش مؤخرة عنق أور بحثًا عن مكان النخاع المستطيل. إن غرس عصا صغيرة هناك من شأنه أن يقتله ويحل العديد من المشكلات الخطيرة والمؤلمة لكل منهما.

سأل أور فى هذه اللحظة وكأنه استشعر ما يفكر به يوساريان بغريزته: "هل تؤلم؟".

رمقه يوساريان عن كثب "ما هو الذى يؤلم؟".

قال أور وهو يضحك ضحكة غامضة وغريبة: "ساقك. إنك لا تزال تعرج بعض الشيء".

قال يوساريان وهو يتنفس الصعداء: "لقد أصبحت عادة فقط على ما أعتقد. وأعتقد أننى سأتخلص منها عما قريب".

تدحرج أور على الأرض ونهض على ركبة واحدة ليواجه يوساريان. قال مبتسمًا وقد بدا أنه يبذل جهدًا للتذكر: "هل تذكر هذه الفتاة التى كانت تضربنى على رأسى ذلك اليوم فى روما؟". ضحك عند تعبير يوساريان غير المقصود عن الشعور بالانزعاج. "سوف أعقد معك اتفاقًا بشأن هذه الفتاة. سوف أخبرك لماذا كانت تلك الفتاة تضربنى على رأسى بحذائها فى هذا اليوم إن أجبت عن سؤال واحد".

"ما هو السؤال؟".

"هل سبق لك إقامة علاقة مع فتاة ناتلى؟".

ضحك يوساريان فى دهشة. "أنا؟ لا. الآن أخبرنى لماذا ضربتك هذه الفتاة بحذائها".

قال له أور بسعادة وانتصار: "لم يكن هذا هو السؤال. كان ذلك مجرد حوار. إنها تتصرف وكأنك أقمت علاقة معها".

"حسنًا، أنا لم أقم معها علاقة. كيف تتصرف؟".

"إنها تتصرف كما لو أنها لا تحبك".

"إنها لا تحب أحدًا".

قال أور مذكرًا إياه: "إنها تحب النقيب بلاك".

"ذلك لأنه يسىء معاملتها. يمكن لأى أحد الحصول على أى فتاة بهذه الطريقة".

"إنها ترتدى سوارًا على ساقها يحمل اسمه".

"إنه يجعلها ترتديه لإثارة حنق ناتلى".

"إنها حتى تعطيه بعضًا من المال الذى تأخذه من ناتلى".

"اسمع، ماذا تريد منى؟".

"هل سبق لك إقامة علاقة مع فتاتى؟".

"فتاتك؟ من هى فتاتك؟".

"تلك التى ضربتنى بحذائها فوق رأسى".

اعترف يوساريان: "كنت أمضى معها بعض الوقت أحيانًا. منذ متى هى فتاتك؟ إلام ترمى؟".

"إنها لا تحبك أيضًا".

"ولماذا قد أهتم إن كانت تحبنى أم لا؟ إنها تحبنى بقدر ما تحبك".

"هل سبق لها أن ضربتك بحذائها فوق رأسك؟".

"أور، أنا متعب. لماذا لا تدعنى وشأنى؟".

"ها ها ها. ماذا عن تلك الدوقة النحيلة فى روما وزوجة ابنها النحيلة؟". واصل أور حديثه فى إصرار بحماسة متزايدة: "هل سبق لك إقامة علاقة معهما؟".

تنهد يوساريان بصدق بعدما جعله السؤال يتخيل ملمس جسديهما فى يده: "كم كنت أتمنى هذا".

قال أور: "إنهما لا يحبانك أيضًا. إنهما يحبان آرفى، كما يحبان ناتلى ولكنهما لا يحبانك. فعلى ما يبدو أن النساء لا يحببنك. أعتقد أنهن يعتقدن أنك ذو تأثير سيئ".

أجاب يوساريان: "إن النساء كائنات مجنونة"، ثم انتظر فى تجهم ما كان يعلم أنه آت.

سأل أور وهو يتظاهر بالفضول: "ماذا عن فتاتك الأخرى؟ البدينة؟ الصلعاء؟ أنت تعرفها، تلك الفتاة البدينة الصلعاء فى صقلية، ذات العمامة؟ هل هى مجنونة أيضًا؟".

"هل تكرهنى هى أيضًا؟".

"كيف يمكنك فعل هذا بفتاة لا شعر لها؟".

"وكيف كان لى أن أعرف أن لا شعر لها؟".

قال أور فى فخر: "أنا كنت أعلم، كنت أعلم ذلك طوال الوقت".

سأل يوساريان فى دهشة: "كنت تعلم أنها صلعاء؟".

قال أور بعدما تورد وجهه سعادة لأنه نجح لتوه فى خداع يوساريان مجددًا: "لا، كنت أعلم أن هذا الصمام لن يعمل إن تركت أحد أجزائه بالخارج ولم أقم بتركيبه. هلاّ ناولتنى من فضلك حشية التركيب الموجودة هناك؟ إنها توجد إلى جوار قدمك مباشرة".

"لا يوجد شىء".

قال أور: "هنا" ثم أمسك بشىء غير مرئى بأظافره ورفعه أمام يوساريان ليراه: "الآن علىّ إعادة الكرة ثانية".

"سوف أقتلك إن فعلت هذا. سوف أقتلك على الفور".

سأل أور فجأة ونظر مباشرة إلى وجه يوساريان للمرة الأولى: "لماذا لا تطير معى. ذلك هو السؤال الذى أريد منك الإجابة عنه. لماذا لا تطير معى قط؟".

أشاح يوساريان بوجهه فى خزى وخجل: "لقد أخبرتك بالسبب.. إنهم يجعلوننى المدفعى القائد معظم الوقت".

قال أور وهو يهز رأسه: "ليس هذا هو السبب. لقد ذهبت إلى بيلشارد ورين بعد

المهمة الأولى للأفنيون وأخبرتهما بأنك لا تود الطيران معى على الإطلاق. هذا هو السبب، أليس كذلك؟".

شعر يوساريان بارتفاع فى درجة حرارة جلده وكذب قائلاً: "لا، لم أفعل".

أصر أور: "بلى فعلت. لقد طلبت منهما عدم وضعك فى الطائرة التى أقودها أنا أو دوبس أو هولب لأنك لا تثق بنا على قمرة القيادة. وقد قال بيلشارد ورين إنهما لا يستطيعان أن يجعلا منك حالة استثنائية لأن ذلك لن يكون عادلاً للرجال الذين يطيرون معنا".

قال يوساريان: "إذن؟ لم يحدث ذلك فارقًا فى هذه الحالة، أليس كذلك؟".

"ولكنهما لم يجعلاك تطير معى قط". كان أور الذى يعمل على ركبتيه ثانية يخاطب يوساريان دون مرارة أو توبيخ وإنما بتواضع يتخلله شعور بالألم والذى كان من الصعب تحمله على بالرغم من أنه كان لا يزال يبتسم كما لو أن الموقف كان كوميديا. "يجب عليك حقًا الطيران معى. أنا طيار بارع حقًا، وأنا سوف أعتنى بك. ربما تكون حقيقة أننى أسقط كثيرًا بطائرتى، ولكن هذا ليس خطئى، علاوة على أنه لم يسبق لأحد أن أصيب فى طائرتى. نعم يا سيدى - إن كنت تملك أية فطنة أتعلم ما يتوجب عليك فعله؟ يتوجب عليك التوجه مباشرة إلى بيلشارد ورين وإخبارهما بأنك تود أن تنفذ مهامك وأنت محلق معى".

اتكأ يوساريان للأمام ونظر عن كثب لقناع المشاعر المتضاربة الغامض الذى يضعه أور "هل تحاول إخبارى بشىء ما؟".

أجابه أور: "ها ها ها ها. أحاول أن أخبرك لماذا كانت تلك الفتاة الضخمة التى كانت تمسك بالحذاء تضربنى على رأسى فى هذا اليوم، ولكنك فقط لا تسمح لى بذلك".

"أخبرنى".

"هل ستطير معى؟".

ضحك يوساريان وهزّ رأسه وقال: "إنك ستسقط داخل الماء مجددًا!".

وقد سقط أور بالماء مجددًا عند تحليقه فى مهمة بولونيا التى كانوا يتحدثون عنها، وقام بالهبوط بطائرته ذات المحرك الواحد بارتجاج مفاجئ فوق الأمواج المتلاطمة التى تزأر أسفل السحب الرعدية السوداء المتحركة بأعلى. وقد تأخر فى الخروج من الطائرة وانتهى به الحال وحيدًا فى قارب والذى بدأ يجنح بعيدًا عن الرجال الموجودين فى القارب الآخر وأصبح غير مرئى تمامًا بحلول الوقت الذى وصل فيه زورق الإنقاذ يشق طريقه عبر الرياح والمطر لينتشلهم من الماء، وكان الظلام قد حل بالفعل فى وقت عودتهم للسرية. ولم يكن هناك أى أثر لأور.

قال كيد سامبسون مطمئنًا إياه وهو لايزال مدثرًا بملاءة ثقيلة ومعطف مطر

واللذين ألبسه إياهما منقذوه بالزورق: "لا تقلق لقد تم انتشاله على الأرجح بالفعل إن لم يغرق بالعاصفة. إنها لم تستمر طويلاً. أنا واثق من أنه سيظهر فى أية لحظة".

عاد يوساريان لخيمته لينتظر عودة أور فى أية لحظة وقام بإضرام نار لتدفئة المكان له. كان الموقد يعمل بشكل رائع وكان ذا لهب قوى يمكن رفعه أو خفضه عن طريق إدارة السدادة التى أصلحها أور أخيرًا. كان هناك مطر خفيف يضرب برقة على سطح الخيمة والأشجار والأرض. قام يوساريان بطهى عبوة من الحساء الساخن ليتناوله أور حينما يعود، وقام بالتهامه كله وحده بمرور الوقت. قام بسلق بعض البيض من أجل أور وتناوله أيضًا. بعد ذلك تناول علبة كاملة من الجبن الشيدر.

وفى كل مرة كان يشعر بالقلق كان يرغم نفسه على تذكر كيف أن أور كان بإمكانه القيام بكل شىء، وانفجر فى ضحك هادئ حينما تخيل أور داخل الطوق كما وصفه الرقيب نايت، منحنيًا للأمام وهو يبتسم ويبدو مشغولاً للغاية فوق الخريطة والبوصلة اللذين يرقدان فوق ساقيه، بينما يحشر قطعة شيكولاتة مبللة تلو الأخرى داخل فمه المبتسم الضاحك ويجدف بكد خلال البرق والرعد والمطر بمجداف لعبة أزرق براق عديم الفائدة فى حين تتدلى الصنارة المعلق بها الطعم المجفف خلفه بالماء. لم يكن يوساريان يتشكك على الإطلاق فى مقدرة أور على البقاء على قيد الحياة؛ فإن كان يمكن صيد أسماك بتلك الصنارة السخيفة، إذن فأور سوف يصيدها، وإن كان يسعى وراء صيد سمكة القد، إذن فسوف يصطاد سمكة قد، حتى لو لم يسبق لأحد أن اصطاد سمكة قد فى هذه المياه من قبل. طهى يوساريان عبوة حساء أخرى وتناولها كذلك وهى لا تزال ساخنة. وفى كل مرة كان يسمع فيها صوت انغلاق باب سيارة كان يبتسم فى أمل ويستدير ناحية المدخل وهو ينصت لوقع الأقدام. كان يعلم أنه فى أية لحظة سيدخل أور الخيمة بعينيه الواسعتين المتلألئتين والمتشربتين بالمطر ووجنتيه وأسنانه البارزة وهو يبدو مضحكًا مثل بائع محار من نيو إنجلاند يرتدى قبعة أمطار صفراء من الشمع ومعطفًا واقياً من المطر كبيرًا للغاية، ويمسك فى فخر سمكة قدّ ضخمة قام بصيدها ليبهج بها يوساريان، لكن هذا لم يحدث.

٢٩
بيكام

لم ترد كلمة عن أور باليوم التالى، وقام الرقيب ويتكومب بسرعة جديرة بالثناء بكتابة ملحوظة فى مذكرته لتذكره بإرسال خطاب موحد الصيغة ممهور بتوقيع الكولونيل كاثكارت لأقرباء أور بعد انقضاء تسعة أيام أخرى. من ناحية أخرى كانت هناك تعليمات جديدة. من مقر الرئاسة الخاصة بالجنرال بيكام، شق يوساريان طريقه بين حشد الضباط والمجندين المرتدين للسراويل التحتية والسراويل الرياضية القصيرة والذين كانوا ملتفين فى ارتباك يشوبه النكد حول بلاغ معلق خارج غرفة التعليمات مباشرة.

سأل هنجرى جو المقدم وايت هلفوت فى صخب: "ما وجه الاختلاف فى هذا الأحد، أريد أن أعلم؟ لماذا يعلنون أنه لن يكون هناك عرض عسكرى فى هذا الأحد بينما لا يوجد عرض عسكرى كل أحد؟".

نجح يوساريان فى الوصول إلى النشرة وتأوه متألمًا حينما قرأ الإعلان الموجز المعلق هناك.

نظرًا لظروف خارجة عن سيطرتى، لن يكون هناك
عرض عسكرى كبير فى ظهيرة هذا الأحد
الكولونيل شسكوبف

كان دوبس محقًا. إنهم بالفعل سيرسلون الجميع عبر البحار، حتى الملازم شسكوبف والذى قاوم هذا القرار بكل ما أوتى من قوة وحكمة وحضر لإثبات وجوده استعدادًا لتسلم الخدمة فى مكتب الجنرال بيكام وهو يشعر بتعاسة عارمة.

وقد رحب الجنرال بيكام بالكولونيل شسكوبف بسعادة بالغة وقال إنه سعيد لانضمامه له. فوجود كولونيل إضافى فى فريق عمله يعنى أنه يستطيع الآن المطالبة برائدين إضافيين، وأربعة نقباء إضافيين، وستة عشر ملازمًا إضافيًا، وعدد لا يعد ولا يحصى من المجندين والطابعين على الآلة الكاتبة والمكاتب وخزانات الملفات، والسيارات، وغيرها من المعدات والمؤن الأساسية التى ستعزز قوته خلال الحرب التى أعلنها على الجنرال دريدل، وهو الآن لديه اثنان من الكولونيلات المتمتعين

بكامل مزايا هذه الرتبة؛ والجنرال دريدل لديه فقط خمسة، وأربعة منهم كانوا قادة حربيين؛ فدون استخدام الخديعة تقريبًا على الإطلاق، قام الجنرال بيكام بتنفيذ مناورة سوف تضاعف قوته فى النهاية. لقد كان الجنرال دريدل يثمل كثيرًا. لقد بدا المستقبل مزدهرًا، وتأمل الجنرال بيكام كولونيله الجديد النابغ بابتسامة مشرقة.

كان الجنرال بى بى بيكام ـ كما كان يلاحظ دومًا حينما يكون على وشك انتقاد عمل زميل ما على الملأ ـ واقعيًا. كان رجلاً وسيمًا ذا بشرة وردية فى الثالثة والخمسين من عمره. كان شخصًا هادئًا على الدوام، وحُلله العسكرية تصنع بناء على الطلب. كان لديه شعر رمادى فضى وعينان مصابتان بقصر نظر خفيف وشفتان رفيعتان متدليتان. كان رجلاً حاد الملاحظة لبقًا محنكًا والذى يمكنه استشعار نقاط ضعف الجميع فيما عدا نقاط ضعفه هو، كما كان يعتقد أن الجميع سخفاء فيما عداه. وقد كان الجنرال بيكام شديد الحساسية فى مسائل صغيرة مثل الذوق والأسلوب؛ فكان دومًا يبالغ فى تقدير الأمور والتعبير عنها؛ فالأمور الوشيكة لا تكون "آتية" قط وإنما "مواتية". ولم يكن صحيحًا أنه كتب "مقالات" للثناء على نفسه والمطالبة بتعزيز سلطته لتشمل كل العمليات القتالية، بل إنه كتب "مذكرات"، وقد كان النثر المكتوب فى مذكرات الضباط الآخرين "طنانًا" أو "متكلفًا" أو "غامضًا". وقد كانت أخطاء الآخرين باعثة على الأسى دومًا. وكانت اللوائح التى يسنها "صارمة"، وبياناته لا يتم الحصول عليها من مصدر موثوق ولكن كانت دومًا يتم الحصول عليها دون إشارة للمصدر. كان الجنرال بيكام يشعر بأنه مقيد دومًا؛ فكانت الأمور تفرض عليه فى الغالب وعادة ما يقوم بالأشياء فى نفور كبير ، كان يؤمن بأن كلاً من الأبيض أو الأسود لم يكونا لونين، ولم يستخدم قط كلمة "لفظى" حينما يعنى كلمة "شفهى". وهو كان بإمكانه الاستشهاد بسلاسة بأقوال أفلاطون ونيتشه ومونتين وثيودور روزفيلت وماركيز دى ساد وورين جى. هاردينج. وكان جمهور رائع مثل الكولونيل شسكوبف يشكل فائدة للجنرال بيكام؛ فكان بمثابة فرصة سانحة للكشف عن معرفته الواسعة وكنوزه من التوريات والملاحظات البارعة والافتراءات والعظات الدينية والنوادر والمقولات والحكم المعبرة والأقوال المأثورة والأقوال البارعة وغيرها من الأقوال اللاذعة. وقد كان يبتسم أثناء قيامه بتعريف الكولونيل شسكوبف على الأجواء الجديدة المحيطة به.

لاحظ بحس فكاهى وهو يراقب تأثير كلماته: "إن عيبى الوحيد هو أننى خالٍ من العيوب".

لم يضحك الكولونيل شسكوبف؛ مما أصاب الجنرال بيكام بالذهول؛ فقد ضرب

شك ثقيل الوطأة حماسته؛ فقد بدأ بإحدى أقوى مفارقاته وأصيب بالذعر حينما لم يعل هذا الوجه أى بصيص من المعرفة، والذى بدأ يذكره فجأة ـ من حيث اللون والقوام ـ بممحاة صابون غير مستخدمة. فكر الجنرال بيكام بينه وبين نفسه أنه ربما كان الكولونيل شسكوبف متعبًا؛ فهو قد قطع مسافة طويلة وكل شىء كان غير مألوف بالنسبة له. كان الجنرال بيكام يتعامل مع جميع المستخدمين تحت إمرته ـ سواء كانوا مجندين أو ضباطًا ـ بنفس روح التسامح والتساهل؛ فكان كثيرًا ما يقول إنه لو تقابل معه الناس الذين يعملون لديه فى منتصف المسافة فإنه يقابلهم فيما يتعدى منتصف المسافة، وهو الأمر الذى ينتج عنه ـ كما كان يضيف دوما بابتسامة ماكرة ـ عدم تلاقٍ بين العقول بالمرة. كان الجنرال بيكام يعتقد أنه شخص محب للجمال وذكى، وحينما كان الناس يختلفون معه فى الرأى كان يطالبهم بأن يكونوا "موضوعيين".

وقد كان بالفعل شخصًا موضوعيًا هذا الذى حدق إلى الكولونيل شسكوبف فى تشجيع واستكمل درسه التلقينى فى تسامح ورحابة صدر. "لقد أتيت فى الوقت المناسب يا شسكوبف. لقد أخفقنا فى الهجوم فى ذلك الصيف بفضل القيادة غير الكفء لقواتنا، وأنا بحاجة ماسة لضابط كفء ذى خبرة وصرامة مثلك للمساعدة فى إنتاج المذكرات التى نعتمد عليها بدرجة كبيرة لنجعل الناس يعرفون إلى أى مدى نحن بارعون ويعرفون قدر العمل الذى نبذله. أتمنى أن تكون كاتبًا غزير الإنتاج".

قال الكولونيل شسكوبف بكآبة: "أنا لا أفقه شيئاً عن الكتابة".

قال الجنرال بيكام وهو يلوح بيده: "حسنًا، لا تدع هذا يزعجك. فقط أعط العمل الذى أعهد به إليك إلى شخص آخر. إننا نطلق على ذلك اسم تفويض المسئولية؛ ففى مكان ما بالقرب من المستوى الأدنى لهذه المنظمة المنسقة التى أديرها يوجد أشخاص ينجزون العمل حينما يصل إليهم، وبالتالى يسير كل شىء بسلاسة دون الكثير من التدخل من جانبى. وأعتقد أن ذلك يرجع لأننى مدير تنفيذى جيد. فلا شىء نفعله فى هذا القسم الضخم الخاص بنا يعد على درجة كبيرة من الأهمية، كما أنه لا يوجد شىء مطلوب تنفيذه على وجه السرعة. وعلى الجانب الآخر، فمن المهم أن نجعل الناس يعتقدون أننا نتقن عملنا. دعنى أعرف إن وجدت نفسك غير مزود بالعدد الضرورى من المساعدين. لقد طلبت بالفعل رائدين وأربعة نقباء وستة عشر ملازمًا لمساعدتك. وحتى إن كان العمل الذى نقوم به لا يعد مهمًا بالمرة، إلا أنه من المهم أن نتقن القيام به. ألا تتفق معى؟".

انفجر الكولونيل شسكوبف فجأة: "ماذا عن الاستعراضات العسكرية؟".

سأل الجنرال بيكام وهو يشعر بأن كياسته ليست مجدية: "أية استعراضات

عسكرية؟".

سأل الكولونيل شسكوبف بوقاحة: "ألن أقوم بتنظيم الاستعراضات العسكرية فى فترة بعد الظهيرة من كل أحد؟".

"لا، بالطبع لا. ما الذى أوحى إليك بهذه الفكرة؟".

"ولكنهم قالوا إننى أستطيع ذلك".

"من قال إنك تستطيع ذلك؟".

"الضباط الذين أرسلونى عبر البحار. أخبرونى بأنه يمكننى أن أجعل الرجال يسيرون فى استعراضات عسكرية كما أشاء".

"لقد خدعوك".

"ذلك لم يكن عادلاً يا سيدى".

"أنا آسف يا شسكوبف. سوف أبذل كل ما فى وسعى كى تكون سعيدًا هنا، ولكن لا مجال لإقامة استعراضات عسكرية هنا. فليس لدينا ما يكفى من الرجال فى منظمتنا لتشكيل عرض عسكرى، وسوف تثور الوحدات القتالية إن حاولنا إرغامها على السير فى عروض عسكرية. أخشى أنك ستضطر إلى الانتظار قليلاً حتى نفرض سيطرتنا. بعد ذلك يمكنك أن تفعل ما تشاء مع الرجال".

سأل الكولونيل شسكوبف فى شك ساخط: "ماذا عن زوجتى؟ فى إمكانى أن أرسل لجلبها، أليس كذلك؟".

"زوجتك؟ لماذا قد ترغب فى القيام بشىء كهذا؟".

"إن الزوج وزوجته لابد لهما من البقاء معًا".

"هذا أمر مستحيل كذلك".

"ولكنهم أخبرونى بأنه بإمكانى الإرسال لجلبها!".

"لقد خدعوك ثانية".

اعترض الكولونيل شسكوبف بينما امتلأت عيناه بالدموع سخطًا: "إنهم لا يملكون الحق فى خداعى!".

قال الجنرال بيكام بقسوة باردة محسوبة قاصدًا اختبار مدى جلد كولونيله الجديد تحت الضغط: "بالطبع يمتلكون الحق. لا تكن مغفلاً يا شسكوبف. إن الناس يمتلكون الحق فى القيام بأى شىء لا يحرمه القانون، وليس هناك قانون يمنع خداعك. الآن، لا تهدر وقتى بمثل هذه التفاهات العاطفية مجددًا. هل تفهم ذلك؟".

تمتم الكولونيل شسكوبف: "نعم يا سيدى".

التوى وجه الكولونيل شسكوبف بطريقة مثيرة للشفقة، وشكر الجنرال بيكام الله لأنه أرسل له تابعًا ضعيف الشخصية؛ فهو لم يكن يود قط تابعًا جريئًا، وبعد

فوزه لان الجنرال بيكام بعض الشىء، فهو لم يكن يستمتع بإذلال رجاله. "إن كانت زوجتك عضوًا فى الفرقة النسائية بالجيش الأمريكى يمكننى نقلها إلى هنا، ولكن ذلك هو كل ما أستطيع فعله".

قال الكولونيل شسكوبف فى أمل: "إن لديها صديقة عضوة بالفرقة النسائية بالجيش الأمريكى".

"أخشى أن ذلك لن يكون كافيًا. اطلب من السيدة شسكوبف الانضمام للفرقة النسائية من الجيش الأمريكى وأنا سوف آتى بها إلى هنا. ولكن فى الوقت ذاته يا عزيزى الكولونيل دعنا نعاود الحديث عن حربنا الصغيرة. ها هو باختصار الموقف العسكرى الذى يجابهنا". نهض الجنرال بيكام وتحرك ناحية حامل الخرائط الملونة الضخمة الدوار.

شحب وجه الكولونيل شسكوبف وقال فى ذعر بغير تفكير: "إننا لن نقاتل، أليس كذلك؟".

أكد له الجنرال بيكام فى تسامح بضحكة أنيسة: "بالطبع لا. من فضلك ثق فى قليلاً، هلاّ فعلت من فضلك؟ وهذا هو السبب فى أننا لا نزال هنا فى روما. وبالتأكيد كنت أود لو كنت فى فلورانس أيضًا؛ حيث يمكننى الاتصال عن كثب بالجندى من الدرجة الأولى الأسبق ونترجرين. ولكن فلورانس قريبة من القتال الفعلى بدرجة لا تناسبنى". رفع الجنرال بيكام مؤشرًا خشبيًا ووضع الطرف المطاطى فى بهجة على إيطاليا ممررًا إياه من الساحل إلى الساحل. "تلك يا شسكوبف هى أراض ألمانية. إنهم كامنون بتلك الجبال بالخط القوطى ولن يتزحزحوا حتى وقت متأخر من الربيع القادم، على الرغم من أن ذلك لن يثنى الحمقى الذين يتولون القيادة من المحاولة. وهذا يمنحنا فى ا لخدمات الخاصة نحو تسعة أشهر لتنفيذ هدفنا، وهذا الهدف هو اقتناص جميع الوحدات المدفعية فى القوات الجوية الأمريكية". ثم أضاف الجنرال بيكام وهو يضحك ضحكته الخفيضة اللطيفة: "فعلى أية حال، إن لم يكن إسقاط القنابل على العدو خدمة خاصة، فأنا أتساءل ما هى الخدمات الخاصة؟ ألا توافقنى الرأى؟". لم يبد الكولونيل شسكوبف أية إشارة بأنه يوافقه الرأى، ولكن الجنرال بيكام كان شديد الانشغال بثرثرته لدرجة جعلته لا يلاحظ ذلك وقال: "إن موقعنا الآن ممتاز للغاية، كما تستمر تعزيزات مثلك فى الوصول، ونحن لدينا متسع من الوقت للتخطيط لاستراتيجياتنا بحرص. إن هدفنا الفورى هنا"، ثم قام الجنرال بيكام بتحريك المؤشر للجنوب إلى جزيرة بيانوسا ونقر به بقصد على كلمة كبيرة مطبوعة هناك بقلم ذى خط أسود سميك. كانت الكلمة هى دريدل.

تحرك الكولونيل شسكوبف وهو ينظر شزرًا ليقترب من الخريطة، وللمرة

الأولى منذ دخوله الغرفة ألقى ضوءًا من الفهم بشعاع خافت على وجهه متبلد الحس. قال: "أعتقد أننى أفهم. نعم، أعلم أننى أفهم. إن مهمتنا الأولى هى أسر دريدل من بين صفوف العدو. أليس كذلك؟".

ضحك الجنرال بيكام بدماثة وقال: "لا يا شسكوبف، إن دريدل إلى جانبنا، ودريدل هو العدو. إن الجنرال دريدل يترأس أربع وحدات مدفعية والتى يجب أسرها ببساطة لنواصل هجومنا. إن قهر الجنرال دريدل سوف يوفر لنا المدفعية المضادة للطائرات والقواعد الأساسية التى نحتاج إليها لنقل عملياتنا لأماكن أخرى. ولقد شارفنا بالمناسبة على كسب هذه المعركة". سار الجنرال بيكام صوب النافذة وهو يضحك فى هدوء مرة أخرى واتكأ على عتبتها وهو يطوى ذراعيه ويشعر بالرضا عن دهائه ووقاحته، فكان يشعر بالسعادة لبراعته فى انتقاء الكلمات. كان الجنرال بيكام يحب الإنصات لنفسه وهو يتحدث، لا سيما وهو يتحدث عن نفسه. قال وهو يحدق فى إعجاب: "إن الجنرال دريدل لا يعرف ببساطة كيف يتأقلم معى؛ فأنا لا أكف عن غزو سلطته وسيادته بتعليقات وانتقادات لا تخصنى فى شىء، وهو لا يعرف ماذا يفعل إزاء ذلك. وهو حينما يتهمنى بالسعى وراء تشويه سمعته والحط من شأنه أجيب ببساطة أن هدفى الوحيد من إبراز أخطائه هو تعزيز مجهودنا الحربى عن طريق التخلص من أوجه القصور وعدم الكفاءة، ثم أسأله ببراءة إن كان يعارض تحسين مجهودنا الحربى. إنه يتذمر ويتخذ موقفًا عدوانيًا ويجأر ولكنه فى الحقيقة عديم الحيلة. إنه لا يتمتع بأى أسلوب خاص به. لقد أصبح سكيرًا فى الواقع كما تعلم. إن هذا الأحمق لا ينبغى له أن يكون حتى جنرالاً. إنه لا يتمتع بأى أسلوب مميز، ليس لديه أى أسلوب بالمرة. وأنا أحمد الله أنه لن يستمر طويلاً". ضحك الجنرال بيكام فى استمتاع وتلذذ وأبحر بسلاسة نحو استشهاد مفضل. "فى بعض الأحيان أتخيل نفسى فورتنبراس ـ ها ها ـ فى مسرحية هامليت لوليم شكسبير والذى لا يتوقف عن الدوران حول الأحداث حتى ينهار كل شىء فيدخل فى النهاية لجمع الغنائم لنفسه. إن شكسبير هو ـ".

قاطعه الكولونيل شسكوبف فى تبلد: "أنا لا أفقه شيئًا عن المسرحيات".

نظر إليه الجنرال بيكام فى دهشة. فلم يسبق لأحد من قبل أن تجاهل ووطأ على أحد استشهاداته من رائعة شكسبير هاملت بمثل هذه اللامبالاة الوقحة، وبدأ يتساءل بقلق حقيقى عن أى الأنواع من الحمقى فرضته عليه وزارة الدفاع. سأل بحدة: "ما الذى تفقهه؟".

أجاب الكولونيل شسكوبف فى لهفة: "الاستعراضات العسكرية. هل يمكننى إرسال مذكرات بشأن الاستعراضات العسكرية؟".

عاد الجنرال بيكام إلى مقعده وهو لايزال مقطبًا: "مادمت لا تحدد موعدًا لأى

منها، ومادام أن ذلك لن يتعارض مع مهمتك الأساسية وهى تزكية توسيع نطاق سلطة الخدمات الخاصة لتشمل الأنشطة القتالية".

"هل يمكننى تحديد موعد للاستعراضات العسكرية وإلغاؤه؟".

أشرق وجه الجنرال بيكام على الفور. "يا إلهى! إن تلك فكرة رائعة! ولكن فقط أرسل إعلانات أسبوعية تفيد بإرجاء الاستعراضات العسكرية. ولا تهتم حتى بمسألة تحديد موعد لها؛ فسيكون ذلك بدون شك مربكًا". كان الجنرال بيكام يشع مودة مرة أخرى. قال: "نعم يا شسكوبف. أعتقد أنك خرجت بفكرة سديدة حقًا. فعلى الرغم من كل شىء، من القائد العسكرى الذى قد يرغب فى العراك معنا لإبلاغنا رجاله بأنه لن يكون هناك عرض عسكرى فى الأحد التالى؟ إننا نؤكد حقيقة معروفة فقط، ولكن المعنى الضمنى رائع حقًا. نعم رائع للغاية. إننا نشير ضمنيًا إلى أنه بإمكاننا تحديد موعد لإقامة استعراض عسكرى إن رغبنا فى ذلك. أنا فى طريقى للإعجاب بك يا شسكوبف. اذهب وقدم نفسك للكولونيل كارجيل وأخبره بما تنوى فعله. أعلم أنكما سوف تتفقان مع بعضكما البعض".

جاء الكولونيل كارجيل عاصفًا إلى مكتب الجنرال بيكام بعد دقيقة وشكا فى غضب واستياء قائلاً: "لقد أمضيت هنا فترة أطول من تلك التى أمضاها شسكوبف. لماذا لا أكون أنا من يقوم بإلغاء الاستعراضات العسكرية؟".

"لأن شسكوبف يملك خبرة بالاستعراضات العسكرية فى حين أنك لا تملكها. يمكنك إلغاء العروض الترفيهية إن أردت ذلك. فى الواقع، لماذا لا تفعل ذلك؟ فقط فكر فى كل الأماكن التى لن تقام بها عروض ترفيهية فى يوم محدد. فكر فى كل الأماكن التى لن يزورها فنان شهير. نعم يا كارجيل، أعتقد أنك خرجت بفكرة نابغة. أعتقد أنك فتحت لتوك منطقة عمليات جديدة لنا. أخبر الكولونيل شسكوبف بأننى أود منه العمل على هذا الأمر تحت إشرافك. وأرسله لى حينما تنتهى من إعطائه التعليمات".

شكا الكولونيل شسكوبف قائلاً: "إن الكولونيل كارجيل يقول إنك تود منى العمل تحت إشرافه بمشروع العروض الترفيهية".

قال الجنرال بيكام: "أنا لم أقل له شيئاً من هذا القبيل. فى الواقع يا شسكوبف أنا لست سعيدًا للغاية مع الكولونيل كارجيل. إنه نَزَّاع إلى السيطرة وبطىء. وأنا أريد منك مراقبة ما يفعله عن كثب والتبين إن كان باستطاعتك انتزاع بعض العمل منه".

اعترض الكولونيل كارجيل: "إنه لا يتوقف عن التدخل فى كل شىء. إنه لا يترك لى أى عمل للقيام به".

وافقه الجنرال بيكام قائلاً: "ثمة شىء شديد الغرابة بشسكوبف. أريد منك

مراقبته عن كثب والتبين إن كان باستطاعتك معرفة إلى أى شىء يرمى".

صاح الكولونيل شسكوبف: "الآن هو يقوم بالتدخل فى عملى!".

قال الجنرال بيكام وهو يهنئ نفسه على نجاحه فى جعل الكولونيل شسكوبف يستوعب طبيعة وظيفته: فالكولونيلان اللذان يعملان لديه أصبحا لا يتحدثان إلى بعضهما البعض: "لا تدع هذا الأمر يقلقك يا شسكوبف. إن الكولونيل كارجيل يغبطك لأجل المجهود الرائع الذى تبذله فى الاستعراضات العسكرية. إنه يخشى أن أوليك قيادة نماذج القنابل".

قال الكولونيل شسكوبف وكله آذان صاغية: "ما نماذج القنابل؟".

كرر الجنرال بيكام بحس فكاهى: "نماذج القنابل؟ نموذج *القنبلة* هو مصطلح حلمت به منذ عدة أسابيع مضت. إنه لا يعنى شيئاً، ولكنك ستندهش من كم الشعبية التى حصل عليها. إن لدى كل أنماط البشر المقتنعين بأننى أعتقد أنه من المهم للقنابل أن تنفجر على مقربة من بعضها البعض، لإعطائنا صورة جوية مهندمة. وهناك كولونيل واحد فى بيانوسا هو الذى لا يكترث إن قام بضرب الهدف أم لا. دعنا نسافر له ونحظى ببعض المتعة معه اليوم. إن ذلك سوف يثير غيرة الكولونيل كارجيل، وقد علمت من ونترجرين هذا الصباح أن الجنرال دريدل سيذهب إلى ساردينيا، وسوف يجن جنون الجنرال دريدل حينما يكتشف أننى كنت أعاين أحد معسكراته العسكرية أثناء غيابه هو لمعاينة معسكر آخر. بل إننا قد نصل إلى هناك فى الوقت المناسب لحضور التعليمات. إنهم سوف يقصفون قرية صغيرة غير محصنة ليحولوها إلى دبش، وقد أخبرنى ونترجرين - وونترجرين هو رقيب أسبق الآن بالمناسبة - بأن هذه المهمة غير ضرورية بالمرة. والهدف الوحيد منها هو إرجاء التعزيزات الألمانية فى الوقت الذى لا نخطط فيه حتى بالهجوم. ولكن هذا هو ما يحدث حينما تقلد أناس متوسطو البراعة مناصب قيادية". أشار بوهن ناحية خريطة إيطاليا الكبيرة وأضاف: "إن تلك القرية الجبلية الصغيرة صغيرة للغاية حتى إنها لا تظهر هنا".

وصلا إلى وحدة الكولونيل كاثكارت فى وقت متأخر للغاية للحاق بالتعليمات التمهيدية وسمعا الرائد دانبى يقول: "ولكنها هناك، أؤكد لكم. إنها هناك".

سأل دونبار فى تحدٍ وهو يتظاهر بعدم رؤيتها: "أين هى؟".

"إنها هناك على الخريطة؛ حيث يتخذ الطريق هذا المنعطف البسيط. ألا يمكنك رؤية هذا المنعطف البسيط على خريطتكم؟".

"لا، لا أستطيع رؤيته".

قال هافرماير متطوعًا وأشار إلى البقعة التى على خريطة دونبار: "يمكننى رؤيته. وها هى صورة جيدة للقرية بهذه الصور. أنا أتفهم الأمر برمته. إن هدف

المهمة هو تدمير القرية بالكامل وتحويلها إلى عائق بجانب الجبل يضطر الألمان لإزالته. أليس كذلك؟".

قال الرائد وهو يمسح جبهته التى تتصبب عرقًا بمنديله: "هذا صحيح. أنا سعيد لأن شخصًا هنا بدأ يفهم. إن هاتين الفرقتين العسكريتين المصفحتين سوف تصلان من المجر إلى إيطاليا عبر هذا الطريق، وهذه القرية تم بناؤها فوق منحدر، لذا فإن كل الدبش الناتج عن المنازل والمبانى الأخرى التى سوف تدمرونها سوف يتراكم فوق الطريق".

تساءل دونبار بينما راقبه يوساريان فى إثارة بمزيج من الفزع والمداهنة: "ما الفارق الذى سيحدثه ذلك؟ إن الأمر سوف يستغرق منهم يومين فقط للتخلص من الدبش".

كان الرائد دانبى يحاول تجنب مجادلة. أجاب بنبرة استرضائية: "حسنًا، إن ذلك يشكل فارقاً فيما يبدو عند مقر الرئاسة. وأعتقد أن هذا هو السبب الذى جعلهم يخططون للمهمة".

سأل ماكوات: "هل تم تحذير أهل القرية".

شعر الرائد دانبى بالفزع لأن ماكوات أيضًا كان يبدى معارضته وأجاب: "لا، لا أعتقد هذا".

سأل يوساريان: "ألم نسقط أية منشورات نخبرهم من خلالها بأنه فى هذه المرة سوف نحلق فوقهم ونقصفهم. ألا يمكننا حتى ضربهم ضربة خفيفة حتى يبتعدوا عن الطريق؟".

بدأ الرائد دانبى يتعرق بشكل أغزر وكان يحرك عينيه فى تململ: "لا، لا أعتقد هذا؛ فقد يدرى الألمان بالأمر ويختارون طريقًا آخر. أنا لست واثقًا من أى من هذا. أنا فقط أقدم افتراضات".

جادل دونبار فى مرارة: "إنهم حتى لن يختبئوا؛ فهم سوف يهرعون بالشوارع للتلويح حينما يرون طائراتنا قادمة، كل الأطفال والكلاب والمسنين. يا إلهى! لماذا لا ندعهم وشأنهم؟".

سأل ماكوات: "لماذا لا نسد الطريق فى مكان آخر؟ لماذا يجب أن نسده هناك؟".

أجاب الرائد دانبى فى تعاسة: "لا أعلم. لا أعلم. اسمعوا يا رفاق، لابد أن نثق فى قادتنا الذين يصدرون الأوامر. إنهم يعرفون ماذا يفعلون".

قال دونبار: "بالطبع يعرفون".

سأل المقدم كورن وهو يتحرك على مهل بغرفة التعليمات بينما يضع يديه فى جيبيه ويتدلى قميصه للخارج: "ما المشكلة؟".

قال الرائد دانبى وهو يحاول بعصبية إخفاء ما يحدث: "لا توجد مشكلة أيها المقدم. إننا فقط نناقش المهمة".

ضحك هافرماير وهو يفضح الرائد دانبى: "إنهم لا يريدون قصف القرية".

قال يوساريان لـ هافرماير: "أيها المغفل!".

أمر المقدم كورن يوساريان بفظاظة: "دع هافرماير وشأنه". وقد أدرك على الفور أن يوساريان كان هو ذلك الشخص الثمل الذى خاطبه بغلظة فى نادى الضباط فى إحدى الليالى قبل المهمة الأولى إلى بولونيا، وقام بصب غضبه على دونبار. "لماذا لا تريد قصف القرية؟".

"إنه أمر وحشى، هذا هو السبب".

سأل المقدم كورن بحس فكاهى بارد بعدما أخافته للحظة فقط عدوانية دونبار: "وحشى؟ هل سيكون أقل وحشية أن ندع هاتين الفرقتين العسكريتين الألمانيتين تقاتلان قواتنا؟ إن الأرواح الأمريكية على المحك أيضًا. هل تفضل إراقة دماء أمريكية بدلاً من ذلك؟".

"إن الدماء الأمريكية تراق بالفعل. ولكن هؤلاء الناس يعيشون فى سلام هناك. لماذا لا ندعهم وشأنهم؟".

قال المقدم كورن فى سخرية: "نعم، من السهل لك أن تتحدث فأنت بأمان هنا فى بيانوسا؛ فأنت لن تتعرض لأى أذى حينما تصل تلك التعزيزات الألمانية، أليس كذلك؟".

تورد وجه دونبار خجلاً وأجاب بصوت أضحى دفاعيًا فجأة: "لماذا لا يمكننا سد الطريق فى مكان آخر؟ ألا يمكننا قصف منحدر الجبل أو الطريق نفسه؟".

"هل تفضل العودة إلى بولونيا؟". دوى السؤال الذى تم طرحه بهدوء مثل الطلقة وجعل هدوءًا مربكًا ومهددًا يخيم على الغرفة. دعا يوساريان الله أن يبقى دونبار فمه مغلقًا. طأطأ دونبار رأسه فأدرك المقدم كورن أنه قد فاز. واصل كلامه بازدراء واضح: "هذا هو ما اعتقدته. أتعلم، الكولونيل كاثكارت وأنا نضطر لخوض الكثير من المتاعب للحصول على مهام غير خطيرة مثل هذه من أجلكم. إن كنتم تودون تنفيذ مهام قتالية فى بولونيا وسبيزا وفيرارا، نستطيع نحن تولى أمر المهام غير الخطيرة مثل هذه بسهولة". توهجت عيناه بشكل خطير خلف نظارته الخالية من الإطارات وكان فكه الموحل صلبًا وقويًا. "فقط أخبرونى إن كنتم تودون ذلك".

قال هافرماير فى لهفة وهو يضحك فى فخر: "أنا أود. أريد الطيران مباشرة إلى بولونيا ووضع رأسى أمام مصوبة القصف والإنصات إلى كل نيران المدفعية التى تنطلق من حولى، وأنا أصاب بالدهشة حينما أجد الرجال حانقين علىَ بعد المهمة ويشرعون فى سبى. حتى المجندون يغضبون ويسبوننى هم الآخرون ويرغبون فى

توجيه اللكمات لى".

ربت المقدم كورن ذقن هافرماير بلطف ثم تجاهله ووجه الكلام إلى دونبار ويوساريان بنبرة صوت رتيبة قائلاً: "أود أن أؤكد لكم أنه ليس هناك من يشعر بالحزن لأجل هؤلاء السكان القذرين فى التلال أكثر منى أنا والكولونيل كاثكارت. لكن هذه هى الحرب. حاولوا أن تتذكروا أن إيطاليا هى التى بدأت الحرب وليس نحن. إننا لم نكن المعتدين وإنما إيطاليا. وإنه ليس بمقدورنا أن نفرض على الإيطاليين والألمان والروس والصينيين من القسوة نفس القدر الذى فرضوه على أنفسهم". ربت المقدم كورن كتف الرائد دانبى بود دون أن يبعد عن وجهه التعبير غير الودود. "واصل إعطاء التعليمات يا دانبى. وتأكد أنهم يفهمون أهمية نموذج القنابل ضيق المدى".

قال الرائد دانبى من غير تفكير وهو يطرف بعينيه: "آه، لا أيها المقدم. ليس مع هذا الهدف. لقد أخبرتهم بأن يحرصوا على أن تفصل مسافة قدرها ستون قدماً بين قنابلهم حتى يصبح لدينا سد بطول القرية وليس فى بقعة واحدة. سوف يصبح لدينا سد أكثر فاعلية إذا استخدمنا أسلوب نموذج القنابل واسع المدى".

قال له المقدم كورن: "إننا لا نكترث بشأن السد. إن الكولونيل كاثكارت يريد أن يخرج من هذه المهمة بصورة جوية نظيفة وجيدة والتى لا يخجل من إرسالها عبر القنوات. ولا تنس أن الجنرال بيكام سوف يأت لحضور جلسة التعليمات، وأنت تعلم ماذا يشعر حيال نماذج القنابل. فى الواقع أيها الرائد عليك الإسراع بهذه التفاصيل والانتهاء قبل أن يصل إلى هنا. إن الجنرال بيكام لا يطيقك".

صححه الرائد دانبى بلطف: "لا أيها الكولونيل. إن الجنرال دريدل هو الذى لا يطيقنى".

"إن الجنرال بيكام لا يطيقك هو الآخر. فى الواقع، لا أحد يطيقك. انته مما تفعله يا دانبى واذهب. أنا سألقى التعليمات".

سأل الكولونيل كاثكارت بعد وصوله لحضور جلسة التعليمات بصحبة الجنرال بيكام والكولونيل شسكوبف: "أين الرائد دانبى؟".

قال المقدم كورن: "لقد طلب الإذن بالمغادرة لحظة ما رآك قادمًا. إنه يخشى ألا يحوز على إعجاب الجنرال بيكام. سوف أقوم أنا بإلقاء التعليمات بأى حال من الأحوال؛ فأنا أفضل منه فى ذلك كثيرًا".

قال الكولونيل كاثكارت: "مدهش!". ثم عدل عن رأيه بعد لحظة حينما تذكر كم كان أداء المقدم كورن رائعًا أمام الجنرال دريدل فى جلسة تعليمات الأفنيون الأولى فقال: "لا. سوف ألقى أنا التعليمات بنفسى".

وقد بث الكولونيل كاثكارت الثقة فى نفسه بمعرفته أنه أحد المفضلين لدى

الجنرال بيكام وتولى أمر الجلسة وهو يخرج الكلمات بوضوح من فمه على الجمهور المنتبه من الضباط الأقل رتبة منه بنفس الأسلوب الصارم الصريح والهادئ الذى التقطه من الجنرال دريدل. كان يعلم أنه كان يبدو أنيقًا فوق المنصة هناك بذلك القميص مفتوح الياقة وحامل سيجاره والقصة القصيرة لشعره الأسود المموج رمادى الأطراف. كان يتنفس بشكل جميل ويحاكى حتى بعض الأخطاء اللفظية الخاصة بالجنرال دريدل، وهو لم يصب بالذعر على الإطلاق من كولونيل الجنرال بيكام الجديد حتى تذكر فجأة أن الجنرال بيكام يكره الجنرال دريدل. فى هذه اللحظة تحشرج صوته وخانته ثقته. تعثر للأمام فى خزى وإذلال. لقد أصبح فجأة خائفًا من الكولونيل شسكوبف؛ فوجود كولونيل آخر فى المنطقة كان يعنى وجود منافس آخر، عدو آخر، شخص آخر يكرهه. وهذا الشخص كان قاسيًا! راودت الكولونيل كاثكارت فكرة بشعة: ماذا لو كان الكولونيل شسكوبف قد قام بالفعل برشوة جميع الرجال فى الحجرة للبدء فى الأنين، كما فعلوا بجلسة التعليمات لمهمة الأفنيون الأولى. كيف يمكنه إسكاتهم؟ سيكون ذلك بمثابة مصدر خزى بشع حقًا! سيطر هذا الهوس على الكولونيل كاثكارت حتى إنه أومأ تقريبًا للمقدم كورن، وبطريقة ما استطاع لم شتات نفسه وقام بضبط الساعات وحينما فعل هذا أدرك أنه فاز؛ حيث يمكنه الآن إنهاء الجلسة فى أى وقت. لقد استطاع خوض أزمة حقيقية. أراد أن يضحك فى وجه الكولونيل شسكوبف بانتصار ليكيده. لقد استطاع إثبات جَلَده وقوة تحمله تحت الضغط، وقام بإنهاء الجلسة بخاتمة ملهمة والتى أكدت له جميع غرائزه بأنها تجسيد بارع للباقة فريدة وحدة ذهن متميزة.

حيث قال: "الآن أيها الرجال، أود أن أشير إلى أنه لدينا اليوم ضيف استثنائى، إنه الجنرال بيكام من الخدمات الخاصة، الرجل الذى يمنحنا مضارب الكرة اللينة والكتب الكوميدية والعروض الترفيهية. وأنا أريد إهداء هذه المهمة له. اذهبوا إلى هناك واقصفوا - من أجلى، من أجل وطنكم، ومن أجل الأمريكى العظيم الجنرال بى. بى. بيكام. واحرصوا على إسقاط جميع هذه القنابل على مدى ضيق!".

٣٠
دونبار

لم يعد يوساريان يكترث أين تسقط قنابله، على الرغم من أنه لم يتماد مثل دونبار الذى ألقى قنابله بعد القرية بما يقدر بمئات الياردات وسيكون مصيره محاكمة عسكرية إن تبين أنه قام بذلك متعمدًا. فدون أن يذكر شيئاً عن الأمر، حتى ليوساريان، أعفى دونبار نفسه من تلك المهمة الدموية؛ فالسقطة التى تعرض لها فى المستشفى إما أرشدته نحو طريق النور أو أنها أتلفت عقله؛ وكان من المستحيل معرفة أيهما هو ما حدث له.

ونادرًا ما أصبح دونبار يضحك وبدأ يذبل. كان يزمجر بشكل عدوانى فى وجه رؤسائه من الضباط، حتى الرائد دانبى، وكان فظًا وفجًا حتى فى تعامله مع رجل الدين، والذى أصبح يخاف من دونبار الآن وبدأ يذبل هو الآخر، وقد أخفقت رحلة رجل الدين الطويلة إلى ونترجرين؛ فكان ونترجرين مشغولاً للدرجة التى منعته من رؤية رجل الدين بنفسه، وقد جلب مساعد وقح لونترجرين لرجل الدين قداحة سجائر من نوع زيبو مسروقة كهدية وأخبره بتعالٍ بأن ونترجرين كان منشغلاً بالأمور الحربية لدرجة لا تجعله يكترث بأشياءٍ تافهة مثل عدد المهام التى يجب على الرجال تنفيذها. كان رجل الدين يشعر بالقلق على دونبار ويشعر بمزيد من القلق على يوساريان الآن بعد اختفاء أور. وبالنسبة لرجل الدين، الذى كان يعيش بمفرده فى خيمة رحبة يعزله طرفها المستدق عن العالم كل ليلة كغطاء القبر - فقد بدت رغبة يوساريان فى الإقامة وحده غير قابلة للتصديق.

وبصفته مدفعيًا قائدًا، حظى يوساريان بماكوات كطيار له، وكانت تلك تعزية جيدة له على الرغم من أنه لا يزال غير محصن تمامًا. فليس هناك وسيلة لرد الهجوم. فهو لا يستطيع حتى رؤية ماكوات ومساعد الطيار من مكانه فى مقدمة الطائرة. كل ما كان يستطيع رؤيته هو آرفى، والذى كان وجهه التافه المستدير الأحمق يثير جنونه ويفقده صبره، علاوة على ذلك فكانت هناك تلك اللحظات من الغضب والإحباط بالسماء حينما كان يتوق إلى أن يتم إنزال رتبته ثانية ويعاود التحليق بطائرة جناحيه وبحوزته مدفع رشاش فى المقصورة بدلاً من مصوبة القصف الدقيقة التى لا يحتاج إليها فى الحقيقة، مدفع رشاش قطرى يمكنه الإمساك به بشكل انتقامى بكلتا يديه وإدارته فى وحشية ضد كل الشياطين

الذين يضطهدونه: إزاء الدخان الأسود نفسه لقذائف المدفعية، إزاء المدفعيين الألمان الذين يطلقون القذائف المضادة للطائرات بالأسفل والذين لا يستطيع حتى رؤيتهم ولا يستطيع إصابتهم بمدفعه الرشاش حتى لو أتيح له الوقت لفتح النار عليهم، إزاء هافرماير وأبلباى فى الطائرة القائدة من أجل جسارتهما بالمهمة الثالثة إلى بولونيا؛ حيث أصابت قذائف المائتين والأربعة والعشرين مدفعا أحد محركى طائرة أور للمرة الأخيرة لتسقطها فوق الماء بين جينوا ولاسبيزا قبل اندلاع العاصفة الرعدية القصيرة مباشرة.

فى الواقع، لم يكن هناك الكثير الذى يمكنه فعله بهذا المدفع الرشاش القوى فيما عدا حشوه وإطلاق بعض طلقات عشوائية منه. لقد كان عديم الفائدة له شأنه شأن مصوبة القصف. كان يمكن استخدامه ضد هجمات الطائرات الألمانية المقاتلة، ولكن لم تعد هناك طائرات مقاتلة ألمانية، وهو لا يستطيع حتى إدارته كل هذه المسافة صوب وجوه طيارين عديمى الفائدة مثل هولب ودوبس وأمرهما بالعودة والهبوط بحرص على الأرض، كما سبق له وأمر كيد سامبسون بالعودة، وهو تماما الأمر الذى أراد القيام به مع دوبس وهولب بالمهمة الأولى الشنيعة إلى الأفنيون فى اللحظة التى أدرك بها الورطة الواقع بها، فى اللحظة التى وجد فيها نفسه محلقا فى طائرة مع دوبس وهولب فى سرب يقوده هافرماير وأبلباى. دوبس وهولب؟ هولب ودوبس؟ من كانا؟ أى جنون هذا يجعله يحلق فى الهواء على ارتفاع ميلين فوق بوصة أو اثنتين من المعدن لا يفصله عن الموت سوى المهارة والذكاء الهزيلين لاثنين من الغرباء المضجرين، فتى بدون لحية يدعى هولب ومعتوه عصبى مثل دوبس، والذى جن جنونه بالفعل داخل هذه الطائرة، واهتاج فوق الهدف دون أن يترك مقعد مساعد الطيار الخاص به، وانتزع جهاز القيادة من هولب ليهبط بهم هبوطا مفاجئاً مفزعًا. فصل مسماع يوساريان وأعادهم مباشرة داخل نيران المدفعية الكثيفة التى كانوا قد هربوا منها لتوهم. والشىء التالى الذى أدركه أن غريبا آخر - مدفعى مذياع يدعى سنودين - كان يحتضر بالمؤخرة. وكان من المستحيل التيقن من أن دوبس هو من قتله؛ حيث إنه حينما قام يوساريان بإيصال مقبس مسماعه ثانية كان دوبس يتحدث بالفعل على نظام الاتصال البينى مناشدا أى أحد للذهاب لمساعدة المدفعى. وعلى الفور تقريبا تحدث سنودين فى أنين: "ساعدنى. من فضلك ساعدنى. أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد": فقام يوساريان بالزحف ببطء خارجًا من المقدمة وصاعدا أعلى حجيرة القنابل عائدا إلى مؤخرة الطائرة - متخطيًا أدوات الإسعافات الأولية، والتى اضطر أن يعود لها وذلك لعلاج سنودين من الإصابة الخاطئة، من الثقب الغائر المسلوخ عنه الجلد الذى يبلغ حجمه حجم كرة القدم فى الجزء الخارجى من فخذه، والذى تنبض

بداخله الألياف العضلية المشربة بالدماء بشكل غريب مثل كائنات عمياء نابضة بالحياة؛ ذلك الجرح البيضاوى العارى الذى يبلغ طوله قدمًا تقريبًا والذى أصاب يوساريان بالصدمة وجعله يشعر بالشفقة وبالرغبة فى القىء لحظة ما رآه. وقد كان مدفعى الذيل ضئيل الحجم يرقد على الأرض إلى جوار سنودين مغشيًا عليه ووجهه شاحب كمنديل، حتى إن يوساريان قفز للأمام لمساعدته أولاً.

نعم، على المدى الطويل سيطير مع ماكوات؛ حيث يكون بأمان، لكنه لم يكن بأمان فى السابق مع ماكوات، والذى كان يحب الطيران كثيرًا وحلق بجرأة على بعد بوصات من الأرض أثناء وجوده بمقدمة الطائرة بطريق عودتهم من الرحلة التدريبية لترويض المدفعى الجديد الذى جاء من ضمن فريق كامل من الجنود التكميليين والذين قام الكولونيل كاثكارت بإحضارهم بعد اختفاء أور، وقد كان ميدان التدرب على القصف بالجهة الأخرى من بيانوسا، وأثناء العودة اقترب ماكوات بالجزء السفلى من الطائرة بطيئة الحركة فوق قمة الجبال وبعد ذلك، وبدلاً من الاستمرار فى التحليق على نفس الارتفاع، أمال الطائرة على أحد جانبيها وأصاب يوساريان بالذهول حينما بدأ يهبط بمحاذاة المنحدر الجبلى بأقصى سرعة ممكنة بينما يهتز الجناحان فى مرح وينزلقان بسرعة وهما يصدران صوت زئير هائل فوق كتلة صخرية أو منحدر بالأرض المائلة مثل أحد طيور النورس فوق أمواج بنية هائجة. كان يوساريان مصعوقًا. كان المدفعى الجديد إلى جواره يجلس فى رزانة وهو يبتسم ويصفر وقد أراد يوساريان مد ذراعه وتحطيم وجهه الأحمق بيد واحدة لكنه أجفل ونأى بنفسه بعيداً حين رأى الصخور والتلال الصغيرة وأفرع الأشجار التى كانت تتحرك أسفلهم بسرعة. ليس من حق أحد المخاطرة بحياته بهذه الطريقة.

صاح فى اهتياج على ماكوات وهو يشعر بالكراهية إزاءه: "ارتفع، ارتفع، ارتفع!" ولكن ماكوات كان يغنى فى بهجة على نظام الاتصال البينى ولم يكن باستطاعته سماعه فيما يبدو. انطلق يوساريان وهو مشتاط غضبًا ومتلهف للانتقام إلى أسفل داخل الممر وشق طريقه بصعوبة ضد الجاذبية حتى وصل إلى القسم الرئيسى ورفع نفسه إلى قمره القيادة ليقف مرتعدًا وراء ماكوات فى مقعد الطيار. نظر حوله فى يأس بحثًا عن مسدس أتوماتيكى ٤٥ ملم أسود - رمادى والذى يمكنه تصويبه على أسفل جمجمة ماكوات، ولكن لم يكن هناك مسدس، ولم تكن هناك سكين صيد كذلك، ولا أى سلاح يمكنه ضربه أو طعنه به؛ لذا فقد شهق يوساريان وأمسك بياقة مئزر ماكوات بين قبضتيه وصاح عليه ليرتفع. كانت الأرض لا تزال تسبح أسفلهم وتومض على كلا الجانبين. نظر ماكوات خلفه إلى يوساريان وضحك وكأن يوساريان كان يمزح معه. وضع يوساريان كلتا يديه حول حلق ماكوات العارى وبدأ

فى خنقه. تصلب ماكوات.

أمره يوساريان بصوت خفيض خرج من بين أسنانه: "ارتفع وإلا سأقتلك".

وبحرص رفع ماكوات عصا الارتفاع وبدأ يحلق لأعلى تدريجياً. ارتخت يدا يوساريان فوق رقبة ماكوات وانزلقت من فوق كتفيه لتتدلى بخمول؛ فهو لم يعد غاضبًا، بل شعر بالخزى، وحينما استدار ماكوات كان آسفًا لأن تلك كانت يديه وتمنى لو كان هناك مكان يدفنهما به، لقد شعر بأنهما ميتتان.

حدق إليه ماكوات. لم يكن هناك أى ود فى عينيه. قال ببرود: "يا إلهى. إن حالتك مزرية بالفعل. لابد أن تعود للوطن".

قال يوساريان وهو يحول بصره: "إنهم يرفضون السماح لى بذلك" ثم زحف مبتعدًا.

هبط يوساريان من مقصورة القيادة وجلس فوق الأرض وهو يدلى رأسه فى ندم. كان مغطى بالعرق.

عاد ماكوات مباشرة إلى ممر الهبوط، وقد تساءل يوساريان إن كان ماكوات سيذهب الآن إلى خيمة العمليات ليرى بيلشارد ورين ويطلب منهما عدم تحليق يوساريان معه مرة أخرى، تمامًا كما ذهب يوساريان خلسة للتحدث معهما بشأن دوبس وهولب وأور - بدون نجاح - بشأن آرفى. فهو لم يسبق له رؤية ماكوات حانقًا من قبل، لم يره إلا سعيدًا وفى حالة معنوية مرتفعة، وتساءل إن كان قد فقد لتوه صديقًا آخر.

ولكن ماكوات غمز له مطمئنًا إياه أثناء نزوله من الطائرة وشرع فى المزاح بود مع الطيار الجديد الساذج والمدفعى أثناء استقلالهم للسيارة الجيب فى طريق عودتهم للسرية، على الرغم من أنه لم يوجه كلمة ليوساريان حتى أعاد الأربعة باراشوتاتهم وانفصلوا وسار كلهم جنبًا إلى جنب صوب صف خيمهم. بعد ذلك ارتسمت ابتسامة مفاجئة على وجه ماكوات المسمر المنمش الأسكتلندى الأيرلندى ودفع قبضته ممازحًا داخل أضلع يوساريان وكأنه يوجه له لكمة.

ضحك قائلاً: "أيها الحقير! هل كنت حقًا ستقتلنى هناك بأعلى؟".

ابتسم يوساريان فى ندم وهز رأسه: "لا، لا أعتقد هذا".

"لم أكن أعرف أن حالتك قد ساءت إلى هذا الحد. يا إلهى! لماذا لا تتحدث بشأنها مع أحد ما؟".

"أنا أتحدث عنها مع الجميع. ماذا بك؟ ألا يمكنك سماعى قط؟".

"أعتقد أننى فقط لم يسبق لى أن صدقتك".

"ألا تخاف قط؟".

"ربما ينبغى علىّ ذلك".

"ولا حتى أثناء المهام؟".

ضحك ماكوات: "أعتقد أننى لا أملك من العقل ما يجعلنى أخاف".

قال يوساريان: "إن هناك الكثير من المخاطر التى قد تسلبنى حياتى وكان عليك أن تضيف لها واحدة أخرى".

ابتسم ماكوات ثانية "لابد أنك تشعر بالخوف حينما أحلق على مقربة من خيمتك، أليس كذلك؟".

"إن ذلك يخيفنى بشدة، وقد أخبرتك بذلك".

"كنت أعتقد أن الضوضاء فقط هى التى تزعجك". هزَ ماكوات كتفيه. وأضاف: "حسنًا، أعتقد أننى سأتوقف عن ذلك بأية حال من الأحوال".

ولكن لم يكن هناك سبيل لتقويم ماكوات؛ ففى حين أنه لم يقم بالتحليق بالقرب من خيمة يوساريان مجددًا، إلا أنه لم يفوت على نفسه الفرصة قط ليحلق فوق الشاطئ على ارتفاع منخفض؛ بحيث تزأر طائرته مثل حيوان متوحش فوق القارب بالماء والتجويف المنعزل بالرمال؛ حيث يجلس يوساريان مع الممرضة داكيت أو يلعب بالبطاقات مع ناتلى ودونبار وهنجرى جو. وقد كان يوساريان يقابل الممرضة داكيت فى فترة بعد الظهيرة من كل يوم تقريبًا بعد انتهاء كل منهما من عمله ويأتى بها إلى الشاطئ على الجانب الآخر من الكثبان الرملية المرتفعة والتى تفصلهما عن المكان الذى يسبح فيه الضباط والجنود الآخرون. وقد كان ناتلى ودونبار وهنجرى جو يأتون إلى هذا المكان أيضًا، وكان ماكوات ينضم إليهم فى بعض الأحيان وكذلك آرفى والذى يأتى دومًا وهو يرتدى حُلته العسكرية كاملة ولا يخلع عنه أى شىء من ملابسه سوى حذائه وقبعته؛ فآرفى لا يسبح قط. وكان الرجال الآخرون يرتدون سراويل سباحة قصيرة احترامًا للممرضة داكيت واحترامًا للممرضة كريمر كذلك والتى تأتى مع الممرضة داكيت ويوساريان فى كل مرة إلى الشاطئ وتجلس فى عجرفة وحدها على بعد عشر ياردات، ولم يكن هناك من يحترم الرجال الذين يأخذون حمام شمس على الشاطئ أو يغطسون ويقفزون من فوق القارب الأبيض الكبير الذى يرقد فوق براميل الزيت الفارغة وراء خط الرمل الطولى سوى آرفى. وكانت الممرضة كريمر تجلس وحدها لأنها كانت غاضبة من يوساريان ومصابة بالإحباط من الممرضة داكيت.

وقد كانت الممرضة سو آن داكيت تزدرى آرفى، وكانت تلك إحدى صفات الممرضة داكيت التى يستمتع بها يوساريان. كان يحب طريقة إذعانها له حينما يجلسان على الشاطئ فى وقت الغسق. لقد كان وجودها يبث فيه السكون والسكينة. كان يحب استجابة الممرضة داكيت الهادئة التى تشعره بالإطراء، والطريقة التى تظهر بها اعتزازها وافتخارها بعلاقتهما، وقد كان هنجرى جو يرغب فى التقرب من

المرضة داكيت كذلك، ولكن أثناه عن ذلك أكثر من مرة حملقة يوساريان له. وقد كانت المرضة داكيت تحب مغازلة هنجرى جو فقط لاستثارة غيرة يوساريان وكانت عيناها البنيتان الفاتحتان المستديرتان تبرقان انزعاجًا فى كل مرة يلكزها فيها يوساريان بحدة بمرفقه أو قبضته ليجعلها تتوقف.

وكان الرجال يلعبون الورق فوق منشفة أو قميص تحتى أو ملاءة، وكانت المرضة داكيت تقوم بخلط مجموعة ورق اللعب الإضافية وهى تجلس متكئة على أحد الكثبان الرملية، وفى الوقت الذى لا تقوم فيه بخلط مجموعة ورق اللعب الإضافية كانت تنظر فى مرآة صغيرة وتضع الماسكرا فوق رموشها المقوسة الحمراء فى محاولة حمقاء لجعلها تصبح أطول، وفى بعض الأحيان كانت تنجح فى إفساد ترتيب الورق بإحدى الطرق والتى لا يكتشفونها حتى ينخرطوا باللعب، وكانت تضحك فى سعادة غامرة حينما يقومون جميعًا برمى أوراقهم فى اشمئزاز والبدء فى لكمها بحدة على ذراعيها وساقيها وهم يسبونها ويطالبونها بالتوقف عن القيام بمثل هذه الحيل، وقد كانت تثرثر بكلام ليس له معنى أثناء استغراقهم فى تفكير مضنى، ويضىء وجهها سعادة حينما يوجهون لها المزيد من الضربات الحادة على ذراعيها وساقيها بقبضاتهم ويطلبون منها إغلاق فمها. كانت المرضة داكيت تعشق مثل هذا الاهتمام وترفع شعر مقدمة رأسها البنى سعادة حينما يركز يوساريان والآخرون عليها، وكانت معرفتها بوجود كل هذا الكم من الفتية والرجال الذين يجلسون فى تراخٍ على الجانب الآخر من الكثبان الرملية تبث فيها شعورًا بالدفء والبهجة.

وفى الليالى التى كان يشعر فيها يوساريان بالوحدة كان يصطحب المرضة داكيت إلى الشاطئ ويأخذ معه ملاءتين ويجلسان معًا يتبادلان الحديث، لقد أصبحت الليالى دامسة الظلام باردة للغاية وبدت النجوم أقل عددًا، وكان القارب يتأرجح أسفل ضوء القمر الخافت ويبدو أنه ينجرف بعيدًا. لقد بدأ الطقس البارد يخيم على المكان. وشرع الرجال الآخرون فى بناء المواقد والإتيان إلى خيمة يوساريان أثناء النهار والنظر فى دهشة إلى موقد أور الرائع. وقد كانت المرضة داكيت تشعر ببهجة عارمة حينما تدرك أن يوساريان لا يستطيع الابتعاد كثيرًا عنها، لكنها لا تدعه يقبلها فى وجود الآخرين، حتى حين يكون الشخص الوحيد الموجود هو المرضة كريمر والتى كانت تجلس على الجانب الآخر من الكثب الرملى وهى ترفع أنفها باستنكار فى الهواء وتتظاهر بعدم رؤية أى شىء.

وقد توقفت المرضة كريمر عن محادثة المرضة داكيت ـ أقرب صديقاتها ـ بسبب علاقتها بيوساريان ولكنها مازالت تذهب إلى كل مكان مع المرضة داكيت بما أن المرضة داكيت هى أقرب صديقاتها. وهى لم تكن تحب يوساريان أو أصدقاءه.

وحينما كانوا يقفون ويذهبون للسباحة مع الممرضة داكيت كانت الممرضة كريمر تقف وتذهب للسباحة كذلك مع احتفاظها بنفس المسافة الفاصلة بينهم والتى تقدر بعشر ياردات واحتفاظها بسكوتها، وهى تزدريهم حتى بالماء، وحينما كانوا يضحكون ويرشون الماء كانت تضحك وترش الماء؛ وحينما يغطسون كانت تغطس؛ وحينما كانوا يسبحون إلى شريط الرمال ويستريحون كانت الممرضة كريمر تسبح إلى شريط الرمال وتستريح، وحينما كانوا يخرجون كانت تخرج وتجفف كتفيها بمنشفتها الخاصة وتجلس فى تحفظ بمكانها وهى تصلب ظهرها أثناء انعكاس أشعة الشمس على شعرها الأصفر الفاتح مثل الهالة، وكانت الممرضة كريمر مستعدة أن تتحدث مع الممرضة داكيت ثانية إن تابت واعتذرت. لكن الممرضة داكيت كانت تفضل إبقاء الأمور كما هى. طالما أرادت توجيه لكمة إلى الممرضة كريمر وجعلها تصمت.

كانت الممرضة داكيت تعتقد أن يوساريان رائع حقًا وتحاول بالفعل تغييره. كانت تحب مشاهدته وهو يغفو لفترات قصيرة بينما يوجه وجهه لأسفل ويلف ذراعها حوله أو وهو يحملق فى كآبة للأمواج الوديعة الهادئة وهى تنكسر مثل جراء صغيرة فوق الشاطئ وتعدو بخفة مسافة قدم أو اثنتين قبل أن تهرول عائدة. كانت تبقى ساكنة فى فترات سكوته؛ فهى كانت تعلم أنها لا تشعره بالملل، وقد كانت تشذب أو تطلى أظافرها بكد أثناء استغراقه فى النوم أو التفكير خلال وقت بعد الظهيرة عند هبوب النسيم الرقيق على سطح الشاطئ. كانت تحب النظر إلى ظهره العريض الطويل المكسو ببشرة برونزية خالية من العيوب. كانت تحب رؤيته يتحرق شوقًا لها.

ولم يكن يوساريان يشعر بالوحدة قط مع الممرضة داكيت والتى كانت تعرف حقًا كيف تبقى فمها مغلقًا. وقد كان المحيط الرحب والفسيح يعذبه ويصيبه بالهوس، وقد كان يتفكر فى أسى - أثناء قيام الممرضة داكيت بتشذيب أظافرها - فى كل هؤلاء الأشخاص الذين ماتوا غرقًا. لابد أن يكون هناك أكثر من مليون شخص مات بهذه الطريقة. أين هم؟ أى أنواع الحشرات أكلت لحومهم؟ أخذ فى تخيل العجز عن التنفس داخل جالونات من الماء. تتبع يوساريان بعينيه مراكب الصيد الصغيرة والزوارق الحربية وهى تسافر ذاهبة وعائدة واستشعر بأنها غير حقيقية؛ فلم يبد له حقيقيًا أنه كان هناك أناس ذوو أحجام طبيعية على سطح هذه المراكب والذين يتوجهون إلى مكان ما فى كل مرة. نظر صوب إلبا وفتشت عيناه تلقائيًا بأعلى عن السحابة البيضاء ذات الزغب والتى اختفى داخلها كليفنجر. نظر إلى الأفق الإيطالى الضبابى وفكر فى أور. كليفنجر وأور. أين ذهبا؟ وقد قام يوساريان بالوقوف ذات مرة فوق حاجز مائى بالفجر وأخذ فى مشاهدة زند

الخشب المستدير العنقودى الذى كان ينجرف نحوه بفعل المد والذى اتضح له بعد ذلك أنه جثة منتفخة لرجل غارق، وقد كان ذلك هو أول ميت يراه. شعر بالخوف والتشبث بالحياة ومد يده للإمساك بالممرضة داكيت. شرع فى تفحص كل جسم طاف فى خوف بحثا عن أى أثر لكليفنجر وأور. لقد كان مستعدًا لتلقى أى صدمة فيما عدا الصدمة التى تلقاها على يد ماكوات فى أحد الأيام حينما ظهرت طائرته فجأة من بعيد داخل سكون المكان وانطلقت دون رحمة بطول خط الشاطئ وهى تزأر وتقعقع فوق القارب والذى كان يقف فوقه كيد سامبسون الأشقر الشاحب ـ والذى كان يمكن رؤية جسده الهزيل العارى من مسافة بعيدة - وقام بالقفز عاليًا كالمهرجين للمس الطائرة فى نفس اللحظة التى عملت فيها دفقة غريبة من الرياح أو هفوة بسيطة من ماكوات على إسقاط الطائرة المسرعة لأسفل قليلاً كى تقوم مروحتها بشطره نصفين.

حتى الأشخاص الذين لم يكونوا هناك كانوا يتذكرون ما حدث بعد ذلك؛ فقد كان هناك ذلك الصوت الرقيق المسموع والذى لم يستمر طويلاً "تسس!" والذى تخلل عواء محركات الطائرة، وبعد ذلك كانت هناك فقط ساقا كيد سامبسون الشاحبتان الهزيلتان واللتان كانتا لاتزالان متصلتين ببعضهما البعض ببعض الأوتار من منطقة الوركين الدموية المبتورة واللتان ظلتا واقفتين طوال دقيقة كاملة أو دقيقتين قبل أن تنقلبا إلى الوراء وتسقطا داخل الماء محدثتين صوت ارتطام ضعيف لتستديرا بعد ذلك بالمقلوب بحيث لا يظهر منهما سوى أصابع قدمى كيد سامبسون وأخمصيه البيضاويين.

وعلى الشاطئ تحولت السكينة إلى جحيم؛ فقد ظهرت الممرضة كريمر من العدم وأخذت تبكى فى هيستيرية فوق صدر يوساريان والذى لف ذراعه حول كتفيها لمواساتها وكانت ذراعه الأخرى تدعم الممرضة داكيت التى كانت ترتعد وتنتحب فوق صدره كذلك فى شحوب. كان الجميع على الشاطئ يصرخون ويركضون، وبدا الرجال مثل النساء. شرعوا فى جمع متعلقاتهم فى ذعر وهم ينحنون بسرعة وينظرون شزرًا إلى كل موجة رقيقة تضرب الشاطئ وكأن عضوًا قبيحًا أحمر اللون ككبد أو رئة قد يأتى مندفعًا نحوهم من خلالها، وهؤلاء الذين كانوا بالماء كانوا يصارعون للخروج ـ بعد أن أنستهم عجلتهم أن يسبحوا ـ وينتحبون ويمشون بينما يعوق مسيرتهم البحر اللزق والريح القارسة. لقد أمطرت أشلاء كيد سامبسون على الجميع. وهؤلاء الذين لمحوا أجزاء منه على أطرافهم أو جذوعهم أصيبوا بالذعر والاشمئزاز وارتدوا للوراء وكأنهم يحاولون الانسلاخ عن جلودهم البغيضة. شرع الجميع فى الركض فى فرار جماعى بطىء وهم ينظرون فى ذعر للوراء بينما يملأون الغابات الظليلة بشهقاتهم وصرخاتهم

الضعيفة، وقد قاد يوساريان السيدتين المتعثرتين المصدومتين أمامه فى اهتياج وهو ينخسهما ويلكزهما لجعلهما تسرعان، لكنه عاد مسرعًا فى تذمر للمساعدة حينما تعثر هنجرى جو فى ملاءة أو بصندوق الكاميرا الذى كان يحمله وسقط على وجهه للأمام فى الرمال.

وفى السرية كان الخبر قد ذاع بالفعل، فكان الرجال فى الحُلل العسكرية يصرخون ويركضون كذلك أو يقفون بلا حراك فى بقعة واحدة بينما يتملك منهم الفزع مثل الرقيب نايت أو الطبيب دانيكا اللذين رفعا رأسيهما لأعلى وشاهدا الطائرة المذنبة البائسة التى تدور وبداخلها ماكوات فى بطء فى دوائر وتحلق لأعلى.

صاح يوساريان على الطبيب دانيكا بينما يركض وهو مقطوع النفس ويعرج وتبرق عيناه المسحورتان فى حزن: "من هو؟ من بالطائرة؟".

قال الرقيب نايت: "ماكوات وبصحبته الطياران الجديدان فى الرحلة التدريبية، والطبيب دانيكا بأعلى كذلك".

قال الطبيب دانيكا بصوت غريب ومتألم وهو ينظر بانزعاج إلى الرقيب نايت: "أنا هنا".

قال يوساريان فى يأس: "لماذا لا يهبط؟ لماذا لا يزال محلقًا؟".

قال الرقيب نايت دون إبعاد عينيه عن طائرة ماكوات المحلقة وحدها بالسماء: "إنه على الأرجح يخشى الهبوط. إنه يعلم أنه واقع فى مشكلة كبيرة".

وقد استمر ماكوات فى التحليق أعلى وأعلى وهو يوجه طرف طائرته لأعلى ويدور بشكل لولبى بيضاوى بطىء فوق الماء باتجاه الجنوب ثم فوق التلال السفحية الخمرية حيث استدار فوق ممر الهبوط ثانية وحلق شمالاً، وسرعان ما أصبح على ارتفاع خمسة آلاف قدم. كان صوت المحرك قد انحسر ليصبح همسًا. انفتح باراشوت أبيض فجأة، ثم انفتح باراشوت آخر بعد بضع لحظات وهبط لأسفل شأنه شأن الأول تجاه الأرض مقطوعة الأشجار فى ممر الهبوط. لم تكن هناك أية حركة على الأرض. استمرت الطائرة فى التحليق جنوبًا طوال ثلاثين ثانية أخرى وهى تتبع نفس طريقة التحليق الهادئة والمألوفة، ثم رفع ماكوات جناحًا وأمال الطائرة ليستدير.

قال الرقيب نايت: "هناك اثنان آخران لا يزال عليهما الهبوط. ماكوات والطبيب دانيكا".

قال الطبيب دانيكا فى حزن: "أنا هنا أيها الرقيب نايت. أنا لست فى الطائرة".

سأل الرقيب نفسه بصوت عال: "لماذا لا يقفزان؟ لماذا لا يقفزان؟".

قال الطبيب دانيكا وهو يعض على شفته: "إن هذا غير منطقى. غير منطقى بالمرة".

ولكن يوساريان أدرك فجأة سبب عدم قفز ماكوات وشرع فى الركض بشكل هيستيرى عبر السرية وراء طائرة ماكوات وهو يلوح بذراعيه ويصيح عليه مستجديًا إياه أن يهبط: "اهبط يا ماكوات"، ولكن لم يبد أن أحدا قد سمعه لاسيما ماكوات، ثم تأوه يوساريان بصوت عالٍ حينما استدار ماكوات ثانية وقام بصدم طائرته بالجبل.

وقد أصيب الكولونيل كاثكارت بحزن شديد لموت كل من كيد سامبسون وماكوات حتى إنه قام برفع عدد المهام إلى خمس وستين مهمة!

السيدة دانيكا

وحينما علم الكولونيل كاثكارت أن الطبيب دانيكا قد لقى حتفه كذلك فى طائرة ماكوات، رفع عدد المهام إلى سبعين!

وأول من اكتشف بالسرية أن الطبيب دانيكا قد مات هو الرقيب تاوزر، والذى أخبره الرجل فى برج القيادة بأن اسم الطبيب دانيكا كان مسجلاً فى قائمة ركاب طائرة ماكوات. وقد مسح الرقيب تاوزر دمعة من فوق وجنته وشطب اسم الطبيب دانيكا من قائمة أسماء الضباط الخاصة بالسرية، وبينما كانت شفتاه لاتزالان ترتعدان نهض وسار بإجهاد للخارج ليعلن الخبر لكل من جاس وويس وهو يتجنب فى تصرف يدل على الحصافة الانخراط فى أى حوار مع الطبيب دانيكا نفسه أثناء مروره أمام جسد جراح السرية الكئيب الجاثم فوق مقعده تحت أشعة شمس فى فترة بعد الظهيرة بين غرفة التعليمات والخيمة الطبية. انقبض قلب الرقيب تاوزر؛ فهو الآن لديه رجلان ميتان ـ ماد، الرجل الميت فى خيمة يوساريان والذى ليس مفترضًا أن يكون هناك، والطبيب دانيكا الرجل الميت الجديد فى السرية والذى كان موجودًا هناك بدون شك ويثبت بكل ما أوتى من قوة أنه يشكل مشكلة إدارية بالنسبة له.

وقد أنصت كل من جاس وويس إلى الرقيب تاوزر فى دهشة باردة ولم ينطقا بكلمة عن موته لأحد آخر حتى أتى الطبيب دانيكا نفسه بعد حوالى ساعة لقياس درجة حرارته للمرة الثالثة فى هذا اليوم وتفحص ضغط دمه، وقد سجل الترمومتر درجة تقل بنصف درجة عن درجة حرارته الأقل من السوية المعتادة والتى تقدر بـ ٩٦,٨. شعر الطبيب دانيكا بالذعر، وكانت نظرات مجنديه الثابتة الحمقاء أكثر إزعاجًا من ذى قبل.

عنفهما فى أدب فى سخط بالغ: "اللعنة. ماذا بكما أيها الرجلان؟ ليس من المفترض لأى شخص أن تكون درجة حرارته منخفضة طوال الوقت ويسير بأنف مسدود". زمجر الطبيب دانيكا بكآبة وشفقة على الذات وسار فى أسى عبر الخيمة ليجلب لنفسه بعض الأسبرين وأقراص الكبريت ولطلاء حلقه بالأرجيرول. كان وجهه الكئيب بائسًا وحزينًا مثل وجه طائر السنونو وقام بحك مؤخرة ذراعيه بشكل إيقاعى. "انظرا إلى أى مدى أشعر بالبرد الآن. إنكما لا تخفيان عنى شيئًا،

أليس كذلك؟".

قال أحد المجندين: "أنت ميت يا سيدى".

رفع الطبيب دانيكا رأسه لأعلى بسرعة فى عدم ثقة يشوبه الاستياء: "ما معنى هذا؟".

كرر الآخر: "أنت ميت يا سيدى، وهذا هو السبب على الأرجح الذى يجعلك تشعر ببرودة شديدة".

"هذا صحيح يا سيدى. أنت فى الغالب كنت ميتًا طوال هذا الوقت ونحن فقط لم نتمكن من اكتشاف ذلك".

صاح الطبيب دانيكا وهو يساوره شعور متزايد ومؤلم باقتراب كارثة ما: "ما الذى تتحدثان عنه؟".

قال أحد المجندين: "هذا صحيح يا سيدى. تشير السجلات إلى أنك قد حلقت مع ماكوات فى طائرته لقضاء بعض الوقت على الطائرة، وأنت لم تهبط بالباراشوت، لذا فلابد أنك قد لقيت حتفك فى الانفجار".

قال الآخر: "هذا صحيح يا سيدى. لابد أن تكون ممتنًا لأن لك درجة حرارة فى الأساس".

كان الطبيب دانيكا مرتبكًا للغاية. سأل: "هل جن جنونكما؟ أنا سوف أقوم بإبلاغ الرقيب تاوزر بواقعة التمرد هذه".

قال إما جاس أو ويس: "إن الرقيب تاوزر هو من أخبرنا بهذا. إن وزارة الدفاع سوف تقوم بإرسال خطاب إلى زوجتك لتخبرها بوفاتك".

صرخ الطبيب دانيكا وغادر الخيمة مسرعًا للتحدث إلى الرقيب تاوزر والذى ابتعد عنه فى اشمئزاز ونفور ونصحه بأن يظل بعيدًا عن الأنظار قدر الإمكان حتى يتم التوصل إلى قرار بشأن التخلص من رفاته.

قال أحد مجنديه بصوت خفيض وحزين: "يا إلهى، أعتقد أنه قد مات بالفعل. أنا سوف أفتقده. لقد كان شخصًا رائعًا حقًا، أليس كذلك؟".

قال الآخر فى أسى: "نعم، هذا صحيح. ولكننى سعيد أن ذلك اللعين قد مات؛ فقد تعبت وسئمت من قياس ضغط دمه طوال الوقت".

ولم تكن السيدة دانيكا - زوجة الطبيب دانيكا - سعيدة لأن الطبيب دانيكا قد مات وأخذت تتأوه فى حزن فى ليل جزيرة ستاتن الهادئ حينما علمت عن طريق التلغراف الذى أرسلته لها وزارة الدفاع أن زوجها قد مات فى الاشتباكات الحربية. وقد أتت النساء لمواساتها واتصل أزواجهن لتعزيتها وتمنوا من داخلهم لو تنتقل سريعًا إلى حى آخر كى تعفيهم من الاضطرار المستمر للتعبير عن تعاطفهم وأسفهم. ظلت المرأة المسكينة مذهولة طوال أسبوع كامل، وببطء وبشكل

بطولى وجدت القوة للتفكير فى مستقبل زاخر بالمشكلات الرهيبة لها ولأطفالها. وفى الوقت الذى استسلمت فيه لخسارتها رن رجل البريد جرس المنزل حاملاً مفاجأة مذهلة ـ خطابا جاء من عبر البحار والذى كان يحمل توقيع زوجها الذى استحثها فى اهتياج على أن تغض الطرف عن أية أخبار سيئة تصلها بشأنه. كانت السيدة دانيكا مصعوقة. كان التاريخ على الخطاب غير مقروء. وقد كان خط اليد بالخطاب مهتزا وسريعا ولكن الأسلوب كان مشابها لأسلوب زوجها وكانت نبرة الحزن والشفقة على الذات مألوفة على الرغم من أنها كانت أكثر كآبة من المعتاد. شعرت السيدة دانيكا بسعادة غامرة وبكت وهى تشعر بالراحة وأخذت فى تقبيل الخطاب المجعد ألف مرة. أرسلت خطابا إلى زوجها تستحثه فيه على إحاطتها علما بالتفاصيل وبعثت تلغرافا لوزارة الدفاع لتخبرها بالخطأ الذى ارتكبته. وقد ردت عليها الوزارة قائلة إنه ليس هناك خطأ وأنها كانت بدون شك ضحية مزور معتوه فى سرية زوجها، وقد عاد إليها الخطاب الذى أرسلته إلى زوجها غير مفتوح ومختوم بعبارة: "لقى حتفه فى الاشتباكات الحربية".

ترملت السيدة دانيكا بقسوة مرة أخرى، ولكن فى هذه المرة كان حزنها أقل وطأة بعض الشىء بفعل الإخطار الذى أرسلته لها واشنطن لتخبرها فيه بأنها المستفيدة الوحيدة من مبلغ التأمين الخاص بزوجها والذى يقدر بـ ١٠٠,٠٠٠ دولار، والذى بإمكانها الحصول عليه وقتما تشاء؛ فإدراكها أنها وأطفالها لن يجوعوا رسم ابتسامة شجاعة على وجهها وكان بمثابة نقطة التحول فى فترة حدادها. وقد أخبرتها هيئة المحاربين القدماء بريديا فى اليوم التالى مباشرة بأنها ستتلقى معاشا طوال حياتها بسبب موت زوجها، بالإضافة إلى علاوة دفن تقدر بخمسين دولارا، وكان مرفقا مع الخطاب شيك حكومى بقيمة ٢٥٠ دولارا. وبالتدريج ازدهر وضعها المادى. وقد وصلها خطاب آخر فى نفس هذا الأسبوع من هيئة التأمينات الاجتماعية يخبرها بأنه وفقا لما ينص عليه القانون الخاص بكبار السن والناجين لعام ١٩٣٥، فإنها ستتلقى دعما شهريا من أجلها هى وأطفالها القصر حتى يصلوا إلى سن الثامنة عشرة، بالإضافة إلى علاوة دفن تقدر بـ ٢٥٠ دولارا . وباستخدام هذه الخطابات كإثبات على وفاته قامت بصرف ثلاث بوليصات تأمين كان الطبيب دانيكا قد قام بشرائها والتى تقدر قيمة الواحدة بـ ٥٠,٠٠٠ دولار؛ وقد تم تلبية طلبها على الفور. وكل يوم كان يجلب معه ثروات غير متوقعة؛ فقد قادها مفتاح صندوق فى مصرف إلى بوليصة تأمين رابعة قيمتها ٥,٠٠٠ دولار، وإلى مبلغ نقدى بقيمة ١٨,٠٠٠ دولار والذى لم يتم دفع أية ضرائب عليه ولا يستلزم دفع أية ضرائب بعد ذلك، وقد منحتها إحدى المنظمات الأخوية قطعة أرض لتحولها إلى جبانة، وقد أرسلت لها منظمة أخوية ثانية ـ والتى كان عضوا بها كذلك ـ علاوة

دفن بقيمة ٢٥٠ دولارًا.

وقد بدأ أزواج أعز صديقاتها يتوددون إليها. وقد كانت السيدة دانيكا سعيدة بالطريقة التى آلت بها الأمور وقامت بصبغ شعرها؛ فقد شرعت ثروتها الضخمة فى التضاعف وكان عليها أن تذكر نفسها يوميًا بأن مئات الآلاف من الدولارات التى حصلت عليها ليس لها أدنى قيمة طالما أن زوجها ليس معها لمشاركة هذه الثروة معها، وقد أذهلها أن الكثير من المنظمات المختلفة كانت على أتم استعداد أن تبذل قصارى جهدها لدفن الطبيب دانيكا والذى كان - فى بيانوسا - يلاقى صعوبة فى الحفاظ على عقله من الجنون ويتساءل عن السبب الذى لم يجعل زوجته ترد على الخطاب الذى أرسله لها.

لقد وجد نفسه منبوذًا فى السرية من قبل رجال أخذوا يدنسون ذكراه لقيامه بتوفير ذريعة للكولونيل كاثكارت لرفع عدد المهام الحربية. وقد كانت السجلات التى تصدق على وفاته تحتشد مثل بيض الحشرات وتصدق على صحة بعضها البعض. لم يكترث كثيرًا لحصص الطعام التى تم إلغاؤها واعتمد للبقاء على قيد الحياة على المعونات التى يتلقاها من الرقيب تاوزر ومايلو اللذين كانا يعلمان أنه ميت، وقد رفض الكولونيل كاثكارت رؤيته، وأرسل المقدم كورن رسالة مع الرائد دانبى تفيد بأنه سوف يحرق الطبيب دانيكا فى مكانه إن أتى إلى مقر رئاسة الوحدة العسكرية، وقد أخبره الرائد دانبى بأن الوحدة تعج بالكثير من الجراحين العسكريين بسبب الطبيب ستابس - الجراح ذى الشعر الكثيف والذقن المتدلية والقذر فى سرية دونبار - والذى قام على نحو متعمد وجرىء بإحداث خلاف هناك عن طريق إعفاء جميع الرجال ممن أنهوا ستين مهمة، وملأ وثائق بذلك والتى رفضتها الوحدة وأصدرت قراراً بإعادة الطيارين والملاحين والمدفعيين المرتبكين للخدمة. كانت الحالة المعنوية هناك فى تدهور سريع وقد تم وضع دونبار تحت الملاحظة؛ فقد كانت الوحدة سعيدة بمقتل الطبيب دانيكا ولم تنو طلب بديل له.

ولا حتى رجل الدين كان بإمكانه إعادة الطبيب دانيكا للحياة ثانية فى ظل مثل هذه الظروف، وقد تحول الذعر إلى عزلة وأصبح الطبيب دانيكا يشبه أكثر وأكثر أحد القوارض المريضة، وقد أصبحت الأكياس الموجودة أسفل عينيه جوفاء وسوداء، وأصبح يسير عبر الظلال دون جدوى مثل شبح مخيف، وحتى النقيب فلوم تراجع حينما لجأ إليه الطبيب دانيكا فى الغابة طالبًا مساعدته، وبقسوة شديدة قام كل من جاس وويس بطرده من الخيمة الطبية دون إعطائه ترمومترًا، وفى ذلك الحين - وفقط فى ذلك الحين - أدرك أنه حقًا ميت وأنه ينبغى عليه التصرف بسرعة إن كان يرغب فى إنقاذ نفسه.

ولم يكن هناك أحد آخر يمكنه اللجوء إليه فيما عدا زوجته، وقام بكتابة خطاب

عاطفى لها يستجديها فيه بأن تبلغ الإدارة الحربية بالورطة الواقع فيها وتتصل على الفور بالكولونيل كاثكارت قائد الوحدة ليؤكد لها ـ بغض النظر عن أى شىء آخر سمعته ـ أن زوجها الطبيب دانيكا هو الذى يستجديها للقيام بذلك وليس أى محتال آخر، وقد أصيبت السيدة دانيكا بالذهول من كم المشاعر التى تغلف تلك المناشدة غير المقروءة تقريبًا، وقد شعرت بتأنيب الضمير وكانت على وشك الإذعان ولكنها تلقت خطابًا آخر فى نفس هذا اليوم من الكولونيل كاثكارت قائد الوحدة والذى قال لها فيه:

عزيزى، عزيزتى، السيد، السيدة، الآنسة أو السيد والسيدة دانيكا:

إن الكلمات لا يمكن لها أن تعبر عن الحزن الشخصى العميق الذى شعرت به حينما لقى زوجك أو ابنك أو والدك أو أخوك مصرعه أو تعرض للإصابة أو فقد أثناء الاشتباكات الحربية.

وقد انتقلت السيدة دانيكا هى وأطفالها إلى لانسينج فى ميتشيجان دون أن تترك عنوانًا لها.

٣٢
زملاء غرفة يويو

كان يوساريان يشعر بالدفء حينما حل فصل الشتاء وظهرت السحب التى تتخذ شكل الحوت على ارتفاع منخفض خلال السماء الإردوازية الرمادية بدون نهاية تقريبًا مثل الأسراب الحديدية الداكنة المزعجة للمقاتلات الحربية بى-١٧ وبى-٢٤ الآتية من القواعد الجوية فى إيطاليا فى يوم الغزو على جنوب فرنسا منذ شهرين، وقد كان جميع من فى السرية يعلم أن ساقى كيد سامبسون الهزيلتين قد انجرفتا لتستقر فوق الرمال الرطبة وتتعفنا هناك. ولم يذهب أحد لأخذهما من هناك، ولا حتى جاس أو ويس أو الرجال بمستودع الجثث فى المستشفى؛ وقد تظاهر الجميع بأن ساقى كيد سامبسون لم تكونا هناك، وأنهما قد انجرفتا جنوبًا مع المد للأبد مثل جثتى كليفنجر وأور، والآن بعد وصول النبأ السيئ لم يعد أحد يتسلل وحده لإلقاء نظرة بين الشجيرات.

ولم تعد هناك أيام جميلة. ولم تعد هناك مهام سهلة. كانت هناك فقط الأمطار والضباب الكئيب وكان الرجال يخرجون فى إجازات مدتها أسبوع حينما يكون الجو صافيًا، وأثناء الليل كانت الريح تصفر بالمكان، وكانت جذوع الأشجار كثيرة العقد والمتوقفة عن النمو تقعقع وتصلصل وترغم يوساريان فى كل صباح ـ حتى قبل أن يستيقظ بشكل كامل ـ على التفكير فى ساقى كيد سامبسون الهزيلتين وهما تنتفخان وتتعفنان بشكل تدريجى فى الأمطار الباردة والرمال الرطبة خلال ليالى شهر أكتوبر المظلمة والباردة والعاصفة، وبعد ساقى كيد سامبسون كان يفكر فى سنودين المسكين الذى تجمد حتى الموت فى القسم الخلفى من الطائرة وهو يحتفظ بسره الخالد الثابت داخل حُلته الواقية المصفحة حتى انتهى يوساريان من تعقيم وتضميد الجرح الخاطئ بساقه إلى أن قام بعد ذلك بسكبه فجأة على الأرض. وفى الليل حينما كان يحاول النوم، كان يوساريان يتذكر قائمة جميع الرجال والنساء والأطفال الذين سبق له معرفتهم والذين هم فى عداد الأموات الآن. حاول تذكر كل الجنود، وقام بإحياء صور لجميع العجائز الذين عرفهم حينما كان طفلاً ـ جميع العمات والخالات والأعمام والأخوال والجيران والآباء والجدود ـ سواء ذووه أو ذوو الأشخاص الآخرين ـ وكل أصحاب المتاجر المثيرين للشفقة المضللين الذين كانوا يفتحون محلاتهم الصغيرة التى يغطيها الغبار فى الفجر ويظلون يعملون

بها بغباء حتى منتصف الليل. وقد كانوا جميعًا ميتين كذلك. لقد بدا أن عدد الموتى فى تزايد مستمر، وقد كان الألمان يستمرون فى المحاربة. لقد رأى أن الموت كان شيئاً متعذرًا إلغاؤه وبدأ يعتقد أنه سيخسر.

وقد كان يوساريان يشعر بالدفء حينما حل الشتاء بسبب موقد أور المذهل، كان ليمضى وقتًا طيباً فى خيمته الدافئة لولا ذكرى أور ولولا عصابة زملاء الغرفة المفعمة بالحيوية التى جاءت مندفعة بشكل مفترس فى أحد الأيام من بين الطاقمين المقاتلين الجديدين اللذين قام الكولونيل كاثكارت بإحضارهما فى أقل من أربع وعشرين ساعة كجنود تكميليين بدلاً من كيد سامبسون وماكوات. شهق يوساريان فى اعتراض شهقة طويلة وعالية حينما دخل الخيمة مجهدًا بعد إحدى المهام ليجدهم بالداخل بالفعل.

كان هناك أربعة منهم، وكانوا جميعًا يمضون وقتًا جيداً وهم يساعدون بعضهم البعض على إعداد أسرَّتهم. كانوا يمرحون بخشونة بالمكان. وفى اللحظة التى رآهم فيها أدرك يوساريان أنهم مستحيلو المعاشرة. كانوا مرحين ومتحمسين وكانوا جميعًا أصدقاء فى الولايات المتحدة. كانوا ببساطة غير محتملين؛ فقد كانوا فتية مزعجين ومسرفين فى الثقة وتافهين وفى الحادى والعشرين من العمر. كانوا قد ارتادوا الجامعة وكانوا خاطبين فتيات جميلات نظيفات كانت صورهن موضوعة بالفعل فوق رف المستوقد الأسمنتى لمدفأة أور. كانوا يركبون الزوارق البخارية السريعة ويلعبون التنس ويمتطون الخيل. وهم يعرفون نفس الأشخاص فى أماكن مختلفة من البلاد وذهبوا إلى المدرسة مع أولاد عمومة بعضهم البعض. كانوا يشاهدون مباريات دورى كرة القدم ويبدوون اهتمامًا بالغاً بمن فاز بمباريات كرة القدم. كانوا متبلدى الذهن، وكانت معنوياتهم مرتفعة، وقد كانوا سعداء لأن الحرب استمرت فترة طويلة بما فيه الكفاية كى يشتركوا بها ويكتشفوا ماذا يعنى القتال الحقيقى، وكانوا قد انتهوا من إفراغ نصف حقائبهم حينما طردهم يوساريان بالخارج.

شرح يوساريان بقسوة مؤكدًا أنهم غير محتملين ولن يبقوا معه للرقيب تاوزر والذى كان وجهه الشاحب قانطًا وهو يخبر يوساريان بأنه يتوجب عليه قبول إقامة الضباط الجدد معه؛ فلم يكن من الممكن السماح للرقيب تاوزر بالمطالبة بخيمة أخرى لستة أفراد من الوحدة فى حين أن يوساريان يقيم بخيمة كاملة وحده.

قال يوساريان فى عبوس: "أنا لا أعيش فى هذه الخيمة وحدى؛ فيوجد رجل ميت هنا معى اسمه ماد".

قال الرقيب تاوزر مستجديًا وهو يتنهد بضجر ويومئ جانبيًا للضباط الأربعة الجدد المرتبكين الذين ينصتون لحديثهما فى سكون يتخلله الذعر خارج المدخل:

"من فضلك يا سيدى. إن ماد لقى حتفه فى مهمة الأورفيتو. أنت تعلم هذا. لقد كان يطير إلى جوارك مباشرة".

"إذن لماذا لا تتخلص من متعلقاته التى توجد هنا؟".

"لأنه لم يأت إلى هنا قط. من فضلك يا أيها النقيب، لا تقم بإثارة هذا الموضوع مرة أخرى. يمكنك الانتقال للإقامة مع ناتلى إن كنت تود ذلك، وأنا سوف أرسل بعض الرجال من غرفة التعليمات لنقل أشيائك".

ولكن هجر خيمة أور كان يعنى هجر أور، والذى كان سيتعرض للازدراء والإذلال على يد هؤلاء الضباط الأربعة الساذجين المنتظرين الدخول؛ فلم يكن يبدو من العدل فى شىء أن يأتى هؤلاء الشباب غير الناضجين الصاخبين بعد إنجاز كل هذا العمل والإقامة بأفضل خيمة فى الجزيرة، ولكن كان هذا هو القانون كما شرح النقيب تاوزر، وكان كل ما يستطيع يوساريان فعله هو التحديق إليهم فى أسف مؤذٍ أثناء إفساح مكان لهم وإعطائهم ملاحظات نادمة ومساعدتهم أثناء اقتحامهم خصوصيته واحتلال خيمته.

لقد كانوا أكثر الأشخاص الذين عرفهم يوساريان كآبة. فكانت معنوياتهم مرتفعة دومًا. كانوا يضحكون على كل شىء، وقد كانوا يدعونه "يويو" كمزحة ويأتون وهم مترنحون سكرًا فى وقت متأخر من اليوم ويوقظونه وهم يحاولون الحفاظ على هدوئهم ثم يقذفونه بوابل من عبارات الألفة البلهاء حينما يجلس وهو يسب ويشكو، وقد كان يرغب فى ذبحهم فى كل مرة يفعلون فيها هذا. كانوا يذكرونه بأولاد شقيق الشخصية الكرتونية دونالد داك. كانوا يخافون من يوساريان ويضطهدونه باستمرار بكرمهم المزعج وإصرارهم الممل على إسداء خدمات صغيرة له. كانوا طائشين وصبيانيين وبديهيين وساذجين ووقحين ومراعين للآخرين وصعبى المراس. كانوا أغبياء؛ فلم يكونوا يشكون من شىء. كانوا معجبين بالكولونيل كاثكارت ويعتقدون أن المقدم كورن كان ذكيًا. كانوا يخشون يوساريان ولكنهم لم يكونوا خائفين بالمرة من مهام الكولونيل كاثكارت السبعين. كانوا أربعة فتيان حسنى الشكل والذين كانوا يحظون بكثير من المتعة ويثيرون جنون يوساريان وهو لم يكن باستطاعته جعلهم يفهمون أنه رجل رجعى عجوز ذو نزوات وأفكار غريبة يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا والذى ينتمى لجيل آخر، لعهد آخر، لعالم آخر، والذى كان قضاء وقت ممتع شيئًا يشعره بالضجر ولا يستحق حتى المحاولة، وأنهم كانوا يشعرونه بالضجر أيضًا. لم يكن باستطاعته جعلهم يغلقون أفواههم؛ كانوا أسوأ من النساء. إنهم لم يمتلكوا من العقل ما يجعلهم انطوائيين ومكبوتين.

وقد بدأ أصدقاؤهم الحميمون من السرايا الأخرى يأتون إليهم فى غير خجل

ويستخدمون الخيمة كمكان للتسكع، ولم يكن هناك فى العادة مكان له. والأسوأ من كل ذلك أنه لم يعد فى إمكانه جلب الممرضة داكيت إلى الخيمة، والآن وبعد حلول هذا الطقس الغبى ليس لديهم مكان آخر للذهاب إليه كذلك! ولم تكن مثل هذه الورطة فى الحسبان إطلاقا، وقد أراد فتح رءوس زملائه بالغرفة بقبضتيه أو رفعهم ـ كل فى دوره ـ من أحزمة سراويلهم ومؤخرة أعناقهم وإلقاءهم للأبد داخل الأعشاب الضارة الرطبة المطاطية المعمرة التى تنمو بين مبولته الصدئة ذات الثقوب بقاعها ومرحاض السرية الذى يقف مثل الخزانة على مسافة ليست ببعيدة.

وبدلا من فتح رءوسهم قام بالسير بثقل وهو يرتدى حذاءه المطاطى ومعطف المطر الأسود الخاص به عبر الظلام ورذاذ الأمطار لدعوة المقدم وايت هلفوت للانتقال للإقامة معه وطرد هؤلاء الأوغاد النبقين النظيفين بتهديداته وعاداته البهيمية، ولكن المقدم وايت هلفوت كان يشعر بالبرد وأعد خططا بالفعل للانتقال إلى المستشفى للموت إثر الإصابة بالتهاب رئوى؛ فقد أخبرت الغريزة المقدم وايت هلفوت أن الوقت قد حان. فكان صدره يؤلمه وكان يسعل باستمرار. ولم يعد الشراب يشعره بالدفء، والأسوأ من كل ذلك أن النقيب فلوم قد عاد إلى مقطورته. لقد كان ذلك فألا سيئا ذا معنى لا سبيل لإخطاء فهمه.

قال يوساريان فى محاولة عقيمة لبث المرح فى الهندى عريض الصدر المكتئب والذى تحول لون وجهه الذى كان فى السابق أسمر محمرًا سريعًا إلى لون رمادى جيرى: "كان لابد له من العودة؛ فهو كان ليلقى حتفه إن ظل يعيش بالغابة بالعراء فى مثل هذا الطقس".

خالفه المقدم وايت هلفوت الرأى بعناد: "لا، ليس هذا هو السبب الذى جعل هذا الأحمق يعود". نقر على جبهته وكأن فكرة سرية قد واتته. "لا يا سيدى. إنه يعلم شيئًا. إنه يعلم أنه قد حان وقت موتى إثر إصابتى بالتهاب رئوى، هذا هو ما يعلمه. وهذا هو الذى جعلنى أعرف أن نهايتى قد حلت".

"ماذا يقول الطبيب دانيكا؟".

قال الطبيب دانيكا من مقعده فى الظلال فى أحد الأركان بينما يبدو وجهه الصغير والطويل النحيف أخضر مثل السلاحف فى ضوء الشمعة المترقرق: "ليس من المسموح لى أن أقول أى شىء". كان كل شىء تصدر منه رائحة العفن، وقد كان المصباح فى الخيمة قد انفجر منذ عدة أيام مضت ولم يمتلك أى من الرجلين المبادرة الكافية لاستبداله. أضاف الطبيب دانيكا: "ليس من المسموح لى ممارسة الطب بعد الآن".

قال المقدم وايت هلفوت وهو يضحك فى بهجة بينما يمتلئ فمه بالبلغم: "إنه

ميت. هذا مضحك حقًا".

"أنا لم أعد أحصل على راتبى".

كرر المقدم وايت هلفوت كلامه: "هذا مضحك حقًا. طوال هذا الوقت وهو يهين منشئى وانظر ماذا حدث له. إنه ميت. قتله جشعه".

قال الطبيب دانيكا بهدوء: "ليس هذا هو ما قتلنى. ليس هناك ما يعيب الجشع. إن كل ذلك بسبب خطأ الطبيب ستابس والذى أثار حنق كل من الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن من الجراحين الحربيين. إنه سوف يَصمُ مهنة الطب بسمعة سيئة عن طريق دفاعه عن المبادئ؛ فإن لم يتوخ الحرص فإن المنظمة الطبية سوف تصوت ضده وتقاطعه وتمنعه من العمل فى المستشفيات".

أخذ يوساريان يراقب المقدم وايت هلفوت وهو يصب الشراب بحرص داخل ثلاث زجاجات شامبو فارغة ويخزنها فى حقيبة الظهر التى كان يحزمها.

قال يوساريان: "ألا يمكنك التوقف عند خيمتى بطريقك إلى المستشفى ولكم واحد منهم فى أنفه من أجلى؟ إن لدى أربعة منهم وهم سوف يرغموننى على ترك الخيمة كلها لهم".

قال المقدم وايت هلفوت فى بهجة وهو يتكئ للخلف على الفراش ضاحكا: "لقد حدث شىء مثل هذا ذات مرة لقبيلتى بأكملها. لماذا لا تطلب من النقيب بلاك طرد هؤلاء الفتية؟ إن النقيب بلاك يحب طرد الآخرين".

كشر يوساريان فى تجهم لمجرد ذكر النقيب بلاك والذى كان يقوم بالفعل بالاستئساد على الملاحين الجويين فى كل مرة يدخلون فيها خيمة الاستخبارات للحصول على خرائط أو معلومات، وقد رق قلب يوساريان ناحية زملاء غرفته وشعر بضرورة حمايته لهم من النقيب بلاك؛ فلم يكن خطؤهم أنهم كانوا يافعين ومرحين، هكذا كان يوساريان يحدث نفسه أثناء حمله للشعلة ذات الضوء المترقرق فى طريق عودته عبر الظلام. وقد تمنى لو كان يافعًا مرحًا مثلهم. ولم يكن خطؤهم كذلك أنهم كانوا شجعانًا وواثقين ومتحررين من الهموم. وعليه فقط أن يكون صبورًا معهم حتى يُقتل واحدٌ أو اثنان منهم ويصاب الباقون بجروح، ففى ذلك الحين فقط سيكونون على ما يرام، وقد تعهد على نفسه بأن يكون أكثر احتمالاً وكرمًا، ولكنه حينما ولج داخل خيمته بسلوكه الودود الجديد رأى وهجًا أصفر هائلاً يزأر داخل المدفأة فشهق فى ذهول وذعر. كانت أخشاب التبولا الجميلة الخاصة بأور تشتعل! لقد أضرم فيها زملاؤه بالغرفة النار! حملق فى الوجوه الأربعة منعدمة الإحساس مفرطة الدفء وأراد سبهم. أراد ضرب رءوسهم فى بعضها البعض أثناء تحيتهم له بعبارات مرحة ودعوتهم الكريمة له بأن يجلب مقعدًا ويأكل معهم الجوز والبطاطس المشوية. ماذا يمكنه أن يفعل معهم؟

وفى صباح اليوم التالى مباشرة تخلصوا من الرجل الميت فى خيمته! فقط بهذه البساطة قاموا بكنسه إلى الخارج! فقد حملوا سريره وكل متعلقاته وألقوا بها بين الشجيرات، ثم عادوا وهم ينفضون أيديهم وكأنهم قد نجحوا لتوهم فى إنجاز إحدى المهام، وقد كان يوساريان مصعوقًا من حماستهم وقوتهم، من كفاءتهم العملية والمباشرة؛ ففى خلال لحظات قاموا بتقرير مصير مشكلة ظل كل من يوساريان والرقيب تاوزر يتصارعان بشأنها دون نجاح طوال أشهر. كان يوساريان مذعورًا - فهم قد يتخلصون منه بنفس هذه السرعة - وركض إلى هنجرى جو وطار معه إلى روما، كان ذلك هو اليوم السابق لتمتع فتاة ناتلى أخيرًا بليلة من النوم الهانئ والاستيقاظ وهى واقعة فى الحب.

٣٣

فتاة ناتلى

لقد افتقد الممرضة داكيت فى روما؛ فهو لم يكن لديه الكثير ليفعله بعد أن تركه هنجرى جو لتنفيذ جولته البريدية، وقد افتقد يوساريان الممرضة داكيت كثيرًا حتى إنه خرج فى نهم بالشوارع ليبحث عن لوشيانا ـ والتى لم ينس ضحكتها أو ندبتها غير المرئية قط ـ أو المرأة الفاسقة الثملة الشعثاء ذات العينين الغائمتين والتى كانت ترتدى قميصًا برتقاليًا من الساتان والتى قام آرفى بإلقاء خاتمها ذى الحجر الكريم ذى النقش البارز من نافذة سيارتها. كم كان مشتاقًا لكلتا الفتاتين! أخذ يبحث عنهما فى كل مكان دون جدوى. كان هائمًا فى حبهما، وقد علم أنه لن يرى أيًا منهما قط بعد ذلك. بدأ اليأس يتملك منه وبدأت الرؤى تؤرقه. لقد أراد الممرضة داكيت بشدة. قام بضرب امرأة بغى نحيفة تسعل بشكل رطب والتى التقطته فى أحد الأزقة بين الموتيلات، ولكن ذلك لم يكن ممتعًا على الإطلاق، فقام بالإسراع إلى شقة المجندين من أجل الخادمة البدينة الودودة ذات السروال التحتى جيرى اللون والتى كانت سعيدة لرؤيته لكنه لم يشعر بالسعادة. ذهب إلى الفراش فى وقت مبكر ونام وحده. استيقظ محبطًا وضرب فتاة وقحة قصيرة بدينة وجدها فى الشقة بعد الإفطار، ولكن ذلك لم يبث فيه سوى قليل من الراحة، لذا قام بمطاردتها إلى الخارج وذهب لينام ثانية. ظل نائمًا حتى الغداء وبعد ذلك ذهب لشراء هدايا من أجل الممرضة داكيت ووشاح من أجل الخادمة ذات السروال التحتى الجيرى والتى احتضنته فى امتنان بالغ جعله يفتقد الممرضة داكيت مرة أخرى ويركض بحثًا عن لوشيانا، لكنه بدلاً من ذلك وجد آرفى والذى أتى إلى روما حينما عاد هنجرى جو وناتلى ودوبس والذى رفض الانضمام إلى غزوة إنقاذ فتاة ناتلى من مجموعة الرجال الثملين العسكريين متوسطى العمر الذين احتجزوها كأسيرة فى أحد الفنادق لرفضها أن تقول "عم" فى هذه الليلة.

سأل آرفى فى غطرسة: "لماذا قد أخاطر بإيقاع نفسى فى مشكلة لإنقاذها؟ ولكن لا تخبروا ناتلى بأننى قلت هذا. أخبروه أن لدى موعدًا مهمًا للغاية مع بعض الجماعات الأخوية".

لقد رفض الرجال متوسطو العمر العسكريون ترك فتاة ناتلى ترحل دون أن تقول "عم".

قالوا لها: "قولى عم".

قالت "عم".

"لا، لا. قولى عم".

قالت: "عم".

"إنها مازالت لا تفهم".

"إنك مازلت لا تفهمين، أليس كذلك؟ إننا لا نستطيع فى الواقع جعلك تقولين عم إلا إذا كنت لا ترغبين حقًا فى أن تقولى عم. ألا تفهمين؟ لا تقولى عم حينما أطلب منك أن تقولى عم. حسنًا؟ قولى عم".

قالت: "عم".

"لا، لا تقولى عم. قولى عم".

لم تقل عم.

"هذا جيد!".

"هذا جيد جدًا".

"تلك بداية جيدة. الآن قولى عم".

قالت: "عم".

"لا، هذا ليس جيدًا. إنها فقط ليست منبهرة بنا. ليس هناك أية متعة فى جعلها تقول عم فى حين أنها ليست مكترثة إن قمنا بإرغامها على قول عم أو لا".

"لا، إنها حقًا غير مكترثة، أليس كذلك؟ قولى قدم".

"قدم".

"أرأيت؟ إنها لا تهتم بأى شىء نقوم به. إنها لا تكترث بنا. إننا لا نعنى شيئاً لك، أليس كذلك؟".

قالت: "عم".

إنها لم تكترث لهم على الإطلاق وهذا ضايقهم بشدة. كانوا يهزونها بشدة فى كل مرة تتثاءب فيها. بدت أنها غير مهتمة بأى شىء على الإطلاق، ولا حتى حينما هددوها بإلقائها خارج النافذة. كانوا رجالاً متميزين وفاسدى الأخلاق. كانت تشعر بالضجر واللامبالاة وأرادت بشدة أن تنام؛ فهى تعمل منذ اثنتين وعشرين ساعة، وكانت تشعر بالأسف لأن هؤلاء الرجال لم يسمحوا لها بالمغادرة مع الفتاتين الأخريين اللتين جاءت معهما. وقد تساءلت فى غموض لماذا كانوا يريدون منها أن تضحك حينما كانوا يضحكون. كان كل ما يحدث بدا مبهمًا بالنسبة لها وغير مثير بالمرة.

لم تكن تعرف ما يريدون منها، ففى كل مرة كانت تسقط فجأة بعد أن تغلق عينيها يقومون بهزها لإيقاظها وجعلها تقول "عم" مرة أخرى، وفى كل مرة كانت

تقول "عم" كانوا يصابون بالإحباط ثانية، وكانت تتساءل ماذا تعنى كلمة "عم". جلست على الأريكة فى سبات بارد وهى تفتح فمها وتتساءل إلى متى سيظلون جالسين حولها ويرغمونها على أن تقول كلمة "عم" فى جناح الفندق الفخم هذا والتى قادت صديقة أور القديمة ناتلى وأعضاء فرقة الإنقاذ الآخرين إليه.

دخل كل من دونبار ويوساريان وفتاة أور القديمة وناتلى غرفة الجلوس الزرقاء حيث شرع دونبار فى إلقاء كل شىء من النافذة بالساحة بأسفل. وكان دوبس يحطم الأثاث باستخدام حامل الرماد، وقد ظهر رجل سخيف غير محتشم لديه ندبة حمراء نتيجة استئصال الزائدة فجأة عند المدخل وجأر:

"ما الذى يحدث هنا؟".

قال له دونبار: "إن أصابع قدميك قذرة".

غطى الرجل أربيته بكلتا يديه واختفى، وقد استمر دونبار ودوبس وهنجرى جو فى إلقاء كل شىء يستطيعون رفعه من النافذة وهم يصيحون فى نشوة. وسرعان ما انتهوا من الملابس على المقاعد والأمتعة على الأرض وشرعوا فى تفتيش خزانة مصنوعة من خشب الأرز حينما انفتح الباب المؤدى إلى الغرفة الداخلية مرة أخرى وظهر رجل ذو مظهر مميز للغاية فى غطرسة وكانت قدماه عاريتين.

صاح قائلاً: "أنت، توقف عن هذا. ما الذى تعتقدون أنكم تفعلونه؟".

قال له دونبار: "إن أصابع قدميك قذرة".

غطى الرجل أربيته تمامًا كما فعل الأول واختفى. ذهب ناتلى وراءه ولكن اعترض طريقه الضابط الأول والذى عاد وهو يضع وسادة أمامه مثل أحد الراقصين.

صاح فى غضب: "أنتم أيها الرجال! توقفوا عن هذا!".

قال دونبار: "توقف عن هذا".

"هذا هو ما قلته".

قال دونبار: "هذا هو ما قلته".

ضرب الضابط الأرض بقدمه بوقاحة وهو يزداد ضعفًا من فرط الإحباط: "هل تكرر كل شىء أقوله؟".

"هل تكرر كل شىء أقوله؟".

"سوف أضربك". قالها الرجل ثم رفع قبضته.

هدده دونبار فى برود: "سوف أضربك. أنت جاسوس ألمانى وسوف أجعلهم يقتلونك رميًا بالرصاص".

"جاسوس ألمانى؟ أنا كولونيل أمريكى".

"أنت لا تبدو مثل كولونيل أمريكى. أنت تبدو مثل رجل بدين يضع وسادة

أمامه. أين حُلتك العسكرية إن كنت كولونيلاً أمريكيًا؟".

"لقد قمت بإلقائها لتوك من النافذة".

قال دونبار: "حسنًا أيها الرجال قيدوا هذا الوغد السخيف. خذوا الوغد السخيف إلى مخفر الشرطة وألقوا المفتاح".

شحب وجه الكولونيل فزعًا: "هل جننتم؟ أين شاراتكم؟ أنت! عد إلى هنا!".

ولكنه اندفع متأخرًا لإيقاف ناتلى الذى لمح فتاته تجلس على الأريكة فى الغرفة الأخرى وانطلق عبر المدخل خلف ظهره. اندفع الآخرون وراءه ليجدوا أنفسهم واقفين وسط الرجال الثملين غير المحتشمين الآخرين. ضحك هنجرى جو فى هيستيريا حينما رآهم آخذًا فى الإشارة إلى واحد تلو الآخر وهو يضرب رأسه وجانبيه. تقدم رجلان بدينان بوحشية ناحيته لكنهما توقفا حين رأيا نظرة المقت والعدوانية فى أعين دوبس ودونبار ولاحظا أن دوبس لايزال يؤرجح حامل الرماد الذى استخدمه لتحطيم الأثاث فى غرفة الجلوس مثل الهراوة. كان ناتلى يقف إلى جوار فتاته بالفعل. حدقت إليه دون أن تعرفه لبضع لحظات. بعد ذلك ابتسمت ابتسامة صغيرة وتركت رأسها تسقط على كتفه وأغلقت عينيها. شعر ناتلى بنشوة عارمة؛ فهى لم يسبق لها أن ابتسمت له قبل ذلك.

قال رجل هادئ هزيل يبدو منهكًا والذى لم يتحرك حتى من مقعده: "فليو. إنك لا تطيع التعليمات. لقد طلبت منك إخراجهم ولكنك خرجت وجلبتهم للداخل. ألا يمكنك رؤية الفارق؟".

"لقد قاموا بإلقاء أشيائنا من النافذة يا أيها الجنرال".

"إنهم بارعون حقًا. حُللنا العسكرية أيضًا؟ هذا عمل بارع. لن نستطيع قط إقناع أحد بأننا أعلى رتبة منه دون حُللنا العسكرية".

"دعنا نحصل على أسمائهم يا لو ثم...".

قال الرجل الهزيل فى ضجر: "استرخ يا نيد. قد تكون بارعًا فى قيادة الفرق العسكرية المسلحة، ولكنك عديم النفع فى المواقف الاجتماعية. إن آجلاً أم عاجلاً سوف نسترد حُللنا العسكرية وحينها سوف نفوقهم رتبة مرة أخرى. هل قاموا فعلاً بإلقاء حُللنا العسكرية خارج النافذة؟ هذا تكتيك مذهل حقًا".

"لقد قاموا بإلقاء كل شىء خارج النافذة".

"والحُلل التى فى الخزانة كذلك؟".

"لقد ألقوا بالخزانة ذاتها من النافذة أيها الجنرال. فذلك كان هو صوت التحطم الذى سمعناه حينما ظننا أنهم سيدخلون ليقتلونا".

قال دونبار مهددًا: "وسوف ألقيك أنت خارج النافذة كذلك".

شحب وجه الجنرال بعض الشىء. سأل يوساريان: "ما الذى يجعله غاضبًا

بهذه الطريقة؟".

قال يوساريان: "وهو يعنى ذلك أيضًا. لذا فمن الأفضل لك أن تترك الفتاة تذهب".

قال الجنرال وهو يشعر بالراحة: "يا إلهى، خذها. كل ما فعلته هو جعلنا نشعر بعدم الأمان. كان باستطاعتها على الأقل بغضنا والاستياء منا بالمائة دولار التى دفعناها لها، ولكنها لم تفعل ذلك حتى. إن صديقك الشاب الوسيم هناك يبدو مولعًا بها. انظر إلى الطريقة التى يربت بها عليها بينما يدعى أنه يساعدها على ارتداء ملابسها".

تورد وجه ناتلى شعورًا بالذنب بعد أن أدرك أنه تم ضبطه، وانتهى سريعًا من عملية مساعدتها على ارتداء ملابسها. كانت مستغرقة فى النوم وتتنفس بانتظام حتى إنها بدت تشخر برفق.

قال ضابط آخر: "دعنا نقتص منها الآن يا لو! إن لدينا المزيد من المستخدمين ونستطيع تطويق ـ".

قال الجنرال متنهدًا: "لا يا بيل. ربما تكون ماهرًا فى قيادة هجوم تحت طقس جيد على أرض مستوية ضد عدو سلم ذخيرته بالفعل ولكنك لا تستطيع التفكير بشكل صاف فى أى مكان آخر، ولماذا قد نود الاحتفاظ بها؟".

"أيها الجنرال إننا فى وضع استراتيجى سيئ للغاية. إنه ليس لدينا أية ملابس وسوف يشعر الشخص الذى يذهب لأسفل عبر الردهة لجلب بعض الملابس بالخزى والإحراج".

قال الجنرال: "نعم يا فليو، هذا صحيح. وهذا هو السبب فى أنك من سيقوم بهذا. اذهب الآن".

"بهذا الشكل يا سيدى؟".

"خذ وسادتك معك إن أردت. وأحضر بعض السجائر أيضًا أثناء وجودك بأسفل لتجلب لى ملابسى الداخلية وبنطالى، هلاَّ فعلت؟".

قال يوساريان: "سوف أرسل لك كل شىء إن أردت".

قال فليو بعد أن تنفس الصعداء: "أرأيت أيها الجنرال؟ الآن أنا لست مضطرًا للذهاب".

"فليو أيها المغفل. ألا ترى أنه يكذب؟".

"هل تكذب؟".

أومأ يوساريان، فتبددت ثقة فليبو. ضحك يوساريان وساعد ناتلى على مساعدة فتاته على السير داخل الرواق ثم داخل المصعد. كان وجهها يبتسم وكأنها ترى حلمًا سعيدًا وهى نائمة ولاتزال تضع رأسها على كتف ناتلى. ركض دوبس ودونبار

بالشارع لإيقاف سيارة أجرة.

نظرت فتاة ناتلى لأعلى حينما غادروا السيارة. ابتلعت لعابها بشكل جاف عدة مرات خلال الرحلة الشاقة فوق الدرجات إلى شقتها، ولكنها كانت قد نامت ثانية بحلول الوقت الذى وضعها فيه ناتلى فى فراشها. نامت طوال اثنتى عشرة ساعة فى حين قام ناتلى بالتحرك داخل أرجاء الشقة طوال صباح اليوم التالى لجعل الجميع يصمتون، وحينما استيقظت كانت غارقة فى حبه. وهذا هو كل ما تطلبه الأمر للفوز بقلبها ـ ليلة من النوم الهانئ.

ابتسمت الفتاة فى سعادة حينما فتحت عينيها ورأته، أمسكت بيده وجذبته نحوها. نظر إليها ناتلى فى سعادة حتى إنه لم يكترث لأختها الصغيرة التى قاطعتهما ثانية عن طريق الطيران داخل الغرفة والقفز فى الفراش بينهما. صفعتها فتاة ناتلى وسبتها ولكن وهى تضحك فى هذه المرة، وقد اتكأ ناتلى للخلف فى اعتداد بالنفس وهو يلف ذراعًا حول كل واحدة بينما يشعر بالقوة. فقد اعتقد أنهم يشكلون أسرة رائعة. وهو سوف يحرص على أن تذهب الفتاة الصغيرة إلى الجامعة حينما تكبر ـ سوف تلتحق بجامعة سميث أو رادكليف أو بريان ماور. قفز ناتلى من الفراش بعد بضع دقائق لإعلان ثروته الجديدة لأصدقائه بأعلى صوته. نادى عليهم فى بهجة كى يأتوا للغرفة وأغلق الباب فى وجوههم المذهولة فور وصولهم؛ فهو قد تذكر فى الوقت المناسب أن فتاته غير محتشمة.

أمرها وهو يهنئ نفسه على يقظته: "ارتدى ملابسك".

سألت فى فضول: "لماذا؟".

كرر فى سخط: "لماذا؟ لأننى لا أريدهم أن يروك غير محتشمة".

سألت: "ولم لا؟".

نظر إليها فى دهشة: "لم لا؟ لأنه لا ينبغى أن يراك الرجال الآخرون غير محتشمة، هذا هو السبب".

"لم لا؟".

انفجر ناتلى فى إحباط: "لأننى قلت هذا! الآن لا تجادلينى. أنا الرجل وعليك تنفيذ ما أقوله لك. من الآن فصاعدًا لا أريد منك الخروج من هذه الغرفة إلا وأنت مرتدية كامل ملابسك. هل هذا واضح؟".

نظرت إليه وكأنه مجنون: "هل أنت مجنون؟ هل تعنى ما تقوله؟".

"أنا أعنى كل كلمة أقولها".

صاحت به فى سخط وقفزت من الفراش: "أنت مجنون!". كانت تزمجر بشكل غير مفهوم واتجهت بسرعة ناحية الباب.

وقف ناتلى برجولة وقال: "أنا أمنعك من الخروج من الغرفة بهذا الشكل".

نظرت إليه بعدما خرجت وهى تهز رأسها فى عدم تصديق: "أنت مجنون! أيها الغبى! أنت وغد غير محتمل!".

قالت شقيقتها النحيفة الصغيرة وهى تخرج خلفها بينما تحاكى مشيتها المتغطرسة: "أنت مجنون".

أمرها ناتلى: "تعالى إلى هنا. أنا أمنعك من الخروج بهذا الشكل أيضًا!".

قالت له الشقيقة الصغرى بعد أن مرت أمامه: "أيها الغبى! أنت وغد غير محتمل".

ظل ناتلى مشتتًا ولا يدرى ماذا يفعل لعدة ثوان وبعد ذلك انطلق داخل غرفة الجلوس ليمنع أصدقاءه من النظر إليها أثناء قيامها بالشكوى منه.

سأل دونبار: "لمَ لا؟".

اندهش ناتلى: "لمَ لا؟ لأنها فتاتى الآن ولا يجب عليكم رؤيتها إلا إذا كانت محتشمة".

سأل دونبار: "لمَ لا؟".

قالت فتاته وهى تهز كتفيها: "أترى؟ إنه مجنون!".

قالت أختها الصغرى: "نعم، إنه مجنون تمامًا".

قال هنجرى جو: "إذن اجعلها ترتدى ملابسها إن كنت لا تريد منها رؤيتها بهذا الشكل. ماذا تريد منا؟".

اعترف ناتلى فى خجل: "إنها لا تطيع أوامرى. لذا فمن الآن فصاعدًا عليكم جميعًا إغلاق أعينكم أو الإشاحة بوجوهكم حينما تأتى على هذا الشكل. حسنًا؟".

صرخت فتاته فى سخط قبل أن تغادر الغرفة: "أنت مجنون!".

صاحت شقيقتها قبل أن تخرج وراءها: "مجنون!".

قال يوساريان فى هدوء: "إنه مجنون. لابد من الاعتراف بذلك".

سأل هنجرى جو ناتلى: "أنت، هل أنت مجنون أم ماذا؟ الشيء التالى الذى ستحاول فعله هو منعها من ممارسة الفاحشة".

قال ناتلى لفتاته: "من الآن فصاعدًا أمنعك من ممارسة الفاحشة".

سألت فى فضول: "لماذا؟".

صرخ فى دهشة: "لماذا. لأن ذلك ليس لطيفًا. هذا هو السبب!".

"لمَ لا؟".

أصر ناتلى: "لأنه فقط ليس لطيفًا! فلا يجب على فتاة مثلك أن تبحث عن رجال لكى تقيم علاقة معهم. سوف أعطيك كل المال الذى تحتاجين إليه حتى لا تضطرى لممارسة الفاحشة ثانية".

"وماذا أفعل طوال اليوم غير ذلك؟".

قال ناتلى: "ماذا تفعلين؟ تفعلين كما تفعل كل صديقاتك".

"إن صديقاتى يذهبن بحثا عن رجال لإقامة علاقة معهن".

"إذن احصلى على صديقات أخريات! فأنا لا أريد منك معرفة فتيات مثل هؤلاء. إن البغاء شىء سيئ! الجميع يعرف هذا، حتى هو". استدار بثقة ناحية الرجل العجوز صاحب الخبرة. "ألست محقا؟".

أجاب الرجل العجوز: "أنت مخطئ. إن البغاء يمنحها فرصة للقاء أشخاص جدد، كما أنه يعطيها الفرصة للاستمتاع بالهواء النقى وممارسة الرياضة ويبقيها بعيدًا عن المشكلات".

قال ناتلى بصرامة لفتاته: "من الآن فصاعدًا أريد منك قطع علاقتك بهذا الرجل العجوز الشرير".

قالت فتاته وهى ترفع عينيها ناحية السقف وتهز قبضتيها: "هذا كثير! ماذا يريد منى؟"، ثم قالت بنبرة تهديد: "أيها الغبى! إن كنت تعتقد أن صديقاتى بهذا السوء اذهب واطلب من أصدقائك عدم إقامة علاقة طوال الوقت مع صديقاتى!".

قال ناتلى لأصدقائه: "من الآن فصاعدًا أعتقد أن عليكم أيها الرفاق التوقف عن التسكع مع صديقاتها والاستقرار".

صاح أصدقاؤه وهم يرفعون أعينهم ناحية السقف: "مجنون!".

لقد جن جنون ناتلى. لقد أراد منهم جميعًا الوقوع فى الحب على الفور والزواج - فبإمكان دونبار الزواج من فتاة أور ويمكن ليوساريان الوقوع فى حب الممرضة داكيت أو أى فتاة أخرى تحوز إعجابه. وبعد الحرب يمكنهم جميعًا العمل لدى والد ناتلى وتربية أطفالهم فى نفس الحى الراقى. لقد أصبح ناتلى يرى المستقبل بوضوح الآن؛ فقد غيره الحب جاعلا إياه أحمق رومانسيًا، وهم قد دفعوه داخل حجرة نومه ثانية ليتشاجر مع فتاته حول النقيب بلاك، وقد وافقت على عدم إقامة علاقة مع النقيب بلاك مجددًا أو إعطائه نقود ناتلى، ولكنها أبت بكل ما أوتيت من قوة قطع علاقتها بالرجل العجوز القذر القبيح المنغمس فى الملذات، والذى كان يراقب علاقة ناتلى الغرامية فى سخرية ورفض الاعتراف بأن الكونجرس هو أفضل وأعظم نظام تشاورى على وجه البسيطة.

أمر ناتلى فتاته بحزم: "من الآن فصاعدًا أمنعك تمامًا من مجرد التحدث إلى هذا الرجل العجوز المقزز".

صاحت الفتاة فى ارتباك ونحيب: "الرجل العجوز مجددًا؟ لمَ لا؟".

"إنه لا يحب مجلس النواب".

"يا إلهى! ماذا بك؟".

قالت شقيقتها الصغرى بشكل فلسفى: "إنه مجنون. هذا هو ما به".

وافقتها الشقيقة الكبرى بسرعة وهى تمسك بقوة بشعرها البنى الطويل بكلتا يديها: "نعم. إنه مجنون".

ولكنها افتقدت ناتلى حينما رحل وشعرت بالغضب من يوساريان حينما لكم ناتلى فى وجهه بقوة؛ مما أدى إلى كسر أنفه ودخوله المستشفى.

٣٤
العيد

كان الرقيب نايت هو المسئول فى الواقع عن قيام يوساريان بلكم ناتلى فى أنفه فى يوم العيد بعد أن قام كل من فى السرية بشكر مايلو على قيامه بإعداد تلك الوجبة الغنية والتى ظل الضباط والجنود يلتهمونها طوال فترة بعد الظهيرة وتوزيعه السخى للزجاجات غير المفتوحة للشراب الرخيص والذى أعطاه بقسوة لكل رجل طلبه. وقبل حلول الظلام كان الجنود الصغار ذوو الوجوه البيضاء الشاحبة يتقيأون فى كل مكان ويتسكعون فى سكر فى كل مكان. أصبحت رائحة الهواء سيئة. ومع مرور الساعات كان عدد الثملين يزداد، ويزداد معه الاحتفال صخبا. وقد كان هذا الاحتفال عبارة عن عربدة فجة وعنيفة والتى امتدت إلى الغابة حتى نادى الضباط وداخل التلال جهة المستشفى ومواضع المدافع المضادة للطائرات. وقد كانت هناك أكثر من مشاجرة باللكمات بالسرية وحادث طعن بالسكين. وقد أطلق العريف كولودنى النار على ساقه فى خيمة الاستخبارات فى أثناء اللعب بمسدس محشو وتم طلاء لثته وأصابع قدميه باللون الأرجوانى داخل سيارة الإسعاف المسرعة أثناء رقوده على ظهره وانبجاس الدم من جرحه. وقد ذهب رجال بأصابع مقطوعة ورءوس نازفة وتقلصات معدية وكواحل مكسورة فى ندم إلى الخيمة الطبية ليتم طلاء لثتهم وأصابع أقدامهم بالمحلول الأرجوانى بواسطة جاس وويس وإعطاؤهم ملينا ليقوموا برميه بين الشجيرات. وقد استمر الاحتفال الصاخب حتى وقت متأخر من تلك الليلة، وكان يتخلل السكون صيحات أو صرخات الرجال الذين إما كانوا مسرورين أو مصابين بالإعياء. وكان هناك الصوت المتكرر لمحاولات التقيؤ والأنين، للضحك والتحيات والتهديدات والسباب، للزجاجات التى تنكسر فوق الصخور. وقد كان هناك من يتغنى بأغان قذرة من بعيد. لقد فاقت تلك الليلة ليلة رأس السنة سوءًا.

ذهب يوساريان إلى الفراش مبكرًا تحريًا للأمان وسرعان ما رأى فى منامه أنه كان يفر أسفل درج خشبى لا نهاية له بينما يصدر كعباه صوت قعقعة عالياً متقطعاً. بعد ذلك استيقظ قليلاً وأدرك أن هناك من يطلق النار عليه بمدفع رشاش. شعر بحشرجة يشوبها الفزع فى حلقه. وأول فكرة راودته هى أن مايلو كان يقصف السرية مرة أخرى؛ فنهض من فراشه إلى الأرض ودخل أسفله وهو يكور

جسده فى ذعر وتضرع إلى الله بينما تتسارع ضربات قلبه ويغرق جسده فى بريكة من العرق. ولم تكن هناك أصوات طائرات. ولكن كانت هناك ضحكات سعيدة تدوى من بعيد. "سنة جديدة سعيدة. سنة جديدة سعيدة!" هكذا صاح صوت مألوف فى بهجة من مكان عالٍ بين دوى طلقات المدفع؛ فأدرك يوساريان على الفور أن بعض الرجال ذهبوا بقصد المزاح لأحد مواضع المدافع المثقلة بالرمال والتى قام مايلو بغرسها فى التلال بعد غارته على السرية وتعيين بعض من رجاله لحراستها.

اشتاط يوساريان غضبًا ومقتًا حينما تبين له أنه ضحية مزحة سخيفة أفسدت عليه نومه وأفزعته حتى الموت. أراد أن يقتل، أراد أن يذبح. كان أكثر غضبًا من أى وقت سابق فى حياته؛ فقد شعر بغضب يفوق ذلك الذى شعر به حينما وضع يديه حول رقبة ماكوات قاصدًا خنقه. انطلقت النيران من المدفع ثانية. وعلت الأصوات بالتهنئة "عام جديد سعيد!". ودوت الضحكات من التلال عبر الظلام والتى بدت كضحكات إحدى الساحرات. وبعد أن ارتدى حذاءه الخفيف ومئزره خرج يوساريان من خيمته بقصد الانتقام وهو يحمل مسدسه عيار ٠,٤٥ والذى قام بحشوه ورفع صمام الأمان به. كان على أهبة الاستعداد لإطلاق النار منه. سمع ناتلى يركض وراءه ليمنعه من الذهاب وهو ينادى عليه. انطلقت النيران من المدفع الرشاش مرة أخرى فوق ساحة انتظار السيارات، واندفعت الرصاصات البرتقالية فوق قمم الخيم وهى توشك أن تصيبها. شعر يوساريان بالاستياء يتأجج بداخله؛ لقد كانوا يهددون حياته، الأوغاد! وبغضب بالغ وعزيمة متقدة ركض عبر السرية خلال ساحة السيارات بأقصى سرعة ممكنة وعبر التلال خلال الممر الضيق حينما وصل إليه أخيرًا ناتلى وهو لايزال ينادى "يويو! يويو!" وهو يشعر بقلق بالغ ويستجديه أن يتوقف. أمسك بكتفى يوساريان وحاول تقييده. تحرر منه يوساريان وواصل مسيرته. أمسك به ناتلى مجددًا فقام يوساريان بتوجيه قبضته بقوة ناحية وجه ناتلى الرقيق وهو يسبه ثم سحب ذراعه للوراء ثانية استعدادًا لضربه مرة أخرى ولكن ناتلى ابتعد عنه وهو يئن ورقد متكورًا على الأرض وهو يدفن رأسه بين كلتا يديه وينساب الدم بين أصابعه. انطلق يوساريان للأمام دون النظر للخلف.

وسرعان ما رأى المدفع الرشاش. قفز شخصان بالظل حينما سمعاه واختفيا فى ظلام الليل وهما يضحكان قبل أن يصل إليهما. لقد تأخر كثيرًا. انحسر صوت وقع أقدامهما تاركًا منطقة الأكياس الرملية شاغرة وهادئة فى تلك الليلة المقمرة الباردة الخالية من الريح. نظر حوله فى اكتئاب. سمع من بعيد صوت ضحكات. تحرك غصن على مقربة منه. هبط يوساريان على ركبتيه فى سعادة. سمع أوراق الشجر تخشخش بالجانب الآخر من الأكياس الرملية فأطلق طلقتين ناريتين. أطلق أحدهم النار نحوه فتعرف على الفور على الطلقة.

قال: "دونبار؟".

"يوساريان؟".

غادر الرجلان مخبأيهما وتقدما للأمام للقاء بعضهما البعض فى الأرض مقطوعة الشجر فى إحباط بعدما أنزلا سلاحيهما. كانا يرتعدان بعض الشىء نتيجة للهواء البارد، ويتنفسان بسرعة نتيجة للجهد الذى بذلاه فى تسلق التل.

قال يوساريان: "هؤلاء الأوغاد. لقد فروا".

قال دونبار: "لقد أنقصوا عشر سنوات من حياتى. لقد ظننت أن هذا الوغد مايلو يقصفنا ثانية. لم يسبق لى الشعور بمثل هذا الفزع. أتمنى لو أعرف أين هؤلاء الأوغاد".

"أحدهم هو الرقيب تاوزر".

كانت أسنان دونبار تصر: "دعنا نذهب ونقتله؛ فليس من حقه أن يفزعنا بهذه الطريقة".

ولكن لم يعد يوساريان يرغب فى قتل أحد فقال: "دعنا نساعد ناتلى أولاً. أعتقد أننى آذيته فى أسفل التل".

ولكن لم يكن هناك أثر لناتلى بالطريق، على الرغم من أن يوساريان حدد مكان سقوطه عندما رأى الدم فوق الصخور. ولم يكن ناتلى فى خيمته كذلك وهما لم يقابلاه سوى فى صباح اليوم التالى حينما دخلا المستشفى كمريضين بعد أن علما أنه بالمستشفى نتيجة لإصابته بكسر فى أنفه الليلة الماضية. شعر ناتلى بالذعر والدهشة حينما دخلا الجناح وهما يرتديان خفيهما وروبيهما وراء الممرضة كريمر وتم تسجيلهما كمرضى. كانت أنف ناتلى مخبأة وراء جبيرة ضخمة، وكانت الهالات السوداء تحيط بعينينه. ظل يتورد خجلاً ويعرب عن أسفه حينما ذهب إليه يوساريان ليعتذر له على ضربه. كان يوساريان يشعر بندم شديد، ولم يكن باستطاعته النظر إلى ملامح ناتلى المحطمة، حتى على الرغم من أن مظهره كان كوميديًا لدرجة جعلته يقهقه. كان دونبار يشعر بالاشمئزاز من حساسيتهما، وقد شعر الثلاثة بالراحة حينما جاء هنجرى جو بشكل غير متوقع وهو يحمل كاميرته المعقدة ويدعى إصابته بأعراض التهاب الزائدة الدودية وذلك ليكون قريبًا بما فيه الكفاية من يوساريان ويلتقط له صورًا وهو يتودد إلى الممرضة داكيت. لكنه - شأنه شأن يوساريان - سرعان ما أصيب بالإحباط؛ فقد قررت الممرضة داكيت الزواج من طبيب - أى طبيب لأنهم جميعًا ناجحون فى حياتهم العملية - وتجنبت يوساريان تمامًا حتى لا يؤثر ذلك على نظرة الأطباء لها، خاصة أن أحدهم قد يصبح فى يوم ما زوجها. كان هنجرى جو غاضبًا ومهتاجًا من بين كل الناس! دخل رجل الدين وهو يرتدى روباً أحمر داكنًا مصنوعاً من قماش قطنى متين مضلع مخملى الزغب

ويضىء مثل منارة نحيفة، ويبتسم ابتسامة عريضة مشعة تعبر عن رضا عن الذات شديد لدرجة يصعب معها إخفاؤه. فقد دخل رجل الدين المستشفى بسبب ألم فى قلبه والذى ظن الأطباء أنه ناتج عن غازات فى معدته وبسبب حالة متأخرة من حصباء ويسكونسن.

سأل يوساريان: "ما هى حصباء ويسكونسن؟".

قال رجل الدين فى فخر من دون تفكير قبل أن ينفجر فى الضحك: "هذا هو ما أراد الأطباء معرفته!"، ولم يسبق لأحد أن رآه بمثل هذه السعادة أو المرح. "ليس هناك ما يسمى بحصباء ويسكونسن. ألا تفهم؟ لقد كذبت. لقد عقدت صفقة مع الأطباء. لقد وعدتهم بأننى سوف أخبرهم متى تبرأ حالة حصباء ويسكونسن المصاب بها إن وعدونى بعدم القيام بأى شىء لعلاجها. وأنا لم يسبق لى أن كذبت من قبل فى حياتى. أليس ذلك رائعًا؟".

لقد ارتكب رجل الدين إثمًا وأشعره ذلك بالسعادة. إن الفطرة السليمة تخبره بأن من بين الآثام الكذب والتملص من الواجب. وعلى الجانب الآخر كان الجميع يعرف أن الإثم هو شر وأنه لا يمكن استنباط أى نفع من الشر. ولكنه كان يشعر بأنه فى أفضل حال وكانت معنوياته مرتفعة. وبالتالى، كان من المنطقى ألا يمكن للكذب والتخلى عن الواجب أن يكونا من بين الآثام. لقد استطاع رجل الدين بلوغ درجة سامية من العقلانية وقد أشعره اكتشافه هذا بالنشوة. كان أمرًا إعجازيًا. وبرشاقة بالغة ظل رجل الدين يسرد مجموعة كبيرة من الحكايات بينما جلس ناتلى فى سعادة وذهول من هذا الحشد من الرفاق المجانين الذين وجد نفسه وسطهم. كان يشعر بالإطراء والترقب؛ فقد كان واثقًا من أن ضابطًا صارمًا ما سوف يظهر فى أية لحظة ويلقى بهم جميعًا فى الخارج كزمرة من السكارى. ولكن لم يزعجهم أحد. وفى المساء خرجوا جميعًا فى سعادة لمشاهدة أحد أفلام هوليوود الملونة الهزلية، وحينما عادوا جميعًا فى سعادة بعد مشاهدة أحد أفلام هوليوود الملونة الهزلية وجدوا الجندى الذى كان فى الأربطة البيضاء هناك، فصاح دونبار فى فزع: "لقد عاد! لقد عاد! لقد عاد!".

تجمد يوساريان فى مكانه؛ حيث أفزعته نبرة الفزع فى صوت دونبار بقدر ما أفزعته رؤية الجندى داخل الأربطة البيضاء بشكله المألوف المخيف والذى كان مغطى من الرأس وحتى أصابع القدمين بالجص والجبيرة. خرجت ضوضاء مزعجة ولا إرادية ومرتعدة من حلق يوساريان.

صرخ دونبار مجددًا: "لقد عاد!".

صاح مريض مصاب بهذيان الحمى فى ذعر مماثل: "لقد عاد!".

وعلى الفور تحول الجناح إلى مستشفى المجاذيب؛ فمجموعات من المرضى

والمصابين شرعوا فى الركض والقفز بالممر وكأن المبنى كان يحترق. وكان مريضًا بقدم واحدة وعكاز واحد يثب للأمام والخلف وهو يصرخ: "ما الأمر؟ ما الأمر؟ هل نحترق؟ هل نحترق؟".

صرخ فيه أحدهم قائلاً: "لقد عاد! ألا تسمعه؟ لقد عاد! لقد عاد!".

صاح شخص آخر: "من الذى عاد؟ من هو؟".

"من الذى يعنيه هذا؟ ما الذى ينبغى علينا فعله؟".

"هل المبنى يحترق؟".

"انهضوا واركضوا، تبًا! فلينهض الجميع ويركض!".

نهض الجميع من الفراش وبدءوا يركضون من أحد طرفى الجناح للطرف الآخر. وكان أحد رجال الاستخبارات الجنائية يبحث عن مسدس ليطلق النار على أحد رجلى الاستخبارات الجنائية الآخرين والذى قام بوكزه بمرفقه فى عينه. سادت حالة من الفوضى بالجناح، وقد قفز المريض المصاب بهذيان الحمى داخل الممر مرتطمًا بالمريض ذى القدم الواحدة والذى ضرب عن دون قصد قدم الآخر العارية بالطرف الأسود المطاطى من عكازه محطمًا بعض أصابع قدمه. سقط الرجل المصاب بهذيان الحمى وأصابع القدم المحطمة على الأرض وبكى فى ألم فى حين وطأ فوقه الرجال الآخرون وآذوه أكثر أثناء فرارهم الجماعى الأعمى. ظل الرجال يتمتمون ويصيحون فى هيستيريا وهم يذرعون الجناح جيئة وذهابًا "لقد عاد!". ظهرت الممرضة كريمر فى منتصف الجناح فجأة مثل شرطى جوال وبدأت تحاول فى يأس إعادة النظام إلى المكان، ثم انفجرت فى البكاء حينما فشلت فى ذلك. قالت وهى تنتحب: "من فضلكم تحلوا بالهدوء"، ولم يكن رجل الدين، والذى كان شاحبًا كالشبح، يملك أدنى فكرة عما يحدث، وكذلك كان ناتلى والذى ظل على مقربة من يوساريان وكان يتشبث بمرفقه، وكذلك هنجرى جو الذى كان يتحرك وهو يوجه قبضتيه فى الهواء ويتلفت حوله بوجه مذعور.

قال هنجرى جو: "ما الذى يحدث؟ ما الذى يحدث؟".

صاح فيه دونبار مؤكدًا بنبرة صوت ارتفعت فوق صوت الصخب بالمكان: "إنه نفس الشخص! ألا تفهم؟ إنه نفس الشخص".

سمع يوساريان نفسه يقول بصوت عميق ومرتعد لم يستطع السيطرة عليه: "نفس الشخص!" وشق طريقه وراء دونبار ناحية فراش الجندى الذى فى الأربطة البيضاء.

قال التكسانى القصير الوطنى بابتسامة غير واثقة: "اهدءوا أيها الرفاق. ليس هناك داع للانزعاج. لماذا لا نهدأ جميعًا؟".

بدأ الآخرون يتمتمون ويصيحون: "نفس الشخص!".

وفجأة وصلت المرضة داكيت أيضًا وسألت: "ماذا يحدث؟".

صاحت المرضة كريمر وهى تلقى بنفسها بين ذراعيها: "لقد عاد! لقد عاد! لقد عاد!".

لقد كان فى الواقع نفس الشخص. لقد أصبح أقصر بضع بوصات وازداد وزنه ولكن يوساريان تذكره على الفور من خلال ذراعيه المتصلبتين وساقيه المتصلبتين عديمى النفع والمرفوعة جميعًا لأعلى بشكل عمودى بواسطة أربطة مشدودة ومثقلات نحاسية معلقة فوقه داخل بكرات، ومن خلال الثقب الأسود المحاط بـ ضمادات منتسلة فوق فمه. إنه لم يتغير قط تقريبًا، وقد كان هناك نفس الأنبوب الذى يخرج من الجبيرة الصلبة فوق أربيته ويؤدى إلى البرطمان الزجاجى فوق الأرض. وكان هناك نفس البرطمان الزجاجى المعلق على سارية والذى كان ينقط السائل بداخله عبر الانحناء فى مرفقه. لقد كان باستطاعة يوساريان التعرف عليه بأى مكان. وقد تساءل من هو.

صاح دونبار بشكل غير متوقع: "ليس هناك أحد بالداخل!".

شعر يوساريان بضربات قلبه تتسارع وساقيه تضعفان. صاح فى خوف وهو مذهول من الجموح والتوهج اللذين ظهرا فى عينى دونبار: "ما الذى تتحدث عنه؟ هل أنت مجنون أم ماذا؟ ما الذى تعنيه بعدم وجود أحد بالداخل؟".

صاح دونبار: "لقد قاموا بسرقته! إن تلك الجبيرة جوفاء من الداخل. لقد قاموا بأخذه وتركوا تلك الأربطة هنا".

"ولماذا قد يفعلون شيئاً مثل هذا؟".

"تمامًا كما يفعلون أى شىء".

صرخ أحدهم جاعلاً الجميع يصرخون مثله: "لقد سرقوه! لقد سرقوه!".

استجدت المرضة داكيت كلاً من دونبار ويوساريان وهى تدفع يوساريان: "عودا إلى فراشيكما من فضلكما. عودا إلى فراشيكما".

صاح يوساريان بغضب على دونبار: "أنت مجنون! ما الذى يجعلك تقول هذا؟".

سأل دونبار بحماسة وسخرية: "هل سبق لأحد رؤيته؟".

سأل يوساريان المرضة داكيت: "أنت رأيته، أليس كذلك؟ أخبرى دونبار أن ثمة شخصًا يوجد بالداخل".

قالت المرضة داكيت: "إن الملازم شملكر بالداخل. إنه محروق كلية".

"هل رأته؟".

"لقد رأيته، أليس كذلك؟".

"لقد رآه الطبيب الذى وضعه داخل الأربطة".

"اذهبى وأحضريه، هلاّ فعلت! أى طبيب هذا؟".

شهقت الممرضة داكيت حينما سمعت هذا السؤال وقالت: "إن الطبيب لا يوجد هنا. لقد جاء إلينا هذا المريض بهذا الشكل من مستشفى ميدان المعركة".

صاحت الممرضة كريمر: "أرأيت؟ لا يوجد أحد بالداخل!".

صاح هنجرى جو قبل أن يشرع فى الضرب على الأرض بقدميه: "لا يوجد أحد بالداخل!".

اندفع دونبار للأمام وقفز فى غضب فوق فراش الجندى الذى فى الأربطة البيضاء ليرى بنفسه بينما يدس عينه المتوهجة فوق الثقب الأسود بين الأربطة البيضاء. كان لايزال جاثما يحدق بعين واحدة داخل الفجوة المظلمة فوق فم الجندى الذى فى الأربطة البيضاء حينما وصل الأطباء والرجال العسكريون الآخرون لمساعدة يوساريان على سحبه بعيدًا. كان الأطباء يضعون مسدسات فوق خصورهم. وكان الحراس يحملون بندقيات صغيرة ومسدسات والتى كان يلوحون بها ويدفعون بها حشد المرضى للوراء. وصلت نقالة تسير على عجلات وتم رفع الجندى الذى فى الأربطة البيضاء عن الفراش ببراعة وأخذه بعيدًا عن الأنظار فى خلال ثوان. تحرك الأطباء والرجال العسكريون عبر الجناح وهم يؤكدون للجميع أن كل شىء على ما يرام.

أمسكت الممرضة داكيت بذراع يوساريان وهمست فى أذنه طالبة منه لقاءها فى غرفة أدوات التنظيف بالرواق. شعر يوساريان بالسعادة حينما سمعها. فقد ظن أن الممرضة داكيت تريد إقامة علاقة معه واحتضنها بمجرد أن دخلا غرفة التنظيف ولكنها دفعته بعيدا. لقد كان لديها خبر عاجل بشأن دونبار.

قالت: "إنهم سوف يختفونه".

نظر إليها يوساريان شزرًا فى عدم فهم. سأل فى دهشة قبل أن يضحك: "سيقومون بماذا؟ ماذا يعنى هذا؟".

"لا أعلم. لقد سمعتهم يتحدثون خلف أحد الأبواب".

"من؟".

"لا أعلم. لم أستطع رؤيتهم. لقد سمعتهم فقط يقولون إنهم سوف يختفون دونبار".

"ولماذا سوف يقومون باختفائه؟".

"لا أعلم".

"إن هذا ليس منطقيًا. إنها جملة غير صحيحة لغويًا حتى. ماذا يعنى أن يقوم أحد باختفاء أحد؟".

"لا أعلم".

"يا إلهى، لقد ساعدتنى حقًا!".

اعترضت الممرضة داكيت بمشاعر مجروحة وبدأت عيناها تترغرغان بالدموع: "لماذا تضايقنى بهذه الطريقة. أنا فقط أحاول تقديم المساعدة. إنه ليس خطئى إنهم سيقومون باختفائه، أليس كذلك؟ أنا لا ينبغى علىَّ حتى أن أخبرك بهذا".

اعتذر يوساريان قائلاً: "أنا آسف"، وهُرع لتحذير دونبار، لكنه لم يستطع العثور عليه بأى مكان!

٣٥
مايلو المقاتل

لأول مرة فى حياته جثم يوساريان على ركبتيه وتوسل لناتلى ألا يتطوع لتنفيذ أية مهام إضافية خلاف السبعين مهمة بعد أن مات المقدم وايت هلفوت إثر إصابته بالتهاب رئوى فى المستشفى وتقدم ناتلى لشغل وظيفته. ولكن ناتلى لم يصغ ليوساريان.

أصر ناتلى فى ضعف وهو يبتسم: "علىّ تنفيذ المزيد من المهام وإلا فسوف يرسلوننى للوطن".

"إذن؟".

"لا أريد العودة للوطن إلا حينما يكون باستطاعتى أخذها معى".

"هل هى مهمة لديك بهذا القدر؟".

أومأ ناتلى بحزن: "ربما لا أستطيع رؤيتها مرة أخرى".

استحثه يوساريان: "إذن فلتحصل على الإعفاء. لقد أنهيت مهامك ولست بحاجة لأجر الطيران. لماذا لا تطلب شغل وظيفة المقدم وايت هلفوت إن كان بإمكانك احتمال العمل لدى النقيب بلاك؟".

هَز ناتلى رأسه بينما اسودت وجنتاه خجلاً وندمًا: "إنهم لن يعطوها لى. لقد تحدثت إلى المقدم كورن وأخبرنى بأن علىّ تنفيذ المزيد من المهام وإلا فسوف يرسلوننى إلى الوطن".

سبه يوساريان بوحشية: "إن تلك دناءة فجة".

"لا أكترث كثيرًا. لقد نفذت سبعين مهمة دون أن أتعرض للأذى. وأعتقد أنه بإمكانى تنفيذ بضع مهام أخرى".

قال له يوساريان: "لا تتخذ أى إجراء فى هذا الصدد قبل أن أتحدث إلى شخص ما". وذهب يطلب المساعدة من مايلو والذى ذهب على الفور إلى الكولونيل كاثكارت وطلب منه أن ينفذ مزيدًا من المهام.

كان مايلو قد حقق الكثير من الامتيازات لنفسه؛ فهو لم يكترث للخطر أو الانتقادات وقام ببيع البترول وحاملات الكرات للألمان بأسعار جيدة من أجل تحقيق ربح جيد واحداث توازن فى القوى بين القوتين المتباريتين. لقد كان يتسم برباطة الجأش والهدوء فى أوقات الأزمات، وبقصد المنفعة الخاصة قام برفع سعر

الطعام فى غرفات طعامه بشكل مبالغ فيه حتى إن الضباط والجنود اضطروا إلى أن يعطوه رواتبهم بالكامل من أجل الحصول على طعام. وكان البديل ـ وقد كان دومًا هناك بديل، حيث إن مايلو كان يكره الإجبار ويشجع حرية الاختيار ـ هو أن يموتوا جوعًا، وحينما قوبل تصرفه هذا بالمقاومة والرفض تسمر فى مكانه دون أن يخاف على سلامته أو سمعته واستحضر بلباقة قانون العرض والطلب، وحينما قال أحدهم فى مكان ما كلمة لا، تحدث مايلو فى بسالة وشجاعة عن الحق التاريخى للرجال الأحرار لدفع كل ما يمتلكونه مقابل الأشياء التى يحتاجون إليها من أجل البقاء على قيد الحياة.

وقد تم ضبط مايلو متلبسًا بتهمة سلب أبناء وطنه وكنتيجة لهذا وصل رأس ماله عنان السماء؛ فهو قد كشف عن براعته حينما ثار الرائد النحيل من منيسوتا وجعد شفته وطالب بنصيبه فى النقابة. وقد واجه مايلو التحدى بكتابة كلمة "حصة" على أقرب قصاصة ورق استطاع إيجادها وإعطاءها للرائد فى ازدراء، وهو التصرف الذى نال استحسان وإعجاب كل من يعرفه. كان مجده فى أوجه، وقد اندهش الكولونيل كاثكارت ـ والذى كان معجبًا بسجله الحربى ـ من مدى التواضع الذى أظهره مايلو حينما أتى إلى مقر رئاسة الوحدة العسكرية وطالب بتنفيذ المزيد من المهام الخطيرة.

شهق الكولونيل كاثكارت: "هل تريد تنفيذ المزيد من المهام القتالية؟ لماذا؟".

أجاب مايلو بصوت وقور وهو يخفض وجهه فى تواضع: "أريد أن أقوم بواجبى يا سيدى. إن بلادنا تخوض حربًا وأنا أريد الدفاع عنها مثل باقى أبناء وطنى".

قال الكولونيل كاثكارت وهو يضحك ضحكة مدوية: "ولكن يا مايلو أنت تؤدى واجبك بالفعل؛ فأنا لا أعرف شخصًا واحدًا قدم للرجال أكثر مما قدمت أنت. من قام بصنع القطن المغطى بالشيكولاتة لهم؟".

هزّ مايلو رأسه ببطء وبحزن وقال: "ولكن تأدية مهام ضابط المطبخ فى وقت الحرب ليس كافيًا يا أيها الكولونيل كاثكارت".

"بالطبع هو كاف يا مايلو. أنا لا أدرى ماذا حل بك".

خالفه مايلو الرأى بنبرة حادة بعض الشىء ورفع عينيه الذليلتين لتقابل عينى الكولونيل كاثكارت: "بالتأكيد ليس كافيًا أيها الكولونيل. بعض الرجال بدأوا يتكلمون".

"آه، هل الأمر كذلك؟ أعطنى أسماءهم يا مايلو. أعطنى أسماءهم وسوف أحرص على خروجهم فى كل مهمة خطيرة تكلف بها الوحدة".

قال مايلو وهو يطأطئ رأسه مجددًا: "لا يا أيها الكولونيل، أخشى أنهم محقون. لقد تم إرسالى عبر البحار بصفتى طيارًا ولابد أن أخرج فى المزيد من

المهام القتالية وأمضى وقتًا أقل فى ممارسة واجباتى كضابط مطبخ".

كان الكولونيل كاثكارت مندهشًا ولكن متعاونًا فقال: "حسناً يا مايلو إن كنت تريد هذا فأنا واثق من أنه باستطاعتنا تنفيذ الإجراءات الضرورية. ما المدة التى أمضيتها مسافرًا عبر البحار؟".

"أحد عشر شهرًا يا سيدى".

"وكم عدد المهام التى نفذتها؟".

"خمس".

سأل الكولونيل كاثكارت: "خمس؟".

"خمس يا سيدى".

حك الرائد كاثكارت وجنته وهو مستغرق فى التفكير: "خمس، أليس كذلك؟ إن ذلك ليس جيدًا، أليس كذلك؟".

سأل مايلو بنبرة صوت حادة وهو يرفع عينيه مرة أخرى: "ليس جيدًا؟".

خاف الكولونيل كاثكارت وعدل عن رأيه سريعًا: "على العكس، هذا جيد للغاية يا مايلو. ذلك ليس سيئًا على الإطلاق".

قال مايلو وهو يتنهد تنهيدة طويلة حزينة: "لا يا أيها الكولونيل، إن ذلك ليس جيدًا للغاية. على الرغم من أنه كرم بالغ منك أن تقول هذا".

"ولكنه ليس سيئاً حقًا يا مايلو. ليس سيئًا على الإطلاق حينما تضع فى الاعتبار كل الإسهامات العظيمة التى قدمتها لنا. أنت تقول خمس مهام؟ فقط خمس؟".

"فقط خمس يا سيدى".

"فقط خمس". أصيب الكولونيل كاثكارت بالاكتئاب للحظة وهو يتساءل فيما كان مايلو يفكر حقًا، وإذا ما كان يمثل مصدرًا من مصادر الخزى له. قال بحماسة وهو يرى بصيصًا من الأمل: "إن خمس مهام هو عدد جيد جدًا يا مايلو. إن هذا يقدر بنحو مهمة كل شهرين، وأعتقد أن هذا الرقم لا يشتمل المهمة التى قمت فيها بقصفنا".

"بلى يا سيدى، إنه يتضمنها".

تساءل الكولونيل كاثكارت بدهشة خفيفة: "يتضمنها؟ إنك حتى لم تَطِرْ فى هذه المهمة، أليس كذلك؟ فعلى ما أذكر لقد كنت معى فى برج التحكم، أليس كذلك؟".

قال مايلو فى بهجة: "ولكنها كانت مهمتى. لقد قمت بتنظيمها واستخدمنا طائراتى ومؤنى. لقد خططت وأشرفت على المهمة برمتها".

"آه، بالطبع يا مايلو بالطبع، أنا لا أجادلك. أنا فقط أراجع معك الأرقام لأتأكد

أنك تطالب بما يحق لك المطالبة به. هل يتضمن هذا العدد كذلك تلك المرة التى تعاقدنا فيها معك لتقصف الجسر بالأورفيتو؟".

"لا يا سيدى. لا أعتقد أنه كان علىّ القيام بذلك بما أننى كنت فى الأورفيتو أوجه المدفعية المضادة للطائرات".

"أنا لا أرى ما الفارق الذى يشكله ذلك يا مايلو؛ فهى مازالت مهمتك، وهى مهمة جيدة بالفعل، كما يجب لى أن أعترف. إننا لم نقصف الجسر ولكن حصلنا على نموذج قنابل جيد. أنا أتذكر قيام الجنرال بيكام بإبداء تعليقه على المهمة. لا يا مايلو أنا مصمم أن تضيف الأورفيتو إلى المهام التى نفذتها كذلك".

"مادمت مصممًا يا سيدى".

"أنا مصمم يا مايلو. دعنا نر الآن ـ لقد قمت بتنفيذ ما يناهز ست مهام، وهذا أمر جيد للغاية يا مايلو، جيد جدًا فى الواقع. إن ست مهام تعد زيادة قدرها عشرون بالمائة خلال دقيقتين فقط، وهو الأمر الذى لا يعد سيئًا بالمرة يا مايلو، ليس سيئا بالمرة".

قال مايلو: "العديد من الرجال الآخرين نفذوا سبعين مهمة".

"ولكنهم لم يقوموا قط بصنع أى قطن مغطى بالشيكولاتة، أليس كذلك؟ مايلو، أنت تقوم بأكثر مما ينبغى عليك القيام به".

أصر مايلو بوقاحة وهو على وشك البكاء: "ولكنهم يحصلون على كل الشهرة والفرص. يا سيدى، أنا أريد الخروج والقتال مثل باقى الرفاق. هذا هو السبب الذى جاء بى إلى هنا. أنا أريد كسب ميداليات أيضًا".

"نعم يا مايلو بالطبع. إننا جميعًا نود قضاء المزيد من الوقت فى المعارك، ولكنّ أناساً مثلى ومثلك يخدمون وطنهم بطرق مختلفة. انظر إلى سجلى". ضحك الكولونيل كاثكارت ضحكة استنكارية وأضاف: "أنا واثق أن ما من أحد يعرف يا مايلو أننى أنا نفسى لم أنفذ سوى أربع مهام، أليس كذلك؟".

أجاب مايلو: "لا يا سيدى. الجميع يعرفون أنك قمت بتنفيذ مهمتين فقط. وإحدى هاتين كانت حينما طار بك آرفى عن دون قصد فوق أرض العدو أثناء توجهكما إلى نابلس لشراء مبرد مياه من السوق السوداء".

تورد وجه الكولونيل كاثكارت خزيًا وقرر التوقف عن المزيد من المجادلة. "حسنًا يا مايلو. لا أستطيع أن أوفيك حقك من الثناء على ما تود فعله، ومادمت مهتمًّا بذلك فسوف أجعل الرائد ميجور يضيف اسمك على لائحة منفذى الأربع والستين مهمة التالية حتى يمكنك تنفيذ سبعين مهمة كذلك".

"شكرًا لك يا أيها الكولونيل. شكرًا لك يا سيدى. أنت لا تعلم ماذا يعنى هذا لى".

"العفو يا مايلو، أنا أعلم تمامًا ما يعنيه".

خالفه مايلو الرأى بحدة: "لا، يا أيها الكولونيل، لا أعتقد أنك تعلم حقًا ما يعنيه؛ فلابد أن يقوم أحد بإدارة النقابة على الفور من أجلى. إن الأمر معقد للغاية وأنا قد أتعرض للقتل فى أى وقت".

أشرق وجه الكولونيل كاثكارت على الفور حينما سمع هذا وبدأ يفرك يديه معًا بحماسة متقدة. اقترح بطريقة ارتجالية وهو يلعق شفتيه ترقبًا: "أتعلم يا مايلو، أعتقد أن المقدم كورن وأنا يمكننا تسلم النقابة منك؛ فنحن يمكننا استغلال خبرتنا فى السوق السوداء للطماطم الأرجوانية. من أين يمكننا البدء؟".

أخذ مايلو ينظر إلى الكولونيل كاثكارت فى رقة وصدق: "شكرًا لك يا سيدى، هذا كرم بالغ منك. ابدأ بنظام غذائى خالٍ من الملح من أجل الجنرال بيكام ونظام غذائى خالٍ من الدهون من أجل الجنرال دريدل".

"دعنى أجلب قلمى، ما التالى؟".

"خشب الأرز".

"خشب الأرز؟".

"من لبنان".

"لبنان؟".

"لقد اشترينا خشب الأرز مستحق الدفع من لبنان ليذهب إلى المنشرة فى أوسلو والذى سيتم تحويله إلى ألواح خشبية من أجل عمال البناء فى كاب كود، وسوف يتم دفع سعره نقدًا عند التسليم، وبعد ذلك هناك البازلاء".

"البازلاء؟".

"تلك توجد فى عرض البحر؛ فقد اشترينا ما يقدر بحمولات مراكب من البازلاء والتى مازالت توجد فى عرض البحر قادمة من أتلانتا إلى هولندا لدفع ثمن زهور التيوليب التى تم شحنها إلى جينيف من أجل دفع ثمن الجبن الذى يجب أن يذهب إلى فيينا م. د. م".

"م. د. م؟".

"مستحق الدفع مقدمًا. فالهبسبورجيون غير جديرين بالثقة".

"مايلو".

"ولا تنس الزنك المكلفن فى المستودع بفلينت؛ فيجب شحن حمولة أربع سيارات من الزنك المكلفن من فلينت إلى مصاهر المعادن فى دمشق قبل ظهر اليوم الموافق الثامن عشر على أن يتم التسليم على ظهر السفينة، ويتم خصم ٢٪ إذا تأخر التسليم مدة عشرة أيام بعد نهاية الشهر، وهناك شحنة قنب هندى مستحقة الدفع فى بيلجراد مقابل مادة سى-٢٧ ونصف شحنة من هذا البلح نصف منزوع النوى

الذى أرغمناهم على شرائه من الخرطوم. والمال الذى تحصل عليه من الآنشوفة البرتغالية التى نبيعها إلى ليسبون ادفعه مقابل القطن المصرى الذى سيعود إلينا من مامارونيك ولشراء أكبر قدر ممكن من البرتقال فى أسبانيا. وادفع نقدًا دومًا مقابل النارانجاس".

"*النارانجاس*؟".

"هكذا يسمون البرتقال فى أسبانيا، وهذا هو برتقال أسبانى. آه نعم. ولا تنس بيلت داون مان".

"بيلت داون مان؟".

"نعم بيلت داون مان. إن الوضع المالى لمؤسسة سميثونيان الآن لا يسمح لها هذه المرة بدفع السعر الذى نطلبه مقابل شحنة أخرى من بيلت داون مان؛ ولكنهم ينتظرون موت متبرع ثرى ومحبوب و...".

"مايلو".

"وتريد فرنسا كل البقدونس الذى يمكننا إرساله لهم، وأعتقد أن علينا القيام بذلك لأننا سوف نحتاج لعملة الفرنك لاستبدالها بعملة الليرة لاستبدالها بعملة الفينيش من أجل البلح حينما يعودون، كما أننى طلبت كذلك شحنة هائلة من خشب البلزا البيروفى لتوزيعه على قاعات الطعام بالنقابة".

"خشب البلزا؟ ما الذى ستفعله قاعات الطعام بخشب البلزا؟".

"ليس من السهل شراء خشب بلزا جيد فى هذه الأيام يا أيها الكولونيل. لقد اعتقدت أنها ليست بالفكرة السديدة أن نفوت على أنفسنا فرصة شرائه".

أخذ الكولونيل كاثكارت يفكر وهو يبدو مثل شخص مصاب بدوار البحر: "أنت محق بالفعل، وأعتقد أن السعر كان مناسبًا".

قال مايلو: "كان السعر فظيعًا ـ باهظًا بشكل مفرط! ولكن بما أننا اشتريناه من أحد فروعنا فقد كنا سعداء لندفع ثمنه، وابحث عن جلود الحيوانات".

"لحوم الحيوانات؟".

"جلود الحيوانات".

"جلود الحيوانات؟".

"جلود الحيوانات. فى بيونس أيرس. ولابد من دبغها".

"دبغها؟".

"فى نيوفاوندلاند، وشحنها إلى هلسنكى غ. م. د. م قبل بدء الربيع الدافئ؛ فكل شىء يذهب إلى فينلاند يكون غ. م. د. م قبل بدء الربيع الدافئ".

خمن الكولونيل: "غير مستحق الدفع مقدمًا؟".

"جيد أيها الكولونيل. أنت تتمتع بموهبة يا سيدى، ثم هناك الفلين".

"الفلين؟".

"هذا لابد أن يذهب إلى نيويورك، والأحذية إلى تولوز، واللحم إلى سيام، والمسامير من ويلز، واليوسفى إلى نيو أورليانز".

"مايلو".

"ونحن لدينا فحم فى نيوكاسل يا سيدى".

رفع الكولونيل كاثكارت يديه وصاح وهو على وشك البكاء: "توقف يا مايلو لا جدوى من هذا. إنك شأنى تمامًا ـ لا غنى عنك!". وضع القلم جانبًا ونهض فى سخط. "لا يمكنك الخروج وتنفيذ أربع وستين مهمة. أنت لا تستطيع حتى تنفيذ مهمة واحدة إضافية. إن النظام بأكمله سوف ينهار إن حدث لك مكروه".

أومأ مايلو فى هدوء ورضا: "يا سيدى، هل تعفينى من تنفيذ المزيد من المهام الحربية؟".

أعلن الكولونيل كاثكارت بنبرة تنم عن قسوة وسلطة غير مرنة: "مايلو، أنا أعفيك من تنفيذ المزيد من المهام الحربية".

قال مايلو: "ولكن هذا ليس عدلاً يا سيدى. ماذا عن سجلى؟ إن الرجال الآخرين يحصلون على كل الشهرة والميداليات والشعبية. لماذا تتم معاقبتى فقط لأننى أؤدى عملى كضابط مطبخ بشكل جيد؟".

"لا يا مايلو، إنه ليس عدلاً، ولكنى لا أعرف ما الذى يمكن القيام به فى هذا الشأن سوى ذلك".

"ربما يمكنك جعل شخص آخر ينفذ مهامى بدلاً منى".

اقترح الكولونيل كاثكارت: "ربما يمكننا جلب شخص آخر وجعله ينفذ مهامك بدلاً منك. ماذا عن المنقبين عن الفحم فى بنسلفانيا وويست فيرجينيا؟".

هزَ مايلو رأسه: "إن الأمر سيتطلب وقتًا طويلاً لتدريبهم. لمَ لا يقوم بذلك بعض من الرجال بالسرية؟ فأنا أفعل ذلك من أجلهم. لابد أن يكونوا مستعدين للقيام بأى شىء فى المقابل".

سأل الكولونيل كاثكارت: "ولكن لم لا يقوم بذلك رجال السرية يا مايلو. لابد أن يكونوا مستعدين للقيام بأى شىء فى المقابل".

"لا يصح إلاَ الصحيح إذن".

"لا يصح إلاَ الصحيح".

"يمكنهم تبادل الأدوار يا سيدى".

"يمكنهم حتى تبادل الأدوار فى تنفيذ مهامك يا مايلو".

"ولمن يعود الشرف؟".

"الشرف يعود لك يا مايلو؛ فإن حصل رجل على ميدالية لقاء تنفيذه إحدى

مهامك تحصل أنت على الميدالية".

"ماذا إن لقى حتفه؟".

"بالتأكيد قد يلقى حتفه؛ فعلى الرغم من كل شىء يا مايلو، لا يصح إلا الصحيح. لكنَ هناك شيئًا واحدًا".

"سوف يكون عليك رفع عدد المهام".

"قد أضطر لرفع عدد المهام مرة أخرى، وأنا لست واثقًا من أن كل الرجال سيرضخون لذلك. إنهم لايزالون حانقين لأننى رفعتها إلى سبعين؛ فأنا إذا اضطررت لجعل أحد الضباط النظاميين ينفذ المزيد من المهام، فعلى الباقى حذو حذوه".

قال مايلو: "إن ناتلى يرغب فى تنفيذ مزيد من المهام يا سيدى. لقد ائتمننى أحد على سر منذ وقت قليل يفيد أنه مستعد للقيام بأى شىء من أجل البقاء عبر البحار مع الفتاة التى وقع فى حبها".

أعلن الكولونيل كاثكارت وصفق بيديه بشكل ينم عن الانتصار: "ولكن ناتلى سوف ينفذ مزيدًا من المهام. نعم، إن ناتلى سوف ينفذ مزيدًا من المهام. وفى هذه المرة سوف أرفع عدد المهام إلى ثمانين وأصرع الجنرال دريدل. وتلك هى طريقة جيدة لإعادة هذا الوغد يوساريان إلى الخدمة؛ حيث قد يلقى حتفه".

علا تعبير من القلق الشديد ملامح مايلو البسيطة غير المتكلفة وشد طرف شاربه البنى المحمر وقال وهو مستغرق فى التفكير: "يوساريان؟".

"نعم، يوساريان. لقد سمعت أنه يجوب الأرجاء معلنًا أنه قد انتهى من تنفيذ مهامه وأن الحرب انتهت بالنسبة له، ولكنه لم ينته من *مهامك*، أليس كذلك؟ ها، ها، ها، إن هناك مفاجأة بانتظاره!".

اعترض مايلو قائلاً: "يا سيدى، إن يوساريان هو صديقى. وأنا أمقت القيام بأى شىء قد يعيده إلى الخدمة. أنا أدين بالكثير ليوساريان. أليست هناك أية طريقة لاعتباره حالة استثنائية؟".

أطلق الكولونيل كاثكارت شهقة بعدما صدمه الاقتراح: "لا يا مايلو. لا يجب قط محاباة أحد. لابد أن ننظر لجميع الرجال على أنهم سواسية".

قال مايلو مدافعًا عن يوساريان: "لو كان باستطاعتى لوهبت يوساريان كل ما أملك، ولكن طالما أننى لا أملك كل شىء، لا يمكننى إعطاؤه كل شىء، أليس كذلك؟".

"لا يصح إلا الصحيح يا مايلو".

وافقه مايلو قائلاً: "نعم يا سيدى. لا يصح إلا الصحيح. إن يوساريان ليس أفضل من الرجال الآخرين، وليس من حقه انتظار أية امتيازات خاصة، أليس

كذلك؟".

"بلى يا مايلو. لا يصح إلا الصحيح".

ولم يكن هناك متسع من الوقت ليوساريان من أجل إنقاذ نفسه من العودة للخدمة فور ما أصدر الكولونيل كاثكارت القرار برفع عدد المهام إلى ثمانين فى وقت متأخر من فترة بعد ظهيرة نفس هذا اليوم، لم يكن هناك متسع من الوقت لمنع ناتلى من تنفيذ مزيد من المهام أو حتى للتآمر مجددًا مع دوبس لقتل الكولونيل كاثكارت؛ حيث انطلق الإنذار فى فجر اليوم التالى وهُرع الرجال نحو الشاحنات قبل أن يتم إعداد إفطار جيد ولائق لهم، وتم نقلهم بأقصى سرعة إلى غرفة التعليمات ومنها إلى المطار؛ حيث كانت شاحنات الوقود لا تزال تضخ الوقود فى صهاريج الطائرات، ومصلحو الأسلحة النارية يكدحون بأقصى سرعة ممكنة لرفع القنابل المدمرة زنة ألف رطل داخل حجيرات القنابل. كان الجميع يركضون وقد تم تشغيل المحركات وإحماؤها أثناء انتهاء شاحنات الوقود من ضخ الوقود.

وقد علمت المخابرات أن الألمان سوف يقطرون سفينة حربية إيطالية متهالكة توجد فى أحد الأحواض الجافة فى لاسبيزا فى نفس هذا الصباح إلى قناة بمدخل الميناء وخرقها لإغراقها هناك لحرمان القوات المتحالفة من دخول الميناء عميق المياه حينما يأسرون المدينة، وللمرة الأولى يثبت أحد تقارير المخابرات العسكرية دقته وصحته. كان المركب قد قطع نصف المسافة إلى الميناء حينما وصلوا بطائراتهم من الغرب، وبالفعل فجروها بضربات مباشرة من كل سرب والتى ملأتهم جميعًا بموجات من الفخر والرضا حتى وجدوا أنفسهم محاطين بسد عظيم من نيران المدفعية التى ارتفعت من كل منعطف بالأرض من أسفله، وحتى هافرماير استخدم جميع أساليب المراوغة التى يعرفها حينما رأى المسافة الشاسعة التى مازال عليه قطعها للهرب، وقام دوبس عند جهاز قيادة الطيار بتنفيذ حركة خاطئة أدت إلى انزلاق طائرته نحو الطائرة المتاخمة لها مما تسبب فى قطع ذيل الأخيرة، وقد انكسر جناحه من قاعدته وشرعت طائرته فى السقوط مثل الصخرة واختفت عن الأنظار فى لحظة تقريبًا. لم يكن هناك نار أو دخان أو أية ضوضاء مشئومة. ظل الجناح المتبقى يدور فى الهواء مثل مازج الأسمنت أثناء سقوط الطائرة عموديًا لأسفل فى خط مستقيم بسرعة متزايدة حتى ارتطمت بالماء والذى انشق بفعل الارتطام مثل زنبق الماء الأبيض فوق بحر ذى لون أزرق داكن، وغمر الطائرة مجددًا بفقاقيع خضراء محمرة وساخنة أثناء غرقها، وقد انتهى أمرها فى غضون ثوان. لم تكن هناك أية باراشوتات. أما ناتلى الذى كان بالطائرة الأخرى، فقد مات كذلك.

٣٦

القبو

لقد حطم موت ناتلى رجل الدين تمامًا. كان رجل الدين تابمان يجلس فى خيمته ويعمل فى أوراقه وهو يرتدى نظارة القراءة حينما رن جرس الهاتف وجاءته أخبار التصادم الجوى من الميدان. شعر باضطراب فى أحشائه وارتعدت يده وهو يضع سماعة الهاتف. وشرعت يده الأخرى فى الارتجاف كذلك. كانت الكارثة من البشاعة لدرجة جعل من الصعب تصديقها؛ فقد لقى اثنا عشر رجلاً مصرعهم - يا له من أمر شنيع للغاية! تفاقم شعوره بالذعر. وقد دعا الله ألا يكون يوساريان وناتلى وهنجرى جو وأصدقاؤه الآخرون من بين الضحايا ثم وبخ نفسه بعد ذلك فى ندم؛ حيث أدرك أن دعاءه بأن يكونوا سالمين يعنى الدعاء بموت رجال آخرين لا يعرفهم، وعلى أية حال فقد كان الوقت قد تأخر للغاية على مثل هذه الأمنيات، بيد أن هذا كان كل ما يمكن القيام به. كان قلبه يصدر ضوضاء بدت أنها قادمة من مكان آخر خارجى، وقد أدرك أنه لن يجلس على مقعد طبيب أسنان ثانية ولن ينظر إلى أداة جراحية ولن يشهد حادث سيارة أو يسمع صرخة بالليل دون أن يساوره هذا الشعور بالألم الحاد فى صدره ودون أن يخاف من أن يموت. إنه لن يشاهد قط مشاجرة أخرى باللكمات دون أن يخشى إصابته بالإغماء وتعرض جمجمته لإصابة بالغة فوق حافة الرصيف أو المعاناة من أزمة قلبية قاتلة أو نزيف دماغى، وقد تساءل إن كان سيرى زوجته وأطفاله الثلاثة ثانية. وقد تساءل كذلك إن كان ينبغى عليه رؤية زوجته مرة أخرى بعد أن قام النقيب بلاك بإقحام شكوك قوية خاصة بمدى إخلاص جميع النساء فى عقله. فقد شعر بأن هناك العديد من الرجال الآخرين الذين يحومون حول زوجته بكل تأكيد. وحينما كان يفكر فى الموت الآن كان يفكر فى زوجته، وحينما كان يفكر فى زوجته كان يفكر دومًا فى فقدانها.

وبعد دقيقة شعر رجل الدين بأنه يقوى على النهوض، فنهض وسار فى تردد إلى خيمة الرقيب ويتكومب المجاورة. ثم ركب مع الرقيب ويتكومب الجيب. ضم رجل الدين قبضتيه ليحول دون ارتجافهما أثناء رقودهما فوق ساقيه. ضم أسنانه معًا وحاول ألا يسمع حينما أخذ الرقيب ويتكومب يضحك فى سعادة بسبب الحادث المأساوى؛ فمقتل اثنى عشر رجلاً يعنى إرسال اثنى عشر خطاب تعزية إضافية

والتى يمكن إرسالها فى حزمة واحدة لأقرباء الضحايا ممهورة بإمضاء الكولونيل كاثكارت، وهو الأمر الذى بث فى الرقيب ويتكومب الأمل بإمكانية نشر مقال عن الكولونيل كاثكارت فى جريدة مجلة ذا ساترداى إيفينينج بوست.

وبالميدان انتشر سكون ثقيل وكأن تعويذة وحشية ألقيت عليه. كان رجل الدين مفزوعًا؛ فهو لم يسبق له أن شهد سكونًا مروعًا مثل هذا من قبل. وكان يقف نحو مائتى رجل نحفاء مكتئبين وهم يمسكون حقائب الباراشوتات الخاصة بهم فى كآبة وبدون حركة خارج غرفة التعليمات، بينما تنظر أعينهم فى اتجاهات مختلفة. وقد بدوا غير راغبين فى الرحيل وغير قادرين على الحركة. كان رجل الدين مدركًا بعض الشىء للضوضاء الخفيفة التى يحدثها وقع أقدامه أثناء اقترابه. بحثت عيناه فى اهتياج وبسرعة عبر الحشد المتسمر فى مكانه. رأى يوساريان أخيرًا فامتلأ بهجة، ثم شغر فاه ببطء فى ذعر حينما رأى نظرة الحزن واليأس التى تعلو وجه يوساريان وقد أدرك على الفور ـ وهو يهز رأسه تألمًا وسخطًا ـ أن ناتلى قد مات. وقد أصابه هذا الإدراك بصدمة كبرى. هرب صوت نحيب من فمه وهرب الدم من ساقيه وأوشك على السقوط. لقد مات ناتلى. وقد تبدد الأمل الذى ساوره بأنه ربما يكون مخطئًا على الفور حينما سمع اسم ناتلى يتردد بوضوح الآن بين التمتمة غير الواضحة حتى إنه تيقن أن ناتلى قد مات: لقد لقى حتفه. شعر رجل الدين بحشرجة فى حلقه وبدأ فكه يرتجف. امتلأت عيناه بالدموع وشرع فى البكاء. سار ناحية يوساريان على رءوس أصابعه لينتحب إلى جواره ويشاركه حزنه الصامت، وفى هذه اللحظة أمسكت يد رجل ذراعه بقوة وسمع صوتًا يقول له:

"رجل الدين تابمان؟".

استدار فى دهشة ليجد أمامه كولونيلاً ضخمًا ذا رأس ضخمة وشارب وبشرة ناعمة. وهو لم يسبق له أن رأى هذا الرجل من قبل. "نعم، ما الأمر؟". كانت الأصابع الممسكة بذراع رجل الدين تؤلمه وقد حاول بدون فائدة التحرر منها.

"تعال معى".

عاد رجل الدين للوراء فى ارتباك وذعر. "أين؟ لماذا؟ من أنت بأى حال؟".

قال رائد نحيل ذو وجه يشبه وجه الصقر والذى كان يقف بجوار رجل الدين من الناحية الأخرى بصوت وقور وحزين: "من الأفضل أن تأتى معنا يا أبتى. إننا نعمل بالحكومة ونود أن نطرح عليك بعض الأسئلة".

"أى نوع من الأسئلة؟ ما الأمر؟".

سأل الكولونيل البدين: "ألست رجل الدين تابمان؟".

أجاب الرقيب تاوزر: "إنه هو".

نادى النقيب بلاك على رجل الدين بنبرة تتخللها العدوانية والسخرية:

"اذهب معهم. استقل السيارة معهم إن كنت تعرف صالحك".

بدأت الأيادى تسحب رجل الدين. أراد أن يصرخ ويطلب المساعدة من يوساريان ولكنه بدا بعيدًا للغاية ولن يستطيع سماعه. شرع بعض من الرجال الذين كانوا يقفون فى الجوار فى النظر إليه بفضول. أشاح رجل الدين بوجهه فى خزى وتركهم يسحبونه إلى مؤخرة سيارة أركان الحرب وجلس بين الكولونيل البدين ذى الوجه الكبير الوردى والرائد القانط المداهن النحيل. قام تلقائيًا بمد يد لكل واحد منهما متخيلاً أنهما سوف يقومان بوضعهما فى الأصفاد. كان ضابط آخر يجلس بالفعل بالمقعد الأمامى. وقد استقل ضابط عسكرى طويل بحوزته صافرة وخوذة بيضاء السيارة وجلس وراء عجلة القيادة، ولم يجرؤ رجل الدين على رفع عينيه إلا بعدما تحركت السيارة المغلقة مغادرة المكان وبدأت الإطارات تئن فوق الطريق الأسود الوعر.

سأل بصوت يملؤه الجبن والذنب وهو يتجنب النظر إليهم: "إلى أين تأخذوننى؟"، وقد عرف رجل الدين أنهم يحتجزونه لأنهم يعتبرونه المسئول عن حادثة التصادم الجوى وموت ناتلى: "ماذا فعلت؟".

قال الكولونيل: "لماذا لا تبقى فمك مغلقًا وتتركنا نحن نطرح الأسئلة؟".

قال الرائد: "لا تتحدث إليه بهذه الطريقة، ليس هناك داع أن تهينه".

"إذن أخبره بأن يبقى فمه مغلقًا ويتركنا نحن نطرح الأسئلة".

قال الرائد فى تعاطف: "من فضلك يا أبتى أبق فمك مغلقًا واتركنا نحن نطرح الأسئلة، فذلك أفضل لك".

قال رجل الدين: "ليس هناك داع أن تنادينى بأبتى".

قال الرائد: "أعلم، ولكن كل ما فى الأمر هو أننى رجل شديد الورع وأحب أن أنادى جميع الرجال بأبتى".

قال الكولونيل فى سخرية وهو يلكز رجل الدين فى ضلوعه ممازحًا: "إنه لا يؤمن حتى فى وجود ملحدين داخل حفر المناوش. هيا أخبره. هل هناك ملحدون فى حفر المناوش؟".

قال رجل الدين: "أنا لا أعرف يا سيدى؛ فلم يسبق لى أن تواجدت فى حفرة مناوش من قبل".

أدار الضابط بالمقعد الأمامى رأسه بسرعة بينما يعلو وجهه تعبير مشاكس وقال: "أنت لم يسبق لك أن كنت فى الجنة أيضًا، أليس كذلك؟ ولكنك واثق من وجود الجنة، أليس كذلك؟".

قال الكولونيل: "أم تراك لا تؤمن بها؟".

قال الرائد: "لقد ارتكبت جريمة خطيرة حقًا يا أبتى".

"أى جريمة؟".

قال الكولونيل: "إننا لا نعرف بعد ولكننا سنكتشف عما قريب. ونحن واثقون من أنها جريمة خطيرة للغاية".

انحرفت السيارة تجاه جانب الطريق عند مقر رئاسة الوحدة العسكرية بعدما أصدرت إطاراتها صرخة طويلة حادة، وأبطأت سرعتها قليلاً وواصلت مسيرتها مارة على ساحة الانتظار وحتى ظهر المبنى. خرج الضباط الثلاثة ورجل الدين من السيارة، وفى طابور فردى ساروا صوب مجموعة متواصلة من الدرجات الخشبية المؤدية إلى قبو وقادوه إلى حجرة مظلمة ورطبة ذات سقف أسمنتى خفيض وجدران حجرية غير منتهية. كانت بيوت العنكبوت بكل مكان فى الأركان، كما تحركت أم أربعة وأربعين ضخمة متجهة إلى منزلها بإحدى أنابيب المياه. أجلسوا رجل الدين على مقعد مستقيم الظهر يوجد خلف طاولة صغيرة عارية.

قال الكولونيل بود بعدما أضاء مشعلاً شديد التوهج فى وجه رجل الدين: "من فضلك استرح"، ثم وضع مجموعة من القبضات النحاسية وصندوقًا من أعواد الثقاب الخشبية فوق الطاولة وأضاف: "إننا نريد منك أن تسترخى".

ظهر الخوف فى عينى رجل الدين. أخذت أسنانه تصطك ببعضها البعض وهربت القوة من أطرافه. كان خائر القوى؛ فقد أدرك أنه بإمكانهم فعل ما يحلو لهم به؛ فيمكن لهؤلاء الرجال المتوحشين أن يضربوه حتى الموت هناك فى ذلك القبو دون أن يتمكن أحد من إنقاذه، لا أحد ربما سوى الرائد الورع المتعاطف ذى الوجه الحاد والذى ترك صنبورًا للمياه ينقط بصوت عالٍ داخل حوض وعاد إلى الطاولة ليضع خرطومًا مطاطيًا ثقيلاً بجوار القبضات النحاسية.

قال الرائد فى تشجيع: "إن كل شىء سيكون على ما يرام؛ فلا يجب أن تخاف طالما أنك لم ترتكب أى جرم. لماذا أنت خائف؟ إنك لست مذنبًا، أليس كذلك؟".

قال الكولونيل: "بالطبع هو مذنب".

ناشده رجل الدين وهو يشعر بمزيد من الارتباك وهو لا يعرف أيًا منهم لابد أن يتوجه إليه طالبًا الرحمة: "مذنب بأى جرم؟ ماذا فعلت؟".

أجاب الكولونيل وهو يضع ورقة وقلمًا على الطاولة أمام رجل الدين: "هذا هو ما سوف نكتشفه. اكتب اسمك على هذه الورقة؟ هلاّ فعلت! بخط يدك".

"بخط يدى؟".

"هذا صحيح. فى أى مكان على الورقة"، وحينما انتهى رجل الدين من الكتابة أخذ الكولونيل الورقة ورفعها عاليًا إلى جوار ورقة أخرى كان قد أخرجها من ملف. قال للرائد الذى أتى إلى جواره وكان ينظر فوق كتفه: "أرأيت؟".

اعترف الرائد: "إنهما غير متطابقتين".

"لقد أخبرتك بأنه من فعل هذا".

سأل رجل الدين: "فعلت ماذا؟".

وجه إليه الرائد الاتهام قائلاً: "لقد أصبتنى بصدمة كبرى حقًا".

"ما الأمر؟".

"لا أستطيع أن أخبرك إلى أى مدى أصبتنى بالإحباط".

قال رجل الدين بمزيد من الاهتياج: "لمَ؟ ماذا فعلت؟".

قال الرائد فى اشمئزاز وهو يضع على الطاولة الورقة التى كتب عليها رجل الدين اسمه للتو: "هذا هو ما فعلته. ليس ذلك هو خط يدك".

طرف رجل الدين بعينيه فى دهشة: "إنه خط يدى بالطبع".

"لا، إنه ليس كذلك. إنك تكذب مرة أخرى".

صاح رجل الدين فى سخط: "ولكننى كتبت هذه العبارة لتوى. لقد رأيتنى أكتبها".

قال الرائد بقسوة: "هذا صحيح. لقد رأيتك تكتبها. لا يمكنك أن تنكر أنك كتبتها. إن الرجل الذى قد يكذب بشأن خط يده قد يكذب بشأن أى شىء آخر".

سأل رجل الدين بعدما نسى خوفه واجتاحته دفقة من الغضب والسخط فجأة: "ولكن من الذى كذب بشأن خط يدى؟ هل أنت مجنون أم ماذا؟ ما الذى تتحدثان عنه؟".

"لقد طلبنا منك كتابة اسمك بخط يدك. ولكنك لم تفعل ذلك".

"ولكننى فعلت؛ فبخط من سأكتب اسمى إن لم يكن بخطى؟".

"خط شخص آخر".

"من؟".

هدده الكولونيل قائلاً: "هذا هو ما سوف نكتشفه".

"تحدث يا أبتى".

شرع رجل الدين فى النظر من أحدهم إلى الآخر فى شك وهيستيريا وقال: "إن خط اليد هذا هو خطى. فأين إذن هو خط يدى إن لم يكن ذلك هو خط يدى؟".

أجاب الكولونيل: "هنا". وبتعالٍ بالغ قام بإلقاء نسخة مصورة من خطاب تم شطب كل شىء به فيما عدا: "عزيزتى مارى" والذى قام الضابط الذى راجعه بكتابة: "أنا أشتاق لك بشدة. إيه. تى. تابمان، رجل الدين بالجيش الأمريكى". - على الطاولة . ابتسم الكولونيل فى ازدراء وهو يراقب وجه رجل الدين وهو يتحول إلى اللون الوردى. "حسنًا يا أبتى؟ هل تعرف من كتب هذا؟".

مرت لحظة طويلة قبل أن يجيب رجل الدين؛ فهو قد تعرف على خط يوساريان: "لا".

قال الكولونيل فى تهكم: "أنت تستطيع القراءة، أليس كذلك؟ إن المراجع كتب اسمه".

"إن ذلك هو اسمى".

"إذن أنت كتبته. وهو المطلوب إثباته".

"ولكننى لم أكتبه. إن ذلك ليس خط يدى".

قال الكولونيل وهو يهز كتفيه: "إذن لقد كتبت اسمك بخط يد شخص آخر. ذلك هو ما فعلته".

صاح رجل الدين بعدما نفد صبره فجأة: "هذا شىء سخيف!".

نهض على قدميه فى غضب وهو يضم أصابع يديه: "أنا لن أحتمل هذا أكثر من ذلك! هل تسمع؟ لقد لقى اثنا عشر شخصًا مصرعهم وأنا ليس لدى وقت لمثل هذه الأسئلة السخيفة. ليس من حقكم احتجازى هنا وأنا لن أبقى أكثر من ذلك".

ودون أن ينطق بكلمة دفع الكولونيل صدر رجل الدين بقوة جاعلاً إياه يجلس ثانية على مقعده؛ مما أشعر رجل الدين بالضعف والخوف فجأة. التقط الرائد الخرطوم المطاطى وبدأ ينقر به بشكل مهدد فوق راحة يده المفتوحة. رفع الكولونيل صندوق الثقاب وأخرج واحدًا ووازنه على الطاولة وهو ينتظر بعينين متوهجتين بادرة التحدى التالية التى سيقوم بها رجل الدين. شحب وجه رجل الدين وعجز عن الحركة. وقد جعله الضوء الساطع للمشعل يشيح بوجهه أخيرًا؛ وقد كان صوت تقطير الماء أعلى ومزعجًا للغاية. وقد تمنى لو يخبرونه ماذا يريدون حتى يعلم بماذا يعترف. انتظر فى توتر بينما تحرك الضابط الثالث - بعدما أشار له الكولونيل - وسار بتمهل من الجدار وجلس فوق الطاولة على بعد بوصات قليلة فقط من رجل الدين. كان وجهه خاليًا من التعبير وعيناه نافذتين وباردتين.

قال من فوق كتفه بصوت هادئ خفيض: "أطفئ المشعل. إنه مزعج للغاية".

ابتسم رجل الدين ابتسامة صغيرة تنم عن الامتنان: "شكرًا لك يا سيدى. والماء أيضًا من فضلك".

قال الضابط: "دع الماء. إنه لا يزعجنى". شد لأعلى ساقى بنطاله قليلاً وكأنه يحافظ على جعدتهما الأنيقة. سأل عرضيًا: "أنت تعمل كرجل دين، أليس كذلك؟".

"بلى يا سيدى".

"هذا أمر مثير للشك للغاية، أليس كذلك؟".

سأل رجل الدين فى دهشة تغلفها البراءة: "مثير للشك؟ لماذا يا سيدى؟".

"حسنًا، أنا لا أعلم شيئاً عن هذه المهنة. لابد أن تعترف بذلك، هلاَ فعلت! أليس

وجودك بالجيش مثير للشك؟".

أجاب رجل الدين فى دبلوماسية وهو يتمتم قليلاً: "لا أعلم يا سيدى". لقد أربكه ذلك الرجل الذى لم يكن يضع شارة عسكرية ولم يكن واثقًا حتى إن كان ينبغى عليه أن يناديه بكلمة سيدى. من هو؟ وما السلطة التى يمتلكها ليقوم باستجوابه؟

"أنا لا أعلم لماذا تتجادل معى حول هذه النقطة. لقد اعترفت بذلك لتوك. الآن يا أبتى، كونك رجل دين لا يخبرنا بشىء عن هويتك، أليس كذلك؟ يمكنك أن تكون أى شىء أو أى شخص". اتكأ للأمام بعدما أصبح سلوكه أكثر جدية ومكرًا ثم قال: "يمكنك حتى أن تكون واشنطن إيرفنج، أليس كذلك؟".

كرر رجل الدين فى دهشة: "واشنطن إيرفنج؟".

تدخل الكولونيل البدين بغضب: "بالله عليك يا واشنطن. لماذا لا تعترف بالأمر؟ أنت تعلم أنك سرقت ثمرة الطماطم الأرجوانية تلك".

بعد لحظة من الشعور بالصدمة قهقه رجل الدين وهو يشعر بالراحة ثم قال: "هل الأمر كذلك؟ الآن بدأت أفهم. أنا لم أسرق ثمرة الطماطم الأرجوانية تلك يا سيدى. لقد أعطانى إياها الكولونيل كاثكارت. يمكنك حتى أن تسأله إن كنت لا تصدقنى".

انفتح باب فى الطرف الآخر من الغرفة ودخل الكولونيل كاثكارت القبو وكأنه كان داخل خزانة.

"مرحبًا أيها الكولونيل. إنه يدعى أنك أعطيته ثمرة الطماطم الأرجوانية هذه".

قال الكولونيل كاثكارت: "لماذا قد أعطيه ثمرة طماطم؟".

"شكرًا لك أيها الكولونيل. لن نحتاج إليك فى شىء آخر".

أجاب الكولونيل كاثكارت: "العفو يا كولونيل" وخرج من القبو مغلقًا الباب خلفه.

"حسنًا؟ ماذا لديك الآن لتقوله؟".

تمتم رجل الدين فى همس يشوبه الحزم والخوف: "لقد أعطاها لى! لقد أعطاها لى!".

"إنك لا تنعت ضابطًا أعلى رتبة بالكذب، أليس كذلك؟".

"لماذا قد يعطيك ضابط أعلى رتبة ثمرة طماطم أرجوانية؟".

"هل هذا هو السبب فى أنك حاولت إعطاءها للرقيب ويتكومب؟ لأنها ثمرة طماطم مسروقة؟".

اعترض رجل الدين وهو يتساءل عن السبب الذى يجعلهم لا يستطيعون

الفهم: "لا، لا. لقد عرضتها على الرقيب ويتكومب لأننى لم أردها".

"ولماذا سرقتها من الكولونيل كاثكارت إن كنت لا تريدها؟".

"أنا لم أسرقها من الكولونيل كاثكارت!".

"إذن لم تشعر بالذنب إن لم تكن قد سرقتها؟".

"أنا لا أشعر بالذنب!".

"إذن لماذا نستجوبك إن لم تكن مذنبًا؟".

تأوه رجل الدين وهو يفرك أصابعه فوق ساقيه ويهز رأسه التى يخفضها فى حزن: "لا أعلم. لا أعلم".

قال الرائد: "إنه يعتقد أن لدينا وقتًا لنهدره".

واصل الضابط الذى لا يضع شارة حديثه بمزيد من الهدوء وهو يرفع ورقة صفراء مطبوعة على الآلة الكاتبة من الملف المفتوح: "إن لدى بيانًا موقعًا هنا من الكولونيل كاثكارت يفيد بأنك سرقت ثمرة الطماطم الأرجوانية تلك منه". وضع الورقة ووجهها لأسفل على أحد جانبى الملف والتقط صفحة ثانية من الجانب الآخر وأضاف: "وهنا لدى شهادة خطية موقعة من الرقيب ويتكومب والتى يقول فيها إنه علم أن ثمرة الطماطم كانت مسروقة من الطريقة التى أردت إعطاءها له بها".

استجدى رجل الدين فى حزن وهو على وشك البكاء: "أقسم بالله إننى لم أسرقها يا سيدى. أقسم إنها لم تكن ثمرة طماطم مسروقة".

"هل تؤمن بالله يا أبتى؟".

"نعم يا سيدى. بالطبع".

قال الضابط وهو يأخذ من الملف ورقة أخرى صفراء مطبوعة على الآلة الكاتبة: "هذا غريب حقًا لأن لدىّ هنا بين يدى بيانًا آخر من الكولونيل كاثكارت والذى يقسم به أنك رفضت التعاون معه فى مسألة خاصة بتلاوة الصلوات فى غرفة التعليمات قبل كل مهمة".

بعد أن بدا مشدوهًا للحظة أومأ رجل الدين بسرعة بعدما تذكر تلك الواقعة وقال: "نعم هذا صحيح يا سيدى. إن الكولونيل كاثكارت هو من خرج بهذه الفكرة بعدما أدرك أن الضباط والمجندين يعتنقون نفس الديانة".

قال الضابط فى عدم تصديق: "فعل ماذا؟".

أعلن الكولونيل ذو الوجه الأحمر وهو يبتعد عن رجل الدين فى عزة وانزعاج: "ما هذا الهراء!".

صاح الرائد فى سخط: "هل يتوقع منا تصديق هذا؟".

ضحك الضابط الذى لا يضع شارة وسأل بابتسامة غاضبة وغير ودودة: "ألا

تبالغ قليلاً الآن يا أبتى؟".

"ولكن يا سيدى تلك هى الحقيقة! أقسم بالله إن تلك هى الحقيقة".

أجاب الضابط فى عدم مبالاة واتجه ثانية ناحية الملف المفتوح الممتلئ بالأوراق: "لا أدرى ما أهمية ذلك لك بأى حال من الأحوال. هل قلت يا أبتى إنك تؤمن بالله حينما سألتك عن هذا الأمر؟ أنا لا أتذكر".

"نعم يا سيدى. لقد قلت إننى أومن بالله".

"إذن هذا حقًا غريب لأن لدى هنا شهادة خطية أخرى من الكولونيل كاثكارت تفيد بأنك قلت له ذات مرة أن هناك ملحدين يعيشون بهذا العالم. هل تذكر أنك قلت شيئًا مثل هذا لأى أحد؟".

أومأ رجل الدين دون تردد وهو يشعر أنه يقف على أرض شديدة الصلابة الآن. "نعم يا سيدى لقد قلت هذا. وقد قلت ذلك لأنه صحيح. إن هناك ملحدين يعيشون بهذا العالم".

وبخه الضابط بشكل لاذع وهو يقطب ويلتقط ورقة أخرى مطبوعة على الآلة الكاتبة وموثقة من الملف: "ولكن ليس هناك سبب يجعلك تقول هذا. وها هى شهادة أخرى بقسم من الرقيب ويتكومب تقول إنك عارضت خطته الخاصة بإرسال خطابات تعزية ممهورة بتوقيع الكولونيل كاثكارت لأقارب الرجال الذين يلقون حتفهم أو يصابون فى المعارك، أليس كذلك؟".

قال رجل الدين: "بلى يا سيدى، لقد عارضت تلك الخطة. وأنا فخور لأننى فعلت ذلك. إن تلك الخطابات غير مخلصة ومنافقة. إن هدفها الوحيد هو تمجيد الكولونيل كاثكارت".

أجاب الضابط: "وما الفارق الذى يحدثه هذا؟ إنها لاتزال تبث السكينة والعزاء للأسر التى تتلقاها، أليس كذلك؟ أنا ببساطة لا أفهم كيف تفكر".

كان رجل الدين مصعوقًا وشعر بارتباك شديد جعله عاجزًا عن الرد. ظل رافعًا رأسه وهو يشعر بالسذاجة وبأن لسانه معقود.

تقدم الكولونيل البدين متورد الوجه للأمام بعنف بفكرة مفاجئة. اقترح على الآخرين بحماسة متقدة: "لماذا لا نقوم بإخراج مخه من داخل رأسه اللعين؟".

وافقه الرائد ذو الوجه الذى يشبه وجه الصقر قائلاً: "نعم، يمكننا إخراج مخه من داخل رأسه اللعين".

حذره الضابط الذى لا يضع شارة بنبرة واهنة: "لا، لابد أن نثبت أنه مذنب أولاً". سار ببطء والتف حول الجانب الآخر من الطاولة ليواجه رجل الدين بعدما وضع كلتا يديه على سطحها. كان تعبير وجهه داكنًا وصارمًا. قال بقسوة يتخللها الوقار: "إننا نتهمك رسميًا بأنك واشنطن إيرفنج وأنك تقوم بمراجعة خطابات

المجندين والضباط دون أن يكون مصرحًا لك بذلك. هل أنت مذنب أم برىء؟".

"برىء يا سيدى". لعق رجل الدين شفتيه الجافتين بلسانه الجاف واتكأ للأمام فى خوف ليجلس على حافة المقعد.

قال الكولونيل: "مذنب".

قال الرائد: "مذنب".

قال الضابط الذى لا يضع شارة وكتب كلمة على إحدى الصفحات بالملف: "هو مذنب إذن". واصل حديثه وهو ينظر لأعلى: "إننا نتهمك أيضًا بارتكاب جرائم ومخالفات لا نعرفها بعد. هل أنت مذنب أم برىء؟".

"لا أعرف يا سيدى. كيف لى أن أعرف إن لم تخبرنى ما هى".

"كيف يمكننا أن نخبرك إذا كنا لا نعرف؟".

قرر الكولونيل: "مذنب".

وافقه الرائد: "بالطبع هو مذنب. فإن كانت تلك هى جرائمه ومخالفاته، إذن لابد أن يكون قد ارتكبها".

قال الضابط الذى لا يضع شارة قبل أن يتحرك إلى جانب الغرفة: "هو مذنب إذن. إنه لك أيها الكولونيل".

قال الكولونيل: "شكرًا لك. لقد أبليت حسنًا حقًا". استدار ناحية رجل الدين: "حسنًا يا أبتى، لقد انتهى الحفل. امض لحالك".

لم يفهم رجل الدين ما يحدث، سأله: "ماذا تريد منى أن أفعل؟".

زأر الكولونيل وهو يهز إبهامه فوق كتفه بغضب: "قلت لك امض لحالك. اخرج من هنا".

أصيب رجل الدين بالصدمة من هذه النبرة القتالية وشعر بالحزن ـ وهو الأمر الذى أدهشه حقًا ـ لأنهم أطلقوا سراحه. سأل فى دهشة يشوبها الحزن: "ألن تقوموا حتى بمعاقبتى؟".

"إنك محق. إننا سوف نعاقبك. ولكننا لن نقرر ما سنفعله بك أثناء تواجدك بالحجرة. لذا امض لحالك".

نهض رجل الدين فى تردد وأخذ بضع خطوات للأمام: "هل يمكننى الذهاب؟".

"فى الوقت الراهن. ولكن لا تحاول مغادرة الجزيرة .إن لدينا رقمك. وتذكر أننا نضعك تحت الملاحظة على مدار أربع وعشرين ساعة".

وقد كانت مسألة تركه يرحل غير منطقية تمامًا. تحرك رجل الدين ناحية المخرج فى سعادة وهو يتوقع فى أية لحظة أن يأمره صوت أجش بالعودة أو يتم إيقافه فى مكانه بتوجيه ضربة قوية له فوق رأسه أو كتفه، ولكنهم لم يفعلوا شيئًا

لإيقافه. مضى فى طريقه عبر الأروقة الرطبة والمظلمة والبالية حتى وصل إلى الدرجات. كان يترنح وهو يصعد الدرجات حتى خرج فى الهواء المنعش، وبمجرد أن خطا بالخارج اجتاحه غضب عارم. كان يشتاط غضبًا من فظاعة هذا اليوم، وهو لم يسبق له أن شعر بهذا القدر من الغضب فى حياته. سار عبر الردهة الفسيحة للمبنى بينما تساوره مشاعر انتقامية ولاذعة من الاستياء. أخذ يحدث نفسه أنه لن يتحمل ما يحدث أكثر من هذا. وحينما وصل إلى المدخل لمح المقدم كورن يصعد الدرجات وحده مما جعله يشعر بالسعادة. لملم شتات نفسه وأخذ نفسًا عميقًا ومضى قدمًا لاعتراض طريقه.

قال بحزم: "أيها الكولونيل، أنا لن أتحمل ما يحدث أكثر من ذلك" ثم أخذ يراقب فى ذعر المقدم كورن وهو يصعد الدرجات دون حتى أن يلاحظه: "أيها المقدم كورن!".

توقف جسد المقدم البدين واستدار وهبط الدرجات ببطء: "ما الأمر يا أبتى؟".

"أيها المقدم كورن، أود التحدث معك بشأن حادث التصادم الذى حدث هذا الصباح. لقد كان أمرًا شنيعًا حقًا!".

ظل المقدم كورن صامتًا للحظة وهو ينظر لرجل الدين فى دهشة تهكمية. قال أخيرًا: "نعم يا أبتى، لقد كان أمرًا شنيعًا حقًا، لا أعلم كيف سنكتب عن هذا الحادث فى التقرير دون أن يجعلنا نظهر بمظهر سيئ".

وبخه رجل الدين بحزم دون أى خوف: "لم يكن هذا ما عنيته. إن بعض الرجال من بين الضحايا الاثنى عشر هؤلاء قد أنهوا بالفعل السبعين مهمة المخولة لهم".

ضحك المقدم كورن. سأل عرضيًا: "هل كان الأمر يعتبر أقل بشاعة إن كان من مات مجموعة من الضباط الجدد؟".

شعر رجل الدين بالدهشة مجددًا. كان يبدو له أنه يتعثر بالمنطق غير الأخلاقى فى كل مكان يذهب إليه. أصبح أقل ثقة فى نفسه من ذى قبل حينما واصل حديثه وبصوت متحشرج قائلاً: "يا سيدى، كيف يتسنى للرجال فى هذه الوحدة الخروج فى ثمانين مهمة فى حين أن الرجال فى الوحدات الأخرى يعودون للوطن حينما ينهون خمسين أو خمسًا وخمسين مهمة".

قال المقدم كورن فى عدم اكتراث وملل وهو يهم بالانصراف: "سوف ندرس هذا الأمر. إلى اللقاء يا بادرى".

قال رجل الدين فى تصميم بصوت يتخلله الخوف: "ماذا يعنى هذا يا سيدى؟".

توقف المقدم كورن بينما يعلو وجهه تعبير ساخط وأخذ خطوة للوراء. أجابه بازدراء وتهكم: "يعنى أننا سنفكر فى الأمر يا بادرى. إنك لا تريد منا القيام بأى شىء دون التفكير فيه ودراسته أولاً، أليس كذلك؟".

"لا يا سيدى، لا أعتقد هذا، ولكنك قمت بدراسة الأمر، أليس كذلك".

"نعم يا بادرى، لقد قمنا بدراسة الأمر. ولكن لنجعلك سعيدًا، سوف ندرس الأمر أكثر وستكون أول شخص سنخبره حينما نتوصل لقرار جديد. الآن وداعًا". استدار المقدم كورن مجددًا وهرع أعلى الدرجات.

"أيها المقدم كورن!" جعلت صيحة رجل الدين المقدم كورن يستدير مرة أخرى. استدار ببطء ناحية رجل الدين وهو يبدو نافد الصبر وغاضبًا. تدفقت الكلمات من رجل الدين فى سيل يعتريه التوتر: "يا سيدى، أود أن أحصل على إذن منك كى أصعد الأمر إلى الجنرال دريدل. أريد أن أقوم بإيصال شكوى إلى مقر الرئاسة".

انبثقت ضحكة غير متوقعة من داخل فكى المقدم كورن وتطلّب منه الأمر لحظة ليستطيع الإجابة. أجابه فى بهجة وهو يحاول جاهدًا ألا يضحك: "لا بأس يا بادرى. لقد أذنت لك بالتحدث إلى الجنرال دريدل".

"شكرًا لك يا سيدى. أعتقد أننى لابد أن أبلغك أن لى بعض التأثير على الجنرال دريدل".

ابتسم المقدم كورن فى خبث قبل أن ينفجر فى الضحك: "إنه لكرم منك يا بدر أن تبلغنى بهذا، وأنا أعتقد أننى لابد أن أبلغك أنك لن تجد الجنرال دريدل بالجناح. لقد غادر الجنرال دريدل يا بادرى، وحل محله الجنرال بيكام. لقد أصبح لدينا قائد جديد للجناح".

أصيب رجل الدين بالذهول: "الجنرال بيكام!".

"هذا صحيح. هل لديك أى تأثير عليه؟".

قال رجل الدين: "حسنًا، أنا حتى لا أعرف الجنرال بيكام".

ضحك المقدم كورن مجددًا. "هذا مؤسف للغاية لأن الكولونيل كاثكارت يعرفه جيدًا". ضحك المقدم كورن باستمتاع بالغ على مدار لحظة أو اثنتين ثم توقف عن الضحك فجأة وقال وهو يلكز إصبعه داخل صدر رجل الدين: "وبالمناسبة يا بادرى. لقد انتهى الحفل الذى كنت تقيمه أنت والطبيب ستابس؛ فنحن نعلم أنه أرسلك إلى هنا كى تشكو اليوم".

هزّ رجل الدين رأسه فى اعتراض وارتباك: "الطبيب ستابس؟ أنا لم يسبق لى أن رأيت الطبيب ستابس يا أيها المقدم. لقد جلبنى إلى هنا ثلاثة ضباط أخذونى إلى داخل قبو دون أن يحق لهم ذلك وشرعوا فى استجوابى وإهانتى".

لكز المقدم كورن رجل الدين فى صدره ثانية: "أنت تعلم جيدًا أن الطبيب

ستابس كان يخبر الرجال فى سريته أنهم ليسوا مضطرين للخروج فى أكثر من سبعين مهمة". ضحك فى سعادة: "حسنًا يا بادرى، إنهم مضطرون للخروج فى أكثر من سبعين مهمة؛ لأننا قمنا بنقل الطبيب ستابس إلى المحيط الهادئ. لذا وداعًا يا بادرى. وداعاً".

٣٧
الجنرال شسكوبف

لقد رحل الجنرال دريدل وحل محله الجنرال بيكام، وقد انتقل الجنرال بيكام إلى مكتب الجنرال دريدل حينما انهار مجده العسكرى.

فى مكتبه الجديد سأل الجنرال الرقيب الذى أخبره بالأمر الذى صدر هذا الصباح: "الجنرال شسكوبف؟ تعنى الكولونيل شسكوبف؟ أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدى، الجنرال شسكوبف. لقد تمت ترقيته إلى جنرال هذا الصباح يا سيدى".

"حسنًا، هذا حتمًا أمر مثير للفضول! شسكوبف! جنرال! برتبة ماذا؟...

"فريق يا سيدى، و...".

"فريق!".

"نعم يا سيدى، وهو لا يريد منك إصدار أوامر لأى أحد قبل استشارته أولاً".

قال الجنرال بيكام فى دهشة وهو يسب للمرة الأولى فى حياته: "تبًا. هل سمعت هذا يا كارجيل؟ لقد تمت ترقية شسكوبف إلى رتبة فريق. أنا واثق أنه أنا من كان يجب أن يحصل على هذه الترقية وأنهم أعطوها له عن طريق الخطأ".

شرع الكولونيل كارجيل فى فرك ذقنه الخشنة وهو يفكر قائلاً: "لماذا يصدر لنا الأوامر؟".

عبس وجه الجنرال بيكام المميز الأملس وقال ببطء وهو يقطب فى عدم فهم: "نعم يا أيها الرقيب. لماذا يصدر لنا الأوامر إذا كان لا يزال فى الخدمات الخاصة ونحن فى العمليات القتالية؟".

"هذا تغيير آخر تم إجراؤه فى هذا الصباح يا سيدى. إن جميع العمليات القتالية أصبحت خاضعة لسلطان الخدمات الخاصة. لقد أصبح الجنرال شسكوبف قائدنا الجديد".

صرخ الجنرال بيكام بحدة. انتحب فى هيستيريا: "يا إلهى! شسكوبف هو القائد؟ شسكوبف؟". وضع قبضتيه فوق عينيه فى ذعر. "كارجيل، أحضر لى ونترجرين! شسكوبف؟ ليس شسكوبف؟".

بدأت كل الهواتف ترن فى نفس الوقت. دخل جندى الخدمات وأدى التحية.

"يا سيدى يوجد رجل دين بالخارج يود رؤيتك بشأن ظلم واقع فى سرية

الكولونيل كاثكارت".

"اصرفه، اصرفه! إن لدينا من يكفينا من الظلم هنا. أين ونترجرين؟".

"يا سيدى، إن الجنرال شسكوبف على الهاتف. إنه يود التحدث إليك على الفور".

صرخ الجنرال بيكام وكأنه يدرك فداحة الكارثة للمرة الأولى: "أخبره بأننى لم أصل بعد. يا إلهى! شسكوبف. إن هذا الرجل معتوه! لقد أهنت هذا الأحمق كثيرًا، والآن أصبح قائدى. يا إلهى! كارجيل! كارجيل! لا تهجرنى! أين ونترجرين؟".

"يا سيدى، إن ونترجرين الرقيب الأسبق على الهاتف. إنه يحاول الوصول إليك منذ وقت طويل".

صاح الكولونيل كارجيل: "يا أيها الجنرال، لا أستطيع الوصول إلى ونترجرين. إن خطه مشغول".

تنفس الجنرال بيكام الصعداء وهو يرفع السماعة الأخرى.

"ونترجرين!".

"بيكام، أيها الوغد...".

"ونترجرين، هل سمعت عما فعلوه؟".

" ... ماذا فعلت أيها الحقير الغبى؟".

" ... لقد جعلوا شسكوبف مسئولاً عن كل شىء!".

كان ونترجرين يرتعد غضبًا وذعرًا: "أنت ومذكراتك اللعينة! لقد تسببت فى نقل العمليات القتالية لتصبح تحت إمرة الخدمات الخاصة!".

تأوه الجنرال بيكام: "لا. هل مذكراتى هى السبب؟ هل هى ما جعلتهم يولون شسكوبف قائدًا؟ لماذا لم يولونى قائدًا؟".

"لأنك لم تعد فى العمليات الخاصة. لقد انتقلت وتركته يتولى القيادة. وهل تدرى ماذا يريد؟ هل تدرى ماذا يريد هذا الوغد منا جميعًا أن نفعل؟".

قال الرقيب فى توتر: "يا سيدى؛ أعتقد أنه حرى بك التحدث إلى الجنرال شسكوبف. إنه مصر على التحدث إلى شخص ما".

"كارجيل، تحدث إلى شسكوبف من أجلى. أنا لا أستطيع القيام بذلك. تبين ماذا يريد".

أنصت الكولونيل كارجيل إلى الجنرال شسكوبف للحظة وامتقع لونه بشدة. صاح بينما تسقط السماعة من بين أصابعه: "يا إلهى! هل تعلم ماذا يريد؟ يريد منا أن نسير فى استعراضات عسكرية. يريد من الجميع السير فى استعراضات عسكرية!".

٣٨

الأخت الصغرى

سار يوساريان إلى الوراء وهو يضع مسدسه فى جانبه ورفض الخروج فى المزيد من المهام. كان يسير للوراء لأنه كان ينظر وراءه باستمرار أثناء سيره للتأكد من أن ما من أحد سوف يتسلل إليه من الوراء؛ فكل صوت يأتيه من الوراء كان بمثابة التحذير وكل شخص يمر به كان عدوًا محتملاً، وقد ظل يضع إصبعه على زناد مسدسه طوال الوقت ولا يبتسم لأحد سوى هنجرى جو. وقد أخبر النقيب بيلشارد والنقيب رين أنه لن يطير ثانية، وقد شطب النقيب بيلشارد والنقيب رين اسمه من سجل الطيران للمهمة التالية وأبلغوا مقر رئاسة الوحدة بالأمر.

ضحك المقدم كورن بهدوء. سأل وهو يبتسم أثناء توجه الكولونيل كاثكارت لأحد الأركان للتفكير فى هذا الاسم المشئوم يوساريان الذى ظهر ثانية ليلحق به كارثة: "ماذا تعنى بأنه يرفض الخروج فى مزيد من المهام. ما السبب؟".

"لقد لقى صديقه ناتلى حتفه بالصدام فوق سبيزا. ربما يكون هذا هو السبب".

"ماذا يظن نفسه - أخيل؟". كان المقدم كورن سعيدًا بهذا التشبيه الذى قاله وقرر أن يقوله ثانية فى المرة التالية التى يكون فيها بصحبة الجنرال بيكام. "عليه الخروج فى مزيد من المهام. إنه لا يملك حرية الاختيار. عد وأخبره بأنك سوف تخبرنا بالأمر إن لم يعدل عن رأيه".

"لقد أخبرناه بذلك بالفعل. ولم يشكل ذلك أى فارق".

"ما رأى الرائد ميجور؟".

"إننا لا نرى قط الرائد ميجور. يبدو أنه قد اختفى".

قال الكولونيل كاثكارت من الزاوية فى تذمر: "أتمنى لو نستطيع أن نختفيه تمامًا كما فعلنا مع دونبار".

أكد له المقدم كورن فى ثقة: "إن هناك العديد من الطرق الأخرى التى نستطيع أن نتولى بها هذا الأمر" ثم وجه حديثه لبيشارد ورين: "دعونا نكن رفقاء معه فى البداية. أرسلاه إلى روما ليرتاح لبضعة أيام؛ فربما يكون موت هذا الصديق قد آلمه بالفعل".

فى الواقع لقد أوشك موت ناتلى على قتل يوساريان؛ حيث إنه حينما زف الخبر

لفتاة ناتلى فى روما انسحق فؤادها وارتعدت وحاولت طعنه لتقتله باستخدام سكين بطاطس.

صاحت عليه فى غضب هيستيرى: "متوحش!" حينما أثنى ذراعها وراءها وقام بالقرص عليه بشدة حتى سقطت سكين البطاطس من قبضتها. "متوحش! متوحش!". رفعت ذراعها الحرة وبأظافرها الطويلة خدشت خده ثم بصقت على وجهه.

صرخ فى ألم وارتباك وهو يدفعها بعيدًا عنه عبر الغرفة حتى الجدار: "ما الأمر؟ ماذا تريدين منى؟".

اندفعت نحوه وهى تضرب فمه بكلتا قبضتيها قبل أن يتمكن من الإمساك بمعصميها ويقيد حركتها. كان شعرها جامحًا، وكانت الدموع تنهمر من عينيها المتوهجتين الممتلئتين بالكراهية وهى تصارعه فى اهتياج وجنون بينما تسبه وتصرخ عليه بوحشية: "متوحش! متوحش!" فى كل مرة يحاول فيها شرح الموقف لها. كانت تهاجمه بقوة واستطاعت صرعه وإفقاده توازنه؛ فقد كان طولها مقاربًا لطول يوساريان وطوال بضع لحظات مفزعة ومذهلة كان واثقًا من أنها ستتغلب عليه بسبب عزيمتها القوية واهتياجها وتسحقه فوق الأرض وتقطع أوصاله بلا رحمة من أجل جريمة شنيعة لم يرتكبها. أراد أن يصرخ طلبًا للمساعدة أثناء ضربهما لبعضهما البعض فى جنون، وفى النهاية خارت قواها واستطاع ردعها وبدأ يستجديها كى تتركه يتحدث وهو يقسم لها بأن موت ناتلى لم يكن خطأه. بصقت على وجهه مرة أخرى فدفعها بقوة فى إحباط وغضب واشمئزاز. اندفعت ناحية سكين البطاطس فى اللحظة التى حررها فيها. دفع نفسه ناحيتها وظلا يتدحرجان فوق بعضهما البعض عدة مرات قبل أن يستطيع انتزاع السكين منها. حاولت إيقاعه بيدها وهو يهم بالنهوض على قدميه وخدشت كاحله مقتطعة شريحة منه. قفز عبر الغرفة فى ألم وألقى بسكين البطاطس من النافذة . تنفس الصعداء بمجرد أن أدرك أنه أصبح بأمان.

صاح بصوت ناضج صادق: "الآن من فضلك دعينى أشرح لك الأمر".

ركلته فى منطقة الأربية. صرخ: "ووووش!" وهو يزفر الهواء وارتمى على الأرض على جانبه فى ألم وهو يحاول التنفس بصعوبة. ركضت فتاة ناتلى خارج الغرفة. هب يوساريان بالوقوف على قدميه ولكنه رآها تعود من المطبخ وهى تحمل سكين خبز طويلة. انطلقت صرخة ذعر من بين شفتيه وهو لا يزال يمسك بأحشائه المتألمة النابضة بكلتا يديه. ألقى بوزنه فوق قصبتى ساقيها دافعًا بهما من تحتها. سقطت فوق رأسه لتستقر على الأرض فوق مرفقيها محدثة صوتًا مكتومًا. طارت السكين من يدها فدفعها أسفل الفراش. حاولت الذهاب وراءها

فأمسكها من ذراعها ورفعها. حاولت ركله فى الأربية ثانية فدفعها بقوة. ارتطمت بالجدار فاقدة توازنها ومحطمة مقعد وطاولة تجميل مغطاة بالأمشاط وفرش الشعر ومستحضرات التجميل، وقد سقطت صورة داخل إطار على الأرض بالطرف الآخر من الغرفة وتحطم زجاجها الأمامى.

صاح عليها فى أنين وسخط وارتباك: "ماذا تريدين منى؟ أنا لم أقتله؟".

قذفت منفضة رماد زجاجية ثقيلة ناحية رأسه. رفع قبضته وأراد لكمها فى معدتها حينما ركضت ناحيته مجددًا ولكنه خشى أن يؤذيها. أراد ضربها بسرعة وبعنف عند طرف فكها ثم الركض من الغرفة، ولكن تعذر ذلك عليه. تنحى جانبًا فى اللحظة الأخيرة وتركها تندفع إلى جواره بقوة. ارتطمت بشدة فى الجدار الآخر. الآن كانت تسد الباب. ألقت بزهرية كبيرة ناحيته. بعد ذلك اندفعت نحوه وهى تحمل زجاجة شراب ممتلئة وضربته بها على صدغه موقعة به أرضًا ليستقر فوق ركبة واحدة. كانت أذناه تطنان وأصيب وجهه بالتنميل. كان يشعر بالخزى أكثر من أى شىء آخر. شعر بالحرج لأنها كانت ستقتله. وهو ببساطة لم يكن يدرى ماذا يحدث. ولم يكن يمتلك أدنى فكرة عما يجب عليه فعله. ولكنه علم أن عليه إنقاذ نفسه، ونهض من فوق الأرض حينما رآها ترفع زجاجة الشراب لتضربه ثانية واندفع نحوها ودفعها فى صدرها قبل أن تستطيع ضربه. كان يمتلك قوة دافعة جعلتها تندفع أمامه بظهرها بسرعة كبيرة حتى التوت ركبتاها وسقطت هى فوق حاشية الفراش وسقط يوساريان فوقها. أخذت تحفر بأظافرها فى رقبته أثناء قيامه بمحاولات للسيطرة عليها حتى وصل إلى زجاجة الشراب أخيرًا وانتزعها منها. كانت لاتزال تركل وتسب وتخدش فى وحشية. حاولت عضه بقسوة بأسنانها التى خرجت من شفتيها المغريتين والتى كانت تشبه أسنان وحش مفترس. والآن وبينما كانت ترقد أسفله أسيرة أخذ يتساءل كيف يمكن أن يهرب منها دون أن يعرضه ذلك لأذاها. لفت إحدى ذراعيها نحوه ومدت ذراعها الآخر نحو الأرض بحثًا عن سكين الخبز ووجدتها. لكنه أنقذ نفسه فى الوقت المناسب. لقد أرادت قتله! كان مندهشًا ومذهولاً من تلك الحيلة التى استخدمتها وانتزع السكين منها وألقاها بعيدًا. قفز من الفراش ليقف على قدميه. كان يبدو مرتبكًا. لم يدر إن كان عليه الهرب من الباب ونيل حريته أم القفز على الفراش ويترك روحه فى يدها ثانية. وهى قد أعفته من القيام بأى من الأمرين بالانفجار بشكل غير متوقع فى البكاء. شعر بالذهول مجددًا.

فى هذه المرة كانت تبكى بكاء حارًا متمخضًا عن حزن عميق وصادق جعلها تنسى أمره تمامًا. كان أساها مثيرًا للشفقة؛ فقد كان رأسها الجميل المغرى متدليًا وكتفاها مترهلتين وروحها ذائبة. فى هذه المرة كان حزنها حقيقيًا. كانت تنتحب

بشدة. وهى لم تعد مدركة لوجوده أو مكترثة له. كان بإمكانه الخروج من الغرفة الآن دون أن يخشى أن تؤذيه، ولكنه اختار البقاء ومواساتها ومساعدتها.

استحثها قائلاً: "أرجوك" بينما شعر بأنه عاجز عن الكلام ولف ذراعه حول كتفيها وتذكر فى حزن يشوبه الألم كم شعر بالعجز وعدم المقدرة على الإفصاح عن مشاعره فى الطائرة وهو عائد من الأفنيون حينما ظل سنودين يتمتم أنه يشعر بالبرد وكل ما استطاع أن يقوله له يوساريان حينها هو "على رسلك، لا تقلق". قال لها فى تعاطف: "أرجوك، أرجوك".

وضعت رأسها على صدره وأخذت تبكى حتى منعها ضعفها من البكاء، لم ترفع عينيها ولو مرة حتى أعطاها منديلاً حينما انتهت. مسحت وجنتيها وهى تبتسم وتعيد المنديل متمتمة: "شكرًا" بنبرة لطيفة، وبعد ذلك ودون أى تحذير أو تغير فى الحالة المزاجية غرست أصابعها فى عينيه وهى تطلق صراخًا حادًا.

صرخت: "أيها القاتل!" وركضت فى بهجة عبر الغرفة لإحضار سكين الخبز للقضاء عليه.

نهض واندفع نحوها وهو شبه أعمى. وقد جعلته ضوضاء خلفه يستدير. ارتعد بسبب ما رآه؛ فشقيقة فتاة ناتلى الصغرى كانت آتية نحوه وهى تحمل سكين خبز طويلة أخرى!

انتحب وهو يرتعد: "لا" وأطاح بالسكين من يدها بضربة حادة لرسغها. فقد صبره تمامًا بسبب تلك المشاجرة المربكة الخيالية. لم يكن يدرى من قد يندفع عبر الباب بقوة ليشن هجوماً عليه بعد ذلك بسكين خبز طويلة أخرى، فقام برفع شقيقة فتاة ناتلى الصغرى من فوق الأرض وألقى بها فوق فتاة ناتلى وخرج من الغرفة ثم من الشقة هابطًا الدرجات. طاردته الفتاتان داخل الردهة. سمع وقع قدميهما تتخلف أكثر وأكثر وراءه أثناء هروبه قبل أن يتوقف تمامًا. سمع بكاء أعلاه مباشرة. نظر لأعلى ببئر السلم ليرى فتاة ناتلى تجلس على إحدى الدرجات وهى تبكى واضعة وجهها بين يديها فى حين تتدلى شقيقتها الصغرى المتعذر السيطرة عليها بشكل خطير فوق الدرابزين وهى تصيح "متوحش، متوحش!" فى سعادة وتلوح بسكينها له وكأنه لعبة جديدة مثيرة تتوق إلى استخدامها.

هرب يوساريان ولكنه ظل ينظر فوق كتفه فى قلق أثناء فراره بالشارع، وقد ظل الناس يحدقون إليه بشكل غريب؛ مما جعله يشعر بمزيد من الذعر. سار بسرعة وتوتر متسائلاً عن الشىء الذى يجذب انتباه الآخرين فى شكله، وهو حينما لمس الموضع المؤلم بجبهته تلطخت أصابعه بالدم فأدرك ما يحدث. لمس وجهه برفق بمنديل، وأينما كان يضعه كان يأتى ملطخًا ببقع جديدة من الدماء. كان ينزف من كل مكان. هرع إلى مبنى الصليب الأحمر وهبط طابقين فوق مجموعة من الدرجات

المرمرية البيضاء حتى وصل إلى دورة مياه الرجال؛ حيث نظف واعتنى بجروحه المرئية التى لا تعد ولا تحصى غامرًا إياها بالماء البارد، وضبط ياقة قميصه ومشط شعره. وهو لم يسبق له أن رأى وجهًا مغطى بكل هذه الكدمات والخدوش كذلك الذى لايزال يطرف له بالمرآة فى توتر وذعر. ماذا بحق السماء أرادت منه؟

وحينما غادر دورة المياه، كانت فتاة ناتلى تنتظره بالخارج فى كمين. كانت تجثم ضد الجدار بالقرب من أسفل بيت السلم وخرجت منقضة عليه مثل الصقر وهى تحمل سكين لحم فضية براقة فى قبضتها. قاطع هجومها هذا برفع مرفقه ولكمها فى فكها. دارت عيناها. التقطها قبل أن تسقط وأجلسها برفق. بعد ذلك ركض فوق الدرجات وغادر المبنى وأمضى الساعات الثلاث التالية يبحث خلال المدينة عن هنجرى جو حتى يستطيع الرحيل من روما قبل أن تتمكن من العثور عليه مجددًا. وهو لم يشعر بالأمان حتى أقلعت الطائرة، وحينما هبطوا فى بيانوسا كانت فتاة ناتلى ـ المتنكرة فى مئزر أخضر خاص بالفنيين ـ تنتظر وهى تحمل سكينها فى المكان الذى توقفت به الطائرة تمامًا، والشىء الوحيد الذى أنقذه حينما همت بطعنه فى صدره وهى ترتدى حذاءها ذا الكعب الطويل والنعل الجلدى هو الحصى أسفلها والذى جعل قدمها تتعثر. وقد قام يوساريان المذهول بحملها إلى الطائرة وتقييدها فوق الأرض فى حين اتصل هنجرى جو ببرج التحكم طالبًا الإذن بالعودة إلى روما. وفى المطار فى روما ألقى بها يوساريان فى المطار وأقلع هنجرى جو مباشرة متجهًا إلى بيانوسا مجددًا دون أن يجعل محركاته تستريح. ظل يوساريان يتفحص كل شخص فى حذر أثناء عودته هو وهنجرى جو عبر السرية نحو خيمتهما. نظر إليه هنجرى جو فى سعادة وبهجة.

سأل هنجرى جو فى تردد بعد برهة: "أواثق من أن الأمر برمته ليس من نسج خيالك؟".

"نسج خيالى؟ لقد كنت معى هناك، أليس كذلك؟ لقد قمت لتوك بإعادتها إلى روما".

"ربما أكون قد تخيلت كل هذا أيضًا. فلماذا قد ترغب فى قتلك؟".

"لطالما كرهتنى. ربما لأننى كسرت أنفه أو ربما لأننى كنت الوحيد الذى كان يقف أمامها ويمكنها صب غضبها عليه حينما تلقت الخبر. هل تعتقد أنها ستعود؟".

ذهب يوساريان إلى نادى الضباط فى تلك الليلة وظل هناك حتى وقت متأخر. وقد توخى الحذر أثناء عودته لخيمته وظل يبحث بعينين حذرتين عن فتاة ناتلى. وقد توقف حينما رآها تختبئ فى الشجيرات حول الجانب وهى تمسك بسكين نحت ضخمة وترتدى ملابس فلاحى بيانوسا. مشى يوساريان على أطراف أصابعه دون

أن يحدث صوتًا وأمسكها من الخلف.

صرخت وقاومت مثل قطة هائجة أثناء سحبه لها داخل الخيمة وإلقائها فوق الأرض.

سأل أحد زملائه فى الغرفة وهو نعسان: "ما الذى يحدث؟".

أمره يوساريان قبل أن يجذبه من فوق الفراش ويلقيه أعلاها ويركض خارج الغرفة "أمسكها حتى أعود. أمسكها!".

قالت: "اتركونى أقتله وسوف أنفذ كل رغباتكم".

قفز زملاء الغرفة الآخرون من فوق أسرّتهم حينما رأوا أنها فتاة وحاولوا التودد إليها بينما ركض يوساريان لجلب هنجرى جو والذى كان ينام مثل الأطفال. رفع يوساريان قطة هولب فوق وجه هنجرى جو وهزه ليوقظه. ارتدى هنجرى جو ملابسه بسرعة، وفى هذه المرة طاروا بالطائرة نحو الشمال محلقين فوق إيطاليا خلف خطوط العدو، وحينما حلقوا فوق أرض مستوية وضعوا باراشوت فوق فتاة ناتلى وألقوا بها من فتحة الهرب، وقد كان يوساريان واثقًا من أنه تخلص منها أخيرًا وشعر بالراحة، وحينما اقترب من خيمته فى بيانوسا قفز أمامه شخص داخل الظلام إلى جوار الطريق مما جعله يفقد توازنه. جلس على الأرض وانتظر أن يتم ذبحه بالسكين وهو شبه مرحب بالسكينة التى سيجلبها ذلك، ولكن عوضًا عن ذلك ساعدته يد ودودة على النهوض. كان من قفز أمامه هو طيار بسرية دونبار.

سأل الطيار هامسًا: "كيف حالك؟".

قال يوساريان: "بخير".

"لقد رأيتك تسقط الآن. لقد ظننت أن شيئًا حدث لك".

"لقد فقدت الوعى فقط".

"ثمة شائعة فى سريتى تفيد أنك أخبرتهم بأنك لن تخرج فى مزيد من المهام القتالية".

"تلك هى الحقيقة".

"لكن جاء بعد ذلك أشخاص من الوحدة وأخبرونا بأن الشائعة ليست صحيحة وأنت فقط كنت تمزح".

"إن تلك مجرد كذبة".

"هل تعتقد أنهم سيتركونك دون أن يفعلوا لك شيئًا؟".

"لا أعلم".

ماذا سيفعلون بك؟".

"لا أعلم".

"هل تعتقد أنهم سيحاكمونك عسكريًا بتهمة الفرار من الجندية أثناء مواجهة العدو؟".

"لا أعلم".

قال الطيار فى سرية دونبار وهو يختفى داخل الظلام: "أتمنى لو تنجو بفعلتك. ودعنى أعرف أخبارك أولاً فأولاً".

حدق يوساريان إليه لبضع ثوان وواصل طريقه متجهًا نحو خيمته.

قال صوت على بعد بضع خطوات: "بسس!". كان ذلك هو أبلباى يختبئ وراء شجرة: "كيف حالك؟".

قال يوساريان: "بخير".

"لقد سمعتهم يقولون إنهم قد يقيمون محاكمة عسكرية لك لهروبك من الجندية أثناء مواجهة العدو، ولكنهم مترددون فى القيام بذلك لأنهم ليسوا واثقين حتى إن كانوا يستطيعون محاكمتك لهذا السبب، ولأن ذلك قد يجعلهم يظهرون بمظهر سيئ لدى القادة الجدد. علاوة على ذلك فأنت لاتزال بطلاً كبيرًا بسبب دورانك مرتين فوق الجسر فى فيرارا. أعتقد أنك أعظم بطل لدينا الآن فى الوحدة. أنا فقط ظننت أنك قد تود معرفة أنهم يهددون تهديدات فارغة لا أكثر".

"شكرًا لك يا أبلباى".

"وهذا هو السبب الوحيد الذى جعلنى أعاود الحديث معك، كى أحذرك".

"أقدر لك هذا".

جر أبلباى قدميه على الأرض وقال: "أنا آسف بشأن مشاجرة اللكمات تلك فى نادى الضباط يا يوساريان".

"لا بأس".

"ولكننى لم أبدأها. أعتقد أن ذلك كان خطأ أور، حيث إنه من قام بضربى فى وجهى بمضرب البنج بونج هذا. لماذا فعل هذا؟".

"لقد كنت تضربه".

"ألم يكن من المفترض لى فعل هذا؟ ألم يكن ذلك هو الهدف؟ والآن بعد أن مات أعتقد أنه لم يعد مهمًا إن كنت ألعب تنس الطاولة أفضل منه أم لا، أليس كذلك؟".

"أعتقد هذا".

"وأنا آسف بشأن إثارة كل هذه الجلبة حول حبوب الأتابرين تلك؛ فإن كنت تود الإصابة بالملاريا، فهذا شأنك أنت، أليس كذلك؟".

"لا بأس يا أبلباى".

"ولكننى كنت أحاول فقط القيام بواجبى. لقد كنت أتبع الأوامر. فطالما أخبرنى الآخرون بأن أتبع الأوامر".

"لا بأس".

"أتعلم، لقد قلت للمقدم كورن والكولونيل كاثكارت إننى لا أعتقد أنه يتوجب عليهما جعلك تخرج فى مزيد من المهام إن كنت لا تريد ذلك، وقد قالا إننى قد خذلتهما بقولى هذا".

ابتسم يوساريان فى دهشة حزينة: "أنا واثق من ذلك".

"حسنًا، أنا لا أكترث لهذا. لقد قمت بتنفيذ واحد وسبعين مهمة. لابد أن يكون ذلك كافيًا. هل تعتقد أنهم سيتركونك دون أن يفعلوا لك شيئاً؟".

"لا".

"فهم لو تركوك تنجو بفعلتك فهذا يعنى أنهم سيتركون باقى الرجال يحذون حذوك كذلك، أليس كذلك؟".

"هذا هو السبب فى أنهم لن يتركونى أنجو بفعلتى".

"ماذا تعتقد أنهم سيفعلون".

"لا أعلم".

"هل تعتقد أنهم سيحاكمونك عسكريًا؟".

"لا أعرف".

"هل أنت خائف؟".

"نعم".

"هل ستخرج فى مزيد من المهام؟".

"لا".

همس أبلباى فى اقتناع: "أتمنى أن تنجو بفعلتك. أتمنى هذا حقًا".

"شكرًا لك يا أبلباى".

"أنا لا أريد الخروج فى كل هذا العدد من المهام كذلك الآن بعد أن أصبح واضحًا أننا فزنا بالحرب. سوف أخبرك إن سمعت شيئاً آخر".

"شكرًا لك يا أبلباى".

نادى صوت متعجرف من بين الشجيرات العارية النامية إلى جوار خيمته بعد مغادرة أبلباى: "مرحبًا!". كان هافرماير يختبئ هناك جاثمًا. كان يتناول حلوى الفول السودانى فى حين بدت بثوره ومسامه الزيتية الكبيرة مثل الحراشيف. سأل حينما اقترب يوساريان ناحيته: "كيف حالك؟".

"بخير".

"هل تنوى الخروج فى مزيد من المهام؟".

"لا".

"ماذا لو أرغموك على ذلك".

"لن أسمح لهم بذلك".

"هل أنت خائف؟".

"نعم".

"هل سيحاكمونك عسكريًا؟".

"سيحاولون ذلك على الأرجح".

"ما رأى الرائد ميجور؟".

"لقد اختفى الرائد ميجور".

"هل قاموا باختفائه؟".

"لا أعلم".

"ماذا ستفعل إن قرروا اختفاءك؟".

"سوف أحاول منعهم".

"ألم يقدموا لك أية عروض أو شيئاً من هذا القبيل بشرط أن تعدل عن رأيك؟".

"لقد أخبرنى بيلشارد ورين بأنهما سيقومان بترتيب بعض الأمور؛ بحيث لا أخرج إلا فى مهام استطلاعية سلمية".

ابتهج هافرماير وقال: "إن تلك تبدو صفقة جيدة. أنا لن أعارض على توقيع صفقة مثل هذه لو كنت مكانك. أراهن أنك وافقت".

"لقد رفضت".

تجعد وجه هافرماير المتبلد فى ذعر: "كان ذلك غباء منك. إن صفقة مثل هذه لن تكون عادلة لباقى الرجال، أليس كذلك؟ فإن خرجت فقط فى جولات استطلاعية سلمية سوف يضطر بعضنا أن يأخذ نصيبك فى المهام الخطيرة، أليس كذلك؟".

"هذا صحيح".

قال هافرماير وهو ينهض فى استياء بينما يضع يديه على جانبيه: "أنا لا يعجبنى هذا. لا يعجبنى هذا بالمرة. فيالها من ورطة حقيقية تلك التى سيلقوننى بها فقط لأنك تخشى الخروج فى مزيد من المهام، أليس كذلك؟".

قال يوساريان وهو يحرك يده ليضعها على مسدسه بحذر: "فلتسوِّ مشكلتك معهم".

قال هافرماير: "لا، أنا لا ألومك، حتى على الرغم من أنى لا أحبك. فأنا لا أرغب فى الخروج فى كل هذا العدد من المهام كذلك. هل هناك طريقة يمكننى بها

التملص من ذلك أيضا؟".

ضحك يوساريان فى سخرية ومزح قائلاً: "احمل مسدساً وابدأ فى السير معى".

هزّ هافرماير رأسه: "لا، أنا لن أفعل شيئاً من هذا القبيل. فأنا سوف أجلب العار لزوجتى وطفلى إن انتهجت مثل هذا التصرف الجبان. فلا أحد يحب الجبناء. علاوة على هذا أنا أود البقاء ضمن جنود الاحتياط عند انتهاء الحرب. فأنت تتلقى راتبًا يقدر بخمسة آلاف دولار سنويًا إن بقيت ضمن الجنود الاحتياط".

"إذن قم بتنفيذ مزيد من المهام".

"نعم، أعتقد أنه ينبغى علىَ ذلك. هل تعتقد أن هناك أية فرصة تجعلهم يعفونك من الخدمة العسكرية وارسالك للوطن؟".

"لا".

"ولكن إن قاموا بذلك وسمحوا لك بأخذ أحد معك، هلاّ قمت باختيارى! لا تختر أحدًا آخر مثل أبلباى. اخترنى أنا".

"ولماذا بحق السماء قد يفعلون شيئاً مثل هذا؟".

"لا أعلم، ولكن إن فعلوا فقط تذكر أننى أول من طلب منك ذلك، هلاّ فعلت! ولا تنس أن تطلعنى على أخبارك. أنا سوف أنتظرك هنا بين هذه الشجيرات كل ليلة. فربما إن لم يقوموا بإيذائك بأى شكل من الأشكال، لن أقوم بالخروج فى أية مهام أخرى أيضا. حسنا؟".

وطوال الليلة التالية ظل الرجال يقفزون أمامه من داخل الظلام ليسألوه عن حاله ويمدوه بمعلومات سرية فى حذر وقلق لأنه فى اعتقادهم تربطهم به علاقة سرية وغامضة لم يكن يعرف بوجودها من قبل؛ فرجال بالكاد يعرفهم فى السرية ظلوا يقفزون أمامه أثناء سيره ويسألونه عن حاله. وحتى الرجال من السرايا الأخرى كانوا يأتونه واحدًا تلو الآخر للاختباء فى الظلام ثم القفز أمامه؛ ففى كل مكان كان يذهب إليه بعد غروب الشمس كان يجد شخصًا منتظرًا يقفز أمامه ويسأله عن حاله. كان الرجال يقفزون أمامه من داخل الأشجار والشجيرات، من داخل المصارف والأعشاب الطويلة، من وراء أركان الخيم والسيارات المصطفة، وقد وصل الأمر أن أحد زملائه بالغرفة قد قفز أمامه ليسأله كيف حاله وناشده بألا يخبر أحدًا من زملائهما بالخيمة الآخرين أنه قفز أمامه. وقد كان يوساريان يقترب من كل ظل يظهر أمامه بحذر وهو يضع يده على مسدسه دون أن يعرف أى ظل سيتضح له فى النهاية أنه فتاة ناتلى أو الأسوأ من ذلك أحد موظفى الحكومة الذين تم إرسالهم لاختفائه. وهم لم يرغبوا فى محاكمته عسكريًا لفراره من الجندية فى وجه العدو لأنه يفصلهم عن العدو ما يقدر بمائة وخمسة وثلاثين

ميلاً، الأمر الذى يجعلهم يجدون صعوبة فى الادعاء بأنه فر من الجندية فى وجه العدو، ولأن يوساريان كان هو الشخص الذى استطاع أخيرًا هدم الجسر فى فيرارا عن طريق الدوران حوله مرتين وقتل كرافت ـ وهو كان دومًا ينسى كرافت حينما يعد الرجال الميتين الذين كان يعرفهم. ولكن كان ينبغى أن يفعلوا شيئاً به وكان الجميع ينتظرون فى حزن أن يروا مدى شناعة هذا الشىء.

وأثناء النهار كان الجميع يتجنبونه ـ حتى آرفى ـ مما جعل يوساريان يدرك أنهم يكونون أشخاصًا مختلفين تمامًا أثناء النهار عن هؤلاء الذين يقفزون أمامه فى الظلام. وهو لم يكن يكترث لهم تمامًا أثناء سيره للخلف وهو يضع يده فوق مسدسه وينتظر سماع آخر المداهنات والتهديدات والإغراءات من الوحدة العسكرية فى كل مرة يعود النقيب بيلشارد والنقيب رين من مؤتمر عاجل مع الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن. لم يكن هنجرى جو متواجدًا تقريبًا على الإطلاق وكان الشخص الوحيد الذى يتحدث إليه هو النقيب بلاك والذى كان يسخر منه فى سعادة فى كل مرة يلقاه فيها والذى عاد من روما قرب نهاية الأسبوع ليخبره بأن فتاة ناتلى قد رحلت. شعر يوساريان بالأسف والندم والحنين. لقد كان يفتقدها.

ردد بنبرة جوفاء: "رحلت؟".

"نعم، رحلت". ضحك النقيب بلاك بينما ضاقت عيناه الغائمتان من فرط الإجهاد فوق وجهه الذى كان يتناثر به كالعادة لحية لم تحلق منذ أيام. فرك الأكياس الموجودة أسفل عينيه بكلتا قبضتيه: "فقد وددت زيارة تلك العاهرة الغبية من أجل الأيام الخوالى بما أننى كنت فى إيطاليا فقط لأجعل جثة هذا الفتى ناتلى تتعذب فى قبرها. ها، ها! هل تذكر الطريقة التى اعتدت إزعاجه بها، ولكننى وجدت المكان شاغرًا".

سأل يوساريان والذى كان يفكر بلا انقطاع فى الفتاة متسائلاً عن مدى معاناتها وشاعرًا بالوحدة والهجر دون هجماتها الوحشية وغير القابلة للتهدئة: "هل سألت أحدًا عنها؟".

قال النقيب بلاك فى سعادة وهو يحاول أن يجعل يوساريان يفهم: "لا يوجد أحد هناك. ألا تفهم؟ لقد رحلوا جميعًا. لقد كان المكان مهجورًا".

"رحلوا؟".

"نعم، رحلوا. تم الإلقاء بهم فى الشارع" . ضحك النقيب بلاك من قلبه ثانية بينما تقفز تفاحة آدم الخاصة به للأعلى ولأسفل داخل رقبته الخشنة. "إن المكان مهجور. لقد قامت الشرطة العسكرية بإخلاء المكان وطرد جميع من به من فتيات بالشارع. أليس ذلك مضحكًا؟".

كان يوساريان مذعورًا وبدأ يرتعد. "ولماذا قاموا بذلك؟".

أجاب النقيب بلاك فى حيوية: "وما الفارق الذى يشكله هذا؟ لقد قاموا بطردهن فى الشارع. ما رأيك فى هذا؟ جميع الفتيات".

"ماذا عن الشقيقة الصغرى؟".

ضحك النقيب بلاك: "طردوها. طردوها مع الباقين. طردوها إلى الشارع".

اعترض يوساريان بطريقة عاطفية: "ولكنها مجرد طفلة! إنها لا تعرف أحدًا آخر فى المدينة بالكامل. ماذا سيحدث لها؟".

أجاب النقيب بلاك وهو يهز كتفيه فى لامبالاة: "وما شأنى أنا بذلك؟" ثم حدق ببله فجأة إلى يوساريان فى دهشة وفضول يغلفهما السعادة وأضاف: "ما الأمر؟ إن علمت أن هذا الأمر سيصيبك بكل هذه التعاسة لكنت جئت قبل ذلك وأخبرتك حتى أجعلك تموت كمدًا. إلى أين أنت ذاهب؟ تعال إلى هنا! تعال إلى هنا ومت كمدًا!".

٣٩

المدينة الخالدة

تغيب يوساريان دون أخذ إجازة رسمية مع مايلو والذى ـ عند توجه الطائرة تجاه روما ـ هزّ رأسه فى توبيخ وزم شفتيه وأخبر يوساريان بأنه خجلان منه. أومأ يوساريان. فقد قال مايلو إن يوساريان كان يظهر نفسه بمظهر الأحمق بالسير للوراء وهو يحمل مسدسه إلى جانبه ويرفض الخروج فى مزيد من المهام. أومأ يوساريان؛ فكان ذلك تصرفا غير مخلص بالنسبة لسريته ومحرجًا لقادته، وهو قد أشعر مايلو بالخجل كذلك. أومأ يوساريان مرة أخرى، وقد بدأ الرجال يتذمرون. فلم يكن من العدل أن يفكر يوساريان فى سلامته فقط بينما يقوم رجال مثل مايلو والكولونيل كاثكارت والمقدم كورن والجندى من الدرجة الأولى الأسبق ونترجرين بكل ما فى وسعهم للفوز بالحرب، وقد بدأ الرجال ممن نفذوا سبعين مهمة بالتذمر لأن عليهم تنفيذ ثمانين، وكان هناك خطر قيام بعضهم بحمل مسدساتهم والسير للخلف أيضًا. كانت المعنويات محطمة، وكل ذلك بسبب يوساريان. كانت البلاد فى خطر؛ وقد كان يعرض حقوقه التقليدية فى الحرية والاستقلال للخطر بالتجرؤ على ممارستها.

ظل يوساريان يومئ وهو يجلس فى مقعد مساعد الطيار وحاول ألا يستمع إلى ثرثرة مايلو. كان يفكر فى فتاة ناتلى وكذلك كرافت وأور وناتلى ودونبار وكيد سامبسون وماكوات وكل الأشخاص الفقراء والأغبياء والمرضى الذين رآهم فى إيطاليا ومصر وشمال إفريقيا وعرفهم فى أماكن أخرى من العالم، وكذلك سنودين وشقيقة فتاة ناتلى الصغرى. وقد ظن يوساريان أنه يعرف لماذا اعتبرته فتاة ناتلى مسئولاً عن موته وأرادت قتله ـ فلماذا لا تفعل ذلك بحق السماء؟ لقد كان ذلك عالمًا يهيمن عليه الرجال، وكان من حقها وحق كل شخص أصغر منها أن يلقى عليه وعلى كل شخص أكبر اللوم حينما تحل أية كارثة من صنع الإنسان على شقيقتها الصغرى وكل الأطفال الآخرين. فعلى أحد القيام بشىء ما فى وقت ما. كانت كل ضحية متهمة وكل متهم ضحية، وعلى أحد الوقوف فى وقت ما وكسر تلك السلسلة القذرة من العادات الموروثة التى كانت تعرضهم جميعًا للخطر؛ ففى أجزاء من إفريقيا كان تجار الرقيق البالغون لا يزالون يخطفون الفتية ويبيعونهم لرجال يقومون بانتزاع أحشائهم وأكلهم، وقد اندهش يوساريان من مقدرة الأطفال

على خوض تلك التضحية البربرية دون إظهار أدنى خوف أو ألم. فهو كان موقنًا بأنهم يستسلمون برزانة. فإن لم يكن هذا صحيحًا - كما ظن - لكان هذا السلوك قد اندثر؛ حيث إن السعى وراء الثروة والخلود لا يمكن أن يكون عظيمًا وممتعاً دون أن يكمله استمداد اللذة من أسى الأطفال.

أخبره مايلو بأنه كان يثير قلقه فأومأ يوساريان. قال له مايلو إنه لم يكن عضوًا جيدًا بالفريق. أومأ يوساريان وأنصت إلى مايلو الذى أخبره بأن الشىء اللائق الذى عليه فعله إن كانت لا تعجبه طريقة إدارة الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن للوحدة هو الذهاب إلى روسيا بدلاً من إثارة المتاعب. وقد أحجم يوساريان عن الإشارة إلى أن الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن ومايلو يمكنهم جميعًا الذهاب إلى روسيا إن كانت لا تعجبهم طريقة إثارته للمشكلات، وقد قال مايلو إن الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن كانا كريمين للغاية معه؛ ألم يعطياه ميدالية بعد المهمة الأخيرة إلى الفيرارا وقاما بترقيته إلى نقيب؟ أومأ يوساريان ثانية. وكان مايلو واثقًا أنهما سيكونان متسامحين إن ذهب إليهما للاعتذار والاعتراف علنًا بالخطأ والوعد بأنه سينفذ ثمانين مهمة، وقد قال يوساريان إنه سيفكر فى الأمر وكتم أنفاسه، ودعا لأجل هبوط سالم أثناء قيام مايلو بإنزال العجلات والانحدار بسرعة شديدة. كان شيئًا غريبًا حقًا أنه أضحى يكره الطيران.

كانت روما عبارة عن أطلال حينما هبطت الطائرة؛ فقد تم قصف المطار منذ ثمانية أشهر وكان دبش حجرى أبيض يتراكم فوق كلا جانبى المدخل خلال السور السلكى المحيط بالمطار. وقد تهدم مدرج روما الكبير وسقط قوس قنسطنطين. كانت شقة فتاة ناتلى مهجورة. كانت الفتيات قد رحلن والشخص الوحيد المتبقى هناك هى السيدة العجوز. كانت النوافذ بالشقة محطمة. كانت السيدة العجوز مدثرة بالمعاطف والتنورات وترتدى شالاً فوق رأسها. كانت تجلس على مقعد خشبى بالقرب من سخان كهربى بينما تعقد ذراعيها وتغلى ماء فى إناء ألومنيوم. كانت تتحدث إلى نفسها بصوت عالٍ حينما دخل يوساريان وبدأت تئن لحظة ما رأته.

قالت فى أنين قبل أن يستطيع حتى أن يسأل: "رحلن". وبينما كانت تمسك بمرفقيها ظلت تهز المقعد الذى يصدر صوت صرير للأمام والخلف فى أسى وكررت: "رحلن".

"من؟".

"جميعهن. جميع الفتيات المسكينات".

"أين؟".

"فى الشارع. لقد طردوهن إلى الشارع. جميعهن رحلن. جميع الفتيات المسكينات".

"من الذى طردهن؟ من الذى فعل هذا؟".

"الجنود طويلو القامة الأوغاد ذوو القبعات البيضاء والهراوات. وكذلك جنودنا. لقد جاءوا بهراواتهم وطردوهن، وهم حتى لم يسمحوا لهن بأخذ معاطفهن. الفتيات المسكينات. لقد طردوهن فى الخارج حيث الجو البارد".

"هل قاموا بالقبض عليهن؟".

"لقد قاموا بطردهن. قاموا بطردهن فقط".

"لماذا قد يقومون بشىء كهذا إن كانوا غير راغبين فى القبض عليهن؟".

انتحبت السيدة العجوز: "لا أعرف. لا أعرف. من الذى سيعتنى بى؟ من الذى سيعتنى بى الآن بعد رحيل جميع الفتيات الشابات المسكينات؟ من الذى سيعتنى بى؟".

قال يوساريان فى تصميم وهو يضرب راحة يده بقبضته: "لابد أن يكون هناك سبب؛ فلا يمكن أن يقوموا فقط باقتحام المكان هنا وطرد الجميع".

انتحبت السيدة العجوز: "لا يوجد سبب. لا يوجد سبب".

"بأى حق فعلوا هذا؟".

"الخدعة ٢٢".

تجمد يوساريان فى مكانه فى خوف وذعر وشعر بالتنميل يسرى فى جسده: "ماذا؟ ماذا قلت؟".

كررت السيدة العجوز وهى تهز رأسها لأعلى وأسفل: "الخدعة ٢٢. الخدعة ٢٢. إن الخدعة ٢٢ تقول إن من حقهم القيام بأى شىء لا نستطيع منعهم من القيام به".

صاح بها يوساريان فى ارتباك واعتراض واهتياج: "ما الذى تتحدثين عنه بحق السماء. كيف عرفت أنها كانت الخدعة ٢٢؟ من أخبرك بحق السماء أنها كانت الخدعة ٢٢؟".

"الجنود ذوو القبعات البيضاء والهراوات. كانت الفتيات يبكين. قلن: "هل ارتكبنا أى خطأ؟". قال الرجال: "لا" وقاموا بدفعهن خارج الباب بطرف هراواتهم. قالت الفتيات: "إذن لماذا تقومون بطردنا؟". قال الرجال "الخدعة ٢٢". قالت الفتيات "بأى حق تفعلون ذلك؟". قال الرجال: "الخدعة ٢٢". إن كل ما كانوا يرددونه هو "الخدعة ٢٢، الخدعة ٢٢". ماذا تعنى الخدعة ٢٢؟ ما الخدعة ٢٢؟".

سأل يوساريان وهو يتحرك بالمكان فى غضب وأسى: "ألم يقوموا بإظهارها لَكُنَّ. ألم تطلبى منهم حتى قراءتها؟".

قالت السيدة العجوز: "ليس عليهم أن يجعلونا نرى الخدعة ٢٢. إن القانون يقول إنهم ليسوا مضطرين لذلك".

"أى قانون يقول إنهم ليسوا مضطرين لذلك؟".

" قانون الخدعة ٢٢".

قال يوساريان بقسوة: "تبًا! أعتقد أنها لم تكن حتى معهم". توقف عن الحركة ونظر حوله بالغرفة. "أين الرجل العجوز؟".

انتحبت السيدة العجوز: "رحل".

"رحل؟".

أخبرته السيدة العجوز وهى تومئ فى حزن وتشير إلى رأسها براحة يدها: "مات. لقد تهتك شىء هنا؛ ففى لحظة كان على قيد الحياة وفى اللحظة التالية مات".

صاح يوساريان وهو مستعد للجدال فى تصميم: "ولكن لا يمكن أن يكون قد مات!"، ولكنه علم أنه لابد أن يكون هذا صحيحًا، علم أنه كان منطقيًا وحقيقيًا: فقد رحل الرجل العجوز مع الآخرين الذين سبقوه.

استدار يوساريان ومشى بإجهاد خلال الشقة فى عبوس وهو يبحث فى فضول وتشاؤم داخل الغرف. كل شىء مصنوع من الزجاج قام الرجال ممن يمسكون بالهراوات بتحطيمه، وقد كانت الستائر الممزقة وفرش الأسرة ملقاة على الأرض. وكانت المقاعد والطاولات والتسريحات مقلوبة. كل شىء قابل للكسر تحطم. كان الدمار شاملاً وكاملاً. وما كان يمكن لأى مخربين جامحين أن يحدثوا دمارًا أفضل. كانت جميع النوافذ محطمة، وكان الظلام ينسكب فى الداخل مثل السحب الملطخة بالحبر عبر الألواح المكسورة. وكان بوسع يوساريان تخيل وقع الأقدام الثقيلة لرجال الشرطة العسكرية ممن يرتدون القبعات البيضاء. كان بإمكانه تخيل مدى سعادتهم وهم يحطمون المكان وشعورهم عديم الرحمة بالتفانى. لقد رحلت جميع الفتيات المسكينات. لقد رحل الجميع فيما عدا السيدة العجوز الباكية ذات المعطف البنى والرمادى وشال الرأس الأسود والتى سرعان ما سترحل هى الأخرى.

قالت منتحبة حينما عاد وقبل أن يتمكن حتى من التفوه بكلمة: "لقد رحلن. من سيعتنى بى الآن؟".

تجاهل يوساريان السؤال وسألها: "صديقة ناتلى - هل يعرف عنها أحد شيئاً؟".

"رحلت".

"أعلم أنها رحلت، ولكن هل يعرف عنها أحد شيئاً؟ هل هناك من يعلم أين هى؟".

"رحلت".

"والشقيقة الصغرى. ماذا حدث لها؟".

"رحلت". لم تتغير نبرة صوت السيدة العجوز.

سألها يوساريان بحدة وهو يحدق إلى عينيها ليتأكد من أنها لا تتحدث إليه وهى مصابة بغيبوبة: "هل تعلمين ما أتحدث عنه؟" ثم رفع صوته قائلاً: "ماذا حدث لشقيقة هذه الفتاة الصغرى؟".

أجابت السيدة العجوز وهى تهز كتفيها بعدما أزعجها إلحاحه وأصبح عويلها أعلى: "رحلت، رحلت. تم طردها فى الشارع مع الأخريات. وهم لم يسمحوا لها حتى بأخذ معطفها".

"أين ذهبت؟".

"لا أعرف. لا أعرف".

"من الذى سيعتنى بها؟".

"من الذى سيعتنى بى؟".

"إنها لا تعرف أحدًا آخر، أليس كذلك؟".

"ومن سيعتنى بى؟".

وضع يوساريان مالاً فوق ساقى السيدة العجوز ـ كان غريبًا أنه لم يشعر بأى غضاضة فى ترك المال لها ـ وخرج من الشقة وهو يلعن الخدعة ٢٢ بعنف أثناء هبوطه الدرجات حتى على الرغم من أنه كان يعلم أنه لا يوجد مثل هذا الشىء. فكان واثقًا من أنه لا وجود للخدعة ٢٢، ولكن لم يشكل ذلك فارقًا، فما كان يشكل فارقًا هو أن الجميع كانوا يؤمنون بوجودها، وكان ذلك أسوأ كثيرًا؛ حيث لم يكن هناك نص أو شىء للقيام بدحضه أو تفنيده أو نقده أو مهاجمته أو تعديله أو بغضه أو البصق عليه أو تمزيقه أو سحقه أو حرقه.

كان العالم باردًا ومظلمًا بالخارج، ويغلف ضباب مزعج الهواء ويتقطر فوق القوالب الحجرية الضخمة للمنازل وقواعد المنحوتات الأثرية. عاد يوساريان بسرعة إلى مايلو واعترف بخطئه. قال إنه آسف ووعد ـ على الرغم من أنه يعلم أنه كان يكذب ـ بالخروج فى كل المهام التى يطلبها الكولونيل كاثكارت فقط لو استخدم مايلو نفوذه فى روما لمساعدته على تحديد مكان شقيقة فتاة ناتلى الصغرى.

شرح بقلق: "إنها فقط فى الثانية عشرة من عمرها يا مايلو، وأريد أن أنقذها قبل أن يفوت الأوان".

استجاب مايلو لمطلبه بابتسامة حميدة. أعلن بسعادة: "إن لدى الفتاة ذات الاثنى عشر ربيعًا التى تبحث عنها، وتلك الفتاة ذات الاثنى عشر ربيعًا تبلغ من العمر فى الحقيقة أربعة وثلاثين عامًا ولكنها نشأت على نظام غذائى منخفض البروتين من قبل أبوين متزمتين ولم تبدأ إقامة علاقات مع الرجال حتى ...".

قاطعه يوساريان بصبر نافد: "مايلو، أنا أتحدث عن فتاة صغيرة. ألا تفهم؟ أنا لا أريد إقامة علاقة معها. أنا أريد مساعدتها. إن لديك أطفالاً. إنها مجرد طفلة، وهى وحيدة فى هذه المدينة دون وجود أحد يعتنى بها. أنا أود حمايتها من الأذى. ألا تعلم ما الذى أتحدث عنه؟".

تفهم مايلو وتأثر بشدة. قال بطريقة عاطفية: "أنا فخور بك يا يوساريان. أنا فخور بك حقًا. أنت لا تعلم كم أنا سعيد لأرى أنك تفكر بشىء آخر سوى الجنس. إن لديك مبادئ. بالطبع لدى فتيات، وأعلم تماماً ما الذى تتحدث عنه. سوف نجد هذه الفتاة. لا تقلق. تعال معى وسوف نجدها حتى لو اضطررنا إلى قلب هذه المدينة رأسًا على عقب. تعال".

ذهب يوساريان فى سيارة مايلو مايندربايندر التابعة لنقابة إم آند إم إلى مقر رئاسة الشرطة لمقابلة مفوض غير مهندم داكن البشرة ذى شارب أسود وسترة قصيرة غير مغلقة الأزرار، والذى كان يعبث مع امرأة سمينة ذات بثور حينما دخلا مكتبه والذى قام بتحية مايلو بدهشة دافئة وانحنى له فى خنوع وذل وكأن مايلو كان شخصًا ذا سلطة.

قال فى سعادة وهو يدفع المرأة السمينة الساخطة خارج الباب دون حتى أن ينظر إليها: "المركيز مايلو. لماذا لم تخبرنى بأنك ستأتى لنقيم لك حفلاً كبيرًا؟ تفضل، تفضل أيها المركيز. إنك نادرًا ما تزورنا".

علم مايلو أنه ليس هناك وقت لتضييعه. قال وهو يومئ بسرعة بطريقة شبه وقحة: "مرحبًا يا لويجى. لويجى، أنا أحتاج إلى مساعدتك. إن صديقى هنا يود إيجاد فتاة".

قال لويجى وهو يحك رأسه وهو مستغرق فى التفكير: "فتاة أيها المركيز؟ إن هناك العديد من الفتيات فى روما. والعثور على فتاة ليس بالأمر العسير بالنسبة لضابط أمريكى".

"لا يا لويجى، أنت لا تفهم. إن تلك فتاة عذراء تبلغ من العمر اثنى عشر عامًا والتى يود العثور عليها على الفور".

قال لوجى بحصافة: "آه، الآن فهمت. قد يتطلب إيجاد عذراء وقتًا أطول قليلاً. ولكن إن قام بالانتظار فى محطة الأتوبيس حيث تصل الشابات الريفيات الباحثات عن عمل، أنا ...".

قاطعه مايلو بصبر نافد بطريقة جعلت وجه المفوض يحمر خجلاً وجعلته يقفز انتباهًا ويغلق أزرار سترته فى ارتباك: "لويجى، أنت مازلت لا تفهم. إن هذه الفتاة هى صديقة، صديقة قديمة للأسرة، ونحن نود مساعدتها. إنها فقط طفلة. وهى وحدها فى هذه المدينة بمكان ما ونحن نريد إيجادها قبل أن يؤذيها أحد. الآن

هل تفهم؟ لويجى، إن هذا الأمر على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لى. إن لدى فتاة فى نفس عمر هذه الطفلة، ولا يوجد فى هذا العالم أهم لدى الآن من إنقاذ هذه الطفلة المسكينة قبل أن يفوت الأوان. هل ستساعدنى؟".

قال لويجى: "نعم يا مركيز، الآن أفهم. وسوف أقوم بما فى وسعى لإيجادها. ولكن الليلة ليس لدى أى رجال تقريبًا؛ فالليلة جميع الرجال مشغولون فى وضع حد لتجارة التبغ غير القانونية".

سأل: "تجارة التبغ غير القانونية؟".

شحب وجه يوساريان وتسارعت ضربات قلبه وشعر على الفور بأن كل شىء قد ضاع: "مايلو".

قال لويجى: "نعم يا أيها المركيز. إن التجارة غير القانونية للتبغ تدر أرباحًا خيالية لدرجة تجعل من الصعب السيطرة على عمليات تهريبه".

سأل مايلو باهتمام بالغ بينما تقوس حاجباه الحمراوان فى شره واتسع منخاراه: "هل تدر التجارة غير القانونية فى التبغ كل هذه الأرباح حقًا؟".

نادى عليه يوساريان: "مايلو. انتبه لى، هلا فعلت؟".

أجابه لويجى: "نعم يا أيها المركيز. إن التجارة غير القانونية بالتبغ تدر أرباحًا هائلة. وعمليات التهريب تلك تعد حقًا فضيحة قومية يا أيها المركيز، إنها حقًا وصمة فى جبين الأمة".

سأل مايلو بابتسامة تنم عن الاستغراق فى التفكير قبل أن يتوجه ناحية الباب وكأنه منوم مغناطيسيًا: "حقًا؟".

صاح يوساريان وهو يقفز للأمام محاولاً إيقافه: "مايلو! مايلو، يجب أن تساعدنى".

شرح له مايلو وهو يبدو كشخص منوم مغناطيسيًا: "تجارة التبغ غير القانونية دعنى، لابد أن أبدأ فى تهريب التبغ".

استجداه يوساريان: "ابق هنا وساعدنى على إيجادها. يمكنك تهريب التبغ غدًا".

ولكن مايلو كان أصم وظل يحاول شق طريقه بدون عنف ولكن بشكل يصعب مقاومته بجسد متصبب عرقًا وبعينين حمراوين وفم مرتعد. ظل يتأوه بهدوء وأسى وهو يردد: "تجارة التبغ غير القانونية، تجارة التبغ غير القانونية". ابتعد يوساريان عن طريقه فى يأس بعدما رأى أنه ما من وسيلة لإثنائه عما يريد فعله. انطلق مايلو كالطلق النارى. فك المفوض أزرار قميصه ثانية ونظر إلى يوساريان بازدراء.

سأل ببرود: "ما الذى تريده؟ هل تريدنى إلقاء القبض عليك؟".

خرج يوساريان من المكتب وهبط الدرجات إلى داخل الشارع المظلم كالقبر ماراً بالردهة بالمرأة الثمينة ذات البثور والتى كانت فى طريق عودتها للداخل بالفعل. لم يكن هناك أثر لمايلو بالخارج، ولم تكن هناك أنوار مضاءة بأية نافذة. وقد ظل الرصيف الشاغر يمتد على مدار عدة بنايات. وقد استطاع رؤية توهج طريق عريض أعلى منحدر حصوى طويل. كان قسم الشرطة فى أسفل تقريبًا؛ وقد كانت المصابيح الصفراء بالمدخل تئز فى رطوبة الليل مثل المشاغل المبللة. كان مطرًا رقيقًا وباردًا يتساقط. بدأ يسير ببطء وهو يصعد المنحدر، وسرعان ما وصل إلى مطعم هادئ دافئ جذاب ذى ستائر مصنوعة من القطيفة الحمراء بنوافذه ولافتة نيون زرقاء بالقرب من الباب تقول: "مطعم تونى. أفخر الأطعمة والمشروبات. لا تدخل". وقد أدهشته الكلمات على اللافتة النيون الزرقاء بشكل طفيف للحظة. ولم يعد أى شىء منحرف أو منعطف يبدو غريبًا له وسط هذا المحيط المشوه؛ فأعالى المبانى المنحدرة كانت تميل بشكل غريب وسيريالى كما بدا الشارع مائلاً كذلك.

رفع ياقة معطفه الصوفى الدافئ ودثره حوله. كانت ليلة باردة. وقد ظهر فتى يرتدى قميصًا خفيفًا وبنطالاً خفيفًا رثًا من داخل الظلام وهو حافى القدمين. كان للولد شعر أسود أشعث كما كان يحتاج لحذاء وجورب. كان وجهه المريض شاحبًا وحزينًا. كانت قدماه تصدران أصواتًا رهيبة ورقيقة داخل بريكات المطر فوق الرصيف المبتل أثناء سيره، وقد ساورت يوساريان مشاعر متأججة من الشفقة إزاء فقره لدرجة أنه أراد سحق وجهه الشاحب والحزين والمريض بقبضته ومحوه من الوجود لأنه ذكره بكل الأطفال المرضى الشاحبين والتعساء فى إيطاليا فى نفس الليلة والذى كان شعرهم أشعث ويحتاجون لأحذية وجوارب. لقد جعل يوساريان يفكر فى المعاقين والرجال والنساء الجوعى والشاعرين بالبرد وكل الأمهات الغبيات والسلبيات والورعات ذوات الأعين المتصلبة واللواتى كن يرضعن أطفالهن فى الخارج فى نفس هذه الليلة. وفيما يشبه الطابور سارت أم مرضعة أمامه وهى تحمل رضيعًا ملفوفًا فى خرقة سوداء، وقد أراد يوساريان سحقها أيضًا لأنها ذكرته بالصبى حافى القدمين الذى كان يرتدى قميصًا خفيفًا وبنطالاً خفيفًا رثًا وكل البؤس بهذا العالم الذى لا يوفر لأحد سوى قدر ضئيل عديم الرحمة من الدفء والطعام والعدل. يا له من عالم صعب! تساءل عن عدد الأشخاص الذين كانوا معدمين فى نفس هذه الليلة حتى داخل بلده الثرى، عن عدد المنازل التى كانت عبارة عن أكواخ، عن عدد الأزواج الثملين والزوجات اللاتى يتعرضن للضرب، عن عدد الأطفال الذين يتم الاستئساد عليهم أو ضربهم أو هجرهم. كم عدد الأسر الجائعة التى لا تمتلك مالاً لشراء طعام؟ كم عدد القلوب التى تم تحطيمها؟ كم

عدد حالات الانتحار التى وقعت فى نفس هذه الليلة، وكم عدد الأشخاص الذين جن جنونهم؟ كم عدد الأوغاد وملاك الأراضى الذين سيفوزون؟ كم عدد الفائزين الذين كانوا خاسرين، والناجحين الذين كانوا فاشلين، والأغنياء الذين كانوا فقراء؟ كم عدد الرجال الحكماء الذين كانوا أغبياء؟ كم عدد النهايات السعيدة التى كانت غير سعيدة؟ كم عدد الرجال الصادقين الذى كانوا كاذبين، المخلصين الذين كانوا خائنين، القديسين الذين كانوا فاسدين، كم عدد الناس ممن يشغلون مناصب ثقة والذين باعوا أرواحهم للأوغاد من أجل مبالغ حقيرة، وكم عدد الذين لم يملكوا أرواحًا من الأساس؟ كم عدد الطرق المستقيمة والضيقة التى كانت طرقًا ملتوية؟ كم عدد الأسر الفاضلة التى كانت أسوأ الأسر، وكم عدد الأشخاص الصالحين الذين كانوا أشخاصًا سيئين؟ وحينما تجمعهم جميعًا مع بعضهم البعض ثم تطرحهم قد يتبقى لك فقط الأطفال وربما "ألبرت أينشتاين" وعازف كمان عجوز أو نحات فى مكان ما.

سار يوساريان وحده فى عذاب وهو يشعر بالغربة ودون أن يستطيع محو الصورة المؤلمة للصبى حافى القدمين ذى الوجنتين المريضتين من ذاكرته حتى انحرف حول المنعطف أخيرًا ليجد جنديًا من قوات التحالف مصابًا بتشنجات ملقى على الأرض، كان ملازمًا شابًا ذا وجه طفولى وشاحب وصغير، وكان هناك ستة جنود آخرين من ستة بلاد مختلفة يتصارعون مع أجزاء مختلفة من جسده محاولين بكد مساعدته والإمساك به. ظل يعوى ويتأوه بشكل غير مفهوم خلال أسنان مطبقة وكانت عيناه تدوران داخل رأسه. نصح رقيب قصير يقف بالقرب من يوساريان بعنف قائلاً: "لا تتركوه يعض لسانه"، ثم ألقى رجل ثامن بنفسه داخل الشجار ليتصارع مع وجه الملازم المريض، وفجأة فاز المصارعون وأخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض فى تردد؛ حيث إنهم الآن بعد أن استطاعوا تقييد الملازم الشاب لم يعرفوا ما يتوجب عليهم القيام به. انتقلت نظرة الذعر المغلفة بالحماقة من وجه قاس ومجهد لآخر. نصح عريف يقف وراء يوساريان قائلاً: "لماذا لا ترفعونه وتضعونه على هذه العربة؟". وقد بدت هذه الفكرة منطقية، فقام الرجال السبعة برفع الملازم لأعلى ووضعه بحرص على السيارة المصفوفة وهم لا يزالون يقيدون كل جزء من أجزاء جسده المتشنج. وبمجرد أن وضعوه فوق السيارة المصفوفة حملقوا فى بعضهم البعض فى بلاهة ثانية؛ حيث لم يكن لديهم فكرة عما يجب أن يقوموا به بعد ذلك. تشدق نفس العريف الذى يقف خلف يوساريان قائلاً: "لماذا لا ترفعونه من فوق السيارة وتضعونه فوق الأرض؟". وقد بدت تلك فكرة جيدة كذلك، فبدأوا يحركونه ليضعوه على الرصيف ثانية، ولكن قبل أن يستطيعوا الانتهاء جاءت سيارة جيب ذات ضوء أحمر بالجانب مسرعة والتى كان

يجلس بمقعدها الأمامى ضابطان عسكريان.

صاح السائق: "ما الذى يحدث؟".

قال أحد الرجال والذى كان يصارع مع أحد أطراف الملازم: "إنه مصاب بتشنجات ونحن نمسك به".

"هذا جيد. إنه مقبوض عليه".

"ماذا يجب أن نفعل به؟".

صاح الضابط العسكرى وهو يضحك على مزحته قبل أن ينطلق بالسيارة الجيب: "أبقوه مقبوضًا عليه!".

وقد تذكر يوساريان أنه ليس لديه إذن بالمغادرة ومضى بتدبر من أمام المجموعة الغريبة ناحية الأصوات المكتومة المنبعثة من بعيد داخل الظلام أمامه. وقد كان الطريق الواسع الملطخ بالأمطار مضاءً على مسافة كل نصف بناية بمصابيح قصيرة والتى كانت تلقى بأضواء مخيفة وو امضة محاطة بضباب بنى منبعث منه دخان. ومن داخل نافذة بأعلى سمع صوتًا نسائيًا غير سعيد يستجدى قائلاً: " من فضلك لا تفعل. من فضلك لا تفعل"، ثم مرت شابة قانطة ترتدى معطف مطر أسود وذات الكثير من الشعر الأسود فوق وجهها وهى تخفض عينيها. وعند وزارة الشئون الاجتماعية الواقعة عند البناية التالية كان جندى شاب ثمل يثبت امرأة ثملة ضد أحد الأعمدة الكورنثية الأخدودية فى حين كان ثلاثة من زملائه المسلحين الثملين يجلسون على الدرجات بالقرب منهما يشاهدون وهم يضعون زجاجات الشراب بين سيقانهم. استجدت المرأة الثملة: "من فضلك لا تفعل. أنا أريد العودة إلى المنزل الآن. من فضلك لا تفعل". وقد سب أحد الجنود الثلاثة الجالسين بشكل مشاكس يوساريان وألقى بزجاجة الشراب ناحيته حينما رآه واقفًا. انكسرت الزجاجة بعيدًا عنه محدثة ضوضاء ضعيفة. مضى يوساريان قدمًا بنفس الخطوة الهادئة غير المسرعة وهو يضع يديه فى جيبيه. سمع الجندى الثمل يستحث المرأة فى عزيمة: "تعالى يا عزيزتى. إنه دورى الآن". استجدته السيدة الثملة: "من فضلك لا تفعل. من فضلك لا تفعل". وعند الزاوية القريبة داخل أعماق ظلال شارع جانبى ضيق متمعج سمع صوتًا غامضًا لشخص ما يجرف الثلج. وقد أصاب صوت حك المجراف بالخرسانة جلده بالقشعريرة وجعله يرتعد ذعرًا وهو يهبط من فوق الحاجز الحجرى ليعبر الزقاق المشئوم ويسرع للأمام حتى اختفت الضوضاء المتنافرة وراءه. الآن كان يعلم أين هو؛ فسريعًا ـ إن استمر فى المشى دون انحراف ـ سوف يصل إلى النافورة الجافة بمنتصف الطريق ثم إلى شقة الضباط والتى تبعد عنها سبع بنايات، ثم سمع أصواتًا غير بشرية متشابكة آتية من داخل الظلام أمامه فجأة، وكان المصباح، بعمود الإنارة عند الزاوية محروقًا مما جعل نصف

الشارع يغرق فى الظلام. وعلى الجانب الآخر من التقاطع كان هناك رجل يضرب كلبًا بعصا مثل الرجل الذى كان يضرب الحصان بسوط فى حلم راسكولينكوف. حاول يوساريان جاهدًا ألا ينظر أو يسمع. أخذ الكلب يئن ويصرخ فى هيستيريا وحشية فى نهاية حبل من المانيلا القديمة وهو يزحف ويتعفر بالتراب على بطنه دون مقاومة، ولكن الرجل ظل يضربه ويضربه بعصاه الثقيلة والسميكة. كان هناك حشد صغير يشاهد ما يحدث. تقدمت امرأة منحنية الظهر وطلبت منه التوقف. صاح الرجل بوقاحة وهو يرفع عصاه وكأنه سيضربها هى الأخرى: "لا تتدخلى فى شئون غيرك" فابتعدت المرأة فى جبن وخزى. أسرع يوساريان مبتعداً وكان على وشك الركض. كانت الليلة مليئة بالبشاعات وظن أنه عرف كيف شعر الصالحون والأتقياء وهم يسيرون بهذا العالم؛ لقد كان شعورهم مشابهًا لشعور طبيب نفسى يدخل جناحًا مليئًا بالمجانين أو شعور ضحية تدخل سجنًا مليئًا باللصوص.

وعند الزاوية التالية رأى رجلاً يضرب صبيًا صغيرًا بوحشية وسط حشد من المتفرجين البالغين الواقفين دون حراك والذين لم يبذلوا أى جهد للتدخل. ارتد يوساريان للوراء؛ حيث قد تعرف على هذا المشهد. فهو كان واثقًا أنه رأى نفس هذا المشهد الشنيع فى وقت ما من قبل. أهى *الرؤية المسبقة*؟ وقد صدمته هذه المصادفة المشئومة وملأته بالشك والكراهية. لقد كان نفس المشهد الذى رآه قبل بناية، على الرغم من أن كل شىء به بدا مختلفًا. ماذا كان يحدث بحق السماء؟ هل ستتقدم الآن امرأة منحنية الظهر وتطلب منه التوقف عما يفعله؟ هل سيرفع يده ليضربها وهل ستتراجع؟ لكن لم يتحرك أحد. كان الصبى يصرخ فى بؤس. ظل الرجل يضربه براحة يده بقوة فوق رأسه مطيحًا به ويرفعه مرة أخرى على قدميه ليضربه ثانية، ولم يبد أن أحدًا بالحشد المنكمش الكئيب كان يكترث للصبى المشدوه والذى يتعرض لضرب قاس يجعل أى شخص يشاهده يتدخل لمساعدته. ولم تكن سن الصبى تتعدى الأعوام الستة، وقد كانت امرأة بغى تبكى فى هدوء داخل منشفة صحون قذرة. كان الصبى هزيلاً وذا شعر يحتاج للحلاقة، وقد كان دم أحمر براق يتدفق من داخل أذنيه. عبر يوساريان الطريق مسرعًا إلى الجانب الآخر من الطريق الواسع ليهرب من ذلك المشهد المثير للغثيان ليجد نفسه يدوس فوق أسنان بشرية ترقد على الرصيف المبلل والمتلألئ على مقربة من لطخات من الدم والتى أبقتها نقاط المطر لزجة، وقد كانت الضروس والقواطع المكسورة متناثرة فى كل مكان. التف حول الركام البشع وهو يسير على رءوس أصابعه ليقترب من مدخل يضم بين طياته جنديًا يصرخ ويحمل منديلاً مشبعًا بالدماء على فمه والذى يمسك به جنديان آخران ينتظران فى صبر نافد وصول سيارة الإسعاف العسكرية والتى وصلت أخيرًا وهى تضىء أنوارًا كهرمانية ضبابية، ثم مرت أمامهم متجهة نحو مشاجرة عند

البناية التالية بين مدنى إيطالى يحمل كتبًا ومجموعة كبيرة من رجال الشرطة المدنيين الذى يحملون العصى والهراوات. كان المدنى المنخرط فى الصراخ والمعاناة رجلاً داكن البشرة ذا وجه تحول إلى اللون الأبيض من فرط الخوف. كانت عيناه تنبضان فى يأس محموم من فرط الخوف وترفرفان مثل جناحى خفاش أثناء إمساك رجال الشرطة طوال القامة به من ذراعيه وساقيه ورفعهم له، وقد سقطت كتبه على الأرض. صرخ بصوت متحشرج ومشبع بالعاطفة أثناء حمل رجال الشرطة له ناحية الأبواب المفتوحة بمؤخرة سيارة الإسعاف وإلقائه بالداخل: "النجدة! يا رجال الشرطة! النجدة! يا رجال الشرطة!". تم إغلاق الأبواب بإحكام وانطلقت سيارة الإسعاف. كانت هناك مفارقة غير مضحكة فى صراخ هذا الرجل المذعور طلبًا لمساعدة رجال الشرطة فى حين إحاطة رجال الشرطة له من كل جانب. ابتسم يوساريان ابتسامة ساخرة من تلك الصرخة التى لا طائل منها والسخيفة طلبًا للمساعدة، ثم اكتشف فى ذعر أن الكلمات كانت غامضة، لقد أدرك أن الهدف منها ربما لم يكن استدعاء قوات الشرطة وإنما تحذير بطولى من القبر من قبل صديق هالك لكل من لم يكن رجل شرطة يحمل هراوة وبندقية ويدعمه زمرة من رجال البوليس الآخرين ممن يحملون الهراوات والبنادق. لقد صرخ الرجل "النجدة!" وربما أنه كان يفعل ذلك لينبه الآخرين بوجود خطر. وقد استجاب يوساريان للفكرة بالتسلل خلسة من رجال الشرطة. قد أوشك على أن يدوس على أعلى قدمى امرأة قوية البنية وضخمة فى الأربعين من عمرها كانت تركض عبر التقاطع وهى محملة بالذنب وتوجه نظرات ماكرة وانتقامية خلفها ناحية امرأة فى الثمانين ذات كاحلين سميكين ومربوطين بالضمادات والتى كانت تتقدم فى وهن خلفها فى مطاردة كان يبدو أنها ستخسرها. كانت السيدة العجوز تلتقط أنفاسها بصعوبة وتلهث أثناء تبخترها وتتمتم بينها وبين نفسها فى اهتياج وتشتت. لم يكن هناك مجال للخطأ فى التعرف على ماهية هذا المشهد؛ لقد كانت مطاردة، وكانت المرأة الأولى المنتصرة قد عبرت نصف المسافة خلال الشارع الضيق قبل أن تصل السيدة الثانية إلى الحاجز الحجرى حتى. وقد كانت الابتسامة الصغيرة القذرة السعيدة التى تنظر بها وراءها للسيدة العجوز المتعبة تتسم بأنها شريرة ومترقبة. وقد علم يوساريان أن بإمكانه مساعدة المرأة العجوز المسكينة إن فقط صرخت طلبًا للمساعدة، علم أن بإمكانه التقدم للأمام والإمساك بالمرأة الأولى الضخمة وتسليمها لرجال الشرطة الموجودين على مقربة من هذا المكان إن فقط قامت السيدة العجوز الثانية بإعطائه تصريحاً بذلك عن طريق الصراخ فى أسى، ولكن السيدة الثانية مرت أمامه دون حتى أن تراه وهى تتمتم فى سخط شديد وتراجيدى، وسرعان ما اختفت السيدة الأولى فى طبقات الظلام العميقة وتسمرت السيدة العجوز فى مكانها دون

حيلة فى وسط الطريق فى دهشة ودون أن تدرى أى طريق تسلك. أشاح يوساريان بوجهه بعيدًا عنها وأسرع راحلاً فى خزى لأنه لم يفعل شيئاً لمساعدتها. ظل يوجه لها نظرات محملة بالذنب أثناء هروبه مهزومًا وهو يخشى أن تبدأ السيدة العجوز فى مطاردته الآن، وقد رحب بالظلام الذى ارتمى بداخله. حشود وحشود من رجال الشرطة ـ إن كل مكان فيما عدا انجلترا واقع فى أيدى الحشود والحشود والحشود. كانت هناك حشود تحمل الهراوات وتسيطر على كل شىء فى كل مكان.

كانت ياقة وكتفا معطف يوساريان مشربين بالماء، حتى جوربه كان مبللاً وباردًا. ولم يكن هناك مصباح بعمود إنارة آخر وكانت الكرة الزجاجية مكسورة. كانت المبانى والأشكال منعدمة الملامح تمر به فى صمت وكأنها تتحرك بثبات فوق موج لا امتناه. مر به رجل دين طويل القامة يدفن وجهه بالكامل حتى عينيه داخل قلنسوة رمادية خشنة. سمع وقع أقدام تخوض فى ماء إحدى البريكات تتحرك نحوه فى ثبات، وقد خشى أن يكون ذلك هو صبى آخر حافى القدمين. احتك برجل هزيل شديد الشحوب وكئيب يرتدى معطف مطر أسود وذى ندبة على شكل نجمة فوق وجنته وتجويف منخفض ومشوه فى حجم البيضة بصدغه. وفوق خف من القش المهروس تجسدت أمامه شابة كان وجهها بالكامل مشوهًا بحرق أرقط مختلط الألوان والذى بدأ من رقبتها وامتد بشكل مجعد أعلى وجنتها وحتى عينيها! لم يستطع يوساريان النظر إليها وارتعد. لن يحبها أحد فى هذا العالم قط. كانت معنوياته محطمة، لقد كان يتوق لأن يحب فتاة، والتى ستقوم بمواساته وتهدئته وجعله ينام. كان حشدًا يحمل الهراوات بانتظاره فى بيانوسا. وقد رحلت جميع الفتيات ولم يعد بمقدوره الذهاب إلى الدوقة وزوجة ابنها؛ حيث لم يعد لديه ما يكفى من الوقت. لقد اختفت فتاة آرفى ممتلئة الجسم مع خاتمها البذىء ذى الحجر الكريم ذى النقش البارز، وكانت الممرضة داكيت خجلانة منه لأنه رفض الخروج فى مزيد من المهام وسوف يسبب فضيحة. والفتاة الوحيدة التى كان يعرفها وتوجد بمكان قريب هى الخادمة البسيطة بشقة الضباط والتى لم يسبق لأى من الرجال إقامة علاقة معها. كان اسمها ميشيلا، ولكن الرجال كانوا ينعتونها بأسماء قذرة بأصوات عذبة ومتملقة؛ مما كان يجعلها تقهقه فى سعادة طفولية لأنها لم تكن تتحدث الإنجليزية وتعتقد أنهم يقومون بالإطراء عليها والمزاح معها. وكل شىء جامح كانت تراهم يفعلونه كان يملؤها بسعادة غامرة. كانت فتاة سعيدة ذات عقل بسيط وكادحة والتى لم يكن باستطاعتها القراءة وكانت بالكاد تنجح فى كتابة اسمها. كان شعرها المنسدل فى لون القش المتعطن. وكان لها بشرة شاحبة وعينان مصابتان بقصر نظر ولم يقم معها أى من الرجال علاقة لأن ما من أحد منهم أراد ذلك، لا أحد فيما عدا آرفى، والذى قام باغتصابها مرة واحدة

فى نفس تلك الليلة ثم احتجزها كرهينة فى خزانة ملابس لما يقرب من ساعتين وهو يضع يده فوق فمها حتى دوت صافرات حظر التجول المدنى وأصبح محظورًا عليها أن تكون بالخارج.

بعد ذلك قام بإلقائها من النافذة. كان جسدها الميت لايزال يرقد على الرصيف حينما وصل يوساريان وشق طريقه فى أدب عبر دائرة الجيران التعساء ممن يمسكون بمصابيح خافتة الضوء والذين كانوا يحدقون فى كراهية أثناء انكماشهم بعيدًا عنه ويشيرون لأعلى فى مرارة ناحية نوافذ الطابق الثانى وهم منخرطون فى حواراتهم الخاصة والحزينة والاتهامية. وثب قلب يوساريان ذعرًا وخوفًا من مشهد الجثة المثيرة للشفقة والملطخة بالدم والمكسورة. انطلق بسرعة عبر الردهة وصعد الدرجات متوجهًا إلى الشقة؛ حيث وجد آرفى يتحرك جيئة وذهابًا فى تململ وهو يبتسم ابتسامة مغرورة تنم بعض الشىء عن شعور بعدم الارتياح. بدا آرفى مرتبكًا ومتوترًا قليلاً وهو يتلاعب بغليونه ويؤكد ليوساريان أن كل شىء سيكون على مايرام؛ فلم يكن هناك ما يستدعى القلق.

قال: "لقد اغتصبتها مرة واحدة".

كان يوساريان مشدوهًا. "ولكنك قتلتها يا آرفى! لقد قتلتها!".

أجاب آرفى بتعالٍ شديد: "كان لابد أن أقوم بذلك بعد اغتصابها؛ فلم يكن باستطاعتى تركها تذهب لتقول أشياء سيئة عنا، أليس كذلك؟".

صاح يوساريان: "وما السبب الذى جعلك تغتصبها من البداية أيها الوغد الغبى؟ لماذا لم تأت بفتاة من الشارع إن كنت ترغب فى واحدة؟ إن المدينة مليئة بالعاهرات".

قال آرفى فى فخر: "لا، ليس أنا. أنا لم يسبق لى أن دفعت لفتاة فى حياتى".

كان يوساريان شبه عاجز عن الكلام: "آرفى، هل أنت مجنون، لقد قتلت فتاة. إنهم سوف يضعونك فى السجن!".

أجاب آرفى وهو يتصنع الابتسام: "لا، ليس أنا. إنهم لن يضعوا آرفى الطيب فى السجن. ليس من أجل قتلها".

"ولكنك ألقيتها خارج النافذة. إنها ترقد ميتة فى الشارع".

أجاب آرفى: "من المحظور أن تكون هناك الآن. فقد تم إعلان حظر التجول".

"غبى! ألا تدرك ما فعلت؟". أراد يوساريان الإمساك بآرفى من كتفيه البدينتين وهزه لإعادته إلى وعيه: "لقد قتلت إنسانًا. إنهم سوف يضعونك فى السجن. إنهم حتى قد يشنقونك!".

أجاب آرفى وهو يضحك على الرغم من أن توتره قد تضاعف: "لا أعتقد أنهم سيفعلون هذا". بصق عن غير وعى كسرات تبغ بينما تتلمس أصابعه القصيرة

تجويف غليونه. ضحك ثانية: "لا يا سيدى. إنهم لن يفعلوا ذلك بآرفى الطيب. لقد كانت مجرد خادمة. لا أعتقد أنهم قد يثيرون كل هذه الجلبة من أجل خادمة إيطالية فقيرة فى حين أن آلاف الأرواح تزهق يوميًا، أليس كذلك؟".

صاح يوساريان وهو سعيد إلى حد ما: "أنصت". انتصبت أذناه وشاهد وجه آرفى وهو يشحب أثناء انطلاق صافرات سيارات الشرطة من بعيد والتى ظلت تقترب شيئاً فشيئاً حتى أصبحت حادة وعالية وبدت أنها أصبحت تحوط الغرفة من كل جانب. قال بصوت يتخلله العاطفة وهو يصيح فوق الضوضاء: "آرفى، لقد أتوا ليأخذوك. لقد أتوا للقبض عليك. آرفى، ألا تفهم. أنت لا تستطيع إزهاق روح إنسان وتفلت بفعلتك، حتى لو كانت مجرد خادمة فقيرة. ألا ترى؟ ألا تفهم؟".

أصر آرفى بابتسامة ضعيفة: "لا، لا. إنهم لم يأتوا للقبض علىّ. ليس على آرفى الطيب".

وعلى الفور بدا مريضًا. سقط فوق المقعد فى سبات وهو يرتعد بينما ترتجف يداه القصيرتان البدينتان فوق ساقيه. توقفت السيارات بالخارج. ضربت أضواء المشاعل النوافذ على الفور. انغلقت أبواب السيارات وعلت صافرات رجال الشرطة. دوت الأصوات بقسوة. شحب وجه آرفى بشدة. ظل يهز رأسه بشكل ميكانيكى وهو يبتسم ابتسامة غريبة ومخدرة ويردد فى نبرة رتيبة وجوفاء وضعيفة بأنهم لم يأتوا من أجله، ليس من أجل آرفى الطيب، لا يا سيدى، وهو يكافح لإقناع نفسه بهذا حتى عند صعود الأقدام الثقيلة الدرجات وسيرها فوق المنبسط، وحتى حينما طرقت القبضات الباب أربع مرات بقوة لا ترحم وتصم الآذان. بعد ذلك انفتح الباب ليدخل بسرعة رجلان ضخما البنية وقويان ومفتولا العضلات من الشرطة العسكرية ذوا أعين مجمدة ولكن حازمة وقوية وغير مبتسمة واللذان عبرا الغرفة وقبضا على يوساريان.

لقد قبضا على يوساريان لوجوده فى روما دون أن يكون معه إذن بالتغيب.

ثم اعتذرا لآرفى لاقتحام المكان بهذه الطريقة وقادا يوساريان بينهما وهما يمسكانه من أسفل كل ذراع بأصابع قوية وصلبة مثل القيود الفولاذية، وهما لم يقولا له شيئاً أثناء هبوطهما الدرجات. كان شرطيان عسكريان طويلا القامة آخران يمسكان بهراوات ويرتديان خوذتين ينتظران بالخارج عند السيارة المغلقة. وضعوا يوساريان بالمقعد الخلفى وانطلقت السيارة شاقة طريقها عبر المطر والضباب والطين حتى قسم الشرطة. حبسه رجال الشرطة العسكرية فى زنزانة ذات أربعة جدران حجرية ليمضى بها الليلة. وفى الفجر أعطوه دلوًا كمرحاض وقادوه إلى المطار؛ حيث كان شرطيان عسكريان ضخمان آخران يحملان الهراوات ويرتديان خوذة ينتظران عند طائرة النقل التى كانت محركاتها دائرة بالفعل عند

وصولهم، وترشح أغطية محركاتها الخضراء الأسطوانية قطرات مكثفة من الماء. ولم يقل أى من رجال الشرطة العسكرية شيئاً لبعضهم البعض؛ بل إنهم حتى لم يومئوا. ولم يسبق ليوساريان أن رأى مثل هذه الوجوه المتصلبة من قبل. طارت الطائرة إلى بيانوسا. كان رجلان صامتان من الشرطة العسكرية ينتظران عند مدرج الهبوط. لقد أصبحوا الآن ثمانية، وقد انطلقوا بانضباط دون كلام داخل سيارتين وأسرعوا فوق الإطارات المصدرة صوتًا خفيفًا مارين على السرايا الأربع إلى أن وصلوا إلى مبنى مقر رئاسة الوحدة؛ حيث كان ينتظر رجلان آخران من الشرطة العسكرية فى ساحة الانتظار. وقد التف الرجال العشرة الأقوياء أصحاب العزم الصامتون حوله أثناء استدارتهم نحو المدخل. كان وقع أقدامهم يطحن الأرض أسفلهم فى صوت متوحد. تولد لديه شعور بالخوف وكان مذعورًا؛ فكل واحد من الرجال العشرة بدا قويًا بما فيه الكفاية كى يرديه قتيلاً بلكمة واحدة. كان كل ما عليهم فعله هو الضغط بأكتافهم الحجرية الصلبة والضخمة عليه ليزهقوا روحه من داخل جسده. لم يكن هناك ما يستطيع فعله لإنقاذ نفسه. لم يكن بوسعه حتى أن يدرى أى اثنين كانا يمسكان به من أسفل ذراعيه أثناء سيرهم بسرعة، وشعر وكأنه يسير محاطًا بعمودين قويين. تسارعت خطواتهم، وشعر وكأنه يطير للأمام وقدماه مرفوعتان من فوق الأرض أثناء صعودهم محدثين إيقاعًا ثابتًا على الدرجات المرمرية العريضة حتى المنبسط العلوى؛ حيث كان ينتظر رجلان غامضان آخران من الشرطة العسكرية واللذان قادوهم بسرعة أكبر عبر الشرفة ذات الأعمدة المطلة على الردهة الفسيحة. وقد دوى صوت وقع أقدامهم على الأرضية القرميد مثل صوت قرع طبول مخيف وسريع خلال مركز المبنى المهجور أثناء سيرهم بسرعة أكبر ودقة نحو مكتب الكولونيل كاثكارت، وقد هبت دفقات من الذعر داخل أذنى يوساريان حينما انعطفوا داخل المكتب؛ حيث كان الكولونيل كورن يجلس فوق زاوية مكتب الكولونيل كاثكارت والذى قام بتحيته بابتسامة دمثة وقال:

"سوف نرسلك إلى الوطن!".

٤٠

الخدعة ٢٢

بالطبع كانت هناك خدعة.

سأل يوساريان: "الخدعة ٢٢؟".

أجاب المقدم كورن فى سعادة بعد أن صرف رجل الشرطة العسكرية الضخم بحركة خاطفة لامبالية من يده وإيماءة ازدرائية وهو مسترخ كالعادة فى الوقت الذى احتفظ فيه بتهكمه: "بالطبع". تلألأت نظارته المربعة الخالية من الإطارات فى سعادة خبيثة وهو ينظر إلى يوساريان. "فعلى الرغم من كل شىء، لا نستطيع أن نرسلك إلى الوطن لرفضك الخروج فى مزيد من المهام ونبقى باقى الرجال هنا، أليس كذلك؟ إن ذلك لن يكون عادلاً بالنسبة لهم".

صاح الكولونيل كاثكارت وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابًا مثل ثور يتلوى وينفث الدخان فى تجهم وغضب: "أنت محق! أود توثيقه من يديه وقدميه والإلقاء به فوق طائرة فى كل مهمة تنفذها السرية. هذا هو ما أود فعله".

أشار المقدم كورن للكولونيل كاثكارت كى يصمت وابتسم ليوساريان. قال فى مرح وكأن تلك الحقيقة لم تزعجه بالمرة: "أتعلم، إنك حقًا قد عقدت الأمور بالنسبة للكولونيل كاثكارت. إن الرجال تعساء ومعنوياتهم محطمة. وكل ذلك بسببك".

قال يوساريان: "بل بسببك أنت لرفعك عدد المهام".

قال المقدم كورن: "بل بسببك أنت لرفضك تنفيذها. لقد كان الرجال مستعدين لتنفيذ أى قدر من المهام نطلبه منهم؛ حيث كانوا يعتقدون أن لا بديل لذلك لديهم. أنت الآن أعطيتهم الأمل، وهم تعساء. لذا فإن الخطأ خطؤك أنت".

سأل الكولونيل كاثكارت وهو لايزال يتحرك جيئة وذهابًا فى غضب دون أن ينظر إلى يوساريان: "ألا يعلم أن هناك حربًا دائرة؟".

أجابه المقدم كورن: "أنا واثق من أنه يعلم. وهذا على الأرجح السبب الذى يجعله يرفض تنفيذها".

"ألا يشكل ذلك أى فارق لديه؟".

سأل المقدم كورن فى جدية تهكمية بقصد السخرية من الكولونيل كاثكارت: "هل يمكن لمعرفتك بأن هناك حربًا دائرة أن تثنيك عن هذا القرار الذى اتخذته بعدم المشاركة فيها؟".

أجاب يوساريان وهو شبه يرد ابتسامة المقدم كورن: "لا يا سيدى".

قال المقدم كورن وهو يتنهد ويشبك أصابعه معًا فى راحة فوق رأسه البنى الأصلع اللامع: "كنت أخشى هذا. أتعلم أننا لم نسئ يومًا معاملتك؟ لقد أطعمناك وأعطيناك راتبك فى موعده. وقد أعطيناك ميدالية وقمنا بترقيتك إلى رتبة نقيب".

قال الكولونيل كاثكارت فى مرارة: "ما كان يجب علىّ أن أرفع رتبته إلى نقيب. كان لابد لى من محاكمته عسكريًا بعد أن دار حول الهدف مرتين فى مهمة فيرارا".

قال المقدم كورن: "لقد نصحتك بعدم ترقيته، ولكنك لم تنصت لى".

"لا، لم تفعل. أنت من نصحنى بترقيته، ألم تفعل؟".

"لقد نصحتك بعدم ترقيته، ولكنك لم تنصت لى".

"كان يجب أن أنصت لك".

قال المقدم كورن فى لذة واستمتاع: "أنت لا تنصت لى قط، ولهذا أنت واقع فى هذه الورطة".

دس الكولونيل كاثكارت يديه بعمق داخل جيبيه وأشاح بوجهه فى كسل: "حسنًا أيها الرجل عظيم البراعة. بدلا من مضايقتى لماذا لا تجد طريقة نتصرف بها معه؟".

ضحك المقدم كورن وهو يشيح بوجهه بعيدًا عن الكولونيل كاثكارت ليواجه يوساريان: "أخشى أننا سوف نرسله للوطن. يوساريان، لقد انتهت الحرب بالنسبة لك. سوف نرسلك للوطن. أنت لا تستحق هذا حقًا، كما تعلم، وذلك هو أحد الأسباب التى تجعلنى لا أمانع القيام بذلك؛ فحيث إنه لا يوجد شىء يمكن أن نخاطر بفعله لك فى هذا الوقت فقد قررنا أن نعيدك إلى الولايات المتحدة. لقد توصلنا إلى تلك الاتفاقية كى...".

سأل يوساريان بتحد وعدم ثقة: "أى نوع من الاتفاقيات؟".

أعاد المقدم كورن رأسه للوراء وضحك: "اتفاقية حقيرة حقًا كما لابد لى أن أعترف. إنها مقززة للنفس بالفعل ولكنك ستقبلها بسرعة".

"لا تكن واثقًا إلى هذه الدرجة".

"أنا ليس لدى أدنى شك فى أنك ستوافق حتى على الرغم من حقارة الاتفاقية. آه، بالمناسبة، أنت لم تخبر أحداً من الرجال أنك رفضت الخروج فى مزيد من المهام، أليس كذلك؟".

أجاب يوساريان بسرعة: "لا يا سيدى".

أومأ المقدم كورن فى استحسان: "هذا جيد. أحب الطريقة التى تكذب بها. إنك

سوف تنجح نجاحًا باهرًا فى هذا العالم إن أصبح لديك بعض الطموح".

صاح الكولونيل كاثكارت فجأة وهو ينفخ الهواء فى عدم تصديق فى النهاية المفتوحة لحامل سيجاره: "ألا يعلم أن هناك حربًا دائرة؟".

أجاب المقدم كورن: "أنا واثق من أنه يعلم ذلك بما أنك سألته نفس هذا السؤال منذ لحظة واحدة". قطب المقدم كورن فى ضجر لأجل يوساريان بينما تلمع عيناه بمكر أو ازدراء. وأثناء إمساكه بحافة مكتب الكولونيل كاثكارت بكلتا يديه رفع فخذيه المترهلتين عائدًا للوراء ليجلس وهو يدلى كلتا ساقيه القصيرتين بحرية، وكان حذاؤه يصطدم برفق ضد خشب البلوط الأصفر ويتدلى جوربه البنى فى دوائر مترهلة أسفل كاحليه اللذين كانا صغيرين وبيضاوين بشكل مثير للدهشة. قال ممازحًا بدماثة أثناء استغراقه فى التفكير بطريقة بدت ساخرة وصادقة فى الوقت ذاته: "أتعلم يا يوساريان، أنا حقًا معجب بك بعض الشىء. إنك شخص ذكى يتمتع بشخصية أخلاقية اتخذ موقفًا شديد الشجاعة؛ فأنا شخص ذكى يتمتع بشخصية غير أخلاقية بالمرة؛ لذا فأنا أفضل من يستطيع تقدير شخصيتك".

أكد الكولونيل كاثكارت بوقاحة وهو يقف فى ركن بعيد من المكتب دون أن ينتبه على الإطلاق للمقدم كورن: "إن تلك أوقات حرجة للغاية".

وافقه المقدم كورن بإيماءة تنم عن رباطة الجأش: "إنها أوقات حرجة بالفعل. فقد حدث للتو تغيير بالقيادة العليا ونحن ليس فى إمكاننا انتهاج تصرف يشوه صورتنا أمام الجنرال شسكوبف أو الجنرال بيكام. ألم يكن هذا ما قصدته يا أيها الكولونيل؟".

"أليس لديه أية وطنية؟".

سأل المقدم كورن وهو يحاكى نبرة الكولونيل كاثكارت الفظة: "أتأبى الدفاع عن وطنك؟ أتأبى التضحية بحياتك من أجل الكولونيل كاثكارت وأنا؟".

شعر يوساريان بالغضب والدهشة حينما سمع كلمات المقدم كورن الأخيرة. سأل: "ما هذا؟ وما علاقتك أنت والكولونيل كاثكارت بوطنى؟ إنكم لستم واحدًا".

سأل المقدم كورن فى قلق تهكمى: "كيف يمكنك الفصل بيننا؟".

صاح الكولونيل كاثكارت مؤكدًا: "هذا صحيح. فأنت إما معنا أو ضدنا. لا مناص من هذا".

أضاف المقدم كورن: "أخشى أنه محق. فأنت إما معنا أو ضد وطنك. إن الأمر بهذه البساطة".

"لا يا أيها الكولونيل. أنا لست مقتنعًا بهذا".

كان المقدم كورن رابط الجأش: "ولا أنا بصراحة، ولكن الجميع مقتنعون بذلك؛ لذا فإن موقفك ضعيف".

صرخ الكولونيل كاثكارت فى غضب عاصف وهو يستدير لمواجهة يوساريان للمرة الأولى "أنت عار على حلتك العسكرية! أود أن أعرف كيف أصبحت نقيبا".

ذكره المقدم كورن برقة وهو يضحك: "لقد قمت أنت بترقيته. ألا تتذكر؟".

"حسنا، ما كان يجلب علىَ القيام بذلك!".

قال المقدم كورن: "لقد نصحتك بعدم القيام بذلك، ولكنك فقط لم تنصت لى".

صاح الكولونيل كاثكارت: "هلاَ توقفت عن إثارة هذا الموضوع يا أيها الرجل الحكيم!". قطب حاجبيه ونظر إلى المقدم كورن بعينين تمتلئان شكا وقبضتين مغلقتين فوق وركيه. "أخبرنى، إلى جانب من أنت؟".

"إلى جانبك يا أيها الكولونيل. فإلى أى جانب سأكون؟".

"إذن توقف عن إزعاجى، هلاَ فعلت! توقف عن مضايقتى، حسنا؟".

"أنا إلى جانبك يا أيها الكولونيل. أنا فقط مشحون بقدر كبير من الوطنية".

أشاح الكولونيل بوجهه بعد مضى لحظة أخرى فى ضغينة وقال قبل أن يبدأ فى الحركة للأمام والخلف ثانية بينما تمسك يده بحامل سيجاره الطويل: "حسنا، احرص على عدم نسيان ذلك"، ثم هزّ إبهامه ناحية يوساريان وقال: "دعنا ننته منه. أعلم ما أود فعله به. أريد أن آخذه للخارج وأطلق عليه النار. هذا هو ما أود فعله به. إن هذا هو ما كان ليفعله به الجنرال دريدل".

قال المقدم كورن: "ولكن الجنرال دريدل ليس القائد الآن، لذا فنحن لا نستطيع أخذه إلى الخارج وإطلاق النار عليه". والآن وبعد أن مضت تلك اللحظة المتوترة مع الكولونيل كاثكارت استرخى المقدم كورن ثانية وواصل الركل برقة ضد مكتب الكولونيل كاثكارت. وجه حديثه مرة أخرى ليوساريان. "لذا فسوف نرسلك للوطن بدلا من ذلك. وقد استغرق منا الأمر القليل من التفكير ولكننا فى النهاية توصلنا إلى هذه الخطة البسيطة البشعة لإرسالك للوطن دون إثارة مشاعر السخط بين أصدقائك الذين ستتركهم خلفك. ألا يجعلك هذا سعيدًا؟".

"أية خطة؟ أنا لست واثقًا إن كانت ستروق لى؟".

ضحك المقدم كورن وهو يشبك يديه فى سعادة فوق رأسه مجدداً: "أعلم أنها لن تروق لك. إنك سوف تبغضها؛ فهى حقًا خطة كريهة وسوف يرفضها ضميرك ولكنك سرعان ما ستوافق عليها. أنت ستقبلها لأنها ستعيدك إلى الوطن بأمان فى خلال أسبوعين ولأنه ليس لديك خيار آخر. فإما هذا وإما أن نحاكمك عسكريًا. فلتقبل الصفقة أو ترفضها".

أجابه يوساريان فى ازدراء: "كف عن خداعى أيها المقدم. إنك لا تستطيع محاكمتى عسكريًا بسبب هجرى الخدمة فى وجه العدو؛ فإن ذلك سوف يجعلك

تظهر بمظهر سيئ كما أنك على الأرجح لن تستطيع إدانتى".

"ولكننا نستطيع محاكمتك عسكريًا الآن لهجر الخدمة بما أنك ذهبت إلى روما دون إذن انصراف. ويمكن إثبات التهمة، فإن فكرت فى الأمر قليلاً سوف ترى أنك لم تترك لنا بديلاً آخر، فنحن لا نستطيع ببساطة أن نتركك تتجول هنا وهناك فى تمرد دون معاقبتك؛ فكل الرجال سيمتنعون عن تنفيذ المهام كذلك. ثق فى كلامى. إننا سوف نحاكمك عسكريًا إن رفضت اتفاقيتنا حتى على الرغم من أنها سوف تثير الكثير من المشكلات وسوف تكون بمثابة مصدر من مصادر الخزى بالنسبة للكولونيل كاثكارت".

أجفل الكولونيل كاثكارت حينما سمع عبارة مصدر خزى ودون أى تعمد قذف بحامل سيجاره المصنوع من العقيق اليمانى والعاج بقسوة على السطح الخشبى لمكتبه وصاح بدون توقع: "يا إلهى! أنا أبغض حامل السيجار اللعين هذا!". قفز حامل السيجار فوق المكتب إلى الجدار وارتد بالنافذة ليسقط على الأرض حيث يقف تقريبًا. ظل الكولونيل يحدق لأسفل فيه وهو يقطب فى غضب. "أنا أتساءل إن كان يسدينى أى نفع".

أخبره المقدم كورن بنظرة براءة مؤذية: "إنه ريشة فى قبعتك مع الجنرال بيكام ولكنه بمثابة مصدر للخزى مع الجنرال شسكوبف".

"حسنًا، من منهما علىّ إرضاؤه؟".

"كلاهما".

"كيف يمكننى إرضاء كليهما؟ إنهما يبغضان بعضهما البعض. كيف يمكننى الحصول على ريشة فى قبعتى من الجنرال شسكوبف دون التعرض للخزى أمام الجنرال بيكام؟".

"قم بالسير فى استعراض عسكرى".

"آه، نعم، السير فى استعراض عسكرى. تلك هى الطريقة الوحيدة لإرضائه. السير فى الاستعراضات العسكرية". قطب الكولونيل كاثكارت فى حزن "يا لهؤلاء الجنرالات! إنهم عار على حُللهم النظامية. إن كان شخصان مثل هؤلاء استطاعا أن يصبحا جنرالات، لا أدرى كيف يمكن ألا أنجح أنا فى ذلك أيضًا".

أكد له المقدم كورن فى عدم اقتناع: "إنك ستصل إلى ما هو أكثر من ذلك". ثم استدار وهو يضحك لينظر إلى يوساريان، وقد ازدادت سعادته الازدرائية حينما رأى نظرة يوساريان التى تنم عن العدائية وعدم الثقة. " ها أنت قد تعرفت على النقطة الحاسمة فى الموقف. إن الكولونيل كاثكارت يريد أن يصبح جنرالاً وأنا أريد أن أصبح كولونيلاً، ولهذا السبب سوف نعيدك إلى الوطن".

"لماذا يريد أن يصبح جنرالاً؟".

"لماذا؟ لنفس السبب الذى يجعلنى أريد أن أصبح كولونيلاً. ماذا غير ذلك علينا أن نفعل؟ لقد علمنا الجميع أن نطمح لما هو أعلى. ورتبة جنرال أعلى من رتبة كولونيل ورتبة كولونيل أعلى من رتبة مقدم. لذا فنحن نطمح لما هو أعلى. وهل تعلم شيئاً يا يوساريان، هذا من حسن حظك. فتوقيتك مثالى تقريباً، ولكننى أعتقد أنك وضعت هذا العامل فى الاعتبار أثناء إجرائك حساباتك".

قال يوساريان: "أنا لم أجر أية حسابات".

أجاب المقدم كورن: "نعم، أنا أستمتع حقًا بالطريقة التى تكذب بها. ألن تصبح فخورًا حينما يتم ترقية قائدك إلى جنرال - أن تعلم أنك خدمت فى سرية نفذ رجالها عددًا من المهام أكثر مما نفذ أى أحد آخر؟ ألا تود الحصول على مزيد من الأوسمة ومزيد من عناقيد ورق البلوط لميداليتك؟ أين حس الوطنية لديك؟ ألا تود الإسهام أكثر بهذا السجل العظيم عن طريق الخروج فى مزيد من المهام؟ هيّا إنها فرصتك لتجيب بنعم".

"لا".

قال المقدم كورن دون أى حقد أو ضغينة: "فى هذه الحالة أنت تجبرنا على أن ننفذ لك ما تريد...".

"لابد أن يخجل من نفسه!".

"... وعلينا أن نرسلك للوطن. فقط افعل بعض الأمور لنا و...".

قاطعه يوساريان فى شك: "أى نوع من الأمور؟".

"بعض الأمور الصغيرة غير المهمة. فى الواقع، إن تلك هى صفقة خطيرة حقًا التى نعقدها معك. إننا سوف نصدر أوامر بإعادتك إلى الولايات المتحدة - حقًا سنفعل - وكل ما نريده منك فى المقابل هو ....".

"ماذا؟ ماذا يجب أن أفعل؟".

ضحك المقدم كورن على نحو فظ. "أن تحبنا".

طرف يوساريان بعينيه: "أحبكما؟".

"تحبنا".

"أحبكما؟".

قال المقدم كورن وهو سعيد بدهشة يوساريان الساذجة وارتباكه: "هذا صحيح. تحبنا. تنضم إلينا. تكون صديقنا. تقول أشياء لطيفة عنا هنا وفى الولايات المتحدة. تكون أحد رجالنا. أعتقد أننا لا نطلب الكثير، أليس كذلك؟".

"أنت تريد منى فقط أن أحبكما؟ هذا هو كل ما فى الأمر؟".

"هذا هو كل ما فى الأمر".

"هذا هو كل ما فى الأمر؟".

"فقط أحبنا من كل قلبك".

أراد يوساريان أن يضحك حينما رأى في دهشة أن المقدم كورن كان صادقا. قال في سخرية: "إن ذلك لن يكون سهلا".

قال المقدم كورن موبخا إياه في سخرية دون أن يفزعه اعتراضه: "إن الأمر سوف يكون أسهل كثيرا مما تظن. سوف تندهش كم ستجد الأمر سهلا بمجرد أن تبدأ". رفع المقدم كورن بنطاله الفضفاض المنتفخ. وقد بدأت الأخاديد العميقة السوداء التي تفصل ذقنه المربعة عن فكيه تنثني مرة أخرى في سعادة ساخرة وتوبيخية. "أترى يا يوساريان، إننا نقدم لك حلا سهلا؛ فنحن سوف نقوم بترقيتك إلى رائد بل وسنعطيك ميدالية. إن النقيب فلوم يعد بالفعل مادة صحفية مبهرة تصف شجاعتك وبسالتك فوق فيرارا، إخلاصك العميق لسريتك وتفانيك لأداء واجبك. وتلك العبارات هي استشهادات حقيقية بالمناسبة. إننا سوف نمجدك ونرسلك إلى الوطن بطلا تم استدعاؤه من قبل وزارة الدفاع لأغراض أخلاقية وخاصة بالعلاقات العامة. إنك ستعيش كالمليونيرات. الجميع سوف يحتفي بك. سوف تقام الاستعراضات العسكرية على شرفك وسوف تلقي الخطب كي تجمع أموالا من أجل الحرب. إن عالما كاملا من الرخاء ينتظرك بمجرد أن تصبح صديقنا. أليس ذلك جميلا؟".

وجد يوساريان نفسه ينصت بإمعان للشرح المذهل للتفاصيل. "أنا لست واثقا من أنني أود إلقاء الخطب".

"إذن سوف ننسى أمر الخطب. أهم شيء هو ما تقوله للناس هنا". اتكأ المقدم كورن للأمام وقال وقد اختفت الابتسامة من فوق وجهه: "إننا لا نريد أن يعلم أي رجل في الوحدة أننا سوف نرسلك للوطن بسبب رفضك الخروج في مزيد من المهام. ولا نريد أن يعلم الجنرال بيكام أو الجنرال شسكوبف شيئا عن أي خلاف كان بيننا كذلك. ولهذا السبب سوف نكون صديقين مخلصين لك".

"وماذا سأقول للرجال الذين يسألونني عن سبب رفضي الخروج في مزيد من المهام؟".

"أخبرهم أنه قد جاءتك أوامر سرية بالعودة إلى الوطن وأنك لم تكن راغبا في المخاطرة بحياتك بالخروج في مهمة أو اثنتين أخريين. فقط خلاف بسيط بين الأصدقاء، هذا هو كل ما في الأمر".

"وهل سيصدقون هذا؟".

"بالطبع سوف يصدقونه، حينما يرون كيف أصبحنا أصدقاء أوفياء وحينما يرون المواد الصحفية ويقرأون ثناءك عليَّ أنا والكولونيل كاثكارت. لا تقلق بشأن الرجال. سيكون من الأسهل ضبطهم والسيطرة عليهم حينما ترحل؛ فهم لن

يثيروا المشكلات إلا أثناء وجودك هنا"، ثم أضاف المقدم كورن فى سخرية: "أنت تعلم أن تفاحة فاسدة من شأنها إفساد باقى التفاح، إن ذلك سيكون رائعًا حقًا، فأنت حتى قد تلهمهم وتجعلهم ينفذون مزيدًا من المهام".

"ماذا لو قمت بشجبكما فور وصولى إلى الولايات المتحدة؟".

"بعد تلقيك ميداليتنا والترقية وكل المجد الذى أغدقناه عليك؟ لن يصدقك أحد، ولن يسمح لك الجيش بالقيام بذلك، ولماذا بحق السماء قد ترغب فى القيام بذلك؟ إنك ستصبح أحد أصدقائنا، أتذكر؟ إنك سوف تستمتع بحياة ثرية ومجزية ومتميزة، وأنت ستكون أحمق إن ألقيت بكل هذا من أجل مبدأ أخلاقى، وأنت لست أحمق. هل اتفقنا؟".

"لا أعلم".

"ذلك أو محاكمة عسكرية".

"إن تلك هى حيلة قذرة للغاية التى سألعبها على الرجال فى السرية، أليس كذلك؟".

وافقه المقدم كورن فى دماثة وهو ينظر إليه بابتسامة خبيثة وقال: "إنها بغيضة حقًا".

قال يوساريان: "ولكن ما المانع! إن لم يكونوا راغبين فى تنفيذ مزيد من المهام فعليهم الرفض وفعل شىء إزاء ذلك كما فعلت أنا. أليس كذلك؟".

قال المقدم كورن: "بالطبع".

"ليس هناك سبب يجعلنى أضحى بحياتى من أجلهم، أليس كذلك؟".

"معك حق".

توصل يوساريان إلى هذا القرار وهو يبتسم. أعلن فى سعادة: "اتفقنا!".

قال المقدم كورن بحرارة أقل من تلك التى توقعها يوساريان وهو يقفز من فوق مكتب الكولونيل كاثكارت ليقف على الأرض: "عظيم". شد ثنيات قماش بنطاله ومد يده ناحية يوساريان ليصافحه: "مرحبًا بك خارج البلاد".

"شكرًا لك أيها المقدم. أنا ...".

"ادعونى بلاكى يا جون. إننا أصدقاء الآن".

"بالطبع يا بلاكى. إن أصدقائى يدعوننى يويو، أنا...".

قال المقدم كورن للكولونيل كاثكارت: "إن أصدقاءه يدعونه يويو. لماذا لا تقوم بتهنئة يويو على القرار الحكيم الذى اتخذه؟".

قال الكولونيل كاثكارت وهو يصافح يوساريان بحماسة: "إن ذلك هو قرار حكيم حقًا الذى اتخذته يا يويو".

"شكرًا لك أيها الكولونيل، أنا ــ".

قال المقدم كورن: "ادعوه تشاك".

قال الكولونيل كاثكارت وهو يضحك ضحكة من القلب: "بالطبع ادعونى تشاك. إننا أصدقاء الآن".

"بالطبع يا تشاك".

قال المقدم كورن وهو يضع يدا على كتف كل واحد منهما أثناء خروج ثلاثتهم من الباب: "ابتسما عند خروجكما".

دعاه الكولونيل كاثكارت بحس ضيافة: "تعال وتناول العشاء معنا فى إحدى الليالى يا يويو. ماذا عن الليلة؟ فى غرفة طعام الوحدة".

"سيكون ذلك من دواعى سرورى يا سيدى".

صححه المقدم كورن فى توبيخ: "تشاك".

"أنا آسف يا بلاكى. تشاك. أنا لا أستطيع الاعتياد على هذه الأسماء".

"لا بأس يا صديقى".

"بالطبع يا صديقى".

"شكرا لك يا صديقى".

"العفو يا صديقى".

"الوداع يا صديقى".

لوح يوساريان لصديقيه الجديدين فى سعادة مودعا إياهما ومشى الهوينى برواق الشرفة وكاد ينفجر فى الضحك حينما أصبح وحده. لقد أصبح بإمكانه العودة للوطن: لقد نجح؛ لقد نجحت ثورته، كان بأمان، ولم يكن هناك ما يشعره بالخزى أمام أى أحد. اتجه ناحية الدرجات فى مرح وسعادة. قام جندى يرتدى ثوب السخرة الأخضر بتحيته. رد يوساريان التحية بسعادة وهو يحدق إلى الجندى فى فضول. لقد بدا مألوفا بشكل غريب، وحينما رد يوساريان التحية اتضح فجأة أن الجندى فى ملابس السخرة الخضراء كان فتاة ناتلى والتى طعنته بجانبه أسفل ذراعه المرفوعة بسكين مطبخ ذى مقبض عظمى. سقط يوساريان على الأرض وهو يصرخ ويغلق عينيه فى ذعر حينما رأى الفتاة ترفع السكين لتضربه ثانية، وكان قد غاب عن الوعى بالفعل حينما اندفع كل من المقدم كورن والكولونيل كاثكارت خارج المكتب وأنقذا حياته بإفزاعها وجعلها تهرب.

٤١

سنودين

قال أحد الطبيبين: "أحدث الشق".

قال الآخر: "لا، أحدثه أنت".

قال يوساريان بلسان ثقيل بشكل لاإرادى: "لا أحد يحدث أية شقوق".

شكا أحد الطبيبين: "الآن انظر من الذى يعترض. إن المريض يتحدث ثانية. هل سنجرى العملية أم لا؟".

شكا الآخر: "إنه لا يحتاج لعملية. إنه جرح بسيط. كل ما علينا فعله هو إيقاف النزيف، قم بتنظيفه وخياطته ببعض الغرز".

"ولكن لم تتح لى الفرصة لإجراء عملية من قبل. أى أداة من هذه الأدوات هى المشرط؟ هل هذا هو المشرط؟".

"لا، الأداة الأخرى هى المشرط. حسنًا امض قدمًا وأحدث الشق إن كنت ستفعل. أحدث الشق".

"هكذا؟".

"ليس هناك أيها المغفل!".

قال يوساريان بعدما أدرك خلال وعيه المشوش أن غريبين على استعداد أن يحدثا شقًا به: "لا أحد يحدث أية شقوق".

شكا الطبيب الأول فى تهكم: "ها قد تحدث المريض ثانية. هل سيظل يتحدث بهذه الطريقة وأنا أجرى له العملية؟".

قال موظف: "لا يمكنك أن تجرى له عملية قبل أن أنتهى من إجراءات دخوله".

قام كولونيل بدين وفظ ذو شارب بوضع وجهه على مقربة شديدة من يوساريان ليشع به حرارة مثل أسفل مقلاة طهى ضخمة، وقال: "لا تستطيع إدخاله حتى أقوم باستجوابه. أين ولدت؟".

وقد ذكّر الكولونيل السمين الفظ يوساريان بالكولونيل السمين الفظ الذى قام باستجواب رجل الدين ووجده مذنبًا. حدق إليه يوساريان عبر الغشاوة الموجودة فوق عينيه، وقد كان الهواء عابقًا بالروائح المتخمة للفورمالدهايد والكحول.

أجاب: "بميدان المعركة".

"لا، لا. فى أى ولاية ولدت".

"فى ولاية البراءة".

"لا، لا، أنت لا تفهم".

استجداه رجل ذو وجه طويل ونحيل وعينين غائرتين لاذعتين وفم حاقد رفيع: "دعنى أتولَّ أمره". سأل يوساريان: "هل تحسب نفسك ذكيًا أم ماذا؟".

قال أحد الطبيبين: "إنه يهذى. لماذا لا تتركنا نأخذه للداخل ثانية لمعالجته؟".

"اتركه هنا إن كان يهذى؛ فقد يقول شيئًا يورطه فى جريمة".

"ولكنه مازال ينزف بشدة. ألا ترى؟ إنه قد يموت".

"هذا من مصلحته!".

قال الكولونيل البدين الفظ: "سيكون ذلك من حسن حظ هذا الوغد. حسنًا يا جون، دعنا نتحدث بصراحة. إننا نريد التوصل إلى الحقيقة".

"فليدعونى الجميع يويو".

"نريد منك التعاون معنا يا يويو. إننا أصدقاؤك ونريدك أن تثق بنا. إننا هنا لمساعدتك. إننا لن نؤذيك".

اقترح الرجل ذو الوجه الطويل والنحيل: "دعونا ندس أصابعنا داخل جرحه ونقوم باقتلاعه".

ترك يوساريان عينيه تنغلقان وتمنى أن يعتقدوا أنه قد فقد وعيه.

سمع أحد الطبيبين يقول: "لقد فقد وعيه. ألا نستطيع معالجته الآن قبل فوات الأوان؟ إنه قد يموت حقًا".

"حسنًا، خذه. أتمنى أن يموت هذا الوغد".

قال الموظف: "لا يمكنك علاجه قبل أن أنفذ إجراءات الدخول".

تظاهر يوساريان بأنه مغشى عليه وظل مغلقًا عينيه أثناء قيام الموظف بتنفيذ إجراءات الدخول عن طريق خلط بعض الأوراق من دون نظام، وبعد ذلك تم أخذه ببطء إلى غرفة فاسدة الهواء ومظلمة ذات مصابيح خافتة الضوء؛ حيث كانت رائحة الفورمالدهايد اللاذعة والكحول أقوى، وقد كانت تلك الرائحة الكريهة النافذة والمبهجة مسكرة، وقد شم رائحة الأثير كذلك وسمع صوت زجاج يرن. أنصت فى سرية وسعادة للأنفاس القوية للطبيبين. وقد شعر بالسعادة لأنهما اعتقدا أنه فاقد وعيه ولم يدركا أنه كان ينصت. كان الأمر برمته سخيفًا بالنسبة له حتى قال أحد الطبيبين:

"حسنًا، هل تعتقد أنه يتوجب علينا إنقاذ حياته؟ إنهم سيصبحون حانقين علينا إن فعلنا ذلك".

قال الطبيب الآخر: "دعنا نجر العملية. دعنا نحدث شقا وننتهى من أمره. لقد ظل يشكو من كبده. إن كبده يبدو صغيرًا للغاية فى هذه الأشعة".

"إن هذا هو بنكرياسه أيها المغفل! هذا هو كبده".

"لا، إنه ليس كبده. إنه قلبه. أراهنك أن هذا هو كبده، وأنا سوف أجرى العملية وأتأكد. هل ينبغى أن أغسل يدى أولاً؟".

قال يوساريان وهو يفتح عينيه ويحاول الجلوس: "لا أحد يجرى أية عمليات".

قال أحد الطبيبين فى سخرية وسخط: "ها قد تحدث المريض ثانية. ألا نستطيع أن نجعله يصمت؟".

"يمكننا تخديره تخديرًا كليا. إن الأثير هنا".

قال يوساريان: "لا أحد يخدرنى تخديرا كليًا".

قال أحد الطبيبين: "ها قد تحدث المريض ثانية".

"دعنا نخدره تخديرًا كليًا ونصرعه تمامًا، وحينها نستطيع فعل ما يحلو لنا به".

وقد قاما بتخدير يوساريان تخديرًا كليًا وجعلاه يغيب عن الوعى تمامًا. استيقظ عطشان فى غرفة خاصة عابقة بروائح الأثير، وقد كان المقدم كورن هناك إلى جواره ينتظر فى هدوء فوق أحد المقاعد وهو يرتدى قميصه وبنطاله الصوفيين الفضفاضين ذوى اللون الأسمر الزيتونى. كانت ابتسامة رقيقة باردة مرتسمة على وجهه البنى ذى الوجنتين العريضتين الثقيلتين، وكان يدلك رأسه الأصلع برفق براحتى يديه، وقد اتكأ للأمام وهو يضحك حينما أفاق يوساريان وأكد له فى نبرة شديدة الود أن صفقتهما لاتزال قائمة إن لم يمت يوساريان. تقيأ يوساريان فهب المقدم كورن واقفًا على الفور وانصرف فى اشمئزاز؛ مما جعل يوساريان يتأكد فعلاً أنه مازال هناك أمل أثناء ارتداده للوراء وفقدانه الوعى مجددًا. قامت يد ذات أصابع حادة بهزه بقوة لإيقاظه. استدار وفتح عينيه ورأى رجلاً غريبًا ذا وجه دنىء والذى جعد شفته فى ازدراء وتقطيب.

"لقد نلنا من صديقك يا صديقى. لقد نلنا من صديقك".

دبت القشعريرة فى يوساريان وتصبب عرقًا.

سأل حينما رأى رجل الدين يجلس حيث كان يجلس المقدم كورن: "من هو صديقى؟".

أجاب رجل الدين: "ربما أكون أنا صديقك".

ولكن يوساريان لم يستطع سماعه وأغلق عينيه، وقد أعطاه شخص ما ماء يشربه وانصرف. نام واستيقظ ليشعر بأنه على ما يرام حتى أدار رأسه ليبتسم

لرجل الدين ليرى آرفى يجلس مكانه. أصدر يوساريان صوت أنين بشكل غريزى وجعد وجهه فى حنق حينما ضحك آرفى وسأله عما يشعر، وقد بدا آرفى حائرًا حينما سأله يوساريان عن سبب عدم وجوده بالسجن. أغلق يوساريان عينيه ليجعله ينصرف. وحينما فتحهما كان آرفى قد انصرف وحل محله رجل الدين. انفجر يوساريان فى الضحك حينما رأى ابتسامة رجل الدين المبهجة وسأله عن السبب الذى يجعله سعيدًا إلى ذلك الحد.

قال رجل الدين بسعادة غامرة: "أنا سعيد لأجلك. لقد سمعت فى الوحدة أنك أصبت إصابة بالغة وأنه سوف يتم إرسالك إلى الوطن إن بقيت على قيد الحياة. لقد قال المقدم كورن إن حالتك خطيرة، ولكننى علمت من أحد الأطباء أن جرحك بسيط وإنه سيمكنك الخروج فى غضون يوم أو اثنين. إن حياتك ليست فى خطر. إن الأمر ليس سيئًا على الإطلاق".

أنصت يوساريان إلى رجل الدين براحة بالغة: "هذا جيد".

قال رجل الدين بينما تتورد وجنتاه سعادة: "نعم، هذا جيد".

ضحك يوساريان وهو يتذكر حواره الأول مع رجل الدين. "أتعلم، إن المرة الأولى التى قابلتك فيها كانت فى المستشفى. والآن أنا فى المستشفى مرة أخرى. أنا لم أعد أراك مؤخراً سوى فى المستشفى. أين تختفى؟".

هزَ رجل الدين كتفيه. قال معترفًا: "لقد كنت أصلى كثيرًا. أنا أحاول البقاء فى خيمتى أطول فترة ممكنة، وأنا أدعو فى كل مرة أصلى فيها أن يغادر الرقيب ويتكومب المكان؛ حتى لا يقوم بإمساكى".

"وهل يسديك ذلك أى نفع؟".

قال رجل الدين وهو يهز كتفيه ثانية: "إنه لا يجعلنى أفكر فى المشكلات، ويمنحنى شيئاً أقوم به".

"حسنًا، هذا جيد، أليس كذلك؟".

وافقه رجل الدين فى حماسة كما لو أن الفكرة لم تطرأ على ذهنه من قبل: "نعم. نعم، أعتقد أن هذا جيد". اتكأ إلى الأمام وقال فى قلق: "يوساريان، هل هناك أى شىء يمكننى أن أقوم به من أجلك أثناء وجودك هنا، أى شىء يمكننى إحضاره لك؟".

أغاظه يوساريان فى سعادة: "مثل اللعب أو الحلوى أو العلكة؟".

تورد وجه رجل الدين مرة أخرى ثم أصبح شديد الاحترام. "مثل الكتب، ربما، أو أى شىء آخر. أتمنى أن يكون هناك شىء أستطيع فعله لأجلك لتكون سعيدًا؛ فكما تعلم يا يوساريان إننا جميعًا فخورون بك".

"فخورون ؟".

"نعم، بالطبع. من أجل المخاطرة بحياتك لردع ذلك القاتل النازى. كان تصرفًا شديد النبل من جانبك".

"أى قاتل نازى؟".

"هذا الذى أتى إلى هنا لقتل الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن وأنقذتهما أنت منه. كان يمكنه أن يرديك قتيلاً أثناء مصارعتك له فى الشرفة. من حسن حظك أنك لا تزال على قيد الحياة".

ضحك يوساريان فى سخرية حينما فهم وقال: "إنه لم يكن قاتلاً نازيًا".

"بالطبع كان قاتلاً نازياً. هذا هو ما قاله المقدم كورن".

"لقد كانت تلك هى صديقة ناتلى. وهى كانت تبغى قتلى وليس قتل الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن. إنها تحاول قتلى منذ أن أخبرتها بأن ناتلى قد لقى مصرعه".

اعترض رجل الدين فى ارتباك يتخلله الاستياء: "كيف هذا؟ لقد رآه كل من الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن وهو يهرب؛ والتقرير الرسمى يقول إنك منعت قاتلاً نازيًا من قتلهما".

نصحه يوساريان بجفاف: "لا تصدق التقرير الرسمى. إن ذلك جزء من الاتفاقية".

"أية اتفاقية؟".

"الاتفاقية التى أبرمتها مع الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن. إنهما سوف يسمحان لى بالعودة إلى الوطن كبطل جسور إن قلت أشياء لطيفة عنهما للجميع ولم أقم بانتقادهما قط لجعلهما باقى الرجال ينفذون مزيدًا من المهام".

كان رجل الدين مفزوعًا فنهض من مقعده. انتصب فى ذعر قتالى وقال: "ولكن ذلك مريع! إن تلك اتفاقية مخزية وبشعة، أليس كذلك؟".

أجابه يوساريان وهو يحدق إلى السقف أثناء رقود رأسه للخلف فوق الوسادة: "بغيضة. أعتقد أن "بغيضة" هى الكلمة التى استقررنا عليها".

"إذن كيف وافقت عليها؟".

"إما ذلك أو المحاكمة العسكرية".

قال رجل الدين فى ندم بالغ قبل أن يغطى فمه بظهر يده: "يا إلهى. ما كان يجدر بى أن أقول شيئًا".

"كانوا ليضعوننى فى السجن مع المجرمين".

"بالطبع. يجب أن تفعل ما تراه صحيحًا فى ذلك الحين". أومأ رجل الدين لنفسه وكأنه حسم الجدال وانخرط فى صمت يتخلله الشعور بالخزى.

قال يوساريان بضحكة مأساوية بعد مضى عدة لحظات: "لا تقلق. أنا لن أنفذ

هذه الاتفاقية".

أصر رجل الدين وهو يتكئ للأمام فى قلق: "ولكن يجب عليك تنفيذها. يجب عليك ذلك حقًا. أنا لا أمتلك أى حق فى التأثير عليك. أنا لا يحق لى أن أقول أى شىء".

استدار يوساريان لينام على جانبه وهزّ رأسه فى سخرية كئيبة وهو يقول: "إنك لا تؤثر علىّ. يا إلهى! هل يمكنك تخيل إثم مثل هذا؟ إنقاذ حياة الكولونيل كاثكارت! إن تلك هى الجريمة الوحيدة التى لا أريد وضعها فى سجلى".

عاود رجل الدين التحدث فى الموضوع بحرص. "ماذا ستفعل عوضًا عن ذلك؟ إنك لن تتركهم يضعونك فى السجن".

"سوف أنفذ مزيدًا من المهام، أو سأمتنع عن أداء الخدمة وأتركهم يلقون القبض علىّ. وهم ربما سيفعلون ذلك".

"ولكنهم سيضعونك فى السجن، وأنت لا تريد الذهاب إلى السجن".

"إذن سوف أظل أخرج فى المهام العسكرية حتى تنتهى الحرب، على ما أعتقد. فبالتأكيد سيبقى بعضنا على قيد الحياة".

"ولكنك قد تلقى حتفك".

"إذن أعتقد أننى لن أخرج فى مزيد من المهام".

"وماذا ستفعل؟".

"لا أعرف".

"هل ستدعهم يرسلونك إلى الوطن؟".

"لا أعلم. هل الجو حار بالخارج؟ إنه شديد الدفء هنا".

قال رجل الدين: "إن الجو شديد البرودة بالخارج".

تذكر يوساريان: "أتعلم، لقد حدث شىء غريب للغاية ـ ربما يكون مجرد حلم. أعتقد أن رجلاً غريبًا أتى إلى هنا فى وقت سابق وأخبرنى بأنه نال من صديقى . أتساءل إن كان ذلك مجرد تخيلات".

قال رجل الدين: "لا أعتقد أنك تخيلت ذلك؛ فقد أخبرتنى شيئاً عن ذلك الأمر حينما أتيت إلى هنا قبل ذلك".

"إذن فقد قال ذلك بالفعل. لقد قال:""لقد نلنا من صديقك يا صديقى. لقد نلنا من صديقك"، وقد كان يتحدث بطريقة خبيثة لم أشهد مثلها من قبل. أتساءل من هو صديقى هذا الذى يتحدث عنه".

قال رجل الدين فى إخلاص: "أعتقد أننى صديقك يا يوساريان، وهم بالتأكيد قد نالوا منى؛ فهم قد حصلوا على رقمى ووضعونى تحت المراقبة وأحكموا قبضتهم علىّ تمامًا. هذا هو ما أخبرونى به أثناء الاستجواب".

قال يوساريان: "لا أعتقد أنه أنت الشخص الذى يعنيه. أعتقد أنه لابد أن يكون شخصًا مثل ناتلى أو دونبار، شخصًا لقى حتفه فى الحرب مثل كليفنجر أو أور أو دوبس أو كيد سامبسون أو ماكوات". شهق يوساريان فى فزع وهزّ رأسه وقال: "لقد أدركت شيئاً لتوى. لقد نالوا من جميع أصدقائى، أليس كذلك؟ فالوحيدون المتبقون هم أنا وهنجرى جو". أصيب بالذعر حينما رأى وجه رجل الدين يمتعق. "ما الأمر؟".

"لقد لقى هنجرى جو حتفه".

"يا إلهى! فى إحدى المهام؟".

"لقد مات أثناء نومه وهو يحلم. وهم قد وجدوا قطة فوق وجهه".

قال يوساريان قبل أن ينفجر فى البكاء ويغطى عينيه: "الوغد المسكين". غادر رجل الدين دون أن يودعه. أكل يوساريان شيئًا وغط فى النوم. فتح عينيه ليرى رجلاً حقيرًا ذا وجه نحيل يرتدى روب وبيجامة المرضى والذى نظر إليه فى دناءة وسخرية.

"لقد نلنا من صديقك يا صديقى. لقد نلنا من صديقك".

أصيب يوساريان بالتوتر والذعر. سأله فى خوف: "ما الذى تتحدث عنه بحق السماء؟".

"سوف تكتشف يا صديقى . سوف تكتشف".

مد يوساريان يده للإمساك بحلق معذبه ولكن الرجل انسل بعيدًا عنه دون أن يبذل مجهودًا كبيرًا واختفى فى الرواق وهو يضحك ضحكة خبيثة. ظل يوساريان راقدًا هناك يرتعد بينما تتسارع ضربات قلبه. كان مغمورًا بالعرق البارد. وقد تساءل من هو هذا الصديق الذى يقصد. كان الظلام والهدوء يسودان المستشفى. ولم يكن لديه ساعة ليعرف الوقت. كان متيقظًا وعلم أنه سجين داخل إحدى هذه الليالى التى يجافى فيها المرء النوم وتظل ممتدة بلا نهاية حتى بزوغ الفجر. سرت القشعريرة فى ساقيه. كان يشعر بالبرد وقد فكر فى سنودين والذى لم يكن صديقه قط ولكنه كان فتى ودودًا والذى أصيب بجرح غائر وتجمد حتى الموت داخل بركة من أشعة الشمس الصفراء الحارة التى كانت تغمر وجهه عند المدفع الجانبى حينما زحف يوساريان إلى الجزء الخلفى من الطائرة فوق حجيرة القنابل بعد أن استجداه دوبس على نظام الاتصال البينى لمساعدة المدفعى، "من فضلك ساعد المدفعى". وقد شعر يوساريان بالغثيان وباضطراب فى معدته حينما رأى المشهد المروع؛ فهو قد شعر بالاشمئزاز وتوقف عن الحركة فى ذعر لبضع لحظات قبل أن يهبط ويجثم على يديه وركبتيه فى الممر الضيق فوق حجيرة القنابل إلى جوار الكرتونة المتجعدة المغلقة المحتوية على أدوات الإسعافات الأولية. كان سنودين

يرقد على ظهره على الأرض وساقاه ممددتان ولايزال يرتدى حلة المدفعية الثقيلة وخوذته وباراشوته، وفى مكان ليس ببعيد فوق الأرض كان يرقد مدفعى الذيل الصغير مغشيًا عليه. وكان الجرح الذى رآه سنودين فى الجزء الخارجى من فخذ سنودين يشبه كرة القدم من حيث الحجم والعمق، وكان من المستحيل تبين أين تنتهى الحواف الممزقة المشبعة بالدم لمئزره وأين يبدأ جرحه الغائر.

ولم يكن هناك مورفين فى حقيبة الإسعافات الأولية، أو أى مسكن آخر للألم من أجل سنودين فيما عدا صدمة الإصابة بمثل هذا الجرح؛ فقد تمت سرقة الاثنتى عشرة محقنة مورفين من الحقيبة واستبدالها برسالة مغلفة ونظيفة تقول: "ما هو مفيد لنقابة إم آند إم مفيد للوطن. مايلو مايندربايندر". سب يوساريان مايلو وأمسك بقرصى أسبرين وحملهما إلى الشفتين الشاحبتين اللتين عجزتا عن التقاطهما، ولكنه أولا قام بوضع مرقأة حول فخذ سنودين لأنه لم يعلم ماذا يفعل غير ذلك فى تلك اللحظات الصاخبة الأولى التى كانت حواسه فيها مضطربة، حينما علم أن عليه التصرف بكفاءة وعلى الفور وخشى أن ينهار كلية. ظل سنودين يراقبه دون أن يقول شيئاً. لم يكن هناك شريان منفجر ولكن يوساريان تظاهر بأنه مشغول بشدة فى عملية وضع المرقأة لأن تلك هى العملية التى كان يعرف بالفعل كيف يقوم بها. وقد عمل ببراعة وإتقان وهو يشعر بتحديق سنودين الباهت إليه. استعاد السيطرة على نفسه قبل الانتهاء من وضع المرقأة والقيام بإرخائها على الفور لتقليل خطر الإصابة بالغرغرينا. كان ذهنه صافيًا الآن وأدرك كيف يمضى قدما. فتش داخل حقيبة الإسعافات الأولية عن مقص.

قال سنودين بوهن: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

طمأنه يوساريان وهو يبتسم: "سوف تكون على ما يرام يا فتى. سوف تكون على ما يرام".

قال سنودين ثانية بصوت مرتعد يشبه صوت الأطفال: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

قال يوساريان لأنه لم يجد شيئاً آخر يقوله: "على رسلك أيها الفتى، على رسلك".

شعر يوساريان بالذعر وتحرك على نحو أسرع. عثر على مقص أخيرا وبدأ يقطع بحرص عبر مئزر سنودين فوق الجرح، أسفل الأربية مباشرة. ظل يقص فى خط مستقيم القماش الجبردين الثقيل حول الفخذ. استيقظ المدفعى الصغير أثناء استخدام يوساريان للمقص ورآه وفقد الوعى مجددًا. أدار سنودين رأسه للجانب الآخر من رقبته كى يحدق فى يوساريان مباشرة، وقد توهج ضوء غائر واهن داخل عينيه الضعيفتين الكسولتين، وقد تجنب يوساريان المرتبك النظر

إليه. بدأ يقطع المئزر من منطقة الدرزات الداخلية. كان الجرح المنفغر ـ هل كانت عظمة لزجة تلك التى يراها تسرى بعمق داخل مجرى الدم القرمزى خلف الألياف المعوجة المفزعة لهذه العضلة الغريبة؟ ـ كانت الدماء الحمراء اللزجة الغليظة تقطر من أماكن عدة مثل الإفريز الذى يقطر الثلج الذائب. ظل يوساريان يقص المئزر لأسفل ليشق ساق بنطال سنودين كلية. سقط البنطال على الأرض محدثا صوتا شبيها بصوت شىء يغطس فى الماء وكاشفا عن حافة سرواله التحتى كاكى اللون والذى كان يتشرب الدماء من الجانب وكأنه عطشان، وقد كان يوساريان مذهولا حينما رأى كم كانت ساق سنودين العارية تبدو شاحبة وكم كان الشعر الأشقر المعقوف الأملس الرقيق على ربلة ساقه يبدو مفتقرا للحياة . وقد رأى الآن أن الجرح لم يكن فى حجم كرة القدم ولكن كان يبلغ طوله وعرضه طول وعرض يده، وكان من العمق لدرجة تجعل من السهل رؤية الجزء الداخلى منه بوضوح. وقد كانت العضلات الرخوة بالداخل ترتعش مثل لحم همبورجر حى، وقد تنفس يوساريان الصعداء حينما رأى أن سنودين لا يواجه خطر الموت. فكان الدم متخثرا بالفعل، وكل ما عليه فعله هو لف الجرح بضمادة وإبقاء سنودين هادئا إلى حين تهبط الطائرة. أخرج بعض عبوات السلفانيلاميد من حقيبة الإسعافات الأولية. وقد ارتعد سنودين حينما لمسه يوساريان برفق كى يقلبه على جانبه.

"هل آلمتك؟".

تمتم سنودين: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

قال يوساريان: "لا تقلق".

"أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

"على رسلك، لا تقلق".

صاح سنودين فجأة بعدما أجفل: "لقد بدأ يؤلمنى".

اندفع يوساريان فى اهتياج بحثًا عن المورفين ثانية داخل حقيبة الإسعافات الأولية ووجد فقط رسالة مايلو وزجاجة من الأسبرين. سب مايلو وحمل قرصين من الأسبرين ليعطيهما لـ سنودين. لم يكن لديه ماء لتقديمه له. رفض سنودين الأسبرين بهزة من رأسه. كان وجهه شاحبًا للغاية. خلع يوساريان خوذة سنودين من فوق رأسه وقام بخفض رأسه على الأرض.

تأوه سنودين بعينين نصف مغلقتين: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

بدأت حواف فمه تتحول إلى اللون الأزرق. أصيب يوساريان بالذعر. وقد تساءل إن كان عليه سحب حبل التنفيس من باراشوت سنودين وتغطيته بالثنيات النايلون. لقد كانت الطائرة شديدة الدفء، وبعد أن رفع عينيه على نحو غير متوقع ابتسم له سنودين ابتسامة ضعيفة ومتعاونة وَغَيَّرَ موضع ركبه قليلاً كى يتمكن يوساريان

من رش الجرح بالسلفانيلاميد. عمل يوساريان بثقة وتفاؤل جديدين. قفزت الطائرة بقوة بسبب مطب هوائى، وقد تذكر فى فزع أنه ترك الباراشوت الخاص به فى مقدمة الطائرة، ولم يكن هناك ما يمكن فعله بهذا الشأن. أخذ يسكب عبوة تلو الأخرى من المسحوق البلورى فوق الجرح البيضاوى الدموى حتى لم يعد فى الإمكان رؤية أى شىء أحمر، وبعد ذلك أخذ نفسًا عميقًا ومذعورًا وهو يجمع شتات نفسه وهو يجز بأسنانه أثناء لمس يده العارية لحواف اللحم البشرى لدسه داخل الجرح - وسرعان ما غطى الجرح بالكامل بضمادة قطنية كبيرة وأبعد يده. ابتسم فى توتر حينما انتهت محنته الموجزة، ولم يكن الاتصال المباشر الفعلى باللحم الميت بغيضًا للغاية كما كان يتوقع، وهو قد ظل يربت على الجرح بأصابعه مرارًا وتكراراً ليقنع نفسه بأنه شخص شجاع.

بعد ذلك بدأ يربط الضمادة فى مكانها باستخدام لفافة من الجص، وقد رأى أثناء المرة الثانية للف الضمادة حول الجزء الداخلى من فخذ سنودين الفجوة الصغيرة التى دخلت من خلالها الشظية، كان جرحًا مستديرًا فى حجم العملة المعدنية الصغيرة وذا حواف زرقاء وقلب أسود كونت به الدماء قشرة. رش يوساريان هذا الجرح أيضًا بالسلفانيلاميد واستمر فى لف الضمادة حول ساق سنودين حتى أصبحت مؤمنة وثابتة. بعد ذلك قطع اللفافة بالمقص. كانت ضمادة جيدة كما رأى، جلس للخلف على كعبيه فى فخر ومسح حبات العرق من فوق حاجبه وابتسم لسنودين بود وحرارة.

تأوه سنودين: "أنا أشعر بالبرد، أنا أشعر بالبرد".

طمأنه يوساريان وهو يربت على ذراعه فى مواساة: "سوف تكون على ما يرام يا فتى. كل شىء تحت السيطرة".

هزَ سنودين رأسه فى ضعف. كرر بعينين معتمتين كالصخر: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

قال يوساريان فى شك وذعر متزايدين: "لا تقلق. فى خلال برهة سوف نهبط ويعتنى بك الطبيب دانيكا".

ولكن سنودين ظل يهز رأسه وأشار أخيرًا - بحركة ضعيفة للغاية من ذقنه - إلى أسفل إبطه. انحنى يوساريان ليرى، وهنا شاهد بقعة دم غريبة تسيل خلال المئزر فوق إبط حُلة سنودين الواقية مباشرة. شعر يوساريان بقلبه يتوقف ثم يدق بشدة فجأة مما جعله يجد صعوبة فى التنفس. لقد أصيب سنودين بجرح داخل حُلته الواقية. فتح يوساريان حمالات حُلة سنودين الواقية وسمع نفسه يصرخ فى جموح حينما انزلقت أحشاء سنودين على الأرض فى كومة مترهلة وظلت تواصل الخروج؛ فشظية يبلغ طولها أكثر من ثلاث بوصات كانت قد اخترقت جانبه الآخر

أسفل الذراع مباشرة وشقت طريقها إلى الداخل ساحبة أجزاء كاملة من سنودين معها عبر الثقب الضخم الذى أحدثته فى ضلوعه عند انفجارها. صرخ يوساريان ثانية ووضع كلتا يديه فوق عينيه. كان بإمكانه رؤية أعضاء بشرية ـ كبد ورئتين وضلوع ومعدة وأجزاء من طماطم مغلية كان سنودين قد تناولها على الغداء. كان يوساريان يكره الطماطم المغلية، وأشاح بوجهه فى دوار وبدأ يتقيأ وهو يمسك بحلقه الذى شعر بحرقة بداخله. استيقظ مدفعى الذيل أثناء تقيؤ يوساريان، رآه، ثم فقد وعيه مجدداً. استدار فى ضعف ناحية سنودين والذى أصبحت أنفاسه أوهن وأسرع وأصبح وجهه أكثر شحوباً. تساءل كيف يمكن بحق السماء البدء فى إنقاذه.

تمتم سنودين: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

تمتم يوساريان بصوت خفيض يصعب سماعه: "لا تقلق يا فتى".

كان يوساريان يشعر بالبرد كذلك وكان يرتعد بشدة. شعر بالقشعريرة تسرى فى جسده أثناء تحديقه فى قنوط إلى السر المثير للاشمئزاز الذى سكبه سنودين فوق الأرض. كان من السهل قراءة الرسالة داخل أحشائه. كان الإنسان عبارة عن مادة، كان ذلك هو سر سنودين. ألق به من النافذة وسوف يسقط. أضرم به النار وسوف يحترق. ادفنه وسوف يتعفن مثله مثل الأنواع الأخرى من القمامة؛ فبمجرد خروج الروح يصبح الإنسان قمامة. كان ذلك هو سر سنودين.

قال سنودين: "أنا أشعر بالبرد. أنا أشعر بالبرد".

قال يوساريان: "سيكون كل شىء على ما يرام". جذب حبل التنفيس فى باراشوت سنودين وغطى جسده بالشراشف النايلون البيضاء.

"أنا أشعر بالبرد".

"لا تقلق، سيكون كل شىء على ما يرام".

٤٢
يوساريان

قال الرائد دانبى ليوساريان بابتسامة سارة: "إن المقدم كورن يقول إن الاتفاقية مازالت سارية، وأن كل شىء يسير على ما يرام".

"لا، هذا ليس صحيحًا".

أصر الرائد دانبى فى عطف: "نعم بالطبع. فى الواقع، كل شىء يسير بشكل مثالى. لقد كنت سعيد الحظ حقًا لأن فتاة أوشكت على قتلك. الآن يمكن تفعيل الاتفاقية بشكل مثالى".

"أنا لن أعقد أية اتفاقيات مع المقدم كورن".

اختفى تفاؤل الرائد دانبى على الفور وبدأ يتصبب عرقًا فجأة. سأل فى ارتباك: "ولكنك عقدت معه اتفاقًا، أليس كذلك؟ ألم تتوصلا إلى اتفاق؟".

"أنا أنقض الاتفاق".

"ولكنكما تصافحتما بعد أن اتفقتما، أليس كذلك؟ لقد أعطيته كلمتك كرجل".

"أنا أسحب كلمتى".

تنهد الرائد دانبى وبدأ يربت فوق حاجبه المضنى بالهموم بمنديل أبيض مطوىّ: "يا إلهى، ولكن لماذا يا يوساريان؟ إنها صفقة جيدة للغاية تلك التى يعرضونها عليك؟".

"إنها صفقة قذرة يا دانبى. إنها بغيضة".

اضطرب الرائد دانبى وهو يمرر يده العارية فوق شعره الداكن المجعد والذى كان بالفعل مشربًا بالعرق حتى قمم أطرافه المقصوصة قصًا قصيرًا للغاية: "يا إلهى!".

"دانبى، ألا تعتقد أنها بغيضة؟".

ظل الرائد دانبى يفكر للحظة. قال فى تردد: "نعم، أعتقد أنها بغيضة". كانت عيناه الكرويتان الجاحظتان مهتاجتين للغاية "، ولكن لماذا أبرمت معه هذه الاتفاقية إن كانت لا تعجبك؟".

قال يوساريان فى حكمة بسخرية كئيبة: "لقد أبرمتها فى لحظة ضعف. كنت أحاول إنقاذ حياتى".

"ألا تريد إنقاذ حياتك الآن؟".

"هذا هو السبب الذى يجعلنى لن أسمح لهم بإرغامى على الخروج فى المزيد من المهام".

"إذن دعهم يرسلوك إلى الوطن ولن تتعرض حياتك للخطر ثانية".

قال يوساريان "دعهم يرسلونى إلى الوطن لأننى نفذت أكثر من خمسين مهمة وليس لأن فتاة طعنتنى أو لأننى تحولت إلى وغد حقير".

هزّ الرائد دانبى رأسه فى إخلاص وسخط وقال: "إنهم سوف يضطرون إلى إرسال جميع الرجال إلى الوطن إن قاموا بذلك؛ فمعظم الرجال نفذوا أكثر من خمسين مهمة. والكولونيل كاثكارت لا يستطيع أن يطلب كل هذا العدد من جنود الاحتياط عديمى الخبرة مرة واحدة دون التسبب فى إجراء تحقيق. لقد وقع فريسة فى مصيدته الخاصة".

"إن تلك هى مشكلته هو".

خالفه الرائد دانبى فى قلق: "لا، لا يا يوساريان. إنها مشكلتك؛ فأنت إن لم تلتزم بالاتفاق سوف يحاكمونك عسكريًا بمجرد خروجك من المستشفى".

نظر يوساريان إلى الرائد دانبى وضحك فى بهجة واعتداد بالنفس: "حقًا! لا تكذب علىّ يا دانبى. إنهم لن يحاولوا ذلك حتى".

سأل الرائد دانبى وهو يطرف بعينيه فى دهشة: "ولكن لماذا لن يفعلوا ذلك؟".

"لأننى وضعتهم فى مأزق حقيقى الآن. إن هناك تقريرًا رسميًا يقول إن قاتلاً نازيًا طعننى أثناء محاولة اغتيالهما. إنهما حقًا سيبدوان سخيفين إن قاما بمحاكمتى عسكريًا بعد ذلك".

قال الرائد دانبى: "ولكن يا يوساريان يوجد تقرير رسمى آخر يقول إن فتاة بريئة طعنتك أثناء إجراء عمليات خاصة بالسوق السوداء تتضمن أعمالا تخريبية وبيع أسرار عسكرية للعدو".

أجفل يوساريان من فرط الدهشة والإحباط وقال: "تقرير رسمى آخر؟".

"يوساريان، إن بإمكانهم إعداد القدر الذى يشاءونه من التقارير الرسمية واختيار ذلك الذى يحتاجون إليه حسب الموقف. ألا تعلم ذلك؟".

قال يوساريان فى اغتمام بعدما هرب الدم من وجهه: "يا إلهى".

اتكأ الرائد دانبى للأمام بينما يعلو وجهه نظرة جشع وشره: "يوساريان، افعل ما يريدونه ودعهم يرسلوك للوطن. إن ذلك هو الاختيار الأفضل للجميع".

"إنه الأفضل لكاثكارت وكورن وأنا وليس الجميع".

أصر الرائد دانبى: "للجميع. إنه سيحل المشكلة برمتها".

"هل هو الأفضل للرجال فى الوحدة والذين سيستمرون فى الخروج فى مزيد

من المهام؟".

أجفل الرائد دانبى وأشاح بوجهه بعيدًا فى تململ للحظة ثم قال: "يوساريان! إن ذلك لن يكون مجديًا لأحد إن أرغمت الكولونيل كاثكارت أن يحاكمك عسكريًا ويثبت أنك مذنب بكل الاتهامات التى ستوجه لك. إنك ستذهب إلى السجن لفترة طويلة وسوف تتدمر حياتك".

أنصت إليه يوساريان فى اهتمام بالغ: "ما الاتهامات التى سيوجهونها لى؟".

"عدم الكفاءة فوق فيرارا والتمرد ورفض الاشتباك مع العدو عند أمرك بذلك والفرار من الجندية".

مط يوساريان شفتيه فى رزانة: "هل يمكنهم اتهامى بكل ذلك؟ لقد أعطونى ميدالية من أجل بسالتى فوق فيرارا. كيف يتهموننى بعدم الكفاءة الآن؟".

"سوف يقسم آرفى أنك وماكوات قد كذبتما فى التقرير الرسمى".

"أنا واثق من أن هذا الحقير على استعداد للقيام بذلك!".

قال الرائد دانبى: "وهم أيضًا سيدينونك بتهمة الاغتصاب والمتاجرة فى السوق السوداء والقيام بالأعمال التخريبية وبيع الأسرار العسكرية للعدو".

"كيف سيثبتون أيًا من هذا؟ أنا لم أفعل أيًا من هذا!".

"ولكنَّ لديهم شهودًا مستعدين أن يقسموا أنك قمت بذلك. إن بإمكانهم جلب كل الشهود الذين يحتاجون إليهم عن طريق إقناعهم بأن تدميرك هو أمر مفيد للوطن. وفى الواقع، إن ذلك سيكون مفيدًا للوطن حقًا".

سأل يوساريان وهو ينهض ببطء على مرفق واحد فى عدوانية: "كيف هذا؟".

اتكأ الرائد دانبى للخلف قليلاً وبدأ يمسح جبهته ثانية. قال وهو يتلعثم: "حسنا يا يوساريان. إن تشويه سمعة الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن لن يفيد المجهود الحربى. دعنا نواجه الأمر يا يوساريان ـ على الرغم من كل شىء، فإن للوحدة سجلاً جيدا للغاية. وإن تمت محاكمتك عسكريًا وتم إثبات براءتك سيرفض الرجال الآخرون على الأرجح الخروج فى المهام العسكرية كذلك، وسوف يشوه ذلك سمعة الكولونيل كاثكارت وقد تنهار الكفاءة العسكرية للوحدة؛ لذا فبهذه الطريقة سيكون من المفيد للوطن لو وجد أنك مذنب وتم وضعك فى السجن حتى لو كنت بريئًا".

قال يوساريان فى استياء: "يا لها من طريقة لطيفة تفسر بها الأمور!".

تورد وجه الرائد دانبى وتلوى فى تململ. استجداه بينما تعلو وجهه نظرة أمانة وقلق: "من فضلك لا تلق اللوم علىّ. أنت تعلم أنه ليس خطئى. إن كل ما أحاول فعله هو النظر للأمر نظرة موضوعية والتوصل لحل لمشكلة شديدة الصعوبة".

"أنا لست السبب فى حدوث هذه المشكلة".

"ولكن يمكنك حلها. وما غير ذلك يمكنك أن تفعل؟ أنت لا تريد الخروج فى مزيد من المهام".

"يمكننى الهرب".

"الهرب؟".

"الفرار. الاختفاء. يمكننى إدارة ظهرى لكل هذه الفوضى والبدء بالركض".

أصيب الرائد دانبى بالصدمة. "تركض إلى أين؟ أين يمكنك أن تذهب؟".

"يمكننى الذهاب إلى روما بسهولة، وباستطاعتى الاختباء هناك".

"وتعيش فى خطر طوال كل لحظة من حياتك خوفًا من أن يجدوك؟ لا، لا يا يوساريان. إن ذلك تصرف وضيع وحقير حقًا. إن الهرب من المشاكل لا يحلها قط. من فضلك صدقنى. أنا فقط أحاول مساعدتك".

قال يوساريان فى تهكم: "هذا هو ما قاله هذا المحقق الطيب قبل أن يقرر دس إبهامه فى جرحى".

أجاب الرائد دانبى بسخط بعدما توردت وجنتاه ثانية: "أنا لست محققًا. أنا أستاذ جامعى يتمتع بمقدرة قوية على التمييز بين الصواب والخطأ، وأنا لن أحاول خداعك. أنا لا أكذب على أحد".

"ماذا ستفعل إن سألك أحد الرجال بالوحدة عن هذا الحوار؟".

"سوف أكذب عليه".

ضحك يوساريان فى سخرية، وعلى الرغم من شعور الرائد بالخجل إلا أنه اتكأ للخلف فى راحة وكأنه يرحب بتغيير حالة يوساريان المزاجية للأفضل. حدق إليه يوساريان بمزيج من الشفقة والازدراء. جلس فى الفراش بينما يدعم ظهره بمسند الفراش وأشعل سيجارة وابتسم فى سعادة ماكرة وحدق فى تعاطف غريب إلى نظرة الذعر التى ارتسمت على وجه الرائد دانبى وظلت هناك منذ يوم المهمة إلى الأفنيون حينما أمر الجنرال دريدل بأخذه إلى الخارج وإطلاق النار عليه؛ فالتجاعيد الناتجة عن الذعر الذى شعر به فى هذا اليوم سوف تبقى مثل ندبات سوداء عميقة، وقد شعر يوساريان بالأسف حيال العدد الكبير من الناس الذين لا يعانون من نقائص خطيرة وكانت مشكلاتهم بسيطة.

وبود شديد قال: "دانبى، كيف يمكنك التعامل مع أشخاص مثل كاثكارت وكورن؟ ألا يصيبك ذلك بالغثيان؟".

بدا الرائد دانبى مندهشًا من سؤال يوساريان. أجاب وكأن الإجابة واضحة بالفعل: "أنا أفعل ذلك لمساعدة وطنى. إن الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن هما قائداى وطاعة أوامرهما هى الإسهام الوحيد الذى يمكننى تقديمه للمجهود الحربى ". أضاف بصوت أكثر انخفاضًا وهو يغلق عينيه قليلاً: "أنا أعمل معهما

لأن ذلك هو واجبى؛ وأيضا لأننى لست شخصا عدوانيا".

قال يوساريان فى نبرة غير عدوانية: "إن البلاد لم تعد بحاجة لمساعدتك. إذن فكل ما تفعله هو مساعدتهما".

اعترف الرائد دانبى بصراحة: "أنا لا أحاول التفكير فى ذلك. أنا فقط أحاول التركيز على النتيجة الكبرى ونسيان أنهما ينجحان كذلك. أحاول التظاهر بأنهما ليسا مهمين".

قال يوساريان فى تعاطف وهو يطوى ذراعيه: "إن تلك هى مشكلتى. فكلما نظرت إلى شىء مثالى أجد دوما أمثال شسكوبف وبيكام وكورن وكاثكارت، ومثل هؤلاء يغيرون ذلك الشىء المثالى بالنسبة لى".

نصحه الرائد دانبى: "لابد أن تحاول عدم التفكير فيهم، ولابد ألا تسمح لهم قط بتغيير قيمك. إن المثاليات جيدة ولكن الناس لا يكونون فى بعض الأحيان صالحين بما فيه الكفاية. لابد أن تحاول النظر إلى الصورة الكبرى".

رفض يوساريان النصيحة بهز رأسه فى تشكك وقال: "حينما أنظر أمامى أرى أناسا يحاولون تحقيق ربح بكل الطرق. لا أرى جنة أو قديسين أو ملائكة . أرى أناسا يتربحون من أكثر الدوافع احتراما وأكثر المصائب الإنسانية تراجيدية".

قال الرائد دانبى فى إصرار: "ولكن لابد أن تحاول عدم التفكير فى ذلك. ولابد ألا تسمح لذلك بمضايقتك".

إن ذلك لا يضايقنى فى الواقع. إن ما يضايقنى هو أنهم يعتقدون أننى مغفل. إنهم يعتقدون أنهم أذكياء وباقى البشر أغبياء. وهل تعلم شيئا يا دانبى، لقد خطر فى بالى للمرة الأولى الآن أنهم قد يكونون محقين".

قال الرائد دانبى: "ولكن لابد أن تحاول عدم التفكير فى ذلك أيضا. لابد أن تفكر فقط فى صالح بلدك وكرامة الإنسان".

قال يوساريان: "نعم".

"أنا جاد يا يوساريان. إن تلك ليست الحرب العالمية الأولى. لا يجب أن تنسى قط أننا منخرطون فى حرب مع معتدين لن يتركوا أحدنا يعيش إن انتصروا".

أجاب يوساريان بشكل موجز وهو يشعر بدفقة مفاجئة من الانزعاج: "أنا أعلم هذا. بالله عليك يا دانبى، لقد استحققت تلك الميدالية التى حصلت عليها بغض النظر عن السبب الذى جعلهم يعطوننى إياها. لقد نفذت سبعين مهمة لعينة. لا تحادثنى عن القتال لإنقاذ بلدى. لقد ظللت أحارب لإنقاذ بلدى. والآن سوف أحارب قليلا لإنقاذ نفسى. إن البلاد لم تعد فى خطر وإنما أنا".

"إن الحرب لم تنته بعد. إن الألمان متجهون صوب أنتورب".

"إن الألمان سوف ينهزمون فى غضون أشهر قليلة. واليابان سوف تنهزم فى

خلال بضعة أشهر بعد ذلك. وإن قمت بالتضحية بحياتى الآن لن يكون ذلك من أجل بلادى وإنما سيكون من أجل الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن. لذا فأنا سأتخلى عن مصوبة القصف الخاصة بى، ومن الآن فصاعدا لن أفكر سوى بنفسى".

أجاب الرائد دانبى فى سخط بابتسامة متعالية: "نعم يا يوساريان، ولكن ماذا إن شعر الجميع مثلك".

"إذن سأكون مغفلاً إن لم أشعر بهذا الشعور"، ثم جلس يوساريان بانتصاب فى دهشة وأضاف: "أتعلم، يساورنى شعور غريب بأننى خضت نفس هذا الحوار من قبل مع شخص ما. إن ذلك يشبه شعور رجل الدين بمعايشة كل شىء مرتين".

قال الرائد دانبى: "إن رجل الدين يريد منك أن تدعهم يرسلونك للوطن".

"يمكن لرجل الدين أن يقول ما يشاء".

تنهد الرائد دانبى وهو يهز رأسه فى إحباط وقال: "يا إلهى، إنه خائف من أن يكون قد أثر عليك".

"إنه لم يؤثر علىّ. أتعلم ماذا يمكننى أن أفعل؟ يمكننى البقاء هنا فوق فراش المستشفى هذا وأحيا حياة بلادة وخمول. يمكننى أن أحيا مثل هذه الحياة هنا وأترك الآخرين يتخذون القرارات كما يشاءون".

خالفه الرائد دانبى الرأى: "لابد أن تتخذ قرارات. لا يمكن أن يحيا الإنسان مثل ثمرة الخضراوات؟".

"لم لا؟".

عبرت نظرة دافئة عينى الرائد دانبى وقال فى حزن: "لابد أن يكون من اللطيف حقًا أن يعيش المرء مثل ثمرة الخضراوات".

قال يوساريان: "إن تلك حياة حقيرة".

أصر الرائد دانبى: "لا، لابد أن يكون ذلك أمرًا مبهجًا أن يتحرر المرء من الشك والضغوط. أعتقد أننى أود أن أعيش مثل ثمرة الخضراوات ولا أتخذ أية قرارات مهمة".

"أى نوع من الخضراوات يا دانبى؟".

"ثمرة خيار أو جزر".

"أى نوع من الخيار؟ ثمرة جيدة أم سيئة".

"جيدة بالطبع".

"إنهم سوف يقطعونك فى ريعانك ويحولونك إلى شرائح للسلاطة".

تجهم وجه الرائد دانبى وقال: "سوف أصبح ثمرة مسكينة إذن".

"سوف يتركونك تتعفن ويستخدمونك كسماد لمساعدة الثمار الجيدة على النمو".

قال الرائد دانبى وهم يبتسم ابتسامة تنم عن العدول عن رأيه "أعتقد أننى لا أرغب أن أعيش مثل ثمرة خضراوات إذن".

سأل يوساريان بجدية: "دانبى، هل يجب أن أدعهم يرسلوننى إلى الوطن حقًا؟".

هزّ الرائد دانبى كتفيه: "إنها طريقة تنقذ بها نفسك".

"إنها طريقة أخسر بها نفسى. يجب أن تدرك ذلك".

"يمكنك أن تحصل على الكثير من الأشياء التى تريدها".

قال يوساريان قبل أن يضرب بقبضته على المرتبة فى غضب وسخط: "لا أريد الكثير من الأشياء. اللعنة يا دانبى! إن لدىّ أصدقاء لقوا حتفهم فى هذه الحرب. لا يمكننى عقد اتفاقية الآن. إن طعن تلك الفتاة لى هو أفضل شىء حدث لى على الإطلاق".

"هل تفضل دخول السجن؟".

"هل ستدعهم يرسلونك إلى الوطن لو كنت مكانى؟".

قال الرائد دانبى فى اقتناع: "بالطبع!". أضاف بعد بضع لحظات من التأمل بنبرة أقل إيجابية بينما يسيطر عليه شعور بعدم الراحة: "بالطبع سأفعل. نعم أعتقد أننى سأدعهم يرسلوننى للوطن لو كنت مكانك". بعد ذلك أشاح بوجهه بعيدًا فى اشمئزاز فى إشارة تدل على الحزن والغم وقال بدون تفكير: "آه بالطبع كنت سأدعهم يرسلوننى للوطن! ولكننى جبان للغاية لدرجة تجعل من المستحيل أن أكون فى مكانك".

سأل يوساريان وهو يتفحصه عن كثب: "ولكن لنفترض أنك لم تكن جبانًا؟ لنفترض أنك تملك الشجاعة الكافية لتحدى شخص ما؟".

قال الرائد دانبى فى تأكيد بسعادة وحماسة بالغين: "إذن لم أكن لأدعهم يرسلوننى للوطن، ولكننى لم أكن لأدعهم كذلك يحاكموننى عسكريًا".

"هل ستقبل الخروج فى مزيد من المهام؟".

"لا، بالطبع لا. إن ذلك سيكون بمثابة استسلام شرطى ومن الممكن أن ألقى حتفى".

"إذن سوف تهرب؟".

كان الرائد دانبى على وشك الإجابة بفخر حينما سكت فجأة وانغلق فكه نصف المفتوح وزم شفتيه فى استياء وقال: "أعتقد أنه لن يكون هناك أى أمل بالنسبة لى فى ذلك الحين، أليس كذلك؟".

سرعان ما توهجت جبهته وعيناه البارزتان فى توتر ثانية. عقد رسغيه فوق ساقيه وبدا أنه لا يتنفس بينما كان يجلس وهو يحدق ناحية الأرض فى إذعان

وهزيمة. تسللت ظلال داكنة ومنحدرة من النافذة. راقبه يوساريان فى كآبة، ولم يتحرك أى من الرجلين حينما سمعا صوت سيارة مسرعة تتوقف بالخارج، وبعد ذلك سمعا صوت وقع أقدام مسرعة تتجه ناحية المبنى فى عجلة.

تذكر يوساريان بعدما تدفق بداخله ببطء سيل من الإلهام: "نعم، إن هناك أملاً من أجلك. إن مايلو بإمكانه مساعدتك. إنه أعظم شأنًا من الكولونيل كاثكارت وهو مدين لى بالفضل".

هزّ الرائد دانبى رأسه وأجاب ببطء: "إن مايلو والكولونيل كاثكارت صديقان الآن؛ فهو قد جعل الكولونيل كاثكارت نائبًا للرئيس ووعده بوظيفة مهمة بعد انتهاء الحرب".

قال يوساريان: "ونترجرين الجندى من الدرجة الأولى الأسبق سوف يساعدنا. إنه يبغضهما وسوف يثير ذلك حنقه".

هزَ الرائد دانبى رأسه فى فتور ثانية وقال: "إن مايلو وونترجرين اندمجا الأسبوع الماضى. لقد أصبحا شريكين الآن فى شركات إم آند إم".

"لا أمل أمامنا إذن، أليس كذلك؟".

"لا أمل".

"لا أمل على الإطلاق، أليس كذلك؟".

قال الرائد دانبى: "لا أمل على الإطلاق". رفع عينيه بعد قليل وأضاف: "ألن يكون لطيفا لو قاموا باختفائنا مثلما اختفوا أشخاصا آخرين وذلك كى يريحونا من أعبائنا الثقيلة؟".

قال يوساريان: "لا". وافقه الرائد دانبى بإيماءة حزينة وهو يخفض عينيه ثانية، لم يكن هناك أى أمل على الإطلاق بالنسبة لكليهما حتى انفجر صوت وقع الأقدام فى الرواق فجأة ودخل رجل مندفعًا إلى الغرفة وهو يصيح بأعلى صوته حاملاً أخبارًا عن أور، بينما تغمره سعادة غامرة لدرجة أنه ظل يتحدث بشكل غير مترابط طوال دقيقة أو اثنتين. كانت عيناه تترغرغان بدموع البهجة والفرح، وقد قفز يوساريان فى الفراش بعدما صرخ حينما فهم أخيرًا.

صاح: "السويد؟".

صاح رجل الدين: "أور!".

صاح يوساريان: "أور؟".

صاح رجل الدين وهو يهز رأسه لأعلى وأسفل فى سعادة ووثب بشكل يتعذر السيطرة عليه من نقطة لأخرى فى اهتياج: "السويد! إنها معجزة، أؤكد لك ذلك! إنها معجزة! لقد جرفه التيار إلى السويد بعد بقائه طوال كل هذه الأسابيع فى البحر! إنها معجزة".

قال يوساريان وهو يقفز فى كل مكان أيضًا بينما يضحك ضحكات مدوية ويوجه كلامه للجدران والسقف ورجل الدين والرائد دانبى: "جرفه التيار، هذا هراء! إن التيار لم يجرفه إلى السويد. لقد جدف إلى هناك! لقد جدف إلى هناك".

"جدف إلى هناك؟".

"لقد خطط لذلك الأمر! لقد ذهب إلى السويد متعمدًا".

قال رجل الدين بحماسة بالغة: "حسنًا، أنا لا أكترث لهذا! إنها لاتزال معجزة، معجزة فى الذكاء البشرى وقوة التحمل البشرية. انظر ماذا فعل!". أمسك رجل الدين رأسه بكلتا يديه وانفجر فى ضحك. وقال فى دهشة: "ألا يمكنك تخيله؟ ألا يمكنك فقط تخيله فى ذلك القارب الأصفر يجدف عبر مضيق جلبرالتار ليلاً بذلك المجداف الأزرق الصغير...".

"وأثناء تدلى تلك الصنارة خلفه، وتناوله لسمك القد طوال الطريق إلى السويد، وإعداده الشاى كل يوم فى فترة بعد الظهيرة...".

صاح رجل الدين بعدما سكت قليلاً أثناء احتفاله كى يلتقط أنفاسه: "أنا أستطيع تخيله! إنها معجزة فى المثابرة البشرية، أؤكد لك ذلك. وهذا ما سوف أفعله من الآن فصاعدًا! سوف أثابر. نعم سوف أثابر".

قال يوساريان فى سعادة وهو يرفع كلتا قبضتيه عاليًا وكأنه يتمنى لو يعتصر الإلهام منهما: "لقد كان يعرف ماذا يفعل منذ البداية!". استدار ليواجه دانبى فجأة. "دانبى أيها المغفل! إن هناك أمل على الرغم من كل شىء. ألا ترى؟ حتى كليفنجر ربما يكون حيًا فى مكان ما فى سحابته تلك، فربما يكون مختبئًا بداخلها حتى يصير الجو آمنًا لكى يخرج".

سأل الرائد دانبى فى ارتباك: "ما الذى تتحدث عنه؟ ما الذى تتحدثان عنه أنتما الاثنان؟".

"اجلب لى تفاحًا يا دانبى وجوزًا كذلك. اركض يا دانبى اركض. أحضر لى تفاحًا بريًا وجوزًا قبل أن يفوت الأوان وأحضر البعض من أجلك كذلك؟".

"جوز؟ تفاح برى؟ لماذا بحق السماء؟".

أجاب يوساريان وهو يلقى بذراعيه فى الهواء إشارة على القوة: "لنضعها داخل وجناتنا بالطبع. آه، لماذا لم أنصت له؟ لماذا لم أومن به؟".

سأل الرائد دانبى فى ذعر وارتباك: "هل جننت؟ هلاّ أخبرتنى يا يوساريان من فضلك ما الذى تتحدث عنه!".

"دانبى، لقد خطط أور لهذا الأمر. ألا تفهم ـ لقد خطط للأمر منذ البداية. لقد تدرب حتى على السقوط بعض التعرض للقصف. لقد تدرب على ذلك فى كل مهمة قام بتنفيذها. وأنا رفضت الذهاب معه! لماذا لم أنصت إليه؟ لقد دعانى

للذهاب معه وأنا رفضت! دانبى، أحضر لى أسنانًا بارزة كذلك وصمامًا لإصلاحه ونظرة براءة غبية لن يشك أحد أبدًا أنها تضم ذكاءً بين طياتها. سوف أحتاج لكل ذلك. لماذا لم أنصت له. الآن أفهم ما كان يحاول إخبارى به. لقد أدركت حتى لماذا كانت تلك الفتاة تضربه على رأسه بحذائها".

سأل رجل الدين بحدة: "لماذا؟".

استدار يوساريان وأمسك رجل الدين من مقدمة قميصه بشكل مزعج وقال له: "ساعدنى من فضلك يا أبتى! من فضلك ساعدنى. أحضر لى ملابسى. وأسرع، هلاّ فعلت! أنا أحتاج إليها على الفور".

مضى رجل الدين فى طريقه بحذر ثم توقف ليقول: "نعم يا يوساريان، ولكن أين هى؟ كيف سأحصل عليها؟".

"عن طريق إرهاب أى أحد يحاول إيقافك. أحضر لى ملابسى يا أبتى! إنها فى ذلك المستشفى فى مكان ما . لمرة واحدة فى حياتك حاول النجاح فى شىء ما".

صلب رجل الدين كتفيه فى قوة عزم وزم فكه وقال: "لا تقلق يا يوساريان. سوف أحضر لك زيك العسكرى، ولكن لماذا كانت تلك الفتاة تضرب أور على رأسه بحذائها؟ من فضلك أخبرنى".

"لأنه دفع لها كى تفعل ذلك، هذا هو السبب! ولكنها لم تضربه بقوة كافية، لذا فقد اضطر أن يجدف إلى السويد. يا أبتى، اعثر لى على ملابسى العسكرية حتى أستطيع الخروج من هنا. اسأل الممرضة داكيت عنها. إنها ستساعدك. إنها ستفعل أى شىء كى تتخلص منى".

سأل الرائد دانبى فى ترقب حينما انطلق رجل الدين مغادرًا الغرفة: "إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا ستفعل؟".

أعلن يوساريان بصوت مبتهج وواضح وهو يفتح بالفعل أزرار بيجامته: "سوف ألوذ بالفرار".

تأوه الرائد دانبى قبل أن يبدأ فى التربيت على وجهه المغطى بحبات العرق بسرعة براحتى يديه العاريتين: "لا! لا يمكنك أن تهرب. إلى أين ستذهب؟ أين يمكنك أن تذهب؟".

"إلى السويد".

قال الرائد دانبى فى دهشة: "إلى السويد؟ هل ستذهب إلى السويد؟ هل أنت مجنون؟".

"لقد قام أور بذلك".

استجداه الرائد دانبى: "لا، لا، لا. لا يا يوساريان؛ إنك لن تستطيع قط الوصول إلى هناك. لا يمكنك الهرب إلى السويد. أنت لا تستطيع حتى التجديف".

"ولكننى أستطيع الذهاب إلى روما إن أبقيت فمك مغلقا ومنحتنى فرصة كى أستقل شيئاً يقوم بإيصالى إلى هناك. هل ستفعل هذا؟".

قال الرائد دانبى فى يأس: "ولكنهم سيجدونك ويأتون بك ثانية لمعاقبتك على نحو أشد وطأة".

"سيكون عليهم محاولة إظهار أفضل ما لديهم للإمساك بى فى هذه المرة".

"إنهم سيظهرون أفضل ما لديهم. وحتى إن لم يمسكوا بك، أى حياة تلك التى ستعيشها؟ سوف تكون وحدك دائما. لن يكون هناك أحد إلى جانبك، وستكون معرضا دوما لخطر الخيانة".

"أنا أعيش بهذه الطريقة الآن".

قال الرائد دانبى فى إصرار: "ولكنك لا تستطيع إعطاء ظهرك لكل مسئولياتك والهرب بعيدا عنها. إن تلك خطوة سلبية. إن ذلك هروب".

ضحك يوساريان فى ازدراء مرح وهز رأسه وقال: "أنا لا *أفر* من مسئولياتى. أنا أفر *إليها*. ليس هناك ما هو سلبى فى الفرار لإنقاذ حياتى. أنت تعرف من هم الهاربون يا دانبى، أليس كذلك؟ ليس أنا وأور".

"من فضلك تحدث إليه يا أبتى، هلاّ فعلت! إنه يفر من الخدمة، إنه يريد الهرب إلى السويد".

قال رجل الدين فى مرح وهو يلقى بفخر فوق الفراش غطاء وسادة مليئا بملابس يوساريان: "مذهل! اهرب إلى السويد يا يوساريان. وأنا سوف أبقى هنا وأثابر. نعم سوف أثابر. وسوف أعمد إلى مضايقة وإزعاج الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن فى كل مرة أراهما فيها. أنا لست خائفًا، وأنا سوف أزعج حتى الجنرال دريدل".

ذكره يوساريان وهو يرتدى بنطاله ويحشر ذيل قميصه بداخله بسرعة: "لقد رحل الجنرال دريدل. الجنرال بيكام هو من يتولى القيادة الآن".

لم تتزعزع ثقة رجل الدين بنفسه ولو للحظة وقال: "إذن سوف أعمد إلى مضايقة الجنرال بيكام بل والجنرال شسكوبف أيضًا. وهل تعلم ماذا سأفعل كذلك؟ سوف أقوم بلكم النقيب بلاك فى أنفه فى المرة القادمة التى سأراه فيها. نعم، سوف أقوم بلكمه فى أنفه، وسوف أفعل ذلك أثناء وجود الكثير من الأشخاص حولنا حتى لا تتاح له الفرصة للكمى".

اعترض الرائد دانبى بينما تحترق عيناه الجاحظتان فى محجريهما حنقا وسخطا: "هل جننتما أنتما الاثنان؟ هل فقدتما عقليكما؟ أنصت يا يوساريان...".

قال رجل الدين وهو يمسك بالرائد دانبى من خصره ويرقص به حول الغرفة

رقصة الفالس: "إنها معجزة، أؤكد لك ذلك. معجزة حقيقية. إن استطاع أور التجديف إلى السويد، إذن فباستطاعتى التغلب على الكولونيل كاثكارت والمقدم كورن، إن قمت فقط بالمثابرة".

تراجع الرائد دانبى فى أدب متحررًا من رجل الدين وماسحًا العرق من فوق حاجبه بحركة سريعة: "هلاَّ أغلقت فمك يا أبتى من فضلك؟!"، ثم انحنى ناحية يوساريان الذى كان يمد ذراعه ليأخذ حذاءه وسأله: "ماذا عن الكولونيل...؟".

"لا أكترث لهذا".

"ولكن هذا فى الواقع...".

"تبًا لهما هما الاثنان!".

قال الرائد دانبى فى إصرار وعناد: "إن هذا فى الواقع قد يساعدهما. هل فكرت فى هذا؟".

"دع الوغدين ينتفعان، وما شأنى أنا؛ فأنا لا أستطيع القيام بشىء لإيقافهما سوى إحراجهما عن طريق الهروب. إن لدى مسئوليات خاصة بى الآن يا دانبى. لابد أن أصل إلى السويد".

"إنك لن تنجح فى ذلك قط. إن ذلك مستحيل؛ فمن المستحيل جغرافيًا أن تصل إلى هناك من هنا".

"تبًا يا دانبى، أنا أعلم ذلك، ولكننى على الأقل سأحاول. إن هناك طفلة فى روما أود إنقاذ حياتها إن عثرت عليها. سوف آخذها إلى السويد معى إن وجدتها، لذا فإن مسعاى ليس أنانيًا مائة فى المائة، أليس كذلك؟".

"إنه ضرب من الجنون. إن ضميرك لن يدعك ترتاح قط".

ضحك يوساريان: "فليباركه الله. أنا لا أريد أن أعيش دون وجود هواجس قوية معى. أليس ذلك صحيحًا يا أبتى؟".

قال رجل الدين وهو يلكم الهواء بقبضتيه: "سوف أقوم بلكم النقيب بلاك فى أنفه مباشرة فى المرة التالية التى أراه فيها . هكذا".

سأل الرائد دانبى: "ماذا عن العار الذى ينطوى عليه هذا الأمر؟".

ربط يوساريان رباط حذائه الآخر بقوة وقال قبل أن ينهض على قدميه: "أى عار؟ إن العار هو الحياة التى أعيشها الآن. حسنًا يا دانبى، أنا مستعد. ما رأيك؟ هل ستبقى فمك مغلقًا وتتركنى أستقل سيارة ما لإيصالى إلى هناك؟".

نظر الرائد دانبى إلى يوساريان فى صمت وهو يبتسم ابتسامة حزينة وغريبة. توقف عن التعرق وبدا هادئًا تمامًا. سأل فى سخرية حزينة: "ماذا ستفعل إن حاولت إيقافك. هل ستضربنى؟".

استجاب يوساريان للسؤال بدهشة وقال: "لا، بالطبع لا. لماذا تقول هذا؟".

قال رجل الدين فى فخر وهو يرقص على مقربة شديدة من الرائد دانبى ويضرب لكمات فى الهواء: "أنا سوف أضربك أنت والنقيب بلاك وربما حتى العريف ويتكومب. ألن يكون ذلك مذهلاً إن اكتشفت أنه ليس علىّ الخوف من العريف ويتكومب بعد ذلك؟".

سأل يوساريان الرائد دانبى وهو يحدق إليه: "هل ستقوم بإيقافى؟".

ابتعد الرائد دانبى عن رجل الدين وتردد للحظة. قال قبل أن يلوح بكلتا ذراعيه فجأة ناحية الباب فى إشارة لضرورة الإسراع: "لا، بالطبع لا! بالطبع لن أعترض طريقك. اذهب بحق السماء وأسرع! هل تحتاج لأية نقود؟".

"إن لدىّ بعض المال".

"حسنا، إليك البعض الآخر". وبحماسة بالغة متقدة وضع الرائد دانبى لفافة من الأوراق المالية الإيطالية فى يد يوساريان والتى أمسكها بشدة كى يجعل أصابعه المرتعدة تهدأ وكى يبث الشجاعة فى نفس يوساريان فى الوقت ذاته. أشار فى شوق: "إن الحياة فى السويد لطيفة حقا. إن الفتيات هناك جميلات والناس متحضرون".

قال رجل الدين: "وداعًا يا يوساريان وحظًا سعيدًا. أنا سوف أبقى هنا وأثابر وسوف نلتقى مجددًا حينما تنتهى الحرب".

"وداعًا يا أبتى. شكرًا لك يا دانبى".

"كيف تشعر يا يوساريان؟".

"بخير. لا، أنا خائف للغاية".

قال الرائد دانبى: "هذا جيد. إن ذلك مؤشر أنك لا تزال على قيد الحياة. لن يكون الأمر ممتعًا".

قال يوساريان: "هذا صحيح".

"أنا أعنى هذا يا يوساريان. سيكون عليك توخى الحذر فى كل دقيقة من كل يوم. إنهم سيقلبون الدنيا بحثًا عنك".

"سوف أظل حذرا طوال الوقت".

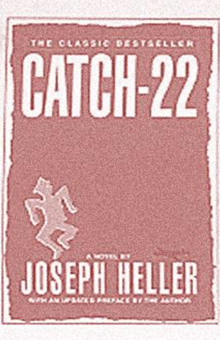
"سوف يكون عليك أن تقفز".

"سوف أقفز".

صاح الرائد دانبى: "اقفز!".

وبالفعل قفز يوساريان: حيث كانت فتاة ناتلى مختبئة وراء الباب، وقد أخطأته السكين بما يقدر ببضع بوصات، قبل أن يلوذ بالفرار!

أدب قصصي



«أحد أقوى الأعمال الكوميدية ذات اللغة اللاذعة... إنها رواية مدهشة قاسية ساخرة وذكية»

ـ جريدة «ذا نيوريبابليك»

إن هذه الرواية فريدة من نوعها. إنها إحدى أكثر الروايات التى تمَّ تأليفها على مر الزمان هزلاً؛ فهى علامة بارزة فى الأدب الأمريكى، حتى إنها أضافت مصطلحاً جديداً للقاموس.

ففى قلب الخدعة ٢٢ يكمن المدفعى المتمارض المتميز يوساريان: ذلك البطل الذى لا يتوقف عن ابتكار خطط وطرق لإنقاذ نفسه من مخاطر الحرب المروعة، وتُعد جهوده تلك منطقية حقاً؛ حيث إنه أينما يذهب يجد آلافاً من الناس لم يسبق له حتى مقابلتهم يحاولون قتله. وقد كانت مشكلته هى الكولونيل كاثكارت، والذى لم يتوقف عن رفع عدد المهام الجوية التى يجب على الرجال تنفيذها للانتهاء من الخدمة العسكرية.

ومع ذلك فإن يوساريان كلما نجح فى القيام بأية محاولات للتملّص من المهام الخطيرة التى يتوجب عليه تنفيذها يجد نفسه واقعاً فى شراك حملة قسم الولاء العظيمة، والقاعدة البيروقراطية الهزلية المشئومة التى تحمل الرواية اسمها: يتم اعتبار الرجل مجنوناً إن استمر فى تنفيذ مهام قتالية خطيرة، ولكنه إن تقدَّم بطلب رسمي لإعفائه من تلك المهام يُعدّ فى هذه الحالة سليماً من الناحية العقلية ولا يجب تسريحه من الخدمة.

إن الرواية تقدم لنا صورة مصغَّرة من العالم فى القرن العشرين كما قد يتراءى لشخص عاقل أكثر من اللازم - إنها تُحفة فنية من تحف هذا العصر.

«عمل بارز فى الأدب الأمريكى المعاصر، والذى سيبقى طالما بقيت التماثيل فى جزيرة الفصح... إنها رواية تعيد تذكيرنا بكل الأشياء التى نأخذها كمسلّمات فى حين لا ينبغى علينا ذلك، وبالجنون الذى لا نحاول الانتباه له أو ملاحظته، وبأوجه الكذب والبهتان التى تعجز إرادتنا عن الفصل بينها وبين الحقيقة».

ـ نيويورك تايمز بوك ريفيو

ولد جوزيف هيلر فى بروكلين فى عام ١٩٢٣. وفى عام ١٩٦١ قام بنشر هذه الرواية والتى أصبحت من الكتب الأكثر مبيعاً، وتحولت فى عام ١٩٧٠ إلى فيلم، ومن أعماله الأخرى *Something Happened* و *God Knows* و *Picture This* و *Closing Time* (وهى تتمة روايتنا هذه) و *Portrait of an Artist, as an Old Man*، وقد توفى جوزيف هيلر فى ديسمبر من عام ١٩٩٩.



